

2020

8.1.2020

عَافِيَةٌ بِحَاوِي



أَوَّلُ الشَّعْرِ

عَصَا الشَّعْرِ الْجَاهِلِيَّةِ

وَالْإِسْلَامِيَّةِ وَالْأُمِّيَّةِ

الْمَشْرِقُ



أَوَّلُ الشَّعْرِ

عُصَارَةُ الشَّعْرِ الْجَاهِلِيِّ وَالْإِسْلَامِيِّ وَالْأُمَوِيِّ

الطبعة الثانية

عارف حجاوي



أَوَّلُ الشَّعْرِ

الفهرسة أثناء النشر - إعداد دار المشرق

حجاوي، عارف
أَوَّل الشعر: عُصارة الشعر الجاهلي والإسلامي والأموي/
عارف حجاوي.
٦٨٨ ص.
١. شعر. أ. العنوان.
892

«الآراء التي يتضمنها هذا الكتاب لا تعبر
بالضرورة عن وجهة نظر دار المشرق»

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لدار المشرق
الطبعة الأولى، القاهرة، ٢٠١٦
الطبعة الثانية، القاهرة، ٢٠١٨

دار المشرق

القاهرة - المعادي - شارع المعراج
almashriq.books@gmail.com

أبواب الكتاب

٧	مقدمة
١٥	امرؤ القيس
٣٧	زهير بن أبي سلمى
٥٩	النابعة الذبياني
٨٥	الأعشى
١٢٣	حسان بن ثابت
١٥٩	الأخطل
٢١٥	الفرزدق
٢٩١	جرير
٣٦٣	عمر بن أبي ربيعة
٤١٣	جميل بثينة
٤٣٩	بقية المعلقات
٤٦٣	المفضليات
٤٩٣	الأصمعيات
٥٠٥	الحماسة
٦٢٣	الوحشيات
٦٤٥	قصائد مشهورات
٦٦٩	فهرس القوافي العام

مقدمة

عندما فرغت من ركن هذا الكتاب وتشكيله وتصحيحه وتنضيد فهارس قوافيه على الحاسوب، طبعته حتى أقرأه قرأةً أخيرة من على الورق. ومع كل دفقة ورق كانت ترميها الناسخة كان يزيد في قلبي الشك في أن أجرؤ على دفع مثل هذا الشيء إلى المطبعة.

أخجلني حجم الكتاب.

حملت كومة الورق، وانصرفت إلى منزلي مغموماً، وألقيتها في ركن. وقعدت أفكر في أن أنصرف عن الأمر كله. من ذا الذي يريد كومة الورق هذه كتاباً؟

ثم فكرت في أن أختصر الكتاب فأنشر نصفه أو ثلثيه. ثم عادت تنتابني عاصفة خجل من فعلتي هذه التي فعلتها بكتابة شيء كبير كهذا، وعن موضوع كهذا. ولبثت في هذه الحالة حتى انتصف الليل. هوّمت تهوية قصيرة لعلها لم تدم سوى خمس دقائق، وقمت متثاقلاً.

تناولت بغير قليل من الغضب، وبكثير من الاشمئزاز، الصفحة الأولى. قرأت. فرحت أن لم أجد خطأ مطبعياً. تحمست للصفحة الثانية فالثالثة. وقرأت ما اخترته من معلقة امرئ القيس مع الشرح الذي شرحت، ووقفت وقفة مع نفسي. فكرت في الشروح الكثيرة التي مرت بي لديوان امرئ القيس. شروح قديمة وحديثة، ولكنها كلها عتيقة. كلها يناقش مسائل في اللغة، وكلها - كلها بلا استثناء - يغضي عن بعض دقائق المعنى. وطالت رقبتني. وبدأت أغفر لنفسي كثيراً مما كنت أخذته عليها.

أشعر بأنني أكتب هذا الكلام فور الفراغ من قراءتي تلك الغافرة؟ هو ذاك.

عندما كنت حملت كومة الورق إلى منزلي اشمأززت أيضاً لأنني أعالج موضوعاً لا يريده أحد، ولا تحتاج إليه نهضتنا في بلاد العرب. خجلت من أنني قاعد أمضغ الشعر الجاهلي والأموي بينما العربي في أمس الحاجة إلى أن يخلع ملابسه ثم يخلع جلده ثم يريق دمه ويستبدل به دماً جديداً. . دماً فيه فكر لا غوغائية، وفيه إحساس بالواقع.

العربي محتاج ليس حتى إلى اكتساب العلم. . هذه نكتة قديمة. لا، العربي محتاج إلى أن يتخلق بأخلاق جديدة. محتاج إلى منظومة (طاهرة) من الأفكار. و«طاهرة» بين قوسين لأن هذا مستحيل. هو في الواقع محتاج إلى كثير من الواقعية وكثير من العزم، وإلى أن يفهم حالته. فإن كنت فهمت من كلمة «طاهرة» أنني أدعونا إلى خلع ماضينا فقد فهمت نصف ما أريد.

أريدنا أن نتجدد، لا أن نتزيف. وهنا تفريق كمي أحب أن أعرضه عليك: لو كنا - نحن العرب - مئة ألف إنسان يسكنون بلداً صغيراً، ولو نشأت بيننا دعوة إلى التخلي عن لغتنا وعاداتنا وتراثنا والالتحاق بأمة كبيرة أخرى، فربما كان الأمر محتماً للنقاش الجاد. بعض الجماهير الصغيرة ذابت، وهي ما فتئت تذوب في كل سنة في شعوب كبيرة، فاقدة لغتها وقسطاً كبيراً من تاريخها، ومندثرة من حيث هي جماهير مستقلة. الشعوب تنام، والشعوب تنهض، والشعوب أيضاً تندثر. لكننا نحن العرب كتلة كبيرة. وكانت لدينا دولة وحضارة: أكبر من بعض الدول والحضارات، وأصغر من بعض الدول والحضارات. وما تراه الآن من تشلُّق الأثرياء بالثقافات الأجنبية، ومن إرسالهم أولادهم إلى مدارس أجنبية ليس بداية ذوبان ولا اضمحلال. نحن أكبر من ذلك. هو فقط لعق رخيص لنعل الأجنبي كي يأتي لينهب خيراتنا ويعطي فئة السماسرة الفتات.

نهضتنا لا بد أن تكون من الداخل. والبداية أن نطلب الحرية، وأن نطالب أنفسنا بالمثابرة، وأن نرفض إعطاء زمامنا لفئة السماسرة. هذه الفئة هي مثل الولد الأكبر لأسرة مات عائلها، وهذا الولد يحمل بين الفينة والفينة سجادة من البيت ويبيعها في سوق الدلالين ليُسكّر بشمئها، وحتى تسهل عليه المهمة فقد تعلم من لغة الدلالين «على أونه على دوي على تري».

فئة السماسرة تعلم أبناءها القشور من اللغات الأجنبية لكي تفتح مكاتب الاستيراد فتستورد للبلد السيارات، ولكي تبيع حقوق التنقيب على المعادن والنفط وحقوق الصيد وحقوق استخدام الموقع الاستراتيجي للأجنبي.

لا علاقة مباشرة لهذا بالشعر الجاهلي والأموي. لكن ثمة علاقة، قد أنجح في توضيحها في الأسطر المقبلة.

خلّصت من قراءتي لصفحات من كتابي هذا إلى أنني مثابر. فأنيت على نفسي. ورأيت شيئاً آخر. رأيته لا أتناول موضوعي بالتقديس، ولا بالتبجيل، ولا بلهجة المعلم الصارم، بل بكثير من العيب والأريحية. رأيته أعرض لك تراثاً دون أن أومئ، ولو إيماء، إلى أنه إرث متفوق على أروث أقوام آخرين. ثمة رسالة كامنة في ثنايا هذا الكتاب الذي أخرجتني ضخامته: لا للتشدد، الدنيا حلوة بتنوعها.

لن نحتاج إلى كتاب «أول الشعر» في بناء نهضتنا، لكننا لن نخلع ملابسنا، ولا جلدنا، ولن نريق دمننا. وسنعود لتتصالح مع ماضينا، لكن مع فهم حقيقي له. ولنا بالشعر الجاهلي والأموي صلة، وفي أعماقنا كثير من أحداث تاريخنا. في دماننا القادسية، وفيها أيضاً صفين، وفيها مدح الحاكم والتذلل له، وفيها الغضبات المضرية، وفيها أخلاق الكرم والغدر والظلم والسماحة.

وقبل أن أروي لك قصتي مع هذا الكتاب سأروي لك ملاحظة لاحظتها مؤخراً. قرأت من أقل من سنة كتاباً عن تاريخ فرنسا منذ ثورتها الكبرى حتى اليوم؛ كتاباً كبيراً يقترب من حجم هذا الذي بين يديك. ولكن عقلي الشيخوخي لم يُلْقَ منه أي معلومة. تبخر الكتاب كله من رأسي. وبقيت عبرة. الكتاب تفصيلي جداً لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها. الآن العبارة: كل حدث في فرنسا يرتبط بما قبله. الثورة الفرنسية الكبرى ظلت حتى اليوم فاعلة.. هي في دم الفرنسيين. لقد أراني ذلك الكتاب أحداث ١٨٤٨م، وأراني تسلط نابليون الثالث، وأحداث ١٨٧٠م، والحربين العالميتين.. إلخ، أذهلني في هذا الشريط كله ما يوجد من ترابط فيما بين أحداثه. قفز إلى ذهني «سائقو التاكسي في لندن»، وجلهم من أهل لندن الأصليين، ومن الأحياء العتيقة. وكنت ركبت تكسيات لندن بضع مئات من المرات عندما كنت أعمل هناك. أدهشت نفسي عندما لاحظت أن خير وصف لأولئك السائقين: لنفسياتهم، لنظرتهم للحياة، لعفويتهم، لوقاحتهم، لشهامتهم، إنما هو ما كتبه قبل مئتي سنة تشارلز ديكنز. ألم يتغير الإنجليز في هاتين المئتي سنة؟ قليلاً.

ونحن؟ نحن تغيرنا في الألف والخمسمئة سنة التي مضت منذ أن بدأ الشعر العربي مسيرته العجيبة. لكننا لم نخلع جلودنا. الأثر الفارسي موجود،

والبربري موجود، والكردى، والنوبى، والهلينى أيضاً، ولكن العقل العربى أيضاً موجود. لا أقول إن كل عربى يشبه كل عربى آخر، ولكننا كتلة كبيرة، ولها ذاكرتها.

تأتى على الأمم مفاصل تشعر فيها بأن عليها أن تخرج من جلدها. اليابانيون مروا بهذا المفصل فيما تلا عام ١٨٦٨م، فهل خرجوا فعلاً من جلدهم؟ قد تغيروا كثيراً، ونهضوا، لكنهم احتفظوا بلغتهم وفنونهم ونفسياتهم.. وكل ذلك تطور تطوراً بطيئاً رغم المفصل الحاد. لعلى أوضحت بعض الإيضاح التناقض الظاهري بين مطالبتى إيانا بالخروج من الجلد وبين عدولي عن هذه المطالبة. نحن بحاجة إلى المرور بمفصل تاريخى حاد. لكنه لن يشطب ثقافتنا القديمة.

أكتب هذه الكلمات وأشعر من جديد بأننى إنما أزيد هذا الكتاب المخجل ضخامة. فعلى من الآن فصاعداً أن أقتصد فى الكلام.

هذا الكتاب يعرض تراثاً شعرياً قديماً، ويعرضه بطريقة جديدة وخاصة جداً.. يعرضه عرضاً متخففاً من الصرامة الأكاديمية المضحكة، ويعرضه بالمفروق لا بالجملة، فصاحب الكتاب لم ينسخ لك القصيدة بغثا وسمينها، بل انتقى البديع الجميل من أبياتها، وسعى إلى إحكام الربط فيما بين الأبيات ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، والقصيدة العربية مفككة خلقة. نعم، قد بحثت طويلاً، ونبشت الدواوين وكتب القدماء والمحدثين نبشاً ذريعاً، وقد تعاملت عليك فى مقدماتى، وأخبرتكم عن كثير من البحث «الكامن» وراء ما أقدمه لك من أشعار ومن شروح.. لكن البحث بقى «كامناً». فلم أسمح للقدماء بأن يدخلوا حرمنى. فهمت كلامهم ووعيته فى حماسة جُلجلاني، لكننى لم أسمح لهم بالتسلل إلى لسانى. شرحت لك بلسان معاصر حيناً، متفاح حيناً. وكلما أخذت من شارح قديم أو معاصر عبارة، ولو كانت من كلمتين، أشرت إليه. هذه الأشعار اخترتها ثم شرحتها منطلقاً من منصة ليبرالية. وافهم من كلمة ليبرالية كل ما يمكن أن يفهم من هذه الكلمة، فإن تحيرت فاعلم أننى عندما أترك التواضع جانباً فإننى أصف نفسى بأننى «مفكر حر».. هذه أحسن من ليبرالية.

ليبع هذا الكتاب مئة نسخة، ولتبق النسخ التسعمئة الأخرى فى المخازن. قد عزمت، وقد توكلت على الله.

قصة هذا الكتاب:

هذا الكتاب هو أول الغيث، وستأتي بعده كتب تروي قصة الشعر العمودي في كل العصور حتى نصل إلى إيليا أبو ماضي. والمشروع كله يستمد قوته الدافعة من الغريزة النملية. فمند نحو خمس وثلاثين سنة بدأت أكتب الأبيات الجميلة التي تمر بي في دفتر، وسرعان ما صار الدفتر عشرة دفاتر. وسافرت إلى لندن للعمل واصطحبت دفاتري. وانتقلت في العمل من قلم المترجم إلى لسان المذيع، وأخذت أذيع الكثير من هذه الأبيات الجميلة في برامج شتى، وكنت أحليها بقصص لها بها ارتباط أو ليس لها. أذعت هذا من محطة لندن التي يسمونها الآن البي بي سي، وكنا في زمننا نصر على تسميتها هيئة الإذاعة البريطانية، فهذه التسمية تملأ الفم أكثر. وانتقلت في تلك الإذاعة إلى عمل إداري، وظللت أثبت الأبيات والقصص. ثم عدت إلى فلسطين حيث عملت في التدريس الجامعي والتدريب الإعلامي سبع سنين طالما وصفتها بأنها أجمل سني حياتي. وفي هذه السنين السمان اشتغلت بالنحو العربي فهذبته وقربته للإعلاميين، وكتبت كتباً لطلبتي نال بعضها نصيباً من الذبوع المحلي.

ومضيت أختار الشعر الجميل. وزدت على دفاتري العشرة دفتريين كبيرين.

ثم انتقلت إلى قطر للعمل في قناة الجزيرة. وقضيت ست سنين، لا هنّ بالسمان ولا العجاف. على أنني فيهنّ كتبت ونشرت كتابين عن أحمد شوقي والمتنبي. وبدأت أدخل حرم الشعر القديم. واستقلت من الجزيرة، وعملت في الصحافة في بلدي فلسطين، ثم رجعت إلى الجزيرة كي أكتب كتاباً في اللغة.

سميت الكتاب «اللغة العالية»، وهو معجم لما يحتاجه الإعلامي من اللغة. ورغم أن وضع الكتاب كان جزءاً من وظيفتي، فإنني أقبلت عليه بعزم مضاعف لحاجة عميقة في نفسي. كنت محتاجاً إلى الغوص في المعاجم، وإلى دراسة اللغة القديمة درساً منظماً. كأنني كنت أستعد لخوض غمار الشعر القديم. فكان تأليف كتاب «اللغة العالية» مساقاً دراسياً عقدته لنفسى.

والآن، بعد سنتين من صدور «اللغة العالية»، أشعر بأن اللغة القديمة طبقات فوق طبقات، وأن المعاجم تسعفك في أشياء وتخذلك في معظم الأشياء.

ما جعلني أمضي في لملمة الأبيات الجميلة من عشرات الكتب والدواوين

هو غريزة النملة. وفي البشر من يشبه النملة كثيراً، وفيهم من يشبهها قليلاً. أنا.. كثيراً.

لم أرتب الأشعار في هذا الكتاب بطريقة معينة. قد التزمت في الغالب الترتيب الذي في الدواوين، لكنني صنعت لك فهارس بالقوافي. وجعلت لكل باب مقدمة تطول أو تقصر بحسب ما يواتيني من مزاج للكتابة. فهذا الكتاب ليس فقط عن الشعر القديم، بل هو عني وعن تذوقي لهذا الشعر، وهو - في تلك المقدمات التي أكتبها - كتاب يُعنى بموضوع «الكتابة الحرة»؛ حرة بمعنيين: أولاً أنها ليست مقيدة بقيد الالتزام بالموضوع، وثانياً أنها نابذة للرواسم، أي الكليشيهات. هذه الكتابة التي اصططعتها، والتي أبشر بها تبشيراً، هي الكتابة التي تشبه الكلام. هي الكتابة الإذاعية. فمنذ أن عملت في الإذاعة وأنا أغمس سن قلمي في لساني مستمداً ريق الكلام، ساعياً عن وعي إلى أن أحدثك وكأنك جالس بجانبني، ومنصرفاً انصرفاً عن رصف الكلمات بمثل ما رصفها كثيرون قبلي.

طالما تحذلق أساتذة الإعلام بأن للصحافة لغتها وللإذاعة لغتها وللكتاب لغته. ونقول: الكلام أسبق من القلم والورقة، ولغة الإذاعة هي أقرب شيء إلى ما هو طبيعي. وخير ما يصنعه الكاتب أن يحاكي نفسه وهو يتحدث. مقدماتي لأبواب الكتاب مقصودة لذاتها.

يحلو للمرء - كي يبرز محاسن نفسه - أن يقع في الآخرين، فيصب على رؤوسهم أوساخ لسانه. وقد فعلت بعض ذلك في مقدماتي لأبواب هذا الكتاب، غير أنني سترت أسماء من أهجوهم، وسترْتُ وُسعي ما يمكن أن يقود إليها.

ملأت مقدماتي بقوارع الكلم التي وجهتها إلى الأكاديميين المزيفين. قد بلَّغتهم الصاب تبليغاً، ولعبت بهم لعباً بليغاً. وصارحتك أكثر من مرة، بأنني لا أصنع ذلك أملاً في إصلاح؛ أصنعه كي أنسلِّي، وأسليِّك، وصنعتة تعالماً. سبحان من خلقتني.

ليس في كتابي هذا من القصص إلا القليل. لم أستطع أن أمنع نفسي من سرد قصة امرئ القيس عندما أخرج النسوة من الغدير عاريات، ولا قصة جرير عندما دَمَعَ نُميراً بقصيدة فأخزاها.

على أن الكتاب كتاب شعر.

في هذا الكتاب زبدة الشعر العربي في الجاهلية وصدر الإسلام والعصر الأموي. قد انتقيت لك أجمل وأقوى الأبيات لأهم شعراء ذلك الزمن. ولاحقت لك الشعراء المغمورين بلا كلال، ناخلاً كتب الشعر القديم نخلاً. وكانت تلك مهمة سهلة. فأما المهمة الصعبة فكانت الشرح. وقد شرحت شرحاً أصفه فقط بأنه شرح حقيقي، ذلك الشرح الذي لا يغشك بتفسير الكلمة السهلة دون الصعبة.

كنت أعرض شيئاً من عملي، وأنا في الخضم، على بعض الأصدقاء، وكلهم ألحَّ عليَّ بأن أشرح أكثر. وكنت أستجيب. غير أن اللغة القديمة عسرة، وهي تصبح، فوق عسرها، ملتوية إذ يقصرها الشاعر على أن تقعد في قالب أسمتي هو الوزن، مغطى بغطاء من الحديد السَّكَبِ هو القافية. ثم إن الشاعر القديم يعطيك نصف المعنى تاركاً النصف الآخر لخياالك. شرحت بما فتح الله علي، وما استعنت بشرح شارح قديم أو معاصر إلا ذكرت ذلك في المقدمة.

لاحاني الصديق اللغوي المدقق أحمد عبد الرحيم في اللغة ملاحاةً، وناكفني في الشرح: في طريقتي فيه، وفي فهمي لبعض الأبيات، فإن رأيتني أشرح متخذاً الأقواس حيناً، متخذاً الفواصل حيناً فهذا أثر صاحبي فيّ. وقد كظم غيظه من منهجي المتحرر ما استطاع إلى الكظم سبيلاً. وسقط الصديق الشاعر عمران القفيني على كثير من أغلاطي النحوية والمطبعية سقوط الندى، فكان يستحسن الفقرة أولاً ثم يشير برفق إلى علة فيها؛ يسمح الممرض عضدك بالوفية مسحاً لطيفاً ثم يهيئ سن الإبرة. قرأ عمران الكتاب كله، وخلصه من عشرات أغلاط النحو والتواء الأسلوب، علاوة على الأخطاء المطبعية التي التقطها ببراعة، أنفق في إصلاح ما اعوج من هذا الكتاب ساعات طويلة، وبتذوقه النادر والذكي للشعر شد أذري. وشجعني مثلما يشجع المعلم تلميذه. وكانت عينا الصديق الإعلامي عبد الرحمن عثمان تحدّثان فيّ طول الوقت؛ كنت أكتب ما أكتب مستذكراً تصحيحاته الكثيرة على ما سبق من عملي. وبقيت من الأغلاط بقية سأنوء بها، أنا المتسقط عيوب الأكاديميين المدمن تفريعهم.

الشعر عزيز على قليل الموهبة. ومن قَطَّ قلمه قَطَّة نثر التوى عليه الشعر، وقلَّ نائرُ قضى حياته في النثر فأفلح في الشعر. كأنهما ضدان. والناثر الذي ينثر على مسامعك هذه الكلمات كان قد نثر كلامه في سني عمره في تقارير صحفية وبرامج إذاعية وتلفزية، وفي شرح وفي تعليم، فعز عليه الشعر. اشتاق

بعض الشوق إلى أن يقول الشعر، ولكنه لم يشق بما يكفي. والشاعر الشاعر لا يرى الدنيا ولا يعيش الحياة إلا بالشعر. يقول صاحب هذه السطور واصفاً حالته وهو قاعد يختار لقارئه قلائد شعر الشعراء، ومخاطباً «القصيدة»:

أراوغها كي تستقيم قوافيها	أخاشنها طوراً وطوراً أداريها
يخادعني منها الذي لا أريده	ويجلس كالملسوع فوق كراسيها
أعالجها لم أَدَّخِرْ أي حيلة	وفالجها استعصى على من يداويها
تضاحكُ مثل البكر سِقت لأشيب	تظن مزاحاً ما ترى ليس يعنيها
فما انفضَّ عنها العرس حتى اختلى بها	وضاقت عليها حفرة وقعت فيها
بكت فَرَقاً، والبعل عجزاً وُعْتَةً	فليس الذي يبكيه ما راح يبكيها
تقول له: دعني، وفي سره لها	يقول: دعيني، تاه من قد غوى تيهها
ملكْتُ دنائيراً وثُقت إلى الصبا	وعجزي عن العذراء مني يحميها
أتيت بقاموسي وألفيتي إلى الـ	قصيدة أبغيها، وأخشى تعاليها
فألفيتها تهوى البريء ولو به	جنون، بل المجنون أقصى أمانها
فيا شعرُ، يا ولأد، يا خَلْقُ، فُتَّني	لأنَّ علومِي شوهتني تشويها
أعاقِرْ نشراً نارُ قلبي به خَبَثْ	ولكنَّ شوقي للقصيدة يُذكيها
وأقطف شعر الآخرين فواكهاً	محرمّة، لكن لغيري أجنبيها
جلست على سور الحديقة وانجلي	لعينيّ حفل راقص في مغانيها
أراهم وكل اثنين كفأً بخصرها	وخداً على خدّ مشوا في نواحيها
سفينة نوح ذي، ورثك راعيها	وما كنتُ، حتى لو دُعيت، بآتيها
ذروني والطوفان، لست بمشفق	ففي النفس طوفان وفيها الذي فيها
وما اعتزل النساءُ إلا لأنهم	سفينتهم فيهم، وفيهم موانئها
توارى شراع العمر في الموج وانقضت	حياتي، وفي نفسي أمور أوارئها

عارف حجاوي

الدوحة ٢٢ نيسان/ أبريل ٢٠١٦

١٥ رجب ١٤٣٧

امْرُؤُ القَيْسِ بنِ حُجْرٍ (١٢٠ ق هـ - ٨٠ ق هـ)

قالوا قال امرؤ القيس:

(وَقَبَّلْتُهَا تِسْعاً وَتِسْعِينَ قُبْلَةً وواحدةً أخرى، وكنتُ على عَجَلٍ)

فإن صدقت أن هذا الشعر لامرئ القيس، فلن تكذبني عندما أقول لك
إنني شاهدت الفيل يطير بأذنيه مثلما يطير العصفور بجناحيه

ما قاله المستشرقون ونقادنا القدامى عن نحل الشعر، وما ساقه الفريقان
من قرائن على أن كثيراً من شعر الجاهلية إنما قيل في عصور متأخرة يقع في
أذني موقع الصدق، بينما تقع في أذني تلك الحملات الضارية التي شنّها
المحافظون على هذا النهج موقع الأئين الكريه.

ولست أقول إن كل بيت جاهلي منحول. ولكنني وجدت الشعر مفككاً
حيناً، أو مصقولاً صقلاً مدهشاً حيناً. ففي الحالة الأولى رأيت أن لهذا الشعر،
المفكك، أصلاً قديماً عبث به الرواة كل العبث. وفي الحالة الثانية، حالة
الشعر المصقول، رأيت أصابع الوضاعين.

على أن كل ما وصلنا من الشعر القديم تراثنا. لهذا نسوقه ونشرحه ونحفظ
بعض أبياته نتندر بها في المجالس؛ ونتمتع بهذا الشعر القديم، ونستدل به على
طرائق حياة أسلافنا. فحتى الموضوع منه فإنه ينبئ عن تفكير وطريقة حياة
المكذوب عليهم. فقبيلة تغلب التي وقعت بأيديها قصيدة عمرو بن كلثوم التغلبي
الجاهلي كانت تحفظها وتزيد فيها وتبالغ في تهذيبها كي تظل راية فخر ترفعها
تغلب. فإذا جاء شويعر تغلبي وأضاف إلى القصيدة بيتاً لا يشبه الشعر
الجاهلي، جاء آخر أدري منه بالشعر القديم وأصلح البيت أو نفاه، حتى تظل

القصيدة جاهلية في أسلوبها. وليس بعيداً أن ينشد الخمسون شاعراً تغلياً الذين كانوا يجتمعون إلى الأخطل - فيما زعم جرير - ويساعدونه في الشعر، أبيات ابن كلثوم بعد أن يستبد بهم السكر، وليس بعيداً أن يغيروا في تلك الأبيات الكثير. ولعلهم كانوا خمسة شعراء لا خمسين، هل وصلت الفكرة؟

أما بجاهلية الشعر الجاهلي أم لم نؤمن، هو تراثنا. وهو يقص علينا قصص الجاهلية، وينقل إلينا قيمها.

وبعد أن بيناً لك موقفنا صريحاً من معركة الشعر الجاهلي، نضع السلاح. فلا شأن لنا بمعركة وقعت في النصف الأول من القرن العشرين وكانت ذخيرتها السباب.

حياة امرئ القيس

قد بنى أصحاب الأخبار حياة امرئ القيس من السقف إلى الأساس، لا العكس. فقد تجمعت لديهم كومة من الأشعار، وكومة من الأخبار. وكومة الأشعار أثنى من كومة الأخبار، فجعلوا الشعر منطلقهم وركبوا عليه لامرئ القيس حياة. والأشعار والأخبار كلاهما اختلاقات، ولكن لا تنس أن هذه الأساطير وتلك الأشعار قد جعلتها العرب أساساً بنت عليه شعرها، وشكلت بها الذائقة الأدبية لأجيال متعاقبة من أبنائها. نحن في أسر هذه الأسطورة التي اسمها امرؤ القيس. ومن كومة الأشعار اخترنا لك ما هو طريف وجميل، ومن كومة الأخبار - وما أشد ما هي متضاربة - لفقنا لك صورة متسقة.

ولد شاعرنا سنة ١٢٠ قبل الهجرة - منظرنا مضحك ونحن نحدد تاريخاً دقيقاً لميلاده، وكأننا شهدنا هذا الميلاد في مستشفى القصر العيني -، وكان جده ملكاً كبيراً، وزَّع نفوذه بين أولاده الخمسة. فعلى هذا كان أبو امرئ القيس، واسمه حُجر، ملكاً صغيراً على بني أسد. والملك في العربية القديمة تعني السيد أو الوالي المتصرف في منطقة أو في مجموعة قبائل. وكان حُجر قاسياً قتلًا للناس.

ولكنه لم يسيطر على ابنه، فكان شاعرنا يلهو بالخيل، وبالنساء، ويشرب الخمر. ويفاخر بكل ذلك، وإن رأى الدارسون أنه كان مفركاً، أي تكرهه النساء. ولا عجب فالنساء يكرهن الشهواني، الذي لا يريد منهن إلا ذلك الشيء، ويحببن الرجل الذي يكثر من الغزل الناعم، ولا تظهر في عينيه شرارات الشهوة إلا لماماً. فالمرأة مخلوق طبيعي يريد من الشهوة أن تؤدي غرضاً في حفظ النوع، والرجل مخلوق مريض بعِلَّتِي الغلظة والتسلط.

ولأن حُجْرَ الأب متسلط قاس قتلته بنو أسد. لم تقتله لأنه من قبائل اليمن، من كندة، فهذا لم يكن في اعتبارهم، فقبائل اليمن قد استوطنت الشمال منذ مئات السنين، فحكم العراق المناذرة وهم يمن، وحكم الشام الغساسنة وهم يمن، وعمرت يثرب الأوس والخزرج وكلتاها يمن. ثم إن الملك حجر متزوج من ربيعة، فأم امرئ القيس ربيعة لا يمانية.

عندما ورد الخبر بقتل حُجْر كان ولده الشاعر جالساً يلعب النرد ويشرب الخمر. قال لصاحبه: ارم، لا أفسدُ عليك دستك. وعندما اكتمل دست النرد، انبرى امرؤ القيس وقال عن أبيه: «ضَيَّعَنِي صَغِيرًا وَحَمَّلَنِي دَمَهُ كَبِيرًا، لَا صَحْوَ الْيَوْمِ، وَلَا سَكْرَ غَدًا. الْيَوْمَ خَمَرٌ وَغَدًا أَمْرٌ». وبدأ شاعرنا رحلة العذاب والقلق.. رحلة الأخذ بالثأر.

وأصاب في أسد مقتلة، ولكنها لم تشف غليله. فتوجه نحو الروم يطلب النجدة، تاركاً أسلحته عند السموأل بن عادياء في حصنه الأبلق بتيماء في شمال الجزيرة العربية. وأخذ معه صاحباً، قيل هو الشاعر عمرو بن قميئة. ورحب به ملك الروم، وقيل إن امرأ القيس أساء الأدب في بلاط سيد بيزنطة، أليس عاهراً يعبث مع النساء؟ فبعث إليه الملك ثوباً مسموماً، فلبسه امرؤ القيس، فأخذ جلده يتقرح. وما وصل أنقرة حتى مات، وبأنقرة دفن. ومن هنا لقب امرئ القيس: ذو القروح.

أشهر شعر امرئ القيس معلقته. وله سوى ذلك قليل من القصائد المشهورة، وبضعة أبيات سائرة، وله قصيدة لا يصدق عاقل أنها قيلت في ذلك الزمن أصلاً، ولكنها منسوبة إليه ومشهورة، وقد أوردنا منها قطعة صالحة.

١ قفا نيك (المعلقة)

قصة القصيدة: بَيَّنَّا امرؤ القيس يسير راكباً ناقته إذ سمع أصواتاً من ناحية الغدير، فمال إليه فإذا فتيات قد خلعن ملابسهن وجعلنهن ناحية، ونزلن في الغدير يتردن. فنزل عن ناقته وجلس على ملابسهن. وحلف لا ينصرف أو يخرجن إليه واحدة واحدة فتأخذ كل فتاة ثوبها. فخرجت إليه «أوقهن»، - وأوقهن هذه أُنذَرُها من شرح الزوزني -، فأخذت ثوبها، ثم تلتها أخرى فأخرى. وبقيت، ساترةً جسمها في الماء، ابنة عمه عنيزة (أو فاطمة). ثم خرجت. فرأها مقبلة ثم مدبرة. ثم أعطها ثوبها. - ومقبلة ومدبرة هذه من الزوزني، والقصة عموماً رواها الفرزدق، وعنه بإسناد نقلها صاحب الأغاني، ولعلها من بنات خيال الفرزدق الداعر -، وقلن له: يا امرأ القيس، نحن

جائعات. فأضرم ناراً وعقر ناقته وشوى لهن لحمها. وقال لي صبحي الموريتانيون إن لحم الناقة - ولم أذقه قط - طري. وأخذت الفتيات يأكلن ويتضاحكن. وآن أن ينصرفن، فقال لهن امرؤ القيس: فلتحملني عزيزة على ناقتهن، فعزمن عليها فحملته، فأخذ يدخل رأسه حيناً بعد حين في هودجها فيقبلها. وقال قصيدته:

قِفَا نَبِكَ مِنْ ذُكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ بِسِقْطِ اللَّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمِلٍ
يخاطب صديقه: قفا ناقتكما (أوقفاهما) كي نبكي على أطلال الحبيب وتذكره هنا في «سقط اللوى» بين ذينك الموضعين.

فَتُوضِحَ فَالْمِقْرَاءَ لَمْ يَعْفَ رَسْمُهَا لِمَا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وَشَمَالٍ
وثمة مواضع أخرى منها «توضح» و«المقراة». ولم يعف رسمها ولا أمحى لأن الريح كانت كأنها تنسج نسيجاً، فريح الشمال تغطي المكان بالرمل وتأتي ريح الجنوب فتبعد الرمل عنه، فلا يتراكم عليه الرمل ويبقى مكشوفاً.

تَرَى بَعَرَ الْأَرَامِ فِي عَرَصَاتِهَا وَقِيعَانِهَا كَأَنَّهُ حَبٌّ فُلْفُلٍ
تري بعر الآرام (الظباء) في عرصات (ساحات) ديار المحبوبة وقيعانها (سهولها) كأنه حب الفلفل.

كَأَنِّي عِدَاةَ الْبَيْنِ يَوْمَ تَحَمَّلُوا لَدَى سَمُرَاتِ الْحَيِّ نَاقِفٌ حَنْظَلٍ
يوم الفراق عندما حملوا أمتعتهم ورحلوا كنت واقفاً عند شجرات الطلح، وهي السمرات، أبكي وكأنني ناقف حنظل، أي الذي يشق الحنظل بظفره فيتطاير منه رذاذ فيسيل دمه.

وُقُوفاً بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيَّهِمْ يَقُولُونَ لَا تَهْلِكْ أَسَى وَتَجَمَّلِ
يقف أصحابي نياقهم، أي يوقفونها، عليّ، أي من أجلي، ويقولون لا تهلك أسي وتجمل (اصبر).

وَأَنَّ شِفَائِي عَبْرَةٌ مُهْرَاقَةٌ فَهَلْ عِنْدَ رَسْمٍ دَارِسٍ مِنْ مُعَوَّلٍ
وشفائي مما بي من لوعة دمة سائلة؛ ولكن، هل هناك فائدة من الوقوف على رسم محو.

كَذَايَكَ مِنْ أُمِّ الْحَوِيرِ قَبْلَهَا وَجَارَتِهَا أُمُّ الرَّبَابِ بِمَاسَلٍ
يخاطب نفسه: هذا شأنك يا امرأ القيس مع حبيبتين سابقتين في موضعين آخرين:

إِذَا قَامَتَا تَضَوَّعَ الْمَسْكُ مِنْهُمَا نَسِيمَ الصَّبَا جَاءَتْ بِرِيًّا الْقَرْنُفَلِ
إذا وقفت هاتان الحبيبتان وتحركتا فاح منهما المسك، كأن رائحته رائحة القرنفل جاءت بها ريح الصبا

فَفَاضَتْ دُمُوعُ الْعَيْنِ مِنِّي صَبَابَةً عَلَى النَّخْرِ حَتَّى بَلَ دَمْعِي مَحْمَلِي
تفيض دموعي صباباً وعشقا فتصل إلى أعلى صدري حتى لتبل محملي، أي علاقة سيفي.

أَلَا رَبُّ يَوْمٍ لَكَ مِنْهُنَّ صَالِحٌ وَلَا سَيِّئًا يَوْمٌ بِدَارَةِ جُلْجُلٍ
رب يوم غير محزن خلافاً ليوم وقوفك بالأطلال، كان لك معهن، وخصوصاً يوم دارة جلجل،
التي فيها لقيت الفتيات المبتدرات.

وَيَوْمَ عَقَرْتُ لِلْعَذَارَى مَطِئَتِي فَيَا عَجَباً مِنْ رَحْلِهَا الْمُتَحَمِّلِ
يومها ذبحت ناقتي للعذارى، فيا عجباً من رحل ناقتي ومتاعي كيف بقي ملقى بينما ذهبت الناقة.

فَظَلَّ الْعَذَارَى يَرْتَمِينَ بِلَحْمِهَا وَشَحْمُ كَهْدَابِ الدِّمْقَسِ الْمُفْتَلِ
صرن من لهوهن يتراشقن بلحم الناقة، وبالشحم الذي يسيل على معاصمهن خيوطاً خيوطاً كأنه
خيوط الحرير المفتولة.

وَيَوْمَ دَخَلْتُ الْخِذْرَ خِذْرَ عُنْبِزَةٍ فَقَالَتْ لَكَ الْوَيْلَاتُ إِنَّكَ مُرْجَلِي
وفي ذلك اليوم دخلت خدر عنبرة، أي هودجها، فكانت تقول: ويلك، سترميني عن الناقة.

تَقُولُ وَقَدْ مَالَ الْغَبِيطُ بِنَا مَعاً: عَقَرْتُ بَعِيرِي يَا امْرَأَ الْقَبَسِ، فَاَنْزِلِ
ويميل الهودج بنا فنقول: تكاد تجعل بعيري يترك على قوائمه، فانزل:

فَقُلْتُ لَهَا: سِيرِي وَأَرْخِي زِمَامَهُ وَلَا تُبْعِدِينَا مِنْ جَنَّاكِ الْمُعَلِّ
قلت لها: سيرِي وأرخي مقود البعير، ولا تبعديني عن قطف قبلاتك الممتعة التي أتعلى بها وأستأنس.

فَمِثْلِكَ حُبْلَى قَدْ طَرَفْتُ وَمُرْضِعٍ قَالَتْ هَيْئُهَا عَنْ ذِي تَمَائِمٍ مُحَوِّلِ
ولي غراميات، فقبلك ربّ امرأةٍ حبلى أتيتها ليلاً، فجعلتها تنشغل عن طفل رضيع محول، عمره
حوّل أي سنة، قد علقت بعنقه قلادة التمام (الحفظه من الشر):

إِذَا مَا بَكَى مِنْ خَلْفِهَا انْصَرَفْتُ لَهُ بِشِيقٍ وَنَحْتِي شِقْهَا لَمْ يُحَوِّلِ
وكانت كلما بكى طفلها مالت بجسمها إليه، ونصفها الآخر ما زال تحتها.

أَفَاطِمُ مَهْلاً بَعْضَ هَذَا التَّدَلِّ وَإِنْ كُنْتَ قَدْ أَرْمَعْتَ صَرْمِي فَأَجْمَلِي
يا فاطمة، لا تكثري من الدلال، وإن كنت ناوية أن تهجريني فاعلمي ذلك برفق.

وَإِنْ كُنْتَ قَدْ سَاءَتْكَ مِنِّي خَلِيقَةٌ فَسُلِّي ثِيَابِي مِنْ ثِيَابِكَ تَنْسُلِ
إن ساءك مني طبع، فلتفترق مثلاً يبتعد جسمك عن جسمي وينسحب ثوبي عن ملامسة ثوبك

أَغْرَكَ مِنِّي أَنَّ حُبَّكَ قَاتِلِي وَأَنَّكَ مَهْمَا تَأْمُرِي الْقَلْبَ يَفْعَلِ؟
هل انخدعت لأنك رأيت حبك قاتلي؟ ولأن قلبي يطاوعك في كل ما تأمرين؟

وَأَنْتِ قَسَمْتَ الْفُؤَادَ فَنَصُفُهُ قَتِيلٌ، وَنُصْفٌ فِي حَدِيدٍ مُكَبَّلٍ

ولأنك جعلت فؤادي نصفين: نصفاً مات عشقاً، ونصفاً ظل مأسوراً

وَمَا ذَرَقْتُ عَيْنَاكَ إِلَّا لِتَضْرِبَنِي بِسَهْمَيْكَ فِي أَعْشَارِ قَلْبٍ مُقْتَلٍ

وما تنزل دموعك إلا كي تضربي سهمي عينيك في قلبي القليل. وفسروا السهمين بسهمي الميسر، المعلى والرقيب، اللذين ينالان عشرة أنصباء من الناقة سبعة للأول وثلاثة للثاني

وَبَيْضَةُ خَدْرٍ لَا يُرَامُ خِبَاؤُهَا تَمَتَّعْتُ مِنْ لَهْوٍ بِهَا غَيْرِ مُعْجَلٍ

رب فتاة ناعمة بيضاء في خدرها، وراء سترها. وخباؤها، أي خيمتها، لا سبيل لأحد عليه لأنها بنت قوم أقوياء، وهذه الفتاة أتيتها وتمتعت باللهو معها على راحتي

تَجَاوَزْتُ أَحْرَاساً إِلَيْهَا وَمَعَشِراً عَلَيَّ حِرَاصاً لَوْ يُسِرُّونَ مَقْتَلِي

وقد جتتها بعد أن خاتلت الحراس والقوم الحريصين على قتلي لو أنهم يستطيعونه سراً

فَقَالَتْ: يَمِينَ اللّٰهُ مَا لَكَ حِيلَةً وَمَا إِنِّ أَرَى عَنْكَ الْعَمَايَةَ تَنْجَلِي

قالت: والله، لا حيلة لي فيك، ولا أرى أن ضلالك يزول

خَرَجْتُ بِهَا أَمْشِي تَجُرُّ وَرَاءَنَا عَلَى أَتْرَيْنَا ذَيْلَ مِرْطٍ مُرَحَّلٍ

خرجت مع فتاتي، وهي تجر وراءنا ذيل ثوبها الموشى لتعفيه وإزالة الأثر

فَلَمَّا أَجَزْنَا سَاحَةَ الْحَيِّ وَانْتَحَى بِنَا بَطْنُ حَبْتٍ ذِي قِفَافٍ عَقَنْقَلٍ ..

فلما قطعنا ساحة القوم، وأخذنا ناحية بعيدة في بطن الخبت، أي وراء الكتيب ذي الرمل المتصلب المتعقد ..

هَضَرْتُ بِفُؤُودِي رَأْسَهَا فَتَمَايَلَتْ عَلَيَّ، هَضِيمَ الْكَشْحِ رَبًّا الْمُخْلَخِلِ

ثبتت رأسها بفؤودي بجانب رأسي، في عناق، فتمايلت علي، وهي ذات خصر ممشوق، وساقين ممتلئتين، والمخلخل موضع الخلخال من الساق. وأحب العرب، وغير العرب، المرأة ذات الساق المتينة، وكرهوا الساق الحَمْشَةَ الدقيقة في رجل وفي امرأة. وكان معيار الجمال الفطري هو أن يكون الشريك قوياً، والساق الغليظة دليل قوة

مُهْفَهْفَةٌ بَيْضَاءُ غَيْرُ مُفَاضَةٍ تَرَائِبُهَا مَصْقُولَةٌ كَالسَّجَنَجَلِ

هيفاء دقيقة الخصر، بيضاء، غير مكترشة البطن، وترايبها (أعلى صدرها) مصقولة كالسجنجل (المرأة)

وَجِدِّ كَجِدِّ الرُّثْمِ لَيْسَ بِفَاحِشٍ إِذَا هِيَ تَصَنَّتْ وَلَا بِمُعْطَلٍ

لها عنق كعنق الظبي ليس بالغ الطول عندما تمده، فهو ليس في طول عنق الظبي تماماً، وليس معطلاً أي خالياً من الحلي

وَلَيْلِ كَمَوْجِ الْبَحْرِ أَرْخَى سُدُولَهُ عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الْهُمُومِ لِيَبْتَلِي

رب ليل كأنه موج البحر، وقد أرخى أمتاره علي، ومعها نزلت الهموم لتبتليني

فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ وَأَزْدَفَ أَعْجَازاً وَنَاءً بِكُلِّكَلٍ:

قلت لليل لما مد ظهره فوقتي، ولما وضع أعجازه أيضاً أي قوائمه الخلفية، وناء بكلكله أي وضع صدره... يشبه الليل ببعير يرك فوقه بكل جسمه فكان ثقيلاً ثقيلاً..

أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا انْجَلِ بِصُبْحٍ وَمَا الْإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْتَلٍ

انصرف أيها الليل، وليأت بعدك الصباح، ولو أن الصبح ليس أفضل منك حالاً

فَبَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نُجُومَهُ بِكُلِّ مُغَارٍ الْقَتْلِ شُدَّتْ بِبِذْبِلٍ

أنت باق لا تنصرف أيها الليل فكان نجومك مربوطة إلى جبل يذبل بحبال قوية أجيد قتلها

كَأَنَّ الثُّرَيَّا عُلِّقَتْ فِي مَصَامِيهَا بِأَمْرَاسٍ كَثَّانٍ إِلَى صُمِّ جَنْدَلٍ

وكان نجوم الثريا معلقة في موضعها بحبال كثان، ومشدودة إلى صخر أصم

وَقَدْ أَغْتَدَيْ وَالطَّيْرُ فِي وَكُنَاتِهَا بِمُنْجَرِدٍ قَبْدِ الْأَوَابِدِ هَبِكَلٍ

إنني لأخرج باكراً، والطير بعد في أعشاشها، على حصان قصير الشعر، سريع إلى درجة أنه يوازي الظباء والسباع في سرعته فكانه يقيدها تقيداً، وهو هيكَل أي ضخم

مِكْرٌ مِقْرٌ مُقْبِلٌ مُذْبِرٌ مَعَاً كَجُلُودِ صَخْرٍ حَطَّ السَّيْلُ مِنْ عَلٍ

حصاني يتحرك بنشاط يكر ويفر ويقبل ويذير بسرعة كأنه يفعل كل هذا في الوقت نفسه، وهو سريع سرعة صخرة هوت منحدرة من الأعالي مع سيل جارف

لَهُ أَيْطَلَا ظَبْيِي وَسَاقَا نَعَامَةٍ وَإِرْخَاءُ سِرْحَانٍ وَتَقْرِيبُ تَشْفَلٍ

لحصاني خاصرتان دقيقتان كخاصرتي الطيبي، وساقان كساقَي النعامة، وله إرخاء، أي ركض ذو إيقاع منظم، كركض الذئب، وله تقريب، أي قفز بوضع الرجلين موضع اليدين، كتقريب الثعلب

أَصَاحُ تَرَى بَرْقاً أُرِيكَ وَمِیْضَهُ كَلَمْعِ الْبَيْدَيْنِ فِي حَيٍّ مُكَلَّلٍ

يا صاحبي هل ترى البرق؟ دعني أريك وميضه، وعلى ضوئه ترى يديك تلمعان في العتمة وسط الغيم الكثيف

كَأَنَّ ثَبِيرًا فِي عَرَانِينٍ وَبَلِيٍّ كَبِيرٍ أَنَاسٍ فِي بَجَادٍ مُزْمَلٍ

الغيم يكلل جبل ثبير، فكان الجبل وسط الغيم الماطر شيخ قبيلة متلفع بثوبه

كَأَنَّ ذُرَى رَأْسِ الْمُجَيِّمِ غُدُوَّةٌ مِنَ السَّيْلِ وَالْغُثَاءِ فَلَكَّةٌ مِغْرَلٍ

كان أعالي جبل المجيم صباحاً، من السيول وما تحمله من أغصان، المغزل المدبب الرأس الذي تسدل عليه الخيوط

كَأَنَّ مَكَائِيَّ الْجَوَاءِ غُدِيَّةً صُبِحْنَ سُلَافاً مِنْ رَحِيْقٍ مُقْلَقِلٍ

كان طيور الوادي في الصباح، وهي تطير مضطربة بسبب المطر، سكرانة قد شربت خمراً

كَأَنَّ السَّبَاعَ فِيهِ غَرَقَى عَشِيَّةً بِأَرْجَائِهِ الْقُضْوَى أَنَابِيْشُ عُنْصُلٍ

تبدو الحيوانات النافقة الغرقى في السيول - ونراها من بعيد - مثل البصل البري المنبوش من الأرض نصفه في التراب ونصف فوقه كيف كنا نستمتع بهذه القصيدة؟ كنا نحفظها ونرددّها، لا غير. ولو نظرت في شروح الشراح الكثر، وفي اضطرابهم الشديد في شرح كل بيت من أبياتها، لقلت لنفسك: فعلاً هذا كلام يمكن لكل امرئ أن يفهمه كما يريد. عموماً، كنا ونحن صبية نحفظها ولا نكلف النفس بفهمها. هي ذلك القلب الذي صب فيه الشعر العربي نفسه. هذه هي أم الشعر العربي. والمعنى العام مفهوم على كل حال

٢ صبور غير فرار

فَلَا وَأَبِيكَ ابْنَةَ الْعَامِرِيِّ- لَا يَدْعِي الْقَوْمُ أَنِّي أَفَرٌّ

قسماً بأبيك يا ابنة العامري، لا يزعمن القوم أنني أفرّ من القتال

تَمِيمٌ بَنُ مُرٍّ وَأَشْيَاعُهَا وَكِندَةُ حَوْلِي جَمِيعاً صُبُرٌ

ف قبيلة تميم ومن والاها، وكذا كندة، ينصرونني ويصبرون معي

وَأَرْكَبُ فِي الرَّوْعِ خَيْفَانَةً كَسَا وَجْهَهَا سَعَفٌ مُنْتَشِرٌ

وأركب في الروع، أي الحرب، خيفانة، أي فرساً سريعة، ينزل شعر رأسها على وجهها كأنه سعف النخل. وسلق قدماء النقاد امرأ القيس سلقاً على هذا البيت، فالفرس الأصلية لا توصف بأن شعرها يكسو وجهها. . ولعله يرد عليهم ويقول: تلك فرسي وأنا حر

٣ الطلل البالي

أَلَا عَمَّ صَبَاحاً أَتَيْهَا الطَّلُّ الْبَالِي وَهَلْ يَعْمَنُ مَنْ كَانَ فِي الْعُصْرِ الْخَالِي؟

صباح الخير أيها الطلل الخرب حيث كان ينزل قوم الحبيبة، وأي صباح وأي خير لمن كان يتسبب إلى العُصْر الخالي، أي الزمن القديم!

وَهَلْ يَعْمَنُ إِلَّا سَعِيدٌ مُخَلَّدٌ قَلِيلُ الْهُمُومِ، مَا يَبِيْتُ بِأَوْجَالِ

وما الخير إلا للسعيد الذي أخلد إلى الراحة بلا هموم ولا مخاوف

وَهَلْ يَعْمَنُ مَنْ كَانَ أَحَدْتُ عَهْدِهِ ثَلَاثِينَ شَهْراً فِي ثَلَاثَةِ أَحْوَالٍ

وهل الخير لمن كان آخر عهده بالناس ثلاثين شهراً، أو نحو ثلاث سنين، ومنذ ذلك الحين حل به الخراب، كهذا الطلل البالي؟

دِيَارُ لِسَلْمَى عَافِيَاتٌ بِذِي خَالٍ أَلَحَّ عَلَيْهَا كُلُّ أَسْحَمَ مَطَّالٍ

هذه ديار سلمى العافيات، الممحو أثرهن، في موضع «ذي خال»، وقد زاد في محو الأثر السحاب الأسود الهطال

لِيَالِي سَلْمَى إِذْ تُرِيكَ مُقْصَبًا وَجِيدًا كَجِيدِ الرُّمِّ لَيْسَ بِمِعْطَالٍ

في تلك الليالي كان يبدو من سلمى شعرها ذو الخصل وعقها الذي كعق الغزال، غير أن عقها تميز بأنه ليس معطالاً بل محلى بالقلائد

أَلَا زَعَمْتَ بَسْبَاسَةَ الْيَوْمِ أَنَّنِي كَبِرْتُ، وَأَنْ لَا يُحْسِنُ اللَّهُ أَمْثَالِي

زعمت «بسباسة»، هذه الحبيبة الأخرى، أنني كبرت ولم يعد لائقاً بي اللهو

كَذَبْتُ، لَقَدْ أَضْبِي عَلَى الْمَرْءِ عِزَّهُ وَأَمْنَعُ عِرْسِي أَنْ يُزْنَ بِهَا الْحَالِي

كذبت يا بسباسة، فأنا أغوي الزوجة عن بعليها، وأمنع زوجتي أن يُزْنَ بها، يزني بها، رجل أعزب

وَيَا رَبِّ يَوْمٍ قَدْ لَهَوْتُ وَلَبَلَيْ بِأَنَسَةٍ كَأَنَّهَا خَطٌّ بِمِثَالٍ

ما أكثر ما لهوت بفتاة جسمها كأنه التمثال

يُضْيِيءُ الْفِرَاشَ وَجْهَهَا لِضَجِيعِهَا كَمَصْبَاحٍ رَزِيَتْ فِي قَنَادِيلٍ دُبَالٍ

ووجهها يضيء فراش من ينام بجانبها، فكان وجهها مصباح فيه زيت وله ذبالة، أي فتيل

إِذَا مَا الضَّجِيعُ ابْتَزَّهَا مِنْ ثِيَابِهَا تَعْمِلُ عَلَيْهِ هَوْنَةٌ غَيْرَ مَجْبَالٍ

إذا أخرجها الضجيع من ثيابها، مثلما يخرج المرء البيضة المسلوقة من قشرتها، فإنها تميل عليه بدلال، وليست مجبالاً ولا خشنة الطباع

لَطِيفَةٌ طَيِّ الْكَشْحِ غَيْرُ مُفَاضَةٍ إِذَا انْفَلَتَتْ مُرْتَجَّةٌ غَيْرَ مِثْقَالٍ

دقيقة الخصر، غير سمينة، وإذا انفلتت وتحركت فهي مرتجة الكفل، وهي غير رديئة الرائحة

تَنَوَّرَتْهَا مِنْ أَذْرَعَاتٍ وَأَهْلُهَا يَبْثُرُ أَذْنَى دَارِهَا نَظَرٌ عَالٍ

رأيت نار قوم الحبيبة وأنا في أذرعَات (لعلها درعا بجنوب سوريا)، وقومها يبثرب؛

مع أن المكان الذي يمكن منه رؤية نارهم هو النظر العالي (والنظر العالي: أقصى ما

يحصله البصر من رأس جبل)، فأنا رأيته بإحساسي لا بنظري

نَظَرْتُ إِلَيْهَا وَالشُّجُومُ كَأَنَّهَا مَصَابِيحُ رُهْبَانٍ تُشَبُّ لِقَفَالٍ

كانت النجوم لامعة كأنها المصابيح التي يضيئها الرهبان لهداية القوافل، ولعل القوافل كانت تلجأ إلى الأديرة في سفرها فيشرب الشاربون ويأكل الآكلون . . . ويدفنون

سَمَوْتُ إِلَيْهَا بَعْدَمَا نَامَ أَهْلُهَا سُمُوَّ حَبَابِ الْمَاءِ خَالًا عَلَى خَالٍ

صعدت إلى المحبوبة بعد أن نام أهلها، مثلما تصعد الفقاقيع إلى وجه الكأس

فَقَالَتْ: سَبَاكَ اللَّهُ، إِنَّكَ فَاضِحِي أَلَسْتَ تَرَى السُّمَارَ وَالنَّاسَ أَخَوَالِي

قالت: سباك الله، أي بعداً لك، متفضحني، ألا ترى الساهرين والناس حولنا؟

فَقُلْتُ: يَمِينُ اللَّهِ أَبْرَحُ قَاعِدًا وَلَوْ قَطَعُوا رَأْسِي لَدَيْكَ وَأَوْصَالِي

قلت: والله لن أبرح مكاني، ولو قتلوني وأنا عندك

حَلَفْتُ لَهَا بِاللَّهِ حَلْفَةً فَاجِرٍ لَنَأْمُوا، فَمَا إِنْ مِنْ حَدِيثٍ وَلَا صَالٍ

حلفت لها كاذباً أن القوم ناموا، وليس هناك صوت حديث ولا هناك من يصطلي بالنار استفاء

فَلَمَّا تَنَازَعْنَا الْحَدِيثَ وَأَسْمَحْتُ وَهَصَرْتُ بِغُضْنٍ ذِي شَمَارِيخٍ مَبَالٍ

لما تبادلنا الحديث، وأسمنت ولانت، هصرت، أي عطفت جسمها ومالت بشعرها ذي الشماريخ الذي كأنه عذق نخلة، ولعلها كانت تشتمل أطراف الخصل بالخرز فعل فتيات إفريقيا

وَصِرْنَا إِلَى الْحُسْنَى، وَرَقَّ كَلَامُنَا وَرُضْتُ، فَذَلَّتْ صَعْبَةً أَيْ إِذْلالٍ

وانسجم الجو بيننا، ورق الكلام، وأصبحت هينة بعد ترويض كالناقة الصعبة التي يذلها ويروضها صاحبها

فَأَصْبَحْتُ مَعشُوقًا، وَأَصْبَحَ بَعْلُهَا عَلَيْهِ الْقَتَامُ سَيِّءُ الظَّنِّ وَالْبَالِ

وعشقتني، وأما بعلمها لعنة الله عليه، فكان سيء ظن بها

يَعُظُّ غَطِيطَ الْبَكْرِ شُدَّ خِنَاقُهُ لِيَقْتُلَنِي وَالْمَرْءُ لَيْسَ بِقَتَالٍ

نام زوجها وهو يشخر شخير البعير إذا شد خناقه بالجل، ويحلف أنه سيقتلني ولكنه جبان لا طاقة له بالقتل

أَيَقْتُلَنِي وَالْمَشْرِفِيُّ مُضَاجِعِي وَمَسْنُونَةٌ زُرُقٌ كَأَنْيَابِ أَعْوَالٍ

وكيف يقتلني وبجانبي السيف، ومعي رماح ذات أسنة زرق كأنها أنياب الغول

وَقَدْ عَلِمْتُ سَلَمِي، وَإِنْ كَانَ بَعْلُهَا بِأَنَّ الْفَتَى يَهْذِي وَلَيْسَ بِفَعَالٍ

وقد علمت سلمى - حتى وإن كان هذا الرجل بعلمها الذي من حقه أن يغار عليها - بأنه يهذي بالكلام فقط، وليس فعلاً لما يقول

وَبَيْتِ عَذَارَى يَوْمَ دَجْنٍ وَلَجْنُهُ يَطْفُنَ بِجَمَاءِ الْمَرَافِقِ مِكْسَالٍ

ورب بيت للعذارى - ما أراه إلا ماخور مومسات لا عذارى - دخلته يوم دجن، أي في يوم غائم، والفتيات يتحلقن حول فتاة مدللة كسلانة ممثلة الجسم، حتى إن مراقفها لا تبين لأنها مكسوة بالشعم

صَرَفْتُ الْهَوَى عَنْهُمْ مِنْ خَشْيَةِ الرَّدَى وَلَسْتُ بِمَقْلِيٍّ الْخِلَالِ وَلَا قَالٍ

ابتعدت عنهن خشية الموت، لا لأنني مقلي الخلال، مكروه الطباع، ولا لأنني كاره لهن

كَأَنِّي لَمْ أَزْكَبْ جَوَادًا لِللَّئِيْ وَلَمْ أَتَبَطَّنْ كَامِعًا ذَاتَ خُلْخَالٍ

كأنني لم أركب حصاني لمجرد متعة الركوب، وكأنني لم ألتصق بطناً لبطن بكاعب، فتاة نهد صدرها، ذات خلخال

وَلَمْ أَسْبِ الرِّزْقَ الرَّوِّيَّ، وَلَمْ أَقُلْ لِحَبْلِي كُرِّي كَرَّةً بَعْدَ إِجْفَالٍ

وكانني لم أشر زق الخمر الممتلئ، ولم أقل لخليلي كروي في المعركة بعد أن أجفلت

وَقَدْ أَغْتَدِي، وَالطَّيْرُ فِي وَكُنَاتِهَا، لِعَيْثٍ مِنَ الْوَسْمِيِّ رَائِدُهُ خَالٍ

كثيراً ما كنت أبكر والطير بعد في أعشاشها، مرتاداً لقومي مكان المطر حيث لم يصل رائد قبلي

كَأَنِّي بِفَتْخَاءِ الْجَنَاحَيْنِ لِقُوَّةِ صَيُودٍ مِنَ الْعُقَابِ طَاطَأْتُ شِمْلَالِي

كأنني، إذ أطأطأ رأسي فوق فرسي وهي تعدو، راكب عقاباً سريعة ذات جناحين

تَخَطَّفُ خِزَّانَ الشَّرْبَةِ بِالضُّحَى وَقَدْ حَجَرَتْ مِنْهَا ثَعَالِبُ أَوْرَالٍ

كان هذه العقاب تحلق ثم تنقض على الخزان، أي الأراب، في موضع الشربة، والثعالب في موضع أورال قد اختبأت خوفاً من العقاب

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابِسًا لَدَى وَكْرِهِمَا الثُّنَابُ وَالْحَشْفُ الْبَالِي

وفي وكر العقاب قلوب الطيور المتخلقة بعد اقتراسها، فمن هذه القلوب ما هو رطب محمر كثر الغناب، ومنها اليابس الذي يشبه الثمر الجاف

فَلَوْ أَنَّ مَا أَسْعَى لِأَذْنَى مَعِيشَةٍ كَفَانِي، وَلَمْ أَطْلُبْ، قَلِيلٌ مِنَ الْمَالِ

لو أنني أسعى لتحقيق العيش المتواضع لكفاني - دون أن أتجشم الطلب والسعي - مال قليل

وَلَكِنَّمَا أَسْعَى لِمَجْدٍ مُؤَثِّلٍ وَقَدْ يُدْرِكُ الْمَجْدَ الْمُؤَثِّلُ أَنْثَالِي

لكنني أسعى للمجد المؤثِّل، العريق، ومثلي من سعى لهذا وأدركه

٤ أم جندب

خَلِيلِي مُرَّا بِي عَلَى أُمِّ جُنْدُبٍ نُقِضَ لِبَائَاتِ الْفُؤَادِ الْمُعَذَّبِ

هيا لنمر يا صاحبي على «أم جندب» كي تقضي حاجات الفؤاد المعذب

أَلَمْ تَرِيَانِي كُلَّمَا جِئْتُ طَارِقًا وَجَدْتُ بِهَا طِيبًا وَإِنْ لَمْ تَطِيبْ

كلما جئتها ليلاً وجدت لها رائحة طيبة وإن لم تطيب بمسك أو نحوه

وَإِنَّكَ لَمْ يَفْخَرْ عَلَيْكَ كَفَاخِرٍ ضَعِيفٍ، وَلَمْ يَغْلِبْكَ مِثْلُ مُغْلَبٍ

مشكلة أن يفخر عليك شخص ليس لديه ما يفخر به، وأن يغلبك شخص يكون دائماً مغلوباً مع غيرك، والمرأة مخلوق ضعيف ولكنه يغلبني

إِذَا مَا رَكِبْنَا قَالَ وَلَدَانُ أَهْلِنَا تَعَالَوْا، إِلَى أَنْ يَأْتِيَ الصَّيْدُ، نَحْطِبِ

نركب للصيد ويقول الفتية اليافعون: هيا لنحطب ريشا يأتي الرجال بالصيد

فَقَطَلْ لَنَا يَوْمَ لَذِيذُ بِنْعَمَةٍ فَقُلْ فِي مَقِيلٍ نَحْسُهُ مُتَغَيِّبِ

ظللنا ناعمين في يومنا، فقل ما تشاء في هذا المقيل، نوم الظهيرة، حيث غاب النحس

نَمْشُ بِأَعْرَافِ الْجِيَادِ أَكْفَنَا إِذَا نَحْنُ قُمْنَا عَنْ شِوَاءٍ مُضَهَّبِ

نمش أيدينا بالشعر الذي على أعناق الخيل بعد أن نقوم عن الشواء المضهَّب، الذي شوي بعض شيء

فَلِلْسَاقِ أَلْهُوبٌ وَلِلْسَوِّطِ دَرَّةٌ وَلِلزَّجْرِ مِنْهُ وَقْعٌ أَهْوَجِ مِنْعِبِ

ساق الفرس لها ألْهُوبٌ، أي تثير الغبار عندما أهمزها ببهمازي، ومن وقع سوطي بدر جريها ويزيد، وعندما أزجر الفرس وأصرخ بها يقع ذلك منها موقعه من الأهوج الصخاب فتسرع وتجن جنونا

كَأَنَّ عُيُونَ الْوَحْشِ حَوْلَ خِبَائِنَا وَأَرْحُلِنَا، الْجَزْعُ الَّذِي لَمْ يُثَقِّبِ

عيون الوحش، الحيوانات غير الداجنة من ظباء وبقر وحشي، التي نراها حول خيمتنا ومتاعنا تشبه الخرز غير المثقوب

٥ في الطريق إلى قيصر

قال وهو في طريقه إلى بيزنطة للقاء ملك الروم:

تَقَطَّعْ أَسْبَابُ اللَّبَانَةِ وَالْهَوَى عَشِيَّةَ جَاوَزْنَا حِمَاةَ وَشِيرَا

تقطع حبال الحاجات والهوى بيتنا وبين بلادنا عندما نتجاوز بلدي حماة وشير شمالاً نحو الروم

نَشِيمُ بُرُوقَ الْمُزْنِ، أَيْنَ مَصَابُهُ وَلَا شَيْءَ يَشْفِي مِنْكَ يَا ابْنَةَ عَفْرَا

نراقب البرق بين السحاب، وتتوقع المكان الذي سيزل فيه المطر، ولكن هذا لا يشغلنا عن المحبوبة فلا شيء ينسينا إياها

مِنْ الْقَاصِرَاتِ الطَّرْفِ لَوْ دَبَّ مُحَوَّلٌ مِنْ الدَّرِّ فَوْقَ الْإِثْبِ مِنْهَا لِأَثْرَا

هذه امرأة تغض بصرها خجلاً، وهي ناعمة لو دب نمل صغير فوق إبتها، أي ثوبها المنزلي الذي بلا كُمَيْنَ، لأثر ديبه في جلدها لتعومتها

فَدَعُ ذَا، وَسَلَّ الِهِمَّ عَنْكَ بِجَسْرَةٍ دَمُولٍ، إِذَا صَامَ النَّهَارُ وَهَجَّرَا

فاترك هذا الأمر، وتسل عن الهم بجسرة، أي ناقة ضخمة، دمول سريعة، إذا ما صام النهار، أي ارفع، وكانت الظهيرة

تُقَطَّعُ غِيْطَانًا كَأَنَّ مُتُونَهَا إِذَا أَظْهَرْتَ تُكْسَى مُلَاءٌ مُنْشَرًّا

تقطع هذه الناقة السهول. ومتون السهول، أي ما يتخللها من ربي، تصيح كأنها مكسوة برداء مفروش إذا أظهرت، أي دخلت عليها الظهيرة

كَأَنَّ الْحَصَى مِنْ خَلْفِهَا وَأَمَامِهَا إِذَا نَجَلْتَهُ رَجُلُهَا حَذَفُ أَغْسَرَا

تسير الناقة وترمي برجليها الحصى يميناً وشمالاً مع سرعة السير فكأنها تحذفها وترشقها حذف رجل أعسر يعمل بشماله

كَأَنَّ صَلِيلَ الْمَرَوْ حِينَ تُشِذُّهُ صَلِيلُ زُيُوفٍ يُنْتَقَدْنَ بِعَبْقَرَا

يشبه صليل المرو، أي صوت الحجارة، حين تفرقها الناقة، بصوت الدراهم الزائفة التي يتقدمها الصراف بأصابعه فاحصاً إياها في مكان «عبر»، وعبر بلد الجن، وما كنت أعلم من قبل أن فيه محلات صرافة

عَلَيْهَا فَتَى لَمْ تَحْمِلِ الْأَرْضُ مِثْلَهُ أَبَرَّ بِمِيتَانِي وَأَوْفَى وَأَصْبَرَا

فوقها فتى ليس في الدنيا مثله من حيث الوفاء بالعهد ومن حيث وفرة الصبر. . فوق هذه الناقة أنا

وَلَوْ شَاءَ كَانَ الْعَزْوُ مِنْ أَرْضِ حِمِيرٍ وَلَكِنَّهُ عَمْدًا إِلَى الرُّومِ أَنْفَرَا

لو شاء هذا الفتى جاء بجيش من أرض اليمن، ولكنه اختار أن ينفر إلى بلد الروم

إِذَا نَحْنُ سِرْنَا خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً وَرَاءَ الْحِسَاءِ مِنْ مَدَافِعٍ قَيْصَرَا

إذا تجاوزنا منطقة الحساء، الأرض المطننة السهلية من مدافع، أي حمى وبلاد، قيصر بخمس عشرة ليلة. .

بَكَى صَاحِبِي لَمَّا رَأَى الدَّرَبَ دُونَهُ وَأَيَّقَنَ أَنَا لِاحِقَانٍ بِقَيْصَرَا

عندما رأى صاحبي الدرب، الطريق الجبلي المؤدي إلى بلاد الروم، بكى، وتيقن من أننا ذاهبان فعلاً إلى قيصر. كان امرؤ القيس قد اصطحب شاعراً جاهلياً عتيقاً هو عمرو بن قميئة إلى أرض الروم. وقصدها امرؤ القيس يطلب المدد حتى يستعيد ملك أبيه المقتول

فَقُلْتُ لَهُ: لَا تَبْكُ عَيْنُكَ، إِنَّمَا نَحْوِلُ مُلْكًا أَوْ نَمُوتُ فَنُعْذَرَا

قلت له: لا تبك، فنحن نسعى وراء ملك، وإن متنا فعذرنا واضح إذ لم نقصر في محاولة استرداد الحق

إِذَا قُلْتُ هَذَا صَاحِبٌ قَدْ رَضِيَتْهُ وَقَرَّتْ بِهِ الْعَيْنَانِ بُدِّلْتُ آخَرَا

كلما قلت هذا صاحب قد رضيته وكنت به العينان بدلت أخرى

كَذَلِكَ جَدِّي، مَا أَصَاحِبُ صَاحِبًا مِنَ النَّاسِ إِلَّا خَانَنِي وَتَغَيَّرَا

كذا حظي، لا أصاحب أحداً إلا خانني وتغير علي

وَنَشْرَبُ حَتَّى نَحْسَبَ الْحَيْلَ حَوْلَنَا نِقَادًا، وَحَتَّى نَحْسَبَ الْجَوْنَ أَشْقَرًا
ونجلس نشرب الخمر ونسكر حتى لنظن الخيل التي حولنا غنماً، وحتى نحسب اللون الأسود أشقرًا
(والجون كلمة تعني أسود وتعني أبيض، هي من الأضداد)

٦ عتاب حنظلة

قال يهجو بني حنظلة بعد إذ خذلوه:

أَحْنُظَلْ، لَوْ حَامَيْتُمْ وَصَبَرْتُمْ لَأَثْنَيْتُ خَيْرًا صَالِحًا وَلَأَرْضَانِي
يا قبيلة حنظلة، لو دافعتم وصبرتم لأثنت عليكم ورضيت

٧ أعد الحصى

أَعْنِي عَلَى التَّهْمَامِ وَالذُّكْرَاتِ يَبِشْنَ عَلَى ذِي الْهَمِّ مُعْتَكِرَاتِ
ساعدي أيها الصديق وأنا أعاني الهموم، وأعالج ذكريات باتت تتراكم وتعترك على صاحب الهم
ظَلِلْتُ رِدَائِي فَوْقَ رَأْسِي قَاعِدًا أَعُدُّ الْحَصَى، مَا تَنْقُضِي عِبْرَاتِي
ظلتت جالساً واضعاً ردائي فوق رأسي أداري دموعي، وأنا حائر أعبت بالحصى

٨ الدنيا فانية

لِمَنْ ظَلَلْ أَبْصَرْتُهُ فَشَجَانِي كَحَظِّ الزُّبُورِ فِي الْعَسِيبِ الْيَمَانِي
لمن هذا الطلل الذي يبعث الحزن في قلبي، وهو يشبه خط الزبور، أي القلم، المرقوم على سعف
النخل اليماني

لِيَالِي يَدْعُونِي الْهَوَى فَأُجِيبُهُ وَأَعْيُنُ مَنْ أَهْوَى إِلَيَّ رَوَانِ
في تلك الأيام الخوالي كان الحب يدعوني فأجيبه، وكانت الحبيبة تنو إلي بعينها
تَمَتَّعَ مِنَ الدُّنْيَا فَلِئَلَّكَ فَإِنْ مِنَ النِّسْوَاتِ وَالنِّسَاءِ الْحَسَانِ
تمتع بالنشوات، بشرب الخمر، وبالنساء فالدنيا فانية

٩ تخفق أكفاني

قَفَا نَبْكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَعِرْقَانِ وَرَسَمِ عَفَتْ آيَاتُهُ مِنْذُ أَرْمَانِ
قفا يا صاحبي نبكي ذكرى الحبيب وقد عرفنا مكان أطلال دياره، ونبكي هذا الرسم، هذا الأثر
الممحو، الذي عفت وأمحت آياته، أي علاماته، منذ زمن بعيد

أَتَتْ حِجَجٌ بَعْدِي عَلَيْهَا فَأَصْبَحَتْ كَخَطِّ زُبُورٍ فِي مَصَاحِفِ رُهَبَانٍ

مرت سنين بعد عهدي بهذه الديار، فأصبحت كخط الزبور، أي القلم، في أوراق الرهبان

ذَكَرْتُ بِهَا الْحَيَّ الْجَمِيعَ، فَهَيَّجَتْ عَقَابِيلَ سَقَمٍ مِنْ ضَمِيرٍ وَأَشْجَانٍ

ذكرت عند هذه الأطلال القوم أيام هم مجتمعون لم يترفقا؛ فهيجت الذكرى في قلبي عقابيل، أي بقايا، مرض وبقايا أحزان

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَخْزُنْ عَلَيْهِ لِسَانَهُ فَلَيْسَ عَلَى شَيْءٍ سِوَاهُ بِخَزَّانٍ

إن لم يحفظ الإنسان لسانه فلن يحفظ لا شرفاً ولا سرّاً

فَلَمَّا تَرَيْنِي فِي رِحَالَةِ جَابِرٍ عَلَى حَرَجٍ كَالْقَرِّ تَخْفِقُ أَكْفَانِي

إن تربني أيتها الحبيبة متمدداً على خشبة مع صاحبي جابر والريح تبت بثيابي التي فيها سادفن فهي أيضاً أكفاني..

فَبَا رَبِّ مَكْرُوبٍ كَرَرْتُ وَرَاءَهُ وَعَانٍ فَكَكْتُ الْغِلَّ عَنْهُ فَقَدَّانِي

فلقد طالما اندفعت وراء شخص مكروب اجتمع عليه الأعداء في المعركة كي أنقّس عنه، وطالما فككت القيد عن العاني، أي الأسير، فقال لي: فذاك أبي

وَعَيْثُ كَأَلْوَانِ الْفَنَاءِ قَدْ هَبَطَتْهُ تَعَاوَرَ فِيهِ كُلُّ أَوْطَفَ حَنَّانٍ

رب سهل مروى بالغيث قد نزلت فيه، وهو عامر بالأزهار الحمراء التي تشبه حب الفناء، وكانت تتوالى على السهل الغيوم بأقطارها ذات الصوت الناعم

عَلَى هَيْكَلٍ يُعْطِيكَ قَبْلَ سُؤَالِهِ أَفَانِينَ جَرِيٍّ غَيْرِ كَزٍّ وَلَا وَانٍ

وكنت أكون على فرس كبير الجرم، يعطي فارسه أنواعاً من الجري دون حاجة لحث، فالفرس نشيط ولعوب، وهو غير منقبض ولا واثق، أي غير كسول. والفرس إذا كان ذكراً فهو هو، وإن كانت أنثى فهي هي

كَتَيْسِ الظُّبَاءِ الْأَعْفَرِ انْفَرَجَتْ لَهُ عُقَابٌ تَدَلَّتْ مِنْ شَمَارِيخِ ثَهْلَانٍ

فرسي كغزال فحل أعفر اللون، أبيض محمر، بدت له في الجو عقاب هبطت من قمم جبل ثهلان، فهو يركض هارباً منها

وَحَزَقِي كَجَوْفِ الْعَيْرِ قَفَرٍ مَضِلَّةٍ قَطَعْتُ بِسَامِ سَاهِمِ الْوَجْهِ حَسَّانٍ

ورب خرق، صحراء، مقفر مثل صحراء «جوف العير» يضل فيه المرء، قطعت بحصان عالي ساهم الوجه، في وجهه قلق، ولكنه حسن يعجب الرائيين

يُدَافِعُ أَغْطَافَ الْمَطَايَا بِرُكْنِهِ كَمَا مَالَ عُصْنٌ نَاعِمٌ بَيْنَ أَغْصَانٍ

هذا الحصان يكون وسط الإبل فيدفعها بجانبه ويميل عليها مثلما ويميل العنص الناعم بين الأغصان

١٠ الحُرْقَة

قال يهجو خالد بن سدوس :

وَأَعْجَبَنِي مَشْيُ الْحُرْقَةِ خَالِدٍ كَمْشِي أَتَانِ حُلْتُتْ فِي الْمَنَاهِلِ
ما أعجب مشي خالد الحرقه، القصير، فهو يمشي متردداً كأنى حمار حلت، منعت من
ورود الماء

١١ رَضِيتْ مِنَ الْغَنِيمَةِ بِالْإِيَابِ

أَرَانَا مُوْضِعِينَ لِحِثْمٍ غَيْبٍ وَنُسَحَرُ بِالطَّعَامِ وَبِالشَّرَابِ
نحن موضعون، مسرعون، في اتجاه أمر غامض لكنه محتوم، ونشغل بتحصيل أكلنا وشرابنا
عَصَافِيرٌ وَذِبَّانٌ وَدُودٌ وَأَجْرًا مِنْ مُجْلَحَةِ الذُّنَابِ
نحن كبقية المخلوقات الدنيئة، ولكننا نتصرف بجرأة كالذئاب الهاجمة

فَبَغَضَ اللَّوْمِ عَاذِلَتِي فَلِإِنِّي سَتَكْفِينِي التَّجَارِبُ وَانْتِسَابِي
خفني من لومك يا عاذلة، فإني تكفيني تجاربي ونسبي الوقوع في الحماقات. وفسروا البيت بغير
ذلك، ناظرين إلى ما بعده

إِلَى عِرْقِي الشَّرَى وَشَجَّتْ عُرُوقِي وَهَذَا الْمَوْتُ يَسْلُبُنِي شَبَابِي
أصلي من التراب، وسوف يسلبني الموت شبابي

وَنَفْسِي سَوْفَ يَسْلُبُهَا وَجَرْمِي فَيُلْحِقُنِي وَشِيكًا بِالشَّرَابِ
وسيلبني الموت نفسي وجسمي، وسأدفن سريعاً في التراب

وَقَدْ طَوَّفْتُ فِي الْأَفَاقِ حَتَّى رَضِيتُ مِنَ الْغَنِيمَةِ بِالْإِيَابِ
سافرت كثيراً، ورضيت ألا أحصل على أي غنيمة سوى العودة سالماً

١٢ نَفْسٌ تَسَاقَطُ أَنْفَسَا

تَأَوَّبَنِي دَائِي الْقَدِيمُ فَعَلَّسَا أَحَاذِرُ أَنْ يَرْتَدَّ دَائِي فَأَنْكَسَا
عاد إليّ مرضي القديم في الغلس، في الظلمة قبيل الفجر، وأخشى أن تكون هذه انتكاسة فيعود
إلي المرض

فَلِمَا تَرَنَّنِي لَا أَعْمَضُ سَاعَةً مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا أَنْ أُكَبَّ فَأَنْعَسَا
إن كنت ترينني ساهراً لا أكاد أنام إلا من تكية قليلة، أي تهويم ونعاس خفيف..

فَبَا رُبَّ مَكْرُوبٍ كَرَزَتْ وَرَاءَهُ وَطَاعَنْتُ عَنْهُ الْخَيْلَ حَتَّى تَنْفَسَا
فكثيراً ما كنت أندفع وراء المكروب من صحيبي، المزنون في المعركة، فأطعن الخيل المحيطة به
وأنفس كربه

وَبَا رُبَّ يَوْمٍ قَدْ أَرُوْحُ مُرَجَّلًا حَبِيبًا إِلَى الْبَيْضِ الْكَوَاعِبِ أَمْلَسَا
وكثيراً ما كنت أنصرف وشعري مرجل حسن أملس، وأنا محبوب من الفتيات البيض الشابات
أَرَاهُنَّ لَا يُخْبِئْنَ مَنْ قُلَّ مَالُهُ وَلَا مَنْ رَأَيْنَ الشَّيْبَ فِيهِ، وَقَوَّسَا
النساء لا يخبين الفقير، ولا ذا الشيب، ولا المقوس الظهر... شكرأ على المعلومة

فَلَوْ أَنَّهَا نَفْسٌ تَمُوتُ جَمِيعَةً وَلَكِنَّهَا نَفْسٌ تَسَاقُطُ أَنْفُسَا
لو أن نفسي تموت موة مفاجئة لكان ذلك أهون، ولكنها تساقط شيئاً بعد شيء

وَبُدِّلْتُ قَرْحًا دَامِيًا بَعْدَ صِحَّةٍ لَعَلَّ مَنَايَاَنَا نَحَوَّلْنَ أَبْوَسَا
وبعد صحة أصبحت ذا قروح دامية بجسمي، فالموت قد تحول من فناء سريع إلى معاناة طويلة

١٣ الآن أشرب

يهجو بطوناً من بني أسد لخذلانهم إياه:

قُولَا لِدُودَانَ عَبِيدِ الْعَصَا مَا عَرَّكُمْ بِالْأَسَدِ الْبَاسِلِ
قولا يا صاحبي لقبيلة دودان، العبيد الذين يضربون بالعصا، ما الذي جرأكم على الأسد الباسل،
والباسل: المتجهم

قَدْ قَرَّرْتُ الْعَيْنَانِ مِنْ مَالِكٍ وَمِنْ بَنِي عَمْرِوٍ وَمِنْ كَاهِلِ
لقد رضيت بما أوقعته بتلك القبائل الأخرى

نَطَعْنُهُمْ سُلْكِي وَمَخْلُوجَةً كَرَّكَ لِأَمِينٍ عَلَى نَابِلِ
كنا نطعنهم سلكي، طعناً مستقيماً، ومخلوجة، طعناً من الجنب، بسرعة عجيبة كما يناول المرء
راشق السهام سهمين متوالين بأسرع من قدرته على التسديد

حَلَّتْ لِي الْخَمْرُ وَكُنْتُ أَمْرًا عَنْ شُرْبِهَا فِي شُغْلٍ شَاغِلِ
بعد انتصاري عليهم تحللت من يميني بالآ أشرب الخمر، وكنت أصلاً مشغولاً عن الخمر بقتال أعدائي

فَالْيَوْمَ أَشْرَبْتُ غَيْرَ مُسْتَحَقِّبٍ إِثْمًا مِنَ اللَّهْ وَلَا وَاعِلِ
فالآن أشرب الخمر غير مستحقب إثمًا، غير واضع في حقيتي إثمًا، وأشربها مفضلًا لا واغلاً
متطفلاً على القوم. وجعلوا «أسقى» بدل «أشرب» ليستقيم الإعراب

١٤ قَسَم

تَاللَّهِ لَا يَذْهَبُ شَيْخِي بِإِطْلَا
أَقْسَمُ أَلَا يَذْهَبُ دَمُ أَبِي هَدْرًا

حَتَّى أَبِيرَ مَالِكًا وَكَاهِلًا
حَتَّى أِيرَ، أَيْ أَيْدِ، هَاتَيْنِ الْقَبِيلَتَيْنِ

الْقَاتِلَيْنِ الْمَلِكَ الْحُلَاحِلَا
اللتين قتلتا الملك السيد الشجاع

١٥ وحسبك من غنى شيع وري

سُرْتُ إِبِلَ امْرِئِ الْقَيْسِ وَهُوَ فِي كَنْفِ بَنِي نِهَانَ، فَأَعْطَوْهُ مَعْرَى تَقْوَتِهِ، فَقَالَ:

أَلَا إِلَّا تَكُنْ إِبِلٌ فَمَعْرَى كَأَنَّ قُرُونًا جَلَّتْهَا الْعِصَى

لئن لم يبقَ عندي إبلٌ فها هي الغنم التي كان قرون جلتها، أي كبارها، العصي

إِذَا مُشَّتْ حَوَالِبُهَا أَرَنْتُ كَأَنَّ الْحَيَّ صَبَّحَهُمْ نَعْمَى

إذا عصر الحالب حلماتها صدر منها صوت لدى ارتطام الحليب بالعلبة الخشب، يشبه صوت أنين الناس إذا أصبحوا وقد مات لهم ميت

نَرُوحُ كَأَنَّهَا مِمَّا أَصَابَتْ مُعَلَّقَةً بِأَخْفِهَا الدُّلَى

تعود الغنم من المرعى وقد أصابت العشب الكثير وصارت ضروعها معلقة بجانيها كأنها الدلاء، جمع دلو

فَنُوسِعُ أَهْلَهَا أَقْطًا وَسَمْنًا وَحَسْبُكَ مِنْ غِنَى شَيْعٍ وَرِي

نفتضل على أصحابها أقطاً، جبناً، وسمناً، وفي هذين ما يكفي، ويكفيك من الغنى أن تشيع وتروى

١٦ مدح المعلی

قال يمدح المعلی من تيم بن ثعلبة من طيء، وقد أجاره:

كَأَنِّي إِذْ نَزَلْتُ عَلَى الْمُعَلَّى نَزَلْتُ عَلَى الْبَوَاذِخِ مِنْ شَمَامٍ

كأنني إذ نزلت ضيفاً على المعلی نزلت بقمم جبل شمام

فَمَا مَلِكُ الْعِرَاقِ عَلَى الْمُعَلَّى بِمُقْتَدِرٍ، وَلَا الْمَلِكُ الشَّامِي

وهو سيد لا يقدر عليه ملك العراق ولا ملك الشام

أَقَرَّ حَشَا امْرِئِ الْقَيْسِ بْنِ حُجْرٍ بَنُو تَيْمٍ مَصَابِيحُ الظَّلَامِ
بنو تيم أقرؤا حشاي، وسكنوا مخاوفي

١٧ وكل غريب للغريب نسيب

قال وهو عليل في بلاد الروم يخاطب قبر امرأة في سفح جبل عسب:

أَجَارَتْنَا إِنَّ الْخُطُوبَ تَنْوُبُ وَإِنِّي مُقِيمٌ مَا أَقَامَ عَسِيبُ
أيتها المجاورة لنا إن المصائب تتوالى، ويبدو أنني سأقيم هنا ولا أبرح مثلما لا يبرح جبل عسب
أَجَارَتْنَا إِنَّا غَرِيبَانِ هَهُنَا وَكُلُّ غَرِيبٍ لِلْغَرِيبِ نَسِيبُ
نحن غريبان ههنا، والغربة تجمع بيننا كما يجمع النسب بين الناس

أَجَارَتْنَا مَا فَاتَ لَيْسَ يَنْوُبُ وَمَا هُوَ آتٍ فِي الزَّمَانِ قَرِيبُ
ما ذهب لا رجعة له، والذي سيأتي حتماً فهو قريب مهما طال به الزمن
وَلَيْسَ غَرِيباً مَنْ تَنَاءَتْ دِيَارُهُ وَلَكِنَّ مَنْ وَارَى الثَّرَابَ غَرِيبُ
من بُعد عن أهله ليس غريباً، الغريب حقاً هو الميت الذي واره التراب

١٨ ذائد القوافي

قال في صباه:

أَدْوَدُ الْقَوَافِي عَنِّي ذِيَادَا ذِيَادَ غُلَامٍ جَرِيٍّ جَوَادَا
أدفع القوافي عني دفْعاً وهي تنهال علي، فأنا كالغلام الجريء الذي يروض جواداً
فَلَمَّا كَثُرْنَ وَأَعْيَيْنَهُ تَخَيَّرَ مِنْهُنَّ سَيِّئاً جِيَادَا
لما تكاثرت علي القوافي تخيرت منها ستة جيدة
فَأَعَزِلْ مُرَجَانَهَا جَانِباً وَأَخْذُ مِنْ دُرِّهَا الْمُسْتَجَادَا
وأنا أبعد المرجان، صغار اللؤلؤ، وأخذ اللآلئ الكبيرة فقط

١٩ هجو حنظلة

أَحْنُظِلَ لَوْ كُنْتُمْ كِرَاماً صَبَرْتُمْ وَحُطِّتُمْ، وَلَا يُلْفَى التَّمِيمِي صَابِراً
يا قبيلة حنظلة، لو كنتم كراماً لصبرتم ولحميتم، ولكن قبائل تميم لا صبر لها على الحرب

٢٠ أُنَانِي حَدِيثُ فَكْذِبْتُهُ

وقال بعد أن بلغه مقتل أبيه:

أَرِقْتُ لِبَرْقِ بَلَلِيلِ أَهْلٍ يُضِيءُ سَنَاهُ بِأَعْلَى الْجَبَلِ
أرقت وأنا أرقب البرق الذي يضيء سناه، لمعانه، عند أعلى الجبل

أُنَانِي حَدِيثُ فَكْذَبْتُهُ بِأَمْرِ تَزْعَزَعُ مِنْهُ الْقُلُلُ
جاءني خبر كذبه عن أمر تتزعزع منه قمم الجبال

بِقَتْلِ بَنِي أَسَدٍ رِيَّهُمْ أَلَا كُلُّ شَيْءٍ خَلَاةٌ جَلَلُ
بأن بني أسد قتلوا ربهم، وكل شي سوى ذلك جلل، أي هين بسيط

فَأَيْنَ رَبِيعَةٌ عَنْ رَبِّهَا وَأَيْنَ تَمِيمٌ وَأَيْنَ الْخَوْلُ
فأين أخوالي من قبائل ربيعة كي تنتقم لسيدها، وأين تميم وأين الخول، العبيد

أَلَا يَحْضُرُونَ لَدَى بَابِهِ كَمَا يَحْضُرُونَ إِذَا مَا اسْتَهَلَّ؟
هلاً حضر هؤلاء جميعاً للانتقام له، كما كانوا يحضرون إذا ما استهل وبدأ يوزع الأرزاق؟

٢١ تعلق قلبي طفلة عربية

تَعَلَّقَ قَلْبِي طِفْلَةً عَرَبِيَّةً نَنَعُمُ فِي الدِّيْبَاجِ وَالْحَلِيِّ وَالْحُلُلِ
تعلق قلبي بفتاة عربية تنعم في الحرير والثياب والزينة

لَهَا مُقْلَةٌ لَوْ أَنَّهَا نَظَرَتْ بِهَا إِلَى رَاهِبٍ قَدْ صَامَ لِلَّهِ وَابْتَهَلَ..
لو نظرت بعينها لراهب يصوم وبتهل..

لَأَصْبَحَ مَفْتُوناً مُعْنَى بِحُبِّهَا كَأَنَّ لَمْ يَصُمْ لِلَّهِ يَوْمًا وَلَمْ يُصَلِّ
لأصبح مفتوناً بها وكأنه لم يصم ولم يصم قط

أَلَا رَبُّ يَوْمٍ قَدْ لَهَوْتُ بِدَلَّهَا إِذَا مَا أَبُوهَا لَيْلَةً غَابَ أَوْ غَفَلَ
لهوت بدلالها ذات يوم وقد غاب أبوها، أو غفل عنا

حِجَازِيَّةُ الْعَيْنَيْنِ مَكِّيَّةُ الْحَشَا عِرَاقِيَّةُ الْأَطْرَافِ رُومِيَّةُ الْكَفَلِ
الحشا: البطن

وَلَا عَبْتُهَا الشَّطْرُنَجَ خَيْلِي تَرَادَفَتْ وَرُخِّي عَلَيْهَا دَارَ بِالشَّاءِ بِالْعَجَلِ
يبدو أنه بحصانه وبفيله في لعبة الشطرنج أكل شاهها وغلبها

وَقَدْ كَانَ لَعْبِي كُلُّ دَسْتٍ بِقُبْلَةٍ أَقْبَلُ تُغْرَأُ كَالْهَلَالِ إِذَا أَقْبَلُ

وكان شرطنا أن تكون بعد كل دس، لعبة، من الشطرنج قبلة للغالب، وكنت أقبل
تغرها الذي يشبه هلالاً في أواخر لياليه، ومن الشفاء الرقاق ما يعجب، ولا عليك
بالتقلية الحاضرة - ونكتب في أواخر سنة ٢٠١٥ - التي تمجد الشفاء الغلاظ

فَقَبَلْتُهَا تَسْعًا وَتَسْعِينَ قُبْلَةً وَوَاحِدَةً أُخْرَى وَكُنْتُ عَلَى عَجَلٍ

وَعَانَقْتُهَا حَتَّى تَقَطَّعَ عِقْدُهَا وَحَتَّى فُصِّصَ الطُّوقُ مِنْ جِيدِهَا انْفَصَلَ

لا بد من كلمة نصح أخيرة: اسمع هذه القصيدة من هيام يونس أو من طلال المداح، والعن معي
التسجيل على تراكات الذي فيه يصبح المغنى آلة من الآلات تسير على خطى المترونوم الرتبة

٢٢ ألا يا عين

قال يبكي إخوته وقتلهم المنذر بن ماء السماء:

أَلَا يَا عَيْنُ بَكَيْ لِي شَنِينَا وَبَكَيْ لِي الْمُلُوكُ الذَّاهِبِينَ

ابكي يا عيني شنيئاً، بدمع مصبوب، وابكي الملوك الذين مضوا

مُلُوكاً مِنْ بَنِي حُجْرٍ بَنِي عَمْرِو يُسَاقُونَ الْعَشِيَّةَ يُقْتَلُونَ

ملوك من بني أبي حُجْر، سيقوا للقتل

فَلَوْ فِي يَوْمٍ مَفْرَكَةٍ أَصِيبُوا وَلَكِنْ فِي دِيَارِ بَنِي مَرِينَا

لو قتلوا في المعركة لهان، ولكنهم قتلوا صبراً وإعداماً عند بني مرين بالحيرة

فَلَمْ تُغْسَلْ جَمَاجِمُهُمْ بِغُسْلِ وَلَكِنْ بِالذَّاءِ مُرْمَلِينَ

فلم تغسل رؤوسهم بالطيب، ولكنها تركت ملطخة بدمائها

نَظَّلَ الطَّيْرُ عَاكِفَةً عَلَيْهِمْ وَتَنَزَّعَ الْحَوَاجِبَ وَالْعُيُونَا

وألقي بهم في البر، فالطيور مجتمعة عليهم تنزع حواجبهم وعيونهم

٢٣ الكريم غير منان

أَفْسَدَتْ بِالْمَنْ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ نِعَمَ لَيْسَ الْكَرِيمُ إِذَا أَسْدَى بِمَنَانٍ

أفسدت إحسانك بالمن، التذكير بالنعمة، والكريم لا يعن إذا أسدى معروفاً

٢٤ نار بلا دخان

حَمَلْتُ رُذَيْنِيًّا كَأَنَّ سِنَانَهُ سَنَا لَهَبٍ لَمْ يَتَّصِلْ بِدُخَانٍ

حملت رمحاً كأن سنامه اللامع ضوء لهب لكن من غير دخان

امروء القيس فهرس القوافي (القافية فرقم القطعة)

١٠	الْمَنَاهِلِ	١٧	عَسِيبُ
١	فَحَوْمَلِ	٤	الْمُعَذِّبِ
٢٠	الْجَبَلِ	١١	وَبِالشَّرَابِ
٢١	وَالْحُلَلِ	٧	مُعْتَكِرَاتِ
١٦	شَمَامِ	١٨	جَوَادَا
٢٢	الذَّاهِبِينَ	١٩	صَابِرَا
٩	أَزْمَانِ	٥	وَشَيْرَزَا
٨	الْيَمَانِي	٢	أَفْرِ
٢٤	بِدُخَانِ	١٢	فَأُنْكَسَا
٢٣	بِمَنَانِ	١٤	بَاطِلَا
٦	وَلَأَرْضَانِي	١٣	الْبَاسِلِ
١٥	الْعِصْيِ	٣	الْحَالِي

زهير بن أبي سُلمى

(١٠٠ ق هـ — ١٠ ق هـ)

قال البكري في «التنبيه» إنه ليس في العرب «سُلمى» بضم السين إلا أختُ زهير.

أُشرح لك الشعر الجاهلي وبجانب ما تيسر من شروح القدماء، فهذا تفسير من الأصمعي، وذاك تعليق من ثعلب، وهذا شرح مستفيض من الأعلام الشنتمري، أو من صاحب الأغاني الذي كان يشرح بعض ما يورد من قديم الشعر. وأنظرُ فيما سرقه المحققون المحدثون من شروح القدماء وذيلوا به الأبيات، وأرى بعضهم يضيف وهماً هنا، وتفسيراً قاموسياً هناك، وقلماً أجد سارقاً عني نفسه بفهم البيت، وكلف قلمه كتابة شرح حقيقي له.

ثم إنني أنظر في بعض ما يعنُّ من كتب مدرسية وجامعية، أفعل ذلك كي أوقد تنور الشرِّ تحت مرجل قلبي. فأجد عند هؤلاء المدرسين الرُّقاء عبارات تثير اشمئزازي: «المقدمة الطللية» و«الصورة الفنية»، وقد يجرب بعضهم حظه في حقل الخاطرة الرومنسية فيكتب «يقف الشاعر وقفة محزون، يندب محبوبته، ويسأل طللها أن يخبره أين ذهبت، و..» ويصعد بخار الاشمئزاز إلى رأسي فأكتب لك في مثل هذه المقدمات أهجيات أعجم بها رؤوس أولئك المدرسين. وأنت تعرف أنني أفعل ذلك للتسلية.

قد جبلنا على تسقط أخطاء الآخرين. لا أرى نفسي مقنَّعك بأن شرحي خير شرح إلا بعد أستم الشارحين الآخرين.

وقد تستعجل فتظن أنني أسب الأكاديميين لأنني لم أفلح في أن أكون منهم. ولك مسوغ. فأنا لم أحمل من تلك الشهادات الرقيقة سوى الشهادة الجامعية الأولى، وما نلتها إلا بالضغط الشديد من والدي رحمهُ اللهُ، فقد لاحقني

تسع سنين، من جامعة إلى جامعة، ومن بلد بعد بلد، وهو يحثني على نيل تلك الشهادة. وكان على حق في جانب؛ فلولا هي، أقصد لولا تلك الورقة التافهة، لما وجدت وظيفة مريحة أتمكن على هامشها من متابعة مطالعاتي. على أنك لست محقاً في الظن بأنني حاقداً على الأكاديميين لأنني لست منهم. أنا لست منهم ولكنني عرفتهم عن قرب وعملت معهم. قد كنت محاضراً في جامعة - هي أفضل جامعة في بلدي، جامعة بيرزيت - سبع سنين وخمسة أشهر، كنت فيها مديراً لمعهد متميز، وكان مرتبي يصل إلى ضعف مرتب حامل الدكتوراه في معظم تلك السنين. كان ذلك ببركة ما اكتسبت من خبرة في حقل الإعلام. وإنني أذكر ذلك لسبب فرعي وسبب أساسي. فأما السبب الفرعي فهو إزجاء مديح إلى تلك الجامعة لأنها لم تقيد نفسها بتلك القيود التي لا تكاد تخلو منها كلية في كل جامعات العالم العربي، تلك القيود التي تجعل تقييم الأستاذ مستنداً إلى عنصر واحد فقط هو ما يحمله من أوراق تافهة، وقد صرت تعرف الآن ما أعني بالأوراق التافهة. (استطرد: بعض الجامعات العربية تقيم الأستاذ أيضاً بما ينشر من بحوث، وليتها لا تفعل، فالإنتاج المعرفي في جامعاتنا رديء). والسبب الأساسي لحديثي عن عملي في الجامعة هو أن أقنعك بأنني لا أشتم الأكاديميين حسداً، ولا حتى سعياً لإصلاحهم. أما قلت لك إنني أفعل ذلك لوجه التسلية! كأنك تنسى بسرعة.

أشتم فيهم الكسل، والاستسهال، والاستعباط.

عندما كان الاحتلال الجاثم على صدر بلادي يغلق الجامعات أسابيع أو حتى أشهراً، كان الأكاديميون يولولون ويحملون همماً: كيف سيحضر الطلبة الدروس، وكيف سينتهي الفصل الدراسي، وكيف ستم «تغطية» المادة. وكان الطلبة في فترات الإغلاق تلك يتعلمون أكثر: اللاهي العايب منهم يتعلم أشياء عن مجتمعه، والجاد منهم يقرأ قراءة حرة، أو يقعد في بيته يتأمل، أو يسافر إن كان أهله من ذوي اليسار، أو يلهو لهواً بريئاً أو غير بريء. و«كل» أولئك خير «لكل» طالب من «كل» ما يلقيه عليه الأكاديميون من محاضرات.

أريد قبل أن أدخل معك إلى عالم زهير بن أبي سلمى، أن أعذر عن مقالات لي سبقت، ومقالات لا شك ستأتي. فإن كنت ممن يعرفني وجاهياً فلاعتذار مضاعف. أعذر عن توهجات الحماسة التي تصدر عني كلما قرأت

كتاباً جيداً، فلا أعفي معارفي ولا قرائي من الحديث المستفيض والتمجيد الكبير لهذا الذي قرأته. حتى لقد صار بعضهم يسألني: ما أخبار صاحبك فلان مؤلف الكتاب الفلاني؟

أدرك أن القارئ بغير لغته يدخل عليه من الانبهار بما يقرأ نصيب يزيد أو ينقص بقدر ما في نفسه من انبهار بالآخر، وبقدر ما عنده من ميل إلى جلد الذات، وبقدر ما يحس به من استكانة أمام اللغة الأجنبية التي يقرأ بها. على أنني أرى في هذه الدنيا الواسعة إنتاجاً معرفياً طيباً يغنيني.. يؤلمني غياب المترجمين الفحول، ويؤلمني أننا نترجم الروايات كثيراً ولا نلتفت إلى كتب التاريخ والعلم.

وأشتاق أن أترجم شيئاً مفيداً، ولكنني غارق في هذا الشعر العتيق الذي فرضته على نفسي، ويقيدني أن معرفتي باللغة الأجنبية ليست بالقدر الكافي للتصدي للترجمة إلا ببذل جهد إضافي.

على أنني أعيش في الأوان الأخير حمى قرائية. عندما ينتصف الكتاب الذي بيدي أبدأ أشعر بالخطر.. وأخذ في ارتياد المكتبات بحثاً عن الكتاب المقبل. وعندي الآن بحمد الله كتاب بقيت منه صفحات قليلة، وآخر كبير ينتظر، فلا خطر.

أمّا الكتاب الذي ينتظر فلا سبيل إلى كيل المديح له. هو بطيخة مقفلة. فأما الذي بين يدي الآن فهو - طبعاً - أعظم كتاب قرأته حتى الآن. هذا طبعي الطفولي.. آخر كتاب هو الأعظم، والأجمل. سبحان من خلقي.

سأذهب عنك الآن كي أكمل كتابي. وعندما أعود إليك يكون قد خرج من رأسي، فلا أصدع رأسك بما فيه.

زهير بن أبي سلمى

اشتغل بشعر زهير الأصمعي وأبو عمرو والمفضل، وشرحه ثعلب، والأعلم الشنتمري، وطبع شرح ثعلب في مصر عام ١٩٤٤، وطبع شرح الأعلم قبل ذلك بأربعين سنة، وقبل ذلك بعشرين سنة كان قد طبع في ليدن. ولم يكن الشارحون القدامى متأكدين من معنى كل بيت، فكانوا يسددون ويقاربون. وتبعناهم وسدنا وقاربنا، واجتهدنا أن يكون ذلك بلغة معاصرة. فإن أخذنا من كلماتهم عبارة - حتى لو كانت كلمتين أو ثلاثاً - فنحن ننسب

ذلك إليهم، فنحن لا نحب أن تتسلط السنة القدامى على لساننا. وقد رأينا السارقين المحدثين يأخذون الشرح كله، ويختصرون، ولا يشيرون، إلا من أتى الله بقلب سليم.

ولد زهير قبل الهجرة بمئة عام وتوفي قبل الهجرة بعشرة أعوام.. هذا على وجه التقريب. وحضر الإسلام ابنه كعب وبجير وأسلما، ومدح ابنه كعب النبي بقصيدة «بانت سعاد» المشهورة. وكان لزهير أختان شاعرتان، وحفظ الرواة لأبيه شعراً، فأما خاله بشامة بن الغدير فشاعر جاهلي معروف. مات بشامة وقال لزهير وهو يجود بنفسه: قد ورثت الشعر.

عاش زهير طفولته يتيم الأب، وبعد وفاة أبيه تزوجت أمه شاعراً معروفاً هو أوس بن حجر. وأصبح زهير راوية لأوس، ويرى عمر فروخ في «تاريخ الأدب العربي» أن في شعر زهير الكثير من صفات شعر أوس.

وزهير أستاذ الحطيئة في الشعر. وكان الحطيئة يلوذ بكعب بن زهير ويحفظ له الود. فزهير بن أبي سلمى، على هذا، عاش في شعر من سبقوه ومن عاصروه، وأعاش جيلاً من الناس على شعره وشعر أولاده. وفي هذه الثريا من الشعراء زهير هو النجم الأسطع.

زهير من مَزَيْنَةَ، وهي قبيلة مضرية صغيرة، وقد التصق والده «ربيعة»، المعروف بكنيته أبي سلمى، بقبيلة غطفان في قصة طويلة. وعاش زهير في أجواء النزاعات القبيلة رجلاً حكيماً غنياً. فقد قيل إنه ملك في زمنه ألف جمل. على أنه مدح سيدين من قبيلة مرة في الصلح الذي عقده بين عبس وذبيان ونال عطاياهما.

تزوج زهير «أم أوفى» فولدت له أولاداً ماتوا صغاراً، فتزوج «كبشة» فولدت له كعباً وبجيراً.

أحسن شعر زهير المعلقة، فها قد قلنا لك إنه من شعراء المعلقات. ونقول أيضاً إنه اشتهر بتنقيح شعره، وزعموا أنه كان يترك القصيدة حولاً كريماً، أي سنة كاملة، قبل أن يذيعها في الناس، وهو في أثناء ذلك يتقحها ويهذبها. وجعل المتفهبون من الأكاديميين هذا الصنيع «مدرسة شعرية»، وأجهدوا أنفسهم في إثبات أن الحطيئة من أتباعها. وهذا كله هراء نقدي، وجدناه عند القدماء وأتبعهم، بغير إحسان، جوقة الأكاديميين البغيضة.

١ ومهما تكن عند امرئ من خليفة.. (المعلقة)

تدخل هرم بن سنان والحارث بن عوف للإصلاح بين عيس وذبيان في سياق حرب داحس والغبراء، وبذلا المال الكثير في الدِّيَّات، قيل ثلاثة آلاف بعير، إلا أن رجلاً من ذُبْيَان، اسمه الحصين بن ضمضم، تخلف عن مجلس الصلح، لأمر في نفسه. واختلى يوماً بعبيّ فقتله انتقاماً لرجل من أقاربه. وتدارك الحارث بن عوف الأمر بأن أرسل إلى عيس مئة من الإبل ومعها ولذ له. وقال لعيس: هذا ابني تقتلون بأخيكم، أم الإبل أحب إليكم؟ فأخذوا الإبل، وسلم الولد، ودام الصلح. فقال زهير بن أبي سلمى يمدح الحارث وهرماً:

أَمِنْ أَمْ أَوْفَى دِمْنَةً لَمْ تَكَلِّمْ بِحَوْمَانِيَةِ الدَّرَاجِ فَالْمُتَنَلِّمِ
أهذا الطلل الذي لا يتكلم فيجيب عن سؤالنا هو طلل «أم أوفى»؟ وسَمَى مواضع بعينها

وَدَارٍ لَهَا بِالرَّقْمَتَيْنِ كَأَنَّهَا مَرَا جِيعٌ وَشَمٌ فِي نَوَاشِرِ مَعْصَمِ
رب دار لأم أوفى في الرقمتين، وقد رحلت عنها فبدت آثارها مفرقة كأنها الوشم المكرر الذي أعيد رسمه على عروق المعصم

بِهَا الْعَيْنُ وَالْآرَامُ يَمْشِيْنَ خَلْفَةً وَأَطْلَاؤُهَا يَنْهَضْنَ مِنْ كُلِّ مَجْئِمِ
هناك أرى العين، البقر الوحشي ذا العيون الواسعة - فما قد تبين لك معنى العين في تعبير «الحدور العين»، فأما الحدور فمن صفا سواد أعينهن في صفاء بياضها - وأرى الآرام، أي الأطباء، تمشي خلفه، سرباً خلف سرب، والأطلاء، صغار الأطباء، ينهضن من المراضى، ليلحقن بألماتهن

وَقَفْتُ بِهَا مِنْ بَعْدِ عِشْرِينَ حِجَّةً فَلَأَبَا عَرَفْتُ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُمِ
وقفت بأطلالها بعد عشرين سنة، فبطء عرفت الدار، وبعد كثير من الظنون

أَنَافِي سُعْفًا فِي مُعَرَّسٍ مِرْجَلٍ وَنُؤْيَا كَجِذْمِ الْحَوْضِ لَمْ يَتَثَلَّمِ
رأيت أنافي سعفاً، حجارة قذِر مسوَّدة، في مكان نصب القدر، ورأيت نُؤْيَا، قناة كانت تحفر حول الخيمة درءاً لماء المطر أن يدخل الخيمة، وهذه القناة مثل أصل حوض الماء، فكان سداً من الرمل المتيسر يكتنف القناة وما زال يبدو للعين لم يتثلَّم

فَلَمَّا عَرَفْتُ الدَّارَ قُلْتُ لِرَبْعِهَا أَلَا أَنْعَمَ صَبَاحاً أَبُهَا الرَّبْعُ وَاسْلَمِ
فلما تأكدت وعرفت أن هذا هو منزلها أَلقيت عليه التحية

تَبَصَّرَ خَلِيلِي هَل تَرَى مِنْ طَعَائِنِ تَحَمَّلْنَ بِالْعَلْيَاءِ مِنْ فَوْقِ جُرْثِمِ
يتنقل بخياله إلى ما قبل عشرين سنة. انظر يا صاحبي أترى النساء الراحلات على الإبل تسير على الهضبة التي تعلو نبع «جرثم»؟

جَعَلَنَّ «الْقَنَان» عَنْ يَمِينٍ وَحَزَنَهُ وَكَمْ بِالْقَنَانِ مِنْ مُجَلٍّ وَمُخْرِمٍ
 جعلت الرحلات جبل القنان وحزنه، سفوحه الوعرة، عن اليمين. . وما أكثر ما بهذا الموضع من
 قاصد بيت الله ومن مقيم لا يقصده

عَلَوْنَ بِأَنْمَاطٍ عِتَاقٍ وَكَلَّةٍ وَرَادٍ حَوَاشِيهَا مُشَاكِهَةَ الدَّمِ
 ركب النساء جمالهن المجللة بقماش مخطط، وعلى الهوداج الكلل، أي الستور، وحواشيها مودة
 بالحمرة القانية التي تشابهه، أي تشابهه، في لونها الدم

وَوَرَّكْنَ فِي «السُّوبَانِ» يَعْلَوْنَ مَتْنَهُ عَلَيْهِنَّ ذُلُّ النَّاعِمِ الْمُتَنَعِّمِ
 ركن أوراك الإبل في مرتفع «السوبان»، وهن نسوة ناعمات مدلات

بَكَّرْنَ بُكُوراً وَاسْتَحَرْنَ بِسُحْرَةٍ فَهَنَّ وَوَادِي الرَّسِّ كَالْيَدِ لِلْقَمِ
 رحلن باكراً ومضين في وقت السحر قبيل الفجر، يقصدن وادي الرس، وقد قصدهن قصد عارف
 بموضعه فلا يخطئه مثلما لا تخطئ يد الأكل موضع فمه

كَأَنَّ فُتَاتَ الْعِهْنِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ نَزَلْنَ بِهِ حَبُّ الْفَنَاءِ لَمْ يُحَظِّمْ
 كأن فئات العهن، الصوف المصبوغ، في كل مكان نزلن فيه للاستراحة، حب الفناء، ثمر أحمر،
 لم يُفْقِصْ ولم يُرْهَصْ ولم يُرْضَخْ، فهو إذا فُيْعِصَ زال لونه

فَلَمَّا وَرَدَنَّ الْمَاءَ زُرْقاً جِمَامُهُ وَضَعْنَ عِصْيَ الْحَاضِرِ الْمُتَخَيِّمِ
 لما وردن الماء الصافي، الذي يبدو صفاؤه في الأحواض العميقة، وضعن عصي الترحال ونزلن
 ونصبن الخيام

فَأَقْسَمْتُ بِالْبَيْتِ الَّذِي طَافَ حَوْلَهُ رِجَالٌ بَنَوْهُ مِنْ قُرَيْشٍ وَجُرْهُمِ . .
 أقسمت بالكعبة التي طاف بها الرجال الذين بنوها من قريش وجرهم . .

يَمِيناً لِنِعْمِ السَّيِّدَانِ وَجِدْتُمَا عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ سَحِيلٍ وَمُبْرِمٍ
 أنما خير سيدين سواء في حال السحيل أو المبرم، فالسحيل الجبل غير المحكم القتل، والمبرم
 المحكم القتل، كناية عن حالي الرخاء والشدّة

تَدَارَكْتُمَا عَبَساً وَذُبْيَانٍ بَعْدَمَا تَفَانَا وَدَقُّوا بَيْنَهُمْ عِطْرَ مَنْشِمٍ
 أنفدتما قبيلتي عبس وذبيان بعد أن كادوا يتفانون، أي يفني بعضهم بعضاً، وبعد أن دقوا بينهم عطر
 منشم، وقيل إن منشم هذه كانت امرأة تبع العطر، يتعطر عندها الرجال قبل المضي إلى الحرب.
 (ذكر الأعلام الشنمري أربع قصص لطيفة تفسر «عطر منشم»، واخترنا منها الأشهر)

وَقَدْ قُلْتُمَا إِنَّ نُدْرِكَ السَّلْمِ وَاسِعاً بِمَالٍ وَمَعْرُوفٍ مِنَ الْقَوْلِ نَسْلِمٍ
 وحاولتما تحقيق السلم ببذل المال وإرضاء المتحاربين من الطرفين

فَأَصْبَحْتُمَا مِنْهَا عَلَى خَيْرِ مَوْطِنٍ بَعِيدَيْنِ فِيهَا مِنْ عُقُوقٍ وَمَأْتِمٍ

فوقتما إلى خير موضع .. إلى موضع ابتعدتم فيه عن العقوق والإثم

تَعَفَّى الْكُلُومُ بِالْمِثْنِ فَأَصْبَحَتْ يُنَجِّمُهَا مَنْ لَيْسَ فِيهَا بِمُجْرِمٍ
تعفى الكلوم، أي تمنحي الجراح، ببذل مئآت النياق، وقد أصبح ينجم هذه النياق، أي يعطيها
دفعاً وراء دفعه، من لم يرتكب أي جرم، ولم يكن طرفاً في الحرب

فَأَصْبَحَ يَجْرِي فِيهِمْ مِنْ تِلَادِكُمْ مَغَانِمٌ شَتَّى مِنْ إِفَالٍ «الْمُزْنَمِ»
أصبح يجري في القوم المتحاربين الخير الكثير من مالكم الموروث، من تلك الإفال، أي النياق
الصغيرة، من نسل الفعل المعروف باسم المزنم

أَلَا أَبْلِغَ الْأَحْلَافَ عَنِّي رِسَالَةً وَذُبْيَانًا، هَلْ أَقْسَمْتُمْ كُلُّ مُقْسِمٍ
أبلغ ذبيان والأحلاف رسالتي: هل أقسمتم على القتال وتعاهدتم على رفض الصلح؟

فَلَا تَكْتُمَنَّ اللَّهُ مَا فِي نَفْسِكُمْ لِيَخْفَى، وَمَهْمَا يُكْتَمِ اللَّهُ يَعْلَمِ
فلا تكتموا في نفوسكم حقداً، بعد الصلح، فالله يعلم ما في الصدور

يُؤَخَّرُ فَبِوَضْعٍ فِي كِتَابٍ فَبِدُخْرٍ لِيَوْمِ الْحِسَابِ أَوْ يُعْجَلُ فَبِنَقَمٍ
وكتمان الحقد والتنطح للثأر لاحقاً، أمر يوضع في حسابكم عند الله لعقاب آجل، أو عقاب عاجل

وَمَا الْحَرْبُ إِلَّا مَا عَلِمْتُمْ وَذُقْتُمْ وَمَا هُوَ عَنْهَا بِالْحَدِيثِ الْمُرْجَمِ
وأنتم تعلمون حقيقة الحرب وقد ذقتموها، وليس الحديث عنها حديث ظنون وأوهام

مَتَى تَبْعَثُوهَا تَبْعَثُوهَا دَمِيمَةً وَتَضُرُّ إِذَا ضَرَّيْتُمُوهَا فَتَضُرُّ
إذا بدأتُم بالحرب فهي ذميمة يقع عليكم الذم بها، وإذا ضربتُموها، وأشعلتموها شاملة، فهي تصبح
ضاربة مفترسة، وتشعل ناراً

فَتَعْرُكُكُمْ عَرَكُ الرَّحَى بِثِفَالِهَا وَتَلْقَحُ كِشَافاً ثُمَّ تُنْتِجُ فُتْنَتِمْ

تطحنكم الحرب مثلما تطحن الرحى القمح وتحتها ثفالها، الجلد الذي يوضع ليقط
عليه الجريش، والحرب تكبر وتتعاظم فهي كالشاة التي تتلقى اللقاح مرتين في العام،
ثم تلد التوائم. (راجعتم نحو خمسة عشر كتاباً من طبقات شتى لديوان زهير ولشرح
المعلقات، وكلها يرفع «تعرككم»، غير منتبه إلى وجوب الجزم إلا محمد علي
الهاشمي في تحقيقه جمهرة القرشي، ومحمد علي طه الدرة في إعراب المعلقات)

فَتُنْتِجُ لَكُمْ غِلْمَانٌ أَشْأَمٌ، كُلُّهُمْ كَأَحْمَرِ عَادٍ، ثُمَّ تُرْضِعُ فَتَقْطِمْ

ونتيجة الحرب - بما أننا نتحدث عن الولادة - هي غلمان شؤم مثل أحمر عاد، قَدَار
المشؤوم الذي عقر ناقة صالح فسيب لقومه الهلاك. يولد فيكم أبناء شؤم في الحرب،
يرضعون حرباً ويفطمون على حرب، ويكبرون ويطلبون الثأر، فهي دائرة شر لا تنتهي

فَتُغْلِلُ لَكُمْ مَا لَا تُغِلُّ لِأَهْلِهَا قُرِئَ بِالْعِرَاقِ مِنْ قَفِيزٍ وَزَهْمٍ

يقول ساخرأ: تكون غلة الحرب وحصادها مثل حصاد قري العراق التي تكال بالقفيز وتوزن بالدرهم، فحصادكم كثير لكنه حصاد قتلى وجرحى

لَعَمْرِي لِنِعَمِ الْحَيِّ جَرَّ عَلَيْهِمْ بِمَا لَا يُؤَاتِيهِمْ حُصَيْنُ بْنُ ضَمْصَمٍ

القوم طيبون ولكن حصيناً هذا جر عليهم البلاء الذي لا يقوم بمصلحتهم، فهو قد غاب عن مجلس الصلح مضمرأ شراً، ثم انتقم لأخيه وقتل رجلاً من عبس

فَسَدَّ فَلَمْ يُفْزَعْ بُيُوتاً كَثِيرَةً لَدَى حَيْثُ أَلْقَتْ رَحْلَهَا أُمُّ قُشْعَمٍ

لقد شد شدة وهاجم غريمه دون أن يتعرض لغيره، ووجده في المكان الذي ألقت فيه رحلها «أم قشعم» كناية عن الموت. أي أنه قتله

سَمِئْتُ تَكَالِيفَ الْحَيَاةِ وَمَنْ يَعِشُ ثَمَانِينَ حَوْلًا لَا أَبَالَكَ يَسَامٍ

سممت شدائد العيش، ولا غرابة في أن يسام من يعيش ثمانين سنة

وَأَعْلَمُ مَا فِي الْيَوْمِ وَالْأَمْسِ قَبْلَهُ وَلَكِنِّي عَنْ عِلْمٍ مَا فِي غَدٍ عَمٍ

خبرتي جعلني أعرف تفاصيل ما جرى أمس وما يجري اليوم، ولكنني عم، جاهل، عما سيأتي به الغيب

رَأَيْتُ الْمَنَايَا خَبَطَ عَشَوَاءَ مَنْ تُصِيبُ تُمِئْتُهُ وَمَنْ تُخْطِئُ يُعَمَّرُ فَيَهْرَمُ

الموت كخبط الناقة العشواء، التي لا تبصر في الظلام فهي تدوس كل شيء، وكذا الموت فهو يصيب الناس عشوائياً، فمن أصابه مات، ومن تركه عاش وشاخ

وَمَنْ لَمْ يُصَانِعْ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ يُضَرَّسُ بِأَنْيَابٍ وَيُوطَأُ بِمَنْسِمٍ

ومن لم يجامل الناس يخضوه بأسنانهم ويؤذوه، ويدوسوه كما يدوس البعير الشيء بمناسمه، أي بأخفافه

وَمَنْ يَجْعَلَ الْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ يَفِرُّهُ، وَمَنْ لَا يَتَّقِ الشَّتْمَ يُشْتَمُ

من يحمي شرفه بتقديم المعروف للناس فإنه يفره، أي يتركه وافرأ غير منقوص، ومن لا يجعل لنفسه وقاية من الشتم فالناس تشتمه

وَمَنْ يَكُ ذَا فَضْلٍ فَيَبْخُلُ بِفَضْلِهِ عَلَى قَوْمِهِ يُسْتَفَنُّ عَنْهُ وَيُذَمُّ

الغني الذي لا يبذل لقومه من ماله يستغني عنه قومه فيصبح منبوذاً، ويذمونه

وَمَنْ يُوفِ لَا يُذَمَّمْ، وَمَنْ يَهْدِ قَلْبُهُ إِلَى مُطَمِّنٍ الْبِرِّ لَا يَتَجَمِّعُ

من وفى بالحق لم يلحقه الذم، ومن يهتد إلى فعل الخير لا يتجمعجم ولا يتردد

وَمَنْ هَابَ أَسْبَابَ الْمَنَایَا يَتَلَنَّهُ وَإِنْ يَزِقَّ أَسْبَابَ السَّمَاءِ يَسْلُمِ
الهاب من أسباب الموت، أي حباله، لا بد له من أن يموت حتى لو صعد إلى أسباب السماء،
أي أبوابها، بسلام

وَمَنْ يَجْعَلِ الْمَعْرُوفَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ يَكُنْ حَمْدُهُ ذِمًّا عَلَيْهِ وَيَنْدَمِ
من يحسن إلى من لا يستحق الإحسان يتقلب الحمد المرتقب إلى ذم، ويندم المحسن

وَمَنْ يَعْصِي أَطْرَافَ الزَّجَاجِ فَإِنَّهُ يُطِيعُ الْعَوَالِي رُكْبَتَ كُلِّ لَهْدَمِ
من تمرّد على الرُّج، الحديدية التي في ذيل الرمح، فسيأتي عليه يوم يطيع فيه الرماح
العوالي التي ركبت فيها الأسنة المدببة. وكان المتحاربون في القديم إذ يتقابل
الجمعان يصوب كل جمع إلى الخصوم ذبول الرماح، فيسعى الساعون في الصلح،
فإن لم ينجح الصلح قلب المتحاربون الرماح وتطاعنوا بالأسنة

وَمَنْ لَمْ يَذُدْ عَنْ حَوْضِهِ بِسِلَاحِهِ يُهْدَمَ، وَمَنْ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ يُظْلَمِ
من لم يدافع عن حوضه الذي يجمع فيه الماء لسقي إبله بسلاحه فسوف يهدم الأعداء حوضه،
ومن لم يظلم الناس فهم يبادرون إلى ظلمه

وَمَنْ يَغْتَرِبَ يَحْسَبَ عَدُوًّا صَدِيقَهُ وَمَنْ لَمْ يُكْرَمْ نَفْسُهُ لَمْ يُكْرَمْ
المغترب غشيم يحسب العدو صديقاً، ومن لم يترفع عن الدنيا سقط في أعين الناس

وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امْرِئٍ مِنْ خَلِيقَةٍ وَإِنْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ تُعْلَمِ
والمرء لا يستطيع إخفاء خلائقه أي طباعه، فالناس ترى سريره في وجهه

وَكَايُنْ تَرَى مِنْ صَامِتٍ لَكَ مُعْجِبٍ زِيَادَتُهُ أَوْ نَقْصُهُ فِي التَّكَلُّمِ
كثيراً ما يعجبك الرجل الصامت، ولكن حقيقته تبدو عندما يتكلم

لِسَانُ الْفَتَى نِصْفٌ وَنِصْفٌ فُؤَادُهُ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صُورَةُ اللَّحْمِ وَالْدَّمِ
منطق الإنسان نصف قيمته، والنصف الثاني ضميره، وسوى ذلك مجرد لحم ودم

وَإِنَّ سِفَاهَ الشَّيْخِ لَا حِلْمَ بَعْدَهُ وَإِنَّ الْفَتَى بَعْدَ السَّفَاهَةِ يَحْلُمِ
إذا رأيت الشيخ أحق فلا أمل في أن يصبح عاقلاً، وأما الفتى فقد يصبح عاقلاً بعد إذ كان سفهاً

سَأَلْنَا فَأَعْطَيْتُمْ وَعُدْنَا فَعُدْتُمْ وَمَنْ أَكْثَرَ التَّسْأَلِ يَوْمًا سُبُحْرَمِ
قد سألناكم من معروفكم مرة فأعطيتم، وكررنا السؤال وكررتم العطاء، لكنني أعلم أن من يكثر من
السؤال سيلقى الحرمان

٢ آخر موعد

فَلَوْ كَانَ حَمْدٌ يُخْلِدُ النَّاسَ لَمْ تَمُتْ وَلَكِنْ حَمْدَ النَّاسِ لَيْسَ بِمُخْلِدٍ
لو كان الحمد يجعل الناس تخلص لما أُنك الموت، فالكل لك حامد شاكر، ولكن الحمد لا يخلص أحداً
وَلَكِنْ مِنْهُ بَاقِيَاتٍ وَرَائَهُ فَأُورِثَ بَنِيكَ بَعْضَهَا وَتَزَوَّدْ
غير أن الحمد يبقى بعد موت الإنسان ويره الأبناء، فليتزود الإنسان من الأفعال الحسنة كي ينعم
بشكر الناس، وينعم أبناؤه بالسمعة الطيبة

تَزَوَّدْ إِلَى يَوْمِ الْمَمَاتِ فَإِنَّهُ، وَلَوْ كَرِهَتْهُ النَّفْسُ، آخِرُ مَوْعِدٍ
ولفظ المرء حريصاً على التزود من المكارم حتى يوم مماته، فيوم الممات هو
الموعد الأخير. وبعد زهير جاء الإسلام فأصبح الممات الموعد قبل الأخير، إذ يأتي
بعده يوم حساب، ولعل زهيراً تأثر في زمنه بيهود يثرب، وكان قومه يسكنون على
أطرافها، وإن كان أبو زهير انتقل للسكنى في شرق جزيرة العرب، ولم يكن مفهوم
يوم الحساب متبلوراً عند اليهود، على أن زهيراً يذكر يوم الحساب في معلقته

٣ فوق الشمس

قال يمدح هرم بن سنان وإخوته:

لَوْ كَانَ يَقْعُدُ فَوْقَ الشَّمْسِ مِنْ كَرَمٍ قَوْمٌ لِأَوْلَاهُمْ يَوْمًا إِذَنْ قَعَدُوا
لو كان قوم يقعدون فوق الشمس بسبب أولهم، أي بسبب أمجاد أجدادهم، لقعد هؤلاء إذن، لأن
أجدادهم أعظم الأجداد

قَوْمٌ أَبُوهُمْ سِنَانٌ حِينَ تَنْسُبُهُمْ طَابُوا وَطَابَ مِنَ الْأَوْلَادِ مَا وَلَدُوا
أبوهم، أي جدهم، سنان. وأصلهم طيب وفرعهم طيب أيضاً

جِنْ إِذَا فَزِعُوا، إِنْسُ إِذَا أَمِنُوا مُمَرَّدُونَ بِهَالِيلٍ إِذَا جَهَدُوا
إذا أَلَم بهم فزع، من هجوم أو نحوه، فهم شجعان كأنهم الجن، ولكنهم أنيسون في وقت الأمن
والدعة، وهم مرددون، أي شامخون، وبهاليل، أي سادة كرام إذا جهدوا، أي قل ما بأيديهم من
مال، فالفقير لا يقدّمهم الشموخ والسيادة

لَوْ يُعْدَلُونَ بِوِزْنٍ أَوْ مُكَائِلَةٍ مَالُوا بِرِضْوَى، وَلَمْ يُعْدَلْ بِهِمْ أَحَدٌ
لو كان يمكن مقارنتهم بوزن أو بكيل لكانوا أثقل وأكبر من جبل رضوى، ولا أحد في الناس
يعادلهم

مُحَسَّدُونَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ نِعَمٍ لَا يَنْزِعُ اللَّهُ مِنْهُمْ مَا بِهِ حُسِدُوا
يحسداهم الناس على ما نالهم من نعمة وشرف، وليبق الله لهم هذا الشرف الذي عليه حُسدوا

٤ أنت تخلق وتُفري

قال يمدح هَرم بن سنان:

لِمَنِ الدِّيارُ بِقُنَّةِ الحَجَرِ أَقْوَنَ مِنْ حَجَجٍ وَمِنْ دَهْرٍ
لمن هذه الديار في ذلك الموضع؟ لقد أقوت، خلث وأقوت، منذ سنين، بل منذ دهر
دَعْ ذَا وَعَدِّ القُولِ فِي هَرمِ خَيْرِ البُدَاةِ وَسَيِّدِ الحَضَرِ
دع ذا، اترك هذا الموضوع، وانتقل الكلام إلى هَرم بن سنان، فهو خير من سكن البادية، وسيد
من سكن القرى

وَلَنِعمَ حَشُو الدُّرْعِ أَنْتَ إِذَا دُعِيتَ نَزَالٍ وَلُجَّ فِي الدُّعْرِ
أنت أحسن حشو للدرع، أي أنت أحسن مقاتل، إذا قيل «نزال» أي هيا للمنازلة، وإذا ازداد
الخوف لوقوع هجوم أو غزو

جَلْدٍ يَحُثُّ عَلَى الجَمِيعِ إِذَا كَرِهَ الظُّنُونُ جَوامِيعَ الأَمْرِ
هو جلد صبور، ويحث على «الجميع» أي التكاتف والاجتماع، في حين يكره الشخص الظنون
المتعدد التألف

فَلَأَنْتَ تُفْرِى مَا خَلَقْتَ وَبَعْدَ ضُ القومِ يَخْلُقُ ثم لَا يَفْرِى
أنت تفري، أي تقص، ما خلقت، ما خططت.. وبعض الناس يصنع خطوطاً على الجلد، ولكنه
لا يتجرأ فيقص الجلد. المعنى: أنت تخطط وتنفذ، وبعضهم يخطط، ويجبن عن التنفيذ
لو كُنتَ مِنْ شَيْءٍ سِوَى بَشَرٍ كُنتَ المُنَوَّرَ لَيْلَةَ البَدْرِ
لولا أنك بشر لكنت بدر السماء

٥ أنتم إلى الصلح أفقر

قال زهير لبني سُلَيم، وبلغه أنهم يريدون الإغارة على غطفان:

رَأَيْتُ بَنِي آلِ امرئِ القيسِ أَصْفَقُوا عَلَيْنَا، وقالوا: إِنَّا نَحْنُ أَكْثَرُ
رأيت بني امرئ القيس (وهم هَوازِنُ وسُلَيم) اجتمعوا علينا وزعموا أنهم أكثر عدداً منا
خُذُوا حَظَّكُمْ مِنْ وَدُنَّا، إِنَّ قُرْبَنَا إِذَا ضَرَسَتْنا الحربُ، نَارٌ تَسْعَرُ
أنصحكم بالود بدل العداوة، فنحن إذا عضتنا الحرب بأضراسها كالنار المستعرة

وإِنَّا وَإِيَّاكُمْ إِلَى ما نَسُومُكُمْ لَمِثْلانٍ، أَوْ أَنْتُمْ إِلَى الصُّلْحِ أَفْقَرُ
وحالنا معكم في هذا الذي نسومكم، وندعوكم إليه، حال متقاربة، أي أننا أنداد، لا بل أنتم
أحوج منا إلى الصلح.

٦ أقيمي أم كعب

قال زهير لأم كعب ولده كعب:

وَقَالَتْ أُمُّ كَعْبٍ: لَا تَزُرْنِي فَلَا وَاللَّهِ مَا لَكَ مِنْ مَزَارٍ

صددت عنه زوجته أم كعب وفركته ونشزت عليه، ونفرت منه

رَأَيْتُكَ عِبْتَنِي وَصَدَدْتَ عَنِّي وَكَيْفَ عَلَيْكَ صَبْرِي وَاضْطِبَارِي

وهي تقول له إنه يذكر لها عيوباً، ويصد عنها، فلا طاقة لها بالصبر على ذلك ولا بالاصطبار، أي تكلف الصبر

فَلَمْ أَفْسِدْ بَنِيكَ، وَلَمْ أُقْرُبْ إِلَيْكَ مِنَ الْمُلَمَّاتِ الْكِبَارِ

تواصل كلامها: لم أفسد بنيك، ولعلها تقصد أنها لم تشحنهم بالبغض لأبيهم كما يفعلون ويفعلون في الخصومات العائلية، ولم أرتكب شيئاً من الخيانة الكبيرة

أَقِيمِي أُمُّ كَعْبٍ وَاطْمَئِنِّي فَإِنَّكَ مَا أَقَمْتِ بِخَيْرٍ دَارٍ

يقول لها: امكثي معي يا أم كعب، واطمئني

٧ - يشقُّون إليه الطرق

قال بمدح هرم بن سنان وأباه وإخوته:

إِنَّ الْخَلِيظَ أَجَدَّ الْبَيْنَ فَأَنْفَرَقَا وَعُلِقَ الْقَلْبُ مِنْ أَسْمَاءَ مَا عَلِقَا

جدد الخليط، الجيران، الفراق فرحلوا مرة أخرى.. ولكن القلب تعلق به من حب أسماء ما تعلق

وَفَارَقْتُكَ بِرَهْنٍ لَا فَكَّاكَ لَهُ يَوْمَ الْوَدَاعِ، فَأُمْسَى الرَّهْنُ قَدْ عَلِقَا

يخاطب نفسه: فارتقتك وقد ارتهنت قلبك ارتهاناً لا فكاك له، فقد غلق الرهن، أي مضى وقته المعلوم وأصبح المرتهن ملكاً ثابتاً للمالك الثاني

قَدْ جَعَلَ الْمُبْتُونُ الْخَيْرَ فِي هَرَمٍ وَالسَّائِلُونَ، إِلَى أَبْوَابِهِ طُرُقَا

يغير الموضوع: الطالبون المعروف من هرم بن سنان ظلوا يأتون إليه حتى لقد شقوا طرقاً جديدة من وقع أقدامهم تنتهي إلى أبوابه، وهم يأتون من أماكن عدة فالطرق التي شقوها كثيرة. وهذا البيت أعجب القدماء كثيراً، قال الأصمعي هو "بيت القصيدة"

إِنْ تَلَقَّ يَوْمًا عَلَى عِلَاتِهِ هَرِمًا تَلَقَّ السَّمَاحَةَ مِنْهُ وَالتَّدَى خُلُقَا

إذا لقيت هرم بن سنان، حتى في علاته أي وهو يعاني الضيق، فإنك ستجد السماحة والتدنى، أي السخاء، من طباعه

لَيْتُ بَعَثَرَ يَصْطَادُ الرِّجَالَ إِذَا مَا كَذَّبَ اللَّيْثُ عَنْ أَقْرَانِهِ صَدَقَا

هو أيضاً لَيْثٌ من لِيُوثٍ مَأْسَدَةٍ «عَثَرَ»، فهو شجاع يصطاد الرجال. فإن كَذَّبَ اللَّيْثُ ما يرتجى منه في لقاء أقرانه فإن هَرَمًا يصدق ويأتي بما كان متوقعاً منه

يَطْعَنُهُمْ مَا ارْتَمَوْا، حَتَّى إِذَا طَعَنُوا ضَارَبَ حَتَّى إِذَا مَا ضَارَبُوا اعْتَنَقَا

يطعن بالرمح عندما يتعدد الخصوم ويرمون بالسهام عن بعد، فإذا طعن الأعداء بالرمح فهو يقترب أكثر ويضاربهم بالسيف، فإذا استعملوا السيوف، فهو أشجع منهم ويقترب أكثر ويعتق الخصم اعتناقاً كي يرميه أرضاً، فهو دوماً يسبق الخصم درجةً في الشجاعة والجرأة

هَذَا وَلَيْسَ كَمَنْ يَغْيَا بِخُطَّتِهِ وَسَطَ النَّدِيِّ إِذَا مَا نَاطِقٌ نَطَقَا

وهو فصيح لا يعجز عن بيان رأيه وسط متدى القوم عندما يكون هناك تبادل للرأي

٨ لا تمعك بعرضك

كان الحارث بن ورقاء الصبيدائي من بني أسد أغار على قوم من غطفان، فاستاق إبلاً لزهير، وأسر راعيَه يَسَاراً، فقال زهير:

ارْزُدْ يَسَاراً وَلَا تَعْنُفْ عَلَيْهِ، وَلَا تَمْعَكَ بِعَرْضِكَ، إِنَّ الْغَادِرَ الْمِعْكَ

رَدَّ عَلَيَّ خَادِمِي يَسَاراً، وَلَا تَعَامَلْ بِخَشُونَةٍ، وَلَا تَمْعَكَ بِعَرْضِكَ، تَمْرُغُ الْغَادِرَ مِعْكَ مِمَارٍ

وَلَا تَكُونَنَّ كَأَقْوَامٍ عَلِمْتَهُمْ يَلُوُونَ مَا عِنْدَهُمْ حَتَّى إِذَا نُهِكُوا . .

لا تكن مثل أولئك الذين يلوون ما عندهم، يمتنعون من أداء الحق، حتى إذا نُهِكُوا، أي شتموا . .

طَابَتْ نَفْسُهُمْ عَنْ حَقِّ خَصْمِهِمْ مَخَافَةَ الشَّرِّ فَارْتَدُّوا لِمَا تَرَكَوا

عندئذٍ تسمح نفوسهم بما في أيديهم الذي هو حق لخصمهم، فهم يخافون العواقب فيردون الحق لصاحبه خوفاً لا حباً للعدل

٩ ولكن، أم أوفى لا تبالي

قال في زوجته أم أوفى، وكانت ولدت له أولاداً فماتوا، فنزج أخرى ولدت له كعباً وبجيراً، فأذنته الأولى، أم أوفى، فطلقها فندم:

لَعَمْرُكَ وَالْخُطُوبُ مُغَيَّرَاتٌ وَفِي طُولِ الْمَعَاشِرَةِ التَّقَالِي

المصائب تغير المرء، وطول العشرة يفضي إلى التقالي، أي التباغض وتبادل الكراهية

لَقَدْ بَالَيْتُ مَظْعَنَ أُمِّ أَوْفَى وَلَكِنْ، أُمُّ أَوْفَى لَا تُبَالِي

لقد أصابني هم لمظعن، ورحيل، أم أوفى، ولكنها هي لم تبال بذلك

فَأَمَّا إِذْ نَأَيْتَ فَلَا تَقُولِي لِذِي صَهْرٍ أَذَلْتُ، وَلَمْ تُذَالِي
والآن وقد فارقيني فلا تقولي لأصهاري، أهلك، إنني أهلك، فانت لم تُهاني
أَصَبْتُ بَنِيَّ مِنْكَ، وَنَلَيْتَ مِنِّي مِنَ اللَّذَاتِ وَالْحُلَلِ الْعَوَالِي
أنا حصلت منك على أبناء، وأنت حصلت على عيشة رخيّة، وعلى ثياب غالية. وقيل مات أولاده
منها صغاراً

١٠ وهل ينبت الخطي إلا وشيجه!

قال يمدح سنان بن أبي حارثة المري:

وَفِيهِمْ مَقَامَاتُ حِسَانٍ وَجُوهُهُمْ وَأَنْدِيَّةٌ يَنْتَابُهَا الْقَوْلُ وَالْفِعْلُ

تجد في مجالس القوم الوجوه الطيبة الحسنة، وتجد مجالس فيها قول وفعل، فهم يعدون
بالمعروف ويفعلونه أيضاً

عَلَى مُكْثَرِيهِمْ رِزْقٌ مَنْ يَغْتَرِبُهُمْ وَعِنْدَ الْمُقْلِبِينَ السَّمَاخَةُ وَالْبَذَلُ

يتكفل أغنيائهم برزق من يعتريهم فقر، وحتى المقلّون منهم، الأقفر حالاً، فعندهم سماخة، أي
سخاء، وبذل للمال

وإن جِثَّتْهُمْ أَلْفَيْتَ حَوْلَ بُيُوتِهِمْ مَجَالِسٌ قَدْ يُشْفَى بِأَحْلَامِهَا الْجَهْلُ

مجالسهم فيها أحلام، أي عقول، تمنع الجهل، والجهل هو التهور واللجوء إلى العنف بغير روية

وإن قَامَ فِيهِمْ حَامِلٌ قَالَ قَاعِدٌ: رَشَدْتُ، فَلَا غُرْمَ عَلَيْكَ وَلَا خَذَلُ

إذا قام في المجلس رجل حامل، لديه حمالة أي عليه دية يجب دفعها، فالقاعد يقول له: لا تحمل
هماً ولا غرم عليك، لا تبعة مالية، ولن نخذلك

وَمَا يَكُ مِنْ خَيْرٍ أَتَوْهُ فِلَانُ مَا تَوَارَتْهُ آبَاءُ آبَائِهِمْ قَبْلُ

والخير الذي يفعلونه ليس جديداً، بل قد ورثوه عن آبائهم وأجدادهم

وَهَلْ يُنْبِتُ الْخَطِيَّ إِلَّا وَشِيْجُهُ وَتُغْرَسُ، إِلَّا فِي مَنَابِتِهَا، النُّخْلُ

هل ينبت الخطي، أي الرمح، إلا الوشيج، أي الغصن القوي، وهل تغرس النخلة إلا في المنبت
الملائم؟ يقصد أن الكرم يوجد في الأسرة الكريمة

١١ - كأنك تعطيه الذي أنت سائله

قال يمدح حصن بن حذيفة بن بدر:

صَحَا الْقَلْبُ عَنْ سَلْمَى وَأَقْصَرَ بِاطِلَةٌ وَعُرِّيَ أَفْرَاسُ الضُّبَا وَرَوَّاحِلُهُ

هدأ القلب وسلا عن سلمى، وكف عن اللهو والتصابي، وسكنت خيول اللهو ونياقه فتعرت من
سروجها ولم تعد تسافر في طريق اللهو

وَقَالَ الْعَذَارَى: إِنَّمَا أَنْتَ عَمْنَا وَكَانَ الشَّبَابُ كَالْخَلِيطِ نُرَايِلُهُ
الآن صارت العذاري يناديني: يا عمنا، وقد رحلنا عن الشباب مثلما نرحل عن الخلط، الجيران
إِذَا مَا عَدُونَا نَبْتَغِي الصَّيْدَ مَرَّةً مَتَى نَرَهُ فَلِنُنَا لَا نُخَاتِلُهُ
عندنا خيول سريعة، فإذا رأينا الغزال مثلاً فلا نتحایل عليه بل نسرع إليه ونصطاده
فَبَيْنَا نُبْغِي الصَّيْدَ جَاءَ غُلَامُنَا يَدِبُّ وَيُخْفِي شَخْصَهُ وَيُضَائِلُهُ
ونحن نصطاد جاء غلامنا يتسلل ويخفي رأسه، ويكاد يخفي شخصه، وهو يرقب الغزال البعيد
وَقُلْتُ: تَعْلَمُ أَنَّ لِلصَّيْدِ غَرَّةً وَالْأُ تَضِيْعُهَا فَلَيْكَ قَاتِلُهُ
قلت له: اعلم أن للصيد غرة، لحظة فاصلة تنال فيها الفريسة، فإن لم تضع هذه اللحظة فقد
أصبقت مقلتها
وَأَبْيَضَ فَيَاضَ يَدَاهُ عَمَامَةً عَلَى مُعْتَفِيهِ مَا تُغِيبُ قَوَاضِلُهُ
بغير الموضوع: رب سيد أبيض الوجه فياض، سخي، يده كالسحابة تعطي المعتفين، القاصدين
معروفه، ولا تنقطع عطاياه
بَكَرْتُ عَلَيْهِ عُذْوَةً فَرَأَيْتُهُ قُعوداً لَدَيْهِ بِالصَّرِيمِ عَوَازِلُهُ
جئت مبكراً فرأيت قاعداً على الرمل وحواليه العاذلات اللانمات
يُفْدِيَنَّهُ طَوْرًا، وَطَوْرًا يَلْمَنَهُ وَأَعْيَا، فَمَا يَذَرِيْنَ أَيْنَ مَخَاتِلُهُ
يتحايِلن عليه، ولعلهن أخواته وعماته، فأحياناً يقرن له: فديناك، وأحياناً يلمنه على سخائه، وقد
أعجزهن فما يدرين أين مخائله، مواضع النفاذ إلى قناعاته لتغييرها
فَأَقْصَرَنَ مِنْهُ عَنْ كَرِيمٍ مُرَزِّي عَزُومَ عَلَى الْأَمْرِ الَّذِي هُوَ فَاعِلُهُ
فانصرفن عن هذا الكريم المرزئ، الذي يهين ماله، والعزوم الذي لا يغير من إصراره على
فعل ما يريد
أَخِي ثِقَةٍ لَا تُثْلِفُ الْخَمْرُ مَالَهُ وَلَكِنَّهُ قَدْ يُهْلِكُ الْمَالَ نَائِلُهُ
وهو صاحب ثقة لا يفتق ماله في الخمر، ولكن ماله قد يهلك لكثرة ما يعطي الناس
نَرَاهُ إِذَا مَا جِئْتَهُ مُتَهَلِّلًا كَأَنَّكَ تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ
إذا جئت تطلب رأيته مستبشراً فكأنك أنت الذي تعطي لا العكس
وَذِي نَسَبٍ بَعِيدٍ وَصَلَّتْهُ بِمَالٍ، وَمَا يَذَرِي بِأَنَّكَ وَاصِلُهُ
ورب رجل بعيد النسب عنك قد أعطيت المال دون أن يدرى بأن هذا المال منك، ذلك أن مالك
الذي تعطيته للناس وفير فالناس يعطون الآخرين مما ينالون منك

وَذِي نِعْمَةٍ تَمَمَّتْهَا وَشَكَرْتُهَا وَخَصِمَ يَكَادُ يَغْلِبُ الْحَقُّ بَاطِلُهُ
 رب رجل أنعمت عليه فتسببت بذلك أن نلت منه شكراً على النعمة فكانك أنت شكرتها، ورب
 خصم يكاد باطله يتغلب على الحق

دَفَعَتْ بِمَعْرُوفٍ مِنَ الْقَوْلِ صَائِبٍ إِذَا مَا أَضَلَّ النَّاطِقِينَ مَقَاصِلُهُ
 دفعت هذا الخصم المكابر بقول حسن صائب، في حين لا يهتدي الناطقون إلى الرأي السديد،
 مثلما لا يهتدي الغشيم إلى موضع الفصل وهو يقطع أوصال الذبيحة

وَذِي خَطَلٍ فِي الْقَوْلِ يَحْسَبُ أَنَّهُ مُصِيبٌ، فَمَا يُلِمُّ بِهِ فَهُوَ قَائِلُهُ
 ورب أحمق يحسب نفسه مصيباً في كلامه، وهو من أولئك الذين يقولون أول ما يعن على بالهم
 دون روية

عَبَاتٌ لَهُ حِلْمًا، وَأَكْرَمَتْ غَيْرَهُ وَأَعْرَضَتْ عَنْهُ، وَهُوَ بَادٍ مَقَاتِلُهُ
 وقد أعددت لهذا حلماً، صبراً وأناة، وأنت بصبرك عليه تكرم قومه إذ لا تعاقب أخاهم السفیه،
 وأنت تعرض عنه مع أن مواضع العيب فيه بادية للعيان

حُذِيفَةُ يَنْمِيهِ، وَبَذَرٌ كِلَاهُمَا إِلَى بَاذِخٍ يَغْلُو عَلَى مَنْ يُطَاوِلُهُ
 يصف الممدوح: هو ابن حذيفة بن بدر، وأبوه وجده كلاهما في جبل عالٍ من الشرف لا يستطيعه
 من يحاول الوصول إليه

وَمَنْ مِثْلُ حِصْنٍ فِي الْحُرُوبِ، وَمِثْلُهُ لِإِنْكَارِ ضَيْمٍ أَوْ لِأَمْرِ يُحَاوِلُهُ
 و«حصن بن حذيفة بن بدر» الممدوح لا يوجد مثله في الحروب، ولا في إنكار الظلم، ولا في
 إنجاز ما يسعى لإنجازه

١٢ ليتق الله سائله

تَرَى الْجُنْدَ وَالْأَعْرَابَ يَغْشَوْنَ بَابَهُ كَمَا وَرَدَتْ مَاءَ «الْكَلَابِ» هَوَامِلُهُ
 يغشى، يأتي، الجند والأعراب باب الممدوح فكانهم الإبل الضالة التي ترد ماء «الكلاب» لتشرب
 فَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي كَفِّهِ غَيْرُ نَفْسِهِ لَجَادَ بِهَا، فَلْيَتَّقِ اللَّهَ سَائِلُهُ
 لو لم يبق في يديه سوى روحه لأعطاها للناس، فليتق الله من يسأله ولا يكثر في الطلب

١٣ هجاء بالغلط

نزل رجل ببني عُلَيْمٍ فأكرموه، ولكنه ظل يُقَامِر، وظلوا يحسنون إليه، ويرُدُّون عليه
 ماله، وفي النهاية أخرجوه عنهم، وحبسوا المال الذي خسره. فأتى زهيراً فشكا إليه ما
 صنعوا به. فهجاهم زهير، غير عارف بسوء صنيع المقامر الشاكي. ثم ندم زهير أشد

الندم على هذا الهجاء. وما هو هجاؤه لهم، (ولعل بني حصن وبني مصاد، المذكورين في القصيدة، من فروع أو من أصول بني عليم، ولعل القبيلة التي تضم كل هذا هي «كلب» كما ذكر الأعلام الششمري):

وَقَدْ أَغْدُو عَلَى شَرْبِ كِرَامٍ نَشَاوَى وَاجِدِينَ لِمَا نَشَاءُ
قد أذهب باكراً على شَرْبِ، أي جماعة جالسين يشربون الخمر. وهم كرام، يقدمون لنا ما نطلب من خمر وطعام

يَجْرُونَ الْبُرُودَ وَقَدْ تَمَشَّتْ حُمَيَّا الْكَاسِ فِيهِمُ وَالْغِنَاءُ
يقوم الواحد منهم يتمايل لأن حمياً الكاس، أي مفعول الخمر، ونشوة الطرب قد سريا في جسمه
تَمَشَّى بَيْنَ قَتْلَى قَدْ أَصِيبَتْ نَفُوسُهُمْ وَلَمْ تُهْرَقْ دِمَاءُ
تسري هذه النشوة في قوم أصيبت نفوسهم منها لكن دون إراقة دماء

وَمَا أَذْرِي وَسَوْفَ إِخَالُ أَذْرِي أَقَوْمَ آلِ حِضْنٍ أَمْ نِسَاءَ
يهزأ بهم: لست أدري أهؤلاء رجال أم نساء؟ ومن هذا البيت استنتج اللغويون أن كلمة قوم تعني الرجال دون النساء

فَإِنْ قَالُوا النِّسَاءُ مُخَبَّاتٌ فَحَقٌّ لِكُلِّ مُحْصَنَةٍ هَذَا
يستمر في السخرية: إن كانوا من النساء المخبات في خدورهن، فالتوقع لكل أنثى محصنة، مصونة، أن تهدي، أي تزف، إلى زوج

وَأَمَّا أَنْ يَقُولَ بَنُو مَصَادٍ: إِلَيْكُمْ، إِنَّا قَوْمٌ بَرَاءُ
على بني مصاد، وهم من بني حصن، إمّا أن يتبرأوا من تلك القعلة بأن يحلفوا بأنهم لم يفعلوها
وَأَمَّا أَنْ يَقُولُوا: قَدْ وَفَيْنَا بِذِمَّتِنَا، فَعَادَتُنَا الْوَفَاءُ
وإما الوفاء فيعيدون للرجل ماله

وَأَمَّا أَنْ يَقُولُوا: قَدْ أَبَيْنَا فَشَرُّ مَوَاطِنِ الْحَسْبِ الْإِبَاءُ
وإما الاعتراف بأنهم يرفضون تأدية ما عليهم، وهذا الخيار شر لاحق بالشر

وَأَنَّ الْحَقَّ مَقْطَعُهُ ثَلَاثٌ: يَمِينٌ أَوْ نِفَارٌ أَوْ جِلَاءُ
وتلخيص القاعدة القانونية: الحق يتم بأن يحلف المرء يميناً، أو بأن يكون هناك نفار، أي احتكام، أو يكون جلاء أي انكشاف للأمر. وكان عمر بن الخطاب معجباً بهذا البيت

فَذَلِكُمْ مَقَاطِعُ كُلِّ حَقٍّ، ثَلَاثٌ كُلُّهُنَّ لَكُمْ شِفَاءُ
هذه وسائل بيان الحق

وَجَارٍ سَارَ مُعْتَمِداً إِلَيْكُمْ أَجَاءَتْهُ الْمَخَافَةُ وَالرَّجَاءُ
هذا الرجل استجار بكم ونزل عندكم، وقد جاء به الخوف من خصومه، والرجاء في الحصول
على حمايتكم

فَجَاوَزَ مُكْرَمًا، حَتَّى إِذَا مَا دَعَاهُ الصَّيْفُ وَانْقَطَعَ الشِّتَاءُ .
فأكرمتموه في الشتاء، وهو وقت الشدة والقحط، وعندما حل الصيف .

صَمِئْتُمْ مَالَهُ، وَغَدَا جَمِيعًا عَلَيْكُمْ نَقْصُهُ وَلَهُ النَّمَاءُ
أخذتم ماله، أي إبله، لذا فكل ما نقص منها يجب أن يكون عليكم أداؤه، وكل زيادة فيها فهي
من نصيبه

فَإِنْ تَدَعَوْا السَّوَاءَ فَلَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ بَنِي حِصْنٍ بَقَاءُ
فيا بني حصن! إن تركوا العدل فلا بقاء للمودة بيني وبينكم

وَيَبْقَى بَيْنَنَا قَذْعٌ، وَتُلْفَوُا إِذَنْ قَوْمًا بِأَنفُسِهِمْ أَسَاءُوا
ويحل محل المودة القذع، أي الشتم، وما تسيئون إلا إلى أنفسكم

١٤ الجواد على علاته

إِنَّ الْبَخِيلَ مَلُومٌ حَيْثُ كَانَ، وَلَكِنَّ الْجَوَادَ عَلَى عِلَاتِهِ هَرِمٌ
البخيل يلحقه اللوم في كل مكان، ولا كذلك هرم بن سنان فهو سخي على علاته، أي عندما
يكون مضيئاً عليه في الرزق

هُوَ الْجَوَادُ الَّذِي يُعْطِيكَ نَائِلَهُ عَفْوًا، وَيُظْلِمُ أَحْيَانًا فَيَظْلِمُ
سخي يعطيك النائل، المال، عفواً، بسهولة، وقد يغبنه بعضهم فيتحمل الغبن كرمًا منه

وَإِنْ أَتَاهُ خَلِيلٌ يَوْمَ مَسْأَلَةٍ يَقُولُ: لَا غَائِبٌ مَالِي وَلَا حَرَمٌ
إن جاءه صاحب يسأله لم يقل له إن مالي، أي إيلي، غائبة، ولا ممنوعة عنك

١٥ عود قومه عليه

وَعُودَ قَوْمِهِ هَرِمٌ عَلَيْهِ وَمِنْ عَادَاتِهِ الْخُلُقُ الْكَرِيمُ
عودهم على كرمه

كَمَا قَدْ كَانَ عُودَهُمْ أَبْوَهُ إِذَا أَرَمَتْهُمْ يَوْمًا أَرْوَمُ
وكان أبوه قد عود القوم على الكرم وقت الأزمات

كَذَلِكَ خِيَمُهُمْ، وَلِكُلِّ قَوْمٍ إِذَا مَسَّتْهُمْ الضَّرَاءُ خِيَمٌ
كَذَلِكَ خِيَمِهِمْ، وطبع الأصيل لكل قوم يتجلى في وقت الضراء، أي الشدة

١٦ نسيان الموت

أَرَانَا مُوَضِّعِينَ لِأَمْرِ غَيْبٍ وَنُسَحَّرُ بِالطَّعَامِ وَبِالشَّرَابِ
أَرَانَا مُوَضِّعِينَ، أي مسرعين، لأمر هو في الغيب، ولكننا نهتم بطعامنا وشرابنا غير عارفين المصير
بعد الموت

كَمَا سُحِرَتْ بِهِ إِدْمٌ وَعَادٌ فَأَضَحُوا مِثْلَ أَحْلَامِ النَّيَامِ
كذا اهتمت إرم وعاد بأمر معاشهما فبادتا

١٧ بيوتنا حصوننا

بلغ زهيراً أن بني تميم يحشدون لغزو غطفان، فقال:

أَلَا أُبْلِغُ لَدَيْكَ بَنِي تَمِيمٍ وَقَدْ يَأْتِيكَ بِالْخَبَرِ الظَّنُونُ
أبلغ قبيلة تميم، وأقول قولي هذا عارفاً أن الخبر قد يأتي به شخص ظنون غير ثقة؛ ولكن، بما أنه
وردنا الخبر فلا بد من التحذير

بِأَنَّ بَيْوتَنَا بِمَحَلِّ حَجَرٍ بِكُلِّ قَرَارَةٍ مِنْهَا نَكُونُ
أبلغ تميمياً بأن بيوتنا في حجر عامرة بأهلها الساكنين وذيانها

بِأُودِيَةٍ أَسَافِلُهُنَّ رَوْضٌ وَأَعْلَاهَا إِذَا خِفْنَا حُصُونُ
فالوديان رياض، والهضاب حصون نلجأ إليها عند الخوف، أي وقت حدوث تهديد

فَقَرِيٍّ فِي بِلَادِكَ، إِنَّ قَوْمًا مَتَى يَدْعُوا بِلَادَهُمْ يَهُونُوا
فقري يا قبيلة تميم في بلادك - بشرق الجزيرة - فالقوم الذين يفارقون ديارهم لتحققهم المذلة والهوان

١٨ بعد التسعين

كَأَنِّي وَقَدْ خَلَفْتُ تِسْعِينَ حِجَّةً خَلَعْتُ بِهَا عَنْ مَنَكِبَيَّ رِدَائِيَا
كأنني بعد بلوغ التسعين قد أصبحت متعباً للنهاية كمن يخلع رداءه متعباً للنوم مثلاً

إِلَى حُفْرَةٍ أَهْدَى إِلَيْهَا مُقِيمَةً يَحُثُّ إِلَيْهَا سَائِقٌ مِنْ وَرَائِيَا
مصري حفرة يهدي نحوها سائق يدفعني من ورائي

أَرَانِي إِذَا مَا شِئْتُ لَأَقِيْتُ آيَةً تُذَكِّرُنِي بِعُضِّ الَّذِي كُنْتُ نَاسِيَا
أَلَا فِي عِلَامَاتٍ تُذَكِّرُنِي بِعُضِّ مَا كُنْتُ نَسِيْتَهُ ، فَقَدْ أَرَى أَثَارَ قَوْمٍ ذَهَبُوا فَأَتَذَكَّرُ أَنَّنِي أَنَا ذَاهِبٌ أَيْضاً
أَلَا لَا أَرَى عَلَى الْحَوَادِثِ بَاقِيَا وَلَا خَالِداً إِلَّا الْجِبَالَ الرَّوَاسِيَا
كلنا ذاهب إلا هذه الجبال الراسخة

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَهْلَكَ تُبْعَاً وَأَهْلَكَ لُقْمَانَ بْنَ عَادٍ وَعَادِيَا؟
وقد أهلك الله تبعاً ملك اليمن ، ولقمان بن عاد الحكيم ، رغم طول عمره ، و«عاديا» أبا السموأل
صاحب الحصن المنيع

زهير بن أبي سلمى فهرس القوافي (القافية فرقم القطعة)

١٠	وَالْفِعْلُ	١٣	نَشَاءُ
٩	التَّقَالِي	١٦	وَبِالشَّرَابِ
١٢	هَوَامِلُهُ	٣	قَعَدُوا
١١	وَرَوَاجِلُهُ	٢	بِمُخْلِدٍ
١٥	الكَرِيمُ	٥	أَكْثَرُ
١٤	هَرَمُ	٤	دَهْرٍ
١	فَالْمُتَّكِلُ	٦	مَزَارٍ
١٧	الظُّنُونُ	٧	عَلِقَا
١٨	رِدَائِنَا	٨	الْمَعِكَ

النَّابِغَةُ الذُّبْيَانِيَّ

(١١٠ ق هـ - ١٨ ق هـ)

ما الذي أقدمه لك أيها القارئ، وما الذي يقدمه لك الآخرون؟

يقدمون لك ديوان النابغة محققاً تحقيقاً حسناً مقابلاً على نسخ كثيرة. .
يتبعون في ذلك أشهراً. وأنا أتكلم عن نسخة محمد أبو الفضل إبراهيم الممتازة
التي جمع فيها جهوداً طيبة لمستشرقين صنعوا شروحاتاً بديعة للأعلام الشنتمري
والأصمعي، ويعقوب بن السكيت والبطلوسي. هذا موجود، ويقع في نحو
ثلاثمئة صفحة فيها تدقيق كثير وضبط، ولكن الشرح للأقدمين، وما وجد بغير
شرح ترك غير مشروح، لكنه قليل.

ويقدم لك بعضهم قصائد للنابغة غير مشروحة؛ هذا تجده في كتب
المختارات، وتجده في الإنترنت. فكل شعر النابغة موجود في الشبكة. ثمة
نسخ مشكولة شكلاً جيداً ونسخ غير مشكولة. ولم أجد في كل ما ذكرت -
سواء الديوان المحقق تحقيقاً ممتازاً أم القصائد المنتشرة في الكتب - شرحاً
جديداً بلغة معاصرة.

وما أقدمه لك ليس ثمرة شقاء أشهر ولا سنين. بل هو ثمرة شغل أسبوعين،
بل ثلاثة. أقدم لك ذوقي الخاص في الاختيار، وشرحي الخاص المستفيض
المعاصر. وأقدم لك النابغة في نحو خمس وعشرين صفحة أو نحو ذلك. وأقول
لك: يا ابن أخي. . هذا هو النابغة. هذا هو في أبدع أشعاره. وأروي لك ما
صح عندي من وقائع حياته، وقد نخلت ذلك نخلًا شديداً من كتب الأقدمين.

النابغة الذبياني الذي تراه في الصفحات المقبلة شاعر يحسن صوغ الكلام
وتأليفه وتكثيفه. وقد اخترت لك ما وجدته بديعاً، واخترت أيضاً ما وجدته
أجيال متعاقبة من المتأدبين بديعاً. فما أكثر الأبيات التي قالها شاعرنا وسارت

سير المثل. أقدم لك، ليس شعر النابغة الذي أحبه أنا فقط، بل شعر النابغة الذي رددته العصور أيضاً.

لأنني لا أجد في المختارات التي تملأ السوق شيئاً شبيهاً بمختاراتي: بطريقة اختيارها، وبطريقة شرحها، فإنني أمضي في تعقب كبار الشعراء بالاختيار والشرح. وصدقني، أن لدي من المشاغل ما هو أعود عليّ بالمال من ذلك. لا بل إنني - في أغلب الظن - سأدفع من جيبي الكثير عندما يحين وقت دفع هذا العمل إلى المطبعة.

لن أنسى ما حييت - ولم يبق لي كثير - صديقاً عزيزاً زارني يوماً وقد انتهت لتوي من تأليف كتاب يقع في أزيد من أربعمئة صفحة، وقد حملت الكتاب حمل بغير من معارفي وتجاربي الإعلامية واللغوية، فرأى الكتاب، فسأل ما هذا؟ فقلت له ما هذا. فأمسكه بإصبعين من طرف غلافه، وهو بعد نسخة ورقية لم يذهب إلى المطبعة، ورفع بكثير من الاشمئزاز. ونظر فيه نظرة، والتقط فقرة، وزم شففيه، ثم ألقاه من يده.

وتسألني: كيف أدعو هذا الصديق «عزيزاً»، فأجيبك من شعر النابغة: «أي الرجال المهذب؟» وتمة القصة أنني طبعت ذلك الكتاب وأسميته «اللغة العالية»، ونال قدراً من الاستحسان.

أقول ذلك، كي أفهمك أن المؤلف رجل مسكين. فاذرف بعض الدموع عليّ، وعلى ما ألاقى.

النابغة صاحب قلائد. له أبيات كثيرة تصلح أن تكون أمثالاً تضرب. وضربت.

أخبار النابغة مبسوبة في الأغاني وفي الشعر والشعراء. ونشق بكثير من شعره لأنه شعر حضري، شهد بلاطات الملوك، وحفظه الناس لما أحاط به من هالة الملك.

حياة النابغة

عاصر النابغة زهيراً، تقارباً في سنة الميلاد وسنة الوفاة، ولكننا لا نجدهما، على قرب الدار، قد التقيا، إلا في حادثة واحدة سبقت بسند ضعيف. فلن نستطيع أن ننسج لك قصة نصف خرافية عن علاقة بين هذين

الشاعرين. كان زهير بيتوتياً قاعداً في قومه بني مزينة لاصقاً بيثرب، وقبيلته الصغيرة لاصقة ببني مرة، أو لعله كان يعيش مع غطفان. وأدار شعره على مدح سيدين من بني مرة سَعياً في الصلح بين قبائل غطفان المحتربة، وعلى نزاعات صغيرة في محيطه الضيق. ولعل زهيراً لم يكن يرد عكاظ كما كان يردها الشعراء. ولعله كان يأنف أن يأتي الخيمة الكبيرة التي يجلس فيها النابغة في عكاظ يسمع الشعراء ويحكم بينهم.

ولن نستطيع أن نصنع شيئاً من ذلك عن النابغة والأعشى، وإن كانا التقيا في سوق عكاظ حيث امتدح النابغة شعر الأعشى الذي يصغره بنحو ربع قرن. فلم ترد عنهما معاً أخبار تكفي لتحجير افتراء.

ولن نستطيع أن نزيد كثيراً على قصتين جمعنا النابغة بحسان بن ثابت. وقصة صغيرة امتدح فيها شعر الخنساء.

كان النابغة سياسياً، ثم شاعراً.. وكان كل أولئك شعراء لا غير.. فإذا جاء الإسلام خاض حسان في السياسة، وكان للخنساء موقف، وكان للأعشى موقف مبتور. فأما النابغة فقد مات قبل الهجرة وقبل البعثة.

فالقصة التي يمكن نسجها، حتى تكون عمود حياة النابغة، قصة سياسية تقوم على كونه سيداً من كبار سادة قبيلته ذبيان، والقبيلة الكبرى غطفان.

اشتغل زياد بن معاوية، وهذا اسمه، بالسياسة. فكان سفير قومه إلى دولة الغسانيين في الشمال، ومديراً للخصومات فيما بين عشائر غطفان. وكانت عشائر من غطفان تسكن شمال يثرب. وغطفان قبيلة عدنانية من عرب الشمال. ولعله بلغ مبلغ السيادة وهو شاب، ولكننا لا نجد شاهداً على هذه الفترة من شعره، فقد قال الشعر كبيراً.. قيل بعد الأربعين، وقيل إن هذا هو سبب تلقيه بالنابغة. فقد نبغ، أي نبغ، منه الشعر في سن ما كان يتوقع أن يصلها شاعر إلا وقد قال شعراً كثيراً.

عاشت غطفان (ومنها ذبيان، ومرة، وأشجع، وفزارة، وثعلبة، وعبس، وأنمار) عيشة بدو رحل. غير أنه كان لبعضهم نخل، ولم يكونوا يتجاوزون في ترحالهم منطقتهم في شمال الحجاز والأطراف الغربية لنجد. وإلى الشمال منهم كانت دولة الغساسنة التي كانت تقوم للروم بمثل ما يقوم به بعض العرب لأميركا في أيامنا. على أنها كانت أيضاً دولة تخمًا.. دولة فاصلة. فكما

أقامت إسرائيل في جنوب لبنان في السبعينات دولة فاصلة تدرأ عنها هجمات المقاومة أقام الروم في حوران والجولان دولة فاصلة تكفيهم هجمات القبائل العربية. وكانت قبيلة غسان عماد هذه الدولة.

ولم يكتف الغساسنة برد القبائل العربية، بل كانوا يدخلون حماها بين الحين والحين، وكان لا بد من قنوات اتصال بين الغساسنة وبين القبائل. وكان زياد بن معاوية، النابغة الذبياني، قناة اتصال. وفي إحدى توغلات الغساسنة في حمى ذبيان نفسها أسروا ابنة للنابغة، وسرعان ما أطلقوها وأطلقوا معها بقية الأسرى إكراماً لصديقهم النابغة.

كان الوضع بشكل عام فيما بن القبائل ودولة الغساسنة وضع سلم. وكان النابغة يزور ملوك الغساسنة في جلق، قرب دمشق، وفي الجابية بالجولان زيارات ودية. وعندما اكتهل قال الشعر فمدح ملوكهم، وأخذ أعطياتهم.

وأما التوتر المستمر والحروب الكثيرة فكانت فيما بين الغساسنة والمناذرة.

كان المناذرة يحكمون جنوب العراق، وعاصمتهم الحيرة، قرب كوفة اليوم. وكانوا لدولة الفرس ما كانه الغساسنة لدولة الروم. كانوا يدرون عن ملك الأكاسرة غزوات عرب شرق نجد، تميم وربيعة.

يلفت النظر أن المناذرة والغساسنة كليهما من عرب اليمن، بينما كانت القبائل البدوية التي يراد درء زحفها عدنانية من عرب الشمال. وقد شهدت سوريا حروباً طاحنة بين الدولتين العربيتين في موازاة الحروب بين الدولتين الكبيرين: فارس والروم. ولم تنقض الثارات بين دولتي العرب إلا بالإسلام.

قصد النابغة الذبياني النعمان بن المنذر ملك المناذرة في الحيرة. ومدحه ونال أعطياته، مثلما كان ينال أعطيات الحارث الغساني.

وعاد إلى الغساسنة ومدح عمرأ الذي تولى بعد أبيه الحارث. وأعطاه عمرو بن الحارث، فشكره. وغضب النعمان بن المنذر. فاعتذر إليه النابغة بقصائد من أشهر ما قال. ورضي عنه النعمان بن المنذر.

قالوا غضب عليه النعمان بن المنذر (ونذكر اسمه كاملاً كل مرة لأن الغساسنة كان عندهم نعمان آخر)، لأن النابغة وصف زوجته وتغزل بها، وقالوا بل غضب عليه لأنه هجاه، وقالوا بل غضب عليه لأنه لم يستطع أن يجعله خالصته.

ظل النابغة سيداً في قومه، وعاش طويلاً. على أن قوله الشعر واستعطاءه

الملوك غض من مكانته السياسية، ونزل به عن كونه السفير الذي يربأ بنفسه عن مدح من يسفر إليهم. وهذا يشبه وضع الصحفي الذي يزداد التصاقه بالسياسي فينزل في عين مهنة الصحافة، وإن ارتفع رصيده المصرفي.

قضى النابغة السنوات الأخيرة من شيخوخته في قومه بني ذبيان رجلاً ثرياً، له من السيادة نصيب.

ولن نطيل الحديث عن شعر النابغة، فقد انتخبنا قلائده، وهي بين يديك. وقد عده القدماء أحد أهم ثلاثة شعراء جاهليين، والآخرون زهير بن أبي سلمى، وامرؤ القيس.

١ يا دار مية (المعلقة)

قال يمدح النعمان بن المنذر، ويعتذر إليه. وكان النعمان وجد عليه إذ بلغه أن النابغة وصف «المتجرده» زوجة النعمان:

يا دارَ مِيَّةٍ بِالعِلياءِ فَالسَّنَدِ أَقْوَتْ، وَطَالَ عَلَيْهَا سَالِفُ الْأَبَدِ

خاطب الأطلال فقال: يا دار المحبوبة «مية» في هذين الموضعين، العلياء فالسند، ثم «التفت» فصار يخاطبنا نحن ويقول: قد أقوت، أي أفقرت وخلت من أهلها، وطال عليها سالف الأبد (والأبد هو الدهر) وهي خاوية

وَقَفْتُ فِيهَا أَصِيلَاناً أَسْأَلُهَا عَيْتُ جَوَاباً، وَمَا بِالرَّبْعِ مِنْ أَحَدٍ

وقفت وسط أطلال هذه الدار أصيلاناً، أي ذات أصيل قبيل الغروب، أسألتها عن أهلها، فعمزت عن الجواب، والجواب معروف.. فليس في المكان أحد وأهله رحلوا

أَمَسْتُ خَلَاءً، وَأَمْسَى أَهْلُهَا احْتَمَلُوا أَخْنَى عَلَيْهَا الَّذِي أَخْنَى عَلَى لُبْدٍ

أمست الدار خالية من الناس، وأهلها حملوا أمتعتهم وغادروها، وقد أخنى عليها، أي خربها، الزمن الذي كان أخنى على «لبد»، ولبد هو النسر السابع من نسور لقمان. وكانت الصفة أن يعيش لقمان قدر عمر سبعة أنسر، يموت نسر فيؤتى بفرخ نسر مكانه، وكان آخرها النسر «لبد» وعاش طويلاً، لكنه في النهاية مات، ومات بموته لقمان. وقالوا عاش هذا النسر السابع أربعمئة عام. ليقولوا ما شاءوا فلا نحن حضرنا حياته وموته، ولا العقل حضر في رؤوس أصحاب الأساطير. ما يغيظ المرء أن بعض الباحثين المحدثين ينقل هذه الخرافات دون أدنى إشارة إلى أنها محض أساطير. وهذا اقتراح لبعض أدبائنا: مثلما صنع يوهان غوته الألماني قبل مئتي عام فأخذ خرافة أوروبية عن فاوست الذي اشتهى المعرفة وأراد أن يلتهمها التهاماً فباع روحه للشيطان مقابل سنين، يمكن لنا أن نطور قصة لقمان ونسوره، فللقمان كان يطلب الحكمة. ونالها، ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لَقْمَنَ الْحِكْمَةَ﴾ [لقمان: ١٢].

فَعَدَّ عَمَّا تَرَى إِذْ لَا ارْتِجَاعَ لَهُ وَاثِمَ الْقُتُودَ عَلَى عَيْرَانَةٍ أُجِدِ

اترك هذا الذي تراه، فلا رجعة لما مضى، واثم القتود، أي ارفع السرج والمتاع، على ناقة ضخمة متينة تشبه العَيْر، أي حمار الوحش في النشاط، وهي أجد أي قوية

مَقْدُوفَةٍ بِدَخِيسِ النَّحْضِ، بَازِلُهَا لَهُ صَرِيفٌ صَرِيفٌ الْقَعْوِ بِالْمَسِدِ

هذه الناقة كأنها قذفت قذفاً بدخيس النحض، أي باللحم المتكاثف؛ وبازلها، أي نابها، له صوت إذ تحك أسنانها، كصوت القعو، أي البكرة وعليها المسد، أي الحبل عند البئر

كَأَنَّ رَحْلِي، وَقَدْ زَالَ النَّهَارُ بِنَا يَوْمَ الْجَلِيلِ عَلَى مُسْتَأْنِسٍ وَحِدِ

كأنني أضع سرجي، وقد انتصف النهار وبدأ وقت الزوال وأنا وسط شجر الجليل، وهو الشام، كأنني أضع السرج على ثور وحشي مستأنس، أي متجنب للإنس، ومتوحد منفرد.. وسيدأ في وصف الثور الوحشي الآن..

مِنْ وَخْشٍ وَجَرَّةٍ مَوْشِيٍّ أَكَارِعُهُ طَاوِي الْمَصِيرِ، كَسَيْفِ الصَّبَقِ الْفَرْدِ

هذا الثور من وخش موضع «وجرة»، وقوائمه مرقطة موشاة، وهو طاوي المصير، أي جائع المصران، يعني ضامر البطن، وجلده يلمع كأنه السيف المفرد بغير غمده وقد خرج من يد الصيقل، أي صانع السيوف

أُسْرَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْجُوزَاءِ سَارِيَّةٌ تُزْجِي الشَّمَالُ عَلَيْهِ جَامِدَ الْبَرْدِ

أمطرت على الثور غيمة سارية، أي سائرة ليلاً، سببها نوء الجوزاء، وكانوا يعرفون مواسم المطر بمواقع النجوم، وقد ساقط عليه ريح الشمال البرد الصلب

فَارْتَاعَ مِنْ صَوْتِ كَلَّابٍ، فَبَاتَ لَهُ طَوَعَ الشَّوَامِ مِنْ خَوْفٍ وَمِنْ صَرَدِ

خاف الثور من صوت صيادٍ صاحب كلاب، فأصبح من خوفه ومن صرده، أي مما به من شدة البرد، طوع الشوامت، مثاراً لفرح الشامتين

فَبَثَّهِنَّ عَلَيْهِ، وَاسْتَمَرَّ بِهِ صُمَعَ الْكُعُوبِ بَرِيثَاتٍ مِنَ الْحَرَدِ

فأطلق الصياد الكلاب على الثور؛ واستمر بالثور، أي أنهضه، قوائمه صمغ الكعوب أي شديدة لبس فيها حرد ولا استرخاء

وَكَانَ «ضُمْرَانٌ» مِنْهُ حَيْثُ يُوزَعُهُ طَعَنَ الْمُعَارِكُ عِنْدَ الْمُحْجَرِ النَّجْدِ

المعنى الملموح: كان الكلب «ضمران» قد اقترب فصار من الثور بحيث استطاع الثور أن يطعنه بقرنه طعنة محارب شجاع

شَكَ الْفَرِيصَةَ بِالْمِدْرَى فَأَنْفَذَهَا طَعَنَ الْمُبَيْطِرِ إِذْ يَشْفِي مِنَ الْعَضْدِ

شك الثور فريضة الكلب، وهي عضلة الكتف، وهي مقتل؛ شكها بالمدرى، بالقرن، مثلما يشك طبيب الإبل الجمل كي يشفيه من داء في عضده. ما الذي يجبرنا على فك كل هذه الألغاز! إن وصف الثور عند النابغة مما قلده فيه الشعراء من بعد.. فاصبر له

كَأَنَّهُ، خَارِجاً مِنْ جَنْبِ صَفْحَتِهِ، سَفُودُ شَرِبِ نَسْوُهُ عِنْدَ مُفْتَأَدٍ

كأن قرن الثور وهو خارج من جنب الكلب سفود شرب، سيخ شواء لقوم شاربين، تركوه عند المفتاد، وهو مكان شيء اللحم. فالقرن مدمى من طرفه المدبب وقد علق فيه الكلب كأنه قطعة لحم

فَظَلَّ يَعْجُمُ أَعْلَى الرَّوْقِ مُنْقَبِضاً فِي حَالِكِ اللَّوْنِ صَدَقِ غَيْرِ ذِي أَوْدٍ

ظل الكلب يعض أعلى القرن، وجسمه يتقبض ألماً، والقرن مسود اللون، صدق، أي صلب، غير ذي اعوجاج

لَمَّا رَأَى «وَأَشِقُّ» إِقْعَاصَ صَاحِبِهِ وَلَا سَبِيلَ إِلَى عَقْلٍ وَلَا قَوْدٍ

رأى الكلب الآخر واسمه - على ذمة النابغة - «واشق» إقعاص، أي طعن، صاحبه، ولا سبيل إلى عقل، أي دية، ولا قود، أي أخذ النفس بالنفس. هذه نفهمها على أنها فكاهة من النابغة. فكاهات الجاهلية دلغ العجايز، وكل شي جاوز حتى..

قَالَتْ لَهُ النَّفْسُ: إِنِّي لَا أَرَى طَمَعاً وَإِنَّ مَوْلَاكَ لَمْ يَسْلَمْ وَلَمْ يَصِدْ

حدث الكلب الثاني نفسه قائلاً: لا أرى طمعاً في هذا الثور، ومولاي، أي رئيسي، أي الكلب الأول، لم يسلم ولم يصد، فعلام أخطر بنفسي

فَتِلْكَ تُبْلِغُنِي التَّعْمَانَ، إِنَّ لَهُ فَضْلاً عَلَى النَّاسِ فِي الْأَذْنَى وَفِي الْبَعْدِ

هذه الناقة، التي شبهتها بالثور الوحشي، ستبلغني التعمان، وله فضل على الناس: القريب منهم والبعيد

وَلَا أَرَى فَاعِلاً فِي النَّاسِ يُشَبِّهُهُ وَلَا أَحَاشِي مِنْ الْأَقْوَامِ مِنْ أَحَدٍ

لا أرى فاعلاً للخير يشبهه، ولا أستني أحداً

إِلَّا سُلَيْمَانَ إِذْ قَالَ لِلَّهِ لَهُ قُمْ فِي الْبَرِيَّةِ فَاحْذُذْهَا عَنِ الْفَنَدِ

إلا سليمان إذ أمره الله بأن يقوم في الناس ويمنعهم من الفند، أي الخطأ

وَحَيْسِ الْجِنِّ، إِنِّي قَدْ أَذْنْتُ لَهُمْ يَبْنُونَ تَدْمُرُ بِالصَّفْحَاحِ وَالْعَمَدِ

وقال له الله: حيس الجن، ذللتهم، فقد أذنت لهم ببناء تدمر بالصفاح، الحجارة المبسطة، والأعمدة. واليوم، بعد أربعة آلاف سنة من بناء تدمر، كأننا من بناها من كان، سعى في تدمير آثارها المتشددون الذين احتلوا، يعينهم في ذلك طيران الحكومة، حدث ويحدث هذا الآن، ونكتب في آخر نوفمبر/ تشرين الثاني من عام ٢٠١٥

فَمَنْ أَطَاعَكَ فَانْقَعُهُ بِطَاعَتِهِ كَمَا أَطَاعَكَ، وَادْلُلُّهُ عَلَى الرَّشْدِ

ويأمر الله سليمان بالإحسان إلى من أطاعه جزاء طاعته

وَمَنْ عَصَاكَ فَعَاقِبْهُ مُعَاقِبَةً تَنْهَى الظُّلُومَ، وَلَا تَقْعُدْ عَلَى ضَمَدٍ

وأما العاصي فله عقاب يردع الظالمين. ولا تقعد يا سليمان مكتفياً بالضمد، أي الحقد على الظالم، بل اردعه ردعاً

فَلَا لَعْمُرُ الَّذِي مَسَّحَتْ كَعْبَتَهُ وَمَا هَرِيقٌ عَلَى الْأَنْصَابِ مِنْ جَسَدٍ
يحلف النابغة بالله الذي مسح كعبته، أي طاف بها، ويحلف بما هريق، أي أريق على الأنصاب،
حجارة النبح، من جسد، أي دم...

وَالْمُؤْمِنِ الْعَائِذَاتِ الطَّيْرِ يَمْسَحُهَا رُكْبَانُ مَكَّةَ بَيْنَ الْغَيْلِ وَالسَّعْدِ
ويحلف بالله الذي يضمن الأمان للطير العائذة بالحرم التي يمسحها، أي يمر بها، قُصَاد مَكَّة
الكائنة بين مائي الغيل والسعد

مَا قُلْتُ مِنْ سَيِّئٍ مِمَّا أَتَيْتَ بِهِ إِذَنْ فَلَا رَفَعْتَ سَوْطِي إِلَيَّ يَدِي
ما قلت شيئاً سيئاً من هذا الذي جاءك به الواشون، ولو قلت فلتنزل يدي، ولا استطاعت الإسماك
بالسوط على خفته

إِلَّا مَقَالَةً أَقْوَامٍ شَقِيَّتْ بِهَا كَانَتْ مَقَالَتُهُمْ قَرَعاً عَلَى الْكَبِدِ
إن هي إلا أقوال ناس اثبتت بهم، وكان قولهم مثل الدق على كبدي

أُنَبِّئُكَ أَنَّ أَبَا قَابُوسَ أَوْعَدَنِي لَا قَرَارَ عَلَى زَأْرِ مِنَ الْأَسَدِ
لقد بلغني أن النعمان، أبا قابوس، أوعدني، تهددني، فلا اطمئنان لي، فتهديده إياي مثل زئير الأسد

مَهْلًا، فِدَاءَ لَكَ الْأَقْوَامُ كُلُّهُمْ وَمَا أُنْمِرُ مِنْ مَالٍ وَمِنْ وَلَدٍ
تمهل، يفديك الناس كلهم، ويفديك أولادي وما أجمع لهم من مال

لَا تَقْذِفْنِي بِرُكْنٍ لَا كِفَاءَ لَهُ وَإِنْ تَأْتَفَكَ الْأَعْدَاءُ بِالرَّفْدِ
لا تقذفني بركن ضخم، هو أنت، لا يوجد من يقوم له ويوازيه، حتى لو تأتفك، وتحلق حولك،
أعدائي يرفدونك بالكاذب

فَمَا الْفُرَاتُ إِذَا هَبَّ الرِّيحُ لَهُ تَرْمِي عَوَارِبُهُ الْعَبْرَيْنِ بِالزَّبْدِ
فليس نهر الفرات إذا عصفت الرياح وأخذت غواربه، أمواجه، ترمي الشاطئين بالزبد... بداية
تشبيه جديد...

يَمُدُّهُ كُلُّ وَادٍ مُتَرَعٍ لِحِبٍ فِيهِ رُكَامٌ مِنَ الْيَنْبُوتِ وَالْخَضَدِ
ويرفد الفرات وديان مترعة بالماء ولها خريز عالٍ لحب، وفي كل وادٍ ركام من أغصان شجر
الينبوت، وهو الخروب، ومن الخضد، الفروع المقصوفة

يَظَلُّ مِنْ خَوْفِهِ الْمَلَأُ مُعْتَصِماً بِالْخَيْرُورَانَةِ بَعْدَ الْأَيْنِ وَالتَّجْدِ
ويظل الملاح فيه متشبهاً بالخيزرانة، بعضاً يوازن بها القارب، أو لعلها الدفة، وهو يعاني الأين،
التعب، والتجد، العرق

يَوْمًا بِأَجُودَ مِنْهُ سَبَبٌ نَافِلَةٌ وَلَا يَحُولُ عَطَاءُ الْيَوْمِ دُونَ غَدٍ

هذا الفرات الزاخر ليس أجود من النعمان سبب نافلة، أي عطاء. وعطاؤه اليوم لا يمنعه من تكراره غداً

هَذَا الثَّنَاءُ فَإِنْ تَسَمَّعَ بِهِ حَسَنًا فَلَمْ أُعَرِّضْ - أَبَيَّتِ اللَّعْنُ - بِالصَّفَدِ

هذا ثنائي عليك، تراه حسناً، ولكنني لم ألتج فيه تلميحاً بقصد طلب الصفاء، أي العطاء، بل هو مديح خالص

هَإِنْ ذِي عِذْرَةٍ، إِلَّا تَكُنْ نَفَعْتُ فَإِنَّ صَاحِبَهَا مُشَارِكُ النَّكَدِ

هذا اعتذاري، فإن لم يجد في نفسك موقفاً، فما أشد نكدي وحزني

٢ فإنك كالليل

قال يمدح النعمان، ويعتذر إليه، ويقول إن ما بلغه عنه إنما هو وشاية:

عَفَا ذُو حُسَى مِنْ «فَرْتَنِي»، فَالْقَوَارِعُ فَجَنَّبَا أَرِيكَ، فَالتَّلَاعُ الدَّوَائِعُ

خلا «ذو حُسى»، هذا الموضع من الحبيبة فرتني، وكذا خلت كل المواقع المذكورة، فالحبيبة رحلت عنها كلها، ويبدو أن هذه المواقع كانت «منازل» لأولئك القوم وهم يرتحلون في اتجاه معين

كَأَنَّ مَجَرَّ الرَّامِسَاتِ ذُبُولَهَا عَلَيْهِ حَصِيرٌ نَمَّقَتْهُ الصَّوَانِعُ

في هذا الموقع، ذي حُسى، أرى أن مكان جر الرياح الرامسة، الطامسة، ذبولها صار يشبه الحصير المنمق صنعته النسوة

فَكَفَّكَفْتُ مِنْنِي عَبْرَةً فَرَدَّدْتُهَا عَلَى النَّحْرِ، مِنْهَا مُسْتَهْلٌ وَدَائِعُ

كفكفت دمعتي، أي دموعي، التي سقطت على أعلى صدري، ومن الدموع ما كان يسيل ومنها ما كان يترقق في العين

عَلَى حِينَ عَاتَبْتُ الْمَشِيبَ عَلَى الصَّبَا وَقُلْتُ: أَلَمَّا أَضْحُ وَالشَّيْبُ وَازِعٌ؟

هذا في وقت كنت فيه أعاتب نفسي، وأنا كبير لحق بي المشيب، على الصبا، أي العشق، وأقول: ألا تكف يا رجل، ألا يَزْعُك، يردعك، الشيب؟

وَقَدْ حَالَ هَمٌّ دُونَ ذَلِكَ شَاغِلٌ مَكَانَ الشُّغَافِ تَبَتَّغِيهِ الْأَصَابِعُ

حال دون سكينه النفس هم شاغل كأنه يغلف القلب بدلاً من غلافه الذي هو «الشغاف»، وهذا القلب تجسه أصابع الطيب وهو يريد معرفة ما بي من سقم

وَعَبْدُ أَبِي قَابُوسَ فِي غَيْرِ كُنْهِهِ أَتَانِي وَدُونِي رَاكِبٌ فَالضَّوَاجِعُ

والهم هو تهديد النعمان، أبي قابوس، القائم على غير كنه، حقيقة؛ وقد جاءني هذا الوعيد وأنا قريب من ذنك المكاين

فَبِتُّ كَأَنِّي سَاوَرْتَنِي ضَيْلَةٌ مِنْ الرُّقْشِ فِي أَنْيَابِهَا السُّمُّ نَاقِعُ

بتُّ كأنما هاجمتني حية ضييلة، والضييلة في الأناعي سامة خبيثة، وهي مرقشة وفي أنيابها سم راسخ كامن

يُسَهِّدُ مِنْ لَيْلِ التَّمَامِ سَلِيمُهَا لِحَلِي النِّسَاءِ فِي يَدَيْهِ قَعَاقِعُ

والسليم، أي الملسوس - ويسمونه سليماً تيمناً بسلامته - يُجبر على السهر، ويعلقون به حلي النساء التي تقعقع لمنعه من النوم خوف سريان السم في جسمه

أَتَانِي - أَبَيْتَ اللَّعْنَ - أَتَكَ لُمْتَنِي وَتِلْكَ الَّتِي تَسْتَكُّ مِنْهَا الْمَسَامِعُ

أتاني أنك لمتني وهذا أمر تستك، تُضرب ضرباً، به الآذان لهوله

لَعَمْرِي وَمَا عَمْرِي عَلَيَّ بِهِيْنِ لَقَدْ نَطَقْتُ بُظْلًا عَلَيَّ الْأَقَارُعُ

أنسم بحياتي، وليست حياتي بهينة عليّ، أن ما قاله عني «الأقارُع» إنما هو وشاية باطلة

حَلَفْتُ، فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِبَةً وَهَلْ يَأْتَمَنُ ذُو إِمَّةٍ وَهُوَ طَائِعُ

قد حلفت لك، وأملني أن يكون في ذلك زوال شكوكك، وهل يحلف أئماً كاذباً رجل له إمة، أي خلق مستقيم

لَكَلَّفْتَنِي ذَنْبَ امْرِئٍ، وَتَرَكْتَهُ كَذِي الْعُرِّ يُكْوِي غَيْرُهُ وَهُوَ رَاتِعُ

لقد كلفتني حمل ذنب غيري وتركت المذنب؛ وهذا كفعلهم في الإبل إذ يكونون الجمل السليم ويتركون ذا العر، المتفرح جلده، راتعاً. وقيل كان بعضهم يفعل ذلك بالإبل

فَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي وَإِنْ خِلْتُ أَنَّ الْمُتَنَائِي عَنْكَ وَاسِعُ

أنت كالليل الذي لا مهرب منه، مهما ظنه المرء بعيداً

خَطَاطِيفُ حُجْنٍ فِي حِبَالٍ مَتِينَةٍ تَمُدُّ بِهَا أَيْدٍ إِلَيْكَ نَوَازِعُ

وسطوتك كبيرة فكأن ثمة خطاطيف، حداثد معقوفة، مربوطة بحبال، وتمسكها الأيدي وتشدها نحوك. أي أن يدك طائلة ولا يفلت منك أحد

أَتَوَعَّدُ عَبْدًا لَمْ يَخُنْكَ أَمَانَةٌ وَتَتَرَكُ عَبْدًا ظَالِمًا وَهُوَ ضَالِعُ؟

أتهدد أميناً وترك ظالماً ضالماً، أي مائلاً عن الحق؟

٣ راعي النجوم وراعي الهموم

وقال النابغة يمدح عمرو بن الحارث الغساني، حين لجأ النابغة إلى الشام لما خاف ملك المناذرة النعمان:

كَلِّبْنِي لَهُمْ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبٍ وَلَيْلٍ أَقَاسِيهِ بَطِيءِ الْكَوَاكِبِ

دعيني يا أميمة لهم متعب انتابني، ولليل طويل أقاسيه كأن كواكبه بطيئة الحركة لا تزول. ورووا «أميمة» بالفتح، وتعبوا في تعليلها. عللها الخليل بأن العرب درجت على ترخيم المؤنث، فهو أراد أن يقول «يا أميم» فألجأه الوزن إلى «يا أميمة» فأبقى الفتح

تَطَاوَلَ حَتَّى قُلْتُ: لَيْسَ بِمُنْقَضٍ وَلَيْسَ الَّذِي يَرَعَى النُّجُومَ بِآبٍ

طال ليلي حتى ظننته لن ينقضي ويزول، وحتى ظننت أن الراعي الذي يرعى الكواكب - فكأنها الإبل السارحة - لن يؤوب بها. يشبه النجوم بالإبل وهو ينتظر رجوعها إلى مباركها وخلو السماء من النجوم بطلوع الصباح، ولكن راعي الإبل لا يعود بإبله، والصباح لا يطلع.. انتظر تشبيهاً عظيماً في البيت التالي:

وَصَدْرٍ أَرَاخَ اللَّيْلِ عَازِبَ هَمِّهِ تَضَاعَفَ فِيهِ الْحُزْنُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ

تفسير كلمتين: أراح (أرجع الإبل إلى مباركها مساء)، العازب (الراعي الباث في المرعى بعيداً عن أهله). شرح: لئن كان راعي النجوم، في البيت السابق، لم يرجع بنجومه وظلت تتلألأ، فإن العازب (أي الراعي الذي بات في المرعى ولم يعد إلى أهله) قد أراحه الليل (أرجعه) إلى صدري، وهو عازب الهم، أي هو الهم العازب. شرح أخصر: هموم صدري العازبة أرجعها الليل إلى صدري

عَلَيَّ لِعَمْرٍو نِعْمَةٌ - بَعْدَ نِعْمَةٍ لِوَالِدِهِ - لَيْسَتْ بِذَاتِ عَقَارِبٍ

لعمر بن الحارث عليّ نعمة - وهي تأتي بعد نعمة كان والده أسداها إليّ - وهي نعمة خالصة بغير عقارب، أي لا يتبعها من وتكدير

وَوَثِقْتُ لَهُ بِالنَّصْرِ إِذْ قَبِلَ قَدْ عَزَتْ كَنَائِبُ مِنْ عَسَّانٍ غَيْرُ أَشَائِبٍ

ووثقت أنه سينتصر إذ غزت كئائب قبيلة عسان التي ليس فيها أشائب (أخلاط من قبائل أخرى)

إِذَا مَا عَزَّوْا فِي الْجَيْشِ حَلَّقَ فَوْقَهُمْ عَصَائِبُ طَيْرٍ تَهْتَدِي بِعَصَائِبِ

عندما يغزون تحلق فوقهم أسراب من الطيور تهتدي بأسراب قبلها فتلحق بها

يُصَاحِبْنَهُمْ حَتَّى يُغَرَّنَ مَعَارَهُمْ مِنَ الضَّارِيَاتِ بِالدَّمَاءِ الدَّوَارِبِ

تصاحب الطيور المقاتلين حتى تغير مثلهم وتأكّل من الجثث، وهي طيور من الضاريات والدواريب بالدم (المتعودة عليه)

تَرَاهُنَّ خَلْفَ الْقَوْمِ خُزْراً عُيُونُهَا جُلُوسَ الشُّيُوخِ فِي ثِيَابِ الْمَرَانِبِ

وقبل الالتحام بين المقاتلين ترى الطيور، وهي النسر في الغالب، خلف المقاتلين جالسة جلوس الشيوخ اللابسين المranib (الأكسية الغليظة). وانظر إلى النسر في صورة من صور الإنترنت جاثماً على الأرض، فهو بحق كما صوره النابغة

جَوَانِحَ قَدْ أَيْقَنَنَّ أَنَّ قَبِيلَهُ إِذَا مَا التَّقَى الْجَمْعَانِ أَوَّلَ غَالِبٍ

الطيور الجوانح (أي المنقضة كاسرة أجنحتها) أيقنت أن قوم عمرو بن الحارث سيغلبون أعداءهم. قال ابن قتيبة: «الطير قد تتبع العساكر للقتلى، ولكنها لا تعلم أيهما يغلب» ورد عليه محقق «الشعر والشعراء» أحمد شاکر ببعض غضب: «اعتراض غير جيد. وقد فسر الوزير أبو بكر البيت على وجهه، قال: «يريد أنها اعتادت بمصاحبتهم أن تقع على قتلى من يعاديهن، فهذا هو يقينها، لا أنها تعلم الغيب.»»

لَهْنٌ عَلَيْهِمْ عَادَةٌ قَدْ عَرَفْنَهَا إِذَا عُرِضَ الْخَطِيُّ فَوْقَ الْكَوَائِبِ
فالطيور متعودة على ما يفعل هؤلاء القوم عندما يُعرض الخطي (ينصب الرمح) فوق كواب الخيل (الكائبة مكان قريب من عنق الفرس)

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سِيُوفَهُمْ بِهِنَّ فُلُودٌ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ
سيوفهم لا عيب فيها سوى أنها مثلثة لكثرة المضاربة مع كتائب الأعداء. المعنى: ليس للورد عيب سوى أنه أحمر الخدين

تُورُثُنَّ مِنْ أَزْمَانٍ يَوْمِ حَلِيمَةِ إلى اليوم قد جُرِبْنَ كُلَّ التَّجَارِبِ
ورثوا سيوفهم من زمن معركة يوم حليلة المشهورة، ومنذ ذلك العهد والسيوف تخوض المعارك. وقد أغضب هذا البيت النعمان ملك المناذرة لأن يوم حليلة كان المعركة التي انتصر فيها الغساسنة وقتلوا ملك المناذرة جد النعمان

مَحَلَّتُهُمْ ذَاتُ الْإِلَهِ، وَدِينُهُمْ قَوْمٌ فَمَا يَرْجُونَ غَيْرَ الْعَوَاقِبِ
مكان الغساسنة هو «ذات الإله» أي القدس فهم مسيحيون، ودينهم متين فلا يرتقبون إلا نتائج أعمالهم الخيرة

رَقَاقُ النَّعَالِ طَيِّبٌ حُجْزَاتُهُمْ يُحَيُّونَ بِالرَّيْحَانِ يَوْمَ السَّبَاسِبِ
نعالهم رفيقة - ونعل كل سيد رفيقة لأنه غير مضطر للسعي، فهو مخدوم - وحجراتهم، أي ثيابهم، طيبة كناية عن عفانهم. وهم سادة يحييهم الناس بالرياحين في يوم السباسب (عيد السعائين/الشعائين)

وَلَا يَخْسَبُونَ الْخَيْرَ لَا شَرَّ بَعْدَهُ وَلَا يَخْسَبُونَ الشَّرَّ ضَرْبَةً لَازِبٍ
وهم عاقلون لا يركنون إلى الرخاء بل يتحسبون أن يأتي بعده ضيق، ولا يحسبون ضيق المعيشة أو كل شر ضربة لازب (أمراً محتماً)

حَبُوتُ بِهَا غَسَّانٌ إِذْ كُنْتُ لِاحِقًا بِقَوْمِي، وَإِذْ أَغَيْتُ عَلَيَّ مَذَاهِبِي
 حبوت، أي منحت، قبيلة غسان هذه القصيدة وأنا متجه نحو قومي في وقت لم أكن فيه عارفاً أين
 أذهب، فالنعمان غاضب علي، وأنا مرتقب شراً من جانبه

٤ المتألف والملاهي

قالت: أَرَاكَ أَخَا رَحْلٍ وَرَاحِلَةٍ تَغْشَى مَتَالِفَ لَنْ يُنْظِرَنَّكَ الْهَرَمَا
 قالت: أراك صاحب متاع ومطية، وتغشى، أي تأتي، أماكن خطيرة فيها التلف، وهذا سيميتك ولن
 يرجئك لكي ترى الشيخوخة. وهذه امرأة لاهية تدعوه إلى نفسها

حَيَّاكَ رَبِّي فَإِنَّا لَا يَحِلُّ لَنَا لَهْوُ النِّسَاءِ، وَإِنَّ الدِّينَ قَدْ عَزَمَا
 قال لها: حياك الله، لكن لا يحل لنا اللهو مع النساء، وقد دعانا الدين إلى الحج.. فهو ذاهب
 في طريقه إلى مكة ليحج حج الجاهلية

٥ أنا والهموم

قال، وذكر له أن النعمان عليل:

كَتَمْتُكَ لَيْلًا بِالْجُمُومِينَ سَاهِرَا وَهَمَّيْنِ: هَمًّا مُسْتَكِنًّا وَظَاهِرَا
 كتمت عنك خبر ليل قضيته ساهراً بموضع «الجمومين»، وكتمتك هَمَّين من همومي: أحدهما دفين
 مستكن، والآخر ظاهر

أَحَادِيثَ نَفْسٍ تَشْتَكِي مَا يَرِيْبُهَا وَوَرْدَ هُمُومٍ لَنْ يَجِدَنَّ مَصَادِرَا
 كتمتك هواجس نفسي التي تشتكي ما يقلقها، وورود الهموم التي لا تجد لها مصادر، أي
 طرق انصراف

تُكَلِّفُنِي أَنْ يُغْفَلَ الدَّهْرُ هَمَّهَا وَهَلْ وَجَدْتُ قَبْلِي عَلَى الدَّهْرِ قَادِرَا؟
 نفسي تحثي على الاقتناع بأن الدهر سيفعل عنها ولا يصيبها بالهموم، وهل قدر أحد قبلي على
 مصائب الدهر؟

٦ أي الرجال المهذب؟

قال يمدح النعمان ويعتذر إليه:

أَتَانِي - أَبَيْتَ اللَّعْنَ - أَنَّكَ لُمْتَنِي وَتِلْكَ الَّتِي أَهْتَمُّ مِنْهَا وَأَنْصَبُ
 جاءني أنك لمتني، وهذا ما أهتم منه، يصيبني الهم منه، وأنصب، أي أتعب

فَبِتُّ كَأَنَّ الْعَانِدَاتِ فَرَشَنِي هَرَأَساً، بِهِ يُعْلَى فِرَاشِي وَيُقَشَّبُ
بت مهموماً كان زائراتي فرش لي هراساً، أي شوكاً، يعلو فراشي، وكلما قَدُمَ به العهد فهو
يقشِب، أي يجدد

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِبَةً وَلَيْسَ وَرَاءَ اللَّهِ لِلْمَرْءِ مَذْهَبُ
حلفت لك أنني لم أقل شيئاً مما ذكره الوشاة، وليس هناك بعد الحلف بالله ما يمكن فعله
لَئِنْ كُنْتَ قَدْ بُلُغْتَ عَنِّي خِيَانَةً لِمُبْلَغِكَ الْوَاشِي أَعْشُ وَأَكْذِبُ
من بُلَغِكَ عني أنني خنت عهدك كاذب

وَلَكِنِّي كُنْتُ أَمْرًا لِي جَانِبٌ مِنْ الْأَرْضِ فِيهِ مُسْتَرَادٌ وَمَذْهَبُ
كل ما في الأمر أنه كان لي موضع من البلاد لي فيه مستراد، مكان ورود واستقاء، فكنت
أذهب إليه

مُلُوكٌ وَإِخْوَانٌ إِذَا مَا أَتَيْتُهُمْ أَحْكَمُ فِي أَمْوَالِهِمْ وَأَقْرَبُ
أولئك ملوك وإخوان - يقصد الغاسنة - كانوا يقربوني ويحكموني في أموالهم أطلب ما أشاء
كَفَعْلِكَ فِي قَوْمٍ أَرَاكَ اصْطَنَعْتَهُمْ فَلَمْ تَرَهُمْ فِي شُكْرِ ذَلِكَ أَذْنُبُوا
وهذا ما تفعله أنت مع قوم اصطنعتهم، أي اتخذتهم صنائع أي مقربين تحسن إليهم، وأنت لم
ترهم قد أذنبوا إذ شكروا صنيعك

فَلَا تَتْرُكْنِي بِالْوَعِيدِ كَأَنَّنِي إِلَى النَّاسِ مَطْلِي بِهِ الْقَارُ أَجْرَبُ
فلا تجعلني بين الناس - بتهديدك لي - كالبعير الأجرَب المظلي بالقار يتجنبه الجميع
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاكَ سَوْرَةً تَرَى كُلَّ مَلِكٍ دُونَهَا يَتَذَبَذَّبُ
لك سورة، وثبة، ويتذبذب ويضطرب بسببها كل الملوك

فَإِنَّكَ شَمْسٌ وَالْمُلُوكُ كَوَاكِبُ إِذَا طَلَعْتَ لَمْ يَبْدُ مِنْهُمْ كَوْكَبُ
أنت كالشمس تخفي ببهاك كل الملوك الذين هم كالكواكب

وَلَسْتَ بِمُسْتَبَقٍ أَحَا لَا تَلْمُهُ عَلَى شَعَثٍ، أَيُّ الرِّجَالِ الْمُهَذَّبُ؟
لا يحتفظ المرء بأخ، أي بصديق، إلا كان عليه أن يلم شعثه، أي يجمع ما تفرق من طباعه قابلاً
الحسن منها والردىء. وهل في الرجال من هو مهذب كامل؟

فَإِنْ أَكُ مَظْلُومًا فَعَبْدٌ ظَلَمْتَهُ وَإِنْ تَكُ ذَا عُتْبَى، فَمِثْلُكَ يُعْتَبُ
إن كنتَ مظلوماً فأنا عبدك، وإن كنتَ ذا عفو، فمثلك من يعفو

٧ سقط النصف

وقال النابغة يصف «المتجردة» زوجة النعمان، وكانت، في بعض دخلاته على النعمان، قد فاجأته وفاجأها فسقط نصيفها عنها، والنصيف نصف ثوب، كأنه فستان بلا أكمام معلق بشريط على كتف واحدة - كفساتين نجمات هوليوود - فإن انزلق هذا الشريط انزلق كل شيء. فعندما انزلق غطت وجهها بمعصمها، فقال النابغة:

أَمِنْ إِلِ مَيَّةَ رَائِحٍ أَوْ مُنْتَدٍ عَجْلَانَ ذَا زَاٍ وَغَيْرَ مُزَوِّدٍ

أأنت مرتحل لاحق بأهل المحبوبة صباحاً أو مساءً؟ أكان رحيلك على عجل متزوداً بزاد الرحلة أم غير متزود؟ المعنى الملموح: أهل المحبوبة على وشك الرحيل، على أي وجه من الوجوه

رَعَمَ الْغُرَابُ بِأَنَّ رَحِلْنَا غَدًا وَكَذَلِكَ تَنْعَابُ الْغُرَابِ الْأَسْوَدِ

الغراب أنذرني بالرحيل غداً، وكذا نعب الغراب الأسود، فهو يأتي منذراً بالرحيل

لَا مَرَحِبًا بِغَدٍ، وَلَا أَهْلًا بِهِ إِنْ كَانَ تَفْرِيقُ الْأَحِبَّةِ فِي غَدٍ

حَانَ الرَّحِيلُ وَلَمْ تُودَّعْ مَهْدَدًا وَالصُّبْحُ وَالْإِمْسَاءُ مِنْهَا مَوْعِدِي

حان الرحيل، ولم تودع «مهدد» - غير اسم محبوبته على عادة الشعراء - وموعدي معها مثل موعدي مع الصبح والمساء، أي أنني سأذكرها طول الدهر وإن لم يكن لقاء

فِي إِثْرِ غَانِيَةٍ رَمَتْكَ بِسَهْمِهَا فَأَصَابَ قَلْبَكَ، غَيْرَ أَنْ لَمْ تُقْصِدِ

سرحل إثر غانية جميلة رمتك بسهمها فأصاب قلبك غير أنها لم تقصد، لم تقتل

نَظَرْتُ بِمُقْلَةٍ شَادِنٍ مُتَرَبِّبٍ أَحْوَى أَحَمَّ الْمُقْلَتَيْنِ مُقْلَدٍ

عينها عين الشادن، الظبي الصغير، المتربب، الذي في رعاية أمه، الأحوى، ذي الخطين الأسودين على جنبه، الأحم المقلتين، الأسودهما، المتقلد، الذي في جيده قلادة

وَالْبَطْنُ ذُو عُكْنٍ لَطِيفٌ طَيُّهُ وَالنَّحْرُ تَنْفُجُهُ بِثَدْيٍ مُقْعَدٍ

بطنها ضامر وفيه عكن، ثنيات... ولو كانت متكرشة لما كان في بطنها تلك الثنيات، ونحراها قد نفجته، رفعته، بشدي قاعد في مكانه ليس متديلاً

مَخْطُوطَةٌ الْمَتْنَيْنِ غَيْرُ مُقَابَضَةٍ رِيًّا الرُّوَادِفِ بَضَّةُ الْمُتَجَرِّدِ

كأنها تلبس ما فيه خطان على الجانبين، وهي غير سمينة، وأردافها ممثلة، ومعراها بين عن بضاضة، أي طراوة. ونساء بلدي كن يصفن بعض الفتيات بحسن «المعري» إذ يرينها عارية في حمام ونحوه، فأما نحن الرجال فلا نراها إلا وهي متلففة في الثياب فلسنا نستعمل كلمة «معري»

نَظَرْتُ إِلَيْكَ بِحَاجَةٍ لَمْ تَقْضِهَا نَظَرَ السَّقِيمِ إِلَى وَجْهِ الْمَوَدِّ

نظرت تلك المحبوبة إليك، يا نابعة، وفي عينها حاجة لم تقضها، وتلك الحاجة هي الحديث، ففي ساعة الوداع صعب عليها أن تحادثك وسط قومها، وكانت نظرتها نظرة حزن واستجداء كنظرة المريض في وجوه زائريه

سَقَطَ النَّصِيفُ وَلَمْ تُرِدْ إِسْقَاطَهُ فَتَنَّاوَلْتَهُ، وَاتَّقَتْنَا بِالْيَدِ

ههنا وصف لموقف آخر: فقد سقط النصف، وهو ثوب يغطي نصف الجسم، أو كتفاً دون أخرى، ولم تسقطه عمدًا، فتناولته واتقت نظراتنا بيدها. لعلها دفعت بكفها في وجوههم كما يفعل المشاهير في ساعة الفضيحة إذ يدفعون بالأكف في وجه كاميرات المصورين

بِمُخَضَّبٍ رَخِصٍ كَأَنَّ بَنَانَهُ عَنَمَ يَكَادُ مِنَ اللَّطَافَةِ يُعْقَدُ

اتقتنا بكف فيها خضاب، أي حناء، وكان بنانها، أي أطراف أصابعها، ثمر العنم المحمر من رؤوسه، وأصابعها دقيقة تكاد لدقتها أن تعقد عقدًا في أنشوطه. وكانت الملكة إليزابيث الأولى مشهورة بجمال يديها ودقة أصابعها، وتفنن الرسامون في إبراز ذلك منها. وفي القافية إقواء فดาล «يعقد» حقها الكسر

رَعَمَ الْهُمَامُ بِأَنَّ فَاهَا بَارِدٌ عَذَبَ مُقَبِّلُهُ شَهْيَ الْمَوَرِدِ

زعم النعمان بأن ثغرها بارد عذب على التقبيل، شهى الرضاب، أي الريق

رَعَمَ الْهُمَامُ - وَلَمْ أَذُقْهُ - أَنَّهُ عَذَبَ إِذَا مَا ذُقْتَهُ قُلْتُ: أَرَدَدِ

وزعم - ولم أذق ذلك - بأن فاهها عذب

رَعَمَ الْهُمَامُ - وَلَمْ أَذُقْهُ - أَنَّهُ يُشْفَى بِرِيًّا رِيقِهَا الْعَطَشُ الصَّدْيِ

وبأن ريقها يروي العطشان

أَخَذَ الْعَذَارَى عِقْدَهُ فَتَنَظَّمَنَّهُ مِنْ لَوْلُؤٍ مُتَتَابِعٍ مُتَسَرِّدٍ

كان ثغرها عقد نظمته الفتيات من لؤلؤ منسوق

لَوْ أَنَّهَا عَرَضَتْ لِأَشْمَطَ رَاهِبٍ عَبْدَ الْإِلَهِ صَرُورَةً مُتَعَبِّدٍ..

لو أنها بدت لراهب أشمط، قد اختلط بياض شعره بسواده، صرورة، أي معتكف في صومعته يعبد الله..

لَرَنَّا لِرُؤْيَيْهَا وَحُسْنِ حَدِيثِهَا وَلِخَالِهِ رَشْدًا وَإِنْ لَمْ يَرْشُدِ

لانتبه لها ولحسن حديثها، ولظن ذلك أمرًا حسنًا، وإن كانت فيه غواية

بِتَكَلُّمٍ لَوْ تَسْتَطِيعُ كَلَامَهُ لَدَلَّتْ لَهُ أَرْوَى الْهَضَابِ الصُّخْدِ

وهي تتحدث بكلام لو يستطيع المرء ترديده، لأغوى به وعول الهضاب الصخذ، الصخرية الملساء، فنزلت من هضابها

وَيَفَاجِمُ رَجُلٍ أَثِيثٌ نَبْتُهُ كَالْكُرْمِ مَالَ عَلَى الدَّعَامِ الْمُسْنَدِ

ولها شعر أسود كثيف كأنه عناقيد العنب التي تميل بثقلها على الدعامات

وَإِذَا لَمَسْتَ لَمَسْتَ أَجْثَمَ جَائِمًا مُتَحَيِّزًا بِمَكَانِهِ وَلِءَ الْيَدِ

وإذا لمست ذلك الموضع منها وجدته ذا حجم، متحيزاً، أي مالئاً حيزه، جائماً كالطير، يكاد يملأ كفك

وَإِذَا طَعَنْتَ طَعَنْتَ فِي مُسْتَهْدِفٍ رَابِيِ الْمَجَسَّةِ بِالْعَبِيرِ مُقْرَمِدٍ

فإن طعنت في ذلك الموضع من المرأة، فإنما تطعن في عضو مستهدف، مرتفع مشرب، رابي المجسة، سمين إذ تجسه، ومطلي بالزعفران

وَإِذَا نَزَعْتَ نَزَعْتَ عَنْ مُسْتَحْصِفٍ نَزَعَ الْحَزْوَرُ بِالرِّشَاءِ الْمُخَصَّدِ

فإن نزعت ذلك الشيء في الرجل، فأنت تنزعه من عضو مستحصف، ضيق، كما ينزع الحزور، الشاب، الرشاء، الحبل المقتول من البئر

وَإِذَا يَعْضُ تَشُدُّهُ أَعْضَاؤُهُ عَضَّ الْكَبِيرِ مِنَ الرُّجَالِ الْأَدْرَدِ

وذلك العضو يعض كما يعض الشيخ الأدرد الذاهب الأسنان

٨ الاستقاء بالأعجاز

قال يصف نخلات:

مَنْ الْوَارِدَاتِ الْمَاءَ بِالْقَاعِ تَسْتَقِي بِأَعْجَازِهَا قَبْلَ اسْتِقَاءِ الْحَنَاجِرِ

ترد هذه النخلات الماء بالقاع، السهل، وتستقي بأعجازها، بجذورها لا بأفواها كما تستقي البهائم

٩ ما وراءك يا عصام

كان النعمان قد حجب النابغة لما بلغه عنه من أنه تغزل بزوجه، فكان النابغة إذا أراد الدخول على النعمان جعل عصام حاجب النعمان يخبره أنه عليل، فقال النابغة لعصام:

أَلَمْ أَقْسَمْ عَلَيْكَ لَتُخْبِرَنِي أَمَحْمُولٌ عَلَى النَّفْسِ الْهُمَامِ

أما كنت حلفت عليك أن تخبرني إن كان الزعيم الهمام، أي المقدام، مريضاً مرض موت؟

فإنني لا ألام على دخول ولكن، ما وراءك يا عصام

لا يلومني أحد على ترك الزيارة لأنني محجوب أصلاً، ولكن.. أخبرني ما عندك بشأن الزعيم؟

فَإِنْ يَهْلِكْ أَبُو قَابُوسَ يَهْلِكْ ربيعُ الناسِ والشَّهرُ الحَرَامُ
 إن مات النعمان، أبو قابوس، مات ربيع الناس، أي رزقهم، والشهر الحرام، أي الأمان..
 فالناس في زمن الملك يحترمون الأشهر الحرم ولا يقتلون فيها، ولو مات لدبت الفتنة واحتربوا
 ونُفْسُكَ بَعْدَهُ بِذُنَابِ عَيْشٍ أَجَبَ الظَّهْرَ لَيْسَ لَهُ سَنَامٌ
 وإن مات فسوف يصبح عيشنا صعباً، كأننا نمسك بناقة من ذيلها، وكان هذه الناقة مقطوعة الظهر
 بلا سنام، والناقة يضمحل سنامها في زمن قلة العشب

١٠ مظنة الجهل الشباب

قال عامر بن الطفيل للنابغة في قصة: (أَلَا مَنْ مُبْلَغٌ عَنِّي زِيَاداً غَدَاةَ الْقَاعِ، إِذْ
 أَرَفَ الضَّرَابُ) وزياد هو اسم النابغة. فلما بلغ هذا الشعر شعراء بني ذبيان أرادوا
 هجاءه، واثتمروا له، فقال لهم النابغة: إن عامراً له نجدة وشعر، ولسنا بقادرين على
 الانتصار منه، ولكن دعوني أجبه، وأصغر إليه نفسه، وأفضل عليه أباه وعمه، فإنه يرى
 أنه أفضل منهما، وأعيره بالجهل، فقال:

فَإِنْ يَكْ عَامِرٌ قَدْ قَالَ جَهْلًا فَإِنْ مَظْنَّةَ الْجَهْلِ الشَّبَابُ
 لئن قال جهلاً، قولاً فيه رعونة، فإن مظنة، أي موضع، الرعونة هو سن الشباب

فَكُنْ كَأَبِيكَ، أَوْ كَأَبِي بَرَاءٍ تُوَافِقُكَ الْحُكُومَةُ وَالصُّوَابُ
 ليتك كنت كأبيك، أو كأبي براء - وهو عم عامر بن الطفيل - فعندئذ تصح حكومتك، أي حكمك
 على الأمور

وَلَا تَذْهَبْ بِجِلْمِكَ طَامِيَاتٍ مِّنَ الْخِيَلِ لَيْسَ لَهُنَّ بَابُ
 ولا تدع الأمواج الطامية المرفوعة من الخيلاء والتكبر تذهب بعقلك، فهذه الأمور ليس لها باب
 يغلق فتنتهي..

فَإِنَّكَ سَوْفَ تَحْلُمُ أَوْ تَنَاهَى إِذَا مَا شَبَبْتَ، أَوْ شَابَ الْغُرَابُ
 وسوف تصبح عاقلاً، أو على الأقل تنتهي وتمتنع عن الرعونة إذا لحق بك الشيب.. ولعلك لن
 تصل إلى هذا أبداً حتى لو شاب الغراب

١١ رياح ومناخل

قال في وقعة عمرو بن الحارث الغساني ببني مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان:
 أَهَاجَكَ مِنْ أَسْمَاءِ رَسْمِ الْمَنَازِلِ بِرَوْضَةِ نُعْمِي قَدَاتِ الْأَجَاوِلِ
 هل أهاج مشاعرك بقايا مواضع كانت تنزل بها أسماء.. وذكر هذه المواضع

أَرَبْتُ بِهَا الْأَزْوَاحَ، حَتَّى كَانَمَا تَهَادَيْنِ أَعْلَى تُرْبِهَا بِالْمَنَاخِلِ

أربت، أي مكثت، الرياح بتلك المنازل، تروح عليها وتجيء وكأنها تتناوب الرمل وتنخله بالمناخل.. هذه صورة طيبة جداً: الرياح يهدي بعضها إلى بعض تلك الرمال.. ووسيلة استقبال الرمال هي المناخل.. وينزل بعض الرمل في هذه اللعبة على الأرض منخولاً ناعماً.. وكذا وجه الأرض الرملية التي مرت بها الرياح السافية

تَرَى كُلَّ ذَبَالٍ يُعَارِضُ رَبِّرَبًّا عَلَى كُلِّ رَجَافٍ مِنَ الرَّمْلِ هَائِلٍ

ترى هناك كل ثور طويل الذيل يتصدى للريب، القطيع، على كتيب الرمل الرجاف، المتقلقل، الهائل، أي الذي يهيل وتساقط رماله عن جوانبه

يُثِرُنَ الْحَصَى حَتَّى يُبَاشِرُنَ بَرْدَهُ إِذَا الشَّمْسُ مَجَتْ رِيقَهَا بِالْكَلاَكِلِ

تثير أبقار الوحش الحصى ويحفرون الأرض لكي يصلن إلى التراب البارد تحت، هذا والشمس تمج، تبصق، ريقها على الكلاكل، أي الصدور.. وملاحظة الأعلام الشتمري التي نقلها عن الأصمعي بارعة، يقول: «ريق الشمس شيء تراه بالهاجرة، إذا اشتد الحر، كأنه يسيل»

نَصَحْتُ بَنِي عَوْفٍ فَلَمْ يَتَقَبَّلُوا وَصَاتِي، وَلَمْ تَنْجَحْ لَدَيْهِمْ وَسَائِلِي

نصحت بني عوف ولم يقبلوا نصحي..

فَخَلُّوا لَهُ بَيْنَ الْجَنَابِ وَعَالِجٍ فِرَاقَ الْخَلِيطِ ذِي الْأَذَاةِ الْمُزَايِلِ

قلت لهم: اتركوا للملك الغساني هذه المنطقة بين الجناب وعالج، وفارقوه كما يفارق الخليط، القوم، من هو ذو أذى

وَلَا أَعْرِفْتِي بَعْدَمَا قَدْ نَهَيْتُكُمْ أَجَادِلُ يَوْمًا فِي شَوِيٍّ وَجَامِلٍ

لن تروني بعد إذ نهيتكم أفأوض في رد الشوي والجميل، الشياه والجمال التي ستؤخذ منكم

وَبَيْضِ غَرِيرَاتٍ تَفِيضُ دُمُوعُهَا بِمُسْتَكْرَهٍ يَذْرِينُهُ بِالْأَنَامِلِ

ولن أفأوض في رد نساتكم البيض الغريرات، فتيات غير مجربات، الباكيات بدمع يستخرجنه من أعينهن استخراجاً للتخفيف عما بهن من ألم السبي، ثم يذرينه بالأنامل، يمسحنه بأطراف الأصابع

وَقَدْ خِفْتُ حَتَّى قَدْ تَزِيدُ مَخَافَتِي عَلَى وَعَلٍ فِي ذِي الْمَطَارَةِ عَاقِلٍ

قد خفت خوف وعل عاقل، متخذ مقلداً، في موضع ذي المطارة، فالوعل شديد الخوف يفر لأدنى حركة ويعتصم بالقمم

مَخَافَةً عَمُرُو أَنْ تَكُونَ جِيَادُهُ يُقَدِّنَ إِلَيْنَا بَيْنَ حَافٍ وَنَاعِلٍ

خفت عمراً أن يقود خيله إلينا، ما بحوافره نعال وما ليس بحوافره نعال، أي جميع ما عنده من خيل.. وفسروا أيضاً أن الناعل الفرس، والحافي الجممل

١٢ قصة الحية

وقال فيما كان بينه وبين يزيد بن سنان المري:

أَلَا أُبْلِغَا ذُبْيَانَ عَنِّي رِسَالَةً فقد أَصْبَحْتَ عَنْ مَنْهَجِ الْحَقِّ جَائِرَةً
يا صاحبيَّ أَبْلِغَا بَنِي ذُبْيَانَ، قِبَلِي، رِسَالَةً، فقد انحرفت عن طريق الحق

أَجِدُّكُمْ، لَا تَزْجُرُوا عَنْ ظُلَامَةٍ سَفِيهَاً، وَلَنْ تَرْعُوا لِذِي الْوُدِّ أَصِرَةً
أجدكم، أهذا معقول! أنكم لا تزجرون السفيه الذي ظلم غيره، ولا ترعون لأصدقائكم
أَصِرَةً، عِلَاقَةً

وَإِنِّي لَأَلْقَى مِنْ ذَوِي الضُّغْنِ مِنْهُمْ كما أَصْبَحْتَ تَشْكُو مِنَ الْوَجْدِ سَاهِرَةً
أنا ألقى من ذوي الحقد من بني مرة، وهم من ذبيان ولكنهم كانوا على خلاف مع عشيرة النابغة،
ما تلقاه امرأة ساهرة من الحزن

كَمَا لَقَيْتُ ذَاتُ الصَّفَا مِنْ حَلِيفِهَا وما انْفَكَّتِ الْأَمْثَالُ فِي النَّاسِ سَائِرَةً
وكما لقيت ذات الصفا، الأنمي الملازمة للصفا وهو الصخر، من حليفتها، أي المجاور لها، وهذا
أمر سارت به الأمثال..

فَقَالَتْ لَهُ: أَدْعُوكَ لِلْعَقْلِ وَافِيَاً وَلَا تَغْشَيْنِي مِنْكَ بِالظُّلْمِ بَادِرَةً
قالت الحية لجارها: لأنني لدغت أخاك وقتلته فأنا أدعوك لقبول الدية، شرط ألا تأتي عليّ منك
بادرة ظلم

فَوَاتَّقَهَا بِاللَّهِ حِينَ تَرَاضِيَا فَكَانَتْ تَدِيرُ الْمَالَ غِبًّا وَظَاهِرَةً
فحلف لها بالله، فكانت تعطيه الدية بالمال غباً، أي يوماً بعد يوم، وظاهرة، أي كل يوم.. فهي
تعطيه الدنانير الذهبية باستمرار.. وإن ليس بانتظام

فَلَمَّا تَوَقَّى الْعَقْلَ إِلَّا أَقْلَهُ وَجَارَتْ بِهِ نَفْسٌ عَنِ الْحَقِّ جَائِرَةً
لما كاد أن يستوفي العقل، الدية، وبقي القليل، انحرفت به نفسه عن الحق

أَكْبَّ عَلَى فَاسٍ يُحَدُّ غُرَابَهَا مُذَكِّرَةً مِنَ الْمَعَاوِلِ بَاتِرَةً
عكف على فأس، وأخذ يشحذ غرابها، أي حدها، وهي من المعاول المذكرة، القوية، الباترة

فَقَامَ لَهَا مِنْ فَوْقِ جُحْرِ مُشِيدٍ لِيَقْتُلَهَا أَوْ تُحْطِئَ الْكَفُّ بَادِرَةً
قام للحية عند جحرها، فحاول قتلها، طمعاً ليأخذ كل الدنانير الذهبية، فاختطأتها كفه

فَلَمَّا وَقَّاهَا اللَّهُ ضَرْبَةً فَاسِهِ، وَلِلْبِرِّ عَيْنٌ لَا تُغْمَضُ نَاطِرَةً

لما وقَّاه الله ضربة فأسه، وعين الحق لا تنام

فَقَالَ: تَعَالَيْ نَجْعَلِ اللَّهَ بَيْنَنَا عَلَى مَا لَنَا، أَوْ تُنْجِزِي لِي آخِرَةَ

قال للحية: تعالي نحلف بالله على الوفاء، وتكملي لي ما بقي من الدية

فَقَالَتْ: يَمِينَ اللَّهِ أَفْعَلُ إِنَّنِي رَأَيْتُكَ مَسْحُورًا يَمِينُكَ فَاجِرَةٌ

حلفت له الحية أنها لن ترضى بذلك، لأن يمينه فاجرة، أي كاذبة، ولأنه مسحور، أي غير عاقل

أَبَى لِي قَبْرٌ لَا يَزَالُ مُقَابِلِي وَضَرْبَةُ فَأْسٍ فَوْقَ رَأْسِي فَاقِرَةٌ

وقالت الحية: أبى القبر الذي أراه مقابلي ودفنت فيه أخاك الملدوغ، وأبت لي ضربة الفأس الفاقرة، التاركة أثراً، أن أثق بعهدك أو أن تغفر لي

١٣ الغازي الحنون

ونسب للنابغة في هجاء النعمان بن المنذر. لكن، قال ابن الأعرابي: هذا

لعبد القيس بن خفاف البرجمي:

يَجْمَعُ الْجَيْشَ ذَا الْأُلُوفِ فَيَغْزُو ثُمَّ لَا يَزِرُّ الْعَدُوَّ فَنِيْلًا

يجمع جيشاً كبيراً ويغزو، ولكنه لا يُلحق أي ضرر بعده

١٤ في وصف طنجرة

وقال النابغة يمدح الجلاح الكلب:

لَهُ بِفَنَاءِ الْبَيْتِ دَهْمَاءُ جَوْنَةٌ تَلْقُمُ أَوْصَالَ الْجَزُورِ الْعُرَاعِرِ

له في ساحة البيت قدر ضخمة سوداء، يلقمونها أجزاء الجزور، أي الجمل المذبوح، العراعر، الضخم، فتسع لها

بَقِيَّةُ قَدَرٍ مِنْ قُدُورٍ تَوَرَّتْ لِآلِ الْجُلَاحِ كَابِرًا بَعْدَ كَابِرِ

هذه القدر بقية من قدور مورثة في آل الجلاح أباً عن جد

يَظْلُ الْإِمَاءُ يَبْتَدِرْنَ قَدِيحَهَا كَمَا ابْتَدَرَتْ كُلُّ مِاءٍ قُرَاقِرِ

الجواري يسارعن إلى قديح القدر، ما اغترف منها من لحم ومرق، مثلما تغترف قبيلة كلب بدلائها الماء من نبع قراقر

١٥ هذا عليها، وهذا تحتها

وقال النابغة يرثي أخاه لأمه، وأمهما عاتكة بنت أنيس الأشجعي. وكان أخوه ذهب يطلب إبلاً له فمات:

لَا يَهْنِي النَّاسَ مَا يَزْعَوْنَ مِنْ كَلَالٍ وَمَا يَسُوقُونَ مِنْ أَهْلِ وَمِنْ مَالٍ
لَا وَجَدَ النَّاسَ الْهَنَاءَ بِمَا تَرْتَعِي إِبْلَهُمْ مِنْ عَشْبٍ فَتَفِضُ عَلَيْهِمْ لَبْنًا وَلَحْمًا، وَلَا وَجَدُوا هَنَاءً فِي
أَهْلِهِمْ وَلَا فِي مَالِهِمْ..

بعد ابن عاتكة الثاوي لدى أبوي أمسى ببلدة لا عم ولا خال
.. بعد موت ابن عاتكة الثاوي، الراقد، في موضع «أبوي» البعيد، وقد أمسى غريباً ليس معه
لا عم ولا خال

حَسْبُ الْخَلِيلَيْنِ نَأْيُ الْأَرْضِ بَيْنَهُمَا هَذَا عَلَيْهَا، وَهَذَا تَحْتَهَا بِالِ
يكفي الصديقين من البعد أن تكون الأرض هي مسافة البعد بينهما، إذ أحدهما فوقها والآخر تحتها
دفيئاً بالي الجثمان

١٦ دار نعم

عُوجُوا فَحَبِّوْا لِنُعْمٍ دِمْنَةَ الدَّارِ مَاذَا تُحَيُّونَ مِنْ نُؤْيٍ وَأَحْجَارٍ
ميلوا بنا لنحي داراً كانت تنزل بها الحبيبة نعم، ولكن ما الذي نحيه: مجرد نؤي، أي قناة حول
خيمة لمنع ماء المطر من دخول الخيمة، وبضعة أحجاراً

فَاسْتَفْجَمَتْ دَارُ نُعْمٍ مَا تُكَلِّمُنَا وَالِدَارُ لَوْ كَلَّمْتُنَا ذَاتُ أَخْبَارٍ
دار نعم عجماء خرساء لا تكلمنا، ولو كلمتنا لقصت علينا أخبار الحبيبة

فَمَا وَجَدْتُ بِهَا شَيْئاً أَغُوجُ بِهِ إِلَّا الثُّمَامَ وَإِلَّا مَوْقِدَ النَّارِ
لم أجد ما أميل إليه، سوى نبات الثمام، وموقد النار

وَقَدْ أَرَانِي وَنُعْمًا لَاهِيَيْنِ مَعًا فِي الدَّهْرِ، وَالْعِيشُ لَمْ يَهْمُمْ بِإِمْرَارٍ
كنت ألهو مع نعم، قبل أن يشتد العيش ويقسو

أَيَّامَ تُخْبِرُنِي نُعْمٌ وَأُخْبِرُهَا مَا أَكْتُمُ النَّاسَ مِنْ حَاجِي وَأَسْرَارِي
لولا حبايل من نعم علققت بها لأقصر القلب عنها أي إقصار
لولا ما تعلق بي من حب لها لنسيها القلب

أُنِثْتُ نُعْمًا عَلَى الْهَجْرَانِ عَائِيَّةً سَقِيًّا وَرَعِيًّا لِذَاكَ الْعَائِبِ الزَّارِي

تعب علي لطول الهجر، وما لدي سوى التحسر على أيام هذه المحبوبة العائبة الزارية، اللاتمة.
هذا شيء يشبه كلام عمر بن أبي ربيعة

رَأَيْتُ نُعْمًا وَأَصْحَابِي عَلَى عَجَلٍ وَالْعَيْسُ لِلْبَيْنِ قَدْ شُدَّتْ بِأَكْوَارِ

رأيتها وكنت في جمع من أصحابي، وكانت الجمال تشد عليها الأكوار، أي الرحال وخشبها،
استعداداً للرحيل

بَيْضَاءَ كَالشَّمْسِ وَاقَتْ يَوْمَ أَسْعُدِيهَا لَمْ تُؤْذِ أَهْلًا وَلَمْ تُفْجِشْ عَلَى جَارِ

كانت بيضاء كأنها الشمس، وهي فتاة لطيفة لا تؤذي أحداً

يُلَاثُ، بَعْدَ افْتِضَالِ الدَّرْعِ، مِنْطَقُهَا لَوْنًا عَلَى مِثْلِ دِعْصِ الرَّمْلَةِ الْهَارِي

بعد أن تفتضل درعها، أي تخلع ثوبها الداخلي، يلاث، أي يُلَفُّ، منطقتها، شالها، على ردفين
كأنهما دعص هارٍ، أي كتيب رمل يهيل

وَالطِّيبُ يَزْدَادُ طِيبًا أَنْ يَكُونَ بِهَا فِي جِيدٍ وَاضِحَةٍ الْخَدَّيْنِ مِعْطَارِ

المسك ونحوه من صنوف الطيب تصبح رائحة إذا كانت على عنق هذه الفتاة البيضاء الخدين
المحبة للعطر

تَسْقِي الضَّجِيعَ إِذَا اسْتَسْقَى بِذِي أُشْرِ عَذْبِ الْمَذَاقَةِ بَعْدَ النَّوْمِ مُحْمَارِ

تسقي ضجيعها إن طلب السقي بغيرها ذي الأسنان ذات الأشر أي المحززة، وكذا أسنان الفتيات
الصغيرات، وريقها عذب، وهو كالخمر، حتى لو كانت قد أفادت من نومها.. فنحن - البشر -
العاديين - يكون ريقنا ذا رائحة رديئة عند الاستيقاظ، ولا كذلك صاحبة النابغة

كَأَنَّ مَسْمُومًا صَرَفَ عِلَّ رِيقَتَهَا مِنْ بَعْدِ رَفْدَتِهَا، أَوْ شَهِدَ مُشْتَارِ

كان ثغرها، إذ تقوم من النوم، قد شرب من خمر مسمومة، باردة ضربتها ريح الشمال، وصافية؛
أو كأن في ثغرها عسل المشتار، جامع العسل

أَقُولُ وَالنَّجْمُ قَدْ مَالَتْ أَوَاجِرُهُ إِلَى الْمَغِيبِ تَبَيَّنَ نَظْرَةً حَارِ

أقول وقد بدا النجم يتجه للمغيب، وبدا الصبح يطلع، دقق النظر يا حار، حارث

أَلَمْحَةً مِنْ سَنَا بَرَقَ رَأْيِ بَصَرِي أَمْ وَجْهَ نُعْمٍ بَدَا لِي أَمْ سَنَا نَارِ؟

أهذا الذي نراه ضوء برق، أم هو وجه نعم، أم هو ضوء نار؟

بَلْ وَجْهَ نُعْمٍ بَدَا وَاللَّيْلُ مُعْتَكِرٌ فَلَاحَ مِنْ بَيْنِ أَبْوَابِ وَأَسْتَارِ

لا، بل هو وجه نعم. وقد بدا وسط الليل المعتكر، الدامس، فبدا لنا واخترق الأستار والأبواب

١٧ جئتكَ على خوف

أَتَانِي أَنْ ذَاهِيَةً نَادَى عَلَى شَحِطِ أَتَاكَ بِهَا مَيُونُ
جاءني أن هناك مصيبة نآدى، كبيرة، وقد أتى بها على شحط، وأنت بعيد، رجل ميون، كاذب
فَبِئْتُ كَأَنْتَنِي حَرَجٌ لَعِينٌ نَقَاهُ النَّاسُ أَوْ دَنِفَ طَعِينُ
قضيت الليل وكأنني ملعون، منبوذ، أو كأنني مريض مطعون جريح

أَغِيرَكَ مَعْقِلًا أَبْغِي وَحِصْنًا فَأَغَيْتَنِي الْمَعَاقِلُ وَالْحُصُونُ
كيف لي أن أبغي غيرك أبها الملك حصناً؟ لقد أتعبتني الحصون، فلا حصن غيرك، ولا أمان
إلا عندك

فَجِئْتُكَ عَارِيًّا خَلَقًا ثِيَابِي عَلَى خَوْفٍ تُظَنُّ بِِي الظُّنُونُ
جئتكَ معتذراً مشعث الثياب كأنني عارٍ، وخائفاً، وموضع شبهات

فَأَلْفَيْتُ الْأَمَانَةَ لَمْ تَخُنْهَا كَذَلِكَ كَانَ نُوحٌ لَا يَخُونُ
فرايتك لم تخن العهد، وكنت كالنبي نوح في حفظه للأمانة

١٨ أكل.. وشرب

سَأَلْتَنِي عَنْ أَنْاسٍ هَلَكُوا أَكَلِ الدَّهْرُ عَلَيْهِمْ وَشَرِبِ

١٩ مخالب الدهر

مَنْ يَطْلُبُ الدَّهْرَ تُذَرِّكُهُ مَخَالِبُهُ وَالْدَّهْرُ بِالْوِثْرِ نَاجٍ غَيْرُ مَطْلُوبٍ
من أراد الانتقام من الدهر، فراح يطالبه بثأر، تأذى من مخالب الدهر. فالدهر ينجو
ولا يُطْلَبُ بثأر

مَا مِنْ أَنْاسٍ ذَوِي مَجْدٍ وَمَكْرَمَةٍ إِلَّا يَشُدُّ عَلَيْهِمْ شَدَّةَ الذِّبِ
وكل أهل المجد والقوة سيهجم عليهم الزمن هجمة الذئب المفترس

٢٠ سخيٌّ وناره

مَتَى تَأْتِيهِ تَعَشُّو إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ تَجِدْ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرُ مُوقِدٍ

إذا أتيت هذا الرجل الكريم وأنت تتبين بعينين أرهقتهما الظلمة ضوء ناره، فستجد أفضل نار عندها
أفضل من يوقد النار

٢١ المصير

الْمَرْءُ يَأْمُلُ أَنْ يَمِيحَ شَنْ، وَطُولُ عَيْشٍ قَدْ يَضُرُّهُ
تَفْنَى بِشَاشَتِهِ، وَيَبُ قَى بَعْدَ حُلُوِّ الْعَيْشِ مُرُّهُ
وَتَخُونُهُ الْأَيَّامُ حَتَّى سَى لَا يَرَى شَيْئاً يَسُرُّهُ
كَمْ شَامِتٍ بِي إِنْ هَلَكْتُ تْ، وَقَائِلٍ لِّلْهِ دَرُّهُ

٢٢ عصام

قال في عصام، حاجب النعمان، وكان من أصل ضعيف وصعد بكده، ومن هنا قيل لكل مجتهد رفع نفسه عصامي:

نَفْسُ عِصَامٍ سَوَّدَتْ عِصَامَا
وَعَلَّمَنَّهُ الْكَرَّ وَالْإِقْدَامَا
وَصَبَّرَنَّهُ مَلِكاً هُمَامَا
حَتَّى عَلَا وَجَاوَزَ الْأَقْوَامَا

٢٣ لكل حامله تمام

وَلَسْتُ بِدَاخِرٍ أَبَدًا طَعَامًا حِذَارَ عَدٍ، لِكُلِّ عَدٍ طَعَامُ
لَنْ أَذْخِرَ مَالًا لِلْغَدِ، فَكُلْ يَوْمَ لَهُ رِزْقُهُ

تَمَخَّضَتِ الْمُنُونُ لَهُ يَوْمَ أَتَى، وَلِكُلِّ حَامِلَةٍ تَمَامُ
المنون، أي الموت، كالمرأة الحبلى، تكون في مخاضها، ثم لا بد لها من إتمام حملها.. وكذا الموت لا بد أن يزور المرء يوماً

٢٤ ممتاز، لكنه ممتاز

فَتَى تَمَّ فِيهِ مَا يَسُرُّ صَدِيقَهُ عَلَى أَنَّ فِيهِ مَا يَسُوءُ الْأَعَادِيَا
فتى فيه كل الفضائل التي تسر الصديق وتسوء العدو

فَتَى كَمَلَتْ أَخْلَاقُهُ، غَيْرَ أَنَّهُ جَوَادٌ فَمَا يُبْقِي مِنَ الْمَالِ بَاقِيَا
أخلاقه كاملة، لكنه سخي فلا يبق على ماله.. وهذه فضيلة أخرى ساقها الشاعر وكأنه يستثني. ومثل هذا قوله، وأوردناه سابقاً: وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ، غَيْرَ أَنَّ سِيَوْفَهُمْ/بِهِنَّ قُلُوبٌ مِنْ قِرَاعِ الْكُتَائِبِ

النابعة الذبياني
فهرس القوافي
(القافية فرقم القطعة)

١٢	جَائِرَةٌ	١٠	الضَّرَابُ
٢١	يَضْرُهُ	٦	وَأَنْصَبُ
٢	الدَّوَّافِعُ	٣	الكَوَاكِبِ
١٣	قَتِيلًا	١٩	مَطْلُوبِ
١١	الْأَجَاوِلِ	١٨	وَشَرِبِ
١٥	مَالِ	١	الْأَبْدِ
٤	الْهَرَمَا	٧	مُزَوِّدِ
٢٢	عِصَامَا	٢٠	مُوقِدِ
٩	الْهُمَامُ	٥	وِظَاهِرَا
٢٣	طَعَامُ	٨	الْحَنَاجِرِ
١٧	مَيُونُ	١٦	وَأَحْجَارِ
٢٤	الْأَعَادِيَا	١٤	الْعُرَاعِرِ

الأعشى الكبير

(٧٠ ق هـ - ٥٧ هـ)

أحدثكم عن آخر شعراء الجاهلية: الأعشى ميمون بن قيس .

سمع بالإسلام وكاد يُسلم، ولم يسلم . ومات سنة سبع للهجرة .

سكير ولا كأبي نواس، وداعر ولا كامرئ القيس، مذهبه في الحياة طلب اللذة أيان وجدت .

كنتُ أضربتُ في هذه المختارات عن اقتباس أبيات تداعر فيها ما شاء . كأنما أدركتني غيرةٌ وأنا أقرأ الديوان قراءةً اقتباس وتنخيل ؛ على أنني عدت وأثبتُها، فابحث عنها في هذه المختارات، ولن أقول لك على أي روي هي حتى لا تترك هذه المقدمة وتنطلق إلى تلك الأبيات . وإنما رجعتُ عن رأيي الأول متأسياً بابن قتيبة في «الشعر والشعراء»، فهذا القاضي الدِّين استحسن للأعشى ثلاثة تُنفّ، وشاء أن تكونَ اثنتانٍ منهنَّ في الخمر . وهكذا كان أولونا : يكون أحدهم صاحب ورع وتقوى ثم يروي الشعر المتهتك ويستجيده، فكأن للشعر معياراً غير معيار الأخلاق والدين، معياران يتوازيان ولا يلتقيان أبداً . تلك مدرسة الفن للفن .

فماذا صنع الفقهاء بشعر رُميت فيه المحصنات؟ كيف صنعوا بشعر جرير الذي زنى فيه نسوة سماهن بأسمائهن؟ لم يصنعوا شيئاً، رروا كل ذلك واستشهدوه على قاعدة نحوية أو على لفظة وردت في حديث أو حتى في قرآن . ذلك كان منهجهم . ولعل بعض معاصرينا - من دِّين وغير دِّين - يشمئز من هذا المنهج، ويقول إنه يجب أن يكون للشعر رسالة . ونحن في عملنا نعرض الشعر العربي كما كان، ونسترطه إلى معدة تقبل ألواناً كثيرة .

وفي الشعر، سوى المعنى، جرس، وفيه شيء خفي يميزه عن النثر، ولقد يمر بك شعر أجمع النقاد على أنه قليل «الفائدة»، يعنون أن معناه سطحي، ثم تجدهم يقتبسونه مرة ومرة في كتبهم، وتجده جارياً على كل لسان سائراً إلى كل مكان.

الشعر صورة كما يقول أهل زمننا من النقاد. هو صورة نعم، وليس هذا بالأمر الذي يحتاج إلى برهان، ولا إلى طويل كلام. وقد أغنى أساتيد الجامعات نفوسنا وهم يشرحون لطلابهم في الصفحات الكثيرة كيف أن الشعر صورة، فيفسرون الأبيات و«يستخرجون» ما فيها من «صور».

لكن الشعر شيء آخر أيضاً.

الشعر كلمة تجاور كلمة فيكون لهما من الأثر ما يحرك في النفس شيئاً.

وهو وزن وقافية.

سنطرفك بأبيات للأعشى طالما تغنى بها المغنون، فهو صناجة العرب. ولكننا سنكتب لك أسطراً عن الرجل.

ولد «ميمون» في الرياض عاصمة السعودية، قبل أن يكون هناك رياض أو سعودية. فإن ذهبنا إلى الرياض اليوم، فاقصد حي منفوحة الملاصق للدائري الجنوبي. هناك ولد الأعشى. هذه المنطقة هي منطقة اليمامة التي كانت تسكن قراها في أواخر الجاهلية وأوائل الإسلام قبائل حنيفة، وقيس بن ثعلبة، وربيوع. وفيها كان مسيلمة الكذاب وبعض حروب الردة، وفيها عاش جرير شاعر يربوع التميمية.

في الجاهلية سكنت اليمامة قبيلة حنيفة وكانوا أهل زراعة، وسكنتها قيس بن ثعلبة وكانوا أهل رعي، وحرب. ويغلب على أهل الرعي أن يكونوا أهل حرب. ويبدو أن العلاقة بين القبيلتين كانت مبنية على تبادل المنافع، وكلتا القبيلتين تنتسبان إلى بكر بن وائل، التي هي فرع من ربيعة. ولعل القارئ يريد خريطة مبسطة لقبائل العرب:

عرب الجنوب منهم طيء وكندة والأوس والخزرج، وغيرها كثير. وهم نصف العرب. ليس لدينا إحصاء، ولكننا نعرف أن نصف المشاهير من شعراء العرب كانوا من اليمانية. ومعظم قبائل الجنوب كانت تسكن في الشمال، في الشام والحجاز والعراق. هاجرت إلى الشمال قبل الإسلام بعشرات السنين.

وكانوا سألوا نَسَابَةً أيهم أكثر عرب الشمال أم عرب الجنوب؟ فأجاب: إن تمعددت قضاة، أي انتسبت إلى معدّ أبي عرب الشمال، فنزار أكثر، وإن تيمنت فاليمن أكثر.

وعرب الشمال قسمان: مضر، ومنهم تميم وقريش. وربيعة، ومنهم تغلب وبكر. ومن بكر فرع قيس بن ثعلبة.

ومن قيس بن ثعلبة كان الأعشى ميمون بن قيس بن جندل.

مات أبوه جوعاً في كهف انسد بصخرة عظيمة، فلقبه الناس قتيل الجوع. ولقب الناس ابنه ميموناً أبا بصير، تيمناً لأنه كان أعشى، لا يبصر في العتمة. ولعل ميموناً أحب اللقب فاكنتى به، وسمّى ولده بصيراً. وهو في شعره يزجي النصح لـ«بصير»، ولكننا لسنا على ثقة من أن هذا الشعر شعره. ولا نحن على ثقة بأن أي شعر جاهلي هو للجاهليين. تلك قضية نفرض منها يديه بعض الدارسين، وجادل فيها بعضهم. وفي قصائد كثيرة للأعشى شكك القدماء والمحدثون.

صحة نسبة شعره إليه

كان القدماء يشكون في الشعر الجاهلي، ولكنهم كانوا يحبون هذا الشعر القديم حب تقديس. فهو الأصل، وهو الوعاء الذي يحمل اللغة الصحيحة «الأصلية». فكل ما يتكلمون به في عصرهم العباسي ذاك خليط، وكل أساليبهم في التعبير عن أفكارهم ومشاعرهم أساليب محدثة دخلها الفساد و«العجمة». كانت نظرتهم إلى اللغة نظرتهم إلى النص المقدس. حتى لقد زعم كثيرون منهم أن اللغة العربية بكلماتها وأساليبها مخلوقة مع آدم.

هؤلاء القدماء شككوا في الشعر الجاهلي، وقدسوه في الوقت نفسه، وبحثوا بإخلاص عن أي مفتاح يعينهم على تخليص ما وصلهم منه من الفاسد الموضوع.

ورأس المشككين من المحدثين المستشرقون الذين استقر في ثقافتهم في بلادهم أن اللغة كائن متغير، وقد عالجوا الشعر الجاهلي بمبضع جراح غير ماهر - فأما لماذا غير ماهر، فلأن هؤلاء المستشرقين لا يتذوقون الشعر العربي كأهله - على أنهم بقوة المنطق والعلم، شككوا. وجاء طه حسين فاتبعهم بعض اتباع، واقتنع كبير اقتناع. وثار عليه مقدسو اللغة من المحدثين. وأكثر ما

أخاف المحدثين - المستمسكين بصحة الشعر الجاهلي كأنه أعراض أمهاتهم - أن التشكيك في نص الشعر الجاهلي سيعرض النص المقدس للشك. والأكثر تضرراً من منهج التشكيك الحديث النبوي. فقد روي رواية، ولم يكتب إلا بعد أكثر من مئة سنة من وفاة الرسول.

وقامت معركة الشك في الشعر الجاهلي، وأحسبها لا تزال قائمة. ولا أقف موقفاً وسطاً.

رأيت الناس ينشدون الشعر النبطي الذي قاله شعراء البادية قبل مئة سنة وميتين. فمنهم من ينشد البيتين والثلاثة من القصيدة، يستشهد على حادثة أو على فكرة. ومنهم من هو أحسن حفظاً وأدلق لساناً فتراه ينشد القصيدة كلها، ويأتي آخر فينشد القصيدة نفسها برواية مختلفة تتغير فيها مواضع الأبيات، وتبدل عشرات الكلمات، وتنقص القصيدة أو تزيد. ذلك أن الرجلين كليهما تلقيا القصيدة شفاهاً، وكلاهما متقن لهذه اللهجة وقادر أن يصلح ما وصله مختلاً. وبعد عدة أجيال من الرواة يبقى من القصيدة وزنها وقافيتها، وبعض كلماتها. ولعله يبقى أيضاً شيء غير قليل من روحها. ولعل النسخة الحديثة منها أن تكون أضبط ضبطاً وأحلى حلاوة من النسخة الأصلية. ولعل قصائد نبطية كثيرة منسوبة إلى شاعر بعينه لا تكون من شعره أساساً، بل هي لشاعر آخر أحدث منه أو أقدم.

ونقول إن الشعر النبطي القديم الذي يرويه الناس في مضافاتهم، أو ديوانياتهم، في أيامنا هذه يمثل بمجموعه تراث حقبة معينة، ويحمل روحها سواء بأبياته الأصلية أم بأبياته التي دخلها التبديل الكثير أو حتى الوضع والنحل.

وشعرنا الجاهلي مجموعة من القصائد تمثل روح تلك الحقبة، وتشكل أساساً فنياً بنى عليه الشعراء الأمويون والعباسيون شعرهم، واتخذوه نبزاً، وظلوا يحاولون الاقتراب من مبانیه - وأحياناً من معانيه - في صوغهم شعرهم. حتى المجدد الذي كسر القوالب عارفاً بما يصنع، كأبي نواس وأبي تمام، فقد كان يسعى جاهداً لتخير مفرداته وأساليبه بحيث تكون صحيحة جاهلياً. وهذا موجود في زمننا، فترى المرء إذا أورد كلمة عامية في شعر له أو نثر فزع إلى علامتي تنصيص يضع بينهما الكلمة العامية طالباً من القارئ المعذرة.

ديوان الأعشى

طبع المستشرق ردولف غاير شعر الأعشى سنة ١٩٢٨، ثم رتب هذه الطبعة وزاد عليها شروحاً وفهارس محمد محمد حسين سنة ١٩٥٠، وجاءت طبعته غاية في الوضوح والأناقة والصحة والالتزام بطبعة غاير. لا بل لقد كلف سيّدة بترجمة المقدمة الألمانية فجاءت ترجمتها مرآة للأصل لم تنحرف عنه قيد شعرة. وقد عارضتُ طبعة غاير على طبعة محمد حسين بيتاً بيتاً فعجبت من الرجلين. هذا الألماني يصدر ديوان الأعشى في نشرة علمية بديعة خالية من الخطأ وهو مصاب بالفالج، وهذا المصري يعيد طبعتها طباعة أنيقة ويزينها بشتى الشروح، ولا يكاد يتسلل إلى طبعته خطأ مطبعي، فإن تسلل، وقليلاً ما تسلل، ضبطه بجريدة للخطأ وصوابه في ذيل الكتاب. وصنع جدولاً طريفاً آخر بالكلمات التي بدّلها في الطبعة الأوروبية. هذا إلى فهارس أخرى عديدة.

ليت محمد حسين اشتغل بتحقيق الدواوين القديمة أو حتى بضبط التحقيقات القديمة لها، لكنه انصرف فيما يبدو لي إلى تأليف الكتب لتلامذته في الجامعة قبل وبعد عمله في ديوان الأعشى. جزاه الله خيراً.

أقول: ذلك المحقق المصري كان - كما يبدو من كتبه الأخرى - عربياً مستمسكاً بعري الدين، ناعياً على طه حسين تشكيكه في الشعر الجاهلي تشكيكاً ساحقاً. ومع ذلك نراه في الموضوع بعد الموضوع من طبعته لديوان الأعشى يشكك في العشرات من القصائد، ولا يرى أنه سَلِمَ لنا من ديوان الأعشى سوى بضع وثلاثين قصيدة. فتأمل.

حياة الأعشى

أراه رجلاً قصيراً، على شيء من البدانة، يلبس في أصابع يديه الخواتم: فهذا خاتم عقيق من اليمن، وهذا خاتم ذهب من أمير اليمامة هُوَذة بن علي، وهذا خاتم فضة اشتراه بماله في شبابه، ولم ينزعه من إصبعه لكثرة ما لمس هذا الخاتم من أجساد الحسان اللائي يفتخر الأعشى بأنه عاشرهن.

وكل هذه المعلومات محض افتراء، وما سيلي ليس صافياً كل الصفاء.

كان كثير الأسفار. ونبغ في الشعر شاباً، وصار مشهوراً، ومخشي معرة اللسان. يسافر مع قبائل التجار.

هو هكذا.. يحب السفر.

لي صديق أتعجب منه كثيراً. يقول لي: أعشق السفر، ولا أسأل عن هدف الرحلة ولا عن تفصيلاتها، فما إن تباح الرحلة حتى أعد حقيبتي. أتعجب منه لأنني أنا لست كذلك. فإذا عرضت لي سفرة حملت همها وتمنيت في أعماقي أن تلغى لأي سبب. فإذا سمعت أنها ألغيت فرحت فرحاً طفوياً.

كان الأعشى كصاحبي. يأتيه الخبر وهو في منفوحة باليمامة أن قافلة ستنتقل إلى اليمن، فيعد حقيبته. ويرحب به التجار رفيق سفر، فسوف ينزلون ببركته على أمراء اليمن وأساقفة نجران، ثم إن رفيقهم سيكون شاعراً يروي لهم من قصيده ويؤنسهم. ويقيم الأعشى في اليمن أشهراً، ويمدح الأمير، وينال عطية جزيلة أو قليلة. وإلى الحيرة على الفُرات يسافر، ويلقي شعره على راويته يحيى، وللأعشى أكثر من راوية.

ويسمع أن قافلة أخرى ستوجه إلى الحجاز، فيمضي معها، ويحضر سوق عكاظ، ويلقى الشعراء والكبراء.

يلقى هناك عامر بن الطفيل وقد اشتدت خصومته مع ابن عمه علقمة، فينصر الأعشى عامراً، ويهجو علقمة. وتتسامع جزيرة العرب بقصائد الأعشى في تلك المنافرة المشهورة. ويبكي علقمة من قسوة الهجاء. وفي سفرة أخرى للأعشى يقع شاعرنا بيد علقمة، فيحبسه عنده غير ضيف، حتى يخلص الأعشى نفسه بأبيات يمدح فيها علقمة ويعتذر إليه عما بدر منه.

ويعود الأعشى إلى منفوحة، ويجد ابنته قد كبرت، وأولاده يركضون في الحي ويرعون أغناً كان ابتاعها لهم. ويأتيه رجال من قبيلة زوجته الجديدة التي تزوجها وظل يتركها ويسافر، فيطالبونه بطلاقها، فيطلقها. ثم تعن له سفرة عراقية، فتعلق به ابنته، تريده ألا يسافر، ولكنه - كزميلي عاشق السفر - يسافر، ثم يزعم لنا الرواة أنه حضر مجلس كسرى.

يمدح الأمراء في كل مكان، وينال أعطياتهم، وفي كل حاضرة من حواضر هؤلاء الأمراء يلتبس الأعشى أخبية القيان، يرافقه إليها بعض التجار، فيشربون ويشوون اللحم، وينالون مبتغاهم من النساء.

ويشيب الأعشى ويزداد عَشْاً، ولعله كما قال ابن قتيبة فقد بصره. ويحن إلى أيام اللهو ويقول في ذلك شعراً. ويسمع وهو باليمامة أن قريشاً تعاني مع

ابنها الذي تقول إنه يقول إنه نبي. فلا يأتي عكاظاً، فهو شيخ كفيف، ولا يريد أن ينغمس في منافرة أخرى كتلك التي انغمس فيها بين عامر وعلقمة. ثم يسمع أن النبي هاجر إلى يثرب، وأنه بدأ يحقق الانتصارات، فيشد الرحال إليه، ويعد قصيدة يمدحه فيها.

يأتي مكة أولاً، فيراه أبو سفيان، ويعرف أنه قاصد محمداً. فيقنعه بالعدول عن رحلته، ويجمع له مالاً من قريش التي لا تريد أن يتعزز الإسلام بشاعر مشهور. ويرضى الأعشى وينصرف عن مكة عائداً إلى اليمامة، وهو يقول لنفسه: لعلني أعود في مرة قادمة، والأمر قد استتب لمحمد، وإلاً فقد كسبت نياق قريش. عاد إلى اليمامة. وفيها وقع عن ناقته - أوقعه عنها الأخباريون الذين أرادوا له ميتة قاسية لأنه لم يُسلم - ومات. وعندما صعد إلى السماء وضعه أبو العلاء المعري في الجنة بسبب قصيدته التي مدح بها النبي، لكنه حرمه من الخمر. وهذه بقية سيرة الأعشى نقتبسها من رسالة الغفران للمعري، والمتكلم الأعشى:

«سحبني الزبانية إلى سقر، فرأيت رجلاً في عرصات القيامة يتلألاً وجهه تلألؤ القمر، والناس يهتفون به من كل أوب: يا محمد يا محمد، الشفاعة الشفاعة! نمتُ لكذا ونمتُ بكذا. فصرختُ في أيدي الزبانية: يا محمد، أغشي فإن لي بك حرمة! فقال: يا علي، بادِرْه فانظر ما حرمة؟ فجاءني علي بن أبي طالب، صلوات الله عليه، وأنا أغتَلُّ كي ألقى في الدرك الأسفل من النار، فزجرهم عني، وقال: ما حرمتك؟ فقلت: أنا القائل:

نبي يرى ما لا تروُن، وذكرُه أغارَ لعمري في البلاد وأنجد

فذهب عليٌّ إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، هذا أعشى قيس قد رُوي مدحه فيك، وشهد أنك نبي مرسل. فقال: هلاً جاءني في الدار السابقة؟ قال: عليٌّ: قد جاء، ولكن صدته قريشٌ وجبه للخمر. فشفع لي، فأدخلت الجنة على أن لا أشرب فيها خمرًا؛ فقررت عيناى بذلك، وإن لي منادح في العسل وماء الحيوان. وكذلك من لم يتب من الخمر في الدار الساخرة، لم يُسقها في الآخرة. اهـ.

سلق الأكاديميين

قد رأيتنا أيها القارئ استفدنا من جهد رجل أكاديمي، هو محمد حسين، فمدحناه، ووفينا حقه. أليس كذلك؟ إذن فالعادة التي جربنا عليها من السخرية من الأكاديميين والاستهزاء بهم لم تكسف عنا صنيع من أتقن عمله منهم. وقد

كتبنا ما كتبنا أعلاه - بعد أن كنا انتقينا ما انتقينا من شعر الأعشى ورَفَنَاهُ
وشَكَّلْنَاهُ وشرحناه كما سترى أدناه -، وانتهينا من هذه المختارات بصدر
منشرح، لم نشتم أحداً ولم نتعرض لأحد.
ثم حدث شيء.

ذكرْتُ للصديق اللغوي المدقق أحمد عبد الرحيم، في عرض حديث، أنني
انتهيت من عصر الأعشى (أعني عصره عصراً)، وأني استندت إلى طبعتي غاير
ومحمد حسين. فهتف بي صديقي: ألم يأتك نبأ الطبعة الجديدة التي تملأ
مجلدين وتستند إلى ثلاث نسخ خطية بكر، وتضم من الشعر الكثير مما لا
يوجد في تينك الطبعتين؟ قلت: لا.

ثم جاءني بالمجلدين. فرأيت قد زين صفحاتهما التي ناهزت الشمانئة
بالمئات الكثيرة من العلامات والملاحظات، فقلت: مرحي! ننتفع بالطبعة
الجديدة، وبملاحظات صديقنا المتمكن من لغته.

أقول لإخوتي الكرام في دول الخليج الثرية - والطبعة التي نحن بصدها
صادرة في دولة خليجية ثرية -: نشدكم الله يا إخوتي إلا ما كففتم عن الخوض
فيما ليس لكم فيه! خاصمتكم أمام العرش يا أهل المال، أما تتركون تحقيق
الكتب، واستتجار الناس الذي لا يعرفون كيف يحققون الكتب؟ لَعَت نفسي
ولَقِستُ، وحامت كبدي وخُبْتُ من هذا المسخ الذي ريمتوني به.

هذا الكتاب صنعه رجل وصف نفسه بالدكتور، وصنعت المؤسسة الخليجية
تلك ما لم تصنعه دار نشر في طول العالم العربي وعرضه: وظفت رجلاً
(دكتوراً أيضاً) ليقوم بـ«المراجعة اللغوية» وصرحت بذلك على قفا صفحة
العنوان الداخلي. أرايتم دكتوراً يحقق ديواناً جاهلياً ثم يحتاج إلى مراجع لغوي
يكس أخطاءه النحوية من ورائه؟

اصبروا، فالمهزلة مستمرة.

على صفحة الغلاف اسم الشاعر (الأعشى الكبير) وتحت الباء كسرة.. .
حتى لا نغلط ونظنه «الكُبَيْر». ونقول للناس: جبر الله كسرك وأقام أمتك لهذه
الكسرة التي أنعشت بها الذاكرة. ثم «ميمون بن قيس» ولا ندري من أي
المصادر الخطيرة عثر القوم على قيس هذه. لكن، هي كسرة أخرى! وسترى
معي كسراً كثيراً فيما سيأتي، وسترى قيس المكسورة تتكرر في كلمة الناشر.

بدأنا نقرأ. وفي الصفحة الأولى كلمة الناشر، صفحة مكتوبة بقلم هزيل
ثرثار، قلم من لم يذق شعراً في عمره.

ثم مقدمة «المحقق»: هل أصف للقارئ التسعين صفحة التي سودها السيد
الدكتور المحقق؟ سيقترضني ذلك تسعين صفحة من مُرّ الكلام. لقد أغشى النفس
بتحميداته وتسييحاته ودعواته لنفسه ولكل من ساعده في الحصول على النسخ،
حتى كادت مقدمته أن تصبح خطبة منبرية. ولم ينس في الفقرة الأولى من
المقدمة أن يتحفنا بغلظة لغوية - أشار إليها وإلى أمثالها صديقي اللغوي أحمد
عبد الرحيم -. ثم تجده في الصفحة الثانية من المقدمة يثني على الألماني غاير
أعطر الثناء، ويقذف المصري محمد محمد حسين بعبارة «أين الثرى من الثريا».
وأخذ بعد ذلك يعث باللغة عبثاً لا نرضاه من طالب في الإعدادية، بله من
كاتب في صحيفة، بله ممن سمى نفسه محققاً.

يكتب اسم المستشرق الألماني بجيم مثلثة النقاط حيناً وبجيم ذات نقطة
حيناً، ويرتكب ثلاثة أخطاء نحوية في الصفحة الثالثة من المقدمة، وتراه بعد
ذلك يبدأ الجملة بمبتدأ، وبحث - إن كان معك وقت - عن الخبر. ثم يصدر
حكماً: «ضربت صفحاً عما أثير من شكوك حول بعض شعر الأعشى، إذ لم
تعد لمثل هذه الشبهات في مجال البحث العلمي والتحقيق قيمة تذكر». هذا ما
يقوله صاحب «البحث العلمي» الذي بدأ كلامه بعبارة «استبيح القارئ عذراً»،
وهو، وأيم الحق، قد استباح العلم، واستباح القارئ فعلاً.

وفي مطلع الفقرة بعد الفقرة يروي لنا هذا الدكتور كيف أن الأمر الفلاني أو
الفلاني قد أذهله (في إحدى رواياته لهذه الكلمة يقول «أذهلتهني»، نقول ذلك لكي
يعلم الدكتور أن آلاف الأخطاء المطبعية التي حفل بها كتابه لم تنزلق عنها أبصارنا
مثلما انزلقت عنها العيون الأربع: عيناه وعينا المراجع اللغوي الذي وظفوه له).

بعد تسعين صفحة من الكلام المضطجع في مراقد الركافة بدأنا نقرأ شعر
الأعشى. ونقول للسيد الذي سمى نفسه محققاً: ليست في الكتاب بجزأيه
صفحة واحدة تخلو من خطأ، ومن خطأين، وثلاثة، وعشرة. يا أخي، اتق الله!
أليس لأهلك حقل تزرعه، أو دكان تقعد فيه تبيع وتشتري. لقد شكرت نصف
أمة محمد في مقدمتك لما أسدوه إليك من معونة، قد والله فضحتهم.

قد استغنيا عن كتابك يا سيد.

نخل لنا القدماء شعر الأعشى ومخضوه مخضاً في زمن كان فيه شعر

الأعشى برواياته المختلفة بين أيديهم، واستغنيا. عرفنا عيون شعره مما حصل في أيدينا من انتقاءات القدماء، فلا نريد كتابك السمين غير الثمين. وكنت في المقدمة قد هددتنا بإصدار جزء ثالث، ونظنه إن وفيت سيلتهم ورقاً كثيراً، ونقول لك: رفقاً بالأشجار في الغابات الموسمية.

وكلمة محاسبة أخيرة - ولا أتعهد لك أن تكون الأخيرة، فقلبي منك ملآن -: وعدتنا بشرح الأبيات شرحاً أفضل من شرح محمد حسين الذي عبته وتنقصت منه بلهجة الأستاذ، فأين شرحك؟ قد اكتفيت من الشرح بسرقة بعض ما خطته أنامل الراحل الذي لن يستطيع أن يقول لك من قبره: امسك حرامي. نحن نقولها لك. ونقول لك: ليس في كتابك شرح.

وكلمة أخرى: هوامشك تخاليط. ومقابلتك بين النسخ تنحط عن أدنى ما يصنعه الشداة في هذا الفن.

١ ودّع هريرة (المعلقة)

قال ليزيد بن مسهر الشيباني، أبي ثابت:

ودّع «هريرة» إنّ الركب مُرتحلٌ وهل تُطيقُ وداعاً أيّها الرجلُ

غراءً فرعاءً مصقولٍ عوارضها نمشي الهويّنا كما يمشي الوجي الوجلُ

غراء (بيضاء) فرعاء (كثيفة الشعر)، مصقولة عوارضها (أسنانها القواطع)، نمشي الهويّنا (يبطء) كما يمشي الوجي (الحافي) الوجل (الماشي في الوجل). والماشي في الوجل متمهل لأنه لا يرى إن كان تحت الوجل حجر مسنون أو نحوه، فكيف إذا كان حافياً

كأنّ مشيتها من بيت جاريتها مرّ السحابة لا ريثٌ ولا عجلُ

تمشي كالسحابة فلا ريث (بطء) ولا سرعة

تسمّع للخلّي وسواساً إذا انصرفَتْ كما استعانَ بريحٍ عشرقٍ زجلُ

تسمع لخليلها وسواساً (خشخشة) مثلما يخشخش نبات العشرق الزجل (المخشخش إذ تجف بذوره وأغلفتها) عندما تهب عليه الريح

ليست كمن يكره الجيران طلعتهما ولا تراها ليسرّ الجار تختلّ

يجب الجيران طلعتهما، ولا تختل (تسرق السمع) على أسرار الجيران

يكاد يصرعها لولا تشدُّها إذا تقوّم إلى جاريتها الكسلُ

يكاد الكسل يصرعها (يلقيها أرضاً) لولا أنها تشدد عند القيام، وذلك لثقل أردافها

هَرَكَوْلَةُ فُنُقٌ دُرْمٌ مَرِافِقُهَا كَأَنَّ أَحْمَصَهَا بِالشُّوكِ مُنْتَمِلٌ

هركولة (عظيمة الوركين) فنق (منقمة)، مرافقها درم (مفاصلها مكسوة بالشحم، فلا تبين في المرفق عظمة المفصل)، وكأنها تلبس نعلًا من الشوك تلتصق بأخمصها، فهي لذلك بطيئة المشي

مَا رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْحَزَنِ مُعْشِبَةٌ خَضِرَاءُ جَادَ عَلَيْهَا مُسْبِلٌ هَطْلٌ
بدأ تشيهاً: ليست الروضة من رياض الحزن (الهضبة) المعشبة الخضراء التي جادها مطر مسبل
(منهمر)، ليست...

يَوْمًا بِأَطْيَبَ مِنْهَا نَشْرَ رَائِحَةٍ وَلَا بِأَحْسَنَ مِنْهَا إِذْ دَنَا الْأَصْلُ
ليست هذه الروضة أطيب من هريرة من حيث النشر (الرائحة)، وليست أحسن منها مع دنو الأصال
(قيل الغروب)

عُلِقَتْهَا عَرَضًا وَعُلِقْتُ رَجُلًا غَيْرِي وَعُلِقْتُ أُخْرَى غَيْرَهَا الرَّجُلُ
تعلقت بحبها عرضاً (صدفة) وهي تعلقت برجل غيري، وهو تعلق بغيرها

قَالَتْ هُرَيْرَةٌ لَمَّا جِئْتُ زَائِرَهَا: وَيْلِي عَلَيْكَ وَيْلِي مِنْكَ يَا رَجُلُ
لا اختلاف بين النقاد القدماء على أن هذا أخت بيت قاله العرب

يَا مَنْ يَرَى عَارِضًا قَدْ بَتَّ أَرْقُبُهُ كَأَنَّمَا الْبَرْقُ فِي حَافَاتِهِ الشُّعْلُ
يغير الموضوع: يرى الرائي عارضاً (غيماً) في أطرافه بروق كأنها شعل من نار

لَمْ يُلْهِنِي اللَّهْوُ عَنْهُ حِينَ أَرْقُبُهُ وَلَا اللَّذَازَةُ مِنْ كَأْسٍ، وَلَا الْكَسَلُ
لم يشغلني عن هذا الغيم البارق لهوي وكأسي، ولا كسلي

فَقُلْتُ لِلشَّرْبِ فِي «دُرْنِي» وَقَدْ نَمِلُوا شَبِمْوْا، وَكَيْفَ يَشِمْ الشَّارِبُ الثَّيْلُ
فقلت للشرب (الشاربين) وقد سكروا: شيموا (راقبوا البروق، والعرب تشيم البرق لتخمين اتجاه
الغيم الماطر كي ترتحل في سبيل العشب)، ولكن، كيف يشيم البروق السكران؟

وَبِلْدَةٍ مِثْلِ ظَهْرِ الثُّرْسِ مُوَحْشَةٍ لِلْجِنِّ بِاللَّيْلِ فِي حَافَاتِهَا رَجْلُ
رب بلدة موحشة جرداء كظهر الثرس (ظهره هو ما يواجه الخصم ويكون صقيلاً)، ويسمع فيها
زجل الجن، وهو عذيف الجن، ولا أدري كيف يكون صوت الجن فلم أسمعه قط

جَاوَزْتُهَا بِطَلِيحٍ جَسْرَةٍ سُرْحٍ فِي مِرْفَقَيْهَا إِذَا اسْتَعْرَضْتُهَا فَتَلُ
قطعت هذه البلدة بطليح (ناقة مهزولة من مشقة السفر) جسرة (ناقة ضخمة) سرح (سلسلة السير)،
وترى في مرفقيها (الثفتين اللتين تترك عليهما الناقة من أمام) الفتل
(ولعل هذا الفتل هو تباعد ما بين المرفقين بسبب التعب)

فقد أخالِسُ رَبَّ البيتِ غفلتَه وقد يُحاذِرُ مِنِّي ثم مَا يَئِلُ

أخالِس (أستغفل) الرجل ويحذر مني ثم لا يئل (لا ينجو)، فأنا أوأصل زوجته

وقد أَقوُدُ الصَّبَا يوماً فَيَتَّبِعُنِي وقد يُصاحِبُنِي ذو الشَّرَّةِ الغَزَلُ

أبادر إلى الصبا (اللهو) ويلحق بي، أو يصحبني صديق ذو غزل وشرة (عرامة الشباب)

وقد عَدَوْتُ إلى الحانوتِ يتبعُنِي شَاوٍ مِثْلُ شُلُولٍ شُلْشُلٍ شَوِلُ

أذهب إلى الحانوت (الحانة) ويتبعني شاوٍ (من يشوي اللحم) وهو مثل وشلول وشلشل وشول (وكلمها تعني نشيط، وانتقد ابن قتيبة البيت لهذه المترادفات، وراح بعضهم يزعم أن لكل لفظة من هذه معنى قائماً برأسه)

في فِتْيَةٍ كَسِيوْفِ الهندي قد عِلْمُوا أنْ ليس يَدْفَعُ عن ذي الحيلةِ الحِيلُ

أجلس وسط فتية تشرق وجوههم وهم يتبعون فلسفتي وهي أن الحيل التي يتخذها المرء ذو الحيلة (الواسعة لا تدفع عنه المقدر، لذا فعلينا أن نقطع العمر بطلب اللذة)

نازَعَتْهُمْ قُضْبُ الرِّيحَانِ مَتَكِئاً وقَهْوَةٌ مُرَّةٌ راوَوْقُهَا خَضِلُ

كنت آخذ وأعطي عروق الريحان مع هؤلاء الفتية، وأنا متكئ، وأنماطى معهم خمرة مزة (طعمها بين الحموضة والمرارة) راووقها خضل (وعاء تصفيتها مبتل دائماً لأنه عامر بالخمير لا يفرغ)

لا يَسْتَفِيقُونَ منها وَهْيَ رَاهِنَةٌ إلا بِهَاتِ، وإنْ عَلَوْا وإنْ نَهَلُوا

لا يصحون من سكرهم والخمر راهنة موجودة إلا كي يقولوا: هات كأساً أخرى، يقولونها حتى وإن علوا (شربوا أولاً) ونهلوا (شربوا ثانية)

يَسْعَى بها ذو زُجاجاتٍ له نُطْفُ مُقَلَّصٌ أسْفَلَ السَّرْبَالِ مُعْتَمِلُ

الساقى له نطف (لؤلؤات صغيرات، وأنخيل هذا الساقى ولداً في شحمة أذنه شذرة فضة أو خرزة)، والساقى قد شمر عن ساقبه، وهو معتمل (نشط في عمله)

وَمُسْتَجِيبٌ تخالُ الصَّنَجِ يَسْمَعُهُ إذا تُرْجِعُ فيه القَيْنَةُ الفُضْلُ

ورب عود يستجيب لصوت القينة (المغنية) وتحسب أن الصنج (الصاجات في أصابع الراقصة أو المغنية) يسمع العود ويتابعه، وهذه المغنية ترجع صوتها وهي فُضْل (تلبس القليل)

أَبْلِغُ يزيدَ بني شيبانَ مَالِكَةً: أبا نُبَيْتٍ أما تَنْفُكُ تَأْكِلُ

أبلغ يزيد مألكة (رسالة)، فيا يزيد يا أبا نبيت لماذا تظل تأكل؟ (تُفْسِد)

أَلَسْتُ منتهياً عن نَحْتِ أَثْلَتِنَا ولستَ ضائِرها ما حَنَّتِ الإِبِلُ

ألا تتوقف عن نحت أثلتنا (التعريض بنا، والأثلة: من الأشجار الكبيرة)، ولست مؤثراً في مجدنا أبداً... ما دامت الإبل تصدر صوت الحنين

كَنَاطِحِ صَخْرَةٍ يَوْمًا لِيُوهِنَهَا فَلَمْ يَضِرْهَا وَأَوْهَى قَرْنَهُ الْوَعْلُ

أنت كالوعل الذي ينطح الصخرة، فلن يضرها بل يضعف قرنه

نَحْنُ الْفَوَارِسُ يَوْمَ الْجَنُودِ ضَاحِيَةً جَنْبِي «فُطَيْمَةً» لَا مِيلَ وَلَا عَزْلُ

نحن فرسان يوم الجنود (ذي قار) ضاحية هذه الفرسان (مقاتلة في العراء بلا استتار) في فطيمة، ولم نكن ميلاً (غير ثابتين فوق الخيل) ولا عزلاً من السلاح

قَالُوا الرُّكُوبُ، فَقَلْنَا: تِلْكَ عَادَتُنَا، أَوْ تَنْزِلُونَ، فَإِنَّا مَعَشَرُ نُزُلٍ

نحارب راكبين، وننزل للمجالدة بالسيوف، فتحن نحارب بكل طريقة

٢ دبلوماسية

سَأَوْصِي بِصِيرٍ إِنْ دَنَوْتُ إِلَى الْبَلَى وَصَاةَ امْرِئٍ قَاسَى الْأُمُورَ وَجَرًّا:

البلى: تحلل الجسم بعد الموت. ولعله كان للأعشى فعلاً ابن اسمه بصير، لا أنه كني بأبي بصير لعشا بصره

بَأَنْ لَا تَبَغَّ الْوُدَّ مِنْ مُتَبَاعِدٍ، وَلَا تَنَأَ عَنْ ذِي بَغْضَةٍ إِنْ تَقَرَّبَا

لا تبغ مودة من يتبعد عنك، ولا تتبعد عن ذي بغضة (كراهية) إن هو تقرب إليك

فَإِنَّ الْقَرِيبَ مَنْ يُقَرَّبُ نَفْسَهُ، لَعَمْرُ أَبِيكَ الْخَيْرَ، لَا مَنْ تَنْسَبَا

٣ وصف الهرولة

بَانَتْ سَعَادٌ وَأَمْسَى حَبْلُهَا رَابَاً وَأَحْدَثَ النَّأْيُ لِي شَوْقاً وَأَوْصَابَا

راب الحبل: من الرية، أي داخل وصلها الشك. أوصاب: أوجاع

وَأَجْمَعَتْ ضُرْمَنَا سُعْدَى وَهَجَرْتَنَا لَمَّا رَأَتْ أَنْ رَأْسِي الْيَوْمَ قَدْ شَابَا

الضرم: القطيعة

هَرْكُولَةٌ مِثْلُ دِغْصِ الرَّمْلِ أَسْفَلَهَا مَكْسُوءَةٌ مِنْ جَمَالِ الْحُسْنِ جَلْبَابَا

هركولة: عظمة الوركين. الدغص: الكتيب

تُمِيلُ جَثَلًا عَلَى الْمُتَنِينِ ذَا خُصَلٍ يَحِبُّو مَوَاشِطَهُ مِسْكَاً وَتَطْيَابَا

الجثل: الشعر الكثيف. تميل بشعرها الذي يعطي المواشط (جمع ماشطة، أي كوافيرة ذلك الزمن) مسكاً وطيباً

٤ نذير الفناء

إِنَّ الْقُرَى يَوْمًا سَتَهِـلُكَ قَبْلَ حَقِّ عَذَابِهَا

ستهلك قبل أن يتزل بها العذاب الذي تستحق

وَتَصِيرُ بَعْدَ عِمَارَةٍ يَوْمًا لِأَمْرِ خَرَابِهَا

أَوَّلَمَ تَرَى حِجْرًا - وَأَنْتَ حَكِيمَةٌ - وَلِمَا بِهَا

حجر: بلاد ثمود شمال الحجاز

إِنَّ الثَّمَالَ بِبِالضَّحَى يَلْعَبْنَ فِي مَحَارِبِهَا

المحارب هنا: القصر

٥ الاغتيال

مَا بَالُ مَنْ قَدْ كَانَ حَظًّا - يَمُنُّ نَصِيحَتِهِ اغْتِيَابُهُ

يزعم أنه ينصحيني ثم يروح يغتابني

يُزْجِي عَقَارِبَ قَوْلِهِ لَمَّا رَأَيْتَنِي لَا أَهَابُهُ

٦ التداوي منها بها

أَلَمْ تَنْهَ نَفْسَكَ عَمَّا بِهَا بَلَى عَادَهَا بَعْضُ أَطْرَابِهَا

أطرابها: أشواقها

وَكَأْسٍ شَرِبْتُ عَلَى لَذَّةٍ وَأُخْرَى تَدَاوَيْتُ مِنْهَا بِهَا

قالوا قديماً، وحديثاً أيضاً، إن شرب بعض الخمر في الصباح بعد ليلة ساكرة ينفي الخمار، أي صداع السكر. وهذا المعنى للأعشى مشهور، أخذه أبو نواس حين قال «وداوني بالتي كانت هي الداء»

لَكِنِّي يَعْلَمُ النَّاسُ أَنَّيْ أَمْرُؤُ أَنْتِ الْمَعِيشَةُ مِنْ بَابِهَا

كُمَيْتٍ يُرَى دُونَ قَعْرِ الْإِنَى كَمَثَلِ قَذَى الْعَيْنِ يُقْذَى بِهَا

الخمر كमित (داكنة اللون) وهي مع ذلك صافية صفاء يجعلك ترى الشائبة الصغيرة بحجم قذى العين في قعر الإناء

وَشَاهِدُنَا الْوَرْدُ وَالْيَاسْمِينُ، وَالْمُسْمِعَاتُ بِقُضَابِهَا

المسمعات: المغنيات. قضاها: عازفو القصب، أي الناي، فهؤلاء - ومعهم الورد والياسمين - يحضرون سكرتنا تلك

مَضَى لِي ثَمَانُونَ مِنْ مَوْلَدِي كَذَلِكَ تَفْصِيلُ حُسَابِهَا
فَأَصْبَحْتُ وَدَّعْتُ لَهُوَ الشَّبَابَ بِ وَالْخَنْدَرِيسَ لِأَصْحَابِهَا
الخندريس: الخمر المعتقة

٧ تهديد

قال لشييان الجحدري:

أَبَا مِسْمَعٍ إِنِّي أَمْرُؤٌ مِنْ قَبِيلَةٍ بَنَى لِي مَجْدًا مَوْتُهَا وَحَيَاتُهَا
مجددي هو مجد قبيلتي في حياتها وفي مصارع رجالها
فَلَا تَلْمَسِ الْأَنْعَى بِدَاكَ تَرِيدُهَا وَدَّعَهَا إِذَا مَا غَيَّبَتْهَا سَفَاتُهَا
سفاتها: ترابها

أَبَا مِسْمَعٍ أَقْصِرْ فَإِنَّ قَصِيدَةً مَتَى نَأْتِيكُمْ تَلْحَقُ بِهَا أَخَوَاتُهَا
أَعْبَرْتُنِي فُخْرِي، وَكُلُّ قَبِيلَةٍ مُحَدَّثَةٌ مَا أَوْرَثَتْهَا سُعَاتُهَا
سعاتها: الساعون لتحقيق مجدها

٨ وَقَلَّتْ

يمدح شييان بن ثعلبة بيوم ذي قار، الذي انتصرت فيه العرب على الفرس:
فَدَى لِبَنِي دُهَلٍ بَنِ شَيْبَانَ نَاقَتِي وَرَاكِبُهَا يَوْمَ اللَّقَاءِ، وَقَلَّتْ
أفديهم بناقتي وبراكبها (أي بنفسي)، وقليل لهم ذلك
هُمْ ضَرَبُوا بِالْحِجْنِ حِنُو قُرَاقِرٍ مُقَدِّمَةَ الْهَامَرِزِ حَتَّى تَوَلَّتْ
حنو قراقير: مكان قرب الكوفة. الهامرز: قائد الفرس في ذي قار

٩ نبي يرى ما لا ترون

أَلَمْ تَغْتَمِضْ عَيْنَاكَ لَيْلَةَ أَرَمَدَا عَادَكَ مَا عَادَ السَّلِيمَ الْمُسَهَّدَا
لم تغمض لك عين ليلة كنت كالأرمد، المصاب في عينيه بالرمد، ولحق بك ما يلحق بالسليم
(الملدوغ، يسمونه سليماً تيمناً بشفاائه) المسهد (الساھر، وكانوا يمتعون الملدوغ من النوم كيلا
يسري السم في جسمه)

شَبَابٌ وَشَيْبٌ وَافْتِقَارٌ وَثَرَوَةٌ قَلِيلٌ هَذَا الدَّهْرُ كَيْفَ تَرَدَّدَا

وما زِلْتُ أَبْغِي الْمَالَ مُذْ أَنَا يَافِعٌ وَلِبْدًا وَكَهْلًا حِينَ شَبْتُ وَأَمْرَدًا

الأمرد: من لم تنبت له لحية

فَإِنْ تَسَالَى عَنِّي فَيَا رَبِّ سَائِلٍ حَفِيٍّ عَنِ الْأَعْشَى بِهِ حَيْثُ أَضْعَدَا

حفي: مهتم، أضعد: ذهب

أَلَا أَيُّهَذَا السَّائِلِي أَيْنَ يَمَمْتُ فَإِنَّ لَهَا فِي أَهْلِ يَثْرَبٍ مَوْعِدَا

من يسألني: «أين يمت (قصدت) ناقتي»، فالجواب أن لها موعداً في يثرب

فَالَيْتُ لَا أُرْثِي لَهَا مِنْ كَلَالَةٍ وَلَا مِنْ حَفَى حَتَّى تَزُورَ مُحَمَّدَا

آليت (حلفت) لا أرحم ناقتي من الكلاله (التعب)، ولا من الحفى (تسلخ أخفافها) حتى تزور محمداً

مَتَى مَا تُنَاجِي عِنْدَ بَابِ ابْنِ هَاشِمٍ تُرِيحِي وَتَلْقِي مِنْ فَوَاضِلِهِ يَدَا

اليد: المعروف

نَبِيٍّ يَرَى مَا لَا تَرَوْنَ، وَذِكْرُهُ أَغَارَ لَعَمْرِي فِي الْبِلَادِ وَأُنْجِدَا

لَهُ صَدَقَاتٌ مَا تُغِبُّ وَنَائِلٌ وَلَيْسَ عَطَاءُ الْيَوْمِ مَانِعُهُ غَدَا

ما تغب: لا تنقطع

أَجِدْكَ لَمْ تَسْمَعْ وَصَاةَ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الْإِلَهِ حِينَ أَوْصَى وَأَشْهَدَا

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَرْحَلْ بِزَادٍ مِنَ الثُّقَى وَلَا قَيْتَ بَعْدَ الْمَوْتِ مَنْ قَدْ تَزَوَّدَا

نَدِمْتُ عَلَى أَلَّا تَكُونُ كَمَثَلِهِ وَأَنْتَ لَمْ تُرْصِدْ لِمَا كَانَ أَرْصَدَا

تُرصد: تدخر

وَذَا الثُّصْبُ الْمَنْصُوبُ لَا تَنْسِكَنَّه وَلَا تَعْبُدِ الْأَوْثَانَ، وَاللَّهُ فَاعْبُدَا

وَصَلِّ عَلَى حِينِ الْعَشِيَّاتِ وَالضُّحَى وَلَا تَحْمَدِ الشَّيْطَانَ، وَاللَّهُ فَاحْمَدَا

وَلَا تَقْرَبَنَّ جَارَةً إِنْ سِرَّهَا عَلَيْكَ حَرَامٌ، فَانْكَحْنِ أَوْ تَأْبُدَا

تأبّد: تعزّب، وبقي بلا اتصال مع النساء

١٠ الخيال الزائر

إِنْ كُنْتَ لَا تَشْفِينِ غُلَّةَ عَاشِقٍ صَبٌّ بِحَبِّكَ يَا جُبَيْرُهُ صَادٍ

غلة: عطش. صاد: عطشان

فَإِنَّهِيَ خَيَالِكَ أَنْ يَزُورَ، فَإِنَّه فِي كُلِّ مَنْزِلَةٍ يَعُودُ وَسَادِي

١١ يؤامرني في الشمو

أَتَانِي يُؤَامِرُنِي فِي الشَّمُو لِ لَيْلًا، فَقُلْتُ لَهُ: غَادِهَا
جاءني يشاورني في شرب الخمر ليلًا، فقلت له غادها، أي انطلق إليها مبكرًا

فَقَامَ فَصَبَّ لَنَا قَهْوَةً تُسَكِّنُنَا بَعْدَ إِزْعَادِهَا
كُمَيْتًا تَكْشِفُ عَنْ حُمْرَةٍ إِذَا صَرَّحْتَ بَعْدَ إِزْيَادِهَا
صرحت: صفت من الرغبة. وتصريح الحليب زوال الرغبة عن وجهه، ومن هنا قولنا اليوم «بصراحة»

١٢ الليل الأعمى

أَلَا حَيَّ مَيًّا إِذْ أَجَدَّ بُكُورُهَا وَعَرَّضَ بِقَوْلٍ: هَلْ يُفَادَى أَسِيرُهَا
أجد بكورها: حدث تبكيرها بالرحيل، وقل لها على سبيل التعريض أما حان أن يفادى (يطلق
بفدية) أسيرك؟

فَيَا مَيَّ لَا تُذْلِي بِحَبْلِ يَغْرُنِي وَشَرُّ حَبَالِ الْوَاصِلِينَ غَرُورُهَا
فإن شئت أن تهدي لقومي فاسألني عن العز والإحسان أين مصيرها
إن شئت هداية ومعرفة بحقيقة قومي فهم أهل العز والإحسان

تَرَى أَنَّ قِدْرِي لَا تَزَالُ كَانَتْهَا لِذِي الْفَرُوةِ الْمَقْرُورِ أَمْ يَزُورُهَا
قدري (طنجرتي) مثل الأم التي يلجأ إليها المقرور (البردان) اللابس فروة الذي نزل بنا كي نطعمه
مَبْرَزَةٌ لَا يُجْعَلُ السُّتْرُ دُونَهَا إِذَا أُحْمِدَ النِّيرَانُ لَاحَ بِشِيرُهَا
مكشوفة قدرنا لا يغطيها إلا دخان نارها، وهي تبشر الجائع بالطعام

إِذَا الشُّوْلُ رَاحَتْ ثُمَّ لَمْ تَقْدِرْ لِحَمَّهَا بِأَلْبَانِهَا ذَاقَ السَّنَانُ عَقِيرُهَا
إذا الشول (النياق) راحت (رجعت من مراعيها) فعليها أن تفدي لحمها بأن تدر لنا اللبن، فإن لم
تفعل فسوف يذوق الذبح بالسنان عقيرها (من سيذبح منها)

وَإِنِّي لَتَرَأَاكَ الضَّغِينَةَ قَدْ أَرَى قَذَاهَا مِنَ الْمَوْلَى فَلَا أَسْتَشِيرُهَا
نسب البيت إلى غير الأعمى، انظر القطعة ١١٧ من باب الحماسة في هذا الكتاب

وَقُورُ إِذَا مَا الْجَهْلُ أَعْجَبَ أَهْلَهُ وَمِنْ خَيْرِ أَخْلَاقِ الرِّجَالِ وَقُورُهَا
وليل يقول القوم من ظلماته: سَوَاءٌ بِصِيْرَاتِ الْعَيُونِ وَعُورُهَا
تجاوزته حتى مضى مذلته ولاح من الشمس المضئية نورها

١٣ كن كالسموأل

قال يمدح شريح بن حصن بن عمران بن السماوأل:

شُرَيْحُ لَا تَتْرُكْنِي بَعْدَمَا عَلِقْتُ حَبَالُكَ الْيَوْمَ بَعْدَ الْقِدِّ أَظْفَارِي
لَا تَتْرُكْنِي يَا شَرِيحُ إِذْ تَعَلَّقْتُ بِكَ بَعْدَ الْقَدِّ (بعد أن أسروني وجعلوا في يدي القيود من أشرطة الجلد)

قَدْ طُفْتُ مَا بَيْنَ بَانِقِيَا إِلَى عَدْنٍ وَطَالَ فِي الْعُجْمِ تَرْحَالِي وَتَسْيَارِي
فَكَانَ أَوْفَاهُمْ عَهْدًا، وَأَمْنَهُمْ جَارًا، أَبُوكَ بِعُرْفٍ غَيْرِ انْكَارٍ
كَانَ أَوْفَى مِنْ سَمِعْتُ بِهِ وَأَحْمَاهُمْ لِلْمُسْتَجِيرِ بِهِ أَبُوكَ (يعني جدك الأعلى)، وهذا معلوم لا ينكره أحد

كَالْغَيْثِ مَا اسْتَمْطَرُوهُ جَادَ وَإِبْلُهُ وَعِنْدَ ذِمَّتِهِ الْمُسْتَأْسِدُ الضَّارِي
كُنْ كَالسَّمَوَالِ إِذْ سَارَ الْهُمَامُ لَهُ فِي جَحْفَلٍ كَسَوَادِ اللَّيْلِ جَرَّارٍ
كن كجدك السماوأل عندما قصده الهمام (الشجاع، وهو الحارث بن ظالم) في جيش كبير كأنه سواد الليل..

بِالْأَبْلَقِ الْفَرْدِ مِنْ تَيْمَاءَ مَنْزِلُهُ حِصْنٌ حَصِينٌ وَجَارٌ غَيْرُ عَدَّارٍ
كَانَ مَنْزِلُ السَّمَوَالِ الْحَصْنُ الْمُسَمَّى الْأَبْلَقِ، وَهُوَ حَصْنُ فَرْدٍ لَا شَبِيهَ لَهُ، وَالسَّمَوَالُ يَجِيرُ وَلَا يَغْدِرُ
إِذْ سَامَهُ خُطَّتَنِي خَسْفٍ، فَقَالَ لَهُ: مَهْمَا تَقْلُهُ فَلِئَنِّي سَامِعٌ «حَارٍ»..
سَامَهُ الْحَارِثُ (فَرَضَ عَلَيْهِ) خَطَّتِي خَسْفٍ (خِيَارِينَ ظَالِمِينَ)، فَقَالَ لَهُ السَّمَوَالُ: هَا أَنَا ذَا أَسْمَعُكَ يَا حَارٍ (يَا حَارِثَ)

فَقَالَ تُكَلُّ وَغَدَّرَ أَنْتَ بَيْنَهُمَا فَاخْتَرُ وَمَا فِيهِمَا حِظٌّ لِمَخْتَارٍ
قَالَ الْحَارِثُ: ابْنُكَ بِيَدِي قَدْ أَمْسَكَتَ بِهِ خَارِجَ الْحَصْنِ، وَكَانَ ذَاهِبًا يَصِيدُ، وَأَمَامَكَ الْكُلُّ (أَنْ) تَفْقَدَ وَلَدَكَ، وَالْخِيَارُ الثَّانِي الْغَدْرُ، بَأَنْ تَسْلُمَنِي الدَّرُوعَ الَّتِي وَضَعَهَا عِنْدَكَ امْرَأُ الْقَيْسِ وَتَغْدِرَ بِهِ وَلَا تَقِي لَهُ بِالْوَعْدِ فِي حِفْظِ الدَّرُوعِ

فَشَكَكَ غَيْرَ قَلِيلٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَقْتُلْ أَسِيرَكَ إِنِّي مَانِعٌ جَارِي
تَرَدَّدَ السَّمَوَالُ، ثُمَّ قَالَ لِلْحَارِثِ اقْتُلْ ابْنِي الَّذِي تَأْسِرُهُ، وَسَامِعٌ جَارِي (سَادَفِعْ عَمَّنْ اسْتَجَارَ بِي)

إِنَّ لَهُ خَلْفًا إِنْ كُنْتَ قَاتِلَهُ وَإِنْ قَتَلْتَ كَرِيمًا غَيْرَ عَوَّارٍ..
وَلْتَنِ قَتَلْتَ ابْنِي فَلَهُ مِنْ سِيخْلَفَةٍ، مَعَ أَنَّهُ كَرِيمٌ غَيْرُ عَوَّارٍ (غَيْرُ جَبَانٍ)

مَالًا كَثِيرًا وَعِرْضًا غَيْرَ ذَنْسٍ وَإِخْوَةً مِثْلَهُ لَيْسُوا بِأَشْرَارٍ
سِيخْلَفُهُ مَالٌ لِي كَثِيرٌ، وَعِرْضُ نَقِيٍّ، وَإِخْوَةٌ لَهُ

جَرَوْا عَلَى أَدَبٍ مِنِّي بِلا نَزَقٍ ولا إِذَا شَمَّرَتْ حَرْبٌ بِأَغْمَارِ

هم على أدب أدبتهم به، وليسوا متسرعين، وفي الحرب غير أغمار (غير قليلي الخبرة)

وَسَوْفَ يُعْقِبُنِيهِ إِنْ ظَفِرَتْ بِهِ رَبُّ كَرِيمٍ وَبَيْضُ ذَاتِ أَطْهَارِ

وسيعقبنيه (سيعوضني عنه) إن قتلته ربي الكريم، والنساء الشابات ذوات الأطهار (اللاتي يأتين الحيض ومن بعده الطهر)

لَا سِرُّهُنَّ لَدَيْنَا ضَائِعٌ مَذِقٌ وَكَاتِمَاتٌ إِذَا اسْتُوْدِعْنَ أَسْرَارِي

سرهن (جماعهن، والسر هو الجماع) لا يضيع سدى بل يؤدي إلى حمل، وهو غير مذق (غير ممزوج/ يريد القول إنه جماع للاستيلاد، لا للذة)

فَقَالَ تَقْدِيمَةً إِذْ قَامَ بِقَتْلِهِ: أَشْرَفَ سَمَوَالٍ فَاَنْظُرْ لِلْدَمِّ الْجَارِي

أَقْتُلْ ابْنَكَ صَبْرًا أَوْ نَجِيءَ بِهَا طَوْعًا، فَأَنْكَرَ هَذَا أَيَّ إِنْكَارِ

أقتل ابنك صبراً (إعداماً) أم ستجيء بالدروع؟ فأنكر السؤال هذا الخيار كل الإنكار

فَشَكََّ أَوْدَاجَهُ، وَالصَّدْرُ فِي مَضَضٍ عَلَيْهِ مُنْطَوِيًّا كَاللَّذَعِ بِالنَّارِ

شك الحارث أوداج الفتى (عروق رقبتها). وكان صدر الوالد في مضض (عذاب) على ابنه، ينطوي على نار تلتذعه

وَاخْتَارَ أَذْرَاعَهُ أَنْ لَا يُسَبَّ بِهَا وَلَمْ يَكُنْ عَهْدُهُ فِيهَا بِخَتَارِ

اختار السموال الحفاظ على الدروع حتى لا يُسب بقلة الوفاء، ولم يكن عهده ختاراً (خداعاً)

وَقَالَ لَا أَشْتَرِي عَارًا بِمَكْرُمَةٍ فَاخْتَارَ مَكْرَمَةَ الدُّنْيَا عَلَى الْعَارِ

وَالصَّبْرُ مِنْهُ قَدِيمًا شِيمَةً خُلِقَ وَزَنَدُهُ فِي الْوَفَاءِ الثَّاقِبِ الْوَارِي

الزند: أداة قذح النار، الثاقب: المشتعل، الواري: المتقد

١٤ الثبات

قال لبني جَحْدَر:

فَقَدْ صَبَرْنَا وَلَمْ نُؤَلَّ وَلَيْسَ مِنْ شَأْنِنَا الْفِرَارُ

وَقَدْ فَرَزْتُمْ وَمَا صَبَرْتُمْ وَذَاكَ شَيْنٌ لَكُمْ وَعَارُ

١٥ وقيدني الشعر في بيته

قال في سياق مدح قيس بن مَعْدِيكَرِب:

ففاضَتْ دُمُوعِي كَفَيْضِ الْغُرُوبِ بِ إِمَّا وَكَيْفًا وَإِمَّا انْجِدَارًا
الغروب: الدلاء، السطول؛ وكيفًا: انهماكاً

كَمَا أَسْلَمَ السِّلْكُ مِنْ نَظْمِهِ لَأَلَيَّ مِنْ حِدَارَاتِ صِغَارَا
السلك: خيط العقد. يشبه دموعه بلألي قد انفرط عقدها وانتشرت

إِلَى حَامِلِ الثُّقُلِ عَنْ أَهْلِهِ إِذَا الدَّهْرُ سَاقَ الْهَنَاتِ الْكِبَارَا
أتوجه إلى هذا الممدوح الذي يحمل ثقل الهنات (الأزمات) عن أهله

وَمَنْ لَا تُفَرِّغُ جَارَاتِهِ وَمَنْ لَا يُرَى جِلْمُهُ مُسْتَعَارَا
وهو يجبر النساء فلا يصل إليهن العدو لكي يسيهن، وحلمه خلق أصيل

هُوَ الْوَاهِبُ الْمِئَةِ الْمُصْطَفَا ةَ إِمَّا مِخَاضًا وَإِمَّا عِشَارَا
يهب الناس المئة ناقة وفيهن المِخَاض (من قاربت الوضع)، والعِشَار (من ثقلت بحملها)

فَمَا أَنَا، أُمُّ مَا انْتَحَالِي الْقَوَافِ حَيَّ بَعْدَ الْمَشِيبِ كَفَى ذَاكَ عَارَا
كيف لي أن آخذ شعر غيري، وقد شاب الرأس؟ هذا عار

وَقَيَّدَنِي الشَّعْرُ فِي بَيْتِهِ كَمَا قَيَّدَ الْآسِرَاتُ الْحِمَارَا

تم تقيدي بسبب الشعر، مثلما قيد الأسرات (السيور الجلدية) الحمار (الحمار هو الخشبة التي تصل بين قطع السرج/وكنا نسمي الحديدية التي بين مقعد الدراجة وبين مقودها «الجحش» ولعل هذا من ذلك). يتذكر الأعشى حادثة جرت له مع النعمان في شبابه إذ لم يصدق النعمان أنه صاحب الشعر، فحبسه في مكان حتى يصنع شعرًا جديدًا يثبت به أنه شاعر حقًا

١٦ حَكَّمْتُمُونِي

قال يهجو علقمة بن علاثة ويمدح عامر بن الطفيل في منافرة جرت بين الرجلين:

شَاقَّتْكَ مِنْ «قَتْلَةٍ» أَطْلَالُهَا بِالشَّطِّ فَالْوِثْرِ إِلَى حَاجِرِ

دَارٌ لَهَا غَيْرَ آيَاتِهَا كُلُّ مُلِكٌ صَوْبُهُ، زَاخِرِ

غَيْرَ آيَات (علامات) تلك الديار المطر الملت (المستمر)، الذي صوبه (سحابه) زاخر (مملوء ماء)

وقد أراها وَسَطَ أَتْرَابِهَا فِي الْحَيِّ ذِي الْبَهْجَةِ وَالسَّامِرِ

يتذكر حبيته وسط صوحيباتها

كَدُمِيَّةٍ صُوَّرَ مُحَرَّابُهَا بِمُذْهَبٍ مِنْ مَرَمَرٍ مَائِرِ

كانها لعبة وهي في محرابها (صدر البيت) المزين بالتذهيب على مرمر لامع يمور كما تمور المياه

يَشْفِي غَلِيلَ النَّفْسِ لِأَيِّهَا حَوْرَاءُ تَسْبِي نَظَرَ النَّاطِرِ

عهدي بها في الحيِّ قد سُرِبَلَتْ هيفاء مثل المُهْرَةِ الضَّامِرِ

على الأقل «قد سربلت»، أي هي لابسة شيئاً

لَوْ أَسْنَدَتْ مَيْتاً إِلَى صَدْرِهَا عَاشَ وَلَمْ يُنْقَلْ إِلَى قَابِرِ

حتى يقول الناسُ ممّا رأوا: يا عجباً لِلْمَيِّتِ النَّاشِرِ

دَعَهَا فَقَدْ أَعْذَرَتْ فِي حَبِّهَا، وَادُّكُرْ خَنَا عِلْقَمَةَ الْفَاجِرِ

دعها (كلمة يذكرها الجاهليون عند الانتقال من موضوع إلى آخر في القصيدة)، فقد بينت عذرك في حبها بعد إذ عددت مفاتها، فلا لوم عليك أنك أحببتها. ولندكر خنا (فُحش) علقمة بن علاثة

سُدَّتْ بَنِي الْأَحْوَصِ لَمْ تَعُدُّهُمْ وَعَامِرٌ سَادَ بَنِي عَامِرِ

يا علقمة أنت سيد فرع بني الأحوص ولم تعدهم (لم تتعدهم)، وأما عامر بن الطفيل فقد ساد كل القبيلة وهي بنو عامر

حَكَّمْتُمُونِي فَقَضَى بَيْنَكُمْ أَبْلَجُ مِثْلُ الْقَمَرِ الْبَاهِرِ

حكمتاني في المنافرة بينكما، وأنا الأبلج (ذو الطلعة البهية)

لَا يَأْخُذُ الرِّشْوَةَ فِي حَكْمِهِ وَلَا يَبَالِي غَبْنَ الْخَاسِرِ

عَلِقَمَ لَا تَسْفَهُ، وَلَا تَجْعَلُنْ عِرْضَكَ لِلْوَارِدِ وَالصَّادِرِ

قَدْ قُلْتُ قَوْلًا فَقَضَى بَيْنَكُمْ وَاعْتَرَفَ الْمَنْفُورُ لِلنَّافِرِ

قلت لكما قولاً فقضى قولي بينكما، واعترف المنفور (الخاسر في المنافرة) للنافر (الفائز)

وَلَسْتُ فِي السُّلَمِ بِذِي نَائِلٍ وَلَسْتُ فِي الْهَيْجَاءِ بِالْجَاسِرِ

وأنت يا علقمة لست ذا نائل (عطاء للآخرين) في السلم، ولست في الحرب بالجريء

عَضَّ بِمَا أَبْقَى الْمَوَاسِي لَهُ مِنْ أُمِّهِ فِي الزَّمَنِ الْغَابِرِ

وليعض علقمة هذا بيطر أمه، على الأقل بما بقي من هذا العضو بعد أن أخذته المواسي (السكاكين) في الزمن الماضي

١٧ صَيَّرْتَنِي الْأُمُورَ إِلَيْكَ

قال يعنذر إلى علقمة بن علاثة على هجوه له، ذلك بعد أن ظفر به علقمة على بعض الروايات:

أَعْلَقَمَ قَدْ صَيَّرْتَنِي الْأُمُورَ إِلَيْكَ، وما كان لي مَنَكْصُ
قد وقعت بيدك ولا منكص لي (رجوع)

كَسَاكُمُ عُلَاثَةُ أَثْوَابِهِ وَوَرَّثَكُمُ مَجْدَهُ الْأَخْوَصُ
أبوكم علاثة ورثكم سمته، والأحوص ورثكم المجد

وإِنْ فَحَصَ النَّاسُ عَنْ سَيِّدٍ فَسَيِّدُكُمْ عَنْهُ لَا يُفْحَصُ
فهب لي ذنوبي قَدَتِكَ النفوسُ وَلَا زِلْتَ تَنْمِي وَلَا تَنْقُصُ

١٨ مسافر يعني مسافر!

قال يمدح هُوَذَّةَ بْنِ عَلِيٍّ الْحَنْفِيِّ:

تَقُولُ بِنْتِي، وَقَدْ قَرَّبْتُ مَرْتَجِلًا: يَا رَبَّ جَنْبِ أَبِي الْأَوْصَابِ وَالْوَجَعَا
قالت بنتي وقد قربت ناقتي للرحيل: جنب يا رب أبي الأوصاب (الأوجاع)

وَاسْتَشْفَعْتُ مِنْ سَرَاةِ الْحَيِّ ذَا شَرَفٍ فَقَدْ عَصَاها أَبُوهَا، وَالَّذِي شَفَعَا
طلبت شفاعه أحد ذوي الشرف من سراة الحي (وجهاء العشيرة)، لكن أباه عاصاها وعصى الشفيع

مَهْلًا بَنِيَّ فَإِنَّ الْمَرْءَ يَبْعَثُهُ هَمٌّ إِذَا خَالَطَ الْحَيْزُومَ وَالضَّلْعَا
يا أبنائي، الذي يبعث المرء (يدفعه للرحيل) الهم الذي يتزل بالحيزوم (الصدر) والأضلاع

عَلَيْكَ مِثْلُ الَّذِي صَلَّيْتُ، فَاعْتَمِضِي يَوْمًا فَإِنَّ لِحَنْبِ الْمَرْءِ مُضْطَجَعَا
لك يا ابنتي مني مثل ما صليت (مثل دعوتك لي)، فاعتمضي (اطمئني) فالمرء في النهاية سيضطجع ميتاً

وَاسْتَخْبِرِي قَافِلَ الرُّكْبَانِ، وَانْتَظِرِي أَوْبَ الْمَسَافِرِ إِنْ رَيْثًا وَإِنْ سَرَعَا
أسألي قافل الركبان (العائدين على نياقتهم) عن أخباري، وانتظري أوبي (عودتي) إن ريثاً (بطيئاً) وإن سرعاً (سريعاً)

١٩ كَشَفْنَا عَنْ جَمَاجِمِنَا

قال عن وقعة بين قبيلته بكر، وبين قبيلة أسد:

لَمَّا التَقِينَا كَشَفْنَا عَنْ جَمَاجِمِنَا لِيَعْلَمُوا أَنَّنَا بَكْرٌ فَيَنْصَرِفُوا

كشفنا عمائمنا ليعرفوا أننا من بكر فينصرفوا، لكنهم قاتلونا

قَالُوا: «الْبَقِيَّةُ»، وَالْهِنْدِيُّ يَحْصِدُهُمْ وَلَا بَقِيَّةَ إِلَّا النَّارُ فَانْكَشَفُوا

قالوا «البقية» (و«البقية» كلمة يصرخ بها المقاتلون من الطرفين أو من طرف واحد عندما يتبين أن القتل قد استحر، وأن من الأفضل للطرفين التوقف والإبقاء على من تبقى)، وقالوها والسيوف تحصدهم، ولم يبق لهم إلا الهزيمة فقد انكشف معسكرهم

وَجُنْدُ كِسْرَى غَدَاةَ الْجَنُودِ صَبَّحَهُمْ مَنَا كِتَابُ تُرْجِي الْمَوْتِ فَانْصَرَفُوا
وكذا فإننا في معركة «الجنود» - ذي قار - جئنا لجنود كسرى صباحاً بكتائب ترجي (تقدم) الموت

إِذَا أَمَالُوا إِلَى النُّشَابِ أَيْدِيَهُمْ مَلْنَا بِبَيْضِ، فَظَلَّ الْهَامُ يُخْتَطَفُ
إذا اختاروا الرمي بالنشاب (النبال) اخترنا البيض (السيوف) وأخذنا نختطف الهام (الرؤوس)

وَحَيْلُ بَكْرِ فَمَا تَنْفَكُ تَطَحْنُهُمْ حَتَّى تَوَلَّوْا وَكَادَ الْيَوْمُ يَنْتَصِفُ
لو أن كل معد كان شاركننا في يوم ذي قار ما أخطأهم الشرف
معد: جد قبائل عرب الشمال كلهم من ربيعة ومضر معاً، وكانت ربيعة هي التي قامت بذئ قار.
أخطأهم: أخطأهم وتجاوزهم

٢٠ وبات على النار الندي والمعلق

نزل الأعشى بالمعلق فأكرمه، وكان للمعلق ثلاث أخوات لم يتزوجن، فمدحه الأعشى بهذه القصيدة، فتهافت الناس على أخواته فتزوجن جميعاً. وثمة رواية تجعل للمعلق هذا ثماني بنات، وتلك الرواية تزوجهن جميعاً أيضاً:

أَرَقْتُ، وَمَا هَذَا الشَّهَادُ الْمَوْرُقُ وَمَا بِي مِنْ سُقْمٍ وَمَا بِي مَعْشَقُ
وقد أقطع اليوم الطويل بِفِثْيَةٍ مَسَامِيحٍ تُسْقَى وَالْخَبَاءُ مُرَوِّقُ
أقطع يومي مع فثية مساميح (ذوي سماحة) يسقون الخمر في خباء مروق
(خيمة ذات رواق في مقدمها)

وَرَادِعَةٌ بِالْمِسْكِ صَفْرَاءُ عِنْدَنَا لِحَسِّ النَّدَامَى فِي يَدِ الدَّرْعِ مَفْتَقُ
ومعنا مغنية رادعة (ملطخة) بالمسك، وهي صفراء (شقراء، أو أنها صبغت وجنتها بالزعفران)، وفي كم درعها (ثوبها) فتق مخصص كي يجس الندامى لحملها. هذا ترتيب رسمي للتجميش، أي التحسيس. وقد يكون الأعشى قصد شيئاً آخر ولكننا رأينا شيئاً كهذا في معلقة طرفة (انظر باب بقية المعلقة رقم ١)
فقهنا البيت هذا الفهم

إِذَا قُلْتُ غَنِّي الشَّرْبَ قَامَتْ بِمِزْهَرٍ يَكَادُ إِذَا دَارَتْ لَهُ الْكَفُّ يَنْطِقُ
المزهر: العود

وَشَاوِ إِذَا شِئْنَا كَمِيشٍ بِمُسْعَرٍ وَصَهْبَاءٍ مِزْبَادٍ، إِذَا مَا تُصَفَّقُ
رجل يشوي اللحم (لحم الحيوان) كميَش (مشر) ويحمل مسعراً (حديدة قلب الجمر)، ومعنا
صهباء (خمر صفراء) تصيح ذات زَبَد عندما تصفق (تصفق)

تُرِيكَ الْقَذَى مِنْ دُونِهَا وَهِيَ دُونَهُ إِذَا ذَاقَهَا مَنْ ذَاقَهَا يَتَمَطَّقُ
تظهر الشوائب الموجودة في قعر الكأس فكأنها في أعلاه. وقدم ثعلب في طبعة ردولف غاير رواية أخرى
بكلمة «تختها» بدل دُونِهَا، ولعلنا نخترع رواية أخرى «ترك القذى في سطحها وهو دونه». يريد أن يقول
إن الخمر صافية جداً، والسلام. وأما يتمطق فمعناها يلصق لسانه بسقف حلقه وهو يتذوق هذه الخمر

وَمَا كُنْتُ شَاخِرْدًا وَلَكِنْ حَسِبْتَنِي إِذَا مَسَحَلَّ سَدَى لِي الْقَوْلَ أَنْطِقُ
لست شاحردا (فارسية، أي تلميذاً) ولكن، إذا سَدَى (أصلح) مسحل (اسم شيطان الأعشى) لي
القول فأنا أنطق بالشعر

شَرِيكَانِ فِيمَا بَيْنَنَا مِنْ هَوَادَةٍ صَفِيَّانِ إِنْسِيٍّ وَجِنٌّ مُوَفَّقُ
أنا وشيطاني شريكان فيما يقع بيننا من هواده (مخاطبة سلسة)، ونحن صفيان (صاحبان متصفيان)

بِقَوْلٍ فَلَا أَعْبَا لِشَيْءٍ أَقُولُهُ كَفَانِي لَا عَيٍّ، وَلَا هُوَ أَخْرَقُ
أنا لست عيًّا (الكن، غير فصيح)، وهو ليس بأخرق (أحمق)

جِمَاعُ الْهَوَى فِي الرُّشْدِ أَدْنَى إِلَى التَّقَى وَتَرَكَ الْهَوَى فِي الْغَيِّ أَنْجَى وَأَوْفَى
إِذَا حَاجَةً وَلَتَكَ لَا تَسْتَطِيعُهَا فَخُذْ طَرَفًا مِنْ غَيْرِهَا حِينَ تُسَبِّقُ
لا تبك على ما فات، وابدأ بشيء جديد

فَذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَنَالَ جِسْمَهَا وَلَلْقَصْدُ أَبْقَى فِي الْمَسِيرِ وَالْحَقُّ
القصد: الاعتدال، يبقى على قوتك في السير ويجعلك تلحق بما تريد اللحاق به

لَعَمْرِي لَقَدْ لَاحَتْ عَيُونُ كَثِيرَةٍ إِلَى ضَوْءِ نَارٍ بِالْيَفَاقِ تَحَرَّقُ
اليفاق: الهضبة

تُسَبُّ لِمَقْرُورَيْنِ يَصْطَلِيَانِهَا وَبَاتَ عَلَى النَّارِ النَّدَى وَالْمُحَلَّقُ
النار تشب (توقد) لمقرورين (شخصين يشعران بالبرد). . . وهما الندى (الكرم) والمحلَّق. أعجب
القدماء جداً بما في هذا البيت من اختصار: فالمحلَّق والسخاء شخصان في شخص واحد،
فالمحلَّق مرادف للكرم

رَضِيعَتِي لِبَانٍ تَذِي أَمْ تَحَالَفَا بِأَسْحَمَ دَاجٍ عَوْضُ لَا نَتَفَرَّقُ
المحلَّق والسخاء أخوان رضاءاً حلياً واحداً، من حلمة نهذ سحماً (سوداء)، وقالوا لن نفرق
عوض (أبدًا). أو أن الأسحم هو الليل الذي قعد فيه المحلق يصطلي

يَدَاكَ بَدَا صِدْقٍ فَكَفَّ مُفِيدَةً وأخرى إذا ما ضُنَّ بِالزَّادِ تُنْفِقُ
تَرَى الْجَوْدَ يَجْرِي ظَاهِراً فَوْقَ وَجْهِهِ كما زَانَ مَتْنَ الهُنْدُوَانِي رَوْنُقُ
الجود يجعل وجه المخلوق يشرق كما يزين سطح السيف الرونق (البريق)

نَفَى الذِّمَّ عَنْ آلِ الْمُحَلَّقِ جَفَنَةً كجَابِيَةِ السَّيْحِ الْعِرَاقِيِّ تَفْهُقُ
آل المخلوق تجنبوا الذم بجفنة (قصعة) كبيرة مثل جابية السيح العراقي (حوض الفيضان في الفرات
بالعراق) تفهق (تفيض)

٢١ ذوقي غيري

قال وقد طلق امرأته المزينة :

أَيَا جَارَتِي بَيْنِي فَإِنَّكَ طَالِقَةٌ كَذَلِكَ أُمُورُ النَّاسِ غَادٍ وَطَارِقَةٌ
يا جارتني (يقصد زوجتي) بيني (فارقني)، فالأمور هكذا غادية (آتية صباحاً) أو طارقة (آتية ليلاً)
وما ذَاكَ مِنْ جُرْمٍ عَظِيمٍ جَنَيْتِهِ ولا أَنْ تَكُونِي جِثَّتٍ فِينَا بِبَائِقَةٍ
ليس من ذنب لك، ولا أنت جثت بياقة (مصيبة)

وَبَيْنِي حَصَانُ الْفَرَجِ غَيْرَ دَمِيمَةٍ وَمَوْمُوقَةٌ فِينَا كَذَاكَ وَوَامِقَةٌ
فارقني وأنت حصان الفرج (عفيفة)، وموموقة (محبوبة) ووامقة (مُحِبَّةٌ)

وَذُوقِي فَنَى قَوْمٍ فَإِنِّي ذَائِقٌ فَتَاةٌ أَنَسِ مِثْلَمَا أَنْتِ ذَائِقَةٌ
تمتعي بغيري، وسأتمتع بغيرك

٢٢ درة الغواص

في هذه القصيدة تشبيه طويل، كان صنعه المسيب بن علس، خال الأعشى، وكان شاعرنا راوية له. والحكاية عند المسيب في قصيدته «أصرمت حبل الوصل من فتر» آتق منها عند الأعشى. وسيسرق الفرزدق التشبيه ويمضي به إلى الغاية، على أن تشبيه الفرزدق أقرب إلى تشبيه المسيب بن علس منه إلى تشبيه الأعشى. قال الأعشى :

أَسْهَوْ لِهَمِّي وَدَائِي، فَهَيَّ تُسْهِرُنِي بَانَتْ بِقَلْبِي، وَأَمْسَى عِنْدَهَا غَلَقًا
ذهبت آخذة قلبي معها، وأمسى قلبي معها غلقاً (غير ممكن فكاًكة، كالرهن الذي ينتهي أمده)،
فالحلية المرهونة تصبح ملكاً للحائز الثاني بعد أمد معلوم

كَأَنَّهَا دُرَّةٌ زَهْرَاءُ أَخْرَجَهَا عَوَاصُ دَارِينَ يَخْشَى دُونَهَا الْعَرَفَا
كانت المحبوبة للؤلؤة لامعة أخرجها غواص من دارين بالبحرين، وكان يخشى بسببها الموت عرفاً

قَد رَامَهَا حِجَجًا مُذْ طَرَّ شَارِبُهُ حَتَّى تَسْعَسَعَ يَرْجُوهَا وَقَدْ خَفَقَا
وكان قد رامها (طلبها) سنوات، منذ أن نبت شاربها حتى تسعسع (كبر واهتزت مشيته)، وهو على
الدوام يرجو الحصول عليها

لَا النَّفْسُ تُؤْوِسُهُ مِنْهَا فَيَتْرَكُهَا وَقَدْ رَأَى الرَّغَبَ رَأْيَ الْعَيْنِ فَاحْتَرَقَا
لا يئس منها فتركها، وقد بدا له هذا الرغب (الشيء المرغوب) ورآه بعينه فاحترق فؤاده
وَمَارِدٌ مِنْ غَوَاةِ الْجِنِّ يَحْرُسُهَا ذُو نَيْقَةٍ مُسْتَعِدٌّ دُونَهَا تَرَقَا
وهذه اللؤلؤة يحرسها مارد جني شرير ذو نيقة (تأهب) وقد استعد (أعد) قربها ترقا (درجاً لا بد من
الارتقاء فيه للحصول عليها)

لَيْسَتْ لَهُ عَقْلَةٌ عَنْهَا، يُطِيفُ بِهَا يَخْشَى عَلَيْهَا سُرَى السَّارِينَ وَالسَّرَقَا
الجني لا يفغل عن اللؤلؤة، وهو يحوم حولها، يخشى اعتداء من يمر بجانبها، وسرقها
مَنْ نَالَهَا نَالَ خُلْدًا لَا انْقِطَاعَ لَهُ وَمَا تَمَتَّى، فَأَضْحَى نَاعِمًا أُنْقَا
من نال اللؤلؤة كانت له دوام الثروة، والعيش الناعم الأنيق
تِلْكَ الَّتِي كَلَّفَتْكَ النَّفْسُ تَأْمُلَهَا وَمَا تَعَلَّقَتْ إِلَّا الْحَيْنَ وَالْحَرَقَا
فمثل هذه اللؤلؤة محبوبتك الصعبة التي تؤمل نفسك بالحصول عليها، ولكنك ما اقتربت إلا من
الحَيْن (الموت) وَالْحَرَق (النار)

٢٣ إني منهم

إِنِّي مِنْهُمْ، وَإِنَّهُمْ قَوْ مِي وَإِنِّي إِلَيْهِمْ مُشْتَاقُ
أَلْمُهَيِّنِينَ مَالَهُمْ لَزِمَانِ السُّدِّ وَءِ حَتَّى إِذَا أَفَاقَ أَفَاقُوا

٢٤ حَمَالُ الْأَعْبَاءِ

قال يمدح هُوَذَّةَ بن علي الحنفي، زعيم حنيفة باليمامة:

وَحَرْقٍ مَخُوفٍ قَدْ قَطَعْتُ بِجَسْرَةٍ إِذَا الْجَبَسُ أَعْيَا أَنْ يَرُومَ الْمَسَالِكَا
رب خرق (خلاء) يخافه الناس قطعته بجسرة (ناقة ضخمة)، بينما الجبس (الجبان) يعجز أن يروم
(يطلب) سلوك هذه الطرق

بِأَدْمَاءٍ حُرْجُوجٍ بَرَيْتُ سَنَامَهَا بِسَيْرِي عَلَيْهَا بَعْدَمَا كَانَ تَامِكَا
عبرت بأدماء (ناقة بيضاء) حرجوج (قوية) برت سنامها برياً (والناقة مع المشي الشديد تفقد شحم
السنام فيهزل) وكان سنامها من قبل تامكاً (سناماً مكتنزاً)

إِلَى هَوْدَةَ الْوَهَابِ أَهْدَيْتُ مِدْحَتِي أَرْجِي نَوَالاً فَاضِلاً مِنْ عَطَائِكَ
فَتَى يَحْمِلُ الْأَعْبَاءَ لَوْ كَانَ غَيْرُهُ مِنَ النَّاسِ لَمْ يَنْهَضْ بِهَا مُتَمَاسِكاً
وَأَنْتَ الَّذِي عَوَّدْتَنِي أَنْ تَرِيَشَنِي وَأَنْتَ الَّذِي آوَيْتَنِي فِي ظِلَالِكَ
تَرِيَشِي: ثَبَّتْ لِي الرِّيشَ كَمَا يَنْبَغُ رِيَشَ الطَّائِرِ بِالْغِذَاءِ

وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنْ كَفَّيْكَ بِالنَّدَى تَجُودَانِ بِالْإِعْطَاءِ قَبْلَ سُؤَالِكَ
وَرَبَّيْتُ أَيْتَاماً، وَالْحَقُّتُ صَبِيَّةً وَأَدْرَكْتُ جَهْدَ السَّعْيِ قَبْلَ عَنَائِكَ
رَبَّيْتُ الْأَيْتَامَ، وَاسْتَكْمَلْتُ تَرْبِيَةَ الصَّبِيَّةِ، وَأَدْرَكْتُ جَهْدَ السَّعْيِ (غَايَةَ السَّخَاءِ) قَبْلَ أَنْ تَتَعَبَ

٢٥ كل من فوقها لها

قال في شيء كان بينه وبين بني عباد وبني مالك:

فَبَا أَخَوَيْنَا مِنْ عِبَادٍ وَمَالِكٍ أَلَمْ تَعْلَمَا أَنَّ كُلَّ مَنْ فَوْقَهَا لَهَا
كل من فوق الأرض سيصبح تحتها

وَكَائِنُ دَفَعْنَا عَنْكُمْ مِنْ مُلْمَةٍ وَكُرْبَةٍ مَوْتٍ قَدْ بَتَّئْنَا عِقَالَهَا
وكثيراً ما دفعنا عنكم من ملمة (من أزمة) ومن كربة مميته بتنا عقالها (قطعنا حبلها قبل أن تتصل بكم)
وَأَرْمَلَةٌ تَسْعَى بِشُعْثٍ كَأَنَّهَا وَإِيَّاهُمْ رِبْدَاءٌ حَثَّتْ رِئَالَهَا
ورب أرملة تسير بأطفال شعث (جمع أشعث وهو المضطرب الهيئة والثياب) فكانها معهم ربداء
(نعامة) تسوق رئالها (صفار النعام)

هَنَانَا وَلَمْ نَمُتْنِ عَلَيْهَا فَأُضْبِحَتْ رَخِيَّةً بَالٍ قَدْ أَرْحَنَّا هُزَالَهَا
أنجدناها دون من، وأرحنا بالها، وأطعمناها

٢٦ ذكرى قتيلة

صَحَا الْقَلْبُ مِنْ ذِكْرِي «قُتَيْلَةً» بَعْدَمَا يَكُونُ لَهَا مِثْلَ الْأَسِيرِ الْمَكْبُولِ
لَهَا قَدَمٌ رَيًّا سَبَاطٌ بِنَانُهَا قَدْ اعْتَدَلْتُ فِي حُسْنِ خَلْقٍ مُبْتَلٍ
يصف صاحبته فقدمها سميحة ذات أصابع طويلة، وهي ذات قد معتدل وخلق مبتل (جسم متناسق)
وَسَاقَانِ مَارَ اللَّحْمُ مَوْرَأً عَلَيْهِمَا إِلَى مُنْتَهَى خَلْخَالِهَا الْمُتَّصِلِ
وساقاها ممثلتان تترجرجان باللحم الذي يemor (يرتج كالماء)، وساقاها ممثلتان حتى الخلخال
المتصلصل (الرنان)

إِذَا التَّمِسَتْ أُرْيَبَتَاهَا تَسَانَدَتْ لَهَا الْكَفُّ فِي رَابٍ مِنَ الْخَلْقِ مُفْضِلٍ
إذا التمس (لمست) أريبتها (فلقتا عجيزتها) تساندت الكف لها (استندت إليها) فكانت ذات خلق
راب (خلقة مرتفعة) مفضل (زائد عن المعتاد). يصف عجيزتها بأنها كبيرة

إِلَى هَدَفٍ فِيهِ ارْتِفَاعٌ تَرَى لَهُ مِنْ الْحُسْنِ ظِلًّا فَوْقَ خَلْقٍ مُكَمَّلٍ
ثم ينطلق صاحبنا إلى وصف «هدف»؛ فذلك الشيء الذي لا يسمى مرتفع، وبشكل شبه هضبة ترك
على جسم الفتاة ظلًّا

إِذَا انْبَطَحَتْ جَافَى عَنِ الْأَرْضِ جَنْبُهَا وَخَوَّى بِهَا رَابٍ كَهَامَةٍ جُنْبِلٍ
إذا انبطحت على جنبها فخصرها يرتفع عن الأرض، ويظهر ذلك الهدف الرابي الذي يشبه رأس
الجنبيل (القدح الخشبي). هذا هو المعنى الملموح. ولم يشرح لنا ثعلب في نسخته التي نشرها
غابر هذه القصيدة

إِذَا مَا عَلاهَا فَارِسٌ مُتَبَدِّلٌ فَنِعْمَ فِرَاشُ الْفَارِسِ الْمُتَبَدِّلِ
إذا علاها رجل متبدل (يلبس ثياب المنزل)، فهي خير فراش له

يَنْوُءُ بِهَا بُوصٌ إِذَا مَا تَفَضَّلَتْ تَوَعَّبَ عَرْضَ الشَّرْعِيِّ الْمُغِيلِ
يتعبها بوصها (مؤخرتها)، وإذا تفضلت (لبست لباساً خفيفاً) فهذا الجزء من جسمها يتوعب (يملا)
الشرعي (الثوب) المغيل (الواسع)

رَوَادِفُهُ تَشْنِي الرِّدَاءَ تَسَانَدَتْ إِلَى مِثْلِ دِعْصِ الرَّمْلَةِ الْمُتَهَيِّلِ
روداف عجيزتها تجعل الرداء يشنى - لا سيما مع دقة خصرها - وهذه الأدواف تفضي إلى المؤخرة
التي تشبه دعص (كثيب) الرمل المتهيل (غير المتماسك)

وَتُدَيَانٍ كَالرُّمَّانَتَيْنِ، وَجِيدُهَا كَجَيِّدِ غَزَالٍ غَيْرَ أَنْ لَمْ يُعْطَلِ
جيدها (عنقها) كعنق غزال، لكنه لم يعطل (لم يعدم الحلي)

فَدَعُهَا وَسَلَّ الْهَمَّ عَنْكَ بِجَسْرَةٍ تَزِيدُ فِي فَضْلِ الزُّمَامِ، وَتَغْتَلِي
فدعها.. يريد أن يغير الموضوع.. وانس الهم بجسرة (ناقة ضخمة) تزيد (تمد عنقها للأمام
ماضية بسرعة) جاذبة بقية الزمام المربوط بعنقها، وتغتلِي (تسرع)

فَأَيَّةُ أَرْضٍ لَا أَتَيْتُ سَرَائِهَا وَأَيَّةُ أَرْضٍ لَمْ أَجْبُهَا بِمِرْحَلِ
زرت السراة (الوجهاء) في كل أرض، وجبت كل أرض بِمِرْحَل (بجمل قوي)

وَنَحْنُ رَدَدْنَا الْفَارَسِيِّينَ عَنُوءَ وَنَحْنُ كَسَرْنَا فِيهِمْ رُمَحَ عَبْدَلِ
رددنا الفرس في «ذي قار» وكسرنا فيهم رمح عبد القيس، كناية عن هزمهم

٢٧ أصبت طحالها

قال يمدح قيس بن معديكرب:

رَحَلْتُ سُمِيَّةَ غُدُوَّةَ أَجْمَالِهَا غَضَبِي عَلَيْكَ فَمَا تَقُولُ بَدَا لَهَا؟

رحلت سمية أجمالها، أي وضعت الرحال فوق الجمال، صباحاً، وهي غضبي عليك، فما سبب الغضب يا ترى؟

سَفَهَا، وَمَا تَدْرِي سُمِيَّةَ وَيَحَهَا أَنْ رَبُّ غَانِيَةٍ صَرَمْتُ حَبَالَهَا

لعله سفاهة منها، وهي لا تعلم أن ثمة غانية قد قطعت علاقتي بها، وسمية ليست أحسن من غيرها فلتحذر!

وَمَصَابٍ غَادِيَةٍ كَأَنَّ تَجَارَهَا نَشَرْتُ عَلَيْهِ بُرُودَهَا وَرَحَالَهَا

رب مكان هو مصاب غادية (المكان الذي أصيب بمطر السحابة) والمكان فيه أزهار شتى ونبات فكان التجار نشروا فوقه أفمشتهم ورحالهم (متاعهم)

قَدْ بَتُّ رَائِدَهَا؛ وَشَاةٌ مُحَاذِرٍ حَذَرًا يُقِيلُ بَعِينَهُ أَغْفَالَهَا

قد كنت رائد هذه السحابة، والرائد هو الرجل الذي يتقدم قبيلته باحثاً عن مواضع العشب. فقد أتيت إلى هذا الموضع الذي نزل به قوم، وهناك شاة محاذر (زوجة رجل شديد الحذر غيرة عليها) وهو يتعقب بعينه مواضع الغفلة حفاظاً على امرأته. هذا هو المعنى الملموح

فَظَلَلْتُ أُرْعَاهَا، وَظَلُّ يَحُوطُهَا حَتَّى دَنَوْتُ إِذَا الظَّلَامُ دَنَا لَهَا

ظلت أراقبها، وظل يحوطها بنظره، فإذا ما دنا الظلام دنوت إليها

فَرَمَيْتُ غَفْلَةً عَيْنِهِ عَنْ شَاتِهِ فَأَصَبْتُ حَبَّةَ قَلْبِهَا وَطَحَّالَهَا

رميت غفلته عنها فأصبت هذه المرأة وحصلت عليها. طبعاً هو كذاب.. فقط يحب أن يرى نفسه غازياً زانياً. والنقاد القدامى سخروا من هذا البيت، ليس للزنا، بل لأن الطحال لا يدخل الشعر إلا أفسده

حَفِظَ النَّهَارَ وَبَاتَ عَنْهَا غَافِلًا فَخَلْتُ لِصَاحِبٍ لَذَّةً وَخَلَا لَهَا

زوجها حفظها بالنهار، وغفل عنها في الليل، فخلا الجولي

وَسَبِيَّةٍ مِمَّا تُعْتَقُ بِأَبْلِ كَدَمِ الذَّبِيحِ سَلَبْتُهَا جِرْيَالَهَا

بغير الموضوع: رب سبيئة (خمرة مشتراة) معتقة من زمن بابل، وهي حمراء كالدم، وشربتها وبَلْتُهَا ببيضاء فكانني سلبتها جريالها (لونها). التفسير من ثعلب عن أبي عمرو بن العلاء

وْغَرِيْبَةٍ تَأْتِي الْمُلُوكَ حَكِيْمَةً قَدْ قَلَّتْهَا لِيَقَالَ مِنْ ذَا قَالَهَا

ورب قصييدة غريبة (ترتحل على أفواه الرواة فهي موجودة بكل أرض لذا فهي غريبة) وأنا بها مفتخر، وما قلتها إلا لكي يتعجب الناس ويقولوا من الذي قالها؟

وَجَزُورٍ أَيْسَارٍ دَعَوْتُ لِحَتْفِهَا وَنِيَاطٍ مُقْفِرَةٍ أَخَافُ ضَلَالَهَا
 ورب جزور أيسار (ناقة يجري عليها الميسر لاقسام لحمها)، ورب نياط مقفرة (مجال صحراء
 جذبة) أخاف الضياع فيها، لكنني قطعتها...

ولقد نزلت بخيرٍ مَنْ وَطِئَ الْحَصَى قَيْسٍ، فَأَثْبَتَ نَعْلَهَا وَقَبَالَهَا
 ونزلت ضيفاً على خير البشر، وهو قيس، فأثبت نعل ناقتي وقبالها (شجع النعل، سير يربط به
 نعلها). وكانت الناقة تشكو الحفا لطول السير فلملهم كانوا يعينونها بنعل. فالممدوح أراح له ناقته
 كناية عن أنه كفاه السفر بما أعطاه من مال

فكَأَنَّهَا لَمْ تَلَقَ سِتَّةَ أَشْهُرٍ ضُرّاً إِذَا وَضَعْتَ إِلَيْكَ جِلَالَهَا
 كأن الناقة، عندما وضعت عندك جلالها (ما يجللها من رحل وسرج)، لم تلق التعب ستة أشهر.
 الأصمعي يقول: هو كَيْدْبَان، ولا أراه سار إلى ممدوحه أكثر من عشرين يوماً

عَوَّدَتْ كِنْدَةً عَادَةً فَاصْبِرْ لَهَا إِغْفِرْ لِحَاجِلِهَا، وَرَوْ سِجَالَهَا
 عودت قبيلتك كندة على كرمك فاصبر لما يصنعه الجاهل، ورؤ سجالها (املا دلاءها)
 وَإِذَا تَحَلُّ مِنْ الْخُطُوبِ عَظِيمَةٍ، أَهْلِي فِدَاؤُكَ، فَانْكُفِهِمْ أَثْقَالَهَا
 وإذا حل بقومك مكروه فاحمل عنهم ثقله

٢٨ ما بكاء الكبير بالأطلال

قال بمدح الأسود بن المنذر اللخمي:

مَا بَكَاءُ الْكَبِيرِ بِالْأَطْلَالِ وَسْوَائِي، فَهَلْ تَرُدُّ سُؤَالِي؟
 ما قيمة بكاء الكبير بأطلال الأحبة؟ وما قيمة سؤالي عن رحلوا ولا رد عند الطلول؟

دِمْنَةٌ قَفْرَةٌ تَعَاوَرَهَا الصَّيْفُ فُ بِرِيحَيْنِ مِنْ صَبَأٍ وَشَمَالِ
 هذه دمنة (خربة) مقفرة، تعاورها الصيف (تجاذبها) بريحي الصبا والشمال

لَا تَهْنَأُ ذِكْرَى جُبَيْرَةٍ أَوْ مَنْ جَاءَ مِنْهَا بِطَائِفِ الْأَهْوَالِ
 لا تهنا ذكرى جبيرة: ليس هذا موضع تذكر جبيرة، أو من حمل أخبار هجرها المؤلمة

رُبَّ خَرَقٍ مِنْ دُونِهَا يُخْرِسُ السَّفْ رَ، وَمِيلٍ يُفْضِي إِلَى أُمِّيَالِ
 رب خرق (صحراء واسعة) يبني وبين جبيرة، يجعل السفر (المسافرين) يصمتون،
 ورب ميل يؤدي إلى أميال (الميل قياس مسافة، وهو «مد البصر» فكل ما ناله بصرك
 داخل في الميل، والميل كلمة يونانية معناها ألف، وعند اليونان والرومان فالميل
 ألف خطوة، وأخذنا الكلمة في جاهليتنا وفسرناها على كَيْفَا)

وَأَدْلَاجَ بَعْدَ الْمَنَامِ وَتَهْجِيهِ بِرِ وَقُفْتُ وَسَبَسْتُ وَرِمَالِ
 ورب أدلاج (سير ليلي) وتهجير (سير في النهار)، وقفت (أرض وعرة) وسبسب (أرض متوية)
 فَلَمَّيْنِ شَطَّ بِي الْمَزَارُ، لَقَدْ أَغْدُ دُو قَلِيلَ الْهَمُومِ نَاعِمَ بَالِ
 فلتم شط (ابتعد) بي المزار (التغرب) فقد كنت قليل الهموم منعماً من قبل بصحبة الحبيبة
 فاذهبي، ما إِلَيْكَ أَدْرَكْنِي الْجِلْدُ هُمُ، عَدَانِي عَنْ ذِكْرِكُمْ أَشْغَالِي
 فاذهي أيتها الحبيبة فقد أدركني الحلم (كبرت)، وانشغلت بغير ذكرك

٢٩ الأرض حمالة

قال يمدح سلامة ذا فائش:

إِنَّ مَحَلًّا وَإِنَّ مَرْتَحَلًا وَإِنَّ فِي السَّفَرِ مَا مَضَى مَهَلًا
 إن للمرء محلاً وإن له مرتحلاً في هذه الدنيا، والسفر (المسافرون) ما داموا ماضين في طريقهم
 فليمضوا متمهلين

إِسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِالْوَفَاءِ وَبِالْـ مَعْدِلِ وَوَلَّى السَّلَامَةَ الرَّجُلَا
 ومن هذا البيت استنتج القدماء أن الأعشى كان يقول بأن الإنسان مخير

وَالْأَرْضُ حَمَالَةٌ لِمَا حَمَلَتْ أَلْـ لَّهُ، وَمَا إِنْ تَرَدُّ مَا فَعَلَا
 ليس في هذه الأبيات معنى غريب، ولكن لها جرساً جميلاً

قَلَّدْتُكَ الشُّعْرَ يَا سَلَامَةَ ذَا التَّـ فُضَالِ، وَالشَّيْءُ حَيْثُمَا جُعِلَا
 أي أنت تستحق هذا المدح، فهذا مكانه المناسب. وأعجب الممدوح بهذا البيت، وأعطى الأعشى
 كرشاً مملوءة عنبراً، ونبهه على قيمتها حتى لا يخدعه التجار

وَالشُّعْرُ يَسْتَنْزِلُ الْكَرِيمَ كَمَا اسـ تَنْزَلَ رَعْدُ السَّحَابَةِ السَّبَلَا
 الشعر يستنزل (يستدر) المال من الكريم كما يستدر الرعد - في كتاب العلوم الذي درسه الأعشى -
 السبل (المطر) من السحاب

٣٠ ستندم

قال الأعشى يهجو عمير بن عبد الله بن المنذر:

لَشَنْ كُنْتَ فِي جُبِّ ثَمَانِينَ قَامَةً وَرُقِيتَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ بِسُلْمٍ..
 لو كنت في بئر عمقها ثمانون قامة، ولو صعدت إلى السماء بسلم..

لَيْسَتْ دِرَجَتُكَ الْقَوْلُ حَتَّى تَهْرَهُ وَتَعْلَمَ أَنِّي عَنْكَ لَسْتُ بِمُلْجَمٍ
فسوف يستدرجك تبادل الاتهامات حتى تكره ذلك، وحتى تعلم أنني لست ملجماً (صامتاً عنك)
وَتَشْرُقُ بِالْقَوْلِ الَّذِي قَدْ أَذَعَتْهُ كَمَا شَرَقْتُ صَدْرُ الْقَنَاةِ مِنَ الدَّمِ
وستشرق بما قلت ونشرت، مثلما يشرق صدر القناة (أعلى الرمح) بالدم
فَمَا أَنْتَ مِنْ أَهْلِ الْحُجُونِ وَلَا الصَّفَا وَلَا لَكَ حَقُّ الشُّرْبِ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ
الحجون والصفاء موضعان بمكة

٣١ شارب السخامية

أَلَمْ خِيَالٌ مِنْ قُتَيْلَةٍ بَعْدَمَا وَهَى حَبْلُهَا مِنْ حَبْلِنَا فَتَصَرَّمَا
جاءني طيفها بعدما وهى حبلها فتصرم (أصبحت علاقتنا واهية ضعيفة، ثم انقطعت)
فَبِئْتُ كَأَنِّي شَارِبٌ بَعْدَ هَجْعَةٍ سُخَامِيَّةً حَمْرَاءَ تُحَسَّبُ عِنْدَمَا
كأنني شربت بعد هجعة (بعدما نام الناس) خمراً سخامية (سلسلة تنزلق في الحلق) يحسبها الرائي
عِنْدَمَا (والعندم نبات ذو ثمر أحمر)

لَهَا حَارِسٌ مَا يَبْرَحُ الدَّهْرَ بَيْتَهَا إِذَا ذُبِحَتْ صَلَّى عَلَيْهَا وَزَمْزَمَا
هذه الخمر يحرسها خمار لا يفارق بيتها، فإذا ذبحت (أي شُقَّ دنها بالمبزول) صلى وزمزم
(قال كلاماً غير مفهوم بلغته فكأنه يدعو بدعاء عند ذبح الدن)

٣٢ التي تستل الزكام

قال يمدح إياس بن قبيصة الطائي:

وَقَدْ قَالَتْ قُتَيْلَةٌ إِذْ رَأَتْنِي وَقَدْ لَا تَعْدُمُ الْحَسَنَاءُ دَامَا . .
قالت قتيلة، و«لا تعدم الحسنة داما» مثل قديم أي أن لكل حسنة عيأ
أَرَاكَ كَبِرْتَ، وَاسْتَحْدَثْتَ خُلُقًا وَوَدَّعْتَ الْكَوَاعِبَ وَالْمُدَامَا
نقول له كبرت وتغيرت طباعك ولم تعد تهتم بالكواعب (الفتيات برزت صدورهن)
فَإِنْ تَكُ لِمَتِّي يَا «قَتْلُ» أَضَحْتُ كَأَنَّ عَلَى مَفَارِقِهَا نَعَامَا
إن أضحت لمتي (شعري) وكان عليها الثغام (نبت له زهر أبيض)
وَأَقْصَرَ بَاطِلِي، وَصَحَوْتُ حَتَّى كَأَنَّ لَمْ أَجْرِ فِي دَدْنِ غَلَامَا
ولئن أقصر باطلاي (كففت عن اللهو) وصحوت عن عبثي حتى كأنني لم أكن أجري في الددن
(اللعب) كالغلام

فإنَّ دوائرَ الأيامِ يُفْنِي تَتَابُعُ وَقْعِهَا الذِّكْرَ الحَسَامَا

فإن دوائر (مصائب) الزمن يفني تواليها السيف الذكر (القاطع)

وَأَذْكَنَ عَاتِقِي جَحْلِي سِبْخَلِي صَبَحْتُ بِرَاحِهِ شَرْباً كِرَامَا

رب دن خمر كبير داكن اللون لما طلي به من قار، وهو جحل وسبخل (كبير) وقد جنت بخمرته صباحاً لشرب (شاربين) كرام

مِنَ اللَّاتِي حُمِلْنَ عَلَى الرَّوَايَا كَرِيحِ الْمَسْكِ تَسْتَلُّ الزُّكَامَا

هذا الدن من الدنان التي حملت على الروايا (جمال نقل الماء)، ورائحة خمره كالمسك يضع منها أثر الزكام

٣٣ قتلنا القليل هامرز

قال يفتخر بيوم ذي قار:

أَبَاءُ الضُّيَمِ لَا يُعْطَوْنَ نَ مَنْ عَادَوْهُ مَا حَكَمَا

أَبَتْ أَعْنَاقُهُمْ عِزّاً فَمَا يُعْطَوْنَ مَنْ عَشَمَا

غشم: ظلم

عَلَى جُرْدٍ مُسَوَّمَةٍ عَوَابِسَ تَعْلُكُ اللَّجْمَا

يركبون الجرد المسومة (الخيول ذات الشعر القصير والمعلمة بعلامة تميزها) وهي كالعباسة وتعلك اللجم (جمع لجام) متحفزة

قَتَلْنَا الْقَلِيلَ هَامِرْزٍ وَرَوَيْنَا الْكَثِيبَ دَمَا

القليل: الملك، هامرز: قائد الفرس في ذي قار

٣٤ تقول ابنتي حين جد الرحيل

قال يمدح قيس بن معديكرب:

وَمَا مُزِيدٌ مِنْ خَلِيجِ الْفُرَا تِ جَوْنُ عَوَارِبُهُ تَلْتَطِمُ..

يبدأ تشبيهاً: ليس ماء الفرات المزيد (الذي علاه زيد من الموج) الجون (الأبيض) غواربه تلتطم (أمواجه تتلاطم).. (والجون كلمة تعني أسود وتعني أبيض، هي من الأضداد)

يَكْبُ الْخَلِيَّةُ ذَاتَ الْقِلَا عِ، قَدْ كَادَ جُوجُوهَا يَنْحَطِمُ..

يكب الخلية (يقلب السفينة) ذات القلاع (الأشعة) حتى ليكاد جوجوها (صدرها) يتحطم..

تَكَاكُأَ مَلَأُحُهَا وَسَطُهَا مِنْ الْخَوْفِ كَوُثِّلَهَا يَلْتَزِمُ . .

والملاح يتكاكأ (يتمايل)، ثم يلتزم كوثلها (يمسك بمؤخرتها التي لم تغرق بعد) . .

بِأَجْوَدَ مِنْهُ بِمَا عِنْدَهُ إِذَا مَا سَمَاؤُهُمْ لَمْ تَغْمُ

ليس الفرات الموصوف أعلاه أجود من قيس عندما ينحبس المطر ولا يوجد غيم في سماء القوم

تَقُولُ ابْنَتِي حِينَ جَدَّ الرَّحِيلُ أَرَأَنَا سَوَاءَ وَمَنْ قَدْ يَتِمُّ

يتم: صار يتيماً

أَبَانَا فَلَا رِمَتْ مِنْ عِنْدِنَا فَإِنَّا بِخَيْرٍ إِذَا لَمْ تَرِمْ

رام يريم: رحل

وَيَا أَبَتَا لَا تَزَلْ عِنْدَنَا فَإِنَّا نَخَافُ بَأَن تُوْخْتَرَمَ

توخرم: تموت

أَرَأَنَا إِذَا أَضْمَرْتُكَ الْبِلَادَ دُ نُجْمَقِي وَنُقْطَعُ مِنَّا الرَّحِمُ

إذا أضمرتك البلاد (أخفكت وجعلتك في ضميرها) فسوف يجفونا الأقارب

أَفِي الطُّوفِ خِفْتُ عَلَيَّ الرَّدَى؟ وَكَمْ مِنْ رَدٍ أَهْلَهُ لَمْ يَرِمْ

يجيها: السفر لا بيت، وكم من رد (ميت) لم يرحل عن أهله

وَقَدْ طُفْتُ لِمَالِ آفَاقِهِ عُمَانَ فَجِئْصَ فَأُورِشَلِيمَ

أَتَيْتُ النَّجَاشِيَّ فِي أَرْضِهِ وَأَرْضَ النَّبِيطِ وَأَرْضَ الْعَجَمِ

يقول المثل الفلسطيني: «لا أكذب من شاب تغرب إلا شيخ ماتت أجياله» والأعشى جمع الاثنين

فهو تغرب كثيراً وعاش حتى الثمانين، ولا شيء يثبت أنه عبر البحر إلى الحبشة

٣٥ خير أهل اليمن

قال يمدح قيس بن معديكرب:

لَعَمْرُكَ مَا طُولُ هَذَا الزَّمَنِ عَلَى الْمَرْءِ إِلَّا عَنَاءٌ مُعَنَّ

معَنَّ (أي يُعْنَى ويتعب)

يَظَلُّ رَجِيماً لِرَبِّبِ الْمَنُونِ وَلِلْسُقْمِ فِي أَهْلِهِ وَالْحَزَنِ

المرء يظل رجيماً للموت (معرضاً للرجم من الموت)

وَمَا إِنَّ أَرَى الدَّمَرَ فِي صَرْفِهِ يُغَادِرُ مِنْ شَارِحٍ أَوْ يَفْنُ

شارخ: فنى، يفن: شيخ

فَهَلْ يَمْنَعُنِي ارْتِيَادِي الْبِلَا دَ مِنْ حَذَرِ الْمَوْتِ، أَنْ يَأْتِيَنِي

في البيت تقديم وتأخير لا يكاد به المعنى يستقيم وإن كان في غاية الوضوح: الامتناع عن السفر لا يمنع الموت أن يأتي

وَأَقَرَّرْتُ عَيْنِي مِنَ الْغَانِبَا تِ إِمَّا نِكَاحاً وَإِمَّا أَرْزَ

نلت شعباً من ذلك الشيء، إما زواجاً وإما زنى

وَمِنْ كُلِّ بِيضَاءَ مَمْكُورَةٍ لَهَا بَشَرٌ نَاصِعٌ كَاللَّبَنِ

ممكورة: ممتلئة، البشر: البشرة

وُنَبِّئْتُ قَبِيْساً وَلَمْ أَبْلُهُ كَمَا زَعَمُوا خَبِرَ أَهْلَ الْيَمَنِ

فَجِئْتُكَ مُرْتَاداً مَا خَبَرُوا وَلَوْلَا الَّذِي خَبَرُوا لَمْ تَرَنَ

لم ترن: لم ترني

فَلَا تَحْرِمْ نِي نَدَاكَ الْجَزِيلَ فَإِنِّي امْرُؤٌ قَبْلَكُمْ لَمْ أَهِنَ

٣٦ مشغوف بهند

خَالَطَ الْقَلْبَ هُمُومٌ وَحَزَنٌ وَادْكَارٌ بَعْدَمَا كَانَ أَطْمَأَنَّ

ادكار: تذكر

فَهُوَ مَشْغُوفٌ بِهِنْدٍ هَائِمٌ يَرْعَوِي حِيناً وَأَحْبَابَنَا يَحِنُّ

يرعوي: يرجع عن غيه

خُلِقْتُ هِنْدُ لِقَلْبِي فَتِنَةٌ هَكَذَا تَعْرِضُ لِلنَّاسِ الْفِتَنُ

وَطِلَاءٌ خُسْرُوَانِي إِذَا ذَاقَهُ الشَّيْخُ تَغْنَى وَارْجَحَنَ

طلاء: خمر، خسرواني: من عهد خسرو، أي كسرى، أرجحن: تمايل

وَطَنَابِيرَ حِسَانٍ صَوْتُهَا عِنْدَ صَنْجٍ كُلَّمَا مُسَّ أَرْزَ

الطنبور والصنج من الآلات الموسيقية

٣٧ وصية

سَأَوْصِي بِصِيرًا إِنْ دَنَوْتُ مِنَ الْبَلَىٰ وَكُلُّ امْرِئٍ يَوْمًا سَيُصْبِحُ فَانِيَا

البلى: تحلل الجسم بعد الموت

بَأَنْ لَا تَأَنَّ الْوُدَّ مِنْ مُتَبَاعِدٍ وَلَا تَنَأَّ إِنْ أَمْسَى بِقُرْبِكَ رَاضِيَا

لا تتأنى (تنتظر) الود ممن يجفوك، فإن اقترب منك فلا تبعد أنت عنه

فَذَا الشَّنْءِ فَاشْنَأْهُ، وَذَا الْوُدِّ فَاجْزِهِ عَلَىٰ وُدِّهِ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ الْعَلَانِيَا

ذو الشنء (البغض) أبغضه، وأما من يودك فبادله ودأ وزد عليه بأن تعلن ودك له

وَأَسِ سِرَاةَ الْحَيِّ حَيْثُ لَقِيَتْهُمْ وَلَا تَكُ عَنْ حَمْلِ الرَّبَاعَةِ وَإِنِّيَا

أس (ساعد) سراة الحي (وجهاء القوم) بأن لا تتوانى عن المشاركة في حمل الرباعة (الدية)

وَإِنْ بَشَّرَ يَوْمًا أَحَالَ بِوَجْهِهِ عَلَيْكَ فَحُلْ عَنْهُ وَإِنْ كَانَ دَانِيَا

من أشاح بوجهه فابتعد عنه ولو كان ذا قرابة أو مجاورة

وَلَا تَعِدَنَّ النَّاسَ مَا لَسْتَ مُنْجِزًا وَلَا تَشْتُمَنَّ جَارًا لَطِيفًا مُصَافِيَا

ولا تزهدن في وصل أهل قرابة ولا تك سبعا في العشيرة عاديَا

عاديًا: معتديًا

الأعشى الكبير

فهرس القوافي

(القافية فرقم القطعة)

٢٦	المكبل	١٦	حاجر	٣	وأوصابا
٢٨	سوالي	١٢	أسيرها	٢	وجربا
٢٧	بدا لها	١٧	منكص	٥	اغتيابة
٣٣	حكما	١٨	والوجعا	٦	أطرايها
٣٢	داما	١٩	فينصرفوا	٤	عذابها
٣١	فتصرما	٢٢	غلقا	٨	وقلت
٣٠	يسلم	٢٣	أفاقوا	٧	وحياتها
٣٤	تلتطم	٢٠	معشوق	٩	المشهدا
٣٦	اظمان	٢٥	فوقها لها	١٠	صاد
٣٥	معن	٢١	وطارقة	١١	غادها
٣٧	فانيا	٢٤	المسالكا	١٥	انجدارا
		٢٩	مهلا	١٤	الفرار
		١	الرجل	١٣	أظفاري

حسان بن ثابت (٥٠ ق هـ - ٤٠ ب هـ)

قيل لم يُحمَل على أحد من الشعر ما حُيل على حسان، فهو أهم شاهد عيان على عصر النبوة، ليس أنه أهم صحابي، ولا أنه أفصح صحابي، بل لأنه الصحابي الذي قال كلاماً موزوناً يؤتى به في روايات المؤرخين فيجعلونه وثيقة، ثم يأتي مؤرخون آخرون بعد بضع عشرات من السنين تَوَفَّرَ لهم من أدوات الكتابة أكثر مما توفر للأوائل فيكتبون ما سمعوا منسوباً إلى حسان، ويكتبون ما سمعوا بغير نسبة وينسبونه إلى حسان. فلا يسمع المؤرخ منهم نتفة أو قطعة رويت في رثاء الرسول إلا جعلها لحسان، ويحلوه له أن يحمل على حسان كثيراً مما قيل في فتنة الدار يوم قتل الخليفة عثمان، لأن حساناً كان ذا موقف واضح في هذه الفتنة، فكثير مما وافق رأي حسان جُعل له.

وشهدت الدولة العربية بعد موت حسان ببضعة عقود انشطاراً بين خليفتين: عبد الملك في الشام ومصر، وابن الزبير في الحجاز والعراق. فحُمل على حسان شعر جعل فيه نفسه أموي الهوى، وحمل عليه شعر مدح فيه الزبير بن العوام. وبعد عقود أكثر ذهبت دولة بني أمية وجاءت دولة بني العباس، فإذا بشعر حسان ينطق بمدح جد الأسرة العباسية.

وكان بين القبائل من التنافر بعد الفتح ما كان، فأصبح لحسان شعر في هجاء مخزوم وشعر في ذم سُليم.

كانت كتب السيرة من أحفل المصادر بشعر حسان، وأكدت لنا الروايات القديمة أن كتاب السيرة لم يكونوا يتحرون في سوق الشعر منسوباً إلى حسان.

نعم، لقد أنجب حسان - من زوجته سيرين، أخت مارية زوجة الرسول - ولداً صار شاعراً معروفاً هو عبد الرحمن بن حسان، وكان له من الأحفاد شاعر

اسمه سعيد. ولا شك في أن الرواة استأنسوا بهذين في معرفة أشعار حسان. غير أن الاضطراب الذي دخل ذلك الشعر كان علة مزمنة. ويقدر وليد عرفات، أهم دارسي حسان، في مقالته عنه في دائرة المعارف الإسلامية، الشعر المنسوب لحسان، وليس له، بما يتراوح بين ستين وسبعين بالمئة.

وعلى هذا فقد كان ديوان شاعرنا حسان بن ثابت - الذي عاش في ضوء ساطع من أضواء التاريخ، في فترة مشهودة مشهورة هي ثلاث عشرة سنة من حياة النبي في المدينة، ومثلاها في عصر الراشدين - من أكثر الدواوين التي شك النقاد القدماء في نسبة أشعارها إلى صاحب الديوان.

على أن هذا الشعر يظل مع ذلك حاملاً روح عصره. وهو يمثل صدر الإسلام في معانيه، وفي كثير من لغته وطريقته.

ولأننا لا نسوق هذه الصفحات على أنها «دراسة» لشعر حسان، ولا على أنها «تحقيق» للديوان، اكتفينا بما جاء في الديوان المشهور الموجود بأيدي الناس، واخترنا منه أجمل ما فيه من شعر، وشرحناه بما فتح الله علينا. وقد أحسن وليد عرفات إلى ديوان حسان تحقيقاً وتخريجاً، فأصدره في جزئين خاليين من الشرح. وأحسن إلى الديوان عبد الرحمن البرقوقي فشرحه وزينه بالشكل. وأفدنا من هذين الكتابين.

ثم رأينا تلك الكتب السقيمة التي أصدرها بعض خلق الله في الزمن الأخير وجعلوا أنفسهم على أغلفتها «محققين»، واكتفينا بتنحيتهما جانباً. . وبكثير من الاشتمزاز.

سمعنا القول المشهور: «العملة الرديئة تطرد العملة الصحيحة»، فلم نصدق. فالدول تلحق الدينار الزائف، وتلاحق من أعطاه ومن أخذه حتى تقف على رأس التزييف، وله عندها السجن. ولكن هذا القول صادق الصدق كله فيما يخص نشر دواوين الشعر القديمة. انزل إلى السوق وابتغ ديوان حسان. وستجد الطباعات المسروقة تحتل أرفف المكتبات، ولن تجد طبعة أرهق صاحبها نفسه سنين وهو يحققها. تتناول هذا الكتاب المزيف بين كفيك فترى له غلافاً ملوناً يسر العين. وتفتحه فترى صاحبة الدكتور فلان، وأحياناً يضع ألفاً مهموزة قبل الدكتور كي تفهم أن مرتبته الأكاديمية هي «أستاذ دكتور» فصاحبنا اللص ليس دكتوراً فحسب. وتراه قد كتب مقدمة، وما كان أغناه عن فضح نفسه، فطريقته في رصف الكلمات في مقدمته - ولتقف وقفة قصيرة عند أسلوبه

قبل أن نمضي في فحوى كلامه - طريقة ولد من أولاد المدارس. لغة انحطت عن لغة الجرائد، وانحطت عن لغة رجل من العوام يكتب سطرين في ذيل سند قبض. لغة مقززة. تراه يسوق كلاماً مما كان قاله كل الناس قبله. يقول كلاماً من قبيل «لا شك في أن تمسك كل أمة بترائها من الأمور المهمة.» أشياء بليدة كهذه. ثم يلخص لك تلخيصاً سمجاً ما ورد عن حسان في الكتب، وقد ينتطح صاحبنا فيأخذ في امتداح الشاعر ورفعه فوق كل شاعر، ويأخذ في الرد على ما أخذه القدماء والمحدثون على حسان، ويدافع وينافح كأنه كان وحساناً رضيعي لبان. ثم يقول لك كلمتين عن «عمله» في الديوان. ولا يذكر صاحبنا للديوان أي طبعة سابقة. ولا يذكر لك مصادره. فكأن حسان جاءه في المنام وألقى في صدره الواسع شعره كله.

حسان شاعر الرسول. هذه ليس فيها شك. وهو كان من بني النجار من الخزرج، الخؤولة البعيدة للرسول. وكانت له في الجاهلية أشعار في مدح قومه وهجاء القبيلة الأخرى في يثرب: الأوس، وفي مدح آل جفنة سادة الشام في الجاهلية، وهم الغساسنة الذين يمتون بصلة نسب إلى قبيلتي يثرب، فالكل يمن. قيل عاش حسان ستين سنة في الجاهلية وستين سنة في الإسلام. وهذه من خرافات القدماء. وتدور كلمة الدارسين الجادين على أن حساناً عاش خمسين سنة قبل الهجرة وأربعين بعدها.

كان ذا مال في الجاهلية، وكان له أطم، أي حصن، معروف بيثرب. جاءه المال تلامداً، فهو ابن قوم موسرين، وجاءه طريفاً فهو شاعر جوال مداح. كان يزور بلاط الغساسنة في الجابية وجلق بالشام، وكان ينال أعطيائهم. ولعل القصة التي أزارته بلاط النعمان وجمعت هناك بينه وبين النابغة صحيحة في عمومها. وحسان معم مخول، وأمه الفريعة من الخزرج من بيت معروف، وخاله من زور الملوك أيضاً.

وقد كان أخو حسان من وفد يثرب الذي دعا الرسول إلى الهجرة. وقد قتل هذا الأخ في أحد، وقتل له أخ ثان في وقعة بعد أحد. فأما حسان فلم يشهد مع الرسول شهيداً. وقال الذين لا يحبون حسان إنه كان جباناً، وعزوا قولهم بقصة يصعب على المرء تصديقها. ويميل وليد عرفات إلى أن جبن حسان خرافة، فقد كان أسنَّ عندما بدأت الغزوات. وقيل كانت به علة بيمناه فلم يكن يستطيع حمل سيف.

لحسن خبر آخر في الجاهلية جمعه بالنايعة وبالحنساء، ولا يصدق
الدارس الجاد بتفاصيله.

يكاد يجمع القدماء على أن شعره في الجاهلية أمتن من شعره في
الإسلام. لا جرم أنهم جعلوا الشعر الجاهلي المثال الذي يقاس عليه،
وقدسوه تقديساً. وشعر حسان الجاهلي جار على طريقة الجاهليين، يضاف
إلى ذلك عنصران نراهما يؤيدان القول إن شعره في الجاهلية أقوى من شعره
في الإسلام. فما قاله صاحبنا في جاهليته انطلق من رغبتي: رغبة في صلات
الممدوحين، ورغبة في المنفعة عن قبيلته وهجاء خصومها، فكان هذا الشعر
ينطلق عن شهوة جشع، وعن اندفاع رجل يقف في ميدان الخصومة القبلية
شاهراً لسانه. وأما شعره في الإسلام فكان يواكب حالة صعود.. كان تابعاً
للحالة الإسلامية. ألا ترى اليوم فرقاً بين شاعر مناضل تلاحقه السلطات
وشاعر يعمل موظفاً في وزارة الإعلام؟ كان حسان في كنف الدولة الإسلامية
الناشئة موظفاً في مؤسسة كبيرة صاعدة ناجحة، وأما في الجاهلية فكان لسان
الخزرج.

لا نفيض في هذا الأمر لأننا لا نحقق في نسبة ما بين أيدينا من شعر
حسان إلى حسان إلا قليلاً. والموضوع عليه في الإسلام أكثر بكثير من
الموضوع عليه في الجاهلية.

١ نبوءة

قال قبل فتح مكة، وبهجو شاعر قريش أبا سفيان بن الحارث:

عَدِمْنَا خَيْلَنَا إِنْ لَمْ تَرَوْهَا تُشِيرُ النَّقْعَ، مَوْعِدُهَا كَدَاءُ

فلنفقد خيولنا ولنعدنها إن لم تروها يا أهل قريش قد جاءكم وأخذت تشير النقع، أي الغبار،
والموعد «كداء» قرب مكة

يُنَازِعَنَّ الْأَعْنَةَ مُضْغِيَّاتٍ عَلَى أَكْتَاكِهَا الْأَسْلُ الطَّمَاءِ

تحاول الخيول جذب الأعنة، أي المقادير التي بها تقاد، وهي مصغية،
مائلة برؤوسها. وعلى أكتاف الخيول الأسل، أي الرماح، الطماء، أي العطشى..
والرمح الطامى يكون قد أنقن تجفيفه أثناء صنعه فهذا أخف له في يد الفارس،
«وحميد من القناة الذبول» (وقال الشراح، ومنهم البرقوقي إن الرماح الطماء إنما هي
عطشى لدماء أهل مكة، ولم نر ذلك)

تَظَلُّ جِيَادُنَا مُتَمَطِّرَاتٍ تُلَطِّمُهُنَّ بِالْخُمْرِ النِّسَاءُ

عندما ستأتيكم خيولنا ستظل متمطرة، أي مسرعة، وستلطمها النساء في مكة على وجوهها بالخمر، جمع خمار أي غطاء الرأس، لمنعها من التقدم. قد تحقق ذلك بالفعل وتعجبوا من بصيرة حسان، قالوا كأنما أوحى إليه

فإِذَا تُعْرِضُوا عَنَّا اعْتَمَرْنَا وَكَانَ الْفَتْحُ وَانْكَشَفَ الْغِطَاءُ

إن تركتمونا اعتمرنا، وكان الفتح وانتهى الأمر. ألا تشير كلمة «الفتح» إلى أن البيت موضوع؟

وَالْأَفَاصِيرُ لِجِلَادِ يَوْمٍ يُعِزُّ اللَّهَ فِيهِ مَنْ يَشَاءُ

والأفاصيرو لجلاد، مضاربة بالسيف، في يوم سينصر الله فيه من يشاء

أَلَا أَبْلِغُ أَبَا سُفْيَانَ عَنِّي فَأَنْتَ مُجَوِّفٌ نَخْبَ هَوَاءٍ

أبلغ هذا الشاعر القرشي بأنه مجوف نخب، والنخب هو المجوف أيضاً، وهواء.. أي أنه جبان لا قلب له في جوفه

فَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللَّهِ مِنْكُمْ وَيَمْدَحْهُ وَيَنْصُرْهُ سَوَاءٌ

هَجَوْتُ مُحَمَّدًا فَأَجِبْتُ عَنْهُ وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَلِكَ الْجَزَاءُ

أَتَهْجُوهُ وَلَسْتُ لَهُ بِكَفٍ فَشَرُّكُمْ لِخَيْرِكُما الْفِدَاءُ

كيف تهجو محمداً وأنت في المنزلة دونه؟ فليكن الشرير منكما فداء للخير

فَإِنَّ أَبِي وَإِلَدَهُ وَعِرْضِي لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وَقَاءُ

أبي وأحمي محمداً بأبي وبوالد أبي وبعرضي

وَسَوْفَ يُجِيبُكُمْ عَنِّي حُسَامٌ يَصُوغُ الْمُحْكَمَاتِ كَمَا يَشَاءُ

وسيكون جوابي أيضاً بالسيف الذي يصوغ أبحاثاً محكمة النسيج، لكن من نوع آخر. البيت أورده «وليد عرفات» في الذيل؛ وجدّه في «المزهر»

لِسَانِي صَارِمٌ لَا عَيْبَ فِيهِ وَبَحْرِي لَا تُكَدِّرُهُ الدَّلَاءُ

على أن لساني صارم أيضاً، وليس فيه تقصير، ومقدرتي الشعرية واسعة كالبحر الذي لا يتكدر ماؤه مهما انتشلت منه الدلاء، جمع دلو

٢ إِنَّ خَالِي..

قال في يوم أحد، ويهجو عبد الله بن الزُبَيْرِ الشاعر القرشي:

مَنَعَ النَّوْمَ بِالْعِشَاءِ الْهُمُومُ وَخَيَالٌ إِذَا تَغُورُ النُّجُومُ

الهموم منعني من النوم وقت العشاء، وخيال المحبوبة زارني فجراً عندما غارت، أي غابت، النجوم

شَأْنُهَا الْعِظَرُ وَالْفِرَاشُ، وَيَعْلُو هَا لَجَيْنٌ وَلَوْلُوْ مَنْظُومٌ

المحبوبة مهمة بعبطرها وبفراشها الذي لا تغادره إلا متأخرة، لأنها من بنات النعمة، وأعلاها لجين، أي فضة: كأنما يصف نحرها فهي بيضاء يبدو أعلى صدرها كأنه الفضة، وعلى نحرها انتشرت لؤلؤات عقدتها. كأنه تخيلها مستلقية على فراشها ذاك (الذي تحبه جداً، ولا تغادره إلا وقد ارتفع النهار) وعقدتها قد تعرج على صدرها

لَوْ يَذِبُ الْحَوْلِيُّ مِنْ وَلَدِ الذَّرِّ - عَلَيْهَا لَأَنْدَبَتْهَا الْكُلُومُ

لو يمشي الحولي، أي النمل، من ولد الذر، والذر هو النمل الصغير، على جسمها لصنع فيه ندوباً وكلوماً، أي جروحاً، لفرط نعومتها

إِنَّ خَالِي خَطِيبُ جَابِيَةِ الْجَوِّ لَإِنْ عِنْدَ النُّعْمَانِ حِينَ يَقُومُ

خال حسان، مسلمة بن مخلد، كان يغشى مجلس النعمان (نعمان الغساسنة لا المناذرة) بالجابية في الجولان بالشام وكان خطيب قومه والمتكلم باسمهم في مجلس الغساسنة

لَا تَسْبِّئَنِي فَلَسْتُ بِسَبِّي إِنَّ سَبِّي مِنَ الرِّجَالِ الْكَرِيمِ

لا تشتمني فلست سبياً لي، لست مكافئاً لي، ومكافئي من الرجال الكريم، ولست به

رُبَّ حِلْمٍ أَضَاعَهُ عَدَمُ الْمَا لِي، وَجَهْلٌ غَطَّى عَلَيْهِ النَّعِيمُ

حكمة: قد يكون الرجل حليماً ولكن فقره يغطي على هذه الصلّة، ورب جاهل متهور ستر خصلته الرديئة هذه ما عنده من مال

٣ الحرب دول

وقال يعقوب ابن الزبيري بعد أحد:

وَلَقَدْ نَلْتُمْ وَنَلْنَا مِنْكُمْ وَكَذَاكَ الْحَرْبُ أَحْبَاباً دُولُ

هزمناكم أولاً ثم هزمتونا، والحرب دول، أي مرة لك ومرة عليك

إِذْ شَدَدْنَا شِدَّةً صَادِقَةً فَأَجَانَاكُمْ إِلَى سَفْحِ الْجَبَلِ

شددنا عليكم وهجمنا فأجأناكم، أي جعلناكم تحيثون، إلى سفح الجبل

٤ تقتيل الأوس

نَهَزُ الْقَنَا فِي صُدُورِ الْكُمَا ةٍ حَتَّى نَكْسِرَ أَعْوَادَهَا

نهز القنا، الرماح، في صدور الكماة، المسلحين، حتى تنكسر فيهم

وَفِي كُلِّ يَوْمٍ لَنَا غَارَةٌ عَلَى الْأَوْسِ نَقْتُلُ أَسَادَهَا

وفي كل يوم نغير على قبيلة الأوس، ونقتل أسودها، أي شجعانها. وحسان من الخزرج

٥ عندما ترقص الكأس

لَلَّهِ دَرٌّ عَصَابَةٍ نَادَمْتُهُمْ يَوْمًا بِجِلْقٍ فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ

لله در جماعة صحتهم على الشراب نديماً لهم في جلق، قرب دمشق، في الزمن القديم

الْخَالِطُونَ فَقِيرَهُمْ بِغَنِيِّهِمْ وَالْمَنْعَمُونَ عَلَى الضَّعِيفِ الْمُرْمِلِ

يتفرق أغنياؤهم بفقرائهم ولا يعترلونهم، وهؤلاء القوم ينعمون على الضعيف المرمل، أي الفقير الذي قعد على الرمل فاقدًا حتى بساطه

أَوْلَادُ جَفْنَةٍ عِنْدَ قَبْرِ أَبِيهِمْ قَبْرِ ابْنِ مَارِيَةَ الْكَرِيمِ الْمَفْضِلِ

آل جفنة مقيمون عند قبر أبيهم، ابن مارية المشهورة وبها ضرب المثل، فهم مستقرون في نعيم ولا يرتحلون طلباً للعشب كالبدو الفقراء

يَسْقُونَ مَنْ وَرَدَ «الْبَرِيصَ» عَلَيْهِمْ بَرْدَى يُصَفِّقُ بِالرَّحِيقِ السَّلْسِلِ

ويسقون من يأتيهم في منطقة البريص ماء نهر بردى، لكن بعد أن يصفق، يمزج بالرحيق السلسل، الخمر اللينة على الحلق

يُغَشَّوْنَ حَتَّى مَا تَهَرُّ كِلَابُهُمْ لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمَقْبِلِ

يُزارون كثيراً حتى إن كلابهم ملت من الهرير، النباح، لاعتيادها الضيوف. وهم لا يسألون عن السواد المقبل، الجماعة الكبيرة من الناس، لا يسألون: من هؤلاء الضيوف؟ فالخير كثير

بَيْضُ الْوُجُوهِ كَرِيمَةٌ أَحْسَابُهُمْ شُمُّ الْأَنْوِفِ مِنَ الطَّرَازِ الْأَوَّلِ

البياض صفة السؤدد عند العرب، فهؤلاء بيض ذوو حسب طيب، وشامخون بأنوفهم وفيهم عزة، ومن الطراز الأول، أفضل الناس

وَلَقَدْ شَرِبْتُ الْخَمَرَ فِي حَانُوتِهَا صَهْبَاءُ صَافِيَةٌ كَطَعْمِ الْفُلْفُلِ

يبدو أن حسان ذهب في دمشق إلى حانوت، وخمر صهبا، وشرب خمرًا صهبا، شقراء، صافية، تلذع اللسان لذع الفلفل

يَسْعَى عَلَيَّ بِكَاسِهَا مُتَنَطِّقٌ وَيُعِلَّنِي مِنْهَا وَإِنْ لَمْ أَنْهَلِ

يقدمها ولد متنطق، يضع في خصره نطقاً أي زناراً، وهو يعلني، يسقيني مجدداً، وإن لم أكن نهلت، أي شربت المرة الأولى... والتفسير في البيت الذي يليه

إِنَّ الَّتِي نَاوَلْتَنِي فَرَدَدْتُهَا قُتِلْتُ، قُتِلْتُ، فَهَاتِهَا لَمْ تُقَتَّلِ

الكأس الأولى التي ناوَلْتَنِي رددتها عليك لأنها قد قتلت، مزجت بالماء، فقاتلك الله... هات كأساً أخرى غير مقتولة... دون مزجها بالماء

كِلْتَاهُمَا حَلَبُ الْعَصِيرِ، فَعَاظِنِي بِزُجَاجَةٍ أَرْخَاهُمَا لِلْمَفْصِلِ

الخمير الممزوجة، والخمر غير الممزوجة كلتاها من عصير العنب فعاطني، أعطني مرة بعد أخرى، بالزجاجة، أي الكأس، التي تسبب ارتخاء المفاصل أكثر من غيرها. ونقل البرقوقي عن أبي العلاء أن المفصل هو اللسان، فالساكر يرتخي لسانه. و«المفصل» بمعنى اللسان مكسورة الميم مفتوحة الصاد، و«المفصل» بمعنى الغضروف الفاصل الواصل بين العظام بعكسها تشكيلاً

بِزُجَاجَةٍ رَقَصَتْ بِمَا فِي قَعْرِهَا رَقَصَ الْقُلُوصُ بِرَاكِبٍ مُسْتَعْجِلٍ

اسقني الخمر بزجاجة، بكأس، تتحرك وترقص بالقليل الذي في قعرها، كما ترقص القلوص، تتمايل الناقه، وفوقها راكب مستعجل يحثها. والرقص نوع من سير الإبل، وعند العرب رقصت الإبل قبل أن يرقص البشر. هذا البيت من بدائع حسان

وَلَقَدْ تُقَلِّدُنَا الْعَشِيرَةَ أَمْرَهَا فَتُنْطِيقُ أَمْرَ الْمُغْضِلَاتِ وَنَعْتَلي

يفتخر بقومه: العشيرة تقلدنا أمرها، نكلفنا بشؤونها، فنحتمل كبريات المشكلات ويسمو قدرنا ونسود

وَتَزُورُ أَبْوَابَ الْمُلُوكِ رِكَابُنَا وَنَمَتَى نَحْكَمُ فِي الْعَشِيرَةِ نَعْدِلُ

وتزور إبلنا الملوك، فنحن الوسطاء بين قومنا وبين الدول ذوات الجيوش، ونحن عادلون في أحكامنا ضمن القبيلة

٦ لنا الجفثات الغر

وإِنَّا لَنَقْرِي الضَّيْفَ إِنْ جَاءَ طَارِقًا مِنْ الشَّخْمِ مَا أَمْسَى صَاحِبًا مُسْلَمًا

نقري الضيف، نطعمه، إن جاءنا طارقاً، والطارق هو الآتي ليلاً، ونطعمه شحم سنام الناقة التي ذبحناها سليمة لا من مرض

إِذَا غَبَرَ آفَاقُ السَّمَاءِ فَأَصْبَحَتْ كَأَنَّ عَلَيْهَا ثَوْبَ عَصَبٍ مُسَهَّمًا .

عندما يصبح الجو قاتماً بالغيار فالسماء داكنة تتخللها أشعة الشمس قليلاً راسمة خيوطاً فكان السماء ليست ثوباً يمانياً مخططاً .

حَسِبْتَ قُدُورَ الصَّادِ حَوْلَ بِيُوتِنَا قَنَابِلَ دُهِمَا فِي الْمَحَلَّةِ صِيَمًا

.. في هذا الجو الشتائي سترى حول بيوتنا قدور الصاد، النحاس الأصفر، وتحسبها قنابل دهماً، أي خيولاً قاتمة اللون، صِيَمًا، أي واقفة، حول بيوتنا

وَلَدْنَا بَنِي الْعَنْقَاءِ وَابْنِي مُحَرَّقٍ فَأَكْرَمَ بِنَا خَالًا وَأكْرَمَ بِنَا ابْنَمَا

نحن أخوال بني العنقاء، وابني محرق (وهم ناس مشهورون بالسيادة والملك) فما أكرمنا أخوالاً وما أكرمنا أبناءً لأبائنا، والكرم هو الشرف والنسب العالي. وعابوا على حسان أنهم افتخروا بمن ولدت نساء قومهم ولم يفتخروا بأبائهم، فالواجب في عرف نقاد الشعر أن يفتخروا المرء بأبائه لا بأبنائه

نُسَوِّدُ ذَا الْمَالِ الْقَلِيلِ إِذَا بَدَتْ مُرُوءَتُهُ فِينَا، وَإِنْ كَانَ مُعْدِمًا

نَجْعَلُ الْفَقِيرَ فِينَا سَيِّدًا إِذَا كَانَ ذَا مَرُوءَةٍ، وَالْمَرُوءَةُ أَنْ يَنْهَضَ الْمَرْءُ لِنَجْدَةِ النَّاسِ بِهَمَّةٍ، وَالْمُعْدِمُ: الْفَقِيرُ

لَنَا الْجَفَنَاتُ الْغُرُّ يَلْمَعْنَ بِالضُّحَى وَأَسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمًا

لَنَا الْجَفَنَاتُ، أَوْعِيَةُ الطَّعَامِ، الْغُرُّ الْبَيْضُ الَّتِي تَلْمَعُ فِي شَمْسِ الضُّحَى؛ هَذَا عَنْ السَّخَاءِ، فَأَمَّا الشَّجَاعَةُ فَإِنَّ أَسْيَافَنَا تَقْطُرُ مِنْ دَمِ الْأَعْدَاءِ عِنْدَمَا نَهْبُ لِنَجْدَةٍ مَنْ يُعْتَدِي عَلَيْهِ. وَعَابُوا عَلَى حَسَانٍ فِي هَذَا الْبَيْتِ أُمُورًا عِدَّةً: قَالَ «جَفَنَاتٍ» وَ«أَسْيَافًا» وَهُمَا مِنْ جَمْعِ الْقَلَّةِ. وَلِلْكَثْرَةِ يُقَالُ جَفَانٌ وَسَيُوفٌ. وَجَعَلَ السَّيُوفُ تَقْطُرُ، فَهَذَا دَمٌ قَلِيلٌ، وَلَمْ يَجْعَلْهَا تَسِيلُ بِالْدمَاءِ، وَجَعَلَ الْجَفَنَاتُ يَلْمَعْنَ فِي الضُّحَى، وَفِي الضُّحَى كُلُّ شَيْءٍ يَلْمَعُ، أَلَا جَعَلَهَا تَلْمَعُ فِي الدَّجَى! هَذَا مَا نَسَبَهُ النِّقَادُ إِلَى النَّابِغَةِ الذِّبْيَانِي وَإِلَى الْخَنْسَاءِ، وَهُوَ مِنْ خِرَافَاتِ النِّقَادِ. وَنَحْنُ نَعِيبُ عَلَى حَسَانٍ أَنْ جَعَلَ قِصَاصَ الطَّعَامِ تَلْمَعُ، فَكَأَنَّهُا فَارِغَةٌ

٧ حُلُوُّ تَعْتَرِيهِ مَرَارَةٌ

قَالَ يَرِدُ عَلَى قَيْسِ بْنِ الْخَطِيمِ:

لَعَمْرُؤُا أَبَيْكَ الْخَيْرُ يَا «شَعْتُ» مَا نَبَا عَلَيَّ لِسَانِي فِي الْخَطُوبِ وَلَا يَدِي

يَخَاطِبُ الْمَحْبُوبَةَ شَعْتًا: وَحَيَاةُ أَبَيْكَ الطَّيِّبُ يَا شَعْتًا مَا انْحَرَفَ وَلَا أَخْطَأَ لِسَانِي فِي الْمَوَاقِفِ الْخَطِيرَةِ، وَلَا انْحَرَفَتْ يَدِي وَبِهَا السِّيفُ

وَأَنْ أَكُذَا مَالٍ كَثِيرٍ أَجْدُ بِهِ وَإِنْ يُعْتَصِرُ عُودِي عَلَى الْجَهْدِ يُحْمَدُ

إِنْ كَانَتْ مُوسِرًا فَأَنَا أَجُودُ بِالْمَالِ، وَإِنْ كُنْتُ قَلِيلَ الْمَالِ ثُمَّ أَتَى الْفَقْرَاءُ وَاعْتَصَرُونِي رَغْمَ جَهْدِي، أَيْ قَلَّةُ مَالِي، فَهُمْ يَنَالُونَ شَيْئًا، وَيَحْمَدُونَ هَذَا الْعُودَ الَّذِي اعْتَصَرُوهُ

وَأَعْمِلُ ذَاتَ اللَّوْثِ حَتَّى أُرَدَّهَا إِذَا حُطَّ عَنْهَا رَحْلُهَا لَمْ تُقَيِّدْ

وَأَسِيرُ نَافَتِي ذَاتَ اللَّوْثِ، أَيْ الشَّدِيدَةِ، حَتَّى أُرَدَّهَا، أَيْ أَجْعَلَهَا، إِذَا وَصَلْتُ إِلَى الْمَمْدُوحِ وَأَنْزَلْتُ عَنْهَا حُلْسَهَا، أَيْ سَرَجَهَا، حَرَةً غَيْرَ مُقَيَّدَةٍ. لَيْسَ رَافِقَةٌ بِهَا بَلْ لِأَنَّهَا تَكُونُ مُتَعَبَةً لَا تَطِيقُ حِرَاكًا فَلَا حَاجَةَ إِلَى تَقْيِيدِهَا

أَكْلَفُهَا أَنْ تُذَلِّجَ اللَّيْلَ كُلَّهُ تَرَوْحُ إِلَى بَابِ ابْنِ سَلَمَى وَتَقْتَدِي

فَأَنَا قَدْ جَشِمْتُهَا أَنْ تُذَلِّجَ، أَنْ تَسِيرَ اللَّيْلَ، حَتَّى تَرَوْحَ، أَيْ تَصِلَ. . . وَالرَّوَاحُ هُوَ الْوَصُولُ لَيْلًا، وَالْغَدْوُ الْوَصُولُ صَبَاحًا. وَابْنُ سَلَمَى هُوَ النَّعْمَانُ بْنُ الْمُنْذَرِ

تَزَوَّرُ أَمْرًا أَعْطَى عَلَى الْحَمْدِ مَالَهُ وَمَنْ يُعْطَى أَثْمَانُ الْمَحَامِدِ يُحْمَدُ

هَذَا أَمْرٌ يُعْطَى الْمَالُ مُقَابِلَ الْمَدْحِ، لِذَا فَهُوَ يَسْتَحِقُّ الْمَدْحَ

وَإِنِّي لَحُلُوٌّ تَعْتَرِيَنِي مَرَارَةٌ وَإِنِّي لَتَرَّاكُ لِمَا لَمْ أَعُودْ

أَنَا لَيْنٌ مَعَ النَّاسِ، لَكِنْ تَتَابَعَنِي مَرَارَةٌ إِذَا مَا ظَلَمَنِي أَحَدٌ. وَأَنَا أَبِئْسَ لَا أَرْضَى بِأُمُورٍ لَمْ أَعُودْ عَلَيْهَا

فَلَا تَعْجَلْنَ يَا قَيْسُ، وَارْبِعْ فَإِنَّمَا قُصَّارَاكَ أَنْ تُلْقَى بِكُلِّ مُهَنَّدٍ
فلا تستعجل يا قيس بن الخطيم، واربع، قف مكانك، فمتهاك وأقصى أمرك أن ترى سيوفنا
أشهرت في وجهك

حَسَامٍ وَأَرْمَاحٍ بِأَيْدِي أَعَزَّةٍ مَتَى تَرَهُمْ يَا ابْنَ الْخَطِيمِ تَبَلَّدَ
ترى السيوف والرماح بأيدي قوم ذي عز وقوة، تراهم فتبذل ارتباكاً

لُيُوثٍ لَدَى الْأَشْجَالِ تَحْمِي عَرِينَهَا مَدَاعِيسَ بِالْخَطِي فِي كُلِّ مُشْهَدٍ
السلح بأيدي أسود تقف عند أشجالها تحمي عريتها؛ ورجالنا هؤلاء مداعيس، طاعنون، بالخطي،
بالرمح، في كل معترك

٨ سؤال، ولا جواب

فَلَا قَيْنَاهُمْ مِنَّا بِجَمْعٍ كَأَسَدِ الْعَابِ مِنْ مُرْدٍ وَشَيْبٍ
المرد: الشباب لم تثبت لحاهم، والشيب: الكهول

فَعَادَرْنَا أَبَا جَهْلٍ صَرِيحاً وَعُتْبَةَ قَد تَرَكْنَا بِالْجُبُوبِ
فتركنا أبا جهل قتيلاً. وعتبة بن ربيعة تركناه مُلقًى بالجبوب، الأرض الوعرة، وذلك في معركة بدر

يُنَادِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ لَمَّا قَذَفْنَاهُمْ كَبَاكِبَ فِي الْقَلِيبِ..
قذفت جثث قتلى قريش كباكِب في القليب، أي جماعات في البئر،
ووقف عليهم الرسول يسائلهم..

أَلَمْ تَجِدُوا حَدِيثِي كَانَ حَقًّا وَأَمَرَ اللَّهُ يَأْخُذُ بِالْقُلُوبِ
يسائلهم الرسول قائلاً: هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً؟ أي من سوء العاقبة. فقول: يا
رسول الله، أتنادي جيفاً؟ قال: «ما أنتم بأسمع منهم، ولكن لا يجيئون»

فَمَا نَطَقُوا، وَلَوْ نَطَقُوا لَقَالُوا: صَدَقْتَ، وَكُنْتَ ذَا رَأْيٍ مُصِيبٍ

٩ عهد للرسول

فَلَمَّا أَتَانَا رَسُولُ الْإِلَهِ بِالنُّورِ وَالَّذِينَ بَعَدَ الظُّلَمِ
رَكَنَّا إِلَيْهِ، وَلَمْ نَعْصِهِ غَدَاةً أَتَانَا مِنْ أَرْضِ الْحَرَمِ
وَقُلْنَا: صَدَقْتَ بِمَا جِئْتَنَا هَلُمَّ إِلَيْنَا، وَفِينَا أَقَمِ
تعال إلينا، وعش بيننا

فَنَادِ بِمَا كُنْتَ أَخْفَيْتَهُ نِدَاءَ جَهَاراً وَلَا تَخْتِمْ
فَلِنَا وَأَوْلَادَنَا جُنَّةً نَقِيكَ، وَفِي مَالِنَا فَاخْتِكُمْ
جُنَّةٌ: وقاية

١٠ جبريل رَوَّاحٌ بِهَا غَدَاءٌ

اللَّهُ أَكْرَمَنَا بِنَصْرِ نَبِيِّهِ وَبِنَا أَقَامَ دَعَائِمَ الْإِسْلَامِ
يَنْتَابُنَا جِبْرِيلُ فِي أَبْيَاتِنَا بِفَرَائِضِ الْإِسْلَامِ وَالْأَحْكَامِ
يأتينا جبريل مرة بعد مرة في بيوتنا، بالآيات وفيها فرائض الإسلام وأحكامه

نَحْنُ الْخِيَارُ مِنَ الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا وَنِظَامُهَا وَزِمَامُ كُلِّ زِمَامٍ
الْخَائِضُ غَمَرَاتٍ كُلُّ مَنِيَّةٍ وَالضَّامِنُونَ حَوَادِثَ الْأَيَّامِ
نخوض غمرات الموت، مياحه العميقة، ونضمن السلامة لمن حولنا إذا ألت بهم مصائب الدهر

١١ بالله عليكم أجيبيني!

وَأَنْشُدْكُمْ، وَالْبَغْيُ يَضْرَعُ أَهْلَهُ، إِذَا مَا شِتَاءُ الْمَحَلِّ هَبَّتْ زَعَارِعُهُ..
أسألكم، واصلقوني، فالظلم يصرع أهله: إذا كان شتاءً وكان قحط، وهبت الزعازع، أي الريح
التي تحرك الخيام وتزعزع الأشياء..

إِذَا مَا وَلِيدُ الْحَيِّ لَمْ يُسْقَ شَرْبَةً وَضَنَّ عَلَيْهِ بِالصَّبُوحِ مَرَاضِعُهُ..
وإذا ما لم يجد الوليد في الحي ما يرضع، وبخلت عليه المرضعات بحليب الصباح لأن أئداءهن
جفت من الجوع..

أَلَسْنَا نَكُوبُ الْبُزْلَ وَسَطَ رِحَالِنَا وَنَسْتَصْلِحُ الْمَوْلَى إِذَا قَلَّ رَافِعُهُ؟
أسألكم.. عندما تكون هذه هي الحال ألسنا ننحر البزل، أي الجمال الكبيرة التي برزت أسنانها،
ونصلح من حال المولى، الجار المقيم بين ظهرانينا، إذا لم يجد من يرفعه ويعينه؟

وَإِنْ رَابَهُ أَمْرٌ وَقَتُّهُ نَفْسُونَا وَمَا نَالْنَا مِنْ وَاسِعٍ فَهَوَ وَاسِعُهُ
وإذا رابه أمر، أخافه شيء، فنحن نحمله بأرواحنا؛ وكل ما يتالنا من سعة في العيش فهو
مشاركنا فيه

وَأَنْشُدْكُمْ، وَالْبَغْيُ يَضْرَعُ أَهْلَهُ، إِذَا الْخَصْمُ لَمْ يُوجَدْ لَهُ مَنْ يَقَارِعُهُ..
وأسألكم، واصلقوني الجواب، إذا لم يوجد للخصم من يقارعه ويتصدى له

أَلَسْنَا نُوَازِيهِ بِجَمْعٍ كَأَنَّهُ أَتَيْتُ أَمَدَّهُ بِلِيلٍ دَوَافِعُهُ .
 ألسنا نقف إزاءه بجمع من رجالنا كأنه الأتي، أي السيل، الذي أمدته دوافعه، أي مجاريه، بالمياه
 الهاطلة طول الليل؟

١٢ ما أحبتُ حبي إياك

انْظُرْ خَلِيلِي بِبَابٍ جَلَّقَ هَلْ تُؤْنِسُ دُونَ الْبَلَقَاءِ مِنْ أَحَدٍ
 انظر يا صاحبي وأنت بباب جلق، وهي دمشق أو مكان بقربها، هل تؤنس، تبصر، عند البلقاء
 أحداً؟ والبلقاء اليوم هي منطقة السلط في الأردن، وقال القدماء إنها موقع قرب دمشق

أَجْمَالَ شَعْنَاءَ قَدْ هَبَطْنَ مِنْ الـ مَحْبَسٍ بَيْنَ الْكُثْبَانِ فَالَسَّنَدِ
 هل ترى إبل قوم شعناء وقد جاءت إلى هذا المكان الواقع بين هذين المكانين؟

يَحْمِلْنَ حُوءًا حُورَ الْمَدَامِيعِ فِي الرَّـ يَطُ، وَبِيضَ الْوُجُوهِ كَالْبَرَدِ
 تحمل الإبل نساء حُوءاً، سمر الشفاه، وحور المدامع، أي حور العيون، فسواد عيونهن صاف في
 بياض صاف، ويلبسن الریط، جمع ریطة وهي الملاءة أو الثوب الواسع، ووجوههن بياض كالبرد

إِنِّي وَرَبِّ الْمُخَيَّسَاتِ وَمَا يَقْطَعْنَ مِنْ كُلِّ سَرَبِخٍ جَدَدٍ..
 يحلف: ورب المخيسات، أي النياق المذلة المروضة، ورب ما يقطعن من سربخ، أي أرض
 وعرة، وجدد، أي طريق مبهد..

مَا حُلْتُ عَنْ خَيْرٍ مَا عَهَدْتُ، وَمَا أَحْبَبْتُ حُبِّي إِيَّاكَ مِنْ أَحَدٍ
 والله ما حلْتُ، تَحَوَّلْتُ، عن أفضل ما قد عرفته من طباعي، وما أحبت أحداً حبي إياك

تَقُولُ شَعْنَاءَ لَوْ تُفِيْقُ مِنْ الـ حَمْرِ لَأَلْفَيْتُ مُثْرِي الْعَدَدِ
 تقول لي شعناء: لئنك تترك الخمر كي تصبح غنياً. وكان الغنى يقاس بعدد ما يملكه المرء من
 جمال

أَهْوَى حَدِيثَ النَّدْمَانِ فِي فَلَتِي الصُّـ جِحْ، وَصَوْتَ الْمَسَامِيرِ الْقَرْدِ
 لكتني أهوى حديث الندمان، أي التديم صاحبي على الخمر، ونحن نشرب حتى بزوغ شمس
 الصباح، وأهوى صوت المسامر المغني

لَا أَخْدِشُ الْحَدَشَ بِالنَّدِيمِ، وَلَا يَخْشَى نَدِيمِي إِذَا انْتَشَيْتُ يَدَيِ
 لا أؤذي نديمي ولا يخشى أن أعربد عليه إذا انتشيت، أي سكرت

١٣ الخلايس

قال، وقد تهدده قوم وضربوه إثر حديث الإفك:

أَمْسَى الْخَلَابِيسُ قَدْ عَزُّوا وَقَدْ كَثُرُوا وَابْنُ الْفُرَيْعَةِ أَمْسَى بَيْضَةَ الْبَلَدِ

الخلايس، اللثام الذين لا أصل لهم، أصبحوا أقوياء وكثراً؛ وغدا ابن الفريعة، أي حسان نفسه لأن الفريعة اسم أمه، بيضة البلد، أي كبيضة النعامة المتروكة في الصحراء

أَمَّا قُرَيْشٌ فَإِنِّي غَيْرُ تَارِكِهِمْ حَتَّى يُنْبِئُوا مِنَ الْغَيَّاتِ لِلرَّشَدِ

وأما قريش فإنني لن أتركهم من كلامي القاسي إلى أن ينبؤوا، يرجعوا عن غيهم، ويسلكوا طريق الرشد

وَيَتْرَكُوا اللَّاتَ وَالْعُزَّى بِمَغْزَلَةٍ وَيَسْجُدُوا كُلُّهُمْ لِلوَاحِدِ الصَّمَدِ

وحتى يتركوا عبادة الأصنام

١٤ أكيل السبع

وقال لعنتية بن أبي لهب، وقد سُلِّطَ عليه اللبث، وكان الرسول دعا الله أن يسلط عليه كلباً من كلابه:

أَسْلَمْتُموهُ وَهُوَ يَدْعُوكُمْ بِالنَّسَبِ الْأَدْنَى وَبِالْجَامِعِ

يعير أصحاب عتية: انخذلتم عنه وهو يناديكم ويناشدكم بالقرابة وما يجمعكم من أواصر

وَاللِّبْثُ يَعْلُوهُ بِأَنْيَابِهِ مُنْعَفِراً وَسَطَ الدِّمِ النَّاقِعِ

واللبث فوقه يمزقه بأنياه، والرجل منعفر، ممرغ في التراب، وسط دمه الناقع، أي الطري

مَنْ يَرْجِعُ الْعَامَ إِلَى أَهْلِهِ فَمَا أَكِيلُ السَّبْعِ بِالرَّاجِعِ

سيرجع كل إلى أهله، فاما الذي أكله السبع فلن يرجع

١٥ تناول سهيلاً

أَهَاجَكَ بِالْبَيْدَاءِ رَسْمُ الْمَنَازِلِ؟ نَعَمْ، قَدْ عَفَاها كُلُّ أُسْحَمَ هَاطِلِ

هل حرك مشاعرك في الصحراء بقايا منازل الأحبة؟ حقاً. وقد عفاها، أي مسح أثرها، كل سحب أسحم، مسود، هاطل بالمطر

دِيَارُ الَّتِي رَأَى الْفَوَادَ دَلَالُهَا وَعَزَّ عَلَيْنَا أَنْ تَجُودَ بِنَائِلِ

هذه ديار التي أحب القلب دلالاتها، وصعب علينا نيل شيء منها

تَنَاولُ سُهَيْلًا فِي السَّمَاءِ فَإِنَّهُ سَتُذَرِّكُنَا إِنْ نَلْتَهُ بِالْأَنَامِلِ

يفتخر: مد يدك كي تتناول نجم سهيل، فإنك ستدرك مجلدنا إن استطعت نيل النجم بأصابعك.
يقول: مستحيل أن تلحق بنا في مضمار المجد

أَلَسْنَا بِحَلَالِينَ أَرْضَ عَدُونَا تَأَرَّ قَلِيلًا سَلَّ بِنَا فِي الْقَبَائِلِ

ألسنا ننزل وننصب خيامنا في أرض العدو غير مباينين به فترعى إبلنا حيث شئنا؟ تأر يا هذا، أي انظر وتمهل، واسأل عنا في قبائل العرب لتعرف قدرنا

وَإِنِّي لَسَهْلٌ لِلصَّدِيقِ وَإِنِّي لِأَعْدِلُ رَأْسَ الْأَصْعَرِ الْمُتَمَائِلِ

ألين لصديقي، ولكنني أعاند الأصعر الرأس، المتكبر الذي يميل برأسه كبراً

وَأَجْعَلُ مَالِي دُونَ عِرْضِي وَقَايَةً وَأُحْجِبُهُ كَيْ لَا يَطِيبَ لِأَكِلِ

أنا كريم أحفظ عرضي من الذم ببذل المال، وأحجب عرضي بسخاوتي حتى لا ينهشه أحد

وَأَيُّ جَدِيدٍ لَيْسَ يُذَرِّكُهُ الْبَلَى وَأَيُّ نَعِيمٍ لَيْسَ يَوْمًا بِزَائِلِ

البلى: الاهتراء

١٦ وارث اللؤم

قال يهجو الحارث بن هشام:

أَجْمَعْتُ أَنَّكَ أَنْتَ الْأُمُّ مَنْ مَشَى فِي فُحْشِ مُومِسَةٍ وَزَهْوِ غُرَابٍ

الأم من مشى: أي الأم البشر، الزهو: التكبر

وَاللُّؤْمُ مِنْكَ وَرِائَةُ مَغْلُومَةٍ هَيْهَاتَ مِنْكَ مَكَارِمُ الْأَنْسَابِ

١٧ البغال والعصافير

وقال يهجو بني عبد المدان:

لَا بَأْسَ بِالْقَوْمِ مِنْ طَوْلٍ وَمِنْ عِظَمٍ: جِسْمُ الْبِغَالِ وَأَحْلَامُ الْعَصَافِيرِ

أحلام: عقول

كَأَنَّهُمْ قَصَبٌ جُوفٌ أَسَافِلُهُ مُثَقَّبٌ فِيهِ أَرْوَاحُ الْأَعَاصِيرِ

وهم مثل القصب المجوف، تنظر في أسفله فتراه مثقوباً، وتدخل فيه الأرواح، أي الريح. كأنَّ حسناً تخيل قصبة الزمار التي تراها من أسفل وهو يزمر فتجدها مجوفة، ويدخل فيها الهواء فيصفر. ووصف شخص بأنه مجوف يعني أنه بغير قلب، كناية عن الجبن. وقد جعلت العرب الشجاعة في القلب

١٨ مَنظَرٌ وَمَخْبَرٌ

وكان مدح بني عبد المدان قائلاً:

وقد كُنَّا نَقُولُ إِذَا رَأَيْنَا لِذِي جِسْمٍ يُعَدُّ وَذِي بَيَانٍ
كَأَنَّكَ أَثَرُهَا الْمَغْطَى بَيَاناً وَجِسْماً مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمَدَانِ

١٩ ليس الكريم على القنا محرم

لَعَمْرُكَ مَا الْمُعْتَرُّ يَأْتِي بِلَادَنَا لِنَمْنَعَهُ بِالضَّائِعِ الْمُتَهَضِّمِ
وحيازك لا يكون المعتز، اللاجئ الملتصق بنا، الذي يأتي بلادنا كي نمنعه، أي نحبه، ضائعاً
ولا متهضماً، مظلوماً

وما ضيفنا عند القرى بِمُدْفَعٍ ولا جارنا في النائبات بِمُسْلَمٍ
وضيفنا لا نمنعه من القرى، الطعام، وجارنا، أي المستجير بنا، لا نُسلمه، لا نتخلى عنه، عندما
تحل به النائبات والمصائب

وما السبِّدُ الجَبَّارُ، حِينَ يُرِيدُنَا بِكَيْدٍ، عَلَى أَزْمَاحِنَا بِمُحَرَّمٍ
والجبار الذي يريد لنا الشر ليس محرماً على رماحنا، بل هو حلال لنا

نُبِيعُ الْحِمَى ذِي الْعِزِّ حِينَ نُرِيدُهُ وَنَحْمِي حِمَانَا بِالْوَشِيحِ الْمُقْوَمِ
نستبيح الأرض المحمية من قوم ذوي عز وقوة إذا أردنا ذلك، ونحمي أرضنا من أن يحل بها
ويرعاها غيرنا بالوشيح المقوم، أي بالرماح المستقيمة المثقفة

وَتَلَقَّى عَلَى أَبْيَاتِنَا حِينَ تَجْتَدِي مَجَالِسَ فِيهَا كُلُّ كَهْلٍ مُعَمَّمٍ
وتلقى في منازلنا، حين تجتدي، تطلب ذلك، مجالس فيها الكهول المعممون الحكماء

رَفِيعِ عِمَادِ الْبَيْتِ يَسْتُرُ عَرْضَهُ مِنْ الدِّمِّ مَيْمُونِ النَّقِيبَةِ خِضْرِمٍ
وكل واحد من هؤلاء الكهول له بيت رفيع العماد، خيمة عمودها عال كناية عن كبرها، وهو يحمي
شرفه، وهو ميمون النقيبة، نقي النفس، خضرم، متدفق بالعطاء

جَوَادٍ عَلَى الْعِلَالِ رَحْبٍ فِئَاؤُهُ إِذَا سُئِلَ الْمَعْرُوفَ لَمْ يَتَجَهَّمِ
وهو يجود بماله على العلات، أي رغم ضيق الحال، وساحته واسعة للضيوف، ولا يتجهَّم،
ينقبض ويكشر، إذا سئل

٢٠ الجنيّة

قَدْ أَدْرَكَ الْوَأَشُونَ مَا حَاوَلُوا فَالْحَبْلُ مِنْ شَعْنَاءِ رَثِّ الرِّمَامِ
حقق الوشاة هدفهم، فعلاقتي بشعناء صارت حبلاً مهترئاً

جَنِيَّةٌ أَرْقَنِي طَيْفُهَا يَذْهَبُ صُبْحاً وَيُرَى فِي الْمَنَامِ
هي جميلة كأنها من الجن لا من البشر، ويأتيني طيفها نائماً ويذهب صباحاً

٢١ لا أسرق الشعر

إِنَّ الْحَوَادِثَ لَا تُضْغِضُنِي إِذْ لَا يَضِيقُ بِحَاجَتِي صَدْرِي
لا تزعزعي المصائب، وأحتفظ بهمي لنفسي لصلابتي

لَا أَسْرِقُ الشُّعْرَاءَ مَا نَطَقُوا إِذْ لَا يُخَالِطُ شِعْرُهُمْ شِعْرِي
مبدع أنا في الشعر لا أُلَمُّ بمعاني الآخرين ولا أسرق أبياتهم، فشعري متفرد لا يشبه شعر أحد

٢٢ نحن أولى

قال يحتج على أن قدّم النبي بني سليم يوم الفتح:

عَلَامٌ تُدْعَى سُلَيْمٌ وَهِيَ نَارِحَةٌ أَمَامَ قَوْمِ هُمُ أَوْوَا وَهُمْ نَصَرُوا
لماذا يؤتى بقبيلة سليم، وهي بعيدة، ويتم تقديمها على الأنصار الذين لهم شرف إيواء النبي
والمهاجرين ونصرهم

نُجَالِدُ النَّاسَ لَا نُبْقِي عَلَى أَحَدٍ وَلَيَّ، وَنَتَّبِعُ مَا تُوحِي بِهِ السُّورُ
نحن نجالد الناس، نضاربهم بالسيف، ونلحق من ولى وهرب، ونتبع ما أنزله الوحي من سور القرآن

٢٣ خير الخلق

وَاللَّهِ مَا حَمَلْتُ أَثْنَى وَلَا وَضَعْتُ مِثْلَ النَّبِيِّ رَسُولِ الرَّحْمَةِ الْهَادِي
وَلَا مَشَى فَوْقَ ظَهْرِ الْأَرْضِ مِنْ أَحَدٍ أَوْقَى بِذِمَّةِ جَارٍ أَوْ بِمِيعَادِ

٢٤ رثاء النبي

مَا بَالُ عَيْنِي لَا تَنَامُ كَأَنَّمَا كُحِلَتْ مَاقِيهَا بِكُحْلِ الْأَرْمَدِ
لا تنام عيني كأن مآقيها، أطرافها حيث تجري الدموع، مكحولة بالكحل الذي يوضع في عين
الأرمد، المصاب بالرمد

جَزَعًا عَلَى الْمَهْدِيِّ أَصْبَحَ ثَاوِيًا يَا خَيْرَ مَنْ وَطِئَ الْحَصَا لَا تَبْعِدْ
هذا من جزعي، حزني، على النبي المهديّ بهداية ربه، الذي أصبح ثاوياً، فقيماً في قبر.
فيا خير من وطئ الحصى، أي يا خير البشر، لا تبعد (ولا تبعد) كلمة تقال للميت،
بمعنى لا أبعد الله ذكرك

وَاللَّهُ أَسْمَعُ مَا بَقِيَتْ بِهَالِكِ إِلَّا بَكَيْتُ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ

والله «لا» أسمع بعد اليوم بموت شخص إلا تذكرت النبي فبكيت عليه

فَرِحْتُ نَصَارَى يَشْرِبُ وَيَهْوِدُهَا لَمَّا تَوَارَى فِي سَوَاءِ الْمَلْحَدِ

فرحوا عندما ووري النبي في سواء الملحد، وسط القبر

٢٥ رثاء أبي بكر

إِذَا تَذَكَّرْتَ شَجَوًا مِنْ أَخِي ثِقَةٍ فَادْكُرْ أَخَاكَ أَبَا بَكْرٍ بِمَا فَعَلَا

إذا تذكرت شجواً، شيئاً يحزنك، من شخص كان ذا ثقة فاذكر أبا بكر الصديق

خَيْرُ الْبَرِيَّةِ أَتَقَاهَا وَأَعْدَلُهَا بَعْدَ النَّبِيِّ وَأَوْفَاهَا بِمَا حَمَلَا

أحسن الناس بعد النبي، وقد حمل العبء وأنجز

عَاشَ حَمِيداً لِأَمْرِ اللَّهِ مُتَّبِعاً يَهْدِي صَاحِبِهِ الْمَاضِي وَمَا انْتَقَلَا

اتبع أمر الله ولم يتحول عن عهد صاحبه الماضي، الرسول

وَكَانَ حِبَّ رَسُولِ اللَّهِ قَدْ عَلِمُوا، مِنَ الْبَرِيَّةِ لَمْ يَغْدِلْ بِهِ رَجُلَا

كان حب الرسول، حبيبه، ولم يكن الرسول يجد من كل البرية، أي البشر، أحداً يساوي أبا بكر

٢٦ رثاء عمر

وَفَجَّعَنَا فَيُورُزُ لَا دَرَّ دَرُهُ بِأَبْيَضٍ يَتَلَوُ الْمُحْكَمَاتِ مُنِيبٍ

فجعنا فيروز، قاتل عمر، بهذا السيد الأبيض، واليباض عندهم من علامات السؤدد، الذي كان يتلو المحكمات، أي الآيات، وكان منيباً، راجعاً في شؤونه لله

رَوْوَفٍ عَلَى الْأَذْنَى، غَلِيظٍ عَلَى الْعِدَا أَخِي ثِقَةٍ فِي النَّائِبَاتِ نَجِيبٍ

رحيم على القريب، وشديد على العدو، ويوثق به، ولا سيما عند حلول المصائب

مَتَى مَا يَقُلْ لَا يَكْذِبُ الْقَوْلُ فِعْلُهُ سَرِيعٌ إِلَى الْخَيْرَاتِ غَيْرِ قَطُوبٍ

يقول فلا يخالف فعله قوله، وسريع إلى الخير، وليس متجهماً ولا مكشراً

مُطِيعٌ لِأَمْرِ اللَّهِ بِالْحَقِّ عَارِفٍ بَعِيدُ الْأَنَامِ عِنْدَهُ كَقَرِيبٍ

٢٧ الموقف من قتل عثمان

إِنْ تُمَسِّ دَارُ بَنِي عُثْمَانَ خَالِيَةً بَابٌ صَرِيعٌ وَبَابٌ مُحَرَّقٌ خَرِبٌ..

لئن أمتت دار الخليفة عثمان خالية بعد مقتله، لها باب صريع، مطروح أرضاً، وباب محترق..

فقد يُصَادَفُ بِأَغْيِ الْخَيْرِ حَاجَتَهُ فِيهَا، وَيَأْوِي إِلَيْهَا الْعُرْفُ وَالْحَسَبُ
فقد كان طالب المعروف يلقي في هذه الدار حاجته، وكان يسكن هذه الدار العرف، المعروف،
والحسب، الشرف العالي

يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَبْذُوا ذَاتَ أَنْفُسِكُمْ لَا يَسْتَوِي الصَّدَقُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْكَذِبُ
أيها الناس أفصحوا عن موقفكم بشأن مقتل عثمان، ولا تقفوا في الوسط. وكان كثيرون من
الصحابة اتخذوا هذا الموقف الوسط: لم يحموا عثمان، ولم يناصروا قاتليه

٢٨ رثاء عثمان

قَتَلْتُمْ وَلِيَّ اللَّهِ فِي جَوْفِ دَارِهِ وَجِئْتُمْ بِأَمْرِ جَائِرٍ غَيْرِ مُهْتَدٍ
فَهَلَّا رَعَيْتُمْ ذِمَّةَ اللَّهِ وَسَطَكُمْ وَأَوْفَيْتُمْ بِالْعَهْدِ عَهْدَ مُحَمَّدٍ

٢٩ قتلة عثمان

يَا قَاتِلَ اللَّهِ قَوْمًا كَانَ شَأْنُهُمْ قَتَلَ الْإِمَامِ الْأَمِينِ الْمُسْلِمِ الْفَظِينَ
مَا قَتَلُوهُ عَلَى ذَنْبٍ أَلَمٍ بِهِ إِلَّا الَّذِي نَطَقُوا إِنْكَارًا، وَلَمْ يَكُنْ
لم يقتلوه لذنوب ارتكبه، بل قالوا عليه الإفك، الكذب، الذي لم يكن، لم يحدث

٣٠ الغدر بعثمان

أَتَرَكْتُمُوهُ مُفْرَدًا بِمَضِيعَةٍ تَنْتَابُهُ الْعَوْغَاءُ فِي الْأَمْصَارِ
أتركتموه وحده ضائعاً، أيها الصحابة (الذين لم يتخذوا موقفاً حازماً) تنتابه، وتتوالى عليه غوغاء
الأمصار؟ فقتلة عثمان جاءوا من الأمصار المفتوحة ولا سيما مصر، وليسوا من أهل المدينة

لَهْفَانٍ يَدْعُو، غَائِبًا، أَنْصَارَهُ يَا وَنَحَكُمْ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ
تركتموه ملهوفاً يدعو أنصاره وهم غائبون عن نصرته، فالويل لكم يا معشر الأنصار

جِيرَانُهُ الْأَذْنُونَ حَوْلَ بُيُوتِهِ غَدَرُوا وَرَبَّ الْبَيْتِ ذِي الْأَسْتَارِ
الساكنون قريباً منه غدروا به ورب الكعبة ذات الأستار. وكان قتلته تسللوا إلى دار عثمان من
البيوت المجاورة

لَا يَخْسَبَنَّ الْمُرْجِفُونَ بِأَنَّهُمْ لَنْ يُطْلَبُوا بِدِمَائِ أَهْلِ الدَّارِ
لا يظنَّ المرجفون، ناشرو الفتنة، بأنه لن ينالهم أذى عندما يثار الثائرون بدم أهل الدار، أي دار
عثمان التي بها قتل

٣١ الله أكبر يا ثارات عثمان

وقد رَضِيتُ بِأَهْلِ الشَّامِ زَافِرَةً وَبِالْأَمِيرِ وَبِالْإِخْوَانِ إِخْوَانَا
رَضِيتُ بِأَهْلِ الشَّامِ الْمُطَالِبِينَ بِالثَّارِ لِعُثْمَانَ زَافِرَةً، أَعْوَانًا، وَرَضِيتُ بِأَمِيرِهِمْ، مُعَاوِيَةَ،
وَرَضِيتُهُمْ إِخْوَانًا لِي. وَكَانَ النَّبِيُّ عِنْدَمَا أَخَى بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ جَعَلَ حَسَنًا
أَخًا لِعُثْمَانَ

إِنِّي لَمِنْهُمْ وَإِنْ غَابُوا وَإِنْ شَهِدُوا حَتَّى الْمَمَاتِ وَمَا سُمِّيتُ حَسَنًا
هَمَّ غَابُوا أَمْ حَضَرُوا، وَحَتَّى الْمَمَاتِ، وَمَا دَامَ اسْمِي حَسَنًا

صَبْرًا فِدَى لَكُمْ أُمِّي وَمَا وَلَدْتُ قَدْ يَنْفَعُ الصَّبْرُ فِي الْمَكْرُوهِ أحيانًا
فَاصْبِرُوا يَا أَهْلَ الشَّامِ عَلَى هَذِهِ الْمَصِيبَةِ

يَا لَيْتَ شِعْرِي وَلَيْتَ الطَّيْرُ تُخْبِرُنِي مَا كَانَ شَأْنُ عَلِيٍّ وَابْنِ عَفَّانَا
لَيْتَنِي أَعْرِفُ، وَلَيْتَ الطَّيْرُ تُخْبِرُنِي، وَالطَّيْرُ عِنْدَ الْعَرَبِ تُبَشِّرُ وَتُنْذِرُ، مَا الَّذِي كَانَ مِنْ عِدَاوَةِ بَيْنِ
عَلِيٍّ وَعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ حَتَّى لَا يَتَقَدَّمَ عَلِيٌّ لِنَصْرَتِهِ؟

ضَحَّوْا بِأَشْمَطِ عُنْوَانِ السُّجُودِ بِهِ يُقَطِّعُ اللَّيْلَ تَسْبِيحًا وَقُرْآنًا
قَدْ ضَحَى الْقَتْلَةَ بِشَيْخِ أَشْمَطٍ، اخْتَلَطَ سَوَادُ شَعْرِهِ بِبَيَاضِهِ، وَفِي وَجْهِهِ أَثَرٌ مِنَ السُّجُودِ،
وَيَقْطَعُ لَيْلَةَ التَّسْبِيحِ وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ

لَسَمِعُنَّ وَشَيْكَا فِي دِيَارِهِمْ اللَّهُ أَكْبَرُ يَا ثَارَاتِ عُثْمَانَ
سَمِعْنَا قَرِيبًا فِي دِيَارِ الْقَتْلَةِ صَرَخَ طَالِبِي الثَّارِ

٣٢ التنصُّل

حَصَانٌ رَزَانٌ لَا تُزَنُّ بِرِيْبَةٍ وَتُصْبِحُ غَرْنَى مِنْ لُحُومِ الْغَوَافِلِ
عَائِشَةُ امْرَأَةُ حَصَانٍ، عَفِيفَةٌ، رَزَانٌ، وَقُورٌ رَزِينَةٌ، لَا تُزَنُّ بِرِيْبَةٍ، لَا تَتَّهَمُ بِتَهْمَةٍ، وَهِيَ
غَرْنَى، جَائِعَةٌ مِنْ لُحُومِ النِّسَاءِ الْغَافِلَاتِ، أَيْ لَا تَأْكُلُ لَحْمَ الْغَائِبَاتِ، أَيْ لَا تَغْتَابُ
النَّاسَ

فَإِنْ كُنْتُ قَدْ قَلْتُ الَّذِي قَدْ زَعَمْتُمْ فَلَا رَفَعَتْ سَوَاطِي إِلَيَّ أَنَا مِثْلِي
فَإِنْ كُنْتُ قَدْ قَلْتُ فِيهَا شَرًّا كَمَا تَزْعُمُونَ فَشَلَّتْ يَدِي وَلَمْ تَسْتَطِعْ أَنَا مِثْلِي الْإِمَّاكَ بِالسُّوْطِ

٣٣ تقرير تميم

قال، وقد علم أن تميمًا أنوا الرسول وأنشد شاعرهم بحضرته بفاخر:

مَنَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ إِذْ حَلَّ وَسَطْنَا عَلَى أَنْفٍ رَاضٍ مِنْ مَعَدٍّ وَرَاغِمٍ

منعنا، حمينا، الرسول رغم أنف الراضي والراغم، الرافض، من قبائل معد (عرب الشمال)، وتميم التي جاء وفدنا إلى المدينة من أكبر قبائل مَعَدٍّ

مَنَعْنَاهُ لَمَّا حَلَّ وَسَطَ بُيُوتِنَا بِأَسْيَافِنَا مِنْ كُلِّ بَاغٍ وَظَالِمٍ

جَعَلْنَا بَنِينَ دُونَهُ وَبَنَاتِنَا وَطَبْنَا لَهُ نَفْسًا بِقِيٍّ الْمَغَانِمِ

حميناه بأولادنا وبناطنا، وطابت نفوسنا باقتطاع النبي جزءاً من الفيء، المكسوب بغير حرب من المغانم

وَنَحْنُ ضَرَبْنَا النَّاسَ، حَتَّى تَتَابَعُوا عَلَى دِينِهِ، بِالْمُرْهَفَاتِ الصَّوَارِمِ

ضربنا الناس بالسيوف المرهفة، الحادة، الصوارم، القاطعة، حتى دخلوا في الإسلام قبلاً بعد قبيل

وَنَحْنُ وَلَدْنَا مِنْ قُرَيْشٍ كَرِيمِهَا وَلَدْنَا نَبِيَّ اللَّهِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ

وذلك أن أم جد الرسول، عبد المطلب، من بني النجار من الخزرج. فكان يقال - على بعد الشقة - إن الأنصار أخوال النبي

هَلِ الْمَجْدُ إِلَّا السُّؤْدُودُ الْعَوْدُ وَالنَّدَى وَجَاهُ الْمُلُوكِ وَاحْتِمَالُ الْعِظَائِمِ

هل المجد إلا السؤدد العود، القديم، والكرم، وتحصيل الجاه والمرتبة عند الملوك، والقيام بالواجب الثقيل؟

لَنَا الْمُلْكُ فِي الْإِشْرَاكِ وَالسَّبْقُ فِي الْهُدَى وَنَصْرُ النَّبِيِّ وَاقْتِنَاءُ الْمَكَارِمِ

لنا الملك في الجاهلية أيام الشرك، ولنا السبق إلى الإسلام، ونصر النبي، واقتناء، حيازة، المكارم

بَنِي دَارِمٍ لَا تَفْخَرُوا إِنْ فَخَرَكُمُ يَعُودُ وَبِالْأَلَاءِ عِنْدَ ذِكْرِ الْقَمَاقِمِ

يا بني دارم، من تميم، لا تفخروا، ففخركم يعود عليكم وبالألأء، مكروهاً، عندما تذكر القماقم، السادة الأشراف

هُبِلْتُمْ! عَلَيْنَا تَفْخَرُونَ وَأَنْتُمْ لَنَا خَوْلٌ مِنْ بَيْنِ ظُئْرٍ وَخَادِمٍ

هبلتم، نُكِلْتُمْ! أنفخرون علينا وأنتم خول لنا، أتباع، فمنكم الظئر، أي المرضع المأجورة، ومنكم الخادم

٣٤ الذوائب من فهر

قال في التعريض بتميم وقد قدوا على الرسول وفاخره شاعرهم الزبرقان بن بدر:
إِنَّ الدَّوَائِبَ مِنْ فَهْرٍ وَإِخْوَتَهُمْ قَدْ بَيَّنُّوا سُنَّةَ لِلنَّاسِ تُتَّبَعُ
إن الذوائب، الأعالي، من فهر، جد قريش، وإخوتهم الأنصار قد بينوا سنة، أي طريقة،
يتبعها الناس

قومٌ إِذَا حَارَبُوا ضَرُّوا عَدُوَّهُمْ أَوْ حَاوَلُوا النَّفْعَ فِي أَشْيَاعِهِمْ نَفَعُوا
حاولوا: سعوا، الأشياع: الحلفاء

سَجِيَّةٌ تِلْكَ مِنْهُمْ غَيْرُ مُحَدَّثَةٍ إِنَّ الْخَلَائِقَ، فَاغْلَمْ، شَرُّهَا الْبِدْعُ
ونفع الصديق والإضرار بالعدو سجية، طبع، قديم فيهم. والخلائق، أي الطباع، شرها ما كان جديداً

إِنْ كَانَ فِي النَّاسِ سَبَاقُونَ قَبْلَهُمْ فَكُلُّ سَبَقٍ لِأَذْنَى سَبَقِهِمْ تَبِعُ
إن كان قد سبقهم ناس في الماضي، فكل سبق للمكارم لا يقاس بأدنى سبقهم

لَا يَرَقُّعُ النَّاسُ مَا أَوْهَتْ أَكْفُهُمْ عِنْدَ الدِّفَاعِ وَلَا يُوهُونَ مَا رَقَعُوا
لا يرقع الناس ما تهتك أكفهم في مواقف الدفاع عن الشرف، ولا يوهون، لا يضعضون، ما
يرقعون. يقول: إذا أنزلوا الضرر بقوم فلا قومة لهم منه، وإذا نصروا قوماً فلا يضعفهم أحد

لَا يَجْهَلُونَ وَإِنْ حَاوَلَتْ جَهْلُهُمْ فِي فَضْلِ أَحْلَامِهِمْ عَنْ ذَاكَ مُتَّسِعُ
أبناء فهر وإخوتهم الأنصار لا يجهلون، لا يتهورون، مهما سعت في حملهم على التهور، ففي
أحلامهم، عقولهم، سعة تقيهم التهور

كَمْ مِنْ مُوَالٍ لَهُمْ نَالُوا كَرَامَتَهُ وَمِنْ عَدُوٍّ عَلَيْهِمْ جَاهِدَ جَدُّعُوا
ينالون التكریم من الموالين لهم، ويجدعون أنف عدوهم الجاهد، الدائب في العداوة

خُذْ مِنْهُمْ مَا أَتَوْا عَفْوَاً إِذَا غَضِبُوا وَلَا يَكُنْ هَمُّكَ الْأَمْرَ الَّذِي مَنَعُوا
إذا غضبوا فعليك أن تأخذ منهم عفواً، ما يسمحون به، ولا تطمح إلى نيل ما منعه

لَا فَخْرَ إِنْ هُمْ أَصَابُوا مِنْ عَدُوِّهِمْ وَإِنْ أَصِيبُوا فَلَا خُورَ وَلَا جُرْعُ
لا يفخرون بالنصر على عدوهم، فهذا مألوف، وإن أصيبوا فليسوا خوراً، ضعفاء،
ولا جازعين، مرتبكين

كَأَنَّهُمْ فِي الْوَعَى وَالْمَوْتُ مُكْتَنِعُ أَسْدٌ بِبَيْشَةٍ فِي أَرْسَاعِهَا قَدَعُ
كأنهم في الحرب، والموت مكتنع، قريب، أسود في مأسدة يشة المشهورة،
في مفاصلها فدع، اعوجاج

أَعْظُوا نَبِيَّ الْهُدَى وَالْبِرِّ طَاعَتَهُمْ فَمَا وَتَى نَصْرُهُمْ عَنْهُ وَمَا نَزَعُوا
المهاجرون والأنصار أطاعوا النبي، وما ونى، أي ما فتر ولا توانى، نصرهم له، وما نزعوا، أي
ما أقلعوا، عن نصره

إِنْ قَالَ لَهُمْ سِيرُوا أَجِدُوا السَّيْرَ جَهْدَهُمْ وَقَالَ عُوجُوا عَلَيْنَا سَاعَةً رَبَعُوا
إن قال لهم سيروا إلى الأعداء ساروا بهمة، وإن قال لهم عوجوا، ميلوا إلى ناحية بعض الوقت،
ربعوا، أي أقاموا

مَا زَالَ سَيْرُهُمْ حَتَّى اسْتَفَادَ لَهُمْ أَهْلُ الصَّلِيبِ وَمَنْ كَانَتْ لَهُ الْبَيْعُ
يواصلون السير حتى يستفيد لهم، يخضع لهم، المسيحيون. والبيع: الكنائس الصغيرة

أَكْرَمَ بِقَوْمِ رَسُولِ اللَّهِ قَائِدَهُمْ إِذَا تَفَرَّقَتِ الْأَهْوَاءُ وَالشَّيْعُ
ما أكرم القوم الذين يقودهم رسول الله في وقت تتفرق فيه أهواء الناس وتحالفاتهم

أَهْدَى لَهُمْ مَدْحِي قَلْبٍ يُؤَازِرُهُ فِيمَا يُجِبُّ لِسَانُ حَائِكِ صَنَعُ
أهدى لهم مدائحي قلبي الذي يؤازره ويساعده في رغبته لسان حائك لصنع، أي
متقن لصناعته

٣٥ القدوم على بدر

مُسْتَشْعِرِي حَلْقِ الْمَآذِي يُقَدِّمُهُمْ جَلْدُ النَّحِيزَةِ مَاضٍ غَيْرُ رَعْدِيدٍ
مضوا إلى بدر مستشعري حلق الماضي، لابسين الدروع الماذية البيض شعاراً أي على جلودهم،
فالشعار هو الفانيلا التي تلبسها على اللحم، وفي مقدمتهم الرسول وهو جلد النحيزة، أي قوي
الطبيعة، وغير رعديد، غير جبان

أَعْنِي الرَّسُولَ، فَإِنَّ اللَّهَ فَضَّلَهُ عَلَى الْبَرِّيَّةِ بِالتَّقْوَى وَبِالْجُودِ
وقد زعمتم بأن تحموا ذماركم وماء بذر زعمتم غير موزود
زعمتم يا قريش أنكم تحمون ذماركم، شرفكم، وزعمتم أننا لن نرد ماء بدر

ثُمَّ وَرَدْنَاهُ لَمْ نَسْمَعْ لِقَوْلِكُمْ حَتَّى شَرَبْنَا رَوَاءَ غَيْرِ تَصْرِيدٍ
فقد وردنا، وشربنا حتى الري، وبلا تصريد، والتصريد هو الشرب القليل

فِينَا الرَّسُولُ وَفِينَا الْحَقُّ تَتَبَعُهُ حَتَّى الْمَمَاتِ، وَنَصْرُ غَيْرِ مَحْدُودٍ
غير محدود: غير ممتنع علينا

مُبَارَكُ، كَضِيَاءِ الْبَدْرِ صُورَتُهُ، مَا قَالَ كَانَ قَضَاءَ غَيْرِ مَرْدُودٍ

مُسْتَعْصِمِينَ بِحَبْلِ غَيْرِ مُنْجِذٍ مُسْتَحْكِمٍ مِنْ حَبَالِ اللَّهِ مَمْدُودٍ
نستعصم، نحتمي، بحبل التقوى غير المنجذم، غير المقطوع، والمستحكم، المحكم الفتل،
وقد مده لنا الله

٣٦ اللين الشديد

قال يمدح سعد بن زيد الأشهلي:

إِذَا أَرَدْتَ اللَّيِّنَ الْأَشَدَّ
مِنْ الرُّجَالِ فَعَلَيْكَ سَعْدًا
لَيْسَ يَرَى مِنْ ضَرْبِ كَبُشٍ بُدًّا
الكبش: البطل

٣٧ في مدح المهاجرين

أَقَامُوا عَمُودَ الدِّينِ حَتَّى تَمَكَّنَتْ قَوَاعِدُهُ بِالْمُرْهَفَاتِ الْبَوَاتِرِ
المرهفات: السيوف الحادة، البواتر: القاطعة

هُمْ عَقَدُوا لِلَّهِ نَمَ وَقَوُوا لَهُ بِمَا ضَاقَ عَنْهُ كُلُّ بَادٍ وَحَاضِرٍ
عاهدوا الله ووفوا بوعدهم متجشمين صعباً يضيق عنها البادي والحاضر، البدو والحضر

٣٨ هجاء هوازن

أَبْلَغُ هَوَازِنَ أَضْلَاهَا وَأَسْفَلُهَا أَنْ لَسْتُ هَاجِيَهَا إِلَّا بِمَا فِيهَا
أبلغ قبيلة هوازن، أبلغ «عليا هوازن» و«عَجَزَ هوازن» معاً، أني لن أهجوهم إلا بما فيهم من ذميم
الخصال

قَبِيلَةُ الْأُمِّ الْأَحْيَاءِ أَكْرَمُهَا وَأَعْدَرُ النَّاسِ بِالْجِيرَانِ وَافِيهَا
أكرم من في هوازن هو الأم البشر، وأوفاهم أكثر الناس غدرأ بالجيران، أي المستجيرين بهم
وَشَرُّ مَنْ يَحْضُرُ الْأَمْصَارَ حَاضِرُهُمْ وَشَرُّ بَادِيَةِ الْأَعْرَابِ بَادِيهَا
أسوأ من يأتي الحواضر، المدن، من يأتون من هوازن؛ وباديهم، الساكن البادية، هو شر الأعراب
تَبَلَّى عِظَامُهُمْ إِمَّا هُمْ دُفِنُوا تَحْتَ التُّرَابِ وَلَا تَفْنَى مَخَازِيهَا
إن دفنوا وبلت عظامهم فإن مخازيهم لا تفنى

كَأَنَّ أَسْنَانَهُمْ مِنْ خُبثِ طِعْمَتِهِمْ أَظْفَارُ خَاتِنَةٍ كَلَّتْ مَوَاسِيَهَا

أسنانهم - لفظارة ما يأكلون من ضب ونحوه - تشبه أظفار الخاتنة التي كلت مواسيها، تثلثت سكاكين الختان التي تقص بها ذلك الشيء من البيت، فاستعملت أظفارها في الختان. تريد أن تقول لي إنك سمعت تشبيهاً أخبث من هذا؟

٣٩ نصرنا وآوينا

بَنَى الْعِزُّ بَيْتاً فَاسْتَقَرَّتْ عِمَادُهُ عَلَيْنَا، وَأَعْيَا النَّاسُ أَنْ يَتَحَوَّلَا

العز بنى بيتاً، خيمة، فاستقر عمود الخيمة عندنا، وأتعب الناس وهم يحاولون نقله فلم ينتقل من عندنا

وَأِنَّكَ لَنْ تَلْقَى مِنَ النَّاسِ مَعِشَراً أَعَزَّ مِنَ الْأَنْصَارِ عِزّاً وَأَفْضَلاً

لَنَا حَرَّةً مَأْطُورَةً بِجِبَالِهَا بَنَى الْعِزُّ فِيهَا بَيْتَهُ فَتَأَهَّلَا

لنا حرة، منطقة الحرة ذات الحجارة السود قرب المدينة، مأطورة، أي محاطة، بجبالها، وفيها بنى العز بيته وأصبح من أهل المكان

مَنْعُنَا بِهَا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا إِمَاماً، وَوَقَّرْنَا الْكِتَابَ الْمُنَزَّلَا

منعنا، أي حمينا، في بلدنا خير البشر واستقبلناه إماماً، وبعجلنا القرآن

نَصَرْنَا وَآوَيْنَا، وَقَوِّمَ ضَرْبُنَا لَهُ بِالسُّيُوفِ مَيْلَ مَنْ كَانَ أَمِيلاً

نصرناه وآوينا، وقوِّمَ ضَرْبُنَا، وأصحابه، وقوِّمَ ضَرْبُنَا بسيفنا ميلَ مَنْ مَالَ عَنْ دِينِهِ

٤٠ الصفقة الخاسرة

أَتْرُكُ النَّاسَ فَلَا تَشْتُمُهُمْ وَإِذَا سَابَبْتَ فَاسْبُبْ ذَا حَسَبٍ

إِنَّ مَنْ سَبَّ لَثِيماً كَالَّذِي يَشْتَرِي الصُّفْرَ بِعَقِيَانِ الذَّهَبِ

من سب لثيماً خسر من شرفه، ولكن اللثيم لا يخسر سوى القليل لأن شرفه قليل... فهذا شيء بمن يبادل الذهب الذي يملكه بالصفراء أي النحاس. والعقيان: الذهب الخام

٤١ أشعر بيت

وَأِنَّمَا الشُّعْرُ لُبُّ الْمَرْءِ يَعْرِضُهُ عَلَى الْمَجَالِسِ: إِنَّ كَيْساً وَإِنْ حُمُفَا

الشعر لب المرء، أي عقله. والمرء يعرض عقله على الناس في مجالسهم من خلال شعره أكان كيساً، أي كياسة ورجاحة عقل، أم كان حمفاً

وَإِنَّ أَشْعَرَ بَيْتٍ أَنْتَ قَائِلُهُ بَيْتٌ يُقَالُ إِذَا أَنْشَدْتُهُ صَدَقَا

٤٢ الشعر والغناء

تَعَنَّ فِي كُلِّ شِعْرِ أَنْتَ قَائِلُهُ إِنَّ الْغِنَاءَ لِهَذَا الشَّعْرِ مِضْمَارُ

٤٣ سُعْدَى وَالْإِنْصَافُ

فَأَبَاكَ مَا شِئْتَ عَلَى مَنْ قَضَى كُلُّ وَضَلٍ مُنْقَضٍ ذَاهِبُ
لَوْ يَرُدُّ الدَّمْعُ شَيْئاً لَقَدْ رَدَّ شَيْئاً دَمْعُكَ السَّائِبُ
لَمْ تَكُنْ سُعْدَى لِتُنْصِفْنِي قَلَّمَا يُنْصِفُنِي الصَّاحِبُ

٤٤ مدح الزبير

قال حسان وقد حث الزبيرُ الناسَ على الاستماعِ لإنشاده:

أَقَامَ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ وَهَذِيهِ حَوَارِيُّهُ، وَالْقَوْلُ بِالْفِعْلِ يُعَدُّلُ
الترم حواري النبي، أي تلميذه المرافق، الزبير بن العوام بعهد النبي وبهديه، وأفعال الزبير تعادل أقواله
لَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ قُرْبَى قَرِيبَةً وَمِنْ نُصْرَةِ الْإِسْلَامِ مَجْدٌ مُؤْتَلُ
له قرى من الرسول، والزبير ابن عمه الرسول، وله من نصرة الإسلام مجد مؤتل، قديم راسخ
تَنَاوُكَ خَيْرٌ مِنْ فَعَالٍ مَعَاشِرٍ وَفَعْلُكَ يَا ابْنَ الْهَاشِمِيَّةِ أَفْضَلُ
تناوَك علي بالكلمة أثقل في الميزان من فعل آخرين، وفعلك يا ابن الهاشمية - فالزبير من بني
هاشم أباً وأماً - أفضل من القول

٤٥ ميزان يثرب

وَيَثْرِبُ تَعْلَمُ أَنَّا بِهَا إِذَا التَّبَسَّ الْحَقُّ مِيزَانُهَا
يثرب تعلم أنا ميزان الحق عندما يحصل اللبس ويختلط الحق بالباطل
وَيَثْرِبُ تَعْلَمُ أَنَّا بِهَا إِذَا خَافَتِ الْأَوْسَ جِيرَانُهَا
ونحن - الخزرج - نجير كل أهل يثرب من الأوس

مَتَى تَرَنَا الْأَوْسُ فِي بَيْضِنَا نَهْزُ الْقَنَا تَحْبُ نِيرَانُهَا
عندما ترانا الأوس وقد لبسنا السلاح وهزنا الرماح نخبو نيران عداوتها

وَتُغْطِ الْقِيَادَ عَلَى رُغْمِهَا وَيَنْزِلُ مِنَ الْهَامِ عِضْيَانُهَا
وتعطينا قيادها وتخضع لنا، ويزول ما برأسها من العصيان

٤٦ هجاء العابدين

قال بهجو صيفي بن عابد من مخزوم:

ولنْ أَنْفَكَ أَهْجُو عَابِدِيًّا طَوَالَ الدَّهْرِ مَا نَادَى الْمُنَادِي
سَاطِلُ أَهْجُو الْعَابِدِينَ طُولَ الدَّهْرِ، وَمَا دَامَ هُنَاكَ مَنَادٌ يَنَادِي

وَقَدْ سَارَتْ قَصَائِدُ بَاقِيَاتٍ تَنَاشَدُهَا الرُّوَاةُ بِكُلِّ وَادٍ
وَقَصَائِدِي فِيهِمْ قَدْ انْتَشَرَتْ وَأَنْشَدَهَا الرُّوَاةُ فِي كُلِّ مَكَانٍ

٤٧ بقية قوم لوط

ذَهَبْتُ قَرِيشُ بِالْعَلَاءِ؛ وَأَنْتُمْ تَمْشُونَ مَشْيَ الْمُؤَمِّسَاتِ الْخُرْعِ
قَرِيشُ حَازَتْ الْمَكَارِمَ، وَأَنْتُمْ تَمْشُونَ كَالْمُؤَمِّسَاتِ الْعَاهِرَاتِ الْخُرْعِ، أَيِ الْمُتَنَبِّهَاتِ

أَنْتُمْ بَقِيَّةُ قَوْمٍ لُوطٍ فَاعْلَمُوا وَإِلَى خِنَائِكُمْ يُشَارُ بِإِصْبَعٍ
فِيكُمْ اللَّوَاطُ، وَيُشِيرُ النَّاسُ إِلَى مَخْتَبِكُمْ بِالْأَصَابِعِ

وَإِذَا قُرَيْشٌ حُصِّلَتْ أَنْسَابُهَا فَبِأَلِّ شَجْعٍ قَانَفَحُوا فِي الْمَجْمَعِ
بَعْدَ أَنْ تَحْصَلَ الْأَنْسَابُ، أَيِ تُمَيِّزُ وَتُصَفَّى، فَلَيْسَ لَكُمْ فِي الْمَجْمَعِ، حَيْثُ يَجْتَمِعُ الْأَقْوَامُ، إِلَّا
الْفَخْرُ بِأَشْجَعٍ، وَأَشْجَعُ قَبِيلَةٌ مِنْ غُظْفَانَ

خُرْقٌ مَعَاذِلٌ إِذَا جَدَّ الْوَعَى بُظُنٌّ إِذَا مَا جَارَهُمْ لَمْ يَشْبَعِ
خُرْقٌ، جَمْعُ أَخْرَقَ أَيِ حَمَقَى، وَمَعَاذِلٌ، بَلَا سِلَاحٍ إِذَا احْتَدَمَ الْقِتَالُ؛ وَبُظُنٌّ، أَيِ أَنَّهُمْ كَبِيرُ
الْبَطُونِ، فِي حِينٍ مِنْ يَجَاوِرُهُمْ جَانِعٌ لَمْ يَشْبَعِ

٤٨ قصيدة من السماء

أَجَازَتْ ابْنَتَهُ أَبْيَاتًا لَهُ بَيْتٌ جَمِيلٌ هُوَ (مَقَاوِيلُ بِالْمَعْرُوفِ خَرَسَ عَنِ الْخَنَاءِ/ كَرَامِ
يَعَاظُونَ الْعَشِيرَةَ سَوْلَهَا) فَغَضِبَ مِنْ ابْنَتِهِ، فَعَاهَدَتْهُ أَلَّا تَقُولَ شِعْرًا أَبَدًا، فَقَالَ:

وَقَافِيَةٍ عَجَّتْ بِلَيْلٍ ثَقِيلَةٍ تَلَقَّيْتُ مِنْ جَوِّ السَّمَاءِ نُزُولَهَا
رَبِّ قَافِيَةٍ، قَصِيدَةٍ، عَجَّتْ لَيْلًا، أَزْدَحَمْتُ عَلَيَّ، وَقَدْ هَبَطَ الْإِلَهَامُ عَلَيَّ مِنَ السَّمَاءِ

يَهَابُ الَّذِي لَا يَنْطِقُ الشَّعْرُ مِثْلَهَا وَيَعْجِزُ عَنْ أَمْثَالِهَا. أَنْ يَقُولَهَا
الَّذِي لَا يَعْرِفُ الشَّعْرَ يَهَابُ وَقَعَ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ وَيَدْرِكُ عَجْزَهُ عَنْ أَنْ يَأْتِيَ بِمِثْلِهَا. وَكَانَ حَقٌّ حَسَانُ
أَنْ يَجْعَلَ «الشَّاعِرُ» يَهَابُ فَهَذَا أَلْبَغُ وَأَوْقَعُ

٤٩ نبي أتانا

وَضَمَّ إِلَهُ اسْمَ النَّبِيِّ إِلَى اسْمِهِ إِذَا قَالَ فِي الْخَمْسِ الْمُؤَذِّنُ أَشْهَدُ
فِي الصَّلَاةِ الْخَمْسِ يَقُولُ الْمُؤَذِّنُ «أَشْهَدُ أَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ»

نَبِيِّ أَتَانَا بَعْدَ يَأْسٍ وَقَفْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، وَالْأَوْتَانُ فِي الْأَرْضِ تُعْبَدُ
جاءنا النبي بعد يأس من صلاح الحال، وبعد «فترة» من الرسل، والفترة هي المدة بين رسولين.
قال البوصيري (ما مضت فترة من الرسل إلا بشرت قومها بك الأنبياء)

وَأَنْذَرْنَا نَاراً وَبَشَّرَ جَنَّةً وَعَلَّمَنَا الْإِسْلَامَ، فَاللَّهُ نَحْمَدُ
تَعَالَيْتَ رَبَّ النَّاسِ عَنْ قَوْلٍ مَنْ دَعَا سِوَاكَ إِلَهًا أَنْتَ أَعْلَى وَأَمَجْدُ

٥٠ هجاء بني عدي بن كعب

قَوْمٌ لِسَانُ أَقْلٍ اللَّهُ خَيْرُهُمْ كَمَا تَنَازَرَّ خَلْفَ الرَّايِبِ الْبَعْرُ
جعل الله خيرهم قليلاً متنازراً كالبعر يرميه البعير خلفه

كَأَنَّ رِيحَهُمْ فِي النَّاسِ إِذْ خَرَجُوا رِيحُ الْكِلَابِ إِذَا مَا بَلَغَهَا الْمَطَرُ
رائحتهم كرائحة كلاب تبللت بالمطر

قَدْ أَبْرَزَ اللَّهُ قَوْلِي فَوْقَ قَوْلِهِمْ كَمَا النُّجُومُ تَعَالَى فَوْقَهَا الْقَمَرُ
غلبتهم في الهجاء، وعلوت عليهم كما يعلو القمر فوق النجوم

٥١ هند الهنود

قال يهجو هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان:

أَشْرَتْ لَكَاعَ وَكَانَ عَادَتْهَا لَوْمٌ إِذَا أَشْرَتْ مَعَ الْكُفْرِ
أشرت، كانت شرسة، لكاع، المرأة اللثيمة، وفوق ذلك كفر

لَعَنَ إِلَاهُ، وَزَوْجَهَا مَعَهَا، هِنْدُ الْهُنُودِ طَوِيلَةُ الْبَطْرِ
لعنها الله ولعن زوجها أبا سفيان، ويعيرها بما لا يعرف

٥٢ السعيد والحسود

وَأَنَّ امْرَأً أَمْسَى وَأَصْبَحَ سَالِمًا مِنَ النَّاسِ، إِلَّا مَا جَنَى، لَسَعِيدٌ
من أمسى في مسائه ثم أصبح في صباحه وهو سالم من كيد الناس - باستثناء ما يستحقه - فهو سعيد

وَإِنَّ أَمْرًا عَادَى الرِّجَالَ عَلَى الْغَنَى ، وَلَمْ يَسْأَلِ اللَّهُ الْغَنَى ، لِحُسُودِ
 مِنْ يَعَادِي النَّاسَ لِأَنَّهُمْ أَغْنِيَاءُ ، وَلَمْ يَكُنْ سَأَلَ اللَّهَ الْغَنَى ، فَهَذَا حُسُودٌ

٥٣ النبي الكامل

وَأَحْسَنُ مِنْكَ لَمْ تَرَ قَطُّ عَيْنِي وَأَجْمَلُ مِنْكَ لَمْ تَلِدِ النِّسَاءَ
 خُلِقْتُ مُبْرَأً مِنْ كُلِّ عَيْبٍ كَأَنَّكَ قَدْ خُلِقْتَ كَمَا تَشَاءُ
 خَلَقْتَ أَيُّهَا الرُّسُولُ خَالِيًا مِنْ أَيِّ عَيْبٍ ، فَكَأَنَّكَ خَلَقْتَ كَمَا تَشَاءُ

٥٤ القوافي والمثاني

وَمَنْ لِلْقَوَافِي بَعْدَ حَسَّانَ وَابْنِهِ وَمَنْ لِلْمَثَانِي بَعْدَ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ
 مِنْ لِلشَّعْرِ بَعْدِي وَبَعْدَ ابْنِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، وَكَانَ ابْنُهُ شَاعِرًا ، وَمَنْ لِلْمَثَانِي - وَالْمَثَانِي هِيَ الْقِرَاءُ
 لِاقْتِرَانِ آيَةِ الرَّحْمَةِ بِآيَةِ الْعَذَابِ فِيهِ . . كَذَا قَالُوا ، وَقَالُوا غَيْرُهُ - بَعْدَ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ كَاتِبِ الْوَحْيِ ،
 وَزَيْدٌ مِنْ بَنِي النَّجَارِ عَشِيرَةُ حَسَّانَ

٥٥ مرحباً يا خير داع

لَقَدْ خَابَ قَوْمٌ غَابَ عَنْهُمْ نَبِيُّهُمْ وَقُدُسٌ مَنْ يَسْرِي إِلَيْهِمْ وَيَغْتَدِي
 خَابَتْ قَرِيضٌ بَغِيَابِ النَّبِيِّ عَنْهَا ، وَقُدُسُ الْأَنْصَارِ الَّذِينَ يَسْرِي النَّبِيُّ مَسَاءً وَيَغْتَدِي صَبَاحًا وَهُوَ يَعِشُ
 بَيْنَهُمْ

تَرَحَّلَ عَنْ قَوْمٍ فَضَلَّتْ عَقُولُهُمْ وَحَلَّ عَلَى قَوْمٍ يَنْوِرُ مُجَدِّدٍ
 لَقَدْ نَزَلْتُ مِنْهُ عَلَى أَهْلِ يَثْرِبٍ رِكَابُ هُدًى حَلَّتْ عَلَيْهِمْ بِأَسْعَدِ
 السَّعْدِ هُوَ الْفَالُ الْحَسَنُ وَالْأَشَدُّ لَا بَدَّ أَنْ تَكُونَ الْقَوْلُ الْحَسَانُ

نَبِيٌّ يَرَى مَا لَا يَرَى النَّاسُ حَوْلَهُ وَيَتْلُو كِتَابَ اللَّهِ فِي كُلِّ مَشْهَدٍ
 وَإِنْ قَالَ فِي يَوْمٍ مَقَالَةً غَائِبٍ فَتَصْدِيقُهَا فِي الْيَوْمِ أَوْ فِي ضُحَى الْغَدِ
 إِنْ قَالَ النَّبِيُّ يَوْمًا قَوْلًا لَا يَرَهُانَ عَتِيدًا عَلَيْهِ ، فَتَصْدِيقُهُ بِالْبَرَهَانِ سَرْعَانِ مَا يَأْتِي

٥٦ بطيبة رسم

بِطَيْبَةِ رَسَمٌ لِلرُّسُولِ وَمَغْهَدٌ مُنِيرٌ ، وَقَدْ تَعَفَّوْا الرُّسُومَ وَتَهَمَّدُوا
 بِطَيْبَةِ ، وَطَيْبَةُ اسْمُ لِيَثْرِبِ ، رَسَمٌ لِلرُّسُولِ ، بَقِيَّةُ مِنْهُ ، وَمَغْهَدٌ ، مَكَانُ نَعْمَدِهِ وَنَعُودِ إِلَيْهِ ، وَمَكَانُ
 الرُّسُولِ مُنِيرٌ بَيْنَمَا رَسُومُ الدِّيَارِ تَعَفَّوْا ، أَيُّ تَمْحِي ، وَتَهْمَدُ ، أَيُّ تَهْطُ

وَهَلْ عَدَلْتُ يَوْمًا رَزِيَّةَ هَالِكٍ رَزِيَّةَ يَوْمَ مَاتَ فِيهِ مُحَمَّدٌ؟

هل تساوي المصيبة في أي ميت مصيبتنا في اليوم الذي مات فيه الرسول؟

وما فقد الماضون مثل محمد ولا مثله حتى القيامة يُفْقَدُ

٥٧ عروس وعروسها

قال، بحث أبا بكر على عزل خالد بعد اليمامة، بعد إذ قتل عدوه وتزوج زوجته:

أَتَرْضَى بِأَنَا لَمْ تَحِفَّ دِمَاؤُنَا وَهَذَا عَرُوسٌ بِالْيَمَامَةِ خَالِدُ

أيرضيك أننا حاربنا المرتدين وقتلنا من القتل ثم هذا خالد عروساً، والعروس الرجل أيضاً، يلهو مع زوجة جديدة

يَبِيتُ يُنَاقِشُ عِرْسَهُ وَيَضُمُّهَا وَهَامٌ لَنَا مَطْرُوحَةٌ وَسَوَاعِدُ

يبيت يلهو مع عرسه، زوجته الجديدة، وهامنا، رؤوسنا، وسواعدنا مطروحة في أرض المعركة

إِذَا نَحْنُ جُنَّا صَدًّا عَنَّا بِوَجْهِهِ وَتُلْقَى لِأَعْمَامِ الْعُرُوسِ الْوَسَائِدُ

العروس هنا المرأة، إلقاء الوسائد: الرجل يلقي لضيفه، إذا دخل مجلسه، وسادة ليتكى عليها

فَإِنْ تَرْضَ هَذَا فَالرُّضَا مَا رَضِيَتْهُ وَإِلَّا فَغَيْرُ، إِنَّ أَمْرَكَ رَاشِدُ

٥٨ من شاء بعدك فليمت

كَنْتُ السَّوَادَ لِنَاطِرِي قَمَمِي عَلَيْكَ النَّاطِرُ

كنت سواد عيني وبموتك عيني عليك، أي بالكاء عليك، ناظري، بصري

مَنْ شَاءَ بَعْدَكَ فَلْيَمُتْ فَمَلِيكَ كُنْتُ أَحَازِرُ

٥٩ بعد العمى

إِنْ يَأْخُذِ اللَّهُ مِنْ عَيْنَيَّ نُورَهُمَا فَمِي لِسَانِي وَقَلْبِي مِنْهُمَا نُورُ

قلبي ذكيت وعرضي غير ذي دخل وفي فمي صارم كالسيف المأثور

عرضي غير ذي دخل، أي فساد، وفي فمي لسان صارم كأنه السيف المأثور، الذي في مته أثر

٦٠ هجاء بني الحماس

أَمَّا «الْحِمَاسُ» فَإِنِّي غَيْرُ شَاتِمِهِمْ لَا هُمْ كِرَامٌ، وَلَا عِرْضِي لَهُمْ خَطَرُ

خطر: عديل ومماثل

قَوْمٌ لِثَامٍ أَقَلُّ اللَّهْ عِدَّتَهُمْ كَمَا تَسَاقَطَ حَوْلَ الْفَقْحَةِ الْبَعْرُ
 هم لثام، وعددهم قليل ويشبهون في قلتهم وتفرقهم البعر المتساقط حول فقحة، دبر، الشاة
 أَوْلَادُ حَامٍ فَلَنْ تَلْقَى لَهُمْ شَبَهًا إِلَّا التَّيُوسَ عَلَى أَكْتَا فِيهَا الشَّعْرُ
 يبدو أنهم سود، والعرب تنسب السود إلى حام ولد نوح، ويشبههم بالتيوس وشعرها الأسود

٦١ بيان ابن عباس

إِذَا قَالَ لَمْ يَتْرُكْ مَقَالًا وَلَمْ يَقِفْ لِعِيٍّ وَلَمْ يَثْنِ اللِّسَانَ عَلَى هُجْرٍ
 لم يترك في القضية لغيره ما يقوله، ولا يقف في كلامه لعي، لقلة فصاحة، ولا يحرك لسانه ويشبه
 بهجر، بقول شائن

يُصَرِّفُ بِالْقَوْلِ اللِّسَانَ إِذَا انْتَحَى وَيَنْظُرُ فِي أَعْطَافِهِ نَظَرَ الصَّقْرِ
 يصرف الكلام بلسانه إذا تصدى للقول، وينظر في عطفه، في جانيه بكبرياء نظر الصقر

٦٢ تغريبة بني يمن

قال يذكر انخزاع خزاعة بمكة ومسير الأوس والخزرج إلى المدينة وغسان إلى الشام:

فَلَمَّا هَبَطْنَا بَطْنَنَ مَرٍّ تَخَزَّعَتْ خُزَاعَةٌ مِنَّا فِي حُلُولِ كَرَائِرٍ
 لما هبطت قبائل اليمن هذا المكان تخزعت قبيلة خزاعة، أي تفرقت، في حلول كراكر..
 يقصد في أمكنة متعددة.. هذا المعنى الملموح

حَمَوْا كُلَّ وَادٍ مِنْ يَهَامَةٍ، وَاحْتَمَوْا بِصُمِّ الْقَنَا وَالْمُرْهَفَاتِ الْبَوَاتِرِ
 حموا وديان تهامة، أي اتخذوها حمى لرعي ماشيتهم، وحموا أنفسهم بسم القنا، بالرماح
 المصمتة الصلبة، وبالمرهفات البواتر، بالسيوف الحادة القاطعة

خُزَاعَتُنَا أَهْلُ اجْتِهَادٍ وَهِجْرَةٍ وَأَنْصَارُنَا جُنْدُ النَّبِيِّ الْمُهَاجِرِ
 وسِرْنَا فَلَمَّا أَنْ هَبَطْنَا بِثَرِبٍ بِلا وَهْنٍ مِنَّا وَلَا بِتَشَاجِرِ
 نحن سرنا شمالاً وهبطنا يثرب لا عن تعب منا، ولا بحدوث مشادات وشجار

بَنُو الْخَزْرَجِ الْأَخْيَارِ وَالْأَوْسُ إِنَّهُمْ حَمَوْهَا بِفَتْيَانِ الصَّبَاحِ الْبَوَاكِرِ
 الخزرج والأوس حموا يثرب بفتيان يغيرون صباحاً، والصباح هو وقت الغارة عند العرب

نَقَوْا مَنْ طَعَى فِي الدَّهْرِ عَنْهُمْ، وَذَبُّوا يَهُودَ بِأَطْرَافِ الرِّمَاحِ الْخَوَاطِرِ
 أبعدوا الظالمين وذبوا، أقصوا، اليهود بأطراف الرماح، التي تتحرك بالطعن

وَسَارَتْ لَنَا سَيَّارَةٌ ذَاتُ قُوَّةٍ بِكُومِ الْمَطَايَا وَالْخُبُولِ الْجَمَاهِرِ
وسارت سيارة منا، قوم سائرون، ومعهم كوم المطايا، الإبل الكبيرة، والخيول الكثيرة
يُؤْمُونَ نَحْوَ الشَّامِ حَتَّى تَمَكَّنُوا مُلُوكًا بِأَرْضِ الشَّامِ فَوْقَ الْمَنَابِرِ
يتجهون نحو الشام، وهناك أصبحوا ملوكاً لهم منابر يخطبون من عليها بالناس
أُولَآكَ بَنُو مَاءِ السَّمَاءِ تَوَارَثُوا دِمَشْقَ بِمُلْكِ كَابِرٍ بَعْدَ كَابِرِ
أولئك، أي أولئك، الغساسنة من بني ماء السماء الذين توارثوا دمشق أباً عن جد

٦٣ الشجاع

كَمْ قَدْ وَلَدْنَا مِنْ كَرِيمٍ مَاجِدٍ دَامِيَ الْأَظْفَارِ أَوْ رَبِيعٍ مُنْطَرٍ
ما أكثر ما أنجبنا من رجل كريم شجاع تدمى أظفاره من دماء الأعداء،
لكنه أيضاً كالربيع الممطر جوداً
يَلْقَى الرَّمَاخَ بِوَجْهِهِ وَيَصْدُرُهُ وَيُقِيمُ هَامَتَهُ مَقَامَ الْمِغْفَرِ
وهو يتصدى لرماح الأعداء بوجهه ويصدره، ويجعل هامته، أي رأسه، مكان المغفر، وهو حلقات
حديد تحت الخوذة تحمي الرقبة
وَيَقُولُ لِلظُّرْفِ اضْطَبِرْ لِشَبَا الْقَنَا فَهَدَمْتُ رُكْنَ الْمَجْدِ إِنْ لَمْ تَصْبِرْ
يقول للظرف، للحصان، اصبر لشبا القنا، أسنة الرماح؛ فإني كنتهدم ركن مجدنا إن لم تصبر
وَإِذَا تَأَمَّلَ شَخْصَ ضَيْفٍ مُقْبِلٍ مُتَسَرِّبِلٍ سِرْبَالٍ ثَوْبٍ أَغْبَرٍ...
إذا رأى ضيفاً مقبلاً نحوه وهو متسربل، أي لابس، ثوباً مغبراً من طول السير في الصحراء...
أَوْمًا إِلَى الْكُومَاءِ: هَذَا طَارِقُ نَحَرْتَنِي الْأَعْدَاءُ إِنْ لَمْ تُنْحَرِي
أوماً، أي أشار، إلى الكوماء، الناقة الكبيرة، قائلاً: هذا طارق، زائر ليل، ولتذبني الأعداء إن
لم أذبك لإكرامه

٦٤ المسير إلى بدر

قَوْمِي الَّذِينَ هُمْ أَوْوَا نَبِيِّهِمْ وَصَدَّقُوهُ وَأَهْلُ الْأَرْضِ كُفَّارُ
وَقَاسَمُوهُ بِهَا الْأَمْوَالَ إِذْ قَدِمُوا مُهَاجِرِينَ، وَقَسَمُ الْجَاحِدِ النَّارُ
قومي الأنصار قاسموا النبي والمهاجرين أموالهم، وأما قسم، أي نصيب، الجاحد بدعوة النبي،
فهو جهنم

سِرْنَا وَسَارُوا إِلَى بَدْرِ لِحَايِنِهِمْ لَوْ يَعْلَمُونَ يَقِينَ الْعِلْمَ مَا سَارُوا
سرنا وسار الجاحدون إلى بدر لحينهم، أي لهلاكهم، ولو علموا بما ستكون عليه النتيجة لما ساروا

٦٥ عاشوا بلا فرقة

قال في النبي وأبي بكر وعمر:

ثَلَاثَةٌ بَرَزُوا بِسَبْقِهِمْ يَنْصُرُهُمْ رَبُّهُمْ إِذَا نَشَرُوا
برزوا: تفوقوا، نشروا: بُعثوا يوم القيامة

عَاشُوا بِلَا فُرْقَةٍ حَيَاتِهِمْ وَاجْتَمَعُوا فِي الْمَمَاتِ إِذَا قُبِرُوا
فليس من مُسلم له بَصَرٌ يُنْكِرُ مِنْ فَضْلِهِمْ إِذَا ذُكِرُوا

٦٦ قوم هم شهدوا

قال، وتروى لابنه عبد الرحمن بن حسان:

قَوْمٌ هُمْ شَهِدُوا بَدْرًا بِأَجْمَعِهِمْ مَعَ الرِّسُولِ فَمَا أَلُّوا وَمَا خَذَلُوا
الأنصار شهدوا مع النبي وقعة بدر، فما أَلُّوا، أَلَّى أي قَصَّرَ ونهاون، وما خذلوا وتراجعوا. قوله
بأجمعهم فيه نظر: فحسان نفسه لم يشهد بَدْرًا ولا أي موقعة أخرى، كان يؤثر السلامة

وَبَايَعُوهُ فَلَمْ يَنْكُثْ بِهِ أَحَدٌ مِنْهُمْ، وَلَمْ يَكْ فِي إِيمَانِهِمْ دَخَلٌ
بايعوا الرسول فلم ينكث أحد، يتراجع، ولم يكن في إيمانهم دخل، أي فساد

وَيَوْمَ صَبَّحَهُمْ فِي الشَّعْبِ مِنْ أَحَدٍ ضَرْبُ رَصِينٍ كَحَرِّ النَّارِ مُسْتَعِيلٌ
وشهدوا معه عندما صادفهم في معركة أحد الضرب الرصين، الموجع

وَيَوْمَ خَيَّبَرُ كَانُوا فِي كَتِيبَتِهِ يَمْشُونَ كُلُّهُمْ مُسْتَنْبِلٌ بَظُلٍ
بِالْبَيْضِ تَرَعَشُ فِي الْأَيْمَانِ عَارِيَةً تَعُوجُ فِي الضَّرْبِ أحياناً وَتَعْتَدِلُ
تسلحوا بالسيوف وهي تتحرك وترتعش في الأيمان، الأيدي اليمنى، مسلولة عارية، تضرب الأعداء
مائلة ومعتدلة في حركتها

وَيَوْمَ سَارَ رَسُولُ اللَّهِ مُحْتَسِبًا إِلَى تَبُوكَ وَهُمْ رَايَاتُهُ الْأَوَّلُ
كانوا في المقدمة في غَزَاةِ تبوك

أُولَئِكَ الْقَوْمُ أَنْصَارُ النَّبِيِّ هُمْ قَوْمِي أَصِيرُ إِلَيْهِمْ حِينَ أَنْتَصِلُ
أولئك الأنصار، وهم قومي الذين إليهم أنتسب

مَاتُوا كِرَامًا وَلَمْ تُنْكثْ عَهْدُهُمْ وَقَتْلُهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِذْ قُتِلُوا
مات من مات منهم كريماً، وما قتلوا إلا في سبيل الله

٦٧ عيون القطط

ثَرِيدٌ كَأَنَّ السَّمْنَ فِي حَجَرَاتِهِ نُجُومُ الثُّرَيَّا أَوْ عُيُونُ الضِّيَاوِنِ
يصف ثريداً يلمع السمن في جوانبه كأنه النجوم أو عيون الضياون، أي القطط

٦٨ مني بيت ومنه بيت

إِذَا مَا تَرَعَرَعَ فِينَا الْغَلَامُ فَمَا إِنْ يُقَالُ لَهُ مَنْ هُوَ
ما يكبر غلامنا إلا ويكون معروفاً بأفعاله فلا يسأله أحد من أنت

وَلِي صَاحِبٌ مِنْ بَنِي الشَّيْصَبَانِ فَطَوْرًا أَقُولُ وَطَوْرًا هُوَ
لي رديف من بني الشيصبان، أي من الجن، يلهمني الشعر، فأنا أقول بيتاً وهو يقول بيتاً

حسان بن ثابت
فهرس القوافي
(القافية فرقم القطعة)

٢٣	الهادي	١	كَدَاءُ
٣٥	رَغْدِيدِ	٥٣	النِّسَاءُ
١٢	مِنْ أَحَدِ	٢٧	خَرِبُ
٢٨	مُهْتَدِ	٤٣	ذَاهِبُ
٧	ولا يَدِي	١٦	غُرَابِ
٥٥	وَيَغْتَدِي	٢٦	مُنِيبِ
٤	أَعْوَادَهَا	٨	وَشِيبِ
٥٠	الْبَعْرِ	٤٠	حَسْبِ
٥٨	النَّاطِرُ	٥٤	ثَابِتِ
٦٠	خَطَرُ	٣٦	الْأَشَدَّاءِ
٦٤	كُفَّارُ	٤٩	أَشْهَدُ
٤٢	مِضْمَارُ	٥٧	خَالِدِ
٦٥	نُشِرُوا	٥٢	لَسَعِيدِ
٢٢	نَصَرُوا	٥٦	وَتَهَمَدُ
٥٩	نُورُ	٢٤	الْأَرَمَدِ
٣٠	الْأَمْصَارِ	١٣	الْبَلَدِ
٣٧	البَوَاتِرِ	٤٦	المُنَادِي

١٥	هَاطِلٍ	١٧	العَصَافِيرِ
٣	دُونَ	٥١	الْكُفْرِ
٤٨	نُزُولَهَا	٢١	صَدْرِي
٦	مُسْلِمًا	٦٢	كَرَاكِرِ
٢	النَّجْمُ	٦٣	مُنْطَرِ
١٠	الإِسْلَامِ	٦١	هُجْرِ
١٩	الْمُتَهَضِّمِ	٣٤	تَتَّبِعُ
٣٣	وَرَاغِمِ	٤٧	الْخُرْعِ
٢٠	الرِّمَامِ	١٤	وَبِالْجَامِعِ
٩	الظُّلَمِ	١١	رَعَا زِعُهُ
٣١	إِخْوَانَا	٤١	حُمُقَا
٦٧	الضِّيَاوِينَ	٢٥	بِمَا فَعَلَا
٢٩	الْفُطَيْنِ	٣٩	يَتَحَوَّلَا
١٨	يَيَانِ	٦٦	حَذَلُوا
٤٥	مِيزَانُهَا	٤٤	يُعَدِّلُ
٦٨	هُوَّةَ	٥	الْأَوَّلِ
٣٨	بِمَا فِيهَا	٣٢	الْعَوَافِلِ

الأخطل، غِيَاث بن غوث التغلبي (٢٠هـ - ٩٥هـ)

مسكين أيها العجوز النصراني! ظل جرير يعيرك بدينك سنواتٍ طوالاً، وأنت لا تستطيع أن تعيره بدينه. لا نظن هذا أدباً منك، ولا تقوى. فلا أنت مؤدب، ولا أنت تقي. أنت تعيش في كنف الدولة الإسلامية الغالبة، وتصبر على بذاءات جرير، وترقّع روحك المجروحة بالتمسك بدينك، فكنت تعلق صليبك الذهبي في صدرك أينما ذهبت، في مجلس الخليفة تعلقه، وفي إنشادك شعراً أمام القوم تعلقه، وكنت به تفتخر. بهذا فقط رددت على جرير؟ بل لقد رددت بشيء آخر.. رددت بشعر صلب أعجب الراسخين في العربية كثيراً. وكان جل هؤلاء الراسخين متدينين ورعين، لكنهم لم يكونوا يفضلون شعراً على شعر إلا بما فيه من شعر.

قد قربك الخليفة الأموي لمصلحة له فيك، ولم يلتفت لما يعتمل في نفسك من ألم بسبب ذلك الهجاء الديني البغيض. ثم مضت ألف سنة ومئة، وانتصر لك الدارسون المسيحيون بأن اهتموا بشعرك كل الاهتمام. فأنفق الأب صالحاني اليسوعي أربعين سنة وهو يجمع شتات ديوانك، وأحسن في ذلك الإحسان كله، وترك لنا شعرك في أحسن صورة ممكنة. وتعصب لك على صاحبك، جرير والفرزدق دارسون مسيحيون كثر في عصرنا، ولكن من وضع شعرك في طبعة أنيقة وبشرح جميل كان الدكتور فخر الدين قباوة.

ومن الطبعة الثانية لديوان الأخطل بتحقيق وشرح قباوة استفدت كثيراً وأنا أشرح منتخباتي هذه. وكان قباوة في علمه عميقاً، وفي خلقه متيناً، فشكر الأب صالحاني وأقر له بمجهوده الكبير. وفي هذه الملتحبات كنت في بعض الأحيان آخذ برواية جاء بها الأب صالحاني، وفي أحيان أخرى برواية أورها قباوة.

لقد طبع ديوان الأخطل كثيرون، وسرقوا جهد غيرهم بقحة. ولم نذكر إلا تينك الطبعتين؛ ونرجو أن تتاح لنا سويعة نرجع فيها إلى تلك الطبعات السقيمة كي نيسط اللسان في أولئك الأكاديميين الذين عرضوا مقابحهم وكشفوا عن سواتهم.

يا أبا مالك، نذكر للمسيحيين الذين اهتموا بشعرك أنهم كانوا غاية في الخلق الحسن فلم يتعرضوا لمسألة الدين، لا بل إن بعضهم فضل جريراً عليك، ذلك مارون عبود في كتابه «الرؤوس».

لست مسكيناً يا أشعر المسيحيين، فقد كنت جاهلياً في تفكيرك وسلوكك، وكنت قبلية، وجباناً كنت، وسيء الخلق، وسكيراً، وبعيداً عن تعاليم دينك. كنت شاعراً فصيحاً، وكان في شعرك بعض وثبات الخيال الجميلة، ولكننا لا نقر جمهور الدارسين على أنك ذو خيال مجنح. ربما منعنا من إدراك هذا الذي نسبوه إليك من تميّز بالـ «خيال» لغتك الجاهلية القاسية. فمع أنك ولدت بعد الهجرة بعشرين سنة فنحن نسميك «آخر الجاهليين».

ولماذا أنفق بعض القليل الباقي من ساعات عمري عليك؟

مالت شمس العمر غرباً، وبدأت ألملم أشتائي. وجدت بين هذه الأشياء بضعة آلاف من الأبيات كنت انتقيتها من دواوين اثنين وأربعين شاعراً، هم أهم شعراء العربية، وقلت لنفسي: قدّم هذه الأبيات، وأولئك الشعراء، للأجيال اللاحقة.. وقدمها لهم مشروحة، وقدم لهم شعراءها بكلام يضعهم في جو كل شاعر.

أعيش هذه الساعات وبلاد العرب تتفكك، أعيشها وشعوب العرب تقيء على نفسها ما أكلته في الستين سنة الماضية من أمجاد زائفة، وأنا أكتب في أيلول سبتمبر عام ٢٠١٥. نصرخ صرخات مغناجة في ردهات الإنترنت شاتمين الغرب، ونبكي على أنفسنا، ونشتم أنفسنا، ونعود بعد شتم الذات لنرفع رؤوساً حشوها الجهل لنقول: لا وألف لا. لسنا الملمومين، بل الغرب المجرم هو الملموم. ونصرخ صرخات المظلوم. صرخات ترسم على شفاه أمم الأرض ابتسامات الشفقة والسخرية. نحن أحق أن نشتم أنفسنا ونقف عند ذلك الحد. لا تشمخ أيها العربي وأنت بلا عمود فقري. اقعد، واصنع شيئاً بدل الكلام. تهورث.

فلماذا أكتب هذا عن شاعر شبه جاهلي؟

الشعر يصف الروح العربية والعقل العربي أحسن مما تصفه كتب المفكرين. ولنفترض أن قصيدة عمرو بن كلثوم «إذا بلغ الفطام لنا صبي.. تخر له الجبابر ساجدين» منحولة، وأنها كتبت بعد الجاهلية بمئة سنة، لا ضير. هي تمثل العصر الجاهلي وقيمه. والذي كتبها جعلها تعبر عن روح الجاهلية.

قد عرفتُ العرب في زماني معرفة طيبة. عملتُ في لندن عقداً من الزمن، وكان زملائي هناك من كل بلاد العرب، وعملت في الخليج عقداً ولم يبق بلد عربي إلا والتقيت ببعض أهله؛ حتى البلاد التي لا تعد نفسها عربية، كإثيوبيا وإريتريا، فقد التقيت بناس منها لسانهم عربي. وعرفت وصاحبت البربر والنوبيين والكرد ممن أتقنوا العربية وحذقوها كأهلها.

عرفت المتعلمين كثيراً، وعامة الناس قليلاً. وأحسست عند المتعلمين أن ما تلقوه في المدارس من الشعر العربي القديم رسخ عميقاً في نفوسهم. لست أصدر حكماً بشأن الشبان الصغار، ولا أعرف ما تحتويه كتب المدارس في كل بلد عربي. ولعل الحكم عام: فكل فتى وفتاة يرتبط برباط حب وشوق، وبرباط كره واشمئزاز أيضاً، بما تعلم في المدرسة من نصوص أدبية. ولاحظت أن المرء يرتبط بما فهم وبما لم يفهم من نصوص شعرية. ولعله يرتبط بما لم يفهم أكثر قليلاً. لعل حالة المرء هنا تشبه حالته عندما يرتبط عاطفياً بأغنية سمعها قديماً وتغلغل لحنها في نفسه وفي ذاكرته، وغابت عنه بعض كلماتها، فيظل للأغنية في نفسه سحر، فإذا ما عرف الكلمات التي غابت عنه في صباه زال السحر أو كاد، ثم لقد تراه ينسى الكلمات الصحيحة بعد حين ويعود يدندن الأغنية بالكلمات الخطأ.

ونعود إلى حال العرب قبل أن نعود إلى الأخطل.

قد عرفتني وعرفت تعريفي لكلمة عربي، فأنا ممن يرى أن العربي إنما هو عربي اللسان لا غير. فاللغة - التي هي من النظرة السطحية مجرد قالب - تقوم بدرجة كبيرة مقام النسب والتاريخ المشترك، والأرض المشتركة. هي قالب أسر.

والعرب اليوم تضعضعوا كثيراً، وعرفوا أنهم في ميزان الأمم شيء صغير. لكن ميراثهم اللغوي والأدبي كبير، وعميق الجذور. وبعد أن تستقر أوضاع

المنطقة العربية سياسياً، ويحدث مزيد من التفكك، ومزيد من إدراك «الحقيقة الاقتصادية» المرة، سيكتشفون أنهم ما زالوا عرباً - بحسب تعريفي، لا تنس -، وسيلحقون جراحهم. وسينطلقون إلى العمل لبناء حقيقة اقتصادية جديدة ليس فيها أوهام.

«الحقيقة الاقتصادية» كلمتان عليهما سيماء المصطلح. ولأنني لم أسمع به من قبل، ولأنني أحسب أنني سكتته الآن، فلا بد من كلمة عنه: أنت تعيش في قرية، وتزرع بأساليبك البدائية، وعندك بندقية تخيف بها اللص، وأنت - بنشاطك الليلي - تملأ بيتك أفواهاً. وتجلس في ديوانيتك وتنشد أشعاراً وأزجالاً في تمجيد أسلافك الأبطال. هذا كله يسميه المختصون فيما يسمى بعلم الإنسان «طريقة حياة». ويقسم الغربيون المتحضرون النابذون للعنصرية أغلظ الأيمان أنهم من دعاة السماح لكل قوم باتخاذ «طريقة الحياة» التي يريدونها، وأنهم يدينون التعدي على هذه الـ «طريقة حياة». لكن الحقيقة الاقتصادية غلابة. ثمة واقع اقتصادي شرس.

«الحقيقة الاقتصادية» للأقوام المتخلفين عن ركب التمدن الغربي هي أنهم فقراء وضعفاء - رغم البندقية الصدئة -، ومعرضون للهزيمة في صراع الأقوام. قد يسمح التنافس الاستعماري للدولة العثمانية أن تعيش في غرفة الإنعاش مثتي سنة. ولكن حقيقتها الاقتصادية ستجعلها فريسة في نهاية المطاف.

«الحقيقة الاقتصادية» للعالم العربي اليوم صعبة. الجهل كثير، والمتعلمون أنصاف وأرباع متعلمين، وحملة الشهادات العليا كذابون، والساسة بالطبع كذابون.. كذابون بمعنى أردأ مما تتصور. فكل الساسة في كل العالم كذابون. تعرف ذلك! لكن ساستنا أكذب، بمعنى أنهم يكذبون كذبات طويلة الأمد، بطول جلوسهم على كراسيهم. وأقصد بالساسة: الوزراء والصحفيين المطبليين للوزراء، والمدراء العامين، وكل أفراد «الطبقة الحاكمة». فالجميع يفرز أوهاماً. ليس عن غباء، بل بإحساس عميق ومدرك بأنهم يصنعون الأوهام. قد يصدقون أوهامهم للحظة، ثم في أول مفاتحة تراهم عارفين كل شيء.

أراضي بلادنا العربية، وهي واسعة، لا تقيم أود الثلاثمئة مليون. ولا تحتتمل معدل التكاثر الحالي. ونحن بحاجة حقيقية لتنظيم النسل. والملايين القليلة من البشر الذي صدروا أنفسهم من المنطقة العربية إلى أميركا وكندا وأوروبا هم أولئك الذين تعلموا وأنفق عليهم أهاليهم من خيرات بلادنا

الشحيحة، وأصبحوا قادرين - لو أرادوا - على أن يساعدوا هذه الأرض كي تنتج أكثر، وأن يساعدوا هذه الشعوب كي تصنع. لكنهم فروا إلى الخارج آخذين في لحم أكتافهم ذلك الخير الذي سرقوه من بلادهم، فروا إلى بلدان غنية أصلاً. وهناك أجبرهم إيقاع الحياة ونظم المجتمع على أن ينتجوا ويشتغلوا بجد. ولست ألومهم لوماً فردياً. ليس لأنني كنت أحدهم، فاعتربت أوروبياً وخليجياً، بل لأن الفرد في مثل هذه المعمرات الكبرى لا يلام. فأما الحكومات فتتحمل قسطاً من اللوم. والبنية الطبقية للمجتمع تتحمل اللوم الأكبر.

الأغنياء يحكمون كل بلد. فإن اغتصبت الحكم عصابة عسكرية فسرعان ما تتحالف مع الأغنياء وتتماهى معهم. وكبار الموظفين والأطباء والمهندسين يساهمون في الحكم، وكل هؤلاء خمسة بالمئة من الناس. يبقى خمسة وتسعون بالمئة. هؤلاء يتدرجون على سلم الفقر. وفي كثير من البلاد العربية يجلس معلم المدرسة على درجة منخفضة في هذا السلم.

الخمسة بالمئة الذين يحكمون البلد يكتفون بالسمسرة للأجنبي، وبيعونه الخامات وحقوق الصيد والأثر السياسي والموقع الجغرافي بفتات لا يروونه فتاتاً لأنهم فئة صغيرة. ويمنع الثورة على هذه الطبقات الحاكمة ذلك التدرج في الفقر، إذ لا توجد طبقة مسحوقة كبيرة. مثل هذا الوضع الهلامي مكن الثورة المضادة من القفز سريعاً على الربيع العربي. وتدخلت الدول الكبرى كلها: أوروبا وأميركا وروسيا والصين لحماية مصالحها. أستطيع أن أفهم لماذا أغلق ماوتسي تونغ، وستالين قبله، البلد إغلاقاً محكماً: لا يسمح بخروج الكفاءات، ولا بدخول اليد الخارجية العابثة. وأفهم أن ما جرى في ذينك البلدين من إرهاب للشعب، ومن مجازر دينية، وكبت للحريات، كان يتم على هامش عملية هندسة اجتماعية طبقية. ولأن التاريخ لا يكرر نفسه بالضرورة فليكن عندنا أمل في أن تنهض الشعوب العربية دون دفع ذلك الثمن الباهظ.

في مثل هذه الظروف العربية أقعد إلى منضدتي وأشرح أبيات الأخطل. أقول لنفسي: لا بأس. العرب ملايين كثيرة، فلن يضير نهضتهم المنشودة أن ينسحب واحد منهم ليجلس في قوقته ويتسلى بغريلة هذا الإرث العجيب.

أعود إلى الأخطل

ذات يوم كانت أمه ترقصه وهو صغير وتقول له: يا دويل. أي «أيها الخنزير الصغير». وسمعتها الجارة فتضاحكت، وحفظ الأخطل هذه الحادثة، ولم يقلها إلا لبعض أصحابه الخلفاء. ثم بعد بضع عشرات من السنين إذا بجرير يذكرها في شعره. قال الأخطل: «والله ما سمعتني أمي دويلاً إلا نهاراً واحداً، فمن أين سقط إلى هذا الخيث؟»

وتزوج أبو الأخطل زوجة ثانية، غير عابئ بتعاليم دينه. وكانت زوجة الأب قاسية على الصبي «غياث». ترسله ليرعى الأعز، وتمنعه طرائف الطعام. فيسرق ما اختزن من زبيب ويأكله، وتغضب. كانت مضارب قومه من قبيلة تغلب في العراق على الفرات، غير بعيد عن الكوفة. ونشأ غياث في قبيلة عربية من قبائل ربيعة هي تغلب. ولد في آخر خلافة عمر، وعندما قتل عثمان كان في الخامسة عشرة من عمره. وشهد مجالس قبيلته، وسمعهم ينشدون تلك الأشعار التي قيلت في مقتل عثمان، وكان موقف تغلب شبيهاً بموقف حسان بن ثابت. . كانوا عثمانيين، ثم سفيانيين. وفي تلك المجالس سمع الأخطل شعر قومه في الجاهلية، كانت تغلب لا تمل إنشاد معلقة شاعرها الجاهلي عمرو بن كلثوم، أما قال القائل «ألهي بني تغلب عن كل مكربة. . قصيدة قالها عمرو بن كلثوم؟» وكان في تغلب شعر. كان شاعرها آنذاك كعب بن جعيل. ولم تحفل القبيلة بدخول كعب هذا في الإسلام، فكثيرون من تغلب دخلوا في الإسلام، لكن العصبية العربية ظلت هي المظلة التي تجمع كل تغلب، (هذا رأينا، ويرى إيليا الحاوي، الذي كتب كتاباً كبيراً عن الأخطل، أن القبيلة اغتاظت لدخول كعب في الإسلام، ولكنها كظمت). وتعرض الصبي المشاكس غياث لشاعر القبيلة وهجاء. ولفوره أدرك كعب أن شاعراً فحلاً قد نبغ في القبيلة. ولعل كعباً هو الذي أطلق على هذا الصبي لقب الأخطل، أي السفه.

نشأ الأخطل فاقدَ حنان، فأمه ليلى من قبيلة إباد، وأغلب الظن أنها رجعت إلى قومها بعد طلاقها تاركة ولدها البكر لأبيه، وكان هذا هو الآيين عند عرب ذلك الزمان. وقد شهدت في زماني في مطلع القرن الحادي والعشرين آباء عرباً متحضرين ومتعلمين تُطَلَّقُ بناتهم ويقول الواحد منهم لابنته: ارمي له أولاده، وتعالى كي أزوجك خيراً منه.

عاش غياث في بيت لا يحبه. . ولا يحبه، مع إخوة له لأبيه آثرتهم أهمهم

عليه. وكان يجد في مجلس القوم سلواه، فهو في مجلس رجال القبيلة فرد ككل فرد، والرجال يأنسون بهذا الفتى السفيه لأنه يحفظ أشعار القدماء، فما يأخذ أحدهم في المجلس برواية قصيدة ويقف متلجلجاً في وسطها إلا وتأتي النجدة من الفتى السفيه المغرم بالشعر. وشب الأخطل، واكتهل شاعر القبيلة كعب بن جعيل. ولم يكن الأخطل يقدر أن يطاول شاعر القبيلة كعب بن جعيل كثيراً، رغم أنه أتخفه بأهجية صغيرة. فكعب يغشى بلاط الخليفة في دمشق، وقد شهد مع معاوية صفين، وله في الأمويين مدائح. وله بابن الخليفة يزيد علاقة طيبة، ويزيد شاعر ويقدر الشعر. فأما الأخطل فقاعد في قبيلته يحفظ شعر الأقدمين، وينشد القوم، ولعله تزوج امرأة تغلبية وبدأ يكثر قطع أغنامه. وبلغ الأخطل الثلاثين من العمر. قل ثلاثة وثلاثين، أو قل حتى خمسة وثلاثين.. لا أدري. هذا تقدير وصلت إليه بقرائن كثيرة أعفك منها. بلغها وهو عند قومه على شاطئ الفرات يرعى غنماته وربما أيضاً نخلاته.

وكان كعب بن جعيل مع يزيد ابن الخليفة معاوية عندما جاء الخبر بأن شاعر الأنصار عبد الرحمن بن حسان بن ثابت يتغزل بأخت يزيد رملة. سمع معاوية بهذا الشعر فلم يأبه به. لكن يزيد اغتاظ. فالأنصار الذين منهم عبد الرحمن هذا وقفوا مع علي في صفين - شذ منهم حسان شاعر الرسول، والنعمان بن بشير الذي قاتل مع معاوية -. فما لهذا الشاعر يخرج عن خط أبيه ويتعرض للأمويين بالتغزل بابنة الخليفة؟ أراد يزيد الانتقام، ولكنه لا يستطيع المساس بعبد الرحمن بن حسان فأمه أخت زوجة الرسول، وإبراهيم ولد الرسول المتوفى طفلاً ابن خالته. ثم إن التعرض لشاعر إنما يكون بالشعر.

طلب يزيد من كعب أن يهجو الأنصار. فقال له كعب: أرادي أنت عن الإسلام. لا والله لا أهجو قوماً نصرروا الرسول. ولكنني أدلك على فتى نصراني من قومنا له لسان كلسان الثور.

وهكذا، أرشد شاعر تغلب الأمويين إلى الأخطل الذي سيصبح شاعر تغلب وشاعر الأمويين.

هجا الأخطل الأنصار وأوجعهم، «ذهبت قريش بالمكارم والعلا.. واللؤم تحت عمائم الأنصار». وفرغ النعمان بن بشير إلى معاوية شاكياً. ولكن معاوية استرضاه، وصرفه.

مدح الأخطل يزيد بن معاوية بقصائد عديدة، ثم تولى يزيد الخلافة

والأخطل كهمل في الخمسين. كان يشرب ويسمع الغناء ويخرج إلى الصيد مع يزيد الأمير، وظل معه وهو خليفة، ولكن مدة يزيد لم تطل فمات بعد أن قتل الحسين وأشعل نار فتنة جديدة.

ومضت سنوات قليلة، ثم تولى عبد الملك بن مروان الخلافة، وقضى ثماني سنوات يقارع عبد الله بن الزبير الذي استقل بالحجاز، وأخاه مصعباً الذي تولى لأخيه العراق. ثم قُتل الأخوان. وخلصت الخلافة لعبد الملك. وفي هذه السنوات احتربت قبائل العرب في العراق كثيراً، وكانت بينها أيام قتل فيها الرجال وبقرت بطون الحوامل. وكانت تغلب في المعركة، وكانت بينها وبين قيس ثارات.

وضع عبد الملك حداً للحروب القبلية في العراق. وقعد على سريره في دمشق، وجاءه الشعراء يمدحونه، وتزلفوا إليه بسب آل الزبير، وتشدد مع أولئك الذين كانوا يمدحوا الزبيرية. لكنه رحب بالأخطل الذي كان هواه مع البيت الأموي.

مدح الأخطل عبد الملك، ومدح أخاه بشراً والي العراق. وصار شاعر الأمويين غير منازع. نافسه عليهم جرير. ولكن الأخطل ظل المفضل عند عبد الملك، ثم ابنه الوليد.

لم يفارق الأخطل سفهه. كان يدخل على عبد الملك بن مروان مخموراً، فيدعوه الخليفة إلى الإسلام فيأبى، ويواجه الخليفة بكلام يمجده فيه الخمر، ثم يقول في ذلك شعراً، ويضحك الخليفة. ولسفه وحمق متأصل في نفسه كان الأخطل يتعرض لجلساء الخليفة. شتم زفر بن الحارث الشيخ القيسي الجليل الذي كان عدواً للأمويين فصالحهم بعد انقضاء عهد ابن الزبير، وحاول الأخطل أن يحمل الخليفة على نقض عهده لزفر والانتقام منه، وكاد أن ينجح في مسعاه.

وجر الأخطل على قومه بسفهه شراً عظيماً عندما تعرض لرجل آخر في مجلس الخليفة.

كان الجحاف السلمي جالساً عند عبد الملك، وكان الأخطل جالساً. وكانوا يأكلون تمرأ. فأخذ الأخطل ينشد مذكراً الجحاف بما تعرض له قومه بنو سليم من قتل على أيدي بني تغلب «ألا سائل الجحاف هل هو ثائر.. بقلبي أصيبت من سليم وعامر»، فذهل الجحاف لهذا الاجترأ، ولتأريث العصبية بعد

أن هدأت الأمور. قالوا أخذ يذهب بالتمر إلى فمه فيضعها في عينه لشدة الغضب. ثم خرج الجحاف من المجلس وقد سقط جانب رءائه، وهو يجره جراً. فحم الأخطل خوفاً. فقال له عبد الملك: أنا أجيرك منه. قال الأخطل: تجيرني يقظان، فمن يجيرني نائماً؟ يعني أن الجحاف سيأتيه في كوابيسه.

خرج الجحاف وجمع جمعاً، وأغار على بني تغلب وقتل منهم كثيراً، حتى لقد أنتنت الجثث ولم يقو بنو تغلب على دفنها فأحرقوها، وبقر الجحاف بطون الحوامل، ونال الأخطل نفسه من ذاك ما ناله فقتل له ابن في هذه الواقعة - يوم البشر - وأسر أبوه، وقيل إن الأخطل نفسه كان وقتئذ عند قومه وأسر بنو سليم وعليه ثوب وسخ، فقال لهم إنه عبد فأطلقوه. وتمة قصة يوم البشر هذا أن الجحاف فر إلى الروم، فاسترضاه عبد الملك على أن يدفع ديات القتلى، فجاء الحجاج في العراق فحمل عنه الديات، وقالوا إن العرب لم تعرف حمالة أبهظ من تلك الحمالة لكثرة من قتلهم الجحاف وقومه.

وأدى سفه الأخطل بالأخطل إلى أن يهجو شاعراً من تميم كان مشتبكاً مع ابن عم له.

كان للأخطل بيت في العراق يستقبل فيه الأضياف فيشربون ويقصفون ويسمعون الغناء. وفي بيته هذا التقى بالفرزدق، وشربا وتصادقا، وجمع بينهما السفه برباط أخوي وثيق. كان الفرزدق يتهاجى مع ابن قبيلته جرير. فكلاهما من تميم المضرية، والأخطل من تغلب الربعية. وأبى للأخطل سفهه أن يترك الجروين في هراشهما، فدخل ثالثاً ينصر الفرزدق على جرير. فسبه جرير بقصائد كثيرة، وسب الأخطل جريراً، وكان بشر بن مروان والي العراق، وأخو الخليفة عبد الملك، سعيداً بهذا التهاجي كل السعادة، وكان يؤجج نار الهجاء بين كل الشعراء.

تحير النقاد القدماء في أي هؤلاء الثلاثة أحسن شعراً. وكان جرير نفسه، عدو الأخطل، أعرف الناس بقيمة خصمه الأدبية، وقال ذلك مراراً. لكنه ظل يهجو. حتى لقد هجاه بعد موته، فجرير في السفه لا يقل عن صاحبيه. ويقدر الدارسون أن الأخطل والفرزدق لدتان، ومولدهما في عام عشرين للهجرة، وأن جريراً أصغر منهما بعشر سنين.

ثم مات الأخطل، ربما سنة ٩٥ للهجرة، وله خمس وسبعون سنة.

شعر الأخطل مكثف مكتنز، تضيق ألفاظه عن معانيه. زد على هذا صعوبة

ألفاظه تدرك معاناة الأقدمين والمحدثين معه. ولم نجد له شرحاً وافياً نستند إليه، فتوكلنا على الله، وتبلغنا بما صنعه فخر الدين قباوة، فهو قد فتح كثيراً من الأبيات في هوامشه، تاركاً الشرح القديم، شرح أبي سعيد السكري، في المتن تحت الأبيات. ورغم أن الديوان وصلنا بروايات جيدة ومعارضات حسنة، وفي نسخ وافرة، فإن صعوبة الأبيات، وتلك اللغة الجاهلية للأخطل، جعلت القدماء يضطربون في الرواية. غير أننا نثق في أن هذا الذي بين أيدينا هو شعر الأخطل التغلبي. يستحق ديوان الأخطل أن يصنع صنعة جديدة بشرح واف. ويستحق هذا ديوان جرير، وديوان الفرزدق، ودواوين كثيرة جداً. حتى دواوين المحدثين كشوقي وحافظ والزهاوي تنتظر الأكاديمي المخلص كي يشرحها. ولو أنست من نفسي قدرة لكنت فعلت شيئاً من ذلك، ولكنني بددت سنواتي في أشغال أخرى فما تعمقت في تاريخ العرب وشعرهم ولغتهم بما يمكنني من شرح دواوين كاملة. فانتخب من الشعر ما فهمت، وعللت النفس بأن ما فهمته هو ما يناسب عصرنا، وشرحت بقدر ما فهمت، واجتهدت وما ألوت.

١ سائل الجحّاف

أَلَا سَائِلِ الْجَحَّافَ هَلْ هُوَ ثَائِرٌ يَقْتُلِي أَصِيبَتْ مِنْ سُلَيْمٍ وَعَامِرٍ

ثائر: آخذ بالثار. قال الأخطل هذا البيت في مجلس عبد الملك بن مروان في حضور «الجحاف السلمي» يعيره بمقتلة قبيلته سليم وقبيلة عامر. سمع الجحاف هذا فخرج من المجلس يتميز غضباً فجمع جمعاً وانتقم شر انتقام من قبيلة الأخطل «تغلب»

٢ الخمرية الكبرى

قال الأخطل يمدح خالد بن عبد الله بن أسيد الأموي، وذكر وقعة البشر:

كَأَنِّي غَدَاةً أَنْصَعَنْ لِلْبَيْنِ مُسَلِّمٌ بِضَرْبَةِ عُنُقِي أَوْ غَوِيٍّ مُعَذِّلٌ

كأنني صبيحة انصرفهن للبين (الفراق) مُسَلِّمٌ (تم تسليمه للسلطان) بضربة عنق (لضرب عنقه)، أو كأنني غوي (سكير) معذل (ملوم)، فأنا مستكين حزين

صَرِيحُ مُدَامٍ يَرْفَعُ الشَّرْبُ رَأْسَهُ لِيَحْيَا، وَقَدْ مَاتَتْ عِظَامٌ وَمَفْصِلٌ

صريح مُدَامٍ (منطرح أرضاً بالخمير) يرفع الشرب (الشاربون) رأسه، كي يحيا (يفيق)، وقد ماتت عظامه ومفاصله

نُهَادِيهِ أَحْيَانًا، وَحِينًا نَجْرُهُ وَمَا كَادَ إِلَّا بِالْحُشَاشَةِ يَعْقِلُ

نهاديه (نرفع رأسه) أحياناً، وأحياناً نجره، ولكنه لا يعقل إلا بالحقاشة (ببقية وعيه)

شَرِبْتُ وَلَاقَانِي لِجَلِّ أَلَيْتِي قَطَارُ تَرَوَى مِنْ فِلَسْطِينَ مُثْقَلُ

بعد أن شبه نفسه بالسكران لفراق الأحبة يمضي في وصف الخمر والشراب. شربت الخمر ولاقاني
لحل أليتي (وقت تحلي من قسمي) قطار (صف من الإبل) تروى (حمل الروايا أي الزقاق) من
فلسطين. وكان الأخطل حلف لا يشرب الخمر عشرة أيام بعد هزيمة قومه

فَقُلْتُ: اصْبَحُونِي لَا أَبَا لِأَيِّكُمْ، وَمَا وَضَعُوا الْأَثْقَالَ إِلَّا لِیَفْعَلُوا

قلت اصبحوني (ناولوني خمرة الصباح) لا أبا لأبيكم (دعاء تطرف لا شتم)، وهم ما أنزلوا قِربَ
الخمر إلا كي يسقوني

أَنَاخُوا فَجَرُّوا شَاصِيَاتٍ كَانَتْهَا رِجَالٌ مِنَ السُّودَانِ لَمْ يَتَسَرَّبَلُوا

أناخوا جمالهم وجروا شاصيات (قرباً) كأنها رجال سود بغير ثياب. فزقاق الخمر من جلود
الماشية، وهيئة الرق كهيئة العنز وقد طلي بالزفت حتى لا ينسرب الخمر، فهو أسود

وَجَاءُوا بِبَيْسَانِيَّةٍ هِيَ بَعْدَمَا بُعِلَ بِهَا السَّاقِي أَلْذُّ وَأَسْهَلُ

جاءوا بخمر من بيسان بفلسطين، وهي بعدما يُعل بها (يسقى مرة بعد مرة) الساقى (المسقى) تزاد
لذة وسهولة انحدار في الحلق. قلنا الساقى = المسقى، مثل الكاسى أي المكسوّ، وخالفنا في
فهنا الكلمة الأب صالحاني وربما أيضاً السكري صاحب النسخة

تَمَرُ بِهَا الْأَيْدِي سَنِحاً وَبَارِحاً وَتَوْضَعُ بِاللَّهْمِّ حَيٍّ وَتُحْمَلُ

تمر الأيدي بكؤوس الخمر سنيحاً وبارحاً (من اليمين ومن الشمال)، ويضع الشاربون كؤوسهم
ويرفعونها قائلين: اللهم حيّ (يقولون في زمننا للضيف: حيّا الله!)

وَتُوقِفُ أَحْيَاناً فَيُفْصَلُ بَيْنَنَا غِنَاءٌ مَغْنٌ أَوْ شِوَاءٌ مُرْغَبِلٌ

وبين الشرب والشرب توقف لتسمع الغناء، أو لناكل اللحم المشوي المرعبل (المشْرَح)

فَمَا لَبِثْنَا نَشْوَةَ لَحِقَتْ بِنَا تَوَابِعُهَا مِمَّا نُعَلُّ وَنُنْهَلُ

وما لبثنا (قد عاجلتنا) نشوة الخمر وما تبعها من سكر لكثرة ما نعل ونهل (نشرب مرة بعد مرة،
والنهل: الشرب الأول، والعلل: الثاني وما بعده)

تَدِبُّ دَبِيباً فِي الْعِظَامِ كَأَنَّهُ دَبِيبُ نِمَالٍ فِي نَقَا يَتَهَيَّلُ

تسلل الخمر إلى العظام كأنها دبيب النمل على النقا (كومة الرمل) والرمل يتدحرج من مشي النمل
عليه.

فَقُلْتُ اقْتُلُوهَا عَنْكُمْ بِمِزَاجِهَا فَأَطِيبَ بِهَا مَقْتُولَةً حِينَ تُقْتَلُ

قلت اقتلوهها عنكم (خففوا أثرها عليكم) بمزاجها بالماء، وما أطيبها حين تمزج،
فهذا يطيل وقت الشرب

أَعَاذِلْ إِلَّا تُقْصِرِي عَنْ مَلَامَتِي أَدْعُكَ وَأَعْمِدْ لِّلَّتِي كُنْتُ أَفْعَلُ
يا عاذلتي إلا (إن لم) تقصري (تكفي) عن لومي أتركك، وأعكف على ما كنت أفعل

وَبِيدَاءِ مِمَّحَالٍ كَأَنَّ نَعَامَهَا بِأَرْجَائِهَا الْقُضْوَى أَبَاعَرُ هُمْلُ
رب صحراء قاحلة تراها من بعيد فترى طيور النعام في أرجائها البعيدة كأنها أباعر (جمال)
همل (متروكة)

تَرَى لَامَعَاتِ الْآلِ فِيهَا كَأَنَّهَا رَجَالٌ تَعَرَّى تَارَةً وَتَسْرِبُلُ
ترى الآل (السراب) يلمع فكان النعام رجال يتعرون حيناً ويلبسون حيناً،
بحسب حركتها إزاء السراب

مَلَاعِبُ جَنَّانٍ كَأَنَّ تَرَابَهَا إِذَا أَظْرَدَتْ فِيهِ الرِّيحُ مُغْرِبُلُ
هذه الصحراء كأنها ملاعب الجن، وترابها كأنه يغربل بالغرايل عندما تظرد (توالى) عليه الرياح
يمينا ويساراً

أَجَزْتُ إِذَا الْحِرْبَاءُ أَوْفَى كَأَنَّهُ مُصَلَّ يَمَانٍ أَوْ أُسِيرٌ مَكْبَلُ
هذا الصحراء أجزتها (قطعتها) في عز الظهر، في وقت كان الحرباء فيه قد أوفى (انتصب) كأنه
يصلي متجهاً نحو اليمن لتحريكه رأسه باتجاه الشمس، أو كأنه أسير مقيد يحرك رأسه
دون الانتقال من مكانه

إِلَى ابْنِ أَسِيدٍ خَالِدٍ أَزْقَلْتُ بِنَا مَسَانِيْفُ تَعْرَوْرِي فَلَاةٌ تَغَوَّلُ
قطعت الصحراء قاصداً أسيد بن خالد، وإليه أركلت (أسرعت) بنا الأبل المسانيف
(المهزولة لطول السير) التي تعروري الفلاة (تركبها وهي عارية من كل نبت) والفلاة تغول
(تُفِيلُ الناس). أما الرجل الذي «يعروري» الفرس فهو الذي يركبه دون سرج

تَرَى الثَّعْلَبَ الْحَوْلِيَّ فِيهَا كَأَنَّهُ إِذَا مَا عَلَا نَشْرًا حِصَانٌ مُجَلَّلُ
ترى الثعلب الحولي (الذي بلغ عاماً من عمره) في هذه الصحراء وقد علا نشراً (مرتفعاً) كأنه
حصان مجلل (عليه السرج)

فَمَا زَالَ عَنْهَا السَّيْرُ حَتَّى تَوَاضَعَتْ عَرَائِكُهَا مِمَّا تُحَلُّ وَتُرْحَلُ
فما انقطع سير الإبل حتى تواضعت (هبطت) عرائكها (أسنمتها) لكثرة الحل والترحال. وسنام
الجمال يذوب مع الهزال

أَخَالِدُ مَاوَاكُم لِمَنْ حَلَّ وَاسِعٌ وَكَفَّاكَ غَيْثٌ لِلصَّعَالِكِ مُرْسَلُ
مأواكم (بيتكم) واسع لمن حل ضيفاً، وكفأك مطر مرسل (هاطل) للصعاليك (الفقراء)

أَبَى عودُكَ الْمَعْجُومُ إِلَّا صَلَابَةً وَكَفَّاكَ إِلَّا نَائِلًا حِينَ تُسْأَلُ
أَبَى عودُكَ الْمَعْجُومَ (طَبْعُكَ الْمُخْتَبَرُ، كما يختبر المرءُ عوداً ليعرف مدى صلابته) إلا أن يكون
صلباً، وأبى كفَّاكَ إلا عطاء حين يسألك السائلون

أَلَا أَيُّهَا السَّاعِي لِبُذْرِكَ خَالِدًا تَنَاءً وَأَقْصِرْ بَعْضَ مَا كُنْتَ تَفْعَلُ
يا من يريد إدراك خالد في السخاء، تناء (كُفَّ) وأقصر (كُفَّ)

لَقَدْ أَوْقَعَ الْجَحَافُ بِالْبِشْرِ وَقْعَةً إِلَى اللَّهِ مِنْهَا الْمُشْتَكَى وَالْمُعَوَّلُ
أوقع بنا الجحاف في يوم «البشر» وقعة، نشكي منها إلى الله، ونعول عليه في الانتقام. وكان
الجحاف السلمي قتل رجال تغلب ويقر بطون الحوامل في وقعة عظيمة

فَسَائِلُ بَنِي مَرَوَانَ مَا بَالُ ذِمَّةٍ وَحَبِلُ ضَعِيفٍ لَا يَزَالُ يَوْصَلُ
فاسأل يا أخطل بني مروان: ما هذه الذمة (المهد)، والجلل الضعيف (الصلة بيننا وبينكم) الذي
نصله مرة بعد مرة. وكان لقوم الأخطل من تغلب ذمة (فهم مسيحيون من أهل الذمة)

فَلَا تَغْيِرْهَا قَرِيشٌ بِمُلْكِهَا يَكُنْ عَنْ قَرِيشٍ مُسْتَمَارٌ وَمَزْحَلٌ
فإن لم تغير قريش (وبنو مروان من قريش) موقفها المتردد منا وتنصرنا بما لها من الملك والسلطة،
فلنا عنها مستمار (ذهاب) ومزحل (انصراف)

وَنَعْرِزُ أَنْاسًا عَرَّةً يَكْرَهُونَهَا وَنَحْيَا كِرَامًا أَوْ نَمُوتُ فَنُقْتَلُ
ونعريز (نُخِرَ) أناساً بئلب يكرهونه، ونقاتل حتى النصر أو الموت

وَإِنْ تَحْمِلُوا عَنْهُمْ فَمَا مِنْ حِمَالَةٍ وَإِنْ ثَقُلْتَ إِلَّا دَمُ الْقَوْمِ أَثْقَلُ
فإن حملت قريش الحمالة عن الذين قُتلوا منا (أي تدفع الديات عنهم) فإن أي حمالة لا تفي بالدم
المسفوك

وَإِنْ تَعْرِضُوا فِيهَا لَنَا الْحَقَّ لَمْ نَكُنْ عَنْ الْحَقِّ عُمَيَانًا بَلِ الْحَقُّ نَسْأَلُ
ونحن نقبل الحق، أي نقبل المال عوضاً عن قتل

وَقَدْ نَزِلُ الثُّغَرَ الْمُخَوْفَ وَيُتَّقَى بِنَا الْبَاسُ وَالْيَوْمُ الْأَعْرُ الْمُحَجَّلُ
ونحن أيضاً نأتي الثغر (جهة القتال) المشحون بالخوف، ويتقى بنا البأس (تُدفع بشجاعتنا الشدائد) ويوم
القتال الأغر المحجل (المشهور، كالحصان ذي الغرة البيضاء والياض في قوائمه فهو حصان مشهور)

٣ القضاعي غول

يَا أَيُّهَا الرَّاكِبُ الْمُزْجِي مَطِيَّتَهُ أَسْرَعُ فَلِنَّكَ إِنْ أُدْرِكْتَ مَقْتُولُ
أيها الراكب الذي يزجي (يسوق) مطيته (دابته)، أسرع فلنك إن أدركت ولحقوا بك فستقتل

لَا يَخْدَعَنَّكَ كَلْبِيَّ بِذِمَّتِهِ إِنْ الْقَضَاعِيَّ إِنْ جَاوَزْتَهُ غُولُ

لا تنخدع بذمة (عهد) الكلبي (وقبيلة كلب هي بعض قضاة) والقضاعي إن جاوزته (غادرته) غول (قاتل يقتالك). وهل هناك أقيح ممن يضيفك ويحميك وأنت في جواره، فإذا غادرت مضارب قبيلته تبعك ليقهلك ويسلبك متاعك؟ في هذين البيتين وفي غيرهما كثير صححت طبعة قباوة أو هام طبعة الأب صالحاني، الذي هو «سبق حائز تفضيلاً»

٤ المولجة سوافها

قال يمدح عبد الملك بن مروان:

لَعَمْرِي لَقَدْ أُسْرِيتُ، لَا لَيْلَ عَاجِزٍ، بِسَاهِمَةِ الْعَيْنِينَ طَاوِيَةِ الْقُرْبِ
والله لقد أسريت (سرت ليلاً) ليس لعجز عن حماية نفسي، ولكن لأن السير في برد الليل أهون وأسرع، وكان مسيري بناقة ساهمة (غائرة) العينين، طاوية (ضامرة) القرب (الخاصرة)

مُعَارِضَةً خُوصاً حَرَايِجَ شَمَّرَتْ بِنُجْعَةِ مَلِكٍ لَا ضَمِيلٍ وَلَا جَابِ
وناقتي هذه كانت معارضة (مساوقة) خوصاً (نياقاً غائرة الأعين) حرايج (ضامرة) شمريت (أسرعت) كي تتجمع (تطلب العطاء) من ملك لا هو بالضميل ولا الجاب (الغليظ الجافي)

إِذَا صَحَّبَ الْحَادِي عَلَيْهِنَّ بَرَزَتْ بَعِيدَةً مَا بَيْنَ الْمَشَافِرِ وَالْعَجَبِ
إذا رفع الحادي (سائق الإبل) صوته صاخباً برزت نياقي (سقت) ومدت كل ناقة جسمها، وإن المسافة بين مشافرها (شفتيها) وعجبها (أصل ذنبها) لطويلة، أي هي ناقة كبيرة الجرم

وَكَمْ جَاوَزْتَ بَحْراً وَلَيْلاً يَحْضُنُهُ إِلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَمِنْ سَهْبِ
عبرت نياقي البحار (يقصد الأنهار) وعبرت الليل والسهوب (الصحارى)، وخاضت هذا كله لتصل إلى أمير المؤمنين

يَخْدُنَ بِنَا عَنْ كُلِّ شَيْءٍ كَأَنَّا أَخَارِيسُ عِيُوا بِالسَّلَامِ وَبِالنَّسْبِ
يخدن (يسرعن) بنا عن كل شيء (متجاوزات كل شيء وغير متوقفات) فكأننا أخاريس (بكم، خرس لا نتكلم) عيوا بالسلاام وبالنسب (عجزوا عن الكلام مع الأقوام الذين نمر بهم، وعن الانتساب بذكر قبيلتنا كما ينبغي للضيف)، فنحن نمر سريعاً بالأقوام ولا نكلهم

إِذَا طَلَعَ الْعَيُوقُ وَالنَّجْمُ أُولِجَتْ سَوَالِفُهَا بَيْنَ السَّمَائِينَ وَالْقَلْبِ

إذا بدا نجم «العيوق» والنجم (يقصد الثريا)، أدخلت الناقة سوافها (خديها) بين السماكين (نجمان) والقلب (نجم). في هذا البيت يصف الأخطل المنظر من زاوية راكب الناقة، فهو يقعد منخفضاً قرب ذنبها بينما رأسها عالٍ، ويراهما تضع رأسها بين النجمين وتسير في الليل. وأن تضع الناقة رأسها بين نجمين عبارة فيها من الشعر ما فيها

إِلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رَحَلْتُهَا عَلَى الطَّائِرِ الْمَيْمُونِ وَالْمَنْزِلِ الرَّحْبِ
رحلت ناقتي (جهزتها بالرحل أي بالسرج وتوابعه) إليك، على الطائر الميمون (على أمل أن الطير
يتجه يميناً فهذا فال حسن) وعلى أمل المنزل الرحب في كشف

إِلَى مُؤْمِنٍ تَجَلَّوْا صَحِيفَةً وَجْهَهُ بَلَايِلَ تَغْشَى مِنْ هُمُومٍ وَمِنْ كَرْبِ
وجه الخليفة يجلو البلايل (يكشف القلق ويزيله) التي تغشى (تأتي)

مُنَاخُ ذَوِي الْحَاجَاتِ، يَسْتَمْطِرُونَهُ عَطَاءَ كَرِيمٍ مِنْ أَسَارَى وَمِنْ نَهَبِ
الخليفة مناخ ذوي الحاجات (موضع نزول إبلهم) ويستمطرونه (يطلبون أن يمطر عليهم بالعطاء)
ويطلبون الجواري والغلمان من الأسارى (الأسرى) والنهب (الغنيمة)

تَرَى الْحَلَقَ الْمَادِّيَّ تَجْرِي فَضُولُهُ عَلَى مُسْتَخَفٍ بِالنَوَائِبِ وَالْحَرْبِ
ترى الدرع المسرودة من حلقات ماذية (حديدية) تسدل وتجري فضولها (ذبولها) على جسم
الخليفة، هذا الخليفة المستخف بالمصائب والحروب

أُخُوها، إِذَا شَالَتْ عَضُوضاً سَمَا لَهَا عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ ذُلُولٍ وَمِنْ صَعْبِ
هو أخو الحرب، فإذا شالت (تهأت، كما تشول الناقة رافعة ذنبها للقاح) عضوضاً (شديدة) سما
لها (ارتفع وتهأت) مهما تكن حالها: أهي ذلول (ناقة أنيسة) أم صعبة جامحة

وَفِي كُلِّ عَامٍ مِنْكَ لِلرُّومِ غَزْوَةٌ بَعِيدَةٌ أَثَارِ السَّنَابِكِ وَالسَّرْبِ
تتغلغل في بلاد الروم تاركاً آثار سنابك خيلك (خوافرها)، ولك فيها سرب (دخول) عميق

أَهْلُوا مِنَ الشَّهْرِ الْحَرَامِ فَأَصْبَحُوا مَوَالِيَّ مُلْكٍ لَا طَرِيفَ وَلَا غَضَبِ
أهل بنو أمية (خرجوا) من الشهر الحرام فإذا هم موالى (أصحاب) ملك غير طريف (غير جديد)،
فهم ملوك منذ القدم) ولا غصب (لم يغصبوا الملك بل هو حقهم)

وَلَمْ تَرَ عَيْنِي مِثْلَ مُلْكٍ رَأَيْتُهُ أَتَاكَ بِلَا طَعْنِ الرِّمَاحِ وَلَا الضَّرْبِ
الطعن للرماح، والضرب للسيوف

وَلَكِنْ رَأَاكَ اللَّهُ مُوَضِّعَ حَقِّهِ عَلَى رُغْمِ أَعْدَاءٍ، وَصَدَادَةٍ كُذِّبِ
صدادة كذب: الذين يصدون عن الحق ويكذبون

لَحَى اللَّهَ صِرْماً مِنْ كُلِّيبٍ كَأَنَّهُمْ جِدَاءُ حِجَازٍ لَا جِثَاتٍ إِلَى زَرْبِ
لحى الله (لعن) صرماً (جماعة) من كلييب (قبيلة جرير) كأنهم غنم محجوزة مدجنة تلجأ إلى زرب
(زريبة من قصب)

بَنِي الْكَلْبِ لَوْلَا أَنَّ أَوْلَادَ دَارِمٍ تَذَبُّبُ عَنْكُمْ فِي الْهَزَاهِزِ وَالْحَرْبِ . .
يا بني الكلب (مسبة كالتى نسمعها اليوم، فأما «كلب» وحدها فقبيلة أخرى بعيدة) ولولا أن قبيلة دارم تذبذب (تدافع) عنكم في الهزاهز (الشدائد) والحرب . .

إِذْنٌ لَا تَقْبَلُكُمْ مَالِكًا بِضَرْبَةٍ كَذَلِكَ يُعْطِيهَا الذَّلِيلُ عَلَى الْعَصْبِ . .
لكتمت اقبليتم شر مالك بن حنظلة بدفع ضربة،
والذليل يدفع على العصب (مجبوراً)

٥ سيايا

أَلَا مَنْ مُبْلَغٌ قَيْسًا رَسُولًا فَكَيْفَ وَجَدْتُمْ طَعَمَ الشُّقَاقِ
أَصْبْنَا نِسْوَةً مِنْكُمْ جَهَارًا بِلَا مَهْرٍ يُعَدُّ، وَلَا سِيَاقٍ
مهر يعد: المهر الذي يكون بالدرهم تُعَدُّ عداءً، والسياق: ما يساق من إبل في المهر

٦ شماتة بالزبيرية

أَقْفَرَتِ الْبُلْخُ مِنْ عَيْلَانَ فَالرُّحْبُ فَالْمَحْلِيَّاتُ فَالْخَابُورُ فَالشُّعْبُ
أقمرت كل هذه الأماكن من قبيلة عيلان التي أجليت عنها بعد هزيمة ابن الزبير في العراق
والحجاز، وكانت قيس عيلان زبيرية الهوى

فَأَصْبَحُوا لَا يَرَى إِلَّا مَسَاكِينُهُمْ كَأَنَّهُمْ مِنْ بَقَايَا أُمَّةٍ ذَهَبُوا
الشرط الأول بعض آية قرآنية، لعل الأخطل استعمله بعد الفرزدق، الأُمم الذاهبة: المنقرضه كعاد
وتمود والعماليق

فَاللَّهُ لَمْ يَرْضَ عَنْ آلِ الزُّبَيْرِ وَلَا عَنْ قَيْسِ عَيْلَانَ حَيًّا طَالَمَا خَرُبُوا
طالما خربوا: كثيراً ما سرقوا

يُعَازِطُمُونَ أَبَا الْعَاصِي، وَهُمْ نَفَرٌ فِي هَامَةِ مِنْ قُرَيْشٍ دُونَهَا شَذَبُ
يعاظمون (يفاخرون) أبا العاصي (عبد الملك بن مروان)، وهم (الأمويون) في هامة (رأس) من
قريش دونها شذب (تحتها شوك)، فهم كالثمر في رأس الشجرة ودون الوصول إليه شوك يحميه،
كناية عن عز الأمويين

إِنْ يَحْلُمُوا عَنْكَ فَالْأَحْلَامُ شِيَمَتُهُمْ وَالْمَوْتُ سَاعَةٌ يَحْمَى مِنْهُمْ الْغَضَبُ
الأحلام (العقول الراجحة) شيمتهم (طبيعتهم) فإذا حمى غضبهم فهم الموت

كَأَنَّهُمْ عِنْدَ ذَاكُمْ لَيْسَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَنْ حَارَبُوا قُرْبَى وَلَا نَسَبٌ

ينسون في الغضب القرابة والنسب. فابن الزبير من قريش وبينه وبين الأمويين القرشيين نسب قريب. لا بل كان بين عبد الملك وبين مصعب ابن الزبير، الذي كان يتولى العراق لأخيه عبد الله، صداقة ومحبة عميقة وصحبة في أيام الشباب. وقتل جند عبد الملك مصعباً، وجاءوه برأسه فقال كلمته المأثورة: «الملك عقيم»

كَانُوا مَوَالِيَّ حَقٌّ يَطْلُبُونَ بِهِ فَأَذْرَكُوهُ وَمَا مَلُّوا وَلَا لَعَبُوا
الأمويون موالي (أصحاب) حق (والحق هو ثار عثمان، كما سيأتي)، وأدركوه (وصلوا إليه) وما لغبوا (تعبوا)

هُمْ سَعَوْا بِابْنِ عَقَّانَ الْإِمَامِ، وَهُمْ بَعْدَ الشَّمَاسِ مَرَوْهَا ثُمَّتَ اخْتَلَبُوا
سعوا في طلب الثار من قتلة عثمان، وبعد الشماس (جموح الناقة، كناية عن اشتعال الفتنة) مروها (هدأوها بمسح ضرعها) ثمت (ثم) حلبوها

حَرْباً أَصَابَ بَنِي الْعَوَامِ جَانِبُهَا بُعْدًا لِمَنْ أَكَلَتْهُ النَّارُ وَالْحَطَبُ
حرباً (يا لها حرباً) أصابت بني العوام (أبناء الزبير بن العوام)

حَتَّى تَنَاهَتْ إِلَى مِصْرٍ، جَمَاعَتُهُمْ تَعْدُو بِهَا الْبُرْدَ مَنْصُوباً بِهَا الْحَشَبُ
تناهت (وصلت) الحرب إلى مصر، ومنها عادت جماجم قاتلي عثمان منصوبة فوق الأعواد. وبمصر قتل الأمويون محمد بن أبي بكر الصديق أحد من كانوا بالدار من أعداء عثمان، ومن مصر جاء كثيرون ممن ثاروا على عثمان

٧ وإذا دعونك عمهن

مَا إِنْ رَأَيْتُ كَمَكْرِهِنَّ إِذَا جَرَى فِينَا، وَلَا كَحِبَالِهِنَّ حَبَالَا
لم أر كمكر النساء ولا كحبالهن (شباكهن)

الْمُهْدِيَاتِ لِمَنْ هَوَيْنَ مَسَبَّةً وَالْمُحْسِنَاتِ لِمَنْ قَلَيْنَ مَقَالَا
يشتمن من يحببن، ويحسنن القول لمن يقلين (بكرهن)

إِنَّ الْعَوَانِيَّ إِنْ رَأَيْتُكَ طَاوِيَاً بُرَدَ الشَّبَابِ طَوْنٌ عَنْكَ وَصَالَا
إذا رأيتك الغواني (الحسان) قد طويت برد الشباب (طويت ثياب شبابك، أي ذهب شبابك)، طوين وصالهن (قطعن العلاقة)

وَإِذَا وَعَدْتُكَ نَائِلًا أَخْلَفَنَهُ وَوَجَدْتَ عِنْدَ عِدَاتِهِنَّ مِطَالَا
النائل (العتاء، من سهرة تحت نخلة، أو ما فوق ذلك)، وعداتهن مبطولة: وعودهن فيها تسويق

وَإِذَا دَعَاكَ عَمَّهُنَّ فَإِنَّهُ نَسَبَ يَزِيدُكَ عِنْدَهُنَّ خَبَالًا

إذا قالت لك الحساء يا عمي، فهذا نسب يزيدك خبالاً (فاداً)

وَإِذَا وَرَّزَنْتَ حُلُومَهُنَّ إِلَى الصُّبَا رَجَعَ الصُّبَا بِحُلُومِهِنَّ فَمَالَا

لو وزنت (قارنت) حلومهن (عقولهن) بالصبا (الطيش) لوجدت الطيش أرجح منها فكفته تميل نازلة، وكفة عقولهن تشيل صاعدة

أَهْيَ الصَّرِيمَةُ مِنْكَ أَمْ مُحَلِّمٌ أَمْ ذَا الدَّلَالُ، فَطَالَ ذَاكَ دَلَالًا

أهذه هي الصريمة (القطيعة) منك يا أم محلم؟ أم هو فقط دلال؟ فما أطول هذا الدلال!

إِنَّا نُعْجَلُ بِالْعَبِيطِ لِضَيْفِنَا قَبْلَ الْعِيَالِ، وَنَقْتُلُ الْأَبْطَالَ

نعجل بالعبيط (اللحم) للضيف قبل أولادنا، ونحن شجعان في الحرب

أَبْنِي كَلِيبٍ إِنَّ عَمِّي اللَّذَا قَتَلَا الْمُلُوكَ وَفَكَكَا الْأَغْلَالَ

يا بني كليب (قوم جرير) إن اثنين من أعمامي هما من قتل الملوك، وفك أغلال (قيود) الأسرى. فقد قتل رجلان من تغلب في الجاهلية ملكين من الملوك هما المنذر بن النعمان، وعمرو بن هند

وَلَقَدْ بَكَى الْجَحَافُ مِمَّا أَوْقَعَتْ بِالشَّرْعِيَّةِ إِذْ رَأَى الْأَهْوَالَ

بكي الجحاف السلمي مما أوقعت رجالنا بقومه في معركة «الشرعية» من قتل

وَلَقَدْ جَشِئْتُ، جَرِيرُ، أَمْرًا عَاجِزًا وَأَرَيْتَ عَوْرَةَ أُمِّكَ الْجُهْلَالَ

لقد جشمت (كلفت نفسك) يا جرير أماً عاجزاً (معجزاً لك)، ودللت السفهاء على عورة أمك بتعرضك لي وهجائي لك، فأنا قد كشفت عورات أهلك

وَإِذَا سَمَا لِلْمَجْدِ قَرَعًا وَائِلٍ وَاسْتَجْمَعَ الْوَادِي عَلَيْكَ فَسَالَا .

إذا سما (ارتفع) فرعا وائل (بكر وتغلب) للمجد، وجمع الوادي عليك فسالا .

كُنْتُ الْقَذَى فِي مَوْجٍ أَكْدَرَ مُزِيدٍ قَذَفَ الْآتِي بِه فَضَلَّ ضَلَالًا

كنت في هذا السيل القذى (ما يحمله السيل من أغصان وأوساخ) تسبح في الموج المكدر ذي الزبد، وهذا القذى قذف به الآتي (السيل المفاجئ) فأخذ يتخبط وضلَّ ضلالاً

فَانْعَقُ بِضَائِنِكَ يَا جَرِيرُ، فَإِنَّمَا مَنَنْتَكَ نَفْسُكَ فِي الْخَلَاءِ ضَلَالًا

انعق (اصرخ على غماتك) ولا تزد على ذلك. فقد تمنيت الأمان في المضلة في الخلاء (تمنيت وحذك بلا قريع يردعك، ومن أراد أن يغلب بسهولة لعب الشطرنج وحده، وقالت العرب: كل مجر في الخلاء يسر، أي أن الذي يُجري فرسه وحده فسوف يأتي سابقاً لا محالة)

مَنَنْتَكَ نَفْسُكَ أَنْ تُسَامِيَ دَارِمًا أَوْ أَنْ تُوَازِنَ حَاجِبًا وَعِقَالًا

تسامي: تباري، وهؤلاء هم أجداد الفرزدق الشاعر، وكان الأخطل ينصر الفرزدق على جرير

الْمَائِعِينَ الْمَاءَ حَتَّى يَشْرَبُوا عَفْوَائِهِ، وَيُقَسِّمُوهُ سِجَالًا
قوم الفرزدق أقوياء يمنعون غيرهم من ارتياد حياض الماء حتى يشربوا عفواته (الصابي منه) وحتى
يقسموا الماء بسجالهم (دلائهم، جمع دلو) على النياق لتحمله إلى مضاربهم

وَابْنُ الْمَرَاعَةِ حَابِسٌ أَغْيَارُهُ قَذَفَ الْغَرِيبَةَ، مَا يَذُقْنَ بِلَالًا
وابن المראה (ابن الحمارة، لقب جرير عند خصومه) حابس أغياره (حميره، وكان قوم جرير أصحاب
حمير)، ينتظر أن يستقي، وحميره قد أقصيت عن الماء مثل الناقة الغريبة التي تدخل ديار قوم
فيفقدونها بالحجارة لتذهب عنهم كيلا يتهموا بسرقتها، وحمير جرير لا تذوق بلالاً (ما يبل عطشها)

٨ حليها أو دمها

وَمَحْبُوسَةٌ فِي الْحَيِّ ضَامِنَةُ الْقَرَى إِذَا اللَّيْلُ وَاثَاها بِأَشْعَثَ سَاغِبِ
رب إبل نحتفظ بها في الحي لتضمن القرى (طعام الضيف) عندما يوافيها الليل بضيف أشعث
الشعر زري الهيئة ساغب (جائع)

مُعَقَّرَةٌ لَا تُنْكِرُ السِّيفَ وَسُطْهَا إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهَا مَعَسٌ لِحَالِبِ
الإبل معقرة (معدة للذبح) ولا تستغرب السيف ونحن نلوح به بينها، فكثيراً ما نأتيها لنذبح إحداها إن لم
يكن في هذه الإبل معس لحالب (مطلب لمن يحلبها، أي نذبحها إن لم يكن فيها حليب للضيف)

٩ مطالبة

إِذَا وَزَنَ الْأَقْوَامُ لَمْ يُلَفَّ فِيهِمْ كِبِشْرٌ، وَلَا مِيزَانُ بَشْرِ يَعَادِلُهُ
إذا قدرت أقدار الناس لم تُلف (تجد) مثل بشر بن مروان والي العراق، ولم تجد شخصاً يعادل
ميزان (مقدار) بشر

أَعْرُ عَلَيْهِ النَّاجُ، لَا مُتَعَبِّسٌ وَلَا وَرَقُ الدُّنْيَا عَنِ الْحَقِّ شَاغِلُهُ
ويبدو أن الأمويين اتخذوا التيجان، فعبيد الله بن قيس الرقيات يمدح الخليفة عبد الملك بن مروان
بـ «يعتدل التاج فوق مفرقه.. على جبين كأنه الذهب». وهذا بشر أو عبد الملك يلبس تاجاً،
وورق الدنيا (نعيمها) لا يشغله عن الحق

إِذَا انْفَرَجَ الْأَبْوَابُ عَنْهُ رَأَيْتَهُ كَصَدْرِ الْيَمَانِيِّ أَخْلَصَتْهُ صَيَاقِلُهُ
كأنما كانت تفتح أبواب المجلس حين يؤذن للناس فيدخلون فيرون في صدر المجلس بشراً قاعداً
على سريره مهيباً وضاء كأنه السيف أجاد صقله الصياقل (صانعو وصاقلو السيوف)

فَلَا تَجْعَلْنِي يَا ابْنَ مَرْوَانَ كَامِرِي غَلَّتْ فِي هَوَى آلِ الزُّبَيْرِ مَرَاجِلُهُ
فلا تعاملني يا بشر بن مروان كمن كانت مراجله (قدوره) تغلي بما ارتزق من آل الزبير قبل زوال
حكمهم، وكان مصعب بن الزبير والي العراق يعطي الشعراء بما يملأ قُدورهم ويظمع عيالهم. نقل
الأخطل «غلي القُدور باللحم» إلى «غلي الصدور بالهوى»

يُبَايِعُ بِالْكَفِّ الَّتِي قَدْ عَرَفْتَهَا وَفِي قَلْبِهِ نَامُوسُهُ وَعَوَائِلُهُ
فهذا الذي كان يناصر الزبيريين يضافحكم الآن مبايعاً، وقد انتصرتكم، بالكف التي تعرف يا بشر
أنها كانت عليكم، وظل في قلبه ناموسه (غشه) وغوائله (أحقاده)

١٠ استغاثة بقریش

قَدْ كَشَفَ الْحِلْمَ عَنِّي الْجَهْلَ فَاَنْقَشَعَتْ عَنِّي الضَّبَابَةُ: لَا نِكْثُ وَلَا وَرَعُ
الحلم (العقل) أزاح عني الجهل (التهور) فانقشعت (انكشفت) عني الضبابة (الغمامة) وزالت أوهام
صباي، فلا أنا نكس (نكرة، ساقط) ولا ورع (جبان)

إِنِّي وَرَبَّ النَّصَارَى عِنْدَ عِيدِهِمْ، وَالْمُسْلِمِينَ إِذَا مَا ضَمَّهَا الْجُمُعُ . .
يخلف برب النصارى في عيدهم، والمسلمين في أيام الجمعة . .

وَرَبِّ كُلِّ حَبِيسٍ فَوْقَ صَوْمَعَةٍ يُنْمِسِي وَلَا هُمَةُ الدُّنْيَا وَلَا الطَّلْعُ . .
ويخلف برب كل راهب حبس نفسه في صومعته زاهداً . .

لَقَدْ مَدَحْتُ قُرَيْشًا، وَاسْتَغْنَتْ بِهِمْ إِذْ مَا أَنَامُ، إِذَا مَا صُحِبَّتِي هَجَعُوا
استغنت بقریش وأنا خائف لا أنام إذا أصحابي هجعوا (ناموا)

وَإِذْ وَشَى بِي أَقْوَامٌ فَأَذْرَكْنِي رَهْطُ الَّذِي رَفَعَ الرَّحْمَنُ، فَارْتَفَعُوا
ذلك عندما وشى بي ناس، ولكن أدركني (نجدني) رهط (قوم) النبي محمد الذي رفعه الله،
فارتفعوا به . . والأمويون أقرب قریش إلى بني هاشم، فهما كلاهما من عبد مناف

إِنِّي دَعَانِي إِلَى بَشِيرٍ فَوَاضِلُهُ وَالْخَيْرُ، قَدْ عَلِمَ الْأَقْوَامُ، مُتَّبِعُ
دعاني إلى مدح بشر بن مروان والي العراق فواضله (تفضله بالعطاء) والخير كما تعلمون متبع
(يتبعه الناس) . . وكما قال اللاحق: يسقط الطير حيث ينثر الحب . . وتغشى منازل الكرماء

١١ الحجاج نخاساً

أَحْيَا إِلَهَ لَنَا الْإِمَامَ فَإِنَّهُ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ، لِلذُّنُوبِ غَفُورُ
أبقى الله الإمام، الخليفة، فهو خير البرية (البشر)، وهو يغفر الذنوب

نُورٌ أَضَاءَ لَنَا الْبِلَادَ، وَقَدْ دَجَّتْ ظُلْمٌ تَكَادُ بِهَا الْهُدَاةُ تَجُورُ
الخليفة نور أضاء البلاد بعد أن دجت (اسودت) ظلم (عتمات) حتى لقد كادت الهداة (الناس
الذين يهدون الآخرين) تجور (تنحرف عن الطريق السوي)

فَعَلَيْكَ بِالْحَجَّاجِ لَا تَعْدِلْ بِهِ أَحَدًا إِذَا نَزَلَتْ عَلَيْكَ أُمُورُ
 فعليك يا عبد الملك بالحجاج فلا أحد مثله. وعبد الملك، وبعده ابنه الوليد، في غنى عن مثل
 هذه النصيحة فقد كان الحجاج حجة عين الخلفتين

وَلَقَدْ عَلِمْتُ، وَأَنْتَ أَعْلَمُنَا بِهِ، أَنَّ ابْنَ يُوسُفَ حَازِمٌ مَنصُورٌ
 علمت أيها الخليفة أن الحجاج بن يوسف حازم منصور

وَأَخُو الصَّفَاءِ فَمَا تَزَالُ غَنِيمَةً مِنْهُ يَجِيءُ بِهَا إِلَيْكَ بِشِيرُ
 وهو رجل صافي الضمير لا يحتجن، لا يحتفظ بالغنائم لنفسه، بل يبعث إليك من يشرك بها..
 ثم طبعاً تأتيك الغنائم بعد البشارة

وَتَرَى الرُّوَاسِمَ يَخْتَلِفْنَ، وَفَوْقَهَا وَرَقُ الْعِرَاقِ: سَبَائِكُ وَحَرِيرُ
 ترى الرواسم (الإبل المسرعة، التي تسمى «الرسيم») يختلفن (يأتين مرة بعد مرة)، وعليها وَرَقُ
 (مال) العراق من سبائك وحرير. ومن قرأ ورق بكسر الراء فتلك الفضة، وبالكسر قرأ قباوة

وَبَنَاتُ قَارِسَ كُلِّ يَوْمٍ تُضْطَفَى يَبْلُونَهُنَّ، وَمَا لَهُنَّ مُهُورُ
 يختارون لك ما يختارون من سبايا الفرس ويبلونهن (يختبرونهن). قال السكري الشارح: «كان
 قتيبة بن مسلم لما قتل فيروز بن كسرى يزدجرد بعث بابتيه إلى الحجاج فأمسك إحداهما وبعث
 بشاهقريد إلى الوليد فأولدها يزيد»

١٢ يزيد والفرات

أَبَا خَالِدٍ دَافَعَتْ عَنِّي عَظِيمَةً، وَأَذْرَكْتَ لَحْمِي قَبْلَ أَنْ يَتَبَدَّدَا
 أبو خالد: يزيد بن معاوية، دافعت عني عظيمة: دفعت عني مصيبة، أدركت لحمي قبل أن يتقطع
 (كان الأخطل مهدداً بقطع لسانه)

وَأَظْفَأْتُ عَنِّي نَارَ نُعْمَانَ، بَعْدَمَا أَغَذَّ لِأَمْرِ عَاجِزٍ وَتَجَرَّدَا
 أخدمت نار غضب نعمان (النعمان بن بشير الأنصاري الذي غضب لهجاء الأخطل
 الأنصار) بعدما أغذ (أسرع) لأمر عاجز (شديد يُعجز المرء) وتجرد (استعد). القصة
 باختصار: هجا الأخطل الأنصار بطلب من يزيد بن معاوية، فجاء النعمان إلى معاوية
 غاضباً، وطلب أن يسلم لسان الأخطل، فجأراه معاوية، ففزع الأخطل إلى يزيد،
 فكلّم أباه فنجا الأخطل

وَلَمَّا رَأَى النُّعْمَانُ دُونِي ابْنَ حُرَّةٍ طَوَى الْكَشْحَ، إِذْ لَمْ يَسْتَطِعْنِي وَعَرَّدَا
 لما رأى النعمان دوني (أمامي ويحميني) ابن حرة (و«يزيد» ابن ميسون الكلية لا ابن جارية) طوى
 الكشح (انصرف) إذ عرف أنه لا ينالني، وعرد (أحجم وهرب)

وَمَا مُزِيدٌ يَغْلُو جَزَائِرَ حَامِزٍ يَشُقُّ إِلَيْهَا خَبِيرَانًا وَغَرَقَدًا..

يبدأ تشبيهاً: ليس الفرات المزيّد (الذي يغلو الزبد صفحته لتدفعه) الذي يغلو جزر حامز (بين الرقة ومنبج) عندما يفيض، شاقاً نحوها غابات الخيزران والغرقد (ضربان من الشجر)..

تَحَرَّزَ مِنْهُ أَهْلُ عَانَةَ، بَعْدَمَا كَسَا سُورَهَا الْأَعْلَى غُثَاءً مُنْضَدًّا..

.. وقد تحرّز (تحصن) من النهر أهل قرية عانة بعد أن فاض ورمى فوق أعلى أسوارها بالغثاء المنضد (ورق الشجر والأغصان المتراكمة مما يحمل النهر في فيضانه)..

يُقَمِّصُ بِالْمَلَّاحِ حَتَّى يَشُقَّهُ الْـ حِذَاؤُ، وَإِنْ كَانَ الْمُشِيحُ الْمُعَوَّدًا..

هذا النهر الهائج يقمص بالملاح (يتلاعب بسفينته) حتى يشقه الحذاؤ (يذهب عقله التيقظ الشديد) حتى وإن كان هذا الملاح المشيح (الحاذق) المعوّد (المجرب) ..

بِمُطَرِّدِ الْأَذِيِّ جَوْنٍ، كَأَنَّمَا زَفَا بِالْقَرَاقِيرِ النَّعَامَ الْمُطَرَّدَا..

يتلاعب الأذّي (الموج) المطرد (المتابع) الجون (الأيض بما فوقه من زبد)، وتراه قد زفا (طرد وفرّق) القراكير (السفن) وكأنها النعام المطرد (المبعد المطرود) ..

كَأَنَّ بَنَاتِ الْمَاءِ فِي حَجَرَاتِهِ أَبَارِيقُ أَهْدَتْهَا دِيَافَ لِصَرَّخَدَا..

كأن بنات الماء (طيور الماء) في حجارته (نواحيه) أبريق (لطول أعناقها) مما يحمله التجار من قرية دياف لقرية صرخد ..

بِأَجُودَ سَبَبًا مِنْ يَزِيدَ إِذَا غَدَتْ بِهِ بُخْتُهُ يَحْمِلُنْ مُلْكًا وَسُودَا

ليس هذا الفرات المتدفق بمائه بأجود (بأسخى) من يزيد إذا غدت (سارت) به بخته (والبخت نوع من الإبل الكريمة) وفوقهن الملك والسيادة. وعلى الفرات قتل رجال يزيد الحسين بن علي لتبدأ فتنة جديدة لم تنته بعد

١٣ الحولية الكبرى

خَفَّ الْقَطِينُ فَرَاخُوا مِنْكَ أَوْ بَكَرُوا وَأَزْعَجَتْهُمْ نَوَى فِي صَرْفِهَا غَيْرُ

خف (أسرع) القطين (القاطنون بجوارنا) فراحو (ذهبوا مساء) أو بكروا (ذهبوا صباحاً) منك (تركوك)، وأزعجتهم (جعلتهم يرحلون) نوى (نية الرحيل) في صرفها غير (في ظروفها تغير للأسوأ). فهم رحلوا بحثاً عن العشب بعد أن اشتدت بهم الحال

كَأَنَّنِي شَارِبٌ يَوْمَ اسْتَبَدَّ بِهِمْ مِنْ قَرْقِفٍ ضُمَّتَتْهَا حِمَصُ أَوْ جَدْرُ

دخلت في مزاج تأملي يوم استبدّ بهم (غلبوا على أمرهم)، فكأنني شارب من قرقف (خمر) من خمور حمص أو جدر

جَادَتْ بِهَا مِنْ ذَوَاتِ الْقَارِ مُتْرَعَةً كَلْفَاءَ يَنْتَحْتُ عَنْ خُرْطُومِهَا الْمَدْرُ

جادت بتلك الخمر خابية مترعة (مملوءة) من ذوات القار (مما طُلي بالزفت) كلفاء (داكنة اللون)
ينحْتُ (يُقتَر) عن فوهتها المدر (الطين)

شَوْقاً إِلَيْهِمْ وَوَجْداً يَوْمَ أَتَبِعُهُمْ طَرْفِي، وَمِنْهُمْ، بِجَنَّتِي «كَوْكَبِ»، زُمْرُ
هذا لشوقي إليهم ووجدي (شغفي) وأنا أتبعهم طرفي (ألاحقهم ببصري)، ومن هؤلاء القوم زمر
(جماعات) في ناحيتي منطقة «كوكب»

حَثُوا الْمَطْيَ فَوَلَّتْنَا مَنَاكِبَهَا وَفِي الْخُدُورِ إِذَا بَاعَمَتْهَا الصُّورُ
حثوا المطي (أسرعوا بالإبل) فأعطتنا مناكيبها (ظهورها)، وفي الخدور (الهودج) الصور (الحسان)
اللاتي كالدمى) نراها حين نباغما (نكلمها بكلام غير مفهوم كأنه بغام الظباء)

يُبْرِقْنَ لِلْقَوْمِ حَتَّى يَحْتَبِلْنَهُمْ وَرَأْيُهُنَّ ضَعِيفٌ حِينَ يُخْتَبَرُ
يبرقن (يلمحن تلميحاً) للقوم حتى يحتبلنهم (يصدنهم صيداً)، مع أن رأيهن ضعيف عند التجربة
(عقولهن غير ناضجة). احبس رجلاً في خدر تر عقله صار ضعيفاً أيضاً

يَا قَاتِلَ اللَّهِ وَصَلَ الْغَانِبَاتِ إِذَا أَبْقَنْ أَنْكَ مِمَّنْ قَدْ زَهَا الْكِبَرُ

زهاك الكبير: أضعفك

أَعْرَضَنَ لَمَّا حَتَّى قَوْسِيْ مُوتَرُهَا وَابْيَضَّ بَعْدَ سَوَادِ اللَّمَّةِ الشَّعْرُ
أعرضت الحسان عندما حنى الله قامتي فصارت كالقوس، والله قد وتّر القامة فكأنها القوس الذي
وضع له وتر، وعندما ابيضت اللمة (الشعر)

مَا يَرْعَوِينَ إِلَى دَاعٍ لِحَاجَتِهِ وَلَا لَهُنَّ إِلَى ذِي شَيْبَةٍ وَطَرُ
لا يراعوين (يتركن التكبر) ويلين صاحب الحاجة، وليس لهن وطر (حاجة) عند شائب

شَرَقْنَ إِذْ عَصَرَ الْعِيدَانَ بَارِحُهَا وَأَيَّسَتْ غَيْرَ مَجْرَى السَّنَةِ الْخُضْرُ
رحلن شرقاً عندما عصر العيدان (جففها) بارحها (الريح الباردة)، وأيسست (جففت) الخضر، أي أصبحت
يابسة، ما عدا مجرى السنة (مجرى سن المحراث، فالزراع هناك آخر ما يجف)

وَقَعْنَ أَصْلاً، وَعُجْنَا مِنْ نَجَائِبِنَا، وَقَدْ تُحَيِّنَ مِنْ ذِي حَاجَةٍ سَفَرُ..
وقعن (نزلن) أصلاً (مساءً، عند الأصيل)، وعجنا نحن نجائبنا (أملنا إبلنا) عندما حان وقت سفر
ذوي الحاجات، أي نحن..

إِلَى أَمْرِي لَا تُعَرِّينَا نَوَافِلُهُ أَظْفَرَهُ اللَّهُ فَلْيَهْنِئْ لَهُ الظَّفَرُ

نسافر إلى رجل لا تعرينا نوافله (لا تتركنا عطاياه محرومين)، وقد انتصر فهنيئاً له

الْخَائِضِ الْعُمَرِ، وَالْمَيْمُونِ طَائِرُهُ خَلِيفَةُ اللَّهِ يُسْتَسْقَى بِهِ الْمَطَرُ

ذهبنا إلى الخائض الغمر (الذي يخوض الماء العميق، أي الشدائد/ لا تنس أن الأخطل نشأ بجانب الفرات ويعرف الفيضانات، ومن هنا كثير من تشبيهاته)، وإلى الميمون طائره (ذي الحظ الحسن) وبوجهه الوضيء نستسقي (كانوا يأخذون رجلاً صالحاً وضيء الوجه إذا أرادوا دعاء الاستسقاء)

وَالْمُسْتَمِرُّ بِهِ أَمْرُ الْجَمِيعِ، فَمَا يَغْتَرُّهُ بَعْدَ تَوْكِيدٍ لَهُ غَرُّ

المستمر (المفتول بإحكام) به أمر الناس جميعاً، والذي لا يغتره (يخدعه) الغرر (الخداع) بعد أن استقام له أمر الخلافة

وَمَا الْفَرَاتُ إِذَا جَاشَتْ حَوَالِبُهُ فِي حَافَتَيْهِ وَفِي أَوْسَاطِهِ الْعَشْرُ

يبدأ تشبيهاً: ليس الفرات إذا جاشت (امتلات بالماء) حوالبه (روافده)، وأصبح في حافتيه (شاطئيه) وفي وسطه أغصان شجر العشر.. (لو كان محمد النويهبي يشرح هذا البيت لطلبته في جامعة الخرطوم، وأخذ يصف شجر العشر، فرآهم يتسمون.. قالوا له: يا أستاذ، انظر من النافذة، ذاك شجر العشر. وعندما ذهبت إلى الخرطوم، كنت أقف أمام بوابة المركز القومي للإعلام وحولي تلامذتي من الصحفيين المتدربين، قلت لهم: أين أجد شجر العشر؟ فقالوا: انظر هناك. كانت شجرة من هذا الشجر مقصوفة وملقى منها غصن كبير على الرصيف الآخر، وعبرنا الشارع، ورأيت شجر العشر، وله ثمر كبير أجوف يتز حلياً كحليب التين]

وَدَعْدَعَتُهُ رِيَّاحُ الصَّيْفِ، وَاضْطَرَبْتُ فَوْقَ الْجَاجِي مِنْ آذِيهِ عُذْرُ

وذعدعت النهر (حركته وفرفته) رياح الصيف، واضطربت فوق جاجي (صدور) آذيه (أمواجه) غدر (جمع غدیر)..

مُسْحَنَفِرًا مِنْ جِبَالِ الرُّومِ، يَسْتُرُهُ مِنْهَا أَكَافِيْفٌ فِيهَا دُونُهُ زَوْرُ

مسحنفراً (مسرعاً) وهو يأتي من جبال الروم وهناك بين الجبال تستره أكافيف (مناكب الجبال) التي فيها زور (تعرج). فالمقبل على النهر في تلك الجبال لا يراه من بعيد فالجبال تحتضنه بجوانبها، فإذا أشرف المرء على النهر رآه يتلوى بين الجبال

يَوْمًا بِأَجْوَدَ مِنْهُ حِينَ تَسْأَلُهُ، وَلَا بِأَجْهَرَ مِنْهُ حِينَ يُجْتَهِرُ

هذا النهر الزاخر ليس أسخى من الخليفة، ولا أجهر (أهيب) منه حين تراه

مُفْتَرِشٌ كَافْتَرَاشِ اللَّيْلِ كَلْكَلَهُ لَوْعَةٌ كَانَتْ فِيهَا لَهُ جَزْرُ

يفترش الخليفة كللكه (صدره) كالأسد متأهباً لوقعة (معركة) سيكون له فيها جزر (قتلى)

مُقَدِّمًا مِثْنِي أَلْفَ لِمَنْزِلَةٍ مَا إِنْ رَأَى مِثْلَهُمْ جِنَّ وَلَا بَشْرُ

يقدم من جنوده مئتي ألف لمنزلة (مكان النزال في الحرب)،

ولم ير جن ولا إنس من قبل هذا العديد

يَغْشَى الْقَنَاظَرَ يَبْنِيهَا وَيَهْدُمُهَا، مُسَوِّمٌ فَوْقَهُ الرَايَاتُ وَالْقَتَرُ
يغشى (يأتي) الجيشُ القناظرَ بانياً هادماً، وهو مسوم (عليه سمات الحرب) وفوقه الرايات،
والقتر (الغبار)

حَتَّى يَكُونَ لَهُمْ بِالطَّفِّ مَلْحَمَةٌ وَيَالثَوِيَّةِ لَمْ يُنْبِضْ بِهَا وَتَرُ
حتى تكون المعركة في «الطف»، وفي «الثوية». وهي معركة التحام بالسيوف والرماح، ولم ينبض
(يبدؤ) بها وتر، أي لم يكن فيها رمي من بعيد فكلها التحام. وتلك المعارك غلب فيها عبد الملك
مصعب بن الزبير

وَتَسْتَبِينَ لِأَقْوَامٍ ضَلَالَتُهُمْ وَيَسْتَقِيمَ الَّذِي فِي خَدِّهِ صَعْرُ
وحتى يعرف الذين ضلوا وحالفوا ابن الزبير ضلالتهم، ويستقيم الذي في خده صعر (ميل). فإن
كنت لاحظت بعض المتعجرفين يميل برأسه وينفخ خده كبراً فأنت تعرف ما «تصعير الخد»
ثم استقلَّ بِأَثْقَالِ الْعِرَاقِ، وَقَدْ كَانَتْ لَهُ نِعْمَةٌ فِيهِمْ وَمُدَّخَرُ
ثم استقل (حمل) أثقال العراق (مشكلاته)، وأنعم على الناس وتألَّفهم وكان له فيهم مدخر
(صنيعة يدخرها في نفوسهم)

فِي تَبْعَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ يَعْصِبُونَ بِهَا مَا إِنْ يُوَازَى بِأَعْلَى نَبْتِهَا الشَّجَرُ
عبد الملك راسخ المكانة في تبعة (النبع نوع من الشجر كبير) من قريش، هي بنو أمية، والناس
يعصبون بها (يلتفون حولها)، وشجرة النبع هذه أعلى من كل ما حولها

تَعْلُو الْهَضَابَ وَحَلُّوا فِي أَرْوَمَتِهَا، أَهْلُ الرِّبَاءِ، وَأَهْلُ الْفَخْرِ إِنْ فَخَرُوا
أمية شجرة فوق هضبة، والروانيون في أرومتها (أصلها)، وهم أهل الرباء (الكثرة) والفخر
حُشِدٌ عَلَى الْحَقِّ، عَيَافُو الْخَنَا أَنْفُ إِذَا أَلَمَّتْ بِهِمْ مَكْرُوهَةٌ صَبَرُوا
حشد (محتشدون) لنصرة الحق، عيافون (كارهون) للخنا (الفحش) أنف (يأنفون الصغائر)،
وصابرون على المكروهة (المصيبة)

وَإِنْ تَدَجَّتْ عَلَى الْآفَاقِ مُظْلِمَةٌ. كَانَ لَهُمْ مَخْرَجٌ مِنْهَا وَمُعْتَصِرُ
إن تدجت (أظلمت) مصيبة كان لهم منها معتصر (مخرج)

أَعْطَاهُمُ اللَّهُ جَدًّا يُنْصَرُونَ بِهِ لَا جَدًّا إِلَّا صَغِيرٌ بَعْدَ مُحْتَقَرٍ
أعطاهم الله جداً (حظاً)، وكل حظ غيره محقر (ضئيل)

شُمُسُ الْعَدَاوَةِ حَتَّى يُسْتَقَادَ لَهُمْ وَأَعْظَمُ النَّاسِ أَخْلَاماً إِذَا قَدَرُوا
شمس (عنيدون جامحون) عند العداوة حتى يستقاد لهم (يُستسلم لهم)
وأعظم الناس عفواً عند المقدرة

هُمُ الَّذِينَ يُبَارُونَ الرِّيحَ إِذَا قَلَّ الطَّعَامُ عَلَى الْعَافِينَ أَوْ قَتَرُوا
إذا هبت الرياح، وهبوبها نذير جفاف، فهم يبارونها في سرعة تقديم الطعام، للعافين (الفقراء) إذا
قتروا (افتقروا)

بَنِي أُمَيَّةَ، نِعْمَاكُمْ مُجَلَّلَةً تَمَّتْ، فَلَا مِئَّةَ فِيهَا وَلَا كَدْرُ
نعمتكم مجللة (شاملة)، ولا تمنون على الناس ولا تكدرون العطاء

بَنِي أُمَيَّةَ قَدْ نَاضَلْتُ دُونَكُمْ أَبْنَاءَ قَوْمِ هُمُ آوُوا وَهُمْ نَصَرُوا
قد ناضلت دونكم (دافعت عنكم) أبناء الأنصار الذين آووا الرسول ونصروه. ذلك، عندما هجا
الأخطل شاعر الأنصار بطلب من يزيد بن معاوية

أَفَحَمْتُ عَنْكُمْ بَنِي النَّجَّارِ، قَدْ عَلِمْتُ عُلْبَا مَعَدٍّ، وَكَانُوا طَالَمَا هَدَرُوا
أنحمت (أسكتُ) بالنباية عنكم بني النجار من الأنصار، وقد علمت عليا معد (أشرف قبائل معد
العدنانية) بفعلي ذاك مع الأنصار القحطانيين الذين كثيراً ما هدرُوا (استطالوا بالكلام)

حَتَّى اسْتَكَانُوا وَهُمْ مِنِّي عَلَى مَضَضٍ وَالْقَوْلُ يَنْفُذُ مَا لَا تَنْفُذُ الْإِبْرُ
فاستكانوا (خضعوا) وهم كارهون إياي، فالقول ينفذ، ويؤثر أكثر من الإبر
(والإبرة زنايى العقرب التي تلسع بها)

بَنِي أُمَيَّةَ إِنِّي نَاصِحٌ لَكُمْ فَلَا يَبِيتَنَّ فِيكُمْ أَمِنًا زُفَرُ
لا تدعوا زفر بن الحارث يبتكم. وكان عبد الملك أعطى زفراً، زعيم القيسية، الأمان بعد
الانتصار عليه، وأخذ زفر يحضر مجلس عبد الملك مما أغاظ الأخطل

إِنَّ الضَّغِينَةَ تَلْقَاهَا، وَإِنْ قَدُمْتُ، كَالْعَرِّ يَكْمُنُ حِينًا ثُمَّ يَنْتَشِرُ
الضغينة (الحقد) تكمن ثم تعود وتظهر، مثل العر (الجرب)

وَقَدْ نُصِرْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِنَا لَمَّا أَتَاكَ بِبَطْنِ الْغُوطَةِ الْخَبَرُ
نحن - بني تغلب - نصرناك في موطننا بالعراق، وأتاك خبر النصر وأنت بالشام. وعندما أنشد
الأخطل هذا البيت قال عبد الملك: بل الله نصرني

وَلَمْ يَزَلْ يُسَلِّمُ أَمْرُ جَاهِلِهَا حَتَّى تَعَيَّا بِهَا الْإِيرَادُ وَالصَّدْرُ
وظلت قبيلة سليم تعاني مما أنزله بها جاهلها (زعيمها «المتهور» عمير بن الحباب) حتى تعيا بها
(صعب عليها) الإيراد والصدر (الدخول والخروج، أي التصرف في شأنها)

إِذْ يَنْظُرُونَ وَهُمْ يَجْنُونَ حَنْظَلَهُمْ إِلَى الزَّوَابِي، فَقُلْنَا بَعْدَ مَا نَظَرُوا
ينظرون وهم في موطنهم الصحراوي حيث ينبت الحنظل، إلى الزوابي (مناطق نهري الزاب التي
تسكنها تغلب)، فقلنا: ما أبعد ما نظروا وطمحوا!

كَرُّوا إِلَى حَرَّتِيهِمْ يَغْمُرُونَهُمَا كَمَا تَكُرُّ إِلَى أَوْطَانِهَا الْبَقَرُ
كروا (رجعوا) بعد الهزيمة إلى حرتيهم (منطقتين في حجارتها سواد) يعمرونها (يسكنونها)،
مثلاً ترجع البقر إلى زرائها بعد المرعى

وَمَا سَعَى فِيهِمْ سَاعٍ لِيُذِرْكُنَا إِلَّا تَقَاصَرَ عَنَّا وَهُوَ مُنْبَهَرُ
لا يحاول منهم من يسعى لإدراكنا إلا قَصُرَ به سعيه وانبهر (انقطع نفسه)

وَقَدْ أَصَابَتْ كِلَابًا مِنْ عَدَاوَتِنَا إِحْدَى الدَّوَاهِي الَّتِي تُخْشَى وَتُنْتَظَرُ
وقبيلة كلاب القيسية أصابها بدهية مما يخشاه المرء ويتنظره (يتوقعه)

أَمَّا كُلَيْبُ بْنُ يَرْبُوعٍ فَلَيْسَ لَهُمْ عِنْدَ التَّفَارُطِ إِيرَادٌ وَلَا صَدْرُ
وقبيلة كليب بن يربوع ليس لها عند التفارط (التسابق نحو الماء) إيراد ولا صدر (لا يردون الماء
ولا يصدرون عنه، لأن غيرهم يسبقهم ويغلبهم عليه)

مُخَلَّفُونَ وَيَقْضِي النَّاسُ أَمْرَهُمْ وَهُمْ بَعِيبٌ، وَفِي عَمِيَاءَ مَا شَعَرُوا
مخلفون وراء القوم عند اتخاذ القرارات الصعبة، والناس تتخذ القرار وهم بغيث (بأرض منخفضة،
أي أنهم غائبون) وفي عمياء (جهالة)، ولا يشعرون بضعتهم

مُلَظَّمُونَ بِأَعْقَارِ الْحِيَاضِ فَمَا يَنْفَكُ مِنْ دَارِمِيِّ فِيهِمْ أَثَرُ
يلطمهم الناس في أعقار الحياض (أطراف أحواض الماء) ويبعدونهم، ولا تخلو وجوههم من أثر
ضرب أو لطم من دارمي (وبنو دارم، وشاعرهم الفرزدق، كانوا يناكفون بني يربوع، وشاعرهم
جرير، مع أنهما كلاهما من نعيم)

قَوْمٌ تَنَاهَتْ إِلَيْهِمْ كُلُّ مُخْرَبَةٍ وَكُلُّ فَاحِشَةٍ سُبَّتْ بِهَا مُضَرُ
كل المخازي تناهت (استقرت وتجمعت) في يربوع، وكل فاحشة منسوبة إلى القبيلة العظمى «مضر»
فإنما سبها يربوع

الْأَكْلُونَ خَبِيثَ الزَّادِ وَحَدَهُمْ وَالسَّائِلُونَ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مَا الْخَبْرُ
يأكلون وحدهم بخلاً، وزادهم خبيث من لحوم الضب مثلاً [ألم يقل أبو نواس: إذا ما تميي أذاك
مفاخرأ/ فقل عَدَّ عن ذا، كيف أكلك للضب؟]، وهم بعيدون عن مركز القرار ويسألون عما جرى
في مجالس القبيلة الكبرى لأنهم غائبون عنها

ثُمَّ الْإِيَابُ إِلَى سُودٍ مُدَنِّسَةٍ لَا يَسْتَحِينُ إِذَا مَا اخْتَكَّتِ النُّقْرُ
ثم يرجعون إلى نساء سود مدنسة، وليس عندها حياء إذا اختكت الفروج، فساوهم وقحات

وَأَقْسَمَ الْمَجْدُ حَقًّا لَا يُحَالِفُهُمْ حَتَّى يُحَالِفَ بَطْنَ الرَّاحَةِ الشَّعْرُ
المجد لا يقاربهم مثلاً لا يقارب الشعر راحة الإنسان

١٤ الثور الرابع

وَمَهْمِهِ طَامِسٌ تُخْشَى غَوَائِلُهُ قَطَعَتْهُ بِكُلُوءِ الْعَيْنِ مِسْهَارٍ

رب مهمه (خلاء) طامس (مطموس: كما قالوا للأحقق لاسعاً بمعنى ملسوع،
وللماء المفقود في الأنابيب فاقداً) تُخشى غوائله (مخاطره المميتة) قطعته بناقة كلوء العين
(صاحبة) مسهار (قوية على مشي الليل وسهره)

بِحُرَّةٍ كَأَتَانِ الصَّخْلِ، أَضْمَرَهَا بَعْدَ الرِّبَالَةِ تَرْحَالِيٍّ وَتَسْبَارِيٍّ

قطعت البر بحرة (ناقة كريمة) كأتان الصخل (صخرة الوادي، وتكون ملساء ضخمة لم يستطع
السيل جرفها) أضمرها (أنحلها) بعد الربالة (السمن) ترحالي وسيري الكثير

أُخِتِ الْفَلَاةُ، إِذَا شُدَّتْ مَعَاقِدُهَا زَلَّتْ قُوَى النَّسْعِ عَنْ كِبْدَاءِ مِسْفَارٍ

هي مصاحبة للفلاة (الصحراء) فإذا شُدَّتْ معاقدها (الجمال التي تربط الرجل بالنياق) انزلت قوى
النسع (جمال الرجل) عن جسم ناقة كبداء (كبيرة الصدر) مسفار (قوية على السفر)

كَأَنَّهَا بُرْجٌ رُومِيٌّ يُشَيِّدُهُ لَزَّ بِجَصٍّ وَأَجْرٌ وَأَحْجَارٍ

الناقة كالبرج من أبراج الروم قد لَزَّ (أحكم بناؤه) بجص (جصين، شيء كالأسمنت)
وأجر (طوب، طابوق) وحجارة

أَوْ مُقْفَرٌ خَاصِبُ الْأُظْلَافِ جَادَ لَهُ عَيْتٌ تَظَاهَرَ فِي مَيْثَاءٍ مِبْكَارٍ

أو كأنها ثور مقفر (يعيش في القفر) خاسب الأظلاف (مخضوبها بالعشب) وقد جاد له بالعشب
المطر الذي تظاهر (تتابع) في ميثاء مبكار (روضة بكر نبتها)

قَبَاتٌ فِي جَنْبِ أَرْطَاةٍ. تُكَفِّثُهُ رِيحٌ شَامِيَّةٌ هَبَّتْ بِأَمْطَارٍ

سكن الثور البري قرب أروطاة (نبته صحراوية). وتكفثه (تتناوبه) ريح شامية (ريح الشمال) ومعها المطر

يَجُولُ لَيْلَتَهُ وَالْعَيْنُ تَضْرِبُهُ فِيهَا بِغَيْثٍ أَجَشِّ الرَّغْدِ نَثَارٍ

يجول ليلاً والعين (السحابة) تسح عليه مطراً مع رعد صوته أجش (خشن) نثار (يثر المطر)

إِذَا أَرَادَ بِهَا التَّغْمِيضَ أَرْقَهُ سَيْلٌ يَدِبُ بِهِذِمِ الثَّرْبِ مَوَارٍ

يمنعه الغمض في ليلته سيل موار (متحرك) يحمل التراب

كَأَنَّهُ إِذْ أَضَاءَ الْبَرْقُ بِهِجَتَهُ فِي أَصْفَهَانِيَّةٍ أَوْ مُضْطَلِي نَارٍ

يلمع البرق فيبدو الثور وقد لمع جلده، فكأنه يرتدي حلة أصفهانية مزعفرة صفراء، أو كأنه يصطلي
ناراً ينعكس ضوءها عليه

حَتَّى إِذَا انْجَابَ عَنْه اللَّيْلُ، وَانْكَشَفَتْ سَمَاوُهُ عَنْ أَدِيمِ مُضْجِرٍ عَارٍ

فإذا انجاب (انحسر) الليل، وكشفت السماء أديمها (وجهها) المصحر (الصفافي) العاري من الغيوم

آتَسَ صَوْتٌ قَنِيصٍ، أَوْ أَحَسَّ بِهِمْ كَالجِنَّ يَهْفُونَ مِنْ جَرْمٍ وَأَنْمَارٍ
آتس (سمع) صوت قنيص (صائدين) وأحس بهم كأنهم محاربون من قبيلتي جرم وأنمار يهفون
(يسرعون) مثل الجن

فَانْصَاعَ كَالْكُوكَبِ الدَّرِيِّ مِيعَتُهُ غَضْبَانَ يَخْلِطُ مِنْ مَعْجٍ وَإِخْضَارٍ
فانصاع (مضى) كالكوكب الدرّي (المتوقّد) ميعته (سرعته)، يركض وهو غضبان يخلط المعج
(الجرّي الشدّيد) بالإخضار (الجرّي المتوسط) وهو يتلوّى بين الأشجار

فَأَرْسَلُوهُمْ يَذْرِيْنَ الثَّرَابَ كَمَا يَذْرِي سَبَائِخَ قُطْنٍ نَذْفُ أَوْتَارٍ
فأرسل الصيادون الكلاب يذرين (يُثرون) التراب المبتل كما يثر ندف أوتار المنجد، الذي ينفش قطن
الفراش بمندفته، سبائخ قطن (قطع القطن)، فالتراب مبتل وهو كقطع القطن لا بهيئة غبار
حتى إذا قلتُ نالتهُ سوابقُها وَأَزْهَقْتُهُ بِأَنْيَابٍ وَأَظْفَارٍ . .
فإذا قلت قد نالت أسبق الكلاب الثورَ وأرهمته بأنيابها وأظفارها . .

أَنْحَى إِلَيْهِنَّ عَيْنًا غَيْرَ غَافِلَةٍ وَطَغَنَ مُحْتَقِرِ الْأَقْرَانِ كَرَارٍ
أنحى (وجّه) الثور إلى الكلاب عيناً غيلاً يقظة، وواجههن بطعنٍ كرار (مهاجم) يحقر الأقران
(الخصوم) لقوته

فَعَفَّرَ الضَّارِبَاتِ اللَّاحِقَاتِ بِهِ عَفَرَ الْغَرِيبِ قِدَاحًا بَيْنَ أَيْسَارٍ
فعفر الكلاب الضاربة (رماها أرضاً)، كما يجبل، أي برمي، الرجل الغريب القداح (السهام التي
يقامرون بواسطتها) بين أيسار (مقامين)، ويختارون غريباً ليقسم بينهم قِدَاح الميسر

يَعْذَنُ مِنْهُ بِحُرَّانِ الْمِثَانِ، وَقَدْ فُرِّقْنَ عَنْهُ بِذِي وَقْعٍ وَأَثَارٍ
يعذن منه (يلجأن) بحزان المِثَان (بالأرض المرتفعة الوعرة) بعد أن فرقهن بقرن له وقع وأثر في
أجسام الكلاب

حَتَّى شَتَا وَهُوَ مَغْبُوطٌ بِغَائِطِهِ يَرَعَى ذُكُورًا أَطَاعَتْ بَعْدَ أَخْرَارٍ
ثم قضى شتاءً مسروراً في غائطه (أرضه المنخفضة) يرعى الذكور (البقل الغليظ) بعد أن يأتي على
الأحرار (البقل الطري)

فَرَّدَ تُغْنِيهِ ذِبَّانُ الرِّيَاضِ كَمَا غَنَى الْغُؤَاةُ بِصَنْجٍ عِنْدَ إِسْوَارٍ
مفرّد يسمع طنين ذباب الرياض، فهو بالنسبة إليه كغناء الغواة (اللاهين) عند إسوار (قائد الفرس)

كَأَنَّهُ مِنْ نَدَى الْقُرَاصِ مُغْتَسِلٌ بِالْوَرَسِ، أَوْ خَارِجٌ مِنْ بَيْتِ عَطَارٍ
كأنّ هذا الثور وقد مسّ الندى المنتشر على نبات القراص الشوكي ذي الزهر الأصفر، كأنه قد
اغتسل بالورس (الكركم، صبغ أصفر) أو خرج من دكان عطار

وَشَارِبٍ مُّزِجٍ بِالْكَأْسِ نَادَمَنِي لَا بِالْحَصُورِ وَلَا فِيهَا بِسَوَّارٍ
رب شارب مريج (سخي يذبح لأضيافه) نادمني على الشراب، وهو غير حصور (بخيل)
ولا سوار (معربد)

نَازَعْتُهُ طَيِّبَ الرَّاحِ الشَّمُولِ، وَقَدْ صَاحَ الدَّجَاجُ، وَحَانَتْ وَقْعَةُ السَّارِي
عاطيته الخمر الشمول (الباردة) عند الفجر وقت صباح الدجاج (يريد الديكة)، وحانت وقعة (نومة)
الساري (الذي سار ليلته)

مِنْ خَمْرٍ عَانَةً يَنْصَاعُ الْفُرَاتُ لَهَا بِجَدُولٍ صَخْبٍ الْآذِيَّ مَوَّارٍ
هذه الخمر من قرية عانة التي ينصاع (يسرع) لها ماء الفرات بجداول صخب الآذي (الموج) موار
(متحرك) ليسقي كرومها

لَهَا رِدَاءَانِ: نَسْجُ الْعَنْكَبُوتِ، وَقَدْ لُقِّتْ بِآخَرَ مِنْ لَيْفٍ وَمِنْ قَارٍ
للخمر في جرتها رداءان: الخارجي نسج العنكبوت لطول ما عتقت،
والآخر من الليف والقار (الزفت)

عَذْرَاءٌ لَمْ تَجْتَلِ الْخُطَّابُ بِهَجَّتْهَا حَتَّى اجْتَلَاهَا «عِبَادِي» بِدِينَارٍ
لم يفضّ جرة الخمر هذه أحد فهي كالعذراء التي لم يجتل (ير) الخطاب جمالها، حتى جلاها لنا
عبادي (من قوم «العباد» من أهل الحيرة النصارى) مقابل دينار

إِنِّي حَلَفْتُ بِرَبِّ الرَّاقِصَاتِ، وَمَا أَضْحَى بِمَكَّةَ مِنْ حُجْبٍ وَأُسْتَارٍ
حلفت برب النياق الراقصات (السائرات المتمايلات المتجهات إلى مكة)،
وبما في مكة من أستار الكعبة

لَأَلْجَأَنَّي قُرَيْشٌ خَائِفًا وَجَلَاءً وَمَوْلَتْنِي قُرَيْشٌ بَعْدَ إِقْتَارٍ
لألجأني قريش خائفاً وجلاً (لقد أوتني من خوف)، وأعطيني المال بعد إقتار (فقر)

الْمُنْعِمُونَ بَنُو حَرْبٍ وَقَدْ حَدَقْتُ بِي الْمَنِيَّةُ، وَاسْتَبْطَأْتُ أَنْصَارِي
أنعم بنو حرب (آل أبي سفيان) وقد حدقت (أحاطت) بي المنية (الموت) واستبطأت النصره

قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا شَدُّوا مَآزِرَهُمْ دُونَ النِّسَاءِ وَلَوْ بَاتَتْ بِأَطْهَارٍ
هؤلاء قوم إذا حاربوا شدوا مآزرهم (ملابسهم) دون النساء (فلا يقربون النساء)
حتى لو باتت بأطهار (غير حائضة)، فهم يوجهون كل همتهم للحرب ويحلقون لا يقربون النساء
إلا بعد ملاقة العدو

١٥ يا ابن غير المختونة

عَفَا «الْجَوُّ» مِنْ سَلَمَى فَبَادَتْ رُسُومُهَا «فَذَاتُ الصَّفَا» صَحْرَاؤُهَا فَقَصِيْمُهَا
عفا (خلا) الجو (اسم مكان) من سلمى ورهطها، وبادت (فنت) رسومها (بقاياها بعد الرحيل)،
وكذا من «ذات الصفا» فلم يعد هناك شيء من آثار القوم في الصحراء أو في القصيم
(منبت شجر الغضا)

وَلَوْ حَمَلْتَنِي السَّرَّ سَلَمَى حَمَلْتُهُ وَهَلْ يَحْمِلُ الْأَسْرَارَ إِلَّا كَتُومُهَا
إِلَيْكَ أَبَا مِرْوَانَ يَمَّمُ أَرْكُبُ أَتُوكَ بِأَنْضَاءٍ خِفَافٍ لُحُومُهَا
يَمم إليك (قصيدك) يا أبا مروان (بشر بن مروان أمير العراق) أركب (رجال راكبون إبلًا)، جاءوك
على أنضاء (إبل مهزولة) وقد خف لحمها لطول السير

نَحْسَرْنَ، وَاسْتَقْبَلْنَ لِلْقَيْظِ وَقْدَةً تُغَيِّرُ أَلْوَانَ الرِّجَالِ سَمُومُهَا
نحسرن (تعبن) وتعرضن لوقدة القَيْظِ (شدة الحر) التي تجعل سمومها (ريحها الحارة) أوجه الرجال
مسمومة متغيرة اللون

إِذَا بَلَغْتَ بِشْرَ بَنِ مِرْوَانَ نَاقَتِي، سَرَتْ خَوْفُهَا نَفْسِي، وَنَامَتْ هُمُومُهَا
إذا وصلت ناقتي الأمير، سرت (ألقت) نفسي الخوف، ونامت همومي

أَبُوكَ أَبُو الْعَاصِي، عَلَيْكُمْ تَعَطَّلْتُ قَرِيْشٌ، لَكُمْ عَزِينُهَا وَصَمِيمُهَا
أبوك هو أبو العاصي المعروف، وقد تعطلت (انضمت) عليكم واحتضتكم قريش التي لكم عزينها
(أنفها الشامخ) وصميمها (أصلها)

بِكُمْ أَذْرَكَ اللَّهُ الْبَرِيَّةَ، بَعْدَمَا سَعَى لِصُهَا فِيهَا، وَهَبَّ عَشُومُهَا
بكم أدرك الله البرية (الخلق) بعدما سعى في الناس اللص (سارق السلطة ابن الزبير) وهب
العشوم (الظالم) يطلب الخلافة لنفسه. وكان بشر بن مروان الممدوح والياً على العراق بعد أن
تغلبت بنو أمية على مصعب بن الزبير والي العراق وأخيه عبد الله الذي أعلن نفسه خليفة بمكة

وَإِنَّكَ لَلْمَأْمُولُ وَالْمُتَّقَى بِهِ إِذَا خِيفَ مِنْ تِلْكَ الْأُمُورِ عَظِيمُهَا
أنت المأمول، وأنت من تقى به (نحتمي) إذا خفنا عظام الأمور

فَلَا تُطْعِمَنَّ لَحْمِي الْأَعَادِي، إِنَّهُ سَرِيعٌ إِلَيْكُمْ مَكْرُهَا وَنَمِيمُهَا
لا تتركني فريسة للأعداء من قبائل قيس، فحقدهم دفين عليك وسريعاً ما يمكنون
(يخدعون) وينمون (يُرجفون وينشرون الشائعات). وكان الأخطل يُدُلُّ على بني أمية
بأن قومه بني تغلب نصرهم، بينما كانت قبائل قيس مع ابن الزبير، وكان الأمير بشر
يحرص الشعراء بعضهم على بعض، ومن هؤلاء الشعراء من كان زبيري الهوى

وَمَا أَنَا إِلَّا مَدُّ الْمَدَى بِمُقْصَرٍ وَلَا عَضَّةٌ مِنِّي بِنَاجٍ سَلِيمُهَا
وما أنا إن مد المدى (في نهاية المطاف) بمقصر في هجاء الشعراء، والعضة مني (الأهجية)
لا ينجو سليما (الملسوع بها)

يُعَنِّي ابْنُ يَرْبُوعٍ بِشْتَمِي أُمِّهِ وَمَا انْفَلَتَتْ مِنِّي صَحِيحًا أَدِيمُهَا
ليس لجريز إلا أن يغني بقصائدي في شتم أمه، فما أفلتت مني وأديمها (جلدها) صحيح،
بل مزقته تمزيقاً، أي مزق عرضها

وَمَا وَجَدُوا أُمَّالَهُ عَرَبِيَّةً وَمَا أَسْهَرَتْهَا مِنْ خِتَانٍ كُلُّومُهَا
وليس أمه عربية، وما جعلتها كلومها (جروحها) بسبب الختان تسهر من الألم. فهي ليست
مختونة كبنات العرب

وَجَدْتُ كَلْبِيًّا أَلَّامَ النَّاسِ كُلِّهِمْ وَأَنْتَ إِذَا عُدَّتْ كَلْبِيَّبٌ لَثِيمُهَا
كلب: قبيلة جرير

١٦ خذلتُموني

أَلَا أَبْلِغُ بَنِي شَيْبَانَ عَنِّي فَمَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ دُحُولُ
دحول: ثارات. وشييان من ربيعة، فهم لتغلب - قبيلة الأخطل - من الأقارب

وَكُنْتُمْ إِخْوَتِي فَخَذَلْتُمُونِي عَدَاةٌ تَخَاطَرْتُ تِلْكَ الْفُحُولُ
خذلتُموني غداة (صبيحة) تخاطرت (تسابت وتبارت) فحول الرجال في المكارم. وغيركم أعطاني
لدفع ديات قومي، وأنتم امتنعتم

١٧ نقيق الضفادع

أَلَا يَا اسْلَمِي يَا هَنْدُ، هَنْدَ بَنِي بَذْرِ وَإِنْ كَانَ حَيَّانَا عِدَى آخِرِ الدَّهْرِ
اسلمي يا هند، وإن كان حيانا (قبيلتنا) متعاديتين حتى آخر الدهر

أَسِيلَةُ مَجْرَى الدَّمْعِ، أَمَّا وَشَاحُهَا فَجَارٍ، وَأَمَّا الْجِجْلُ مِنْهَا فَمَا يَجْرِي
أسيلة مجرى الدمع (طويلة الخد)، وشاحها على خصرها يجري (يتحرك) لأنها نجيلة الخصر،
وحجلها (خلخالها) ثابت لأن ساقها سمينة

تَنِقُّ بِلا شَيْءٍ شُبُوخُ «مُحَارِبٍ» وَمَا خِلْتُهَا كَانَتْ تَرِيشُ وَلَا تَبْرِي
رجال قبيلة محارب يهذرون كتقيق الضفادع، ولا اظنهم يريشون (يضعون الريش على السهم)
ولا يبرونه، أي أنهم غير ذوي تأثير

ضَفَادِعُ فِي ظِلْمَاءٍ لَيْلٍ تَجَاوَبَتْ فَدَلَّ عَلَيْهَا صَوْتُهَا حَبَّةَ الْبَحْرِ

هم كالضفادع في الظلام تتجاوب أصواتها بالنقيق، فتدل على مكانها حبة البحر (السمة الكبيرة التي تأكل الضفادع). أي أن رجال محارب يقولون كلاماً تافهاً فيجرون على أنفسهم هجاء مولماً

وَنَحْنُ رَفَعْنَا عَنْ «سُلُولٍ» رِمَاحَنَا وَعَمْدًا رَغَبْنَا عَنْ دِمَاءِ بَنِي نَصْرِ

ترفعنا عن سلول وبني نصر ورغبنا عن دمائهم (كرهنا قتالهم)

وَلَوْ بِبَنِي ذُبْيَانَ بَلَّتْ رِمَاحُنَا لَقَرَّتْ بِهِمْ عَيْنِي، وَبَاءَ بِهِمْ وَثْرِي

لو بلت (ظفرت) رماحنا ببني ذبيان لقرت عيني (استرحت) وباء وبني (استراح ثأري)

شَفَى النَّفْسَ قَتْلَى مِنْ سُلَيْمٍ وَعَامِرٍ وَلَمْ تَشْفِهَا قَتْلَى عَنِّي وَلَا جَسْرِ

سليم وعامر وغني وجسر: قبائل

لَعَمْرِي لَقَدْ لَاقَتْ سُلَيْمٌ وَعَامِرٌ عَلَى جَانِبِ الثَّرَارِ رَاغِبَةَ الْبَكْرِ

لاقت هاتان القبيلتان على جانب نهر الثرار في المعركة المشهورة راغبة البكر (المصيبة المييدة)

أَعْنِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِنَائِلٍ وَحُسْنَ عَطَاءٍ لَيْسَ بِالرَّيْثِ النَّزْرِ

يطلب معونة الخليفة بنائل (عطاء)، ليس بالريث (الموئل)، ولا النزر (القليل)

وَلَمَّا تَبَيَّنَّا ضَلَالَةَ مُصْعَبٍ فَتَخْنَا لِأَهْلِ الشَّامِ بَاباً مِنَ النَّصْرِ

عندما بدا لنا أن مصعب بن الزبير والي العراق ضال، انضممنا لبني أمية وأهل الشام، وبنا بدأت تبشير انتصارهم

إِلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَسِيرُهَا تَخُبُ الْمَطَايَا بِالْعَرَانِينَ مِنْ بَكْرِ

نسير (نسير) الإبل نحوك يا أمير المؤمنين وهي تخب (تسرع) بالعرائين من بكر (بسادات قبيلة بكر القيسية وهي غير بكر الربعية) نحملهم إليك أسرى

فَأَسْرَيْنَ خَمْسًا ثُمَّ أَصْبَحْنَ عُذْوَةً يُخَبِّرُنَ أَخْبَاراً أَلَدَّ مِنَ الْخَمْرِ

أسرت الإبل (سارت ليلاً) خمس ليال، وأصبحن صباحاً في الشام ومعهن أخبار سارة

١٨ طِعَانٌ فِضْرَابٌ

وَكُنَّا إِذَا أَحْمَرَ الْقَنَا عِنْدَ مَعْرَكٍ نَرَى الْأَرْضَ أَخْلَى مِنْ ظُهُورِ جِيَادٍ

إذا احمرت القنا (الرماح) من دماء الأعداء نزلنا عن الخيل لكي نضاربهم بالسيف

فَلَا تُوعِدُونَا بِاللِّقَاءِ، وَأَبْرِزُوا إِلَيْنَا سَوَاداً نَلْقَاهُ بِسَوَادٍ

لا توعدوننا باللقاء مجرد تهديد، أبرزوا (أظهروا) لنا سوادكم (جمعكم) للقاء بجمعنا

١٩ المطربة البحاء

يمدح مصقلة بن هبيرة الشيباني:

وَقَدْ لَبِسْتُ لِهَذَا الدَّهْرِ أَعْصَرَهُ حَتَّى تَجَلَّلَ رَأْسِي الشَّيْبُ وَاشْتَعَلَا
لبست لهذا الدهر أعصره (عشته) حتى تجلل (غطى) رأسي الشيب، واشتعل به كأنه نار فوق رأسي

وَقَدْ أَكُونُ عَمِيدَ الشَّرْبِ، تُسْمِعُنَا بَحَاءَ تَسْمَعُ فِي تَرْجِيْعِهَا صَحَلَا
وقد أكون «قد» هنا تؤكد لا تشكك.. هكذا في لغة أيامهم) عميد الشرب (كبير الشاربين، وكان للأخطل في الحيرة دار ضيافة يستقبل فيها الناس والغرباء وكانت محل منادمة وشراب)، ونسمع الغناء من مغنية بحاء (في صوتها بحة)، وعندما ترجع الغناء (بتلذذ صوتها بين درجة ودرجة على سلم النغم فيما يسمونه الـ «تريل») تسمع فيه الصحل (البُحَّة)

مِنَ الْقِيَانِ هَتُوفٌ، طَالَمَا رَكَدَتْ بِفِثْيَةٍ يَشْتَهُونَ اللَّهْوَ وَالْعَزَلَا
قبة (مغنية) هتوف (صيته، لها غناء عالٍ) كثيراً ما ركدت (قعدت!) مع فتية يحبون اللهو والغزل
قَبَانٍ مِنِّي شَبَابِي بَعْدَ لَذَّتِهِ كَأَنَّمَا كَانَ ضَيْفًا نَازِلًا رَحَلَا
بان: فارق

إِذْ لَا أَطَاوُعُ أَمَرَ الْعَاذِلَاتِ، وَلَا أَبْقِي عَلَى الْمَالِ إِنْ دُو حَاجَةٌ سَأَلَا
وكنيت في شبابي أعصي العاذلات (اللاتعات) لي على الإصراف وأعطي من يسألني

وَكَاشِحٍ مُعْرِضٍ عَنِّي غَفَرْتُ لَهُ وَقَدْ أُبَيِّنُ مِنْهُ الضُّغْنَ وَالْمِيلَا
ورب كاشح (منصرف يعطيني جنبه) غفرت له، وقد أبين (أثبنت وأرى) منه الضغن (الحقد) والميلا (الانحراف عني)

وَلَوْ أَوَاجِهُهُ مِنِّي بِقَارَعَةٍ مَا كَانَ كَالذَّيْبِ مَغْبُوطًا بِمَا أَكَلَا
ولو واجهته بقارعة (قصيدة هجاء) لما كان كالذئب المغبوط بالحمل الذي اختطفه وأكله، بل كان سيدفع ثمن جفائه

٢٠ دواء الشيب

هَلِ الشَّبَابُ الَّذِي قَدْ فَاتَ مَرْدُودٌ أَمْ هَلِ دَوَاءٌ يَرُدُّ الشَّيْبَ مَوْجُودٌ؟
أيعود الشباب، أم هناك دواء يرد (يصد) الشيب؟

لَنْ يَرْجِعَ الشَّيْبُ شَبَابًا وَلَنْ يَجْدُوا عَدَلُ الشَّبَابِ لَهُمْ مَا أَوْرَقَ الْعُودُ
لن يرجع الشيب (الشائبون) شباباً ولن يجدوا عدلاً (مساوياً) لعهد الشباب ما أورق العود (ما دام الغصن يخرج الورق، أي أبداً)

إِنَّ الشَّبَابَ لَمَحْمُودٌ بِشَاشَتِهِ وَالشَّيْبُ مُنْصَرَفٌ عَنْهُ وَمَصْدُودٌ

بشاشة عهد الشباب يحمدها الناس، ويتصرفون عن الشيب وأهله. ترى الشاب ضاحكاً لاهياً فإذا كبر وشاب غلب عليه العيوس وما على الأسيب ألا يستمتع بشيء آخر! سأذهب إلى كولونيا لأشتري زجاجة كولونيا. وكل شيخ يتعطر ويتأنق، سابداً رحلة مع العطر. رأيت مرة في لندن الصحفي الفلسطيني ناصر الدين النشاشيبي وقد قدم من سويسرا، رأيته مجلّواً كالعروس، حليقاً لابساً ملابس كبار الأثرياء - وهو من عائلة ثرية ومعروفة - متأنقاً، ورأيت في معصمه سواراً ذهباً، فتعجبت كثيراً من هذا الشيخ، وكان يزحف إلى الثمانين. وهذا الأخطل.. كان ذا أناقة يحثي شعره ويجلس في بيته الذي جعله منتدي. وقد اعترتني أسى فقط حُتمى الكولونيا، فلم أكتف بماء الليمون من شبراويشي الذي ظل بالنسبة إليّ قاتل جراثيم لا عطراً، فابتعت زجاجة من عطر البهار العتيق «أولد سبايس»، وشممت منها رائحة أيام صارت بعيدة. وأنا الآن عازم - ولست ثرياً مثل النشاشيبي كُفّة، غير أنني لست فقيراً - على الذهاب إلى كولونيا لشراء ماء كولونيا (والألمان يسمون هذا الضرب من العطر «كولنیش فاسر» ويقول الفرنسيون «أيو دي كولون» والمعنى لكليهما: ماء كولونيا). عند الكاتدرائية الكبرى في تلك المدينة دكان رقمه ٤٧١١، ويبيع عطراً اسمه ٤٧١١. ذلك أن نابليون رقم بيوت ودكاكين مدينة كولونيا الألمانية عندما فتحها. فسمى ذلك العطار عطره برقم دكانه. وكانت أمي رحمها الله تحب هذا العطر، فكنت آتيها به من كولونيا. من يدري فقد أدخل أيضاً حرم العطور الزيتية الخليجية، فقد كان يبيع أشباهاً رخيصةً لهذه العطور رجل في بلدنا كان يطوف بسفطه في الأسواق. وكنا نأثيه صغاراً ونصافحه، فيصافحنا ويفرك يده بأيدينا. ثم أصبح الناس يسمون هذا الضرب من العطر «عطر الأموات» فنزل من العيون، أقصد من الأنوف، وانصرف الناس عنه إلى العطور الباريسية الكحولية، وإلى ماء كولونيا. وقد اهتم القدماء بالمشموم مثلما اهتموا بالمأكول والمشروب، وكتبوا في ذلك الكتب. المشموم أبعث للماضي من أي شيء. وما أحوج الشيخ إلى الماضي

أَمَّا يَزِيدُ فَإِنِّي لَسْتُ نَاسِيَهُ حَتَّى يُغَيِّبَنِي فِي الرَّمْسِ مَلْخُودٌ
سَاطِلُ ذَاكِرًا مَعْرُوفُ يَزِيدُ بْنُ مَعَاوِيَةَ حَتَّى يَغِيْبَنِي فِي الرَّمْسِ (القبر) (شق بجانب القبر)

٢١ مسيحي وأفتخر

قال الأخطل. ودعاه بعضهم إلى الإسلام:

وَلَسْتُ بِصَائِمٍ رَمَضَانَ طَوْعاً وَلَسْتُ بِأَكِلٍ لَحْمِ الْأَضَاحِي
وَلَسْتُ بِقَائِمٍ أَبَدًا أَنْادِي قُبَيْلَ الصُّبْحِ حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ
وَلَكِنِّي سَاشَرْتُهَا شَمُولاً وَأَسْجُدُ عِنْدَ مُنْبَلَجِ الصَّبَاحِ
سَاشَرْتُهَا شَمُولاً (خمرة باردة) وأسجد بعد انبلاج (ظهور) الصباح

٢٢ أمير عليك

دعاه عبد الملك بن مروان للإسلام فأبى بحجة أنه لا يصبر عن الخمر فقال له صفها، فقال:

إِذَا مَا نَدِمْيَ عَلَّنِي ثُمَّ عَلَّنِي ثَلَاثَ زُجَاجَاتٍ لَهُنَّ هَدِيرُ
علني (سقاني)، زجاجات (كؤوس) هدير (غليان). كأنه يرى فقاقيعها فيشبهها بماء يغلي، ولا نظمه
عرف النبيذ الساخن «النبيذ اللامع، غلوفان» الذي يبعونه في الأسواق في ألمانيا في أيام عيد الميلاد
جَعَلْتُ أَجْرُ الدَّيْلِ مِنِّي، كَأَنَّنِي عَلَيْكَ، أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَمِيرُ
جررت ذيل ثوبي مفتخراً كأنني أمير عليك، يا أمير المؤمنين

٢٣ شراب كسرى

تَعِيبُ الْخَمْرَ وَهِيَ شَرَابُ كِسْرَى وَيَشْرَبُ قَوْمُكَ الْعَجَبَ الْعَجِيبَا .
تعيرني، يا جرير، يشرب الخمر، وكان كسرى يشربها، وقومك يشربون العجب العجيب .
مَنْنِي الْعَبْدِ عَبْدِ أَبِي سُوَاكِ أَحَقُّ مِنَ الْمُدَامَةِ أَنْ تَعِيبَا
يشربون مني عبد أبي سواج وهو أحق أن تعيب من الخمر . وكان أبو سواج هذا قد جعل عبداً له
يأتي أمة ثم يفرغ منه في قعب، ثم صب فوقه اللبن الحليب، وقدمه لرجل من قبيلة يربوع، قبيلة
جرير، ليشربه محتالاً عليه بحيلة، فشربه

٢٤ المنبهر وغير المنبهر

وَلَقَدْ أَكُونُ لَهُنَّ صَاحِبَ لَذَّةٍ حَتَّى تَغَيَّرَ حَالُهُنَّ وَحَالِي
قد أكون «وقد» للتوكيد صاحب استمتاع بالنساء، ثم تغيرت حالي بالكبر، وتغيرت حال النساء
معني فانصرفن عني

وَالنَّاسُ هَمُّهُمْ الْحَيَاةَ، وَمَا أَرَى طُولَ الْحَيَاةِ يَزِيدُ غَيْرَ خَبَالٍ
كلُّ همه الحياة، وطول العمر يزيد خبال (فساد) المرء

وَإِذَا افْتَقَرْتَ إِلَى الدَّخَائِرِ لَمْ تَجِدْ دُخْرًا يَكُونُ كَصَالِحِ الْأَعْمَالِ
الدخائر (التحويشة، ما ادخرته من مال)

وَلَيْتَنَّا نَجُوتُ مِنَ الْحَوَادِثِ سَالِمًا وَالنَّفْسُ مُشْرِقَةً عَلَى الْأَجَالِ .
إذا نجوت من حوادث الدهر، مع أن النفس تظل مشرقة (مقبلة) على الأجل (نهاية الرحلة) .

لَأُعْلِفَنَّ إِلَى كَرِيمٍ مَذْحَةٍ وَلَا تُنَيِّنَنَّ بِنَائِلٍ وَقَعَالٍ
فسوف أغفل (أرسل رسالة) فيها مدح لهذا الكريم وثناء عليه، وسأقدم النائل (المال) وأصنع الفعال
الحسن . فمن ماله سأعطي قومي الذين أرسلوني لطلب المال في حمالة، أي لدفع الديات

إِنَّ ابْنَ رَبِّعِي كَفَانِي سَيْبُهُ ضِغْنُ الْعَدُوِّ، وَتَبَوُّةُ الْبُخَالِ

ابن رباعي (عكرمة الفياض) كفاني سيبه (جنيني عطاؤه) ضغن (حققد) العدو، وتبوة البخال (وصدود البخلاء). فهذا الرجل أعطاه بعد أن صده رجل قبله ولم يعطه

إِنَّ اللَّئِيمَ إِذَا سَأَلْتَ بَهْرَتَهُ وَتَرَى الْكَرِيمَ يَرَأُحُ كَالْمُخْتَالِ

إذا سألت اللئيم مالا بهرته (جعلته يأخذ نفساً عميقاً للتفكير في عذر)، والكريم يراح (تأخذه الأريحية، ويهتز للعطاء) فكانه سعيد مختال بطلبك وبمنحك المال

وَإِذَا عَدَلْتَ بِهِ رَجَالاً لَمْ تَجِدْ فَيْضَ الْفُرَاتِ كَرَاشِحِ الْأَوْشَالِ

فإن قارنت به رجالاً آخرين فستجد فرقاً بين الفرات إذ يفيض وبين راشح الأوشال (المياه القليلة التي ترشح رشحاً)

وَإِذَا تَبَوَّعَ لِلْحِمَالَةِ، لَمْ يَكُنْ عَنْهَا بِمُنْبَهَرٍ وَلَا سَعَالٍ

إذا تبوع (بسط باعه واسعاً) ليؤدي الحماله (مال الديات) لم ينهر (يأخذ شهيقاً وزفيراً لانقطاع النفس)، ولم يعمل (يتنحج متردداً)

٢٥ العيون الزواني

فَلَا تَدْخُلْ بُيُوتَ بَنِي كَلْبٍ وَلَا تَقْرَبْ لَهُمْ أَبَدًا رَحَالًا

بنو كلب: قوم جرير، الرحال: الهوداج فوق الجمال

تَرَى فِيهَا اللَّوَامِعَ مُبْرِقَاتٍ يَكْذَنُ يَبْكُنُ بِالْحَدَقِ الرَّجَالَا

في هوداجهم نساء لوامع (متزينات) مبرقات (بارزات الوجوه للرجال)، ويكذن ويكبن (وصحف الباء) بالحدق (بعيونهن) الرجال للشبق، أو طلب الفاحشة

٢٦ قطع الضباب

أَتَيْتُكَ سَائِلًا فَحَرَمْتَ سُؤْلِي وَمَا أَعْطَيْتَنِي غَيْرَ الثُّرَابِ

السؤل: الطلب

وَعَبْدُ الْقَيْسِ مُضَفَّرٌ لِحَاهَا، كَأَنَّ فُسَاءَهَا قَطَعُ الضُّبَابِ

كانت هذه القبيلة تسمى «الفساة»

٢٧ سَيْبٌ مِنَ اللَّهِ

هُمُ الَّذِينَ أَجَابَ اللَّهُ دَعْوَتَهُمْ لَمَّا تَلَاَقَتْ نَوَاصِي الْخَيْلِ فَاجْتَلَدُوا

أجاب الله دعوة الأمويين عندما تلاقت نواصي (وجوه) الخيل والتحم الفرسان في المعركة واجتلدوا (تضاربوا)

قَوْمٌ إِذَا أَنْعَمُوا كَانَتْ قَوَاضِلُهُمْ سَيِّئاً مِنَ اللَّهِ، لَا مَنٌّ وَلَا حَسَدٌ
 كانت فواضلهم (عطاياهم) سيئاً (عطاء) كأنه من الله بلا واسطة، وعطاء الله لا فيه من ولا حسد
 وَيَوْمَ صَفَيْنَ وَالْأَبْصَارُ خَاشِعَةٌ أَمَدَّهُمْ إِذْ دَعَوْا مِنْ رَبِّهِمْ مَدَدٌ
 في يوم صفين، بين معاوية وعلي، كانت الأبصار خاشعة (منخفضة لهول الموقف) وأمد الله بني
 أميه بمدد من عنده. لعل هذا المدد كان اسمه حيلة عمرو بن العاص

٢٨ رَأَيْتُمُونِي وَأَنَا مَيِّتٌ؟

أَعَاذَلَنِي الْيَوْمَ وَيَحْكُمَا مَهْلًا وَكُفَّا الْأَذَى عَنِّي، وَلَا تُكْثِرَا عَذْلًا

العذل: اللوم

ذَرَانِي تَجِدْ كَفِّي بِمَالِي، فَإِنِّي سَأَصْبَحُ لَا أَسْطِيعُ جُوداً وَلَا بُخْلًا
 اتركاني كي أجود بمالي، فبعد الموت لا أستطيع أن أسخو ولا أن أبخل. فحياة آخرها الموت
 الجود فيها خير من البخل

إِذَا وَضَعُوا بَعْدَ الضَّرِيحِ جَنَادِلًا عَلَيَّ وَخَلَبْتُ الْمَطِيبَةَ وَالرَّحْلًا
 هذا عند الموت: عندما يضعون عليّ بعد الضريح (شق القبر) جنادل (صخوراً) وعندما أترك إبلي
 فلا سفر ولا انتقال

وَيَا رَبَّ عَادٍ وَهُوَ يُرْجَى إِيَابُهُ وَسَوْفَ يُلَاقِي دُونَ أَوْبَتِهِ شُغْلًا
 رب رجل غاد (ذاهب) يرجى له إياب (عودة) لكنه يلاقي من الموت ما يشغله عن العودة

ذَكَرْتُ انْقِلَابَ الدَّهْرِ فَادْكُرْ «وَسِيمَةً» فَقَدْ خَلْتُ حَقًّا حَبَّهَا قَاتِلِي قَتْلًا
 هيا يا أخطل اذكر الأمور الجميلة ودعك من الموت وانقلاب الدهر (تغيره)... ظننت حب
 «وسيمة» سيقتلني قتلاً

عَدَاةَ بَدَتْ غَرَاءَ غَيْرَ قَصِيرَةٍ تُذَرِّي عَلَيَّ الْمَثْنَيْنِ ذَا عُدْرِ جَثْلًا
 صبيحة بدت غراء (مشرقة الوجه) ذات طول حسن، تذري (تشر) على المتنين (الجنين) شعراً ذا
 عذر (خصلات) جثلاً (كثيفاً)

٢٩ العوارم المعتلجات

وقال يهجو نابغة بني جعدة:

وَمَا أَنَا إِنْ أَرَدْتُ هِجَاءَ قَيْسٍ بِمَحْذُولٍ وَلَا خَاشِيِ الْجَنَانِ
 لن يخذلني قومي إن هجوت قيساً فغضبوا، ولست خاشي الجنان (خائف القلب)

أَهْمُ بِشَتْمِهِمْ وَيَكُفُّ حِلْمِي عَوَارِمَ يَغْتَلِجْنَ عَلَى لِسَانِي
أهم بشتمهم ولكن حلمي (سماحة نفسي) يكف (يمنع) عوارم (أبيات عارمة متدفقة) يغتلجن
(بصخبن ويتدافعن) على لساني

٣٠ افتخار بالثارات

وَمَا تَرَكْتُ أَسِيفُنَا مِنْ قَبِيلَةٍ تُحَارِبُنَا إِلَّا لَهَا عِنْدَنَا وَثْرٌ
الوتر: الثار. فقبيلتنا قتلت ناساً من قبائل كثيرة فعليها ثارات كثيرة، وهذا دليل قوتها

٣١ نظرات الكراهية

وإِنِّي صَبُورٌ مِنْ سُلَيْمٍ وَعَامِرٍ وَنَضِرٍ عَلَى الْبَغْضَاءِ وَالنَّظَرِ الشَّرِّ
صبور من هذه القبائل على البغضاء (الكراهية) والنظرات الحادة، فلست لأعطيهم أي اهتمام
إذا ما التَقَيْنَا عِنْدَ بَشِيرٍ رَأَيْتَهُمْ يَغْضُونَ دُونِي الظَّرْفَ بِالْحَذَقِ الْحُضِرِ
التقي عند الأمير بشر بن مروان في الكوفة فيغضون بصرهم بعيونهم الخضر (السود). معاجمنا
القديمة مصابة بعمى الألوان، فخذ ما أتاك

وَأَوْجِهْ مَوْتُورِينَ فِيهَا كَابَةً فَرَعَمًا عَلَى رَعَمٍ، وَوَقْرًا عَلَى وَقْرٍ
يفغضون أوجه ناس موتورين (لهم ثار) وفي وجوههم كآبة، فليرغم الله وجوههم (يعفرها في
التراب)، وليحمل عليهم وقراً (ثقلًا) فوق وقر

٣٢ حاطب العودين

وَأَنْ أَتَعَرَّضَ لِلْوَلِيدِ فَإِنَّهُ نَمَتْهُ إِلَى خَيْرِ الْفُرُوعِ مَضَارِبُهُ
إن أتعرض للوليد (أطلب العطاء منه) فهو أصيل نعمته مضاربه (جذوره) إلى خير فروع قریش
تَجِيْشُ بِأَوْصَالِ الْجَزُورِ قُدُورُهُ إِذَا الْمَحَلُّ لَمْ يَرْجِعْ بِعُودَيْنِ حَاطِبُهُ
تجيش (تمتلئ) بأوصال الجزور (أطراف الذبيحة) قدوره في وقت المحل (القحط) الذي يذهب فيه
المرء يحتطب ثم لا يرجع بعودين لتلف المزروعات

وَمَا بَلَغَتْ خَيْلُ امْرِئٍ كَانَ قَبْلَهُ بِحَيْثُ انْتَهَتْ آثَارُهُ وَمَحَارِبُهُ
ولم تبلغ خيل أي خليفة قبله ما بلغت خيله ومحاربه (حروبه) من التعمق في الشرق والغرب. وفي
زمن الوليد كان فتح الأندلس وبلاد كثيرة في الشرق

وَتُضْحِي جِبَالُ الرُّومِ غُبْرًا فِجَاجُهَا بِمَا أَشْعَلَتْ غَارَاتُهُ وَمَقَانِبُهُ
فجاج (دروب الجبال) في بلاد الروم اغبرت من حوافر خيل الخليفة في غاراتها، ومن مقابله (كتابه)

٣٣ ضحية المنجنيق

عَدَا زُفَرُ الشَّيْخِ الْكِلَابِيِّ طَوْرَهُ فَقَدْ أَنْزَلَتْهُ الْمَنْجَنِيقُ مِنَ الْقَصْرِ

زفر بن الحارث الكلابي زعيم قيس، كان زبيرياً ولما أدير حال الدولة الزبيرية صالحه عبد الملك بعد أن نصب عليه المجانيق في معقله بقرقيسيا قرب دير الزور حالياً ثم وسع له في مجلسه. وكان الأخطل يكثر من تذكير عبد الملك بأن زفر ما زال يبطن العداوة

بَنِي عَامِرٍ لَمْ تَنَازُوا بِأَخِيكُمْ وَلَكِنْ رَضِيتُمْ بِاللَّقَاحِ وَبِالْجُزْرِ

يا بني عامر لم تأخذوا ثأر أخيك عمير بن الحباب، وكانت تغلب قتلته، وعمير هذا صاحب زفر وحليفه، ولكنكم رضيتُم باللقاح (النياق) في الدية وبالجزر (الإبل المعدة للذبح، جمع جُزور)

إِذَا عُطِفَتْ وَسَطَ الْبُيُوتِ، اخْتَلَبْتُمْ لَهَا لَبْنًا مَحْضًا أَمْرًا مِنَ الصَّبْرِ

إذا عطفت هذه النياق وسط بيوتكم (أي حنيت رؤوسها كي تشم صفارها وتدر لبناً) حلبتم من لبنها محضاً (صافياً) لكنه أمر من الصبر لأنه حليب جاءكم بدلاً من أخذ الثأر

وَلَمَّا رَأَى الرَّحْمَنُ أَنْ لَيْسَ فِيهِمْ رَشِيدٌ وَلَا نَاهٍ أَحَاهُ عَنِ الْعَدْرِ .

أَمَالَ عَلَيْهِمْ تَغْلِبَ ابْنَةُ وَائِلٍ فَكَانُوا عَلَيْهِمْ مِثْلَ رَاغِيَةِ الْبَكْرِ

بعث الله قبيلة الأخطل، تغلب ابنة وائل، لتكون شوماً على بني عامر كشوم فصيل ناقة صالح الذي ظل يرغو (يصيح) حول أمه بعد أن قتلها قوم صالح، ثم كان فناؤهم بعد ثلاث. راغية البكر: المصيبة

فَسِيرُوا إِلَى أَهْلِ الْعِجَارِ فَإِنَّمَا نَفَيْنَاكُمْ عَنْ مَنَبِ الْقَمْحِ وَالتَّمْرِ

منبت القمح والتمر: العراق

٣٤ بولي على النار

مَا زَالَ فِينَا رِبَاطُ الْخَيْلِ مُعْلَمَةً وَفِي كُليبٍ رِبَاطُ الذَّلِّ وَالْعَارِ

في قبيلتنا رباط الخيل (مرابطها) المستعدة للغزو وهي معلمة (عليها علامات الحرب)، وقيلة كليب، قبيلة جرير، فيها ذل وعار

النَّازِلِينَ بِدَارِ الذَّلِّ إِنْ نَزَلُوا وَتَسْتَبِيحُ كُليبٌ مَحْرَمَ الْجَارِ

يتزلون بدار الذل، بعد أن يطلبوا من غيرهم السماح لهم بالتزول للرعي، وهم يستبجون حرمة من يجاورهم أو يستجير بهم

وَالظَّاعِنِينَ عَلَى أَهْوَاءِ نِسْوَتِهِمْ وَمَا لَهُمْ مِنْ قَدِيمٍ غَيْرُ أَعْيَارِ

الظاعنين (الراجلين) بعد استشارة النساء، وليس لهم سوى الأعيار (الحمير) لفقرهم

قَوْمٌ إِذَا اسْتَنْبَحَ الْأَضْيَافُ كَلَبَهُمْ قَالُوا لِأَمِّهِمْ بُولِي عَلَى النَّارِ

إذا استنبح الأضياف كلبهم (نبحوا ليجيهم الكلب ويعرفوا موضع القوم)، قال بنو كلب لأممهم: بولي على النار، لكيلا يعرف الأضياف مكانهم إذ لا يريدون أن يُضَيِّفُوهم. وكان التائه في الصحراء يوالي النباح، يريد أن يسمع كلباً يرد عليه فيعرف موضع البشر، وزعم الأخطل أن بيته هذا أهجى بيت: فقد وصم قوم جرير بأنهم بخلاء، ويهينون أمهم، ونارهم صغيرة تطفئها بولة للثمن وضعفهم. واشتكى الأخطل من أن بيت جرير «والثغلي إذا تنحج للقرى.. حك استه وتمثل الأمثالا» سار أكثر من بيته هو

فَتُمْسِكُ الْبَوْلَ بُخْلًا أَنْ تَجُودَ بِهِ وَمَا تَبُولُ لَهُمْ إِلَّا بِمِقْدَارٍ

تمسك عجوزهم بولها باخلة به، فلا تبول إلا قليلاً. هذا استكمال للصورة الكاريكاتيرية لا يبعد أن يكون أضافه آخرون، فالبيت موجود في نسخ، مفقود من نسخ، وهو أشبه بطريقة جرير منه بصلاية الطريقة الأخطلية

وَالْخَبْزُ كَالْعَنْبَرِ الْوَرْدِيِّ عِنْدَهُمْ وَالْقَمْحُ سَبْعُونَ إِرْدَبًا بِدِينَارٍ

الخبز عند قوم جرير كأنه العنبر الوردي الثمين جداً، لخبلم به، مع أن القمح رخيص

فَأَقْعُدْ جَرِيرٌ فَقَدْ لَاقَبْتَ مُطْلَمًا صَعْبًا، وَلَا تَأْكُ بِحَرِّ مُفْعَمٍ جَارٍ

اقعد يا جرير فقد لاقيت طريقاً صاعداً صعباً بتعرضك لي،
ولا تأكل مني بحر (نهر) مفعم (زاخر)

هَلَّا كَفَيْتُمْ مَعَدًّا يَوْمَ مُعْضَلَةٍ كَمَا كَفَيْنَا مَعَدًّا يَوْمَ ذِي قَارٍ .

هلا كنتم كفيتم قبائل معد في الأيام الصعبة مثلما كفينا معداً يوم ذي قار..

جَاءَتْ كَتَائِبُ كِسْرَى وَهِيَ مُعْضَبَةٌ فَاسْتَأْصَلُوهَا وَأَرْدَوْا كُلَّ جَبَّارٍ

في يوم ذي قار جاءت كتائب كسرى غاضبة، فاستأصلها بنو ربيعة - أساساً بنو شيبان، لكنهم من أقارب تغلب قبيلة الأخطل - وأردوا (قتلوا) كل فارس بطل

٣٥ ذنب الأخطل

أَلَا يَا اسْلَمًا عَلَى التَّقَادُمِ وَالْبِلَى «بِدُومَةٍ خَبِتْ» أَيُّهَا الظَّلَلَانِ

رغم قدم العهد والبلوى (الخراب) اسلما أيها الظللان (الخربتان) في موضع دومة خبت

فَلَوْ كُنْتُ مَحْضُوبًا بِدُومَةٍ مُدْنَقًا أَسْقَى بِرِيْقٍ مِنْ سُعَادَ شَفَانِي

لو كنت مصاباً بالحصبة في هذا الموضع، ومدنقاً (مريضاً) وذقت ريق سعاد لشفيت

وكيف يُداويني الطَّبيبُ مِنَ الْجَوَى «بَرَّة» عند الأَعْوَرِ بْنِ بَيَانَ

وكيف أشفى من الجوى (حرارة العشق) و«برة» الجميلة عند زوجها «الأعور بن بيان». وكان هذا الرجل، وهو تغلبي من قبيلة الأخطل، استضاف الأخطل فرأى شاعرنا زوجة الرجل الجميلة. سقاه الرجل خمرأً وأكرمته وسأله: هل ترى عندنا عيباً. قال الأخطل: ليس لبيتك عيب سواك. وحسده على زوجته الجميلة

وَأَرَقَّنِي مِنْ بَعْدِ مَا نِمْتُ نَوْمَةً وَعَضْبُ جَلَّتْ عَنْهُ الْقُبُونُ بِطَانِي..

أرقتني بعد أن نمت وبطاني، أي عند بطني، غضب (سيف) جلت عنه القبون (صقله الحدادون)..

تَصَاحَبُ ضَيْفِي قَفْرَةً يَعْرِفَانِهَا: غُرَابٍ وَذَيْبٍ دَائِمِ الْعَسَلَانِ

أرقتني صخب اثنين من سكان القفر: غراب وذئب دائم العسلان (التمايل في مشيه)

إِذَا غَشِيَانِي هَيْلَتِ النَّفْسُ مِنْهُمَا قُشْعَرِيرَةً، وَازْدَدْتُ خَوْفَ جَنَانٍ

إذا غشيانني هيلت النفس (فزعت) منهما، وانتابني قشعريرة، وخوف جنان (قلب)

إِذَا حَضَرَانِي عِنْدَ زَادِي لَمْ أَكُنْ بِخِيَلًا، وَلَا صَبًّا إِذَا تَرَكَانِي

فإن حضرا وأنا أكل من زادي لم أبخل عليهما، وإن تركاني فلست صبا بهما (حريصاً عليهما).. على أن صاحبنا لم يزعم كالفردق أنه قعد يتعشى مع الذئب، ولا كالبحتري أنه قتل الذئب

٣٦ أنا وأروى والهماليج

دَنَا الْبَيْنُ مِنْ «أَرْوَى» فَزَالَتْ حُمُولُهَا لِيَتَشَغَلَ أَرْوَى عَنْ هَوَاهَا شُغُولُهَا

دنا البين (الفراق) وزالت عن المكان حمول (هوادجها) أروى، واشتغلت أروى عن الهوى بالرحيل

وَمَا خِفْتُ مِنْهَا الْبَيْنَ حَتَّى تَزْعَزَعَتْ هَمَالِيجُهَا، وَازْوَرَّ عَنِّي دَلِيلُهَا

وما خفت الفراق إلا عندما تزعزعت (تحركت متناقلة) هماليجها (نياقها)، وازور (مال) بالجمال الدليل مبتعداً في طريق ملتوي

وَكَمْ بَخِلْتُ أَرْوَى بِمَا لَا يَضِيرُهَا وَكَمْ قَنَلْتُ، لَوْ كَانَ يُودَى قَتِيلُهَا

كثيراً ما بخلت علينا بأمور لا تضيرها (نظرة، أو... أو...)، وكثيراً ما قنلت، وللأسف لا يودى قتيلا (لا ينال أهله ديتة)

إِذَا الشُّعْرَاءُ أَبْصَرْتَنِي تَعَلَّبَتْ مَقَاحِيمُهَا، وَازْوَرَّ عَنِّي فُحُولُهَا

إذا رأيتي مقاحيم الشعراء (الجريثون منهم) أصبحوا كالغالب فاختبأوا، وازور (مال مبتعداً) عني الفحول

وَمُعْتَرِضٍ لَوْ كُنْتُ أَرَمَعْتُ شَتْمَهُ إِذْ لَكَفَّتْهُ كَلِمَةٌ لَوْ أَقُولُهَا

ورب شاعر اعترضني لو نويت شتمه لكفته مني كلمة، هذا لو نويت

٣٧ في مدح هَمَام

تَبَيَّنَ خَلِيلِي نَاصِحَ الظَّرْفِ هل تَرَى بِعَيْنِكَ ظُغْنًا قد أَفْلَتْ حُمُولُهَا؟
انظر يا صاحبي يا ناصح الطرف (صحيح النظر)، هل ترى ظغناً، أي نساء راحلات، قد رُفعت حمولها، أي هودجها فوق الإبل؟

تَمَايَلْنَ لِلْأَهْوَاءِ، حتى كأنما يَجُورُ بِهَا فِي السَّيْرِ عَمْدًا دَلِيلُهَا
يملن بإبلهن بحسب ما يشتهين ويسرن سيراً متعرجاً، فكان دليل القوم يجور (يميل) بهم عمداً
فَلَمَّا اسْتَوَى نِصْفُ النَّهَارِ وَأَظْهَرَتْ وَقَدْ حَانَ مِنْ غُفْرِ الظُّبَاءِ مَقِيلُهَا
عندما أظهرت (حان وقت الظهيرة) وحان وقت هجرة الظباء العفر (المحمرة مع بياض)

حَثْنُ الْمَطَايَا فَاصْمَعَدَّتْ لِشَأْنِهَا وَمَدَّ أَزِمَاتُ الْجِمَالِ دَمِيلُهَا
حثن المطايا (أسرعن بالإبل المركوبة) فاصمعدت (أسرعت)، ومد الذميل (السير السريع)
أَزِمَاتُ الْجِمَالِ (مقاود الجمال) فهي عندما تسرع ترمي أعناقها للأمام وتسحب الجبل الذي به تقاد

فَلَمَّا تَلَاخَقْنَا نَبَذْنَا تَحِيَّةً إِلَيْهِنَّ وَالتَّذُّ الْحَدِيثَ أَصِيلُهَا
لما تلاحقنا (تلاقينا) نبذنا تحية (رمينا بتحية) إليهن، والتذ بالحديث الرجل الأصيل.. ولا أرى الأصيل في مكانها هنا، ولم أجد رواية أحسن

فَكَانَ لَدَيْنَا السَّرَّ بَيْنِي وَبَيْنَهَا وَلَمَعَ غَضِيضَاتِ الْعَيُونِ رَسُولُهَا
فكان رسول المحبة فيما بيننا السر (السرار والحديث الخافت) ولمع العيون الغضضة (المطرقة).
فالمرأة تنزل جفونها ثم ترفعهما وتبرق عيناها فيما بين ذلك. قالت كاتبة فرنسية ما معناه..
المرأة إذ تحرك جفونها كأنها تتعري.. إن عثرت على اسم الكاتبة فسأكتبه لك في طبعة قادمة

رَأَيْتُ قُرُومَ ابْنَيْ نِزَارٍ كُلِّيهِمَا إِذَا خَطَرَتْ عِنْدَ الْإِمَامِ فُحُولُهَا..
رأيت قروم (سادات) ابني نزار كليهما (أي كل عرب الشمال من مضر وربيعة) عندما يخطر فحولهم (يأتي كبارهم ماشين مشية افتخار) ويدخلون على الإمام (الخليفة)..

يَرَوْنَ لَهُمَّامَ عَلَيْهِمْ فَضِيلَةً إِذَا مَا قُرُومُ النَّاسِ عُذَّتْ فُضُولُهَا
.. وجدتهم يرون أن هَمَاماً له فضيلة عليهم، إذا نظر الناس في فضائل السادة

سَبُوقُ لَغَايَاتِ الْحِفَافِ إِذَا جَرَى، وَوَهَابُ أَغْنَاكِ الْمِثْنِ حَمُولُهَا
هو يسبق غيره لغايات (أقصى مدى) الحفاظ (حفظ الشرف)، وهواب (مَنَاح) أعناق المِثْنِ (مئات النياق) حمولها (يحمل الديات)

وَدَفَّاعُ ضَيْمٍ، لَا يُسَامُ دَنِيَّةٌ وَقَطَّاعُ أَقْرَانِ الْأُمُورِ وَصَوْلُهَا
ويدفع الضيم (الظلم) ولا يسام دنية (لا يرضى الذل أو الصغار)، وهو يقطع ويصل أقران (جبال)
الأمور، أي أنه رجل واسع الحيلة والتصرف

ثَنَى مُهْرَهُ وَالْخَيْلُ رَهْوٌ كَأَنَّهَا قِدَاحٌ عَلَى كَفِّي مُفِيضٍ يُجِيلُهَا
ثنى مهره نحو الأعادي بينما الخيل رهو (متابعة) كأنها قِدَاح (سهام الميسر) يرميها من كفيه
مفيض (رام للقداح) يجيلها (يبعثرها)، فرامي السهام عند الميسر يرشق السهام من يديه رشقاً
فتنتطق سريعة

وَأَعْلَمُ أَنَّ الْمَرْءَ لَيْسَ بِخَالِدٍ وَأَنْ مَنَايَا النَّاسِ يَسْعَى دَلِيلُهَا
نهاية المرء موت، والمنايا (الحتوف، الموت) يسعى دليلها يدلها على الناس واحداً فواحداً
فَإِنْ عَاشَ هَمَامٌ لَنَا فَهَوَ رَحْمَةٌ مِنَ اللَّهِ، لَمْ تُنْفَسْ عَلَيْنَا فُضُولُهَا
فإن عاش همام كان رحمة لنا لم تنفس فضولها (لم نحسد على خيرها) لأن خيرها يصيب الجميع
وإن مات لم تستبدل الأرض مثله لَأَخِذَ نَصِيبٍ، أَوْ لَأَمْرٍ يَعُولُهَا
وإن مات لم يأت بعده مثله لكي تأخذ الأرض منه نصيبها من الخير أو لكي ينفذها من أمر
يعولها (يرهقها)

٣٨ في الكنيسة

إِنَّ مَنْ يَدْخُلُ الْكَنِيسَةَ يَوْمًا يَلْقَ فِيهَا جَاذِرًا وَظِيَاءً
في الكنيسة نساء كالجاذر (بقرة الوحش في سعة العيون) وكالظباء (في ملاحاة العيون والأعناق)
مَالَتِ النَّفْسُ بَعْدَهَا إِذْ رَأَتْهَا فَهِيَ رِيحٌ، وَصَارَ جِسْمِي هَبَاءً
مالت نفسي إليها (إلى الجاذر والظباء) فهي كانت كالريح، وجسمي صار كأنه الهباء المعلق في
الريح لشدة ما انتابني من شغف

لَبِتَ كَانَتْ كَنِيسَةُ الرُّومِ إِذَا كَ عَلَيْنَا قَطِيفَةً وَخَبَاءً
ليت الكنيسة كانت قطيفة تجلس عليها وخباء (خيمة) نجالس فيها أولئك النسوة لا مبعداً ليس لنا
فيه إلا النظر

٣٩ الفرزدق صخرة

إِنَّ الْفَرَزْدَقَ صَخْرَةٌ عَادِيَّةٌ طَالَتْ فَلَيْسَ تَنَالُهَا الْأَوْعَالُ
الفرزدق صخرة عادية (قديمة من عهد عاد) وقد طالعت وبعدت في رأس جبل فلا تصل إليها حتى
الأوعال التي مساكنها في الجبال

٤٠ لليدين وللقم

لَقَدْ عَثَرْتُ بِكَرُ بَنٍ وَإِثْلَ عَثْرَةٍ فَلَوْ عَثَرْتُ أُخْرَى فَلْيَلِيدِ وَالْقَمِ
عثرث قبيلة بكر بن وائل وأساءت التقدير، ولو كررت الأمر فليليد والقم
(لتسقط على يديها ووجهها/ لا أقال الله عثرتها)

٤١ لبن ودم

فَنَبَّهْتُ سَعْدًا بَعْدَ نَوْمٍ لِطَارِقٍ أَتَانَا ضَبِيلًا صَوْتُهُ حِينَ سَلَّمَا
أيقظت سعداً، بعد أن كان نام، لطارق (لخدمة مسافر أتانا ليلاً)، وصوت هذا الطارق ضئيل حين
سَلَّمْ علينا لما به من الإرهاق
إِذَا لَمْ تَذُدْ أَلْبَانُهَا عَنْ لُحُومِهَا حَلَبْنَا لَهُ مِنْهَا بِأَسْيَافِنَا دَمًا
وإذا لم تذد (تدافع) ألبان الإبل عن لحومها بأن تدر الكثير من اللبن، فسوف نحلب له دمًا بأسيافنا
(أي سنذبح له بغيراً)

٤٢ أروى القتل

وَكَمْ قَتَلْتُ أَرْوَى بِلَا تِرَةٍ لَهَا وَأَرْوَى لِفِرَاغِ الرِّجَالِ قَتُولُ
ما أكثر ما قتلت أروى بلا ترة لها، ولا ترة (نار) لها،
وهي للرجال الفارغين من العشق قتالة إذ يعشقونها هي
فَلَوْ كَانَ مَبْكَى سَاعَةٍ لَبَكَيْتُهَا وَلَكِنْ شَرَّ الْعَانِيَاتِ طَوِيلُ
العشق لا تبده ساعة بكاء، والتعلق بالحصان شر طويل
وَإِنْ أَمْرًا لَا يَنْتَهِي عَنْ غَوَايَةٍ إِذَا مَا اشْتَهَتْهَا نَفْسُهُ لَجَهْوُ
وإن امرأ لا ينتهي عن غوايةٍ إذا ما اشتهتها نفسه لجهؤ

٤٣ يمشين على هديره

يَمْشِينَ مَشْيَ الْهَجَانِ الْأَدَمِ رَوْحَهَا عِنْدَ الْأَصِيلِ هَدِيرُ الْمُضْعَبِ الْقَطْمِ
تمشي هؤلاء النسوة مشي الهجان (الإبل الكريمة) الأدم (البيض) روحها (عاد بها مساء)
عند الأصيل (قرب المغيب) هدير المضعب القطم (صوت الجمل الفحل الهائج)،
فالنياق تمشي متبخررة على صوت الفحل

٤٤ المفتخرة بهودج سيدتها

بَكَرَ الْعَوَازِلُ يَبْتَدِرْنَ مَلَامَتِي وَالْعَاذِلُونَ، فَكُلُّهُمْ يَلْحَانِي
جاءت العوازل (العاذلات) باكراً ويادرني باللوم، والعاذلون أيضاً، الكل يلحاني (يلومني بشدة)

يَنْظُرْنَ مِنْ خَلَلِ السُّتُورِ بِأَعْيُنٍ نُجَلٍ، يُمِثِّنَ الْعَاشِقِينَ، حِسَانِ
النساء ينظرون من خلل الستور (الفرجات بين ستر وستر) بأعين نجل (واسعة) جميلة تमित العاشقين

وَإِذَا رَأَيْنَ الشَّيْبَ لَمْ يَقْرَبْنَهُ وَالْعَانِيَاتُ عَنِ الْكَبِيرِ عَوَانِ
ولا يقربن صاحب الشيب، والعانيات (المستغنيات بجمالهن عن الزينة) غوان (مستغنيات) عن
الكبير في السن

يَقْطَعْنَ عَنْهُ كُلَّ حَبْلٍ مَوْدَّةٍ جَهْلًا، وَهَنَّ إِلَى الشَّبَابِ رَوَانِ
يقطعن العلاقة الودية مع الكبير جهلاً (طيشاً من جانبيه)، وهن روان (متطلعات) إلى الشباب
إِنِّي أُدِيمُ لِذِي الصَّفَاءِ مَوَدَّتِي وَإِذَا تَغَيَّرَ كُنْتُ ذَا أَلْوَانِ
أنا أديم المودة مع الصديق المصافي، فإن تغير تغيرت عليه

وَأَفَارِقُ الْخُلَانَ مِنْ غَيْرِ الْقَلَى وَأُمِيتُ عِنْدِي السَّرَّ بِالْكِثْمَانِ
وأفارق الخلان (الأصحاب) دون قلى (جفاء)، وأحفظ السر

قَبَحَ الْإِلَهِ بَنِي كُلَيْبٍ، إِنَّهُمْ لَا يَحْفَظُونَ مَحَارِمَ الْجِيرَانِ
ينو كليب قوم جرير لا يحفظون محارم من جاورهم، إمّا بالسكنى عندهم أو بطلب الجوار فيهم

أَجْرِيرُ إِنَّكَ وَالَّذِي تَسْمُو لَهُ كَاسِيفَةٌ فَخَرْتُ بِجِدْجِ حَصَانِ
يا جرير إنك والله الذي تسمو (ترتفع) نفسي له، كاسيفة (أمة) تفخر بجدج (هودج) حصان (امراة
حرة). فأنت تفخر بقبيلة تميم وإنك لمن أوضع بطونها

حَمَلْتُ لِرَبَّتَيْهَا فَلَمَّا غُولِيَتْ نَسَلْتُ تُعَارِضُهَا مَعَ الْأَطْعَانِ
حملت الأمة لربتها (سيدتها) متاعها فلما غوليت (ركبت سيدتها في الهودج) نسلت (أسرعت)
الأمة تلحق بها مع الأطعان (الإبل)

فِي «دَارِمٍ» تَأْجُ الْمُلُوكُ وَصَهْرُهَا أَيَّامَ يَرْبُوعٍ مَعَ الرُّعْبَانِ
في قبيلة دارم الملوك (الزعماء) لتمييم كلها، وهم يصاهرون الملوك، بينما كانت قبيلة يربوع ترعى
مواشيها (وجرير من كليب، وكليب من يربوع، وهما من تميم، أمّا دارم فمن أشرف بطون تميم)

وَإِذَا وَضَعْتَ أَبَاكَ فِي مِيزَانِهِمْ رَجَحُوا، وَشَالَ أَبُوكَ فِي الْمِيزَانِ
أبوك لا يعادل دارمًا، بل تشيل (تصعد) به كفة الميزان لخفته

٤٥ أَحْقَاد

إِذَا مَا قُلْتُ قَدْ صَالَحْتُ بِكَرًّا أَبَى الْأَضْفَانُ لَا النَّسَبُ الْبَعِيدُ

كلما قلت صالحت قبيلة بكر أبت الأضغان (الأحقاد) لا النسب البعيد، فبكر وتغلب كلناهما من ربيعة

وَأَيَّامَ لَنَا وَلَهُمْ طَوَالَ يَعْصُ الْهَامَ فِيهِنَّ الْحَدِيدُ

بيننا حروب طويلة كان حديد السيوف يعض فيها الهام، أي الرؤوس

هُمَا أَخَوَانِ يَضْطَلِيَانِ نَاراً رِداء الموتِ بَيْنَهُمَا جَدِيدُ

٤٦ أشباه العبيد

وَكُنْتُ إِذَا لَقِيتُ عَبِيدَ تَيْمٍ وَتَيْمًا قُلْتُ أَيُّهُمَا الْعَبِيدُ

لَتَيْمُ الْعَالَمِينَ يَسُودُ تَيْمًا وَسَيِّدُهُمْ وَإِنْ كَرِهُوا مَسُودُ

٤٧ «مصر والسودان لنا.. وانجلترا إن أمكننا»

وَنَحْنُ قَسَمْنَا الْأَرْضَ نِصْفَيْنِ: نِصْفُهَا لَنَا، وَنُرَامِي أَنْ تَكُونَ لَنَا مَعَا

جعلنا الأرض نصفين: نصف لنا، ونصف لكل الآخرين، ونرامي (نرمي ونهدف) أن يكون
النصفان كلاهما لنا

إِذَا مَا أَكَلْنَا الْأَرْضَ رَغِيًّا تَطَلَّعَتْ بِنَا الْخَيْلُ حَتَّى نَسْتَبِيحَ الْمُمَنَّا

إذا ما رعت إبلنا فأكلت العشب كله، تطلعتنا بخيولنا إلى أراضي الآخرين
حتى نستبيح المنع (المحمي)

٤٨ المستضعفون في الحوض

وقال يهجو قبيلة زيد اللات:

قُبَيْلَةُ مَا يَغْدِرُونَ بِذِمَّةٍ وَلَا يَظْلِمُونَ النَّاسَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ

يهجوهم بأنهم لا يغدرون، ولا يظلمون أحداً لضعفهم

وَلَا يَرِدُونَ الْمَاءَ إِلَّا عَشِيَّةً عَلَى طُولِ أَظْمَاءٍ، وَوَجْهُ مُلْظَمٍ

ولا يردون حوض الماء لتشرب إبلهم إلا عشاء حين يقل عدد الواردين، رغم طول الظماء،
ويردون بوجوه ملطومة مضروبة من الآخرين الذين يشربون قبلهم ويؤخرونهم

٤٩ لكم دينكم ولي دين

إِذَا لَانَ الصَّفَا عَنْ طُولِ نَحْتٍ فَإِنَّ صَفَاةَ تَغْلِبَ لَا تَلِينُ

إذا لان الصفا (الصخر) لطول ما ينحته المرء، فصخرة قبيلة تغلب لا تلين

فَقَبْلَكَ رَامَهَا الْجَبَّارُ فِينَا فَكَانَ لَنَا وَلِلْجَبَّارِ دِينُ

وقبلك رامها (قصدها) الجبار، فكان لنا وله شأن. في البيت إشارة إلى سعي عمر بن الخطاب إلى فرض الجزية على تغلب، ورفض تغلب الأمر، ورفضها الدخول في الإسلام، وإقامتها على المسيحية

٥٠ كواكب الكأس

وَمُتْرَعَةٍ كَأَنَّ الْوَرْدَ فِيهَا كَوَاكِبُ لَيْلَةٍ فَقَدَتْ غَمَامَا

رب كأس مترعة (ملينة) كأن الورد (الخمر الوردية اللون) فيها، وقد علتها الفقائيع اللامعة، كواكب في ليلة صافية بلا غيوم

سَقَيْتُ بِهَا عُمَارَةً أَوْ سَقَانِي إِذَا مَا الْجَبْسُ عَنْ ضَيْفَيْهِ نَامَا

سقيت ضيفي عمارة أو سقاني عندما يضيئني، فأما الجبس (اللتيم) فيترك أضيافه وينام ولا يؤنسهم

٥١ أهل القرقور

وقال الأخطل يرد على جرير عندما قال: «فما لك في نجد حصاة تعدها»:

وَلَكِنْ لَنَا بَرُّ الْعِرَاقِ وَبَحْرُهُ وَحَيْثُ تَرَى الْقُرْقُورَ فِي الْمَاءِ يَسْبُحُ

القرقور: السفينة

إِذَا ابْتَدَرَ النَّاسُ السَّجَالَ وَجَدْتَنَا لَنَا مِقْدَحًا مَجْدٍ وَلِلنَّاسِ مِقْدَحُ

إذا ابتدر الناس السجال (بدأوا بالتفاخر) فلنا مقدحا (مفرقتا) مجد وللناس كلهم مغرفة واحدة

٥٢ عمائم الأنصار

ذَهَبَتْ قُرَيْشٌ بِالْمَكَارِمِ وَالْعَلَا وَاللُّؤْمُ تَحْتَ عِمَائِمِ الْأَنْصَارِ

أخذت قريش كل المكارم والمجد، وبقي للأنصار اللؤم

فَذَرُّوا الْمَعَالِي لَسْتُمْ مِنْ أَهْلِهَا وَخُذُوا مَسَاحِيكُمُ بَنِي النَّجَّارِ

يا بني النجار (من الخزرج، من الأنصار) اتركوا السعي للمعالي (المجد) فلستم أهلاً لها، وأمسكوا مساحيكم (مجارف التراب) فأنتم زراع لا يد لكم بالمجد والحرب

إِنَّ الْفَوَارِسَ يَعْرِفُونَ ظُهُورَكُمْ فَيَعْرِفُونَ ظُهُورَكُمْ لَكثَرِ مَا تَفْرُونَ فِي الْمَعَارِكِ، يَا أَوْلَادَ كُلِّ مُقَبَّبَحٍ أَكَّارِ

الفرسان يعرفون ظهوركم لكثرة ما تفرون في المعارك، يا أولاد كل مقبح (الموصوف بالقبائح والعيوب) أكار (المزارع)

وَإِذَا نَسَبْتَ ابْنَ الْفُرَيْعَةِ خِلْتَهُ كَالْجَحْشِ بَيْنَ جِمَارَةٍ وَجِمَارِ
ابن الفريعة (حسان بن ثابت، ويعني ابنه عبد الرحمن بن حسان)، الجحش: الحمار الصغير

٥٣ صيال بلا وصول

تَصُولُ إِلَى الْعُلَا أَسَدٌ وَتَأْبَى مَخَازِيهَا وَأَيْدِيهَا الْقِصَارُ
تصول (تهجم) قبيلة أسد للوصول إلى العلا، ولكن مخازيها، وأيديها القصار (ضعفها) تمنعها

٥٤ لستم بسبي

وَأَمَّا تَمَنِّيْكُمْ قُرَيْشًا فَإِنَّهَا مَصَابِيحُ يَرْمِيهَا بِعَيْنَيْهِ نَاطِرُ
تمنيكم الوصول إلى مرتبة قريش وهم، فإنهم مصابيح ينظر إليها الناظر لا غير

فَمَا أَنْتُمْ مِنْهُمْ، وَلَكِنَّكُمْ لَهُمْ عِبِيدُ الْعَصَا، مَا دَامَ لِلزَّيْتِ عَاصِرُ
لستم من قريش، بل ستظلون عبيد العصا لهم (عبيداً يضربون) ما دام هناك من يعصر الزيت
(أي للأبد)

فَمَا خُحِمَتْ أَكْتَاْفُكُمْ لِنُبُوءَةٍ وَأُسْتَاهُكُمْ قَدْ أَنْكَرَتْهَا الْمَنَابِرُ
ففي قريش النبوة، وأنتم ليس على أكتافكم ختم النبوة، وأقفاؤكم لم تجلس يوماً على منبر. وربما
جلس الخطيب على كرسي فوق المنبر قبل أن يقوم فيخطب

بَنِي أَسَدٍ لَسْتُمْ بِسَبْيٍ فَتُشْتَمُوا وَلَكِنَّمَا سَبْيِي سُلَيْمٌ وَعَامِرُ
يا بني أسد، أنتم لستم بسبي (كفأ لي فأسبكم وتسبونني)، فأولئك بنو سليم وبنو عامر

٥٥ يا مرسل الريح

يَا مُرْسِلَ الرِّيحِ جَنُوبًا وَصَبَا

يا رب، يا مرسل ريح الجنوب وريح الصبا

إِنْ عَضِبْتَ «زَيْدٌ» فَرِزْهَا عَضْبَا

وَإِنْ عَضِبْتَ بَنِي زَيْدٍ بَنِ عَمْرٍو نُقْبَا

الحق ببني زيد نقباً (بقعاً من الجرب)

لَيْسَتْ مِنَ الْبَرِّ وَلَكِنْ جَرَبَا

البر (القماش)

٥٦ فعلت به أفعالها

ارْبَعُ عَلَى دِمْنٍ تَقَادَمَ عَهْدُهَا «بِالْجَوْفِ» وَاسْتَلَبَ الزَّمَانُ جِلَالَهَا
قف على دمن (خرائب) قديمة في موضع الجوف، وقد استلب الزمان (أخذ) حلالها
(أهلها الذين حلوا فيها)

دِمْنٌ لِقَاتِلَةِ الْغَرَائِقِ، مَا بِهَا إِلَّا الْوُحُوشُ، خَلَّتْ لَهُ وَخَلَا لَهَا
هذه الخرائب هي التي قتلت الغرائق (الشبان الوسيمين)، وليس بالخرائب الآن سوى الوحوش
التي خلت لموضع الجوف، وخلا من كل أحد وبقي لها وحدها

بَكَرَتْ تُسَائِلُ عَنْ مُتَيِّمٍ أَهْلِهِ وَهِيَ الَّتِي فَعَلَتْ بِهِ أَفْعَالَهَا
بكرت (أنت صباحاً) هذه الفتاة التي قتلت الشبان تسأل عن متيم (عاشق) أهله، مع أنها هي التي
تيمته.. والبيتان مما أورده أبو تمام في الحماسة منسوباً لغير الأخطل، وجئنا بالبيتين هنا للسياق

كَانَتْ تُرِيكَ إِذَا نَظَرْتَ أَمَامَهَا مَجْرَى السُّمُوطِ، وَمَرَّةً خَلَخَالَهَا
كانت تريك مجرى السموط (العقود.. أي عنقها) وخلخالها. تفتنك بمفاتنها

اخْشَأْ إِلَيْكَ جَرِيرٌ، إِنَّا مَعَشَرٌ نَلْنَا السَّمَاءَ نَجُومَهَا وَهَلَالَهَا
اخشأ إليك (خست وبعدت) يا جرير فتحن أشرف منك بكثير، وشرفنا وصل السماء

مَا رَامَنَا مَلِكٌ يُقِيمُ قَنَاتَنَا إِلَّا اسْتَبَحَّنَا خَيْلَهُ وَرَجَالَهَا
ما رامنا (طلبنا) ملك يريد أن يقيم قناتنا (يخضعنا) إلا استبحنا خيله وفرسانها

٥٧ تميم وتحبي

شَرِبْنَا فَمُنَّا مِبْنَةً جَاهِلِيَّةً مَضَى أَهْلُهَا لَمْ يَعْرِفُوا مَا مُحَمَّدٌ
ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فَلَمَّا تَنَبَّهْتُ حُشَايَاتُ أَنْفَاسٍ أَتْنَا تَرَدَّدُ..
ظللنا سكرانين ثلاثة أيام، فلما عادت إلينا حشاشات أنفاس (بقية من صحو)

حَيِّنَا حَبَاءً لَمْ نَكُنْ مِنْ قِيَامَةٍ عَلَيْنَا وَلَا حَشِرٍ أَتَانَاهُ مَوْعِدُ
كنا كمن عاش بعد موت، لكن بدون يوم قيامة ولا حشر جاء موعده

حَيَاةٍ مِرَاضٍ، حَوْلَهُمْ بَعْدَمَا صَحَوْا مِنَ النَّاسِ شَتَّى عَاذِلُونَ وَعُودُ
عشنا حياة قوم مرضى من الخمار، صداع السكر، وحولنا الناس بعضهم عاذل (لائم) وبعضهم
عائد (زائر المريض)

وَقُلْنَا لِسَاقِينَا عَلَيْكَ فَعُدْ بِنَا إِلَى مِثْلِهَا بِالْأَمْسِ، فَالْعُودُ أَحْمَدُ
وقلنا لساقينا عد بنا للسكر

فَجَاءَ بِهَا كَأَنَّمَا فِي إِثَائِهِ بِهَا الْكَوْكَبُ الْمَرِيخُ، تَصْفُو وَتُزِيدُ
فجاء بالخمير، كأن في إثائه المريخ، الكوكب الأحمر، وهي تصفو إذا راقت وتزيد إذا مزجت أو
سكنت في الأفق

تَفُوحُ بِمَاءٍ يَشْبَهُ الطَّيِّبِ طَيِّبُهُ إِذَا مَا تَعَاظَتْ كَأَسْهَاءِ مِنْ يَدٍ يَدُ
تفوح رائحتها الطيبة مع تداول كؤوسها بين الشاربين

نُمِيتُ وَنُخْبِي بَعْدَ مَوْتٍ، وَمَوْتُهَا لَذِيذُ، وَمَحْيَاهَا أَلَذُّ وَأَمَجَدُ

٥٨ بيت الدمية

حُلُمٌ سَرَى بَعْدَ الْمَنَامِ، فَزَارَنِي مِنْ «أُمِّ بَكْرٍ» مَوْهِنًا بِخَيَالِ
حلم سرى (سار ليلاً) وأتاني وزارني بخيال أم بكر موهناً (في منتصف الليل)

فَلَهَوْتُ لَيْلَةً نَاعِمٍ ذِي لَذَّةٍ كَقَرِيرِ عَيْنٍ أَوْ كَنَاعِمِ بَالٍ
فاستمتعت باللهو، وكأني قرير العين (راضٍ) وناعم البال (مستريح، مستريح)

بِغَرِيرَةٍ نَفَجَ النَّعِيمُ شَبَابُهَا غَرْنِي الْوِشَاحِ، شَبِيعَةِ الْخَلْخَالِ
لهوت بغريرة (صغيرة جاهلة) نفج (مثل نفخ، فشبابه منفوخ: وقد استدار من جسمها ما استدار)،
غرني الوشاح (وشاحها جاثع: خصرها نحيل)، وخلخالها شبعان (ساقاها ممتلئتان)

فِي صُورَةٍ تَمَّتْ وَأُكْمِلَ خَلْقُهَا لِلنَّاطِرِينَ كَصُورَةِ التَّمَالِ

هي كاللعبة. كان لنا جار يبرز زوجته للناس مفتخراً بجمالها - وكانت نساء مدينتنا
لذلك العهد سوافر... كلهن - وكان يقول: انظروا، هذه وردة أشمها! وكنت أجد
كلامه مهيناً للمرأة، وأنا بعد صغير لم أسمع عن النسويات والنسويين. على أنني
أفتخر بأن مدينتي «نابلس» بفلسطين كان يكاد الطلاق فيها ينعدم أيامئذ، ولم يكن
عندنا تعدد زوجات. وكانت أوروبا قبل قرن ونصف قرن لا ترى غرابة في أن تعتبر
المرأة لعبة، ثم جاء النرويجي «هنريك إيسن» بمسرحيته «بيت الدمية»، فبدأت عملية
شاقة انتهت بأن نالت المرأة كثيراً من الحقوق، والأهم: كثيراً من الاعتبار، فتأكد
للقوم أنها ليست لعبة. لكن، سيظل في أعماق عقولنا الذكورية شيء من هذا طويلاً.
والحركة النسوية في بلدي تصارع اليوم التاريخ كله، وتصارع متشديدي الفقهاء،
وتصارع كثيرات من النسوة اللاتي يحلو لهن أن يكنّ دمي

تَمَّتْ لِمَنْ نَعَتَ النِّسَاءَ، وَأُكْمِلْتُ نَاهِيكَ مِنْ حُسْنِ لَهَا وَجَمَالِ
امرأة كاملة تشتهي أن ترى في صورتها عيياً. بعض النساء كذلك. يفتاظ الرجل أن يرى جمالاً
كاملاً، وصحيح أنه يقول: سبحان الله! لكن، تتصاعد من صدره أدخنة الرغبة والحسرة

وَمَلَاخَةٍ فِي مَنْطِقِي مُتَرَحِّمٍ مِنْهَا وَحُسْنِ تَقْتُلٍ وَدَلَالٍ

جميلة وكلامها رخم، وفيها التقتل (الغنج) والدلال (التمادي)

تَرْنُو بِمُقْلَةٍ جُوْذَرٍ بِحَمِيلَةٍ وَبِمُشْرِقٍ بِهِجٍ، وَجِيدِ غَزَالٍ

ترنو (تنظر) بمقلة جوذر (بعين بقرة وحشية) في خميلة (روضة)، وبوجه مشرق بهج (فيه لون الزهر)، وبعنق غزال

وَبِوَارِدٍ رَجُلٍ كَأَنَّ قُرُونَهُ مِنْ طُولِهِ مَوْصُولَةٌ بِحِبَالٍ

وبوارد (شعر) رجل (متكسر) كأن قرونه (خصلاته) موصولة بحبال لطوله. علق أبو سعيد السكري:

«لم يصنع الأخطل في هذا التشبيه شيئاً، وينبغي أن يكون قاله في شيخوخته!». إيه، بل صنع كثيراً.. وأي شيء أبعت على وصف الحسان من شيخوخة محرومة من وصالهن يا أبا سعيد!

مَا رَوْضَةٌ خَضْرَاءُ أَزْهَرَ نَوْرُهَا بِالْقَهْرِ بَيْنَ شَقَائِقِ وَرِمَالٍ..

ليست الروضة الخضراء التي أزهَرَ نورها (براعم زهرها) في موضع «القهر»، بين الشقائق (الأراضي الوعرة) والرمال..

بِهَيْجِ الرِّبْعِ لَهَا فَجَادَ نَبَاتُهَا وَنَمَتْ بِأَسْحَمٍ وَإِلِ هَطَّالٍ..

بهج الربيع لها (منحها الزهر)، ونمت هذه الروضة بأسحم (سحاب داكن) يهطل بالمطر..

نَفَتِ الصَّبَا عَنْهَا الْجَهَامَ، وَأَشْرَقَتْ لِلشَّمْسِ غَبَّ دُجْنَةٍ وَطَلَالٍ..

ثم إن ريع الصبا نفت (أبعدت) الجهام (الغيَم المسود)، وأشرقت الروضة للشمس (أشرقت عليها الشمس) غب (بعد) دجنة (عتمة) وطلال (أمطار)..

يَوْمًا بِأَمْلَحٍ مِنْكَ بَهْجَةً مَنْطِقٍ بَيْنَ الْعَشِيِّ وَسَاعَةِ الْأَصَالِ

ليست هذه الروضة بأجمل منك وأنت تتحدثين بين العشي وساعة الأصيل (الغروب). ولعله أراد بين الأصيل والعشي.. لكن، وصلت الفكرة

تَشْفِي الضَّجِيعَ إِذَا أَرَادَ عِنَاقَهَا بِمُقَبِّلٍ عَذْبِ الْمَذَاقِ زُلَالٍ

تشفي ضجيعها (ملازمها في المخدع) بمقبل (نغر) زلال (عذب)

شَبِيمٌ كَأَنَّ الثَّلَجَ شَابَ رُضَابَهُ بِسُلَافٍ خَالِصَةٍ مِنَ الْجِرْيَالِ

فمها شبيم (بارد)، كأن الثلج شاب (خالط) رضابه (ريقه)، بسلاف (خمر) خالصة من الجريال (الخمر). والسلاف في الخمر أعلى من الجريال، فكان تلك الخمر خالصة من الشوائب. وقالوا الجريال لون الخمر، فخمرت على هذا صافية خالصة من الجريال، كالعرق مثلاً

صَهْبَاءُ صَافِيَةٍ تَنْزَلُ تَجْرُهَا بِلَادٍ «صَرَّخَدَ» مِنْ رُؤُوسِ جِبَالٍ

هذه الخمر صهباء (صافية اللون) نزل بها تجرها (تجارها) في بلاد صرخد من جبالهم

مِنْ قَهْوَةٍ نَفَحَتْ، كَأَنَّ سَعِيطَهَا مِسْكٌ تَضَوَّرَ فِي غَدَاةِ شَمَالٍ
هذه قهوة نفحت (أطلقت رائحتها) فكان سعيطها (رائحتها) مسك تضوّر (انتشر) في صبح هبت في
ليلته ربح الشمال

فَدَعَ الْغَوَانِيَّ وَالنَّشِيدَ بِذِكْرِهَا وَاصْرِفْ لِذِكْرِ مَكَارِمِ وَقَعَالٍ
فدع ذكر الحسان، والإنشاد بمحاسنها، واصرف القول للفعال (المكارم)

إِنَّا لَنَقْتَاذُ الْجِيَادِ عَلَى الْوَجَا نَحْوَ الْعِدَى بِمَسَاعِرِ أَبْطَالٍ
نقود جيادنا نحو الأعداء على الوجا (الحفا)، فنحن نسرع ولا نحدو الخيل لما عندنا من نجدة،
وعلى الخيل مساعر (رجال أشداء يسعون الحرب ويوقدون نارها)

فِي كُلِّ ذِي لَجَبٍ كَأَنَّ زُهَاءَهُ لَيْلٌ تَعَرَّضَ أَوْ رِعَانٌ جِبَالٍ
هذه الخيل يتضمنها ذو لجب (جيش له قعقة وفيه أصوات) كأن زهائه (كثرته) ليل منتشر أو رعان
جبال (روؤس الجبال)

مَا بَيْنَ أَوَّلِهِ وَآخِرِ جَمْعِهِ يَوْمٌ يُسَارُ وَلَيْلَةُ الْبَغَالِ
بن أول الجيش وآخره مسيرة يوم، ومسيرة ليلة البغال
(صاحب البريد الذي يسير طول الليل بلا توقف)

٥٩ جيئوا من مكان واحد

هَجَانِي الْأَلَمَانِ ابْنَا دُخَانٍ وَأَيُّ النَّاسِ يَقْتُلُهُ الْهَجَاءُ
هجاني هذان الرجلان، والهجاء لا يقتل المهجوا!

وُلِدْتُمْ بَعْدَ إِخْوَتِكُمْ مِنْ أَسْتٍ فَهَلَا جِئْتُمْ مِنْ حَيْثُ جَاءُوا
يا بني دخان! ولدتُم من وراء، أما كنتم تجيئون من أمام! هذا هجاء جريري المذاق

٦٠ الجندبية

تَنَزُّوْا إِذَا شَجَّهَا بِالْمَاءِ مَارِجُهَا نَزُّوْا الْجَنَادِبَ فِي رَمَضَاءَ تَلْتَهَبُ

تنزّو (تثب) فقايع الخمر - ويبدو أنه يتحدث عن ضرب من الخمر يشبه
الشمبانيا - إذا شجها (جرحها) بالماء مارجها، كوئب الجنادب (نوع من الجراد
صغير) في رمضاء (أرض شديدة السخونة). كأنه توهم تقافز الجنادب مسبباً عن
سخونة الأرض، هي تقفز في كل أرض

رَاحُوا وَهُمْ يَحْسَبُونَ الْأَرْضَ فِي فَلَكٍ، إِنَّ صُرِعُوا وَقَتِ الرَّاحَاتِ وَالرُّكْبِ .

راح الشاربون يظنون الأرض دائرة في فلك - في زمن الأخطل لم تكن الأرض تدور - ،
فهم لسكرهم يتطوحن ويقعون أرضاً وراحات أيديهم وركبهم تقيهم عند السقوط فلا يقعون
على وجوههم

الأخطل
فهرس القوافي
(القافية فرقم القطعة)

٢٠	مَوْجُودُ	٣٨	وِطْبَاءُ
١٨	جِيَادِ	٥٩	الهَجَاءُ
١١	عَفُورُ	٢٣	العَجِيَا
١٣	غَيْرُ	٥٥	وَصَبَا
٥٤	نَاظِرُ	٦٠	تَلْتَهِبُ
٢٢	هَدِيرُ	٦	فَالشُّعْبُ
٣٠	وِثْرُ	٢٦	الثَّرَابِ
٥٢	الأنصارِ	٤	القُرْبِ
١٧	الدَّهْرِ	٨	سَاغِبِ
٣١	السَّرْرِ	٣٢	مَضَارِبُهُ
٥٣	القِصَارِ	٥١	يَسْبَحُ
٣٣	القَصْرِ	٢١	الأَصَاحِي
١٤	مِشْهَارِ	١٢	يَتَبَدَّدَا
٣٤	والعارِ	٤٥	البعيدُ
١	وعامِرِ	٤٦	العييدُ
٤٧	لَنَا مَعَا	٢٧	فاجْتَلَدُوا
١٠	وَلَا وَرَعُ	٥٧	مُحَمَّدُ

٥٦	لِحِلَالِهَا	٥	الشَّقَاقِ
٣٦	شُعُولِهَا	٧	حِبَالَا
٩	يُعَادِلُهُ	٢٨	عَذَلَا
٤١	سَلَمَا	١٩	وَاشْتَعَلَا
٥٠	عَمَامَا	٣٩	الْأَوْعَالَ
٤٣	الْقَطِمِ	١٦	ذُحُولُ
٤٠	وَالْفَمِ	٢٥	رِحَالَا
٤٨	دِرْهَمِ	٤٢	قَتُولُ
١٥	فَقَصِيمُهَا	٢	مُعَدَّلُ
٤٩	تَلِيْنُ	٣	مَقْتُولُ
٢٩	الْجَنَانِ	٥٨	بِخَيَالِ
٣٥	الطَّلَلَانِ	٢٤	وَحَالِي
٤٤	يَلْحَانِي	٣٧	حُمُولِهَا

الفرزدق، همّام بن غالب

(٢٠هـ - ١١٤هـ)

شرح شعر الفرزدق صعب. تستنجد المعجم على كلمة فرزدقية أغلقت دونك بيتاً فتجد المعجم مستشهداً ببيت الفرزدق الذي تسعى إلى فهمه؛ فهذا تفسير الماء بالماء. وصاحبنا ذو طريقة عنيفة مضطربة في معانيه وفي رصيفه ألفاظه، لا يبالي أن يعامل الجمع معاملة المثنى، والمفرد معاملة الجمع، والمنصوب معاملة المرفوع؛ ولا أن يعطيك المعنى بالفاظ نصفها ظاهر لعينيك، ونصفها كامن في بطنه. ولئن كان الاجتزاء بقليل اللفظ عن كثير المعنى معدوداً من البلاغة في أحوال، فإنه يُحسّر في الغوامض والمعميات التي تشين الكلام في أحوال غيرها.

وقد اخترنا من شعر الفرزدق أجمله وأحسنه، ووقع في اختياراتنا شيء من تلك الألفاظ، واجتهدنا في حلها.

سنحدثك في هذه المقدمة عن الفرزدق وعصره، وهو أحد ثلاثة متعاصرين يشبه شعر أحدهم شعر أخيه؛ والآخران جرير والأخطل. وكان قدما النقاد والنحاة وأهل اللغة يجدون لذة في لعبة يلعبونها: كانوا يفاضلون بين الثلاثة، ويتعصب كل واحد منهم لواحد من هؤلاء الشعراء. لا بل إن شعراء معاصرين للثلاثة استمروا اللعبة، وقالوا الأشعار في تفضيل أحد الثلاثة على زميله. ولن نلعب معهم.

أنظر إليّ الآن قاعداً أكتب هذه المقدمة لمختاراتي من شعر الفرزدق مقوس الظهر متعباً، بعد أن أتممت شرحي للآيات، والتمس لي العذر.

العالم يموج حولي بالأحداث والأفكار. العالم يمشي نحو المستقبل. يستقبل غده بالأمنيات والمخاوف، وتعتلج في جوفه براكين تبحث عن الخاصة

اللينة حتى تنفجر. وأنا قاعد في ركن هادئ من العالم أراقب. وتأتيني لحظة أقول لنفسي فيها: لأهاجرُ إلى أوروبا القارة العجوز الآمنة، كي أرى العالم منها. ثم أقول: بل إلى أميركا كي أكون في جوف الحدث. ثم أراني قاعداً أشرح شعر الفرزدق. أريد أن أذهب بعيداً عن بلاد العرب كي أرى بلاد العرب بوضوح. ولكتني قاعد أشرح شعر الفرزدق.

لعل ما يجعلني أشرح هذا الشعر القديم، الذي ولد صاحبه في خلافة عمر، أنني مرتحل في الزمن إلى الورا كي أرى الحاضر بوضوح. ودنيا العرب الآن - وأكتب في أكتوبر عام ٢٠١٥ - مضطربة، والعرب مضطربون.

استطراد

عندما احتل الأميركيون الفلبين قبل ١١٧ عاماً خسروا أربعة آلاف وثلاثمئة جندي، وقتلوا ربع مليون فلبيني. قالوا إنهم يفعلون ذلك في سياق جلب المدنية والرقى للفلبين. الجنرال لويد ويتون أمر جنوده أن يببدا سكان القرى والمدن في دائرة قطرها ٣٥ كيلومتراً، أمرهم أن يقتلوا من هو فوق العاشرة من العمر. وفعلوا. كتب جندي أميركي آنذاك: «دماؤنا تغلي، وكلنا يريد قتل هؤلاء العبيد، هذا أجمل من اصطياذ الأرانب بما لا يقاس».

والعراق ماثلة؛ وكما لاحظ بعضهم فإن أميركا تقصف الناس الآن، بطائرات بطيار وبغير طيار، في ست دول إسلامية.

في الفكر السياسي الغربي اليوم اتجاهان: اتجاه يبرز جرائم الغرب إبرازاً. عنوان هذا الفكر «الإمبراطورية الأميركية: أميركا المجرمة». وصوت هذا الاتجاه ضعيف في الغرب، قوي عندنا، فنحن نترجم تشومسكي وصحبه ونقرأهم. واتجاه ينظر إلى الدول المتخلفة، وإلى ما فيها من ظواهر كالإسلام السياسي، ويحاول أن يشخص التخلف.

وكلا الاتجاهين مفيد ما التزم أصحابه الأمانة الفكرية. ولا يغيب عن القارئ أن جماعة «أميركا المجرمة» ينسون أن يعطونا - نحن العرب والمسلمين وباقي دول إفريقيا المتخلفة - نصيبنا من اللوم، وينصرفون بحماسة زائدة لكشف جرائم الغرب، وأن جماعة «تشخيص التخلف» تركز أنظارها علينا تركيزاً ينسبها أن نصف اللوم في تخلفنا يقع على الغرب.

يسرني أنني قاعد أقرأ هؤلاء وهؤلاء بالتناوب، ويسرني أنني شحذت

حسي النقدي شحذاً طيباً على مسنٌ بضعة كتب في الفكر السياسي قرأتها مؤخراً. أقرأ بين الحين والحين بعض ما نكتبه نحن، ولم أنصرف كل الانصراف عن كثير مما كتبناه في ماضينا القريب أو السحيق في موضوع «الفكر السياسي»: أكان بأقلام أهل الفكر الحر المعاصرين كعلي الوردي، أم بأقلام القدامى من أصحاب التواريخ وكتب السياسة كالطبري والماوردي والطرطوشي. غير أن رؤية أنفسنا بعيون الآخر تكشف من الحجب ما لا تكشفه رؤيتنا أنفسنا بعيوننا. وستظل، ولسنين كثيرة، الكتب المكتوبة من اليسار إلى اليمين خير ما يصف حالنا في الماضي وفي الحاضر.

هذا الكلام كله لا علاقة له بالفردق، وبصراحة.. لا من قريب ولا من بعيد. أنا فقط أضعك في جوي النفسي والمعرفي في هذا الأوان، أو أنني على الأصح أحاول أن أتفكّر من التفكير في أحوال الدنيا فلا أستطيع إلى ذلك سبيلاً. عاش الفردق تسعين سنة، وعاشت الخلافة الأموية تسعين سنة. وتواكبا إلى حد كبير.. فقد شهدا تبادلاً وهو شاب في نحو العشرين وعاشها سبعين سنة. عاش في زمن كان العرب فيه يصعدون.. وقبيلته تميم - أكثر من غيرها - قد صعد نجمها، وهي من طليعة من وصل بنفوذ العرب إلى خراسان.

ونحن اليوم نعيش هبوطاً مؤلماً من شأنه أن يفقدنا الثقة بالنفس. فهل تظنُّ أنني أريد استعادة أمجاد الماضي بالحديث عن الفردق؟ ما أكثر ما بُعدت عن الحق! محدثك لا يحلم بالإمبراطورية، ولم يعد يحلم بالوحدة العربية التي عاش أحلامها يافعاً. أقران بين عصرين لأن المقارنة خطرت ببالي. ولأنني أبحث عن منصة أنطلق منها إلى الحديث الذي كنت هجرته قبل نصف دقيقة، وهو الحديث عن الشعوب في عصرنا وعن تخلفها، وتقدمها.

يطيب لي كثيراً الحديث عما يمكن لنا نحن أن نفعله كي ننهض، وأميل بعض الميل إلى ترك مسألة أميركا المجرمة، وإسرائيل المجرمة. فرغم أنني من بلد استكملت إسرائيل احتلاله وأنا في الحادية عشرة من عمري، ورغم أنني رأيت تلك الدولة المسخ تأكل بلدي قطعة قطعة بما سموه الاستيطان، ورغم معرفتي العميقة بما يصنعه الغرب بالدول المتخلفة، فإنني أفتقد إلى حرارة الإحساس بالمظلومية التي أجدها عند كثيرين من أبناء العرب، ربما لأنني من تلك الطبقة المتوسطة المائعة التي لم تحس بفداحة ظلم الظالمين، وقد استطعت أن أعيش - وبأعجوبة - بعيداً عن سجون الاحتلال، وبعيداً في الوقت

نفسه عن النضال، وعندما اشتعلت الانتفاضة الأولى في بلدي حضرت منها ثمانية أشهر فقط، ثم سافرت لأعيش في أوروبا سنوات كثيرات، وعندما اشتعلت الانتفاضة الثانية أحسست بلسعتها، لكنني كنت أعمل مراسلاً إذاعياً، فكان لها بعض الخير على جيبي.

ثمة سبب آخر - وأراه مهماً - يدفعني دفعاً إلى ترك الحديث عن مظلوميتنا، والأخذ بالحديث عن ظلمنا لأنفسنا. ذلك أن كل الناس يفيضون في الكلام على هذه المظلومية، فلا أستطيع أن أضيف شيئاً ذا بال.

تربطني بالتونسي وبالعراقي وبكل من يتكلم العربية وشائج لا أقلل من قيمتها. ولكن مسألة الاتحاد في دولة عربية أمر حالت دونه سايكس بيكو قديماً، وحالت دونه شعوب العرب بعد استقلالها. وحسينا من التوحد ذلك الشعور العذب بأننا نشترك في كثير. فإن زاد ذلك عن ذلك فكان تضامناً، فنحن بخير.

أكره افتخار العربي بعرويته كرهاً عميقاً. ولكنني أسوق لك من فخر الفرزدق بآبائه - وهذا أسوأ - أبياتاً كثيرة. ولي موقف قد يكون مستغرباً عندك: أدعو دعوة صادقة إلى أن نهجر كثيراً من تراثنا، فقد قامت إمبراطوريتنا الأموية على استعباد العرق العربي للشعوب، وقامت على ما قامت عليه دول تلك العصور من استبداد ولي الأمر بكل الأمر، وجعله نفسه ظل الله على الأرض. ثم قامت الدولة العباسية على استبداد شبيه، وصعد العنصر الفارسي ثم التركي، وظللنا تتقلب علينا الدول المستبدة، وعندما نلنا الاستقلال عن الأوروبيين استمررنا في الاستبداد. العرب - وأعني كل من يتكلم العربية - متربون على الاستبداد. تجده في البيت والعمل وفي الدولة، وفي أعماق النفوس. ونحن متربون على الاستهانة بالمؤسسات التي تسوي بين الناس، أي بالقانون؛ ومتربون على احترام المؤسسات القديمة: أساساً العشيرة. وإلى أن يتغير ذلك سواصل الهبوط.

في كل مجلس أجلس فيه يَطْلُع عليّ رجل يقول «هذه الأمة». تفقع مرارتي هذه الكلمة. في الغالب يعني صاحبنا الأمة الإسلامية. وقد آمن بهذا بعض الباحثين الغربيين، فأخذوا يعاملون المسلمين جميعاً كأمة واحدة. بعضهم يصنع ذلك بسوء نية، فيصم هذه الأمة بالتعصب والتعالي والإرهاب والجهل. وبعضهم يضعنا في تلك البوتقة الواحدة وينظر فيها بعين فاحصة محاولاً معرفة

سبب المواجهة التي نرى مظاهرها بين الغرب والمسلمين. ولن أقول له: نحن العرب أمة وحدنا، ولن أقول إن الروابط بين المسلم العربي والمسلم الأفغاني أو الإندونيسي وهمية. بل أقول: لا شعوب العرب تمثل أمة، ولا شعوب المسلمين.

على أن الإسلام يشكل رابطة مهمة. وكنت أتمنى لو كان يمثل مؤسسة، لكنه في أيامنا هذه لا يمثل. وقد وجدت المتدينين أكثر التماساً للمعايير من غيرهم، ووجدتهم يلتزمون في أحكام الفقهاء طرقاتاً يَجْرُونَ بها الدنيا إليهم.

فهل آن أن نتحدث عن الفرزدق؟

آن.

حياة الفرزدق

ولد عام ٢٠ للهجرة، في كاظمة، التي نسميها اليوم الكويت. وكانت بها نخلات لقومه، غير أن قومه، بني تميم، كانوا معرقلين في البداوة. وكان أبوه غالب يغشى البصرة كثيراً، وبها كان ينحر الإبل تباهاً، وقد نحر في مرة واحدة - قيل - المئات منها. فلا بد أن الأب، غالب، كان يملك مئات كثيرة من الإبل التي ترعى، ومعها عبيده وأبناء عشيرته، في بوادي نجد. والقبيلة الكبرى هي تميم. وقد حافظت هذه القبيلة الكبيرة على قدر من التماسك بعد الإسلام، أمسكها زعماء أقوياء كالأحنف بن قيس.

قيل إن تميم كانت في تهامة بالحجاز قبل الإسلام بنحو مئة سنة بل أكثر، وأجلت عنها إلى شرق الجزيرة العربية بعد حرب كبيرة. هذا ما قاله عبد الله بن الزبير معيراً الفرزدق، ورددته كتب القدماء.

نحن الآن في زمن الخلفاء الراشدين، وتميم تعيش في الكويت وفي قطر وفي عمان وتمتد شمالاً إلى بادية العراق لتحاذي قبائل ربيعة، ويعيش بعض تميم في اليمامة (الرياض) مجاوراً قطعة من قبائل ربيعة هي قبيلة حنيفة التي كانت تحكم اليمامة. كانت حنيفة تفلح الأرض وتجنّي التمر، وأما تميم اليمامية فكانت ترعى الإبل وتعيش حياة أقرب إلى البداوة. وكان جواراً حسناً. وعندما أسس عمر بن الخطاب البصرة والكوفة كان لتمييم خمس من أخماس البصرة ورابع من أرباع الكوفة. وكثرت تميم في حاضرتي الإسلام، وامتدت إلى خراسان بقيادة الأحنف، واستقرت طائفة كبيرة من تميم بخراسان. واعتبر

اللغويون الذين كتبوا كتب اللغة في أوائل العصر العباسي لغة تميم في ذروة الفصاحة، لأن تميم ظلت تعيش عيشة البداوة، ولأنها أنجبت جريراً والفرزدق أيضاً. وكثير من فُضَحانا اليوم تميمي. لا نشك في أن تميمًا نطقت بالعربية بلهجة معينة، وبأن قريشاً وأهل الحجاز نطقوا بها بلهجة مختلفة، وشواهد أهل اللغة على ذلك بالملئات. لكنَّ مواسم العرب جعلت الشعراء يتقاربون في مفرداتهم وكلماتهم ويلتقون على لغة واحدة، ولعل فيها من لغة الحجاز كثيراً. الفصحى التي ورثها العصر العباسي مخلوق هجين، والقرآن نطق بلهجات عدة، وكانت لهجة تميم على رأسها.

سمع هَمَّامُ بْنُ غَالِبٍ بن صُغَصَّةَ كثيراً من الشعر صغيراً، سمعه من أبيه ومن رجال عشيرته، فقد كان فيهم شعر، وسمع شعر شعراء ربيعة في الجاهلية، وذكر في شعره أنه وارث شعراء كثيرين، من ربيعة وغيرها، سمى منهم نحو عشرة في إحدى قصائده. ولا نظنه تعلم الكتابة. وقد كان له عندما نبغ في الشعر وطار صيته كاتب يكتب عنه، - سماه النقاد كاتباً، لا راوية، على أنه كان للفرزدق رواة كثر أيضاً -. ولا نلمس من أخباره أنه كان يخط شيئاً بيده.

لقبوه الفرزدق باكراً، وأحبَّ اللقب، وذكره في شعره مرات كثيرة. والفرزدق الرغيف فيما قال لنا القدماء. كان وجهه فيما يبدو كبيراً مضطرب الملامح كـرغيف ذلك الزمن. وقالوا كان دميماً، ولعله كان قصير الرجلين وافي الجذع يحمل بين كتفيه رأساً كبيراً.

نشأ في بيت عز، في عشيرة سيادة من عشائر تميم الكثيرة، وفي أسرة حانية، فقد أحبه أبوه، وكان يسميه «هَمِيمًا»، أو «هميميمًا». وعاش له أبوه حتى كبر وشب، وكان له القدوة؛ وأحبته أمه، عرفنا أنها أرسلته يوماً يرعى الخراف، فأكل الذئب خروفاً منها، فقال الفرزدق في ذلك شعراً، ونعرف أنه حج بأمه. فهذا شاعر نشأ في بيت حنون.

ومثلما أحب أبويه وأحبابه، أحب الفرزدق أولاده وبناته، ولا سيما ابنته مكية التي ولدتها له أمة سوداء. ولا نصدق أن ابنه لَبَطَةُ كان عاقاً. لعل الفرزدق غضب مرة على لبطة فقال فيه أبياتاً سرق نصفها من شاعر قديم. لعله ما قال تلك القصيدة إلا ليسرق تلك الأبيات! فأما لبطة فقد كان راوية والده ورسوله في المهمات الملمات.

أحب الفرزدق زوجته النوار حباً جارفاً ثلاثة أرباعه تعلَّقَ بها لأنها ظلت

ناشزة من يوم تزوجها إلى يوم أصرت على الطلاق فطلقها، وبعد الطلاق ظل يحبها، وإلى يوم وفاتها أحبها. وقد أنجبت له لَبْطَة وسبْطَة وحبْطَة وركضة وزمعة. ولا نطن أنه كان للنوار، ذات الاسم الجميل، يد في تسمية أولئك الأبناء. ولا نصدق أساساً كل ما قاله مؤرخو الأدب القدامى، لعلهم رأوا اسم لَبْطَة غريباً فشفعوه بأسماء غريبة أخرى. غير أن النوار عاشت في كنف لَبْطَة بعد طلاقها.

رغم كل هذا الحب والحنان الأسري فقد كان الفرزدق يتبعق أنانية وشراسة. كان مزواجاً، وكان زناء، وقاذفاً للمحصنات. وكان فيما بين الكبيرة والكبيرة يخاف الله. كان في عقلية جاهلياً يتذكر بين الفينة والفينة أنه مسلم. وكان في نفسيته غضوباً سريع الاحتياج.

كانت البصرة والكوفة في آخر عهد الخلفاء الراشدين محطة لشتى القبائل، الأزد وتميم وتغلب وغيرها، ينطلق الناس منهما في حملات الفتح. وعندما بدأت الفتنة، وقتل عثمان وتولى الخلافة علي غدا الاستقطاب السياسي الوصف الملائم: فالعراق مع علي، والشام مع معاوية. وفي الفتنة كانت تميم مع علي. وقد وفد غالب والد الفرزدق على الإمام علي ومعه ولده، وله من العمر نحو سبع عشرة سنة، وقال «غالب» لأmir المؤمنين علي إن ابنه بدأ يقول الشعر، فنصح علي للفتى أن يقرأ القرآن.

ثم اغتيل علي، وخلص الأمر لمعاوية.

كان الفرزدق في العشرين عندما استتبّت دولة بني أمية في عام ٤١ للهجرة. كان قد استوى له الشعر، فقد تدرب على هجو الناس وهو يافع. قال أبياتاً في معاوية بن أبي سفيان، فطلبه والي البصرة زياد بن أبيه، ففر منه، وأخذ يتنقل بين القبائل، والخوف مستولٍ عليه. فزياد مخوف الجانب، وعقابه شديد، وعنده للفرزدق ملف سمين، فإذا ما اختار زياد الإغضاء عن كلام الفرزدق لمعاوية حفاظاً على مقام الخلافة، وحتى لا يكون قد جعل الفرزدق ومعاوية خصمين متكافئين، فهناك كثيرون ممن هجاهم الفرزدق وهتك أعراضهم، وما أيسر أن يؤخذ شاعرنا بتلك الجرائر.

قال الفرزدق أبياتاً كثيرة يعتذر فيها لزياد، ويذكر خوفه منه. ونقل إليه أن زياداً عفا عنه وطلبه كي يعطيه، ولكن الفرزدق خاف القدوم على زياد، وواصل فراره حتى أتى المدينة المنورة، وعليها سعيد بن العاص الصحابي الأموي

السخي. بادره الفرزدق بالقول: لم استحلّ دماً ولا مالاً، فأواه سعيد، فمدحه الفرزدق. وعاش في المدينة يسمع الشعر والغناء، ويرتاد بيوت القيان، ويزني أو يزعم أنه يزني، ويقول في ذلك شعراً، والوالي سعيد بن العاص، وكان فيه لين، يغضي عن أقواله وأفعاله. ثم تولى المدينة مروان بن الحكم، وكان شديداً، فأخرج الفرزدق عن المدينة، فذهب إلى مكة، وعاد سيرته الأولى يرتجف خوفاً من زياد بن أبيه، ولم يمض طويل وقت حتى جاءه خبر موت زياد فتنفس الصعداء، وعاد إلى البصرة وهو رجل في نحو الثالثة والثلاثين.

قد شهد الفرزدق في المدينة ومكة مجالس العلماء والشعراء. لقي شعراء الحجاز وانتبه إلى ما في شعر عمر بن أبي ربيعة من قصة، فكان في شعر الفرزدق قصة. حتى الحطيئة المخضرم، الذي شهد قطعة صالحة من الجاهلية، فقد لقيه الفرزدق في مجلس الوالي سعيد بن العاص. وعندما رجع إلى البصرة كان قد ملأ رثيته من جو الحجاز المترف. وعاد في مقبل حياته إلى الحجاز مرات كثيرة حاجاً وغير حاج.

عاد الفرزدق من منفاه ليجد ابن زياد قد تولى العراق خلفاً لأبيه، فمدحه وتقرب إليه.

لبث الفرزدق بالبصرة، يزور مسقط رأسه كاظمة، ويقوم على ماله، ويتزوج وينجب. لكن صفته الراسخة هي أنه شاعر يتغنى بأمجاد عشيرته دارم وقبيلته الكبرى تميم. وظل يعطف على أهل البيت غير ناس ذلك الولاء القديم الذي دانت به قبيلته تميم لعلي، غير أنه كغيره من الشعراء يخشى ولي الأمر ويطيعه. . ويمدحه.

مات معاوية سنة ٦٠ وتولى يزيد، وكانت فتنة أخرى سنة ٦١ بمقتل الحسين بن علي وهو يسعى في الخروج على الأمويين. وامتنع عبد الله بن الزبير في الحجاز عن البيعة ليزيد، واستقل بالحجاز، وأرسل أخاه مصعباً والياً على العراق. واستمر العهد الزبيري في الحجاز والعراق عشر سنوات، كان قلب الفرزدق فيها زبيرياً، وإن لم يمدح ابن الزبير. ففي عهده خادع الفرزدق ابنة عمه النوار واحتكما إلى ابن الزبير الذي نصرها عليه.

هذا ملخص قصته مع النوار: أرادت النوار أن تتزوج، فوكلت الفرزدق بتزويجها إلى رجل ارتضته، فزوجها الفرزدق من نفسه خديعة وغصباً. فرحلت إلى الحجاز واستجارت بابن الزبير فنصرها، قال لها: سأقنع الفرزدق بتطليقك،

فإن أبى قتلتة. فقالت له: لا أرضى ذلك. ورضيت بالفردق على مضض،
فرجع بها شاعرنا إلى البصرة.

كان العراق في عهد ابن الزبير يموج بالنزاعات بين القبائل، ولا سيما بين
الأزد اليمنية وتميم المضرية. وكان الفردق لسان قومه. لكنه في هذا الزمن،
في سنة ٦٦ للهجرة على التعيين، انخرط في معركة داخلية سوف تستمر ثمانية
وأربعين عاماً.

في هذه السنة بدأ التهاجي بين فحلي تميم: جرير والفردق. جرير يرسل
قصائده من اليمامة فتتردد أصداؤها في العراق، والفردق مقيم بالبصرة يهجو
جريراً ويملاً محافل البصرة وغير البصرة بأشعاره.

انتهى العهد الزبيري في الحجاز بمقتل عبد الله بن الزبير، وفي العراق
بمقتل مصعب بن الزبير، واستتب الأمر لبني أمية، واستتب الأمر للخليفة
عبد الملك بن مروان. أرسل عبد الملك أخاه بشراً والياً على العراق. فمدحه
الفردق، ومدحه جرير. واستطاب بشر التهاجي بينهما أكثر مما استطاب
المدح، فكان يحرض كلاً منهما على صاحبه. ومات بشر بعد قليل، فجاء
الحجاج والياً على العراق. وسيظل والياً عشرين سنة. وقد نال من مدح
الجريرين كليهما الكثير.

والفردق في كل هذه السنوات مقيم في العراق، يمدح الولاة ولا يقترب
من الخلفاء، ولا يزور دمشق، لكننا نجد له مدحاً في عبد الملك. أما جرير
فكانت له قصائد في عبد الملك ثم في ابنه الوليد، وفيمن تلاهما.

وظل الفردق وجرير يتهاديان قصائد الهجاء الشنيعة، وانضم إليهما
الأخطل مناصراً للفردق.

ومدح الفردق بعد الحجاج عمر بن هبيرة، ولم ينس أن يرثي الحجاج،
ثم تذكر بعد حين أن يهجو ميتاً. ومدح بعد عمر بن هبيرة خالد بن عبد الله
القسري والي العراق، لكن بعد أن كان هجاء طويلاً.

وفي خلافة سليمان بن عبد الملك زار الفردق الشام مادحاً. كان شيخاً
أناف على السبعين، وقد أحب سليمان وأكثر من مدحه، لكن سليمان مات بعد
ثلاث سنين، وجاء عمر بن عبد العزيز خليفة، وليس للشعراء عند عمر شيء
يذكر. ومات عمر بعد سنتين وللفردق ثمانون سنة. ومدح الفردق يزيد بن

عبد الملك ونال عطاياه، وبعد سنوات أربع، ودع الفرزدق خليفته الأموي التاسع. عاصرهم جميعاً واعياً وشاعراً وإن لم يلقَ إلا المتأخرين منهم، واستقبل خليفته الأموي العاشر هشام بن عبد الملك.

لم ينل حظوة عند هشام الذي لم يكن سخيّاً على الشعراء. فمدحه قليلاً وعرض به في أبيات قليلة فغضب عليه، وقيل سجنه ثم أطلقه، وكان له قبل سنوات كثيرة موقف مع هشام في مكة قبل أن يستخلف هشام، حين عرض بالأمير الشاب مادحاً زين العابدين حفيد الإمام علي في قصيدة طائفة الصيت.

عندما بلغ الفرزدق التسعين تزوج للمرة العاشرة أو العشرين. . . وافتضح عجزه، وسبه به جرير.

مات الفرزدق عام ١١٤، في خلافة هشام، وعمره أربع وتسعون سنة قمرية. ورثاه جرير، وعاش بعده أشهراً. وانتهت بذلك أطول وأسخن معركة هجاء في تاريخ الشعر العربي.

انفتحت في سيرة الفرزدق بكتاب شاكر الفحام، وبما كتبه القدماء كأبي الفرج الأصفهاني وابن قتيبة وابن سلام الجمحي. وقد رأيت بيتاً من أجمل الشعر نسبته الثعالبي إلى الفرزدق، وليس في الديوان:

وإنا وسعداً كالفصيل وأمه إذا وطئتْ لم يضره اعتمادها
أي أننا وقبيلة سعد متأخيان، فإن وقع بيننا شر فهو لا يستطير، مثلما تدوس الناقة على فصيلها لكنها لا تؤذيه، لأنها أمه. ونقلوا بيتاً يشبه هذا قاله عبد المسيح بن كلال لأحد ملوك الغساسنة:

نميلُ على جوانبه كأنا نميلُ، إذا نميلُ، على أبنينا
وقد أخذنا ما أخذنا من شعر الفرزدق من الدواوين التي بأيدي الناس، وهي ضعيفة التحقيق؛ ونظرنا في النقائض. ولم نجد له ديواناً مشروحاً شرحاً حقيقياً، فأما النسخة التي كتبها إيليا الحاوي لتلامذته فشرحها شرحٌ من كان مستعجلاً. وقد نشر مجموعة من شعره الفرنسي بوشير عن نسخة محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي، وبعده بربع قرن (١٩٠٠) نشر يوزف هيل مخطوطة القسطنطينية مصورة تصويراً، مكماً عمل بوشير.

ولم أجد طبعة محققة. وكل ما وجدته مما صدر بلبنان منقول عن طبعة

الصاوي بمصر. وقد عقد شاعر الفحاح فصلاً ضافياً ذكر فيه النسخ الخطية للديوان ووصفها وصفاً مفصلاً.

ومع توفر كل هذه النسخ من شعر الفرزدق أصبح ميسوراً على الباحث الجاد أن يصنع نشرة محققة تجمع الشتات؛ وأين باحث جاد!

وكنّت عثرت برسالة لبعض أكاديميي الزمن الأخير عن الفرزدق، فقلبت أوراقها عسى أن تفتح لي باباً ألجّه إلى هُجر الكلام، فأنا - قد علمت - مولع بهؤلاء القوم أَسْتَنْحُ السانحة حتى أبسط فيهم لساني وأستطيل عليهم بالقوارع، وأتناول جنوبهم بالمقامع، فوجدت صاحبنا أدق من أن يبرى، وأرق من أن يرى، فهو يشف شفوقاً عما وراءه، فهل أطعن الهباء أو ألطم الهواء؟ ووجدته يتمسح بأستاذه الذي أشرف - لا شُرف - على رسالته، فلا تمر من سن قلمه فقرة إلا ذيلها بهامش ينسب فيه إلى أستاذه رأياً أو يأخذ عنه قولاً. وتذكرت أنني كنت في مرة سابقة قد غضضت من ذلك الأستاذ ومزقت فروته، ووقعت فيه بكلام كشف عوراته ورصد عثراته، وأبان مقاتله. فكففت عن التلميذ، فقاموس السباب يضيق عنه، ومن لم يجد عند الزنبور عسلاً لم يطمع بما في بطن الذبابة. قد مضى زمن قاء فيه الأكاديميون كتباً حشوها الثروة والتعالم، ثم عشنا لنرى تلامذتهم ييزونهم في الفهاهة، ويتفيهقون، ويزيدون في الموال آهة، ويترنمون.

فأما كتاب شاعر الفحاح، وهو بالمناسبة رسالة جامعية، فقد أفدت منه كثيراً.

وبعد، فهذا ما اخترته من شعر الفرزدق، أبي فراس، همام بن غالب.

١ أرمي عن ربيعة

بمدح عبد الله بن عبد الأعلى الشيباني:

وَمَا زِلْتُ أَرْمِي عَنْ رَبِيعَةٍ مَّنْ رَمَى إِلَيْهَا، وَتُخَشَى صَوْلَتِي مِنْ وَرَائِهَا

أرمي: أطلق السهام، صولتي: هجمتي/يقول: ظللت أدافع عن قبيلة ربيعة وأردت على من يهجوها بالشعر، وظل الشعراء يخشون هجومي عليهم دفاعاً عنها

سَتَمْنَعُ بَكْرًا أَنْ تُرَامَ قَصَائِدِي، وَأَخْلَفُهَا مَنْ مَاتَ مِنْ شُعْرَائِهَا

ترام: يُقصد إليها بشر، أخلفها: أعوضها/يقول: قصائدي ستمنع إلحاق الأذى بقبيلة بكر، وهي جزء من ربيعة، وسأعوضها عن من مات من شعرائها

٢ الآن استقر لكم الملك

يمدح عبد الملك بن مروان، وإن لم يكن وَقَدْ عليه:

تضاحَكْتُ أَنْ رَأْتُ شَيْباً تَفَرَّعَنِي كَأَنَّهَا أَبْصَرْتُ بَعْضَ الْأَعَاجِبِ

تفرعني: علاني، يقول: ضحكت لرؤيتها شيئاً علا رأسي، كأنها أبصرت عجيبة من الأعاجيب

فَقُلْتُ إِنَّ الْحَوَارِيَّاتِ مَعْطَبَةٌ إِذَا تَفَتَّلْنَ مِنْ تَحْتِ الْجَلَابِيبِ

الحواريات: الفتيات الناعمات، معطبة: مهلكة/الفتيات هلاك للرجل عندما تفتل أجسامهن وتلوي ويصبص عليها، ويتحراها ويتقراها، من وراء الجلابيب

يَأْبَى، إِذَا قُلْتُ أَنْسَى ذِكْرَ غَانِيَةٍ، قَلْبٌ يَحْنُ إِلَى الْبَيْضِ الرَّعَائِبِ

الرعايب: الممثلات، الريانات، غانية: حسناء/إن قلت لقلبي: انس ذكر إحدى الحسان أبي، وهو قلب يحن إلى البيض الممثلات

يَا أَيُّهَا الرَّاكِبُ الْمُزْجِي مَطِيَّتَهُ يُرِيدُ مَجْمَعَ حَاجَاتِ الْأَرَاكِيبِ

المزجي مطيته: السائق جملة، الأراكيب: راكبو الإبل/المعنى المملوح: أيها الراكب الذي يسوق جملة إلى ساحة الخليفة، وهي مكان تلبية حاجات الزائرين القادمين على جمالهم

إِذَا أَتَيْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقُلْ بِالنُّصْحِ وَالْعِلْمِ قَوْلًا غَيْرَ مَكْذُوبٍ:

قل للخليفة قول ناصح أمين لا يكذب:

أَمَّا الْعِرَاقُ فَقَدْ أَعْطَتْكَ طَاعَتَهَا، وَعَادَ يَغْمُرُ مِنْهَا كُلُّ تَخْرِبٍ

التخريب: الفساد والسرقة/العراق دانت لك بالطاعة، وعمرت بالسلم وانعقد الصلح بين القبائل، بعد أن كف الناس عن الاحتراب والسرقة

فَالْأَرْضُ لِلَّهِ، وَلَهَا خَلِيفَتُهُ وَصَاحِبُ اللَّهِ فِيهَا غَيْرُ مَغْلُوبٍ

هذه نظرية الحكم في العصور الوسطى بأوروبا: الأرض لله والحاكم ظل الله على الأرض. ونحن نسبق أوروبا في مثل هذه الأشياء دائماً

بَعْدَ الْفَسَادِ الَّذِي قَدْ كَانَ قَامَ بِهِ كَذَّابُ مَكَّةَ مِنْ مَكْرٍ وَتَخْرِبٍ

بعد الفساد والتخريب، انتهاب الأموال، من جانب كذاب مكة، عبد الله بن الزبير، الذي بوع له بالخلافة بمكة حتى قتل عام ٧٢هـ واستقر الأمر لعبد الملك

رَأَمُوا الْخِلَافَةَ فِي غَدْرٍ، فَأَخْطَأَهُمْ مِنْهَا صُدُورٌ، وَقَازُوا بِالْعَرَاقِيبِ

راموا: طلبوا، العرايب: الرُكَب، وأسفل الأطراف/أرادوا الاستيلاء على الخلافة غدراً، فلم يحصلوا إلا على أمور هامشية، وفاتهم قلب الخلافة

والناسُ في فِتْنَةٍ عَمِيَاءَ، قَدْ تَرَكْتُ أَشْرَافَهُمْ بَيْنَ مَقْتُولٍ وَمَحْرُوبٍ

محروب: مسلوب/ في ظلهم كان الناس في فتنه تركت أشراف الناس بين قتيل ومسلوب المال والمتاع. وكانت العصابات القليلة - حتى البعيدة عن الصراع السياسي - شديدة في زمن حكم آل الزبير ولا سيما في العراق

فَأَصْبَحَ اللَّهُ وَلِيَّ الْأَمْرِ خَيْرَهُمْ بَعْدَ اخْتِلَافٍ وَصَدْعٍ غَيْرِ مَشْعُوبٍ

صدع: شق، مشعوب: ملتزم مرتوق (من الأضداد)/ ولاك الله، وأنت خير الناس، بعد خلاف لم يكن يؤمل إصلاحه

تُرَاثُ عَثْمَانَ كَانُوا الْأَوْلِيَاءَ لَهُ، سِرْبَالُ مُلْكٍ عَلَيْهِمْ غَيْرُ مَسْلُوبٍ

بنو أمية أولياء ميراث عثمان بن عفان (أصحابه فهو أموي)، وهذا التراث سربال (لباس) ملك لا يجوز سلبهم إياه

٣ نار غالب

وَرَكِبَ كَأَنَّ الرِّيحَ تَطْلُبُ عِنْدَهُمْ لَهَا تِرَةً مِنْ جَذِبِهَا بِالْعَصَائِبِ

ركب: مسافرون، ترة: ثأر، العصائب: العمائم/ رب مسافرين تعصف بهم الريح وتجذب عمائمهم كأن لها عندهم ثأراً

يَعْضُونَ أَطْرَافَ الْعِصِيِّ، كَأَنَّهَا تُخْزَمُ بِالْأَطْرَافِ شَوْكَ الْعَقَارِبِ

تخزم: تخز وتخرق/ يمسكون عصيهم بأصابعهم كي يخفوا أيديهم داخل ملابسهم من البرد، وكان الريح، وهي تخز الأطراف، إير العقارب

سَرَوْا يَخْبِطُونَ اللَّيْلَ، وَهِيَ تَلْفُهُمْ عَلَى شُعَبِ الْأَكْوَارِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ

سروا: ساروا ليلاً، شعب الأكوار: أطراف سروج الجمال/ ساروا ليلاً على غير هدى، والريح تلفهم من جوانب رحل الجمل، وتهب عليهم من كل اتجاه

إِذَا مَا رَأَوْا نَاراً يَقُولُونَ: لَيْتَهَا، وَقَدْ خَصِرَتْ أَيْدِيهِمْ، نَارُ غَالِبٍ

خصرت: اشتد بها البرد/ إذا رأوا ناراً من بعيد، وقد بردت أيديهم، قالوا: ليتها نار «غالب»، والد الفرزدق، حيث الدفء والضيافة

٤ الباهلي والباهلية

إِنِّي أَسْبُ قَبِيلَةً لَمْ يَمْنَعُوا حَوْضاً، وَلَا شَرَبُوا بِصَافِي الْمَشْرَبِ

أسب هذه القبيلة الضعيفة التي لم تمنع (تحم) حوض ماء، ولا استطاعت المزاحمة لسقي إبلها باكراً قبل تلوث المياه من حوض عام

والباهلي، ولو رأى عرساً له يُغشى حرام فراشها، لم يغضب
لو رأى ابن قبيلة «باهلة» عرساً له (زوجة) يغشى (يؤتي) فراشها من قبل غريب، لم يغضب

٥ الطائي والطائية

إذا رفع الطائي عينيه رفعةً رآني على الجوزاء فوق الكواكب
الطائي في منزلة متدنية، ولو رفع عينه مرة لرآني عالياً فوق الجوزاء في السماء

وما طيء إلا قبائل أنزلت إلى أهل «عين التمر» من كل جانب
طيء مجموعة قبائل لا موطن لها وجيء بها إلى «عين التمر» من هنا وهنا،
فهم شرادم لا قبيلة متماسكة

فما علمت طائية من أب لها ولو سألت عن أصلها كل ناسب
الطائية لا تعرف لها أباً، كأنما هي مولودة في فراش سبية من السبايا، ولن تعرف أبها حتى لو
سألت كل ناسب (عالم بالأنساب). قد كان أذاك الرد يا فرزق من حاتم الطائي، وسيأتيك بعد
بضعة عقود من أبي تمام والبحري الطائيين

٦ محتطب الأسود

وإن امرأ يغتابني لم أطأ له حريماً، ولا تنهاه عني أقاربته..
الذي يغتابني دون أن أكون وطئت حريمه (زنت مع امرأة له)، ثم لا تنهاه عن ذلك أقاربته..
كَمُحْتَطَبٍ يَوْمًا أَسَاوِدَ هَضْبَةٍ، أتاه بها في ظلمة الليل حاطبته
.. إنما هو كمن يجمع الحطب ليلاً، فيضم الأسود (الأفاعي) مع العيدان،
جاهلاً خطورة ما يصنع

٧ عين لم تكن لخليفة

حج هشام بن عبد الملك، وهو خليفة، فصحه الفرزدق من المدينة إلى مكة، ورجع
إلى المدينة، ورجع معه، فأمر له بخمسمئة درهم فقال:

يُرَدُّدُنِي بَيْنَ «المدينة» والتي إليها قلوب الناس يهوي منيها
منيتها: الراجع لها/ يروح ويأتي بي بين المدينة المنورة وبين مكة التي تشاق إليها قلوب الناس
فتهوي نحوها

بِقَلْبٍ عَيْنًا لَمْ تَكُنْ لِخَلِيفَةٍ مُشَوَّهَةً حَوْلَاءَ بِإِدْعَائِهَا
هذا أول خليفة أحول. وكان هشام أحول

٨ أظفار العشيرة

أَلَا حَبِذَا الْبَيْتَ الَّذِي أَنْتَ هَائِبُهُ تَزُورُ بَيْوتاً حَوْلَهُ وَتُجَانِبُهُ

حبيب إليك هذا البيت الذي تهابه فتزور ما حوله وتتجنبه

تُجَانِبُهُ مِنْ غَيْرِ هَجْرٍ لِأَهْلِهِ وَلَكِنْ عَيْنًا مِنْ عَدُوٍّ تُرَاقِبُهُ

تتجنبه ليس هجراناً لساكنيه، بل خوفاً من عدو تراقبه (تحذره)

وَلَيْسَ شَبَابٌ بَعْدَ شَيْبٍ بِرَاجِعٍ يَدَ الدَّهْرِ، حَتَّى يَرْجِعَ الدَّرَّ حَالِبُهُ

يد الدهر: طول الدهر/ لن يرجع الشباب بعد الشيب أبداً، هذا مثل أن يرجع (يعيد) حالب الناقة الدر (الحليب) إلى ضرعها

وَمَنْ يَتَخَمَّطَ بِالمَظَالِمِ أَهْلُهُ وَلَوْ كَرُمَتْ فِيهِمْ وَعَزَّتْ مَضَارِبُهُ . .

يتخبط: يغمس ويخلط/ من يغمس أهله بتصرفات فيها مظالم لهم ولغيرهم، وحتى لو كانت مضاربه (بيوته ونسبه) كريمة وعزيزة . .

يُخَدِّشُ بِأَظْفَارِ الْعَشِيرَةِ خَدَّهُ وَتُجْرَحُ رُكُوبًا صَفْحَتَاهُ وَعَارِبُهُ

صفحتاه: جنباه، غاربه: ظهره/ . . فهو يتعرض للأذى من عشيرته، ويستعلون عليه فكانهم يركبونه ويوسعون ضرباً

٩ لو في الجاهلية

بخطب معاوية بن أبي سفيان:

أَبُوكَ وَعَمِّي يَا مُعَاوِيَّ أَوْزَنَا ثُرَانًا فَأَوَّلَى بِالتُّرَاثِ أَقَارِبُهُ

أبوك، أبو سفيان بن حرب، وعمي الحنات تركا ميراثاً، والأولى به الأقارب

وميراث معاوية هو الملك وما يأتي به من خراج وغنائم، وميراث «الحنات» التميمي هو نصيبه من ثروة الدولة. كان معاوية أعطى الحنات عشرة آلاف درهم، وأعطى الأحنف بن قيس أربعين ألفاً واستكتمه، وانصرف الرجلان وكلاهما سيد في تميم. وباح الأحنف للحنات، فرجع الحنات إلى معاوية، فكتب له بثلاثين ألفاً. وفجأة مات الحنات، فاسترد معاوية الثلاثين ألفاً . .

فَمَا بَالُ مِيرَاثِ الْحُنَاتِ أَكَلَتْهُ وَمِيرَاثُ حَرْبٍ جَامِدٌ لَكَ ذَائِبُهُ

فلماذا أخذت نصيب «الحنات» وظل لك ما ورثت عن «حرب» تصرف به وقتما تشاء؟

فَلَوْ كَانَ هَذَا الْحَكْمُ فِي جَاهِلِيَةٍ عَرَفَتْ مِنَ الْمَوْلَى الْقَلِيلُ حَلَاثَتُهُ

المولى: السيد، حلأته: أنصاره/ لو كنا في الجاهلية لعرفت من السيد القليل الأنصار

١٠ الجلود اللثيمة

إِذَا لَبِسْتُ قَيْسَ ثِيَاباً سَمِعْتُهَا تُسَبِّحُ مِنْ لُؤْمِ الْجُلُودِ ثِيَابُهَا
جُعِلْتُ لِقَيْسٍ لَعْنَةً نَزَلَتْ بِهِمْ مِنَ اللَّهِ، لَنْ يَرْتَدَّ عَنْهُمْ عَذَابُهَا
مجانبي لقيس لعنة إلهية لن تزول عنهم

١١ أباهل .. أنا جاهل

يهجو الأصم الباهلي:

أَبَاهِلْ، إِنَّ الْمَاءَ لَيْسَ بِغَاسِلٍ مَخَازِي عُنُكُمُ، عَارُهَا غَيْرُ ذَاهِبٍ
يهجو قبيلة باهلة

وإِنَّ سِبَابِيكُمْ لَجَهْلٌ، وَأَنْتُمْ تُبَاعُونَ فِي الْأَسْوَاقِ بَيْنَ الْجَلَائِبِ
سبايكم (شتمي لكم) جهل مني لأنكم مجرد عبيد تباعون بين الجلائب (من جلبوا من بعيد)

١٢ هب لي خنيساً

استجارت الأم بالفزدق، كي يشفع لها عند الوالي تميم بن زيد فيعيد ابنها
المقاتل من الثغور، فكتب الفزدق هذه الأبيات وبعث بها إلى الوالي، ولما وصلت
رقعة الفزدق إلى الوالي لم يحقق اسم الابن أمو خنيس أم حبيش، فأمر بأن يعاد من
البعثة كل من اسمه حبيش وخنيس:

تَمِيمُ بْنُ زَيْدٍ! لَا تَهَوَّنَنَّ حَاجَتِي لَدَيْكَ، وَلَا يَغْيَا عَلَيَّ جَوَابُهَا
أيها الوالي لا تعامل حاجتي التي أصبحت لديك باستهانة، ولا يعيا (يمتنع) عليَّ حصول استجابتك
وَلَا تَقْلِبَنَّ ظَهْرًا لِبَطْنٍ صَحِيفَتِي، فَشَاهِدْ هَاجِبِهَا عَلَيْكَ كِتَابُهَا
ولا تقلب رسالتي على وجهها، فمجرد كتابها (كتابتها) دليل على أن الرسالة الهاجية قد تتبع
وَهَبْ لِي «خَنِيسًا»، وَاتَّخِذْ فِيهِ مَنَّةً لِحَوْبَةِ أُمِّ مَا يَسُوعُ شَرَابُهَا
هب لي (امنحني) خنيساً، واجعل من ذلك منة (معروفاً) تقدمه لحوبة (حاجة) أم لم يعد يسوع
الماء في حلقها لفرط حزنها

١٣ رثاء الأخ

يرثي أخاه:

أَبَى الصَّبْرَ أَنِّي لَا أَرَى الْبَدْرَ طَالِعاً وَلَا الشَّمْسَ إِلَّا دَكَّرَا بِابْنٍ غَالِبٍ
منع الصبر عني أنني لا أرى البدر أو الشمس إلا تذكرت أخي، الذي كان يشبههما بهاء

١٤ بعد موتي

زعموا أنه ردد هذين البيتين على فراش الموت:

أُرُونِي مَنْ يَقُومُ لَكُمْ مَقَامِي إِذَا مَا الْأَمْرُ جَلَّ عَنِ الْعَنَابِ
من يسد مسدي إذا تجاوز الخلاف بينكم وبين غيركم مجرد العتاب، فأصبحتم بحاجة إلى شاعر
يدافع عن شرفكم

إِلَى مَنْ تَفَرَّعُونَ إِذَا حَثَوْتُمْ بِأَيْدِيكُمْ عَلَيَّ مِنَ الثُّرَابِ؟
إلى من ستفزعون (تلتجأون) بعد أن تحثوا (تهيلوا) عليّ تراب قبري؟

١٥ الزواج بالكواكب

يهجو جريراً، وقد عبره جرير بأنه ساق مهراً كبيراً لحدواء بنت زيق:

فَلَوْ كُنْتُ مِنْ أَكْفَاءِ حَدَرَاءَ لَمْ تَلُمِّي عَلَى دَارِمِي بَيْنَ لَيْلَى وَغَالِبِ
لو كنت كفتاً لحدراء ذات النسب والحسب ما كنت لمتني وأنا رجل من قبيلة دارم، وليلى جدتي
ابنة أشرف أشراف القبيلة، وغالب أبي ذو شرف عريض

وَلَوْ تُنَكِّحُ الشَّمْسُ النُّجُومَ بَنَاتِهَا إِذَنْ لَنَكَحْنَاهُنَّ قَبْلَ الْكَوَاكِبِ
لو كانت الشمس تزوج بناتها النجوم لتزوجناهن نحن. لم يكن ثمة تفريق علمي في زمنهم بين
كوكب ونجم

١٦ الابن العاق

قال لابنه لَبْطَةَ وَقِيلَ إِنَّهُ كَانَ عَاقًا:

أَإِنْ أُرْعِشْتُ كَفَّا أَبْيِكَ، وَأَصْبَحْتُ يَدَاكَ يَدَيَّ لَيْسَتْ فَإِنَّكَ جَاذِبُهُ؟
لإن كبر أبوك وأخذت كفاه ترتعشان، ثم قويت يداك أنت، فإنك تجذبه بغلظة؟

البيت في حماسة أبي تمام، نسخة أبي رياش والتبريزي، ولم يروه المرزوقي، وهو في الحماسة
منسوب إلى فرعان بن الأعرف يقوله لابنه منازل

إِذَا غَلَبَ ابْنٌ بِالشَّبَابِ أَبَا لَهُ كَبِيرًا فَإِنَّ اللَّهَ لَا بُدَّ غَالِبُهُ
وَلَمَّا رَأَيْتُ قَدْ كَبِرْتُ، وَأَنْنِي أَخُو الْحَيِّ، وَاسْتَغْنَى عَنِ الْمَسْحِ شَارِبُهُ..

لما رأيته كبرت، وصرت ملازماً للحَيِّ (مضارب القبيلة)، واستغنى شارب الابن (شفناه)
عن المسح عند الأكل، أي أنه لم يعد طفلاً. واستغنى عن المسح شاربه، منسوبة لابن الأعرف
في الحماسة

أَصَاخَ لِغُرَبَانِ النَّعِيِّ، وَإِنَّهُ لَا زَوْزَ عَنْ بَعْضِ الْمَقَالَةِ جَانِبُهُ
أَصَاخَ (أَرخَى سَمْعَهُ) لِمَنْ يُمْكِنُ أَنْ يَقْلُ خَيْرَ مَوْتِي، أَيْ اسْتَعْجَلَ مَوْتِي، وَأَصْبَحَ يَزُورُ (يَتَعَدُّ) عَنْ
قَوْلِي... لَمْ يَعِدْ يَهْتَمُّ بِأَحَادِيثِ وَالِدِهِ الشَّيْخِ

١٧ أَبُوكَ قَبْلَكَ

كَانَ جَرِيرٌ شَكَا مِنْ أَنْ جَارِيَتُهُ هَجَرَتْهُ لِأَنَّهُ أَسْنُ، وَلَئِنْ لَا يَقْدُمُ لَهَا أَطْيَابُ الطَّعَامِ مِنْ
مَرْقٍ وَصَنَابٍ، فَقَالَ لَهُ الْفَرَزْدَقُ:

لِئِنْ تَفَرَّقَكَ عِلْجَةُ آلِ زَيْدٍ وَيُعَوِّزُكَ الْمُرَقُّقُ وَالصَّنَابُ

إِنْ كَانَ عِلْجَةُ آلِ زَيْدٍ (الْجَارِيَةُ الَّتِي اشْتَرَيْتَهَا مِنْهُمْ) فَرَكَتَكَ (هَجَرَتْكَ)، وَإِنْ كَانَ لَا يَتَيَسَّرُ لَكَ
الْمَرْقُقُ (الرَّغِيفُ) وَالصَّنَابُ (إِدَامٌ مِنْ خَرْدَلٍ وَزَيْبٍ)

فَقَدْماً كَانَ عَيْشُ أَبِيكَ مُرّاً يَعْيشُ بِمَا نَعِيشُ بِهِ الْكَلَابُ

فَقَدْماً (كَثِيراً فِي الْمَاضِي) كَانَ أَبُوكَ يَعْيشُ عَيْشَ الْكَلَابِ

١٨ رِدَّةٌ مُتَأَخِّرَةٌ

أَتَابَعْتُ الْأَوْثَانَ بِكَرْبُ بْنُ وَائِلٍ وَقَدْ أَسْلَمْتُ تَسْمِينَ عَاماً وَصَلَّتِ

١٩ فِي ظِلِّ عَصْفُورٍ

وَمَا مَنَعْتُنَا دَارَهَا مِنْ قَبِيلَةٍ إِذَا مَا تَمِيمٌ بِالسَّيْفِ اسْتَظَلَّتِ

وَلَوْ لَا حِذَارُ أَنْ تُقْتَلَ طَيِّءٌ لَمَا سَجَدْتُ لِلَّهِ يَوْمًا وَصَلَّتِ

أَسْلَمْتُ طَيِّءَ خَوْفًا

وَلَوْ أَنَّ عُصْفُورًا يَمُدُّ جَنَاحَهُ عَلَى طَيِّءٍ فِي دَارِهَا لَاسْتَظَلَّتِ

قَصِيدَةُ الْفَرَزْدَقِ رَدَّ عَلَى قَصِيدَةِ مَنْ فَآخِرُ الشَّعْرِ لِلطَّرْمَاحِ بْنِ حَكِيمٍ. وَهَذَا الْبَيْتُ يَنْظُرُ إِلَى آيَاتِ
الطَّرْمَاحِ الْمَشْهُورَةِ:

تَمِيمٌ بِطَرَقِ اللَّوْمِ أَهْدَى مِنْ الْقَطَا وَلَوْ سَلَكْتَ طَرِيقَ الْمَكَارِمِ ضَلَّتْ// فَلَوْ أَنَّ يَرْبُوعًا

يَزْفَقُ مَسَكَةً إِذْنُ نَهَلَتْ مِنْهُ تَمِيمٌ وَعَلَتْ// وَلَوْ أَنَّ بَرْغَوْتًا عَلَى ظَهْرِ قَمَلَةٍ يَكُرُّ عَلَى صَفِي

تَمِيمٍ لَوَلَّتْ// وَلَوْ جَمَعْتَ يَوْمًا تَمِيمَ جَمْعِهَا عَلَى ذُرَّةٍ مَعْقُولَةٍ لَاسْتَقَلَّتْ// وَلَوْ أَنَّ أُمَّ

الْعَنْكَبُوتِ بَنَتْ لَهُمْ مِظْلَتَهَا يَوْمَ النَّدى لَأَكْنَتْ

٢٠ أنا والعذارى

إذا ما العذارى قلن: عَمَّ! فليتنِّي، إذا كان لي اسماً، كنت تحت الصفائح
إذا بدأت العذارى يناديني بيا عم، فليتنِّي - إن كان هذا هو اسمي لديهن - كنت تحت الصفائح،
والصفائح: حجارة مسطحة يطرد كل واحد منا عن ذهنه فكرة أنه سينام تحتها يوماً

دَنُون، وأدناهنَّ لي أن رأيتنني أخذت العصا وابتضَّ لون المسائح
دنون (اقتربن)، وما جعلهن يقتربن مني إنما هو شعورهن بالأمان إذ بيدي عصا وقد ابتض لون
المسائح (خصلات الشعر)... في العادة يقول الشاعر إن النساء يتعدن عنه عندما يشيخ، ولكن
الفرزدق كان فاتكاً زناء هجّاماً على النساء، يتعدن عنه شاباً ولا يقتربن منه إلا إن حمل العصا
وتأكدن من ضعفه

٢١ تخشيني زياداً

وقامت تخشيني زياداً، وأجفلت حوَالِيَّ في بُرْدٍ رقيقٍ ومجسّدٍ
وقفت وراحت تخشيني (تخوفني) من سطوة زياد بن أبيه، وارتجفت وهي تتحرك حوالي لابساً برداً
(رداء) رقيقاً ومجسداً (ثوباً لاصقاً بجسدها...) الصورة: هو جالس على حشية، وهي تجلس معه،
ثم خطر لها زياد وبطشه، فوقفت قلقاً وأخذت تأتي شاعرنا من عن يمينه ومن عن شماله - يفعلن
ذلك في السينما كثيراً -، وهي تكلمه عن زياد وتخوفه منه

فقلت ذريني من زياد، فإنني أرى الموت وقافاً على كل مرصدٍ
قلت لها: دعيني من زياد، فالموت واقف على كل مرصد (يراقبني من كل مكان)

حوارية تمشي الضحى مُرَجِّجَةً، وتمشي العشي الخيزلي رِخْوَةً اليد
حوارية (فتاة ناعمة) تمشي في وقت الضحى مرججة (متمايلة) أكسلها ما بها من بقية
نوم، فالفتاة المدللة تصحو ضحى، وفي العشي تمشي الخيزلي (مشية هادئة) وقد أرخت
يديها، فهي ليست كالنساء العاملات اللاتي يمشين وقد ثنين الذراعين متهيثات للشغل.
ليتحيل القارئ خادمة تمشي، أيراها ماشية ويدها مرتختان على جانبي جسمها؟

٢٢ السيف الخائن

قال الفرزدق وقد طلب إليه قطع عنق أسير في مجلس سليمان بن عبد الملك،
فنبأ سيفه، ولم يفعل شيئاً:

فإن يك سيفٌ خان، أو قدّر أبى وتأخير نفس، حتفها غير شاهد..
إن كان سيفي خائني ولم يقطع رأس الأسير، أو كان القدر قد أبى للأسير القتل، وتأخر أجل هذه
النفس التي لم يكن حتفها (موتها) شاهداً (حاضراً) في ذلك الوقت..

فَسَيْفُ بَنِي عَبَسَ، وَقَدْ ضَرَبُوا بِهِ، نَبَاً بِيَدَيْ وَرَقَاءَ عَنْ رَأْسِ خَالِدٍ
 . . فَإِنْ سَيْفُ بَنِي عَبَسَ فِي حَادِثَةٍ سَابِقَةٍ كَانَ قَدْ نَبَا (انحرف) عَنْ رَأْسِ خَالِدٍ عِنْدَمَا ضَرَبَتْ بِهِ يَدَ وَرَقَاءَ

كَذَاكَ سَيْوُفُ الْهِنْدِ تَنْبُو ظُبَاتُهَا وَيَقْطَعْنَ أَحْيَاناً نِبَاطَ الْقَلَائِدِ
 وسيوف الهند الأصلية هكذا: تنبُو ظباتها (تنحرف شفراتها) أحياناً، لكنها أحياناً تقطع نباط
 (عروق) القلائد (الرقاب)

٢٣ فَثَمَّ مَعَدُّ

أَبَتْ مُضَرُّ الْحَمْرَاءُ إِلَّا تَكْرُمًا عَلَى النَّاسِ، يَعْلُو كُلَّ جَدٍّ جُدُودُهَا
 مضر الحمراء (كذا لقب «مضر»/ قبل لأن الجد الأكبر «مضر» ورث عن أبيه الذهب، بينما ورث
 أخوه الخيل) أبت إلا أن تكون منعمة على الناس، وجدودها (نصيبتها من المجد) تعلو كل جد
 إِذَا مَا قَضَيْنَا فِي الْبِلَادِ قَضِيَّةً جَرَى بَيْنَ عَرْضِ الْمَشْرِقَيْنِ بَرِيدُهَا
 إذا قررنا أمراً، فالخير بذلك يحمله البريد بين عرض المشرقين (الشرق والغرب) لأن قرارنا له أثر
 في كل الناس

لَقَدْ عَلِمَ الْأَحْيَاءُ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ بَأَنَّ تَمِيمًا لَيْسَ يُغْمَزُ عَوْدُهَا
 الأحياء: القبائل. ليس يغمز عودها: لا يتعرض لها أحد بالمناكفة على سبيل التجريب لهيبتها
 وَيَوْمًا تَمِيمٌ: يَوْمُ حَرْبٍ وَنَجْدَةٍ، وَيَوْمٌ مَقَامَاتٍ تُجَرُّ بُرُودُهَا
 تميم إما أن تكون محاربة وتهب لنجدة من استجار بها، أو تكون حاضرة المقامات (المحافل)
 ويكون سادتها في ثياب فاخرة يجرون أطراف البرود (الثياب)

كَأَنَّكَ لَمْ تَعْرِفْ غَطَارِيفَ خَنْدِفٍ إِذَا خَطَبْتَ فَوْقَ الْمَنَابِرِ صَيْدُهَا
 كأنك لم تعرف غطاريف (سادة) خندف (القبيلة الكبرى التي تضم تميمًا وقريشاً وغيرها) عندما
 تخطب على المنابر صيدها (سادتها المزهون)

إِذَا اجْتَمَعَ الْحَيَّانُ: قَيْسٌ وَخَنْدِفٌ فَثَمَّ مَعَدُّ: هَامُهَا وَعَدِيدُهَا
 إذا اجتمع الحيان (القبيلتان): قيس عيلان وخندف فثم (فهناك) قبائل معد هامها (رأسها) وعديدها
 (كثرتها الكثيرة)

وَإِنَّ أَمْرًا يَرْجُو تَمِيمًا وَعِزًّا كَبَاسِطٍ كَفَّ لِلنَّجُومِ بِرِيدُهَا
 من طلب أن يكون له مثل عز تميم كمن طلب أن يمسك النجوم بكفه

وَمِنَّا نَبِيُّ اللَّهِ يَتْلُو كِتَابَهُ بِهِ دُوحَتْ أَوْثَانُهَا وَيَهُودُهَا
 منا (من خندف) النبي الذي دوح بالقرآن الأوثان واليهود

وَمَا بَاتَ مِنْ قَوْمٍ يُصَلُّونَ قِبْلَةً وَلَا غَيْرُهُمْ، إِلَّا قُرَيْشٌ تَقُودُهَا
قریش تقود كل من يصلون إلى أي قبله، وغيرهم ممن لا يصلون لقبله معينة

٢٤ بنى بيعة فيها الصليب

وَأَبْلِغْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رِسَالَةً فَعَجَّلْ هَذَاكَ اللَّهُ نَزَعَكَ خَالِدًا
اعزل يا أمير المؤمنين خالد بن عبد الله القسري عن ولاية العراق
بَنَى بَيْعَةً فِيهَا الصَّلِيبُ لَأُمِّهِ، وَهَدَّمَ مِنْ بُغْضِ الصَّلَاةِ الْمَسَاجِدَ
بنى بيعة (صومعة عبادة) لأمه المسيحية، وهدم المساجد

٢٥ هرباً من الحجاج

فَإِنْ تُنْصِفُونَا يَا آلَ مَرْوَانَ نَقْتَرِبَ إِلَيْكُمْ، وَإِلَّا فَادْثُنُوا بِبِعَادٍ
إن تصفونا يا آل مروان (الخلفاء الأمويين من مروان بن الحكم إلى آخر عهد بني أمية) نقرب،
وإلا فادثونا (خذوا إشعاراً) بالبعد

فَإِنْ لَنَا عَنْكُمْ مَزَاحٌ وَمَذْهَبٌ بِعَيْسٍ إِلَى رِيحِ الْفَلَاةِ صَوَادٍ
فلنا عنكم مزاح (بديل) ومذهب (ذهاب)، بعيس (إبل شقر) صواد (عطاش) إلى ريح الفلاة
(الصحراء)

مُخَيَّسَةً بُزِلَ تَحَايَلُ فِي الْبُرَى سَوَارٍ عَلَى طُولِ الْفَلَاةِ غَوَادٍ
هذه الإبل مخيسة (مذلة) بُزِلَ (قد بزلت، أي خرجت، أنيابها . . فهي فتية قوية) تتخايل (تتبختر بزهو)
في البرى (وبأنوفها الحلقات) وهي سوارٍ (سائرة ليلاً) في الصحراء وغوادٍ (مبكرة في سيرها)

وَفِي الْأَرْضِ عَنْ ذِي الْجَوْرِ مَنَاءٌ وَمَذْهَبٌ وَكُلُّ بِلَادٍ أَوْطَنَتْكَ بِلَادِي
وفي الأرض منأى (مكان قصي) عن ذي الجور (الظلم)، وكل بلد تحل بها فهي بلدك

وَمَاذَا عَسَى الْحِجَااجُ يَبْلُغُ جَهْدُهُ إِذَا نَحْنُ خَلَقْنَا حَفِيرَ زِيَادٍ؟
وماذا عسى الحجاج أن يفعل مهما بذل من جهد إن نحن تجاوزنا حفير زياد (قناة زياد) وخلفناه
وراءنا؟

٢٦ فخر بالصدأ

بمدح مسلمة بن عبد الملك:

جَنُودٌ لِيَدِينِ اللَّهُ تَضْرَبُ مَنْ طَغَى وَمَسْلَمَةُ السِّيفِ الْحَسَامُ يَقُودُهَا

ترى صَدَاَ الْمَآذِيَّ فَوْقَ جُلُودِهِمْ وَفِي السَّلَمِ أَمْلَاكٌ رِقَاقٌ بُرُودُهَا
أَشْدَاءُ فِي الْحَرْبِ حَتَّى لَتَرَى صَدَاَ الْمَآذِي (حديد السيوف والدروع) عَلَى جُلُودِهِمْ، وَلَكِنَّهُمْ فِي
السَّلَمِ أَمْلَاكٌ (ملوك) يَلْبَسُونَ الْبُرُودَ (الأردية) الرقيقة التي يلبسها المترفون

أَبَى لِبْنِي مَرَوَانَ إِلَّا عُلُوَّهُمْ إِذَا مَا التَّقَتْ حُمُرُ الْمَنَابِي وَسُودُهَا
ليس لبني مروان إلا العلو عند التقاء الموت الأحمر بالأسود في الحرب، الموت الأحمر: بالسيف
والرمح، والأسود غرقاً أو دعساً بحوافر الخيل. (الأحمر والأسود يجمعان كل شيء، ففي
الحديث «بعثت إلى الأحمر والأسود» أي لكل الناس، وكرهوا التعبير عن الإنسان الأبيض بلفظ
البياض، لأن البياض البرص، فقالوا الأحمر)

أَرَى كُلَّ أَرْضٍ كَانَ صَعْباً طَرِيقُهَا أَذِلَّ لَكُمْ بِالْمَشْرِفِي كَوُودُهَا
المشرفي: السيف، كَوُودُهَا: صعبها

٢٧ محيي المؤودات

أَلَمْ تَرَ أَنَّا، بَنِي دَارِمٍ، زُرَّارَةٌ مِنَّا أَبُو مَفْبَدٍ
وَمِنَّا الَّذِي مَنَعَ الْوَائِدَاتِ، وَأَخْبَا الْوَتِيدَ فَلَمْ يُؤَادِ
منا صمصعة الذي حال دون وأد البنات في الجاهلية، فكانه أحيامن. وكان صمصعة، جد
الفرزدق، يفتدي كل بنت يريد أبوها وأدما بناتين أو ثلاث. قبل افتدى ستاً وتسعين بنتاً، وقيل بل
أربعمئة. على الرقم اختلاف، لكن الفعل مؤكد. البداية كانت أن صمصعة أضاع ناقتين له، وراح
ينشدهما، فوجدهما عند قوم، وسمع عند القوم عويلاً، فعرف أن المرأة أنجبت بنتاً، وأن الأب
يريد دفنها حية. فقال صمصعة للرجل: خذ ناقتي هاتين وأبقِ على البنت. فقال الرجل: وتعطيني
أيضاً جملك الذي تركبه؟ فرضي صمصعة. وعاشت البنت. وقال صمصعة لنفسه: هذه مكربة ما
سبقتني إليها أحد من العرب. ومضى يفتدي البنات

أَلَسْنَا الَّذِينَ تَمِيمٌ بِهِمْ تَسَامَى، وَتَفَخَّرُ فِي الْمَشْهَدِ؟
ألسنا، بني دارم، من تسامى (ترتفع) بهم قبيلة تميم وتفتخر في المحافل؟

أَيُّظْلُبُ مَجْدَ بَنِي دَارِمٍ عَطِيَّةٌ كَالْجُعَلِ الْأَسْوَدِ؟
وكيف يطلب إحراز مجدنا عطية (والد جرير) وهو قميء كالجعل (الصرصور) الأسود؟

٢٨ أمامك شماريخ

كان الفرزدق في نحو الخامسة والأربعين من العمر. تذكّر نصيحة علي بن أبي
طالب له، عندما أخذه أبوه للقاءه قبل ثلاثين سنة، بأن يجمع القرآن. فقيّد نفسه في بيته
بقيد، وحلف لا يفك نفسه إلا بعد أن يحفظ القرآن. ثم وجد الشعراء يتعرضون لنساء
قومه بالشتم، فاستعازت به النساء، ففك قيده، ومضى يرد على الشعراء:

أَحْبَنَ أَعَادَتْ بِي تَمِيمٌ نِسَاءَهَا وَجُرَدْتُ قَجْرِيَدَ الْيَمَانِي مِنَ الْغُمْدِ..
 أعندما ألجأت تميم نساءها إليّ لحمايتهن، وعندما جردت نفسي كما يجرد السيف اليماني من جرابه..
 وَمَدَّتْ بِضُبُعَيَّ الرَّبَابِ وَدَارِمَ وَعَمَرُو، وَسَلَّاتٌ مِنْ وَرَائِي بَنُو سَعْدِ
 .. وعندما أسندت ضبعي (جانبي) قبائل الرباب ودارم وعمرو، وسالت (تدفقت) بنو سعد من
 ورائي مؤيدة لي..

تَمَنَّى ابْنُ رَاعِي الْإِبِلِ حَرَبِي، وَدُونَهُ شَمَارِيخُ صَعْبَاتٍ تَشْقُ عَلَى الْعَبْدِ
 بعد كل هذا يتمنى ابن راعي الإبل (واسمه جندل/ وهو ابن الشاعر راعي الإبل، وكان شويعرأ
 سفيهاً) أن يحاربني؟ ودونه (قبل وصوله لمبتغاه) شماريخ (رؤوس جبال) يشق (يصعب) على
 عبد مثله أن يرتقيها

٢٩ الجائحات

بمدح عمر بن عبد العزيز:

وَجَائِحَاتٌ ثَلَاثٌ مَا تَرَكْنَ لَنَا مَا لَّا بِهِ بَعْدَهُنَّ الْغَيْثُ يُنْتَظَرُ
 ثلاث جائحات (مصيبات/ سنوات قحط) لم تترك لنا مالا (إبلاً وشاء)، فلم نعد ننتظر المطر، لأننا
 فقدنا البهائم نفسها التي سترعى العشب

عَامٌ أَنَّى قَبْلَهُ عَامَانِ مَا تَرَكَمَا مَا لَّا، وَلَا بَلَّ عُوداً فِيهِمَا مَطَرُ
 لم تترك سنوات القحط لنا مالا (أنعاماً) ولم ينزل فيها مطر يبل عُوداً
 سِيرُوا، فَإِنَّ ابْنَ لَيْلَى مِنْ أَمَامِكُمْ وَبَادِرُوهُ، فَإِنَّ الْعُرْفَ مُبْتَدَرُ
 سيروا إلى ابن ليلى (الخليفة عمر بن عبد العزيز) وبادروا بالسؤال، فالعرف (العطية) يحتاج إلى سؤال
 وَبَادِرُوا بِابْنِ لَيْلَى الْمَوْتَ، إِنَّ لَهُ كَفَيْنَ مَا فِيهِمَا بَخْلٌ وَلَا حَصْرُ
 بادروا (استبقوا) الموت بقاء الخليفة، فله كفاً ليس فيهما حصر (بخل)

أَلَيْسَ مِرْوَانُ وَالْفَارُوقُ قَدْ رَفَعَا كَفْيَهُ؟ وَالْعُودُ مَاءَ الْعِرْقِ يَعْتَصِرُ
 هو سليل بني مروان والفاروق (وأم عمر بن عبد العزيز حفيدة عمر بن الخطاب)، وهذا النسب
 جعل كفيه عاليتين (واليد العليا هي التي تعطي)، والغصن إنما يستمد ثمره مما يعتصر ويمتص من
 ماء الجذر

أَلْفَيْتَ قَوْمَكَ لَمْ يُتْرَكْ لَأَثَلَتِهِمْ ظِلٌّ، وَعَنْهَا لِحَاءُ السَّاقِ يُقْتَشَرُ
 قد وجدت قومك لم يبق لأثلتهم (شجرتهم)/ والأثل نوع من الشجر) ورقٌ فلا ظل لها، وحتى
 اللحاء فقد أخذ يقتشر عن ساقها

فَأَصْبَحُوا قَدْ أَعَادَ اللَّهُ نِعْمَتَهُمْ . إِذْ هُمْ قُرَيْشٌ ، وَإِذْ مَا مِثْلُهُمْ بَشَرٌ

ثم بفضل عمر بن عبد العزيز المأمول سيعيد الله النعمة ،
هؤلاء قریش وليس في الناس لهم مثل

لَا يَسْتَثْبِيُونَ نِعْمَاهُمْ إِذَا سَلَفَتْ وليس في فضلِهِمْ مَنْ وَلَا كَدْرُ
لا يطلبون ثواباً مقابل عطايهم ، ولا يكذبون الفضل بالنم (التذكير بالمعروف)

وَلَنْ يَزَالَ إِمَامٌ مِنْهُمْ مَلِكٌ إِلَيْهِ يَشْخَصُ فَوْقَ الْمَنِيرِ الْبَصَرُ
وسبطل منهم إمام (خليفة) مالك الأمور يشخص (يرتفع) إليه بصر الناس وهو على المنبر

٣٠ لا ، وشكراً

هدد زياد بن أبيه والي البصرة ذو البطش الفرزدق ، ففر منه ، وأثناء تنقله بين
القبائل فاراً نُقل إلى الفرزدق أن زياداً عفا عنه وتمهد له بعطاء ، ولكن الفرزدق أبى
العودة ، والتجأ إلى المدينة المنورة :

دَعَانِي زِيَادٌ لِلْعَطَاءِ ، وَلَمْ أَكُنْ لِأَقْرَبَهُ ، مَا سَأَقْ ذُو حَسَبٍ وَفُرَا
دعاني زياد ليقدم لي العطاء ، ولكنني لن أقربه أبداً ؛ ما دام الرجل ذو الحسب يسوق المال الوفير
صداقاً في زواج (أي : أبداً)

وَعِنْدَ زِيَادٍ لَوْ يَرِيدُ عَطَاءَهُمْ رَجَالٌ كَثِيرٌ قَدْ يَرَى بِهِمْ فَقْرًا
فليعط زياد الناس الذين عنده من خيره ، وليتركني بحالي

فُعُوْدٌ لَدَى الْأَبْوَابِ طُلَّابٌ حَاجَةٌ : عَوَانٍ عَلَى الْحَاجَاتِ أَوْ حَاجَةٍ يَكُرَا
عنده ناس قعود (قاعدون) لدى الباب يطلب عواناً (مكررة/ والعوان هي المرأة التي
سبق لها زواج وتقدم على زواج آخر) ، وبعضهم يطلب بكراً (للمرة الأولى)

فَلَمَّا خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ عَطَاؤُهُ أَدَاهِمَ سُودًا ، أَوْ مُحَدَّرَجَةً سُمْرًا ..
عندما خشيت أن يكون العطاء المقصود الذي طلبني له أداهم (قيوداً) سوداً ، أو محدرجة
(سياطاً) سمرأ ..

فَزِعْتُ إِلَى حَرْفٍ أَضَرَ بَنِيهَا سَرَى اللَّيْلِ ، وَاسْتِعْرَضُهَا الْبَلَدُ الْقَفْرَا
عندئذ فزعت (لجأت) إلى حرف (ناقة قوية) أضرب بنيتها (أهزل لحمها) سرى الليل (السير ليلاً) ،
واستعراضها (اجتيازها) البلد القفر (الصحراء)

٣١ لا نحالف

قصيدة تصف قصتها المزاج النفسي للفرزدق. قال ابنه لبطة إن أبي وفد على أسد بن عبد الله الوالي في العراق - وأسد هذا يمانى من بجيلة - وكان أبي قد شاخ فقلت له: أنشد الوالي شيئاً في مدح اليمن مما كنت قلته لآل المهلب. فسكت. ودخلنا على الوالي، فاستنشد أبي، فقال قصيدة مدح فيها مضر، لا اليمن. قال:

يَخْتَلِفُ النَّاسُ مَا لَمْ نَجْتَمِعْ لَهُمْ، وَلَا اخْتِلَافَ إِذَا مَا أَجْمَعَتْ مُضَرُّ

الناس في خلاف ما لم تجتمع مضر وتجمعهم حولها، فعدتد لا خلاف

مَنَا الْكَوَاهِلُ وَالْأَعْنَاقُ تَقْدُمُهَا وَالرَّأْسُ مَنَا وَفِيهِ السَّمْعُ وَالْبَصَرُ

منا الكواهل (أعالي الظهور/ التي تحمل الأحمال) والأعناق منا، وكذا الرأس.. أي أن مضر هي الأساس لكل العرب

وَلَا نُحَالِفُ، إِلَّا اللَّهَ، مِنْ أَحَدٍ غَيْرِ السِّبْوَ إِذَا مَا اغْرُورَقَ النَّظَرُ

لا نحالف قبيلة أخرى لقوتنا، نحالف الله وحده، ونحالف السبوف عندما يشتد الأمر ويغيم البصر وتزل الدموع في غبار المعارك

وَمَنْ يَمِلْ يَمِلِ الْمَأْثُورُ ذِرْوَتَهُ حَيْثُ التَّقَى مِنْ حِفَافِي رَأْسِهِ الشَّعْرُ

من مال عن إرادتنا أمال المأثور (السيف) ذروته (رأسه)، وضرب في موضع التقاء الشعر من حفاقي (جانبى الرأس)

أَمَّا الْعَدُوُّ فَإِنَّا لَا نَلِينُ لَهُمْ حَتَّى يَلِينَ لِضَرْسِ الْمَاضِغِ الْحَجَرُ

ولا نلين للعدو حتى يلين لضرس المرء الحجر فيصبح قابلاً للمضغ (أي لا نلين أبداً)

٣٢ شماتة

يهجو مسكين بن عامر الدارمي، لأنه رثى زياد بن أبيه:

أَمْسُكِينُ أَبْكَى اللَّهَ عَيْنَكَ، إِنَّمَا جَرَى فِي ضَلَالٍ دَمْعُهَا إِذْ تَحَدَّرَا

بكيت في ضلال عندما تحدر (تزل) دمعك في رثاء ذلك الظالم

أَتَبْكِي امْرَأً مِنْ أَهْلِ مَيْسَانَ كَافِراً كَكِسْرَى عَلَى عِدَائِهِ أَوْ كَقَيْصَرَ

أتبكي رجلاً كافراً من أهل ميسان (فهو ليس ابن أبي سفيان كما زعموا)، وهو في الكفر ككسرى على عدائه (في زمانه) أو كقيصر

أَقُولُ لَهُ لَمَّا أَتَانِي نَعِيَّةُ: بَو لَا يَظْبِي فِي الصَّرِيمَةِ أَغْفَرَا

قلت عندما جاءني نعي زياد: لينزل الموت به، ولا يقتدى من الموت، ولا حتى بظبي أغفر (بني اللون) في الصريمة (في الرمل). وسار قوله «به لا بظبي في الصريمة أغفرا» مسير المثل، يضرب في الشماعة بميت

٣٣ بعدما غضبت!

يهجو جريراً:

أَتَسْأَلُنِي أَنْ أَخْفِضَ الْحَرْبَ بَعْدَمَا غَضَبْتُ، وَشَالَتْ بِي قُرُومٌ هَوَادِرُ

أأرسلت تطلب الهدنة بعد أن بلغ مني الغضب، وبعد أن شالت بي (رفعتني)، وشجعتني على هجائك) قروم هوادر (جمال ذات صوت هادر/ كناية عن رجالات قومه)

هَزَبْتُ تَفَادَى الْأَسَدُ مِنْ وَثْبَاتِهِ لَهُ مَرِيضٌ عَنْهُ يَحِيدُ الْمُسَافِرُ

أنا هزير (أسد) تفادى الأسود ووثباته، وله مريض (موطن) يعرفه المسافرون ويحيدون عنه خوفاً

وَلَوْ كُنْتُ حُرَّ الْعِرْضِ أَوْ ذَا حَفِيزَةٍ جَرَيْتُ، وَلَكِنْ لَمْ تَلِدْكَ الْحَرَاثِرُ

لو كنت حراً وذا حفيزة (مخامة عن الشرف) لكنك جريت (سأقت)، ولم تسحب من السباق لكنك لست ابن نساء حرائر

٣٤ الزاني المفتخر

أَرَانِي إِذَا مَا زَرْتُ لَيْلَى وَبَعَلَهَا تَلَوَّى مِنَ الْبَغْضَاءِ دُونِي مَشَافِرُهُ

إذا زرت ليلى وزوجها أخذت مشافره (شفته) تتلوى من بغضه لي

وَأِنْ زُرْتُهَا يَوْمًا فَلَيْسَ بِمُخْلِفِي رَقِيبٌ يَرَانِي، أَوْ عَدُوٌّ أَحَاذِرُهُ

وإن زرتها وهي وحدها فلن يتخلف عن ملاحقتي رقيب، أو عدو لي أحذره

كَأَنَّ عَلَى ذِي الطَّنِّ عَيْنًا بِصِيرَةً بِمَقْعَدِهِ، أَوْ مَنَظَرٍ هُوَ نَاطِرُهُ

وحتى لو لم يكن هناك رقيب فعلاً فإن ذا الطنء (الشخص المريب) يشعر أن عليه عيناً بصيرة وهو في مكانه، أو عندما يوجه بصره نحو موضع

يُحَاذِرُ حَتَّى يَحْسَبَ النَّاسَ كُلَّهُمْ مِنَ الْخَوْفِ لَا تَخْفَى عَلَيْهِمْ سَرَائِرُهُ

يصبح المريب حذراً، ويحسب من خوفه أن سرائره (مكتونات ضميره) بادية للناس

إِذَا عَبْرَةٌ وَرَّعَتْهَا فَتَكْفَكِفَتْ قَلِيلًا، جَرَتْ أُخْرَى بَدَمْعٍ تُبَادِرُهُ

الفردق المسكين يبكي بعبرة (دمعة)، فإذا ورَّعها (منعها) فتكفكت (امتنعت عن النزول) قليلاً، جرت دمعة أخرى تستبق دموعاً

فَلَوْ أَنَّ عَيْنًا مِنْ بُكَاءٍ تَحَدَّرَتْ دَمًا كَانَ دَمْعِي إِذْ رِدَائِي سَايَرُهُ
لو كانت العين تتحدر (تنزل) الدم في بكاها لكان هذا دمعي وأنا أستره بردائي.
كل هذا شوقاً إلى محبوبته!

وَجَوْنٍ عَلَيْهِ الْجَصُّ فِيهِ مَرِيضَةٌ تَطْلُعُ مِنْهُ النَّفْسُ، وَالْمَوْتُ حَاضِرُهُ
رب جون (قصر) مجصص بالجبس، فيه فتاة مريضة (من عشقها للشاعر الكذاب/ أو أن عينيها
مرتختان، فهما من النوع الذي يصفه الإنجليز بـ «كم تو بد آيز» أي «عينا هيا للسريز»، وقد قالت
العرب كثيراً في العيون المراض)، وهذا القصر تنقبض النفس من علوه، وتستحضر صورة الموت
لرؤيته... سنعرف لماذا بعد قليل...

حَلِيلَةُ ذِي أَلْفَيْنِ شَيْخٍ، يَرَى لَهَا كَثِيرَ الَّذِي يُعْطِي قَلِيلاً يُحَاقِرُهُ
هذه الفتاة حليلة (زوجة) شيخ من الأشراف يبلغ مرتبه في ديوان العطاء ألفي درهم، وهو يعطيها
كل ما تحب، ويحاقره (يستقله)، أي يرى ذلك قليلاً عليها

نَهَى أَهْلَهُ عَنْهَا الَّذِي يَعْلَمُونَهُ إِلَيْهَا، وَزَالَتْ عَنْ رَجَاها ضَرَائِرُهُ
نهى أهل الرجل عن التعرض لهذه الزوجة ما يعلمونه من منزلتها عند الزوج، وابتعدت عن رجاها
(ناحيتها) والجمع الأرجاء الضرائر (الزواجات الأخريات). الفرزدق يقول «ضرائره» ونحن نفهم
«ضرائرها»، والفرزدق يفعل الأفاعيل من أجل القافية، ويفعل الأفاعيل حتى في جوف البيت

أَتَيْتُ لَهَا مِنْ مَخْتَلٍ كُنْتُ أَدْرِي بِهِ الْوَحْشَ، مَا يُخْشَى عَلَيَّ عَوَائِرُهُ
أتيت لقصر الفتاة هذا من مختل (مكان ختل الصيد) كنت فيه أدري (أخترت) عن الوحش (الصيد
من ظباء ونحوه)، وليس هناك خشية علي من التعثر في هذا المكان. ويبدو أن المكان الملاصق
للقصر كان غابة فيها ما يصاد

فَمَا زِلْتُ حَتَّى أَضَعَدْتُنِي حَبَالُهَا إِلَيْهَا، وَلَيْلِي قَدْ تَخَامَصَ آخِرُهُ
دلت له الفتاة الحبال من النافذة ليصعد، وكان الليل قد تخامص (تلاشى) آخره

فَلَمَّا اجْتَمَعْنَا فِي الْعَلَالِيِّ، بَيْنَنَا ذَكِيٌّ أَتَى مِنْ أَهْلِ دَارَيْنِ تَاجِرُهُ...
لما اجتمعنا في العلالوي (الدور العلوي) وكان عندنا مسك ذكي الرائحة من واردات «دارين»...
نَقَعْتُ غَلِيلَ النَّفْسِ، إِلَّا لُبَانَةً أَبْتُ مِنْ فُؤَادِي، لَمْ تَرْمَهَا ضَمَائِرُهُ
نقعت (رويت) غليل النفس (عطشها)، وبقيت لبانة (حاجة) في قلبي لم ترمها (تطلبها)
مكنونات النفس

فَلَمْ أَرْ مَنْزُولًا بِهِ بَعْدَ هَجْعَةٍ أَلَذَّ قَرَى، لَوْلَا الَّذِي قَدْ نُحَاذِرُهُ
لم أر منزولاً به (مزوراً) بعد هجعة (بعد نوم الناس) ألد قري (والقري في الأصل طعام الضيف،
وهنا أطعمته فتاته ما لا نصرح به)، غير أن الحذر كان ينغص علينا بعض الشيء

أَحَافِزُ بَوَائِبِنِ قَدْ وَكَّلَا بِهَا وَأَسْمَرَ مِنْ سَاجٍ تَشِطُّ مَسَامِيرُهُ
كنت أحاذر (أتحسب من) بوابين موكلين بحراسة هذه الفتاة، وبأباً من خشب الساج، تنط (تصدر صريراً) مسامره (مساميره)

فَقُلْتُ لَهَا: كَيْفَ التَّزُولُ فَإِنِّي أَرَى اللَّيْلَ قَدْ وَلَّى، وَصَوْتَ طَائِرِهِ
قلت لها كيف لي أن أنزل، فقد ذهب الليل وصوت طائره (صاح الديك)

فَقَالَتْ: أَقَالِيدُ الرِّتَاجَيْنِ عِنْدَهُ، وَطَهْمَانُ بِالْأَبْوَابِ، كَيْفَ تُسَاوِرُهُ؟
قالت: أقاليد (مفاتيح) الرتاجين (البابين) عند زوجي. وطهمان (الحارس) واقف بالأبواب، فكيف تساوره (تنازله)؟

أَبِالسَّيْفِ، أَمْ كَيْفَ التَّسْنِي لِمُوثِقٍ عَلَيْهِ رَقِيبٌ دَائِبُ اللَّيْلِ سَاهِرُهُ؟
هل ستنازله بالسيف؟ وكيف التسني (التأتي والتحليل) للباب الموثق (المغلق) الذي عليه رقيب ساهر طول الليل؟

فَقُلْتُ ابْتَغِي مِنْ غَيْرِ ذَاكَ مَحَالَةً وَلِلْأَمْرِ هَيْئَاتُ تُصَابُ مَصَادِرُهُ
قلت لها: اطلبي محالة (حيلة) غير هذه. وللأمر هيات (جوانب) أخرى لالتماس المصادر (المخارج) لعل الذي أضعدتني أن يرُدَّنِي إلى الأرضِ إن لم يَقْدِرِ الْحَيُّ قَادِرُهُ
لعل الحبل الذي به صعدت أن يرجعني إلى الأرض، هذا إن لم يقدر الحين (يقدر الموت) لي قاده (مقدره وهو الله)

فَجَاءَتْ بِأَسْبَابِ طُوبَالٍ، وَأَشْرَقَتْ قَسِيمَةُ ذِي زَوْرِ مَخُوفٍ تَرَاتِرُهُ
فجاءت بأسباب (بحال) طويلة، وأطلت علينا في تلك الغرفة قسيمتها (ضرتها) لكي تنقذ الموقف من زائر يخشى أن يجر علينا التراتر (المصاعب).. هذا هو المعنى الملموح

أَخَذْتُ بِأَطْرَافِ الْحِبَالِ، وَإِنَّمَا عَلَى اللَّهِ مِنْ عَوَصِ الْأُمُورِ مَيَاسِرُهُ
أمسك الفرزدق بطرف الحبل، وتوكل على الله من عوص (الأمور العويصة الصعبة) طالباً تسيرها
فَقُلْتُ أَقْعُدَا، إِنَّ الْقِيَامَ مَزَلَّةٌ، وَشُدًّا مَعَاً بِالْحَبْلِ إِنِّي مُحَاطَرُهُ
قال للمراتين اقعدا أرضاً فالوقوف مزلة (يؤدي للزلل ولإفلاتكما طرف الحبل)، وأميكاً الحبل وشدها بقوة، وسوف أخاطر بالنزول

إِذَا قُلْتُ قَدْ نِلْتُ الْبَلَاطَ تَذَبَّدَتْ حِبَالِي فِي نَيْقٍ مَخُوفٍ مَخَاصِرُهُ
وأنا أهبط أشعر أنني نلت البلاط بقدمي، ثم أرى الحبال تتذبذب على جانب النيق (القصر العالي الذي كالجبل) الذي أخاف مخاصره (مرتقياته).. المعنى الملموح: كلما قلت وصلت الأرض رأيت الحبال مشدودة تتذبذب كوتر العود فأعرف أنني ما زلت معلقاً في الهواء

فلما اسْتَوَتْ رِجْلَايَ فِي الْأَرْضِ نَادَا: أَحْيِي يُرْجَى، أَمْ قَتِيلٌ نُحَاذِرُهُ؟
عندما وصلت الأرض أخيراً سمعتهما تناديان: أأنت حي ترجى له النجاة، أم قتيل نحذر أن يجر
علينا الفضيحة؟

فَقُلْتُ ارْفَعَا الْأَسْبَابَ لَا يَشْعُرُوا بِنَا، وَوَلَّيْتُ فِي أَعْجَازٍ لَيْلٍ أَبَادِرُهُ
قلت: ارفعا الأسباب، أي الجبال، حتى لا يشعر أحد بنا، ووليت (مضيت) في أعجاز (أواخر)
الليل أبادر بالفرار

هُمَا دَلَّتَانِي مِنْ ثَمَانِينَ قَامَةً كَمَا انْقَضَ بَازٍ أَقْتَمَ الرِّيشَ كَاسِرُهُ
لقد دلتني المرأتان (كما بدلي المرء الدلو في البئر) من ارتفاع ثمانين قامة (وقامة الإنسان متر
وسبعون ستمتراً، والفرزدق قصير، فكانت قامته كذلك أو أقل)، وهبطت كما ينقض البازي
(الصقر) ذو الريش الداكن، الذي يكسر جناحيه ويضمهما عند الانقضاء/ ولهذا سميت الطيور
الجارحة كواسر

وَيَحْسَبُهَا بَاتَتْ حَصَانًا، وَقَدْ جَرَتْ لَنَا بُرْتَاهَا بِالَّذِي أَنَا شَاكِرُهُ
وزوجها يظنها باتت حصاناً عفيفةً، ولكن برتاها (خلخالها) تحركنا حركة أنا لها من الشاكرين
فَبَا رَبِّ إِنْ تَغْفِرْ لَنَا لَيْلَةَ النَّقَا فِكُلِّ ذَنْبِي أَنْتَ يَا رَبَّ غَافِرُهُ
يا رب، إن غفرت لنا تلك الليلة عند النقا (الكيب) فلا شك أنك ستغفر ذنوبي كلها

٣٥ تحمل الرزء عامر

قال يرثي عبد الله بن ناشرة من بني عامر وهم من مجاشع:
وَقَفْتُ فَأَبْكُثْنِي بِدَارِ عَشِيرَتِي عَلَى رُزْئِهِنَّ الْبَاكِياتِ الْحَوَاسِرُ
رزئهن: مصيبتهن، الحواسر: الكاشفات رؤوسهن حزناً
فَلَوْ أَنَّ سَلَمَى نَالَهَا مِثْلَ رُزْنِنا لَهْدَّتْ، وَلَكِنْ تَحْمِلُ الرُّزْءَ عَامِرُ
لو أصاب جبل «سلمى» مثل مصيبتنا لانخسف، غير أننا نتحمل المصيبة بقلب شجاع

٣٦ رثاء بشر

يرثي بشر بن مروان:
أَعْيَنِي إِلَّا تُسْعِدَانِي أَلْمُكَمَا فَمَا بَعْدَ بَشَرٍ مِنْ عَزَاءٍ وَلَا صَبْرٍ
يا عيني إن لم تسعداني (تساعداني) بالبكاء فعليكما اللوم، فموت بشر ليس هنا عزاء
(تهوين) ولا صبر

ولو أن قوماً قاتلوا الموت قبلنا بشيءٍ، لقاتلنا المنيّة عن بشرٍ
لو كان أحد قاتل الموت قبلنا لقاتلناه دفاعاً عن بشرٍ

٣٧ بكيث على صقوري

بَنِي أَصَابَهُمْ قَدْرُ الْمَنَابَا فَهَلْ مِنْهُنَّ مِنْ أَحَدٍ مُجِيرِي؟
أكان هناك من يحميني من حلول الموت بأبنائي؟

ولو كانوا بَنِي جَبَلٍ فماتُوا لِأَصْبَحَ وَهُوَ مُخْتَشِعُ الصُّخُورِ
لو كنت جبلاً ومات أبنائي لأصبحت مختشع الصخور (هابطاً)

ولو كان البكاء يَرُدُّ شَيْئاً عَلَى الْبَاكِ بِكَيْثٍ عَلَى صُقُورِي
إذا حَنَّتْ نَوَارٌ تَهْبِجُ مِنِّي حَرَارَةٌ مِثْلُ مُلْتَهَبِ السَّعِيرِ
إذا حنت (أصدرت صوت أنين) زوجتي نوار تهيج (تحرك) في حزنًا كأنه نار جهنم

حَنِينَ الْوَالِهَيْنِ إِذَا ذَكَرْنَا فَوَادَيْنَا اللَّذِينَ مَعَ الْقُبُورِ
نحنُ (نصدر صوت الألم) حنين الواليتين (المعذبتين) إذ نتذكّر قلوبنا اللذين ذهبا مع من
فقدنا للقبور

٣٨ حماة أرض المسلمين

وَلَوْ أَنَّ أَرْضَ الْمُسْلِمِينَ يَحُوطُهَا سِوَانَا مِنَ الْأَحْيَاءِ ضَاعَتْ تُغُورُهَا
يحوطها: يحميها، تغورها: مدنها الحدودية

لَنَا الْجِنَّ قَدْ دَانَتْ، وَكُلُّ قَبِيلَةٍ يَدِينُ مُصْلُوها لَنَا، وَكُفُورُهَا
يزعم أن الجن خضعت لبني تميم، وكذا كل القبائل المسلمة وغير المسلمة

٣٩ بكاء على عمر

قال يرثي عمر بن عبيد الله التيمي القرشي:

أَمَّا قُرَيْشٌ، أبا حَفْصٍ، فَقَدْ رُزِنَتْ بِالشَّامِ إِذْ فَارَقْتَكِ الْبَاسَ وَالْمَطَرَا
يا أبا حفص قد رزنت (بليت) قریش بفقدك بالشام بالبأس (القوة) والمطر (المطاء)

إِنَّ الْأَرَامِلَ وَالْأَيْتَامَ إِذْ هَلَكُوا وَالْخَيْلَ إِذْ هُزِمَتْ، تَبْكِي عَلَى عُمَرَا

٤٠ تذييع الكلاب

يمدح الوليد بن عبد الملك:

فقالوا أغشنا إن بَلَّغْتَ بِدَعْوَةٍ لَنَا عِنْدَ خَيْرِ النَّاسِ إِنَّكَ زَائِرُهُ
قال له قومه أنجدنا إن بلغت (وصلت) خير الناس (ال خليفة) الذي ستزوره بدعوة
(بإيصال شكوانا إليه)

فَقُلْتُ لَهُمْ: إِنْ يُبْلَغِ اللَّهُ نَاقَتِي وَإِيَّايَ، أَتُسَبِّحُ بِالَّذِي أَنَا خَاصِرُهُ
قلت لهم: إن أوصل الله ناقتي وأوصلني معها، سأني (سأخبر) بما خبرته من أحوالكم

بَحَبْتُ رَأَيْتُ الذَّنْبَ كُلَّ عَشِيَّةٍ يَرُوحُ عَلَى مَهْزُولِكُمْ، وَيُبَاكِرُهُ
سأخبر الخليفة كيف رأيت الذنب في كل مساء يروح (يأتي مساء) لكي يفترس مهزولكم (جملاً
هزئلاً لفقدان العشب) وبياكره (ويأتيه صباحاً)

لِيَجْتَرَّ مِنْكُمْ إِنْ رَأَى بَارِزاً لَهُ مِنَ الْجَيْفِ اللَّائِي عَلَيْكُمْ حَظَائِرُهُ
وليَجتر (ليجتر) من مضارب القبيلة ما يرى من جيف (جثث النياق النافقة، يضعونها حول الحظائر
كي تأخذها الذئاب ولا تفترس النياق الحية)

أَغِثْ مُضَرًّا، إِنَّ السَّنِينَ تَتَابَعَتْ عَلَيْهَا بِحَرٍّ يَكْسِرُ الْعَظْمَ جَازِرُهُ
أيها الخليفة أغث قبائل مضر فقد تابعت السنين (مواسم الفحط) بما يكسر العظم وينحر الإبل
(القحط يفني الماشية)

وَهَمَّتْ بِتَذْيِيعِ الْكِلَابِ مِنَ الَّذِي بِهَا أَسَدٌ إِنْ أُمْسَكَ الْغَيْثَ مَا طَرُهُ
وهمت قبيلة أسد أن تذبح وتاكل الكلاب مما بها من جوع إن استمر الجفاف، ولم يتزل مطر
وإِنَّكَ رَاعِي اللَّهِ فِي الْأَرْضِ، تَنْتَهِي إِلَيْكَ نَوَاصِي كُلِّ أَمْرٍ وَآخِرُهُ
وأنت راعي الله في الأرض (فالخليفة الراعي والناس الرعية)، وإليك مصير نواصي الأمور
(وجوهها) وأواخرها (أنت الكل في الكل)

وَقَدْ خِفْتُ حَتَّى لَوْ أَرَى الْمَوْتَ مُقْبِلًا لِيَأْخُذَنِي، وَالْمَوْتُ يُكْرَهُ زَائِرُهُ..
بغير الموضوع: خفت حتى لو جاء الموت، مع أن زيارته كريهة..

لَكَانَ مِنَ الْحَجَّاجِ أَهْوَنَ رَوْعَةٍ إِذَا هُوَ أَغْصَى، وَهُوَ سَامٍ نَوَاطِرُهُ
.. لكان الموت أهون روعة (إخافة) وترويعاً من الحجاج عندما يغصى (يخفض بصره)،
مع أنه سامي النظر (ناظر للأعلى، وأبني لا يخفض بصره خضوعاً) فإغضاء الحجاج بصره
إغضاء مؤقت عندما يفكر في قرار خطير. هكذا الجابرة.. ينظرون في عيون رعاياهم
وضحاياهم، ثم يخفضون بصرهم هنيهة، ثم يأتي القول الصاعق: اضربوا عنقه، إلخ

فَأَيَّقَنْتُ أَنِّي إِنْ نَأَيْتُكَ لَمْ يَرِدْ بِِي النَّأْيُ إِلَّا كُلَّ شَيْءٍ أَحَازِرُهُ
فَأَيَّقْتُ أَيُّهَا الْحِجَاجُ أَنِّي إِنْ نَأَيْتُ عَنْكَ فَأَرَأَ مِنْكَ، فَإِنْ هَذَا النَّأْيُ لَا يَوْرِدُنِي إِلَّا عَلَى شَيْءٍ
أَحَازِرُهُ وَأَخْشَاهُ

وَأَنْ لَوْ رَكِبْتُ الرِّيحَ ثُمَّ طَلَبْتَنِي لَكُنْتُ كَشَيْءٍ أَدْرَكْتُهُ مَقَاوِرُهُ
وَأَدْرَكْتُ أَنِّي لَوْ رَكِبْتُ الرِّيحَ فَرَاراً مِنْكَ، لَكُنْتُ كَشَيْءٍ سَعَى نَحْوَ قَدْرِهِ، فَيُذَكُّ طَائِلُهُ وَلَا بَدَأُ أَنْ
تَمْسُكَ بِي

فَلَمْ أَرْ شَيْئاً غَيْرَ إِقْبَالِ نَاقَتِي إِلَيْكَ، وَأَمْرِي قَدْ تَعَيَّتْ مَصَادِرُهُ
فَلَمْ أَجِدْ سِوَى أَنْ أَقْبَلَ بِنَاقَتِي إِلَيْكَ، فَأَمْرِي قَدْ تَعَيَّتْ (استحالت) مَصَادِرُهُ (مخارجهُ)

٤١ لسانِي لكم

يُمدح أَسَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقُسْرِيِّ:

فَمَا أَحْيَى لَا أَجْعَلُ لِسَانِي لِغَيْرِكُمْ وَلَا مِدْحِي مَا حَيَّ لِلزَّيْتِ عَاصِرُهُ
مَا أَحْيَى (مَا دَمَتُ حَيًّا) فَلَنْ أَمْدَحَ غَيْرَكُمْ بِشِعْرِي، مَا حَيَّ لِلزَّيْتِ عَاصِرُ (مَا دَامَ هُنَاكَ مِنْ يَمْعَرُ
الزَّيْتِ/أَيَّ أَبَدًا)

فَلَوْلَا أَبُو الْأَشْبَالِ أَصْبَحْتُ نَائِباً وَأَصْبَحَ فِي رِجْلَيَّ قَيْدُ أَحَازِرُهُ
لَوْلَا أَبُو الْأَشْبَالِ (أَسَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ) لَأَصْبَحْتُ مَعْقُلاً فِي مَكَانٍ بَعِيدٍ

فَمَا أَنَا إِلَّا مِنْكُمْ مَا تَعَلَّقْتُ حَيَاتِي، إِلَى الْيَوْمِ الَّذِي أَنَا صَائِرُهُ
أَنَا مِنْكُمْ مَا بَقِيَتْ مَعِيَ حَيَاتِي، وَإِلَى الْيَوْمِ الَّذِي سَاصِرُ إِلَيْهِ (يَوْمُ الْوَفَاةِ)

٤٢ تَأَخَّرَ الْقَدَرُ

قَالَ لِسْلِيمَانُ، وَقَدْ ضَحَكَ سُلَيْمَانُ لِأَنَّ سَيْفَ الْفَرَزْدَقِ نَبَأَ:

أَيَعَجَبُ النَّاسُ إِنْ أَضْحَكْتُ سَيِّدَهُمْ خَلِيفَةَ اللَّهِ يُسْتَسْقَى بِهِ الْمَطَرُ
ضَحَكَ الْخَلِيفَةُ عِنْدَمَا نَبَأَ سَيْفَ الْفَرَزْدَقِ عَنْ عَتَقِ الْأَسِيرِ، وَالْخَلِيفَةُ وَضِيَ الْوَجْهَ شَرِيفَ عَظِيمٍ
يَطْلُبُ النَّاسُ بِهِ السَّقْيَا فِي الْمَحَلِّ، وَكَانُوا إِذَا انْقَطَعَ الْمَطَرُ خَرَجُوا لِمَصْلَاحَةِ الْإِسْتِسْقَاءِ وَاصْطَحَبُوا مِنْ
يُرُونَ فِيهِ الشَّرَفَ وَالْوَسَامَةَ وَالتَّقْوَى

وَمَا نَبَأَ السَّيْفُ مِنْ جُبْنٍ وَلَا دَهْشٍ عِنْدَ الْإِمَامِ، وَلَكِنْ أَخَّرَ الْقَدَرُ
مَا انْحَرَفَ سَيْفِي عَنْ عَتَقِ الْأَسِيرِ جُبْنًا وَلَا دَهْشًا (ارْتِبَاكَأً) فِي حَضْرَةِ الْإِمَامِ (الْخَلِيفَةِ)، وَلَكِنْ قَدْ
تَأَخَّرَ قَدْرُ ذَلِكَ الْمُسْكِينِ

٤٣ طلاق فندم

نَدِمْتُ نَدَامَةَ الْكُسَمِيِّ لَمَّا غَدْتُ مِنِّي مُطَلَّقَةً نَوَارُ

ندمت ندامة الكسعي عندما طلقت نوار (والكسعي رجل كانت لديه قوس عزيزة على قلبه، ورمى بها الظباء بخمسة سهام، وظن أنها طاشت جميعاً، فأهوى بقوسه على صخرة وكسرها حنقاً، ثم اكتشف أن السهام جميعاً كانت صائبة، وقد أردت الظباء الخمسة، فندم).. وكانت نوار زوجته وابنة عمه، وكانت تشاؤه وتضاره كثيراً لأنه تزوجها بخديعة، وطلبت الطلاق مراراً، وأنجبت له عدة أولاد، ثم استجاب وطلقها رغم أنه ظل يحبها، ومع كل هذا الحب فإن الفرزدق - ويا لنذالة الرجال - اشترط عليها ألا تتزوج، وأن تبيع له مالها بعد الطلاق. وعاشت النوار في كنف ابنها لبطة بقية عمرها، وأما الفرزدق فقد عاش حتى أربى على التسعين، وكان مزوجاً، حتى لقد تزوج بعد التسعين وعجز..

وَكَانَتْ جَنَّتِي فَخَرَجْتُ مِنْهَا كَادَمَ حِينَ لَجَّ بِهِ الضَّرَارُ

كانت النوار جنتي وخرجت منها كما خرج آدم حين لج به الضرار (أكثر من المعاندة).. وكل ما صنعه آدم أنه أكل تفاحة، فأما الفرزدق فكان مزوجاً زناً

وَكُنْتُ كَفَاقِي عَيْنِيهِ عَمْدًا فَاصْبَحَ مَا يُضِيءُ لَهُ النَّهَارُ

كنت كمن قلع عينيه بيديه فعمي

وَلَا يُوفِي بِحُبِّ نَوَارٍ عِنْدِي وَلَا كَلَفِي بِهَا إِلَّا انْتِحَارُ

لا يقذفني من حبي لها وكلفي (ولوعي) بها إلا الانتحار

وَلَوْ رَضِيتُ يَدَايَ بِهَا وَقَرَّتْ لَكَانَ لَهَا عَلَى الْقَدَرِ الْخِيَارُ

لو كنت رضيت بعشرتها، ولو قررت هي في بيتها، لتغير سير القدر

وَمَا فَارَقْتُهَا شِبَعًا، وَلَكِنْ رَأَيْتُ الدَّهْرَ يَأْخُذُ مَا يُعَارُ

لم أفارقها أنني شبع من عشرتها، ولكن الدهر هكذا يسترد ما أعار، في ذلك إشارة لاوعية إلى أنه تزوجها غصباً عنها

٤٤ مدح بني المهلب

لَأَمْدَحَنَّ بَنِي الْمُهَلَّبِ مِدْحَةً غَرَاءَ ظَاهِرَةً عَلَى الْأَشْعَارِ

سأمدح بني المهلب بقصيدة غراء (جميلة) ظاهرة (غالبية) على الأشعار الأخرى

مِثْلَ النُّجُومِ أَمَامَهَا قَمَرٌ لَهَا يَجْلُو الدُّجَى، وَيُضِيءُ لَيْلَ السَّارِي

يصف قصيدته بالقمر وحوله النجوم، لعله تخيل أبيات القصيدة

وَرِثُوا الطَّعَانَ عَنِ الْمُهْلَبِ وَالْقَرَى وَخَلَائِقًا كَتَدْفُقِ الْأَنْهَارِ
ورثوا عن أبيهم المهلب بن أبي صفرة الطعان (الطعن بالرماح في الحرب) والقرى (إطعام الضيف)
والأخلاق الحميدة المتدفقة بالعطاء كالأنهار

كَانَ الْمُهْلَبُ لِلْعِرَاقِ سَكِينَةً وَحَيَا الرَّبِيعِ، وَمَعْقِلَ الْفُرَّارِ
كان المهلب للعراق سكينة (اطمئناناً) وحياً الربيع (مطر الربيع) ومعقل الفرار
(ملجأ الفارين من بطش)

إِنِّي رَأَيْتُ يَزِيدَ عِنْدَ شَبَابِهِ لَيْسَ الثَّقَى وَمَهَابَةَ الْجَبَّارِ
رأيت يزيد (ابن المهلب) ثقياً، لكنه مهيب ذو جبروت

وَإِذَا الرِّجَالُ رَأَوْا يَزِيدَ رَأَيْتَهُمْ خُضَعَ الرِّقَابِ نَوَاقِسَ الْأَبْصَارِ
والرجال يخضعون رقابهم (ينكسون رؤوسهم) ويخفضون أبصارهم لهيبته

٤٥ القدر الباكية

لَوْ أَنَّ قِدْرًا بَكَتْ مِنْ طَوْلِ مَا حُبِسَتْ عَلَى الْخُفُوفِ بَكَتْ قِدْرُ ابْنِ جَبَّارٍ
لو أن القدر (الحلة، الطنجرة) تبكي لطول الحبس على الخفوف (الجفاف) لبكت قدر ابن جبار،
فهو لا يطبخ للناس ولا يطعم أحداً

مَا مَسَّهَا دَسَمٌ مِذْ قُضِّ مَعْدِنُهَا وَلَا رَأَتْ بَعْدَ عَهْدِ الْقَيْنِ مِنْ نَارٍ
لم يمسها دسم منذ أن قُضِّ معدنها (جُلِّي)، ولا عرفت النار بعد أن عالجها القين (الحداد) بنارها.
لعلهم كانوا يعبرون عن تبييض القدر النحاسية بالتفويض، مع أن المعدن المستعمل هو شبيه
الفضة، القصدير

٤٦ بنو كليب

أَلَا قَبَحَ الْإِلَهُ بَنِي كَلَيْبٍ ذَوِي الْحُمُرَاتِ وَالْعَمَدِ الْقِصَارِ
قبحاً لبني كليب أصحاب الحمير (واشتهر بنو كليب، قوم جرير، بحميرهم)، والخيام القصيرة
الأعمدة (وكلمنا طال عمود الخيمة كانت كبيرة وكان صاحبها ثرياً)

وَلَوْ تُرْمَى بِلُؤْمِ بَنِي كَلَيْبٍ نَجُومُ اللَّيْلِ مَا وَضَحَتْ لِسَارِي
لو أصاب لؤم الكليبيين النجوم لخدمت ولم تعد تضيئ لساري الليل

وَلَوْ لَيْسَ النَّهَارُ بَنُو كَلَيْبٍ لَدَنَسَ لُؤْمُهُمْ وَضَحَ النَّهَارِ
ولو ارتدوا بالنهار لدنسوا بياضه

وما يَغْدُو عَزِيزُ بَنِي كَلِيبٍ لِيَظْلَبَ حَاجَةً إِلَّا بِجَارٍ
لا ينال العزيز (القوي) من بني كليب حاجته إلا مستجيراً بغريب، لضعف قبيلته

٤٧ مجاشع حملتني أموراً

يهجو جريراً:

وَجَرَّ الْمُخْزِيَاتِ عَلَى كُليبٍ جريرٌ، ثُمَّ مَا مَنَعَ الذُّمَارَ
جر جرير المخازي على قومه كليب بتعرضه لي، ثم لم يستطع أن يمنع (يحمي) الذمار (الشرف)

عَوَى فَأَثَارَ أَغْلَبَ ضَيْغَمِيًّا قَوِيلُ ابْنِ الْمَرَاغَةِ، مَا اسْتَشَارَا
عوى جرير إذ هجاني، فأثار أغلب (أسداً غليظ الرقة) ضيغماً (عضاضاً)، فويل لابن المراغة
(لقب جرير عند أعدائه) مما أثار

وإِنَّ بَنِي الْمَرَاغَةِ لَمْ يُصِيبُوا إِذَا اخْتَارُوا مُشَاتَمَتِي اخْتِيَارَا
قوم جرير لم يحسنوا الاختيار إذ اختاروا التسابّ معي

وَنَامَ ابْنُ الْمَرَاغَةِ عَنْ كُليبٍ فَجَلَّلَهَا الْمَخَازِي وَالشُّنَارَا
ونام جرير عن نصرة قبيلته كليب لضعفه، فجللها (كساها) مخازي وشناراً (عاراً)

وإِنَّ بَنِي كُليبٍ إِذْ هَجَوْنِي لَكَالْجُغْلَانِ إِذْ يَغْشَيْنَ نَارَا
هم بهجانهم إياي كالجعلان (الصراصير) التي تغشى (تأتي) النار

وإِنْ مُجَاشِعًا قَدْ حَمَلْتَنِي أُمُورًا لَنْ أَضِيعَهَا كِبَارًا..
وقبيلتي، مجاشع، حملتني أموراً عظيمة، ولن أضيعها (لن أنهار فيها)..

قَرَى الْأَضْيَافَ لَيْلَةً كُلُّ رِيحٍ وَقَدْ مَا كُنْتُ لِلْأَضْيَافِ جَارَا
حملتني قرى الأضياف (إطعامهم) في الليلة التي تعصف فيها الرياح، وقدماً (دائماً)
قد كنت مجيراً للأضياف

رَأَيْتُ ابْنَ الْمَرَاغَةِ حِينَ ذَكَّى تَحَوَّلَ - غَيْرَ لِحَبْنِهِ - حِمَارَا
رأيت جريراً حين ذكّي (كبر وأسن) تحول في هيئته - لولا اللحبة - إلى حمار

هَلَمْ نُؤَافِ مَكَّةَ، ثُمَّ نَسْأَلُ بِنَا وَبِكُمْ، قَضَاعَةً أَوْ نِزَارَا
هيا نواف (نات) مكة لنسأل عن أحسابنا وأحسابكم قبيلة قضاعة أو نزار

هُنَالِكَ لَوْ نَسَبْتَ بَنِي كُليبٍ وَجَدْتَهُمُ الْأَدْقَاءَ الصُّغَارَا
وستجد أن قبيلتك، كليب، أدقاء (رقاقاً)، ليس لهم المجد المتين) صغاراً في القدر

وَمَا غَرَّ الْوَبَارَ بَنِي كَلْبٍ بِغَيْثِي حِينَ أَنْجَدَ وَاسْتَطَارَا
ولا أدري ما الذي غرَّ بني كلب الوبار (الأرانب) فلم يروا غيثي حين أنجد (بلغ نجداً) واستطار
(تدفق وصار ذا شر مستطير)

هَرَبْنَ إِلَى مَذَاخِلِهِنَّ مِنْهُ وَجَاءَ يُقْلَعُ الصَّخْرَ انْجِدَارَا
عندئذ هرب أشباه الأرانب إلى بيوتهن، وجاء السيل يقلع الصخر وهو منحدر، أي أن هجائي كان
قاسياً متدفقاً

وَأَنَّكَ وَالرَّهَانَ عَلَى كَلْبٍ لَكَالْمُجْرِي مَعَ الْفَرَسِ الْجَمَارَا
والمراهن على قبيلة كلب كمن يجري (يسابق) الفرس والجمار

٤٨ كم خالة لك يا جرير ..

يَا ابْنَ الْمَرَاغَةِ إِنَّمَا جَارَيْتَنِي بِمُسَبِّقِينَ لَدَى الْفَعَالِ قِصَارِ
يا جرير (وابن المراغة لقبه، وقيل إن المراغة هي الأتان التي تتمرغ في التراب) أنت تجاريني
(تسابقني) بقومك المسبقين (المسبوقين) لدى الفعال (الأمجاد) القصار

وَالْحَابِسِينَ إِلَى الْعَشِيِّ لِيَأْخُذُوا نَزْحَ الرِّكِيِّ، وَدِمْنَةَ الْأَسَارِ
وقومك حابسون إيلهم إلى المساء المتأخر لأنهم ضعاف لا يستطيعون المزاومة على الماء،
فيأخذون نزح الركي (بقية ما في الركية أي البثر) ودمنة (وسخ) الأسار (الصبابات/بقايا القاع) ..
فهم ينالون من الماء بعد أن يتعكر ويبقى منه سؤر، أي بقية، في قاع البثر

لَنْ تُدْرِكُوا كَرَمِي بِلُؤْمِ أَبِيكُمْ وَأَوَايِدِي بِتَنَحُّلِ الْأَشْعَارِ
لن تلحقوا بكرمي (مجددي) بلؤم أبيكم، ولن تلحقوا أوابدي (قصائدي النادرة المثال) بتنحل
الأشعار (سرقتها)

قَبَحَ إِلَهُ بَنِي كَلْبٍ، إِنَّهُمْ لَا يَغْدِرُونَ وَلَا يَفْقُونَ لِحَارِ
قبحاً لبني كلب من قوم ضعاف، فهم أضعف من أن يغدروا، ومع ذلك ليس عندهم وفاء لمن
يلجأ إليهم

يَسْتَيْقِظُونَ إِلَى نُهَاقِ حِمَارِهِمْ، وَتَنَامُ أَعْيُنُهُمْ عَنِ الْأَوْتَارِ
يوقظهم نهاق حمارهم (فهم أهل حمير لا إيل)، ولكنهم غافلون عن الأوتار
(الثارات/الأخذ بالثأر)

كَمْ مِنْ أَبٍ لِي يَا جَرِيرُ كَأَنَّهُ قَمَرُ الْمَجَرَّةِ أَوْ سَرَاةُ نَهَارِ
آبائي (الآباء والأجداد) كأن الواحد فيهم قمر المجرة (السماء) أو سراج النهار (أي الشمس)

ورث المكارم كابرأ عن كابرٍ ضخم الدسيسة يوم كل فخار
هذا الواحد من آبائي ورث مكارم أجداد كبار، وهو ضخم الدسيسة (القصة الضخمة التي يوضع فيها الطعام للناس) في الأيام التي يتميز فيها الكريم عن غيره ويفتخر

إِنَّ الْبِكَارَةَ لَا يَدِّي لِصِغَارِهَا بِزِحَامٍ أَضِيدَ رَأْسُهُ هَدَّارٍ
البكارة (الجمال) لا يدي لصغارها (لا قدرة لها) كي تزاحم أصيد (فحلاً مسيطراً) رأسه هدار (يصدر صوتاً ضخماً). هلاً قال: (بزحام أصيد مصعب هدار) فيخرج من تهمة الإقواء؟ والبيت بالرواية المثبتة محمول على أن رأسه فاعل لأصيد وهدار صفة لأصيد

قَرَمٌ إِذَا سَمِعَ الْقُرُومَ هَدِيرَهُ وَلَّيْنَهُ وَرَمَيْنَ بِالْأَبْعَارِ
قرم (فحل شديد) إذا سمع الفحول صوته، هربت ورمت بأبعارها خوفاً منه

كَمْ خَالَةٍ لَكَ يَا جَرِيرٌ وَعَمَّةٌ قَدَعَاءٌ قَدْ حَلَبَتْ عَلَيَّ عِشَارِي
ما أكثر خالاتك وعماتك القدعاوات (المعوجة مفاصلهن) اللاتي حلبن لي عشاري (نباتي) بغيره بأن نساء عشيرته خادמות

٤٩ اللؤلؤة القائلة

وَمُرْتَجَّةُ الْأُرْدَافِ مِنْ آلِ جَعْفَرٍ مُخَضَّبَةِ الْأَطْرَافِ بَيْضٍ نُحُورُهَا
يتغزل بها وبأردافها المرتجة وأطراف أصابعها المخضوبة بالحناء، ونحرها الأبيض (النحر بين الصدر والعنق)

كَأَنَّ نَقَّاءَ مِنْ عَالِجٍ أَزَّرَتْ بِهِ بِحَيْثُ التَّقْتُ أَوْرَاكُهَا وَخُصُورُهَا
كأن مؤخرتها نقا (كثيب رمل) في منطقة «عالج» وقد أزرت به (لبست إزاراً، رداءً) والإزار مخضّر في مكان التقاء أوراكاها (ردفها) وخصرها

فَقَدْ خِفْتُ مِنْ تَذْرَافٍ دَمَعِي إِثْرَهَا عَلَى بَصْرِي، وَالْعَيْنُ يَغْمَى بِصِيرُهَا
خفت من تذراف دمعي (نزوله) أن يضر بصري، والعين يغمي بصيرها «حشو

وَمَا خِفْتُ وَشَكَ الْبَيْنَ حَتَّى رَأَيْتُهَا يُسَاقُ عَلَى ذَاتِ الْجَلَامِيدِ عِيرُهَا
لم أكن أخشى وشك البين (أن يكون الفراق وشيكاً سريعاً) إلى أن رأيت عيرها (جمالها) تساق على ذات الجلاميد (الأرض الوعرة)

وَمَا زِلْتُ أَزْجِي الطَّرْفَ مِنْ حَيْثُ يَمَّمْتُ مِنَ الْأَرْضِ حَتَّى رَدَّ عَيْنِي حَسِيرُهَا
وظللت أزجي الطرف (أرسل بصري) من (يقصد إلى) الأرض التي يمتتها (فصلتها) حتى عاد بصري حسيراً (عاجزاً)

تَهَادَى إِلَى بَيْتِ الصَّلَاةِ، كَأَنَّهَا عَلَى الْوَعْدِ ذُو سَاقٍ مَهِيضٍ كَسِيرُهَا
 تهادى (تمشي وتمايل) ذاهبة إلى بيت الصلاة كأنها إذا تمشي على الوعد (الطريق الوعر) طائر ذو ساق مهیضة (مكسورة) لأنها تتمايل

كَدَّرُوْهُ غَوَاصٍ رَمَى فِي مَهِيْبَةٍ بِأَجْرَامِهِ، وَالنَفْسُ يَخْشَى ضَمِيرُهَا..
 يبدأ تشبيهاً طويلاً، هذه المرأة مثل للؤلؤة أراد غواص أن ينالها فرمى بأجرامه (بجسمه) في مهية (لجة البحر المخوفة)، «والنفس يخشى ضميرها» أي تخاف..

مُوكَلَّةٌ بِالدَّرِّ خَرَسَاءٌ، قَدْ بَكَى إِلَيْهِ مِنَ الْغَوَاصِ مِنْهَا نَذِيرُهَا
 تخاف النفس حية موكلة (مكلفة) بحراسة اللؤلؤة، وقد أُنذره الغواص القديم منها باكياً صارخاً
فَقَالَ: أَلَا قِيَّ الْمَوْتُ أَوْ أُدْرِكَ الْمُنَى لِنَفْسِي، وَالْأَجَالُ جَاءَ دُحُورُهَا
 فقال الغواص الشاب: إما أن أموت أو أدرك الأمانى، والأجل جاء (أتى) على كل حال، أي «كلها موة»

وَلَمَّا رَأَى مَا دُونَهَا خَاطَرَتْ بِهِ عَلَى الْمَوْتِ نَفْسٌ لَا يَنَامُ فَقِيرُهَا
 لما رأى الغواص ما دون الأنمى (أي ما بقرها، وهي اللؤلؤة العظيمة) خاطر بنفسه التي يؤرقها الفقر

فَأَهْوَى وَنَابَاهَا حَوَالِي يَتِيْمَةٍ هِيَ الْمَوْتُ، أَوْ دُنْيَا يُنَادِي بِشِيرُهَا
 أهوى بكفيه على اللؤلؤة، ونابا الحية يحميان هذه الدرة اليتيمة (النادرة)، واللؤلؤة هي الموت أو هي الحياة الرغبة التي ييشر نفسها بها

فَأَلْقَتْ بِكَفَيْهِ الْمَمْنِيَّةُ إِذْ دَنَا بِعَضَّةٍ أَنْيَابٍ سَرِيعٍ سُؤُورُهَا
 ورمت الحية في كفيه بعضة مميتة وأنشبت فيها أنياباً سريعاً سُؤورها (تغلغلها.. لعله يقصد أن سمها يتغلغل ويصل متناه بسرعة)

فَحَرَّكَ أَعْلَى حَبْلِهِ بِحُشَاشَةٍ وَمِنْ فَوْقِهِ خَضْرَاءُ طَامَ بُحُورُهَا
 فظل ممسكاً باللؤلؤة، وهز الحبل الذي دلاه رفاقه به، (وهزة الغواص الحبل معناه: ارفعوني)، هز الحبل بحشاشة نفسه (بما تبقى له من روح) وكان غائصاً وفوقه لجة خضراء (سوداء معتمة) طامية بالماء.. هذا في البحر طبعاً، وأما تعبير «طام بحورها» فتركيب فزردقي لا معنى له سوى الوصول إلى القافية

فَمَا جَاءَ حَتَّى مَجٍّ، وَالْمَاءُ دُونَهُ، مِنَ النَّفْسِ أَلَوَانًا عَبِيْطًا نُحُورُهَا
 فما جاء (برز فوق الماء) حتى مج (بصق) من فمه دم قلبه فلَوَّن به سطح الماء كما يلون الكباش العبيط (المذبوح) بالدم ما حوله

إِذَا مَا أَرَادُوا أَنْ يُحِيرَ مَدُوفَةً أَبَى مِنْ تَقْصِي نَفْسِهِ لَا يَحُورُهَا
كلما أرادوه على أن يحير (يتغرغر بـ) مدوفة (خلطة علاجية ضد السم)، أبى لشدة ما فيه أن
يقبلها . . كذا المعنى الملموح

فَلَمَّا أَرَوْهَا أُمُّهُ هَانَ وَجَدُهَا رَجَاءَ الْغِنَى، لَمَّا أَضَاءَ مُنِيرُهَا
فلما أروا أمه للؤلؤة هان وجدها (خف حزنها)، رجاء الغنى (توقعا للإثراء) فقد أضاءت اللؤلؤة

وظَلَّتْ تَغَالَاها التَّجَارُ، وَلَا تُرَى لَهَا سِيمَةٌ إِلَّا قَلِيلًا كَثِيرُهَا
وظل التجار يتغالونها (يزيدون في السعر)، ولا يرى القوم أي سيمة (تقدير سعر) إلا وهي قليلة
عليها. انتهى التشبيه، فهذه الدرة كتلك المرأة. والتشبيه جاهلي تجد مثله عند المسيب بن علس
وعند الأعشى

وَكَانَ نُفَيْعٌ إِذْ هَجَانِي لِأُمِّي كِبَاحِثَةٍ عَنْ مُدْيَةٍ تَسْتَشِيرُهَا
نافع هذا عندما هجاني كان - جانياً على أمه - كالمعتر الباحثة عن المدية (السكين) تستشيرها (تنشئها) لكي
تُذبح بها، مع فارق أنه سيجني على أمه، لا على نفسه، لأنني سأهتك عرضها . . والقصة أن نفع هذا
هجا الفرزدق، فأسرعت أم نفع واستجارت بغير غالب أبي الفرزدق طالبة العفو . .

عَجُوزٌ تُصَلِّيُ الْخَمْسَ عَاذَتْ بِغَالِبٍ فَلَا وَالَّذِي عَاذَتْ بِهِ لَا أَضِيرُهَا
هي عجوز تؤدي الصلوات الخمس، وقد عاذت (لجأت) بغير غالب، فلا وحق غالب لا أضيرها (أؤذيها)

فَإِنِّي - عَلَى إِشْفَاقِهَا مِنْ مَخَافَتِي وَإِنْ عَقَّهَا بِي نَافِعٌ - لَمُجْبِرُهَا
سأجيرها من لساني، لأنها أشفقت على عرضها خوفاً مني، حتى وإن عققها ولدها نافع

إِذَا اجْتَمَعَ الْآفَاقُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ إِلَى مَنْسِكٍ، كَانَتْ إِلَيْنَا أُمُورُهَا
إذا اجتمع الآفاق (الناس من كل مكان) لتأدية منسك من المناسك، فنحن القادة الذين تتولى أمر
الناس جميعاً

رَمَى النَّاسُ عَنْ قَوْسٍ تَمِيمًا، فَمَا أَرَى مُعَادَاةَ مَنْ عَادَى تَمِيمًا تُضِيرُهَا
رمى الناس جميعاً ومرة واحدة، كأنما بقوس واحدة، قبيلة تميم، ولكنني لا أرى هذه العداوة تؤثر
في تميم

لَعَمْرِي لَقَدْ لَاقَتْ مِنَ الشَّرِّ جَعْفَرٌ بِطُخْفَةٍ أَيَّاماً طَوِيلًا قَصِيرُهَا
قبيلة جعفر لقيت في معركة طخفة، أياماً صعبة طويلة بمآسيها رغم قصرها

وَقَدْ عَلِمْتُ أَفْنَاءَ جَعْفَرَ أَنَّهُ يَبْقَى جَعْفَرًا وَقَعَ الْعَوَالِي ظُهُورُهَا
وقد علمت أفناء جعفر (جيرانهم) أن قبيلة جعفر يتقون وقع العوالي (الرماح) بظهورهم، أي أنهم
سريعون إلى الفرار فنصيبهم في ظهورهم لا في صدورهم

٥٠ نهوض الشيب

إِنَّ الْمَلَامَةَ مِثْلَ مَا بَكَرْتُ بِهِ مِنْ تَحْتِ لَيْلَتِهَا عَلَيْكَ نَوَارُ
اللوم المؤلم هو مثل الذي صبحتك به زوجتك نوار

وتقول كيف يميل مثلك للصبا وعليك من سمة الحليم عذار

تقول نوار: كيف يميل مثلك للصبا (اللهو)، وعليك من سمة الحليم (هيئة العاقل) عذار (العذار السالف، يقصد سالفاً وَخَطَهُ الشيب)

وَالشَّيْبُ يَنْهَضُ فِي الشَّبَابِ كَأَنَّهُ لَيْلٌ يَصْبِحُ بِجَانِبِهِ نَهَارٌ

الشيب في سالفك، فكان وسط رأسك شعره الأسود ليل، وقد صاح بجانبه النهار المتمثل في الشيب. النهار لا يصيح طبعاً، ولكن الديك يصيح، فاعلم ذلك. قد طرب القدماء كثيراً لهذا البيت، ولعمري إن المرء ليحس بقعقة طيبة من كلماته، وإن احتاج إلى ما يحتاج إليه كثير من شعر الفرزدق من التأويل، فالشيب ليس «كأنه ليل» بل الشعر الأسود هو الليل.. في كثير من أبيات الفرزدق عليك أن تفهم المعنى الإجمالي، ثم تبلع ريقك وتهز رأسك

إِنَّ الشَّبَابَ لَرَايِحٌ مِّنْ بَاعِهِ، وَالشَّيْبُ لَيْسَ لِبَائِعِيهِ تَجَارٌ

الشباب تجارة رابحة على النساء، والشيب ليس لبائعيه تجار (تُجَّار) يشترونه منهم

يَا ابْنَ الْمَرَاةِ أَنْتَ أَلَامٌ مِّنْ مَّسَى وَأَذَلُّ مِّنْ لِّبْنَانِهِ أَظْفَارٌ

يا جريز أنت ألام من مشى فوق الأرض، وألام من لبنانه (أطراف أصابعه) أظفار، أي أنت ألام الناس

وَإِذَا ذَكَرْتَ أَبَاكَ أَوْ أَيَّامَهُ أَخْزَاكَ حَيْثُ تُقْبَلُ الْأَحْجَارُ

إذا ذكرت أباك عطية أو أيامه (مواقفه) لحق بك الخزي في مكة، حيث يقبل الناس الحجر الأسود. وكانوا في القديم يحتكمون إلى أقوام بمكة في المفاخرة بالأنساب

وَإِذَا نَظَرْتَ رَأَيْتَ فَوْقَكَ دَارِمًا فِي الْجَوِّ حَيْثُ تُقَطَّعُ الْأَبْصَارُ

قيليتي، دارم، فوقك عالية في الجو في مكان يتقطع فيه البصر ويعجز عن الرؤية لعلوها

إِنَّ الزِّيَارَةَ فِي الْحَيَاةِ، وَلَا أَرَى مَيِّتًا إِذَا دَخَلَ الْقُبُورَ يُزَارُ

أنت تزور قبر زوجتك.. فأي زيارة هذه لميت في قبره؟

وَرَثَيْتَهَا وَفَضَحْتَهَا فِي قَبْرِهَا مَا مِثْلَ ذَلِكَ تَفْعَلُ الْأَبْرَارُ

ورثيت زوجتك ففضحتها، وليس هذا من فعل أهل الخير

٥١ وصية الأخطل

وَزَارَ الْقَبُورَ أَبُو مَالِكٍ بِرَغَمِ الْعُدَاةِ وَأُوتَارَهَا
مَاتَ أَبُو مَالِكٍ (الأخطل) ميتة طبيعية، رغم أعدائه الذين توعدوه بالقتل، ورغم أوتارهم (ثاراتهم)
وَأَوْصَى الْفَرَزْدَقَ عِنْدَ الْمَمَاتِ بِأُمِّ جَرِيرٍ وَأَعْيَارَهَا
وَأَوْصَانِي عِنْدَ مَوْتِهِ بِالِاسْتِمْرَارِ فِي هِجَاءِ أُمِّ جَرِيرٍ وَأَعْيَارَهَا (حميرها، يقصد أبناءها)

٥٢ أكل الخبيص

يهجو عمر بن هبيرة:

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْتَ وَالِ شَفِيقٌ، لَسْتَ بِالْوَالِيِ الْحَرِيسِ . .
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَنْتَ وَالِ (تتولى الأمور) شَفِيقٌ (راحم) وَلَسْتَ حَرِيساً (بخيلاً) . .

أَطْعَمْتَ الْعِرَاقَ وَرَافِدَيْهِ فَزَارِيّاً أَحَدُ يَدِ الْقَمِيصِ
أطعمت خراج العراق ونهريه رجلاً فزاريّاً أَحَدُ يَدِ الْقَمِيصِ (مقصود كم القميص، لعله عنى أن
ابن هبيرة مشمر لسرقة ما يجنيه من أموال بالعراق)

وَلَمْ يَكُ قَبْلَهَا رَاعِي مَخَاضٍ لِيَأْمَنَهُ عَلَى وَرْكِي قَمِيصٍ
ولم يكن أي راعي مخاض (راعي إبل) يأمن ابن هبيرة على وركي قميص (دابة)؛ لعل المعنى أن
الراعي لم يكن يحس بالأمان إذا رأى ابن هبيرة متوركاً قميصاً (راكباً على وركي دابته)

تَفِيهُقَ بِالْعِرَاقِ أَبُو الْمُثَنَّى وَعَلَّمَ قَوْمَهُ أَكْلَ الْخَبِيصِ
تفیهق (تحذلق، وتشدق، ووُشِعَ فمه بالكلام) أَبُو الْمُثَنَّى (كنية المخنث) عندما تولى أمر العراق،
وعلم قومه البدو أكل الخبيص (التمر المعجون بالسمن)

٥٣ عيون المها

مَنَعَ الْحَيَاءَ مِنَ الرِّجَالِ وَطَبِيهَا حَدَقَ تُقَلِّبُهَا النِّسَاءُ مِرَاضُ

قصة الأبيات: كان الفرزدق في دكان سراج، يبيع سروج الخيل، فمرت حسناء، فخرج وتبعها بنظره،
وهو يتقذّر حسرة، وقال: إن ما يمنع الرجال من الاستمتاع بالحياة وطبيها شدة التعلق بالنساء ذوات
الحدق (العيون) المراض (المسترخية). ومن بعض دلالات المرأة أن تفتح عينها نصف فتح، ليس
خجلاً بل إغواء . . هذا كان كثيراً عند العرب، وهو كثير الآن عند العرب، ولكنه ليس خلقة في المرأة

فَكَأَنَّ أَفْسَدَةَ الرِّجَالِ إِذَا رَأَوْا حَدَقَ النِّسَاءِ لِنَبْلِهَا أَغْرَاضُ

كَأَنَّ قُلُوبَ الرِّجَالِ أَغْرَاضُ (أهداف) لِنَبْلِ عَيُونِ النِّسَاءِ (سهامها)

خَرَجْتُ إِلَيْكَ، وَلَمْ تَكُنْ خَرَّاجَةً فَأَصِيبَ صَدْعُ فَوَادِكَ الْمُنْهَاضِ
خرجت المرأة إلى السوق، وليست من أولئك النسوة الكثيرات الخروج، فأصابته صدع (شعر)
قلبك المنهاض (المكسور). والمنهاض تصف الصدع.. كذا

٥٤ خاضب ساخط

خَضَبْتُ بِجَيِّدِ الْحِنَاءِ رَأْسِي لِيُعْقِبَ حُمْرَةً بَعْدَ الْبَبَاضِ
خضبت (صبغت) بنوع جيد من الحناء رأسي، ليعقب (ليسب) احمراراً بعد أن كان أبيض بالشيب
هُمَا لُونَانِ مِنْ هَذَا وَهَذَا كَلَا اللَّوْنَيْنِ لَسْتُ لَهُ بِرَاضٍ
هذان لونان، الشيب والحمرة، ولست راضياً أيّاً منهما

٥٥ حتى لا يجوع الذئب

تَلُومُ عَلَى أَنْ صَبَّحَ الذَّئْبُ ضَانَهَا فَأَلَوِي بِجُبْشٍ وَهَوَ فِي الرَّعْيِ رَاتِعٌ
تلومني أمي - وقيل: هذا الشعر من أول ما قال الفرزدق - لأن الذئب أغار على ضانها (خرافها)
صباحاً، فألوى (ذهب) بجبش (اسم ذلك الخروف) وهو راتع (أكل لالع) يرعى
وَقَدْ مَرَّ حَوْلَ بَعْدَ حَوْلٍ وَأَشْهُرٌ عَلَيْهِ بُبُؤْسٌ، وَهَوَ ظِمَانٌ جَائِعٌ
كان مر على الذئب حول بعد حول (عام بعد عام) وهو جائع
فَلَمَّا رَأَى الْإِقْدَامَ حَزَمًا، وَأَنَّهُ أَخُو الْمَوْتِ مَنْ سُدَّتْ عَلَيْهِ الْمَطَالِعُ..
فلما رأى الإقدام (الهجوم) حزمًا (قراراً صائباً) وأن أخو الموت (من سيموت) هو الذي سدت في
وجهه المطالع (الطرق)..
.. أَغَارَ عَلَى خَوْفٍ، وَصَادَفَ غِرَّةً فَلَاقَى الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهَا الْمَطَامِعُ
عثنذ أغار على الماشية وهو خائف، وصادف غرة (فرصة) فلقي ما كان يطمع فيه

وَمَا كُنْتُ مِضْيَاعًا، وَلَكِنْ هِمَّتِي سَوَى الرَّعْيِ مَقْطُومًا، وَإِذَا أَنَا يَافِعٌ
وأنا لست مضياً (مهملاً مضياً للمال) لكن همتي (طموحي) ليست في رعي الماشية منذ أن
نطمت، وحتى شيب

٥٦ تعريف

إِذَا بَاهِلِي تَحَتَّ حَنْظَلِيَّةٌ لَهُ وَلَدٌ مِنْهَا، فَذَلِكَ الْمُنْزَعُ
الباهلي الذي يتزوج حنظلية، وينجب منها، فولده هو المنزع (الذي أمه أشرف نسباً من أبيه)، أي
أن قبيلة باهلة أدنى نسباً من حنظلة

٥٧ أولئك آبائي

وَمِنَّا الَّذِي أَحْيَا الْوَيْدَ، وَغَالِبٌ وَعَمْرُوٌّ وَمِنَّا حَاجِبٌ وَالْأَقَارُ

من قبيلتنا، دارم، صصعة الذي أحيا المؤودات، ومنا غالب وعمرو، إلخ

أُولَئِكَ آبَائِي، فَجِئْنِي بِمِثْلِهِمْ إِذَا جَمَعْتُنَا يَا جَرِيرُ الْمَجَامِيعُ

هؤلاء آبائي (أجدادي) فهات مثلهم يا جرير عندما نتفاخر في المحافل

فِيَا عَجْبِي حَتَّى كُتِّبَ تَسْبُئِي، كَأَنَّ أَبَاهَا نَهْشَلٌ أَوْ مُجَاشِئُ

وكليب قبيلة جرير، ونهشل ومجاشع من أجداد الفرزدق. وقيمة هذه الأبيات الثلاثة أنها مناسبة انسياً، فلو نثرتها ما كان لك إلا أن تؤديها بلفظها

فإِنَّكَ إِلَّا مَا اعْتَصَمْتَ بِنَهْشَلٍ لَمْ تُسْتَضَعَفْ يَا ابْنَ الْمَرَاعَةِ ضَائِعُ

وأنت يا جرير - وجرير من تميم كالفرزدق، ولكنه من فرع كليب - إن لم تعتصم (تختم) بفرع نهشل - سظل مستضعفاً ضائعاً

إِذَا أَنْتَ يَا ابْنَ الْكَلْبِ أَلْقَيْتَ نَهْشَلٌ، وَلَمْ تَكُ فِي حِلْفٍ، فَمَا أَنْتَ صَانِعُ

إذا تخلت عنك نهشل (نهشل جد للفرزدق ونهشل هي العشيرة المكونة من أبنائه وأحفاده)، ولم تجد من تحالف معه، فما الذي تصنعه؟

تَنَحَّ عَنْ الْبَطْحَاءِ، إِنْ قَدِيمَهَا لَنَا، وَالْجِبَالُ الْبَاذِخَاتُ الْفَوَارُغُ

تنح عن البطحاء (أواسط البلد، وهي مكان الأشراف، ومن ذلك بطحاء مكة)، فلنا فيها الأقدمية، ولنا الجبال الباذخات (العاليات) الفوارع (العاليات)

أَخَذْنَا بِأَفَاقِ السَّمَاءِ عَلَيْكُمْ لَنَا قَمَرَاهَا وَالنَّجُومُ الطَّوَالِغُ

سددنا عليكم الأفاق بحضورنا وشهرتنا، ولنا قمرها (الشمس والقمر) والنجوم الطالعة

أَنَعِدُّ أَحْسَاباً لِنَاماً أَدَقَّةً بِأَحْسَابِنَا؟ إِنِّي إِلَى اللَّهِ رَاجِعُ

أستوي بين أحساب (أفعال) لثيمة دقيقة (نحيلة) بأحسابنا؟ إنا لله وإنا إليه راجعون

وَكُنَّا إِذَا الْجَبَارُ صَمَرَ خَدَّهُ ضَرِبْنَاهُ حَتَّى تَسْتَقِيمَ الْأَخَادُغُ

كنا إذا صمر (أمال) الجبار خده تكبراً، ضربناه حتى تعتدل الأخادع (عروق الرقبة) أي حتى يعتدل رأسه ويكف عن كبره

إِذَا قِيلَ أَيُّ النَّاسِ شَرُّ قَبِيلَةٍ أَسَارَتْ: كُتِّبَ، بِالْأَكْفِ الْأَصَابِعُ

إذا سئل عن أسوأ قبيلة أشارت أصابع أكف الناس إلى كليب (التقدير عند من رفع كليباً «أشارت الأصابع، هي كليب»، ومن نصب كليباً فعلى نزع الخافض، ومن جرها فبحرف جر محذوف تقديره إلى)

٥٨ أهون مفقود

يَقُولُونَ زُرْ حَذْرَاءَ وَالتُّرْبُ دُونَهَا وكيف بشيءٍ وصلُّه قد تَقَطَّعَا
يقولون لي زر قبر زوجتك حدراء، فكيف أزورها والتراب دونها (عليها)، وقد انقطع الوصل بيني وبينها؟
وَلَسْتُ وَإِنْ عَزَّتْ عَلَيَّ بِزَائِرٍ تُرَاباً عَلَى مَرْسُومَةٍ قَدْ تَضَعُضَعَا
ولست - وإن كانت عزيزة علي - زائراً تراباً على مرسومة (مدفونة) قد تضعضع (هبط)
وَأَهْوَنُ مَفْقُودٌ إِذَا الْمَوْتُ نَالَه عَلَى الْمَرْءِ مِنْ أَصْحَابِهِ مَنْ تَقَنَّعَا
أهون مفقود (الأقل قيمة بين المفقودين) عند الموت من تقنع (من تنقب، أي المرأة)
يَقُولُ ابْنُ خِنْزِيرٍ بَكَيْتَ . وَلَمْ تَكُنْ عَلَى امْرَأَةٍ عَيْنِي إِخَالُ لِيَتَدَمَّعَا
يقول جرير إنني بكيت، ولكنني لا إخال (أظن) عيني ستبكي على امرأة أبداً

٥٩ منعوني من زياد

بمدح يزيد بن عبد الملك:

وَلَا جَارَ بَعْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الَّذِي وَضَعْتُ إِلَى أَبَوَائِهِ رَحْلَ خَائِفٍ
لا جار (مجير) لي بعد الله أفضل ممن وضعت رجلي (سرجي ومتاعي) عن جملي ببابه وإنه رحل
رجل خائف
فَلَا بَأْسَ إِنِّي قَدْ أَخَذْتُ بِعُرْوَةٍ هِيَ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى لِخَيْرِ الْخَلَائِفِ
لا بأس عليّ وقد استسكت بعروة (التزمت) هي العروة الوثقى (المأمنة) لخير خليفة
أَبُوهُ أَبُو الْعَاصِي وَحَرْبٌ تَلَاقِيَا إِلَيْهِ بِمَجْدِ الْأَكْرَمِينَ الْغَطَارِفِ
أبوه (يعني جده) أبو العاصي وحرب (وهما جدّا الفرعين المرواني والسفنياني من بني أمية) وقد
جمعا له مجد الكرام الغطارف (السادة)
هُمْ مَنَعُونِي مِنْ زِيَادٍ وَغَيْرِهِ بِأَيْدٍ طَوَالٍ أَمَنْتُ كُلَّ خَائِفٍ
بنو أمية منعوني (حموني) من زياد بن أبيه والي العراق، ومن غيره، بأيدٍ طوال (بقدره وقوة)
أَمَنْتُ كُلَّ خَائِفٍ

٦٠ عزفت بأعشاش

عَزَفْتُ بِأَعْشَاشٍ وَمَا كِدْتُ تَعْرِفُ وَأَنْكَرْتُ مِنْ حَذْرَاءَ مَا كُنْتُ تَعْرِفُ
المعنى الملموح: عزفت (انصرفت) عن هذا المكان «أعشاش»، وما انصرف فؤادك عنه كل
الانصراف، غير أنك فوجئت بما بدا من الحبيبة «حدراء» فأنكرت ذلك

وَلَجَّ بِكَ الْهَجْرَانُ حَتَّى كَأَنَّمَا تَرَى الْمَوْتَ فِي الْبَيْتِ الَّذِي كُنْتَ تَأْلُفُ

لج (استمر) بك هجرانها حتى لقد صرت ترى الموت في بيتها الذي طالما ألفته

إِذَا انْتَبَهَتْ حُدْرَاءُ مِنْ نَوْمَةِ الضُّحَى دَعَتْ، وَعَلَيْهَا دِرْعُ خَزٍّ وَمِطْرَفُ..

إذا استيقظت «حدراء» من نومة الضحى - وهي نومة البنت المترفة التي لا شغل لديها - دعت (طلبت) وهي تلبس درع خز (قميصاً داخلياً من الحرير) ومطرف (رداء خفيفاً)..

بِأَخْضَرَ مِنْ نَعْمَانَ، ثُمَّ جَلَتْ بِهِ عَذَابَ الثَّنَايَا، طَيِّباً حِينَ يُرْشَفُ

طلبت عود سواك أخضر مما ينبت في وادي «نعمان»، ثم استاكت به وجلت ثناياها (أسنانها) العذبة التي يطيب للمرء ارتشافها

فَكَيْفَ بِمَخْبُوسٍ دَعَانِي وَدُونَهُ دُرُوبٌ وَأَبْوَابٌ وَقَصْرٌ مُشَرَّفُ

فهذه الآن قصة امرأة محبوسة دعتني، ودونها (يحول دون الوصول إليها) دروب وأبواب وقصر مشرف (عال)

وَضُهِبَ لِحَاهُمْ رَاكِزُونَ رِمَاحَهُمْ لَهُمْ دَرَقٌ دُونَ الْعَوَالِي مُصَفَّفُ

ويحميها أيضاً حراس ذوو لحى صهباء (شقراء) يركزون رماحهم، وتحت العوالي (الرماح) درق (تروس) مصفوفة

يُبَلِّغُنَا عَنْهَا بِغَيْرِ كَلَامِهَا إِلَيْنَا مِنَ الْقَصْرِ الْبَنَانُ الْمُطَرَّفُ

تبلغنا بما تريد ولكن دون أن تتكلم، فالذي يبلغنا هو إشارتها بالبنان المطرف (أطراف أصابعها المصبوغة بالحناء)، فكأنها كانت تشير إليه أن تعال..

دَعَوْتُ الَّذِي سِوَى السَّمَوَاتِ أَيْدُهُ، وَلَلَّهُ أَذْنَى مِنْ وَرِيدِي وَالْظَّفُ

دعوت الله الذي سوى السموات أيده (قدرته)، والله أقرب إلى المرء من حبل الوريد، وهو يسمع الدعاء..

لَيْسَ شَغْلَ عَنِّي بِعَلَّهَا بِزَمَانَةٍ تُدَلِّهُهُ عَنِّي وَعَنْهَا فَتُسَعَفُ

دعوته أن يشغل عني زوجها بمرض مزمن، يدلّله (يذهب بقله) عني وعنّها، فهذا ما سوف يسعفنا

فَأَرْسَلَ فِي عَيْنَيْهِ مَاءً عَلاهُمَا، وَقَدْ عَلِمُوا أَنِّي أَطْبُ وَأَعْرِفُ

فأرسل الله في عينيه ماء، فعمي، وقد علم القوم أنني خير بالطب

فَدَاوَيْتُهُ عَامِنِينَ وَهِيَ قَرِيبَةٌ أَرَاهَا فَتَدُنُونِي لِي مِرَاراً فَأَرْشُفُ

ولبت أطيبه عامين وهي قريبة أراها فتدنوني لي مراراً وأرشف ريقها

فَيَا لَيْتَنَا كُنَّا بَعِيرَيْنِ لَا نَرُدُّ عَلَى مَنَهْلٍ إِلَّا نُشَلُّ وَنُقَذَفُ

لَيْتَنَا كُنَّا بَعِيرَيْنِ، وَلَا نَرُدُّ مِنْهَلًا (حوض ماء) إِلَّا نُشَلُّ (نطرد) وَنُقَذَفُ بِالْحَجَارَةِ. لَيْسَ بَعِيداً أَنْ يَكُونَ الْفَرَزْدَقُ سَرَقَ الْمَعْنَى مِنْ كَثِيرِ عَزَّةٍ، فَالْفَرَزْدَقُ قَالَ قَصِيدَتَهُ هَذِهِ وَهُوَ فِي الْمَدِينَةِ، وَفِي الْمَدِينَةِ عَاشَ كَثِيرَ عَزَّةٍ طَوِيلًا، وَكَانَ مُعَاصِرًا لِلْفَرَزْدَقِ. غَيْرَ أَنَّ الشَّاعِرِينَ مَشْهُورَانِ بِالْأَصْطِرَافِ أَيْ سَرَقَةِ الْآيَاتِ كَامِلَةً

كِلَانَا بِهَا عَرَّ يُخَافُ قِرَافَهُ عَلَى النَّاسِ مَطْلِي الْمَسَاعِرِ أَخْشَفُ

وَكَلَانَا مُصَابٌ بِالْعَرِّ (الجرب)، وَيُخَافُ النَّاسُ قِرَافَهُ (مخالطته)، وَمَطْلِي الْمَسَاعِرِ (الافخاذ) أَخْشَفُ (يَابِسُ الْجِلْدُ)، فَهَذَا يَجْعَلُنَا نَفْرَدَ وَحْدَنَا وَلَا يَقْرَبُنَا أَوْ يَفْرُقَ بَيْنَنَا أَحَدٌ

إِلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رَمَتْ بِنَا هُمُومُ الْمُتْنَى، وَالْهُوْجَلُ الْمُتَعَسَّفُ

إِلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رَمَتْهُمَا الْهَمُومُ وَالْأُمْنِيَّاتُ بِالْحَصُولِ عَلَى الْمَالِ، وَرَمَانَا أَيْضًا الْهُوْجَلُ (الصحراء) الْمُتَعَسَّفُ (الَّذِي يَسِيرُ فِيهِ الْمَرْءُ فَيُضِلُّ طَرِيقَهُ)

وَعَضَّ زَمَانٌ يَا ابْنَ مَرَوَانَ لَمْ يَدْعُ مِنَ الْمَالِ إِلَّا مُسْحَتًا أَوْ مُجَرَّفًا

عَضَّ الزَّمَانُ (أَنَّهُ كُنَّا الْقَحْطُ) يَا ابْنَ مَرَوَانَ (عَبْدَ الْمَلِكِ بْنِ مَرَوَانَ) وَلَمْ يَدْعُ لَنَا مِنَ الْمَالِ (الْمَاشِيَةِ) إِلَّا الْمُسْحَتَ (مَا يَأْتِي بِطَرِيقِ السَّرَقَةِ) أَوْ الْمَجْرَفَ (الْأَعْجَفُ الْمَهْزُولُ). وَحَقُّ «مَجْرَفٍ» النَّصَبُ، وَلِلْبَيْتِ مَعَ النَّحَاةِ قِصَّةٌ طَوِيلَةٌ

وَقَدْ عَلِمَ الْجَبِرَانُ أَنَّ قُدُورَنَا ضَوَائِمُنُ لِلْأَرْزَاقِ وَالرَّيْحُ زَفْرَفُ

وَقَدْ عَلِمَ الْجَبِرَانُ (مَنْ يَنْزِلُونَ بِنَا ضِيُوفًا أَوْ مُسْتَجِيرِينَ) أَنَّ قُدُورَنَا تَضُمُّنُ لَهُمُ الرِّزْقَ (الطَّعَامَ) عِنْدَمَا تَكُونُ الرِّيحُ زَفْرَفًا (عَاصِفَةً)

تُفَرِّغُ فِي شِيْزَى كَأَنَّ جِفَانَهَا حِيَاضُ جَبِيٍّ مِنْهَا مِلَاءٌ وَنُصْفُ

تُفَرِّغُ الْقُدُورَ فِي شِيْزَى (قِصَاعٍ كَبِيرَةٍ مِنْ خَشَبِ الشَّيْزِ) كَأَنَّ جِفَانَهَا (الْكَبِيرَةَ مِنْهَا) حِيَاضُ جَبِيٍّ (أَحْوَاضُ جَمْعِ الْمَاءِ) بَعْضُهَا مَلَأَنَ وَبَعْضُهُ بَلَّغَ الطَّعَامَ مُتَنَصِّفَهُ. لَوْ كَانَ جَعَلَهَا كُلُّهَا مَلَأَى! لَكِنْ هِيَ الْقَافِيَةُ

تَرَى حَوْلَهُنَّ الْمُعْتَفِينَ كَأَنَّهُمْ عَلَى صَنَمٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ عُكْفُ

تَرَى حَوْلَ الْقِصَاعِ الْمُعْتَفِينَ (الْفُقَرَاءُ) كَأَنَّهُمْ عَاكِفُونَ بِصَمْتٍ عَلَى صَنَمٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَالْجَائِعُ الْآكِلُ صَامَتٌ مُشْغَلٌ بِمَا هُوَ خَيْرٌ مِنَ الْكَلَامِ

فُعُودًا وَخَلَفَ الْقَاعِدِينَ سَطُورَهُمْ جُنُوحٌ، وَأَيْدِيَهُمْ جُمُوسٌ وَنُطْفُ

قَاعِدُونَ فِي صُفُوفٍ وَهُمْ جُنُوحٌ (مَائِلُونَ بِأَيْدِيهِمْ لِتَصِلَ إِلَى الْقِصَاعِ) وَالْأَيْدِيُ جُمُوسٌ (جَامِدٌ عَلَيْهَا الدَّهْنُ) وَنُطْفُ (يَسِيلُ مِنْهَا السَّمْنُ وَالذَّهْنُ)

وَمَا قَامَ مِنَّا قَائِمٌ فِي نَدِيِّنَا فَيَنْطِقُ إِلَّا بِالسَّيِّئِ هِيَ أَعْرَفُ

لَا يَقُومُ أَحَدٌ مِنْ رِجَالِنَا فِي النَّدِيِّ (الْمَجْلِسِ) لِيُخَاطَبَ إِلَّا نَطَقَ بِمَعْرُوفٍ وَحِكْمَةٍ

وَكُنَّا إِذَا نَامَتْ كُلَيْبٌ عَنِ الْقَرَى إِلَى الضَّيْفِ نَمشي بِالْعَبِيطِ وَنَلْحَفُ
إذا نامت قبيلة كليب عن القرى (أهملت إ طعام الضيف) مشينا إلى الضيف بالعبيط (اللحم)
وباللفاف كي يتغطى من البرد

وَجَدْنَا أَعَزَّ النَّاسِ أَكْثَرَهُمْ حَصَى وَأَكْرَمَهُمْ مَنْ بِالْمَكَارِمِ يُعْرِثُ
أعز الناس (أكثرهم عزاً وقوة) أكثرهم حصى (عدداً)، وأكرمهم من له في المكارم صيت
وبالله لولا أن تقولوا تكاثرت علينا تميم ظالمين، وأسرفوا..
ولولا أن يقول الناس إن قبيلة تميم اجتمعت ضدهم ظالمة وأسرفت..

لَمَّا تُرِكَتْ كَفَّ تُشِيرُ بِإِصْبَعٍ وَلَا تُرِكَتْ عَيْنٌ عَلَى الْأَرْضِ تَنْظُرُ
.. لما كنا تركنا كفاً تشير بإصبع ولا عين تنظر (ترمش)، أي أننا قادرون على قتل الناس جميعاً
لولا أننا نخشى الملامة

لَنَا الْعِزَّةُ الْعَلِيَاءُ وَالْعَدَدُ الَّذِي عَلَيْهِ إِذَا عُدَّ الْحَصَى يَتَخَلَّفُ
لنا العزة (القوة) وعدد الرجال الذي يزيد عن عدد الحصى

وَلَا عِزٌّ إِلَّا عِزُّنَا قَاهِرٌ لَهُ وَيَسْأَلُنَا النُّصْفَ الدَّلِيلُ فَتُنْصِفُ
نقهر كل قوة، وإن طلب المقهور الدليل أن ننصفه أنصفناه

إِذَا هَبَطَ النَّاسُ الْمُحْصَبَ مِنْ مِئَى عَشِيَّةٍ يَوْمِ النَّحْرِ مِنْ حَيْثُ عَرَفُوا..
إذا جاء الناس أماكن الحج في مكة عشية يوم نحر الهدى بعد أن يقفوا بعرفات..

تَرَى النَّاسَ مَا سِرْنَا يَسِيرُونَ خَلْفَنَا وَإِنْ نَحْنُ أَوْمَانَا إِلَى النَّاسِ وَقَفُوا
ترى الناس يسرون خلفنا فإن أشرنا إليهم بالوقوف وقفوا

فَإِنَّكَ إِذْ تَسْعَى لِتُذْرِكَ دَارِمًا لَأَنْتَ الْمُعْنَى يَا جَرِيرُ الْمُكَلَّفِ
إذ تسعى يا جرير لتدرك أمجاد قبيلة دارم فإنك المعنى (المتعب) الذي كلف نفسه فوق طاقته

٦١ ثمانون لحية

وَنَحْنُ أَرْحَنُا عَنْ «خَوْلَةٍ جَحْدَرٍ» شَجًا كَانَ مِنْهَا فِي مَكَانِ الْمُخَنَّقِ
أرحنا عن هذه المرأة شجاً (شوكة) كانت في مكان المخنق منها (الحلق)

وَكَانَتْ إِذَا ابْنَا مَسْمَعٌ ذُكِرَا لَهَا جَرَتْ دُقْعٌ مِنْ دَمْعِهَا الْمُتَرَفِّقِ
فقد كانت إذا ذكر أمامها ابنا مسمع بكت وجرى دمعها متدفقاً

فَسَاغَ لَهَا بَرْدُ الشَّرَابِ، وَلَمْ يَكُنْ يَسُوغُ لَهَا فِي صَدْرِهَا الْمُتَحَرِّقِ
 فَبَعْدَمَا صَنَعْنَا لَهَا مَا صَنَعْنَا سَاغَ (طَابَ) لَهَا الْمَاءُ، وَمَا كَانَ يَطِيبُ لَهَا لَمَّا فِي صَدْرِهَا مِنْ لَهِيْبٍ
 أَتَتْهَا، وَلَا تَمْشِي، ثَمَانُونَ لِحْيَةً جَمَاجِمُهَا مِنْ مُخْتَلَى وَمُفْلَتِي
 أَتَتْهَا - دُونَ أَنْ تَمْشِي - ثَمَانُونَ لِحْيَةً (ثَمَانُونَ رَأْسًا مَقْطُوعًا)، وَالْجَمَاجِمُ بَيْنَ مُخْتَلَى (مَقْطُوعٍ مِنْ
 الْعُنُقِ) وَمُفْلَقٍ (مُفْلُوقٍ مِنْ أَعْلَاهُ). فَنَحْنُ انْتَقَمْنَا لَهَا وَقَتَلْنَا كُلَّ هَؤُلَاءِ

وَذَاتِ حَلِيلٍ أَنْكَحَتْهَا رَمَاحُنَا حَلَالًا لِمَنْ يَبْنِي بِهَا لَمْ تُطْلَقِ
 وَرَبِّ امْرَأَةٍ ذَاتِ حَلِيلٍ (زَوْجٍ) زَوْجَتُنَا بِهَا رَمَاحُنَا، إِذْ أَخَذْنَاهَا سَبِيَّةً فِي الْحَرْبِ، وَهِيَ حَلَالٌ لِمَنْ
 يَبْنِي بِهَا (يَتَزَوَّجُهَا الَّذِي سَبَاهَا أَوْ كَانَتْ مِنْ نَصِيْبِهِ) دُونَ أَنْ يَطْلُقَهَا زَوْجَهَا

وَكَانَتْ أَثَافِي قِدْرِنَا رَأْسَ بَعْلِهَا وَعَمِيْهِ، فِي أَيْدٍ سَقَطْنَ وَأَسُوقِ
 وَقَبْلَ أَنْ نَسِيْهَا كُنَّا نَقْتُلُنَا زَوْجَهَا وَعَمِيْنِ مِنْ أَعْمَامِهِ وَجَعَلْنَا رُؤُوسَهُمْ أَثَافِي (حِجَارَةَ الْقَدْرِ)، هَذَا
 إِضَافَةٌ إِلَى أَيْدٍ وَسِقَانٍ مَقْطُوعَةٍ

٦٢ الفرزدق في يوم القيامة

إِذَا جَاءَنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَائِدٌ عَنِيفٌ، وَسَوَاقٌ يَسُوقُ الْفَرَزْدَقَا
 الْفَرْقُ بَيْنَ الْقَائِدِ وَالسَّائِقِ أَنَّ الْقَائِدَ يَقُودُ الْمَرْءَ وَهُوَ مَاشٍ أَمَامَهُ، وَالسَّائِقُ يَسُوقُهُ وَهُوَ خَلْفَهُ، وَلَآنَ
 الْفَرَزْدَقُ لَمْ يَشْهَدْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَعْدَ فَهْوَ يَضَعُ الْإِحْتِمَالَيْنِ

أَخَافُ وَرَاءَ الْقَبْرِ إِنْ لَمْ يُعَافِنِي أَشَدُّ مِنَ الْقَبْرِ النَّهَابِ وَأَضْيَقَا
 أَخَافُ بَعْدَ أَنْ أَصِيرَ إِلَى الْقَبْرِ - إِنْ لَمْ يَعْفُ اللَّهُ عَنِّي - عَذَابًا هُوَ أَشَدُّ مِنْ ضَيْقِ الْقَبْرِ
 إِذَا شَرِبُوا فِيهَا الصَّدِيدَ رَأَيْتَهُمْ يَذُوبُونَ مِنْ حَرِّ الصَّدِيدِ تَمَرُّقًا
 فِي الْجَحِيمِ يَشْرَبُونَ الصَّدِيدَ (الْقَيْحَ) وَتَذُوبُ أَجْسَامُهُمْ مِنْ حَرَارَتِهِ وَتَتَمَزَّقُ

٦٣ الباهلي والباهلية

مَا الْبَاهِلِيُّ بِصَادِقٍ لَكَ وَعَدَهُ وَمَتَى تَعِدُكَ الْبَاهِلِيَّةُ تَضُدُّكَ
 لَا يَفِي الْبَاهِلِيُّ بِوَعْدِهِ، وَلَكِنَّ الْبَاهِلِيَّةَ تَفِي، أَيُّ أَنَّهَا غَيْرُ عَفِيفَةٍ

٦٤ منتهى الخوف

إِذَا ذَكَرْتَ نَفْسِي زِيَادًا تَكَمَّشْتُ مِنْ الْخَوْفِ أَحْشَانِي، وَشَابَتْ مَفَارِقِي
 إِذَا مَرَّ بِبَالِي زِيَادُ بْنُ أَبِيهِ، وَكَانَ يَطْلُبُ الْفَرَزْدَقَ كَيْ يَعْاقِبَهُ، فَإِنَّ أَمْعَانِي تَتَكَمَّشُ (تَتَقَبَّضُ)
 وَيَشِيبُ رَأْسِي خَوْفًا

٦٥ عمائم البطارق

قال في الزعل بن عروة الجرمي:

حَبَاكَ بِوُدِّي يَا ابْنَ عُرْوَةَ قَاسِمُ الـ حُطُوطِ وَرَبُّ عَالِمٍ بِالْخَلَائِقِ
حباك بودي (منحك محبتي) قاسم الحطوط، وهو الرب الذي يعرف أخلاق الناس

حَبَوْتُ بِهَا الْجَرْمِيَّ، إِنِّي وَجَدْتُهُ مِنْ الْأُسْرَةِ الْحَامِيْنَ عِنْدَ الْحَقَاتِقِ
حبوت بهذه القصيدة الجرمي فقد وجدته من أسرة تحمي وتدافع عند الحقاتق
(مواقف الحفاظ على الشرف)

على عهد ذي القرنين كانت سُيُوفُهُمْ عَمَائِمَ هَامَاتِ الْمُلُوكِ الْبَطَارِقِ
هم شجعان. ومن عهد ذي القرنين (الإسكندر) وسيوفهم تضرب هامات (رؤوس) الملوك البطارق
(رؤساء الروم)، فكان السيوف عمائم لتلك الرؤوس

٦٦ إقرار بالفضل

يمدح أسد بن عبد الله:

وَلَا فَضْلَ - إِلَّا فَضْلُ أُمِّ عَلَى ابْنِهَا - كَفَضْلِ أَبِي الْأَشْبَالِ عِنْدَ الْفَرَزْدَقِ
فضل أبي الأشبال (لقب الممدوح) على الفرزدق أعظم فضل ولا أستثني سوى فضل
الأم على ابنها

تَدَارَكْنِي مِنْ هُوَّةٍ كَانَ قَعْرُهَا ثَمَانِينَ بَاعاً لِلطَّوِيلِ الْعَشْنَقِ
تداركني (أنقذني) من هوة (حفرة، أو هاوية) عمقها ثمانون باعاً من أبواع رجل عشق (طويل).
والباع مقدار ما بين أصابع اليدين مع مد الذراعين على الجانبين، وباع الرجل الطويل أكبر من
باع القصير

٦٧ استحالة الاستبالة

فَإِنْ امْرَأً يَسْمَعُ يُحَبِّبُ زَوْجَتِي كَسَاعٍ إِلَى أَسَدِ الشَّرَى يَسْتَبِيلُهَا

كانت زوجة الفرزدق «النوار» ناشراً، تطالبه بالطلاق باستمرار، وهو يتوهم أن
الناس يحرضونها عليه. يقول: إن من يخيب زوجتي (يحرضها) إنما هو كالساعي
إلى الأسود في مريضها بمنطقة الشرى يريد أن يستبيلها (يأخذ بولها). كانت
العرب تسعى للإبل تأخذ بولها للتداوي به، ولم يكن سهلاً استبالة البعير، فهو
ينفر ممن يحمل علبه يريد أن يجمع بها بوله أو هو يمتنع عن التبول، فما بالك
بمن يريد أخذ بول الأسد؟

٦٨ موت الموتي

قال يرثي أباه غالباً:

وقد حَمَدَتْ نارُ النَّدَى بعد غالبٍ وقَصَّرَ عن معروفه كلُّ فاعلٍ
بعد غالب خمدت النار التي يوقدونها ليراها الأضياف، والندي هو السخاء، وقصر الناس في المعروف

فَلَيْتَ الْمَنَايا كُنَّ مُوتِنَ قَبْلَهُ وعاشَ ابنُ ليلَى للنَّدَى والأرامِلِ
ليت الموت كان مات قبل ابن ليلى (غالب)، وليت غالباً عاش للندي (للسخاء)، ونجدة الأرامِلِ

٦٩ بنت العز

لا توقِدُ النارَ إِلَّا أن تُثَقِّبَها بِالْعُودِ في مِفْضَلِ الحَزِيَّةِ العَالِي
هذه الفتاة لا توقد النار للطبخ أو الاصطلاء، فهي ابنة عز، إنما تثقب النار (توقدها) بعود البخور
كي تطيب، وتكون لابسة مفضلاً (قميص نوم) من الخز (الحرير) العالي

والطِّيبُ يَزْدَادُ طِيباً أن يَكُونَ بها، وإنْ تَدَعُهُ تَدَعُهُ غيرَ مِثْقَالٍ
الطيب يزيد طيباً على جسمها، وإن تركت الطيب فهي تتركه ولا تكون متفلاً (ردينة الرائحة)

٧٠ قلنا وقال

بمدح سعيد بن العاص الأموي:

أَرِقْتُ فلم أنمَ ليلاً طويلاً أراقبُ هل أرى النَّسْرَيْنِ زالا
أرقْتُ وظللت أراقب اختفاء النسرين (وهما نجمان) بحلول الصباح

وكان قِرَى الهُموم إذا اغْتَرَثْنِي زَماعاً لا أريدُ به بِدالاً
وعندما تعثرني الهوم فإنني أقدم لها من القرى (طعام الضيف) الزماع (العزم) الذي لا أريد التخلي
عنه. فهو إذا استضاف الهوم واجهها بعزمته، ولم يضعف أمامها

فَرَوَحْتُ القُلُوصَ إلى سعيدٍ إذا ما الشَّاةُ في الأَرطاةِ قالا
روحَت القُلُوص (مضيت بالناقة) إلى سعيد بن العاص، في وقت الظهيرة عندما يقبل (يغفو غفوة
الظهيرة) الشاة (الثور الوحشي) في الأَرطاة (بين أشجار الأَرطى)

إِلَيْكَ فَرَزْتُ مِنْكَ وَمِنْ زِيادٍ ولم أَحْسَبْ دمي لَكُما حلالاً
فررت إليك يا سعيد هارباً منك ومن زياد، ودمي ليس حلالاً لكما. وكان الفرزدق يتهاجى مع
الشعراء ومنهم من كان من مداحي زياد بن أبيه، فطلبه زياد فهرب من العراق إلى المدينة المنورة
ملتجئاً إلى واليها سعيد بن العاص، وكان خائفاً من أن يعاقبه سعيد، لكنه حماه

ولَكِنِّي هَجَوْتُ، وقد هَجَنْتِي مَعَاثِرُ قَدْ رَضَخْتُ لَهُمْ سَجَالَا
هَجوت وهَجيت، ورضخت (شججت) رؤوس الشعراء، وصبيت لهم سجالاً (دلاء) من الهجاء
على رؤوسهم.. هكذا أراد الفرزدق أن يقول، وضاق عن قوله البيت

فَإِنْ يَكُنِ الْهَجَاءُ أَحْلَ قَتْلِي فَقَدْ قُلْنَا لِشَاعِرِكُمْ وَقَالَا
علام يجعل الهجاء قتلتي حلالاً؟ لقد هجوناً وهجينا، وانتهى الأمر. وعلى قول الجاحظ في البخلاء:
«فيكون كلام بكلام، فأما كلام بفعال... فهذا ليس من الإنصاف، وهذا يخرج علينا فضلاً كبيراً»

تَرَى الشَّمَّ الْجَحَاجِجِ مِنْ قُرَيْشٍ إِذَا مَا الْأَمْرُ فِي الْحَدَثَانِ عَالَا..
تري الشم (رافعي الأنوف) الجحاجج (السادة) من قريش.. إذا عال الأمر (اشتد البلاء) في
الحدثان (في الموقف العصيب) ..

فِيأَمَّا يَنْظُرُونَ إِلَى سَعِيدٍ كَأَنَّهُمْ يَرَوْنَ بِهِ هِلَالَا
.. تراهم قياماً (واقفين) ينظرون إلى سعيد طالبين النجدة، كقوم واقفين ووجوههم نحو السماء
يبحثون فيها عن هلال العيد

٧١ حَمَالُ اللُّؤْمِ

يهجو جندل ابن الراعي النميري:

أَلَمْ أَرَمْ عَنْكُمْ، إِذْ عَجَزْتُمْ، عَدَوْتُكُمْ بِجَنْدَلَتْنِي حَتَّى تَكْسَرَ بَازِلُهُ
ألم أرم عنكم، دفاعاً عنكم عندما عجزتم، بجندلتي (بصخرتي) حتى تحطم بازله (سنه)؟ .. أي
أنني كسرت أسنان أعدائكم بقصائدي

إِذَا غَلَبَ اللَّؤْمُ أَمْرًا أَنْ يُطِيقَهُ فَإِنَّ ابْنَ رَاعِي الْإِبِلِ عَنْهُ لَحَامِلُهُ
إذا لم يستطع أحد أن يحمل اللؤم والخسة والنداء، فلا مشكلة، فابن الشاعر «راعي الإبل
النميري» يستطيع حمل كل هذا اللؤم

تُزَايِلُ نَفْسُ الْعَامِرِيِّ حَيَاتَهُ فَيَبْلَى، وَيَبْأَى لَوْمُهُ لَا يُزَايِلُهُ
يموت العامري ويبلو جسده في التراب، واللؤم لا يزايله (يتركه)

٧٢ إِلَى أَبْطَالِ ذِي قَارِ

يمدح عبد الله بن عبد الأعلى الشيباني:

فَلَسْتُ، وَإِنْ كَانَتْ ذُوَابَةُ دَارِمٍ نَمَتْنِي إِلَى قُدُمُوسٍ مَجْدٍ حُلَاحِلٍ..
لست - حتى وإن كانت ذوابة قبيلة دارم (أعلاها، قمتها) قد نمتي (نسبتي) إلى قدُموس مجد
حلالح (مجد قديم ضخم)

وَأَنْ حَلَّ بَيْتِي مِنْ سَمَاءٍ مُجَاشِعٍ بِمَنْزَلَةٍ فَاتَتْ يَدَ الْمُتَنَاولِ .

وحتى إن حل بيتي في سماء قبيلة مجاشع، تلك المنزلة التي لا ينالها أحد .

بِنَاسٍ لِبَكْرِ حُسْنٍ صُنِعَ أَخِيهِمْ إِلَيَّ لَدَى الْخِذْلَانِ مِنْ كُلِّ خَاذِلٍ

مع كل ذلك فليست ناسياً معروفاً أخي بكر (ابن قبيلة بكر) إليّ عندما خذلني الآخرون

كَفَانَا أُمُوراً لَمْ يَكُنْ لِيُطِيقَهَا مِنَ الْقَوْمِ إِلَّا كَامِلٌ وَابْنُ كَامِلٍ

كفانا هذا الرجل، عبد الله الشيباني، وشيبان من قبائل بكر، أموراً عظيمة لا يطيقها إلا الكامل من الرجال ابن الكامل

سَتَأْتِيكَ مِنِّي، إِنْ بَقِيتُ، قَصَائِدٌ يُقْصَرُ عَنْ تَحْبِيرِهَا كُلُّ قَائِلٍ

سأمدحك، إن حييت، بقصائد يقصر عن تحبير وتدقيق مثلها كل الشعراء

فَضَلْتُمْ بَنِي شَيْبَانَ فَضْلاً وَسُودَداً كَمَا فَضَلْتُ شَيْبَانَ بَكْرَ بْنَ وَائِلٍ

أنتم خير بني شيبان فضلاً وسيادة، وشيبان خير قبائل بكر وائل

وَقَدْ فَضَلْتُ بَكْرَ رَبِيعَةَ كُلِّهَا بِفِعْلِ الْعُلَى وَالْمَكْرُمَاتِ الْأَوَائِلِ

وبكر خير قبائل ربيعة، لما لها من المكرمات الأوائل (المجد الثالث القديم)

حَمَيْتُمْ مَعْدًا يَوْمَ كَسَرَى بْنِ هُرْمُزٍ بِضَرْبَةِ فَضْلِ قَوْمَتْ كُلِّ مَائِلٍ

حميتم يا شيبان كل قبائل معد (قبائل عرب الشمال جميعاً: مضر وربيعة) يوم تصديتكم لكسرى بضربة فاصلة، قومت كل مائل (ردعت كل معتد)

عَلَبْتُمْ بِذِي قَارٍ، فَمَا أَنْفَكْ أَمْرُهَا إِلَى الْيَوْمِ أَمَرَ الْخَاشِعِ الْمُتَضَائِلِ

كان ذلك يوم النصر على الفرس في ذي قار، وظل أمر الفرس حتى اليوم أمر الخاضع

المتضائل (المنكمش)

فَسَمْتُمْ هَوَانَ الذَّلِّ أَحْرَارَ قَارِسٍ وَلَمْ تَخَفْ فِيهِمْ غَامِضَاتُ الْمَقَاتِلِ

سمتم (الحقتم) أحرار فارس الذل، ولم تغب عنكم مواضع القتل منهم. و«الأحرار» لقب أطلقه العرب على الفرس، وسموهم أيضاً «الأبناء»، فقد كان في الجزيرة فرسٌ من أبناء الفرس الذين غزوا اليمن قبل الإسلام وكانت لهم مع الأحباش وقائع، وقد أسلم هؤلاء مع من أسلم باكراً بغير غزو فلم يكونوا موالى بل أحراراً

وَهَابَكُمْ ذُو الضُّغْنِ حِينَ وَطِئْتُمْ رِقَابَ الْأَعَادِي وَطَأَةً الْمُتَشَاوِلِ

وهابكم ذو الضغن (الحاقد) عندما دستم رقاب الأعداء وثقلت وطأتكم عليهم

٧٣ قانع الرشوة

إِذَا وَعَدَ الْحِجَاجُ أَوْ هَمَّ أَسْقَطْتُ مخافته ما في بطونِ الحَوَامِلِ
إذا وعد (توعد، وهدد) الحجاج أو همَّ بالبطش، أسقطت مخافة بطشه ما في بطون الحوامل
من أجنَّة

وَكُنَّا بِأَرْضِ يَا ابْنَ يُوسُفَ لَمْ يَكُنْ يُبَالِي بِهَا مَا يَرْتَشِي كُلُّ عَامِلٍ
كنا نعيش في أرض العراق، أيها الحجاج بن يوسف، ولم يكن العامل (الوالي) فيها يبالي
بالأمانة، فتراه يرتشي بسهولة

يَرَوْنَ إِذَا الْخَصْمَانِ جَاءَا إِلَيْهِمْ أَحَقَّهُمَا بِالْحَقِّ أَهْلَ الْجَعَائِلِ
كان العمال يرون أن أحق الخصمين بأن يحكموا له من يقدم الجعائل (أموال الرشوة)، وجاء
الحجاج فأنهى الرشوة

٧٤ وصف الجرح

قَالَ، وَفَكَ قَبْدِهِ، الَّذِي قَيَّدَ بِهِ نَفْسَهُ كَيْ يَحْفَظَ الْقُرْآنَ، لِبَحَامِيٍّ عَنْ نِسَاءِ عَشِيرَتِهِ:
لَعَمْرِي، لَشَنْ قَيَّدْتُ نَفْسِي لَطَالَمَا سَعَيْتُ وَأَوْضَعْتُ الْمِطْيَةَ لِلْجَهْلِ
إن كنت قد قيدت نفسي بغير وحلفت لا أفكه حتى أفقه القرآن، فإني طالما سعيت وأوضعت
(حشيت) الميطية (الدابة) في طلب الجهل (الرعونة)

ثَلَاثِينَ عَاماً مَا أَرَى مِنْ عَمَايَةٍ إِذَا بَرَكْتُ إِلَّا شَدِدْتُ لَهَا رَحْلِي
أمضيت ثلاثين عاماً لا أرى عماية (غيمة) يومض في جوانبها البرق إلا أسرعت نحوها بناقتي
ورحلي (متاعي الذي فوق الناقة)، لا أرى فرصة لاقتناص الملذات إلا جريت خلفها

أَتَتْنِي أَحَادِيثُ الْبَعِيثِ وَدُونَهُ زَرُودُ فَمَامَاتُ الشَّقِيقِ إِلَى الرَّمْلِ
ثم بعد هذا الضلال أتتني أحاديث البعيث وشتمه لنساء قبيلتي، وهو في مكانه بعد «زرود» وتلك
المناطق الأخرى

فَإِنْ بِكَ قَيْدِي كَانَ نَذْراً نَذَرْتُهُ فَمَا بِي عَنْ أَحْسَابِ قَوْمِي مِنْ شُغْلٍ
لئن كان تقييدي لنفسي نذراً ألزمت نفسي به، فإني لن أنشغل عن الدفاع عن أحساب
قومي (شرفهم)

أَنَا الضَّامِنُ الرَّاعِي عَلَيْهِمْ، وَإِنَّمَا يُدَافِعُ عَنْ أَحْسَابِهِمْ أَنَا أَوْ مِثْلِي
أنا من يضمن حفظ شرفهم ويرعاهم ويدافع عنهم

ولولا حَيَاءٌ زِدْتُ رَأْسَكَ هَزْمَةً إِذَا سُبِرَتْ ظَلَّتْ جَوَانِبُهَا تَغْلِي
لولا الحياء لزدت رأسك هزمة (شجة) عميقة إذا سبرت (قيس عمقها) ظلت تغور بالدم
كانها تغلي

بَعِيدُهُ أَطْرَافُ الصُّدُوعِ كَأَنَّهَا رَكِيَّةٌ لُقْمَانِ الشَّبِيهَةُ بِالذَّخْلِ
الشجة في رأسك واسعة وأطرافها بعيدة فكانها ركية لقمان (الركية البثر غير المحاطة بالحجارة
فقمها واسع) الشبيهة بالدحل (الحفرة الواسعة في بيت الأعرابي تستتر فيها المرأة)

إِذَا نَظَرَ الْآسُونَ فِيهَا تَقَلَّبَتْ حَمَالِيْقُهُمْ مِنْ هَوْلِ أَنْيَابِهَا الثُّغْلِ
إذا نظر الآسون (الأطباء) في هذا الجرح العميق تقلبت حماليقهم (عيونهم)
رعباً لما يرون من شذرات لحم خارجة من أطراف الجرح ومتراكبة كأنها
الأسنان الثعل (المتراكبة)

إِذَا مَا رَأَتْهَا الشَّمْسُ ظَلَّ طَبِيبُهَا كَمَنْ مَاتَ حَتَّى اللَّيْلِ مُخْتَلَسَ الْعَقْلِ
إذا برزت هذه الشجة، الجرح، للشمس رآها الطبيب واضحة فأغمي عليه، وظل مسلوب العقل لا
يدري ما يصنع

يَوَدُّ لَكَ الْأَذْنُونَ لَوْ مِتَّ قَبْلَهَا يَرَوْنَ بِهَا شَرًّا عَلَيْكَ مِنَ الْقَتْلِ
يود لك الأذنون (الأقربون) لو مت قبل هذه الضربة، فهي أشد من القتل

تَرَى فِي نَوَاحِيهَا الْفِرَاحَ كَأَنَّمَا جَثْمَنَ حَوَالِي أُمِّ أَرْبَعَةِ طُحْلِ
ترى في جوانب الضربة اللحم كأنه فراح جثمن (أقعين) حوالي دجاجة لها أربعة أفراخ طحل
(لونهن مسود). كان الدم جف على الجرح واسود

شَرْنَبُثَةٌ شَمْطَاءٌ، مَنْ يَرَهَا تَشْبُهُ وَلَوْ بَيْنَ الْخُمَاسِيِّ وَالطُّفْلِ
هذه الضربة شرنبثة (غليظة) شمطاء (اختلط سواد الدم فيها بياض اللحم) والناظر إليها يشيب حتى
لو كان ابن خمس سنين

إِذَا مَا سَقَوْهَا السَّمْنَ أَقْبَلَ وَجْهَهَا بَعَيْنِي عَجُوزٍ مِنْ عُرَيْنَةٍ أَوْ عُكْلٍ
ويسقون الجرح الغائر بالسمن فترى السمن يلمع في وسطه وحواليه الدم المسود، فكان الجرح عين
عجوز من عجائر قبيلة عرينة أو عكل ..

جُنَادِفَةٌ سَجْرَاءُ تَأْخُذُ عَيْنُهَا إِذَا اكْتَحَلَتْ نِصْفَ الْقَفِيرِ مِنَ الْكُحْلِ
هذه العجوز جنادفة (قصيرة) سجراء (حمراء) تضع في عينيها نصف قفيز (كيل كبير)
من الكحل

٧٥ المعجم المخول

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا بَيْتاً دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ

إن الله الذي سمك (رفع) السماء، قد بنى لنا بيتاً (خيمة) دعائمه (أعمدته) عزيزة وطويلة. وكانت الخيمة العالية رمزاً للعز والقوة.. على أنه كان للفرزدق وقومه في البصرة، وربما أيضاً في كاظمة أي الكويت الحالية، بيوت من خشب ولبن، وكان الوالي في إحدى السنين هدم للفرزدق بيته بسبب تعرضه للناس بالهجاء. لعل الفرزدق هنا يقصد أن دعائم بيته أعز وأطول من السماء، لكنه في الغالب يقصد بأنها عزيزة وقوية فحسب. وكلمة «بيت» فسرناها على المعنى القريب، ولكن الشاعر يقصد بها أيضاً: العشيرة، فمثلما يسألك أهل الشام اليوم: أنت من بيت من؟ يعنون من عائلة ماذا؟ كانت العرب تعني بالبيت العائلة

بَيْتاً بَنَاهُ لَنَا الْمَلِكُ، وَمَا بَنَى حَكَمُ السَّمَاءِ فَإِنَّهُ لَا يُنْقَلُ

بيتنا هذا بناه الله، وما بنى الله لا انتقل له

بَيْتاً زُرَّارَةً مُحْتَبٍ بِفَنَائِهِ وَمُجَاشِئٌ وَأَبُو الْفَوَارِسِ نَهْشَلُ

وفي فناء البيت ترى زرارة محتباً (قاعداً) وقد جمع ظهره وركبته بشال، وترى مجاشع ونهشل، وكل هؤلاء من سادة تميم

يَلْجُونَ بَيْتَ مُجَاشِئٍ، وَإِذَا احْتَبَوْا بَرَزُوا كَأَنَّهُمُ الْجِبَالُ الْمُثَلُّ

يدخلون بيت مجاشع، فإذا ما احتبوا كانوا كالجبال المثل (الشاخصة)

الْأَكْثَرُونَ إِذَا يُعَدُّ حَصَاهُمْ وَالْأَكْثَرُمُونَ إِذَا يُعَدُّ الْأَوَّلُ

نحن الأكثرون إذا يعد حصاهم (عددهم) ونحن الأكرمون إذا يعد الأول (السابقون، وأولنا: معناها «أجدادنا الكرام»)

ضَرَبَتْ عَلَيْكَ الْعَنْكَبُوتُ بِنَسِجِهَا وَقَضَى عَلَيْكَ بِهَا الْكِتَابُ الْمُنْزَلُ

أما أنت يا جرير فبتك بيت العنكبوت، وبيت العنكبوت واهنٌ كما جاء في القرآن «وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت»

إِنَّ الرَّحَامَ لِعَيْرِكُمْ، فَتَحَيَّنُوا وَرَدَّ الْعَشِيَّ، إِلَيْهِ يَخْلُو الْمَنْهَلُ

الزحام على حياض الماء للاستقاء لغيركم ممن يطيق مزاحمة الناس والفوز عليهم، فتحينوا أنتم (ترقبوا الفرصة) ورد العشي (ورود الماء مساء) عندما يخلو منهل الماء من الشاربين

حُلِّلَ الْمُلُوكُ لِبَاسُنَا فِي أَهْلِنَا وَالسَّابِغَاتُ إِلَى الْوَعَى نَتَسَرَّبِلُ

نلبس حلل (ثياب) الملوك في السلم بين أهلنا، وتسربل (نلبس) الدروع السابغات (الطويلة) إلى الوعى (الحرب)

أَحْلَامُنَا تَزِنُ الْجِبَالَ رِزَانَةً وَتَخَالُنَا جِنًّا إِذَا مَا نَجْهَلُ
أحلامنا (عقولنا) رزينة ثقيلة كالجبال، غير أنك تظننا من الجن نشاطاً وحيلة إذا جهلنا (غضبنا)

فَادْفَعْ بِكَفِّكَ إِنْ أَرَدْتَ بِنَاءَنَا «ثَهْلَان» ذَا الْهَضْبَاتِ هَلْ يَتَحَلَّلُ
إن أردت نبيل بنائنا ادفع بكفك جبل ثهلان ذا الهضبات، هل تراه يتحلل (يتزحزح)؟

وَأَنَا ابْنُ حَنْظَلَةَ الْأَعْرَى، وَإِنِّي فِي آلِ ضَبَّةَ لِلْمُعِجُمِ الْمُخَوَّلُ
أنا ابن حنظلة (أحد أجداده) الأعرى (المشهور المشرق الوجه)، وأنا في آل ضبة (أخوالي) معم مخول (ذو شرف من ناحية الأعمام والأخوال). والمرء عند أخواله يعتز بأعمامه، وعند أعمامه يعتز بأخواله. فإذا جاء المرء أخواله وكان أبوه من عائلة لثيمة شعر بأنهم لا يأبهون به، فالفرزدق يقول إنه في آل ضبة معم ومهم ..

فَرَعَانٍ قَدْ بَلَغَ السَّمَاءَ ذُرَاهُمَا وَإِلَيْهِمَا مِنْ كُلِّ خَوْفٍ يُعْقَلُ
فرعان (أعمامي وأخوالي) بلغ السماء ذراهما (الذروة: القمة)، وإليهما يُعْقَلُ (يُلْجَأُ)، فهما المتعقل عند الخوف

يَا ابْنَ الْمَرَاغَةِ أَيْنَ خَالُكَ؟ إِنِّي خَالِي حُبَيْشُ ذُو الْفَعَالِ الْأَفْضَلُ
من خالك يا جرير؟ أما أنا فخالِي حبيش ذو الفعال (الأعمال المجيدة)

خَالِي الَّذِي غَضَبَ الْمُلُوكَ نَفُوسَهُمْ، وَإِلَيْهِ كَانَ حِبَاءُ جَفْنَةٍ يُنْقَلُ
خالِي قتل الملوك، وكان ينال حباء (عطاء) آل جفنة ملوك الشام الغساسنة

إِنَّا لَنَضْرِبُ رَأْسَ كُلِّ قَبِيلَةٍ وَأَبُوكَ خَلْفَ أَتَانِهِ يَتَقَمَّلُ
نحن نضرب بالسيف رأس أي قبيلة شتتاً، وأما أبوك فقاعد قاعد خلف أتانِه (حمارته) ينزع القمل عن جسمه

وَشُغِلْتُ عَنْ حَسَبِ الْكِرَامِ وَمَا بَنَوْا إِنْ اللَّثِيمَ عَنِ الْمَكَارِمِ يُشْقَلُ
وأنت منشغل عن نيل أمجاد الكرام وما بنوا من مفاخر، وهذه حال اللثيم

وَهَبَ الْقَصَائِدَ لِي النَّوَابِغُ إِذْ مَضَوْا وَأَبُو يَزِيدَ وَذُو الْقُرُوحِ وَجُرُولُ
ورثت القصائد عن نوابغ الشعراء الماضين، ومنهم أبو يزيد (المخبل) وذو القروح (امرؤ القيس)، وجرول (الحطينة) ويسمى الفرزدق في أبيات بعد هذا البيت، لم نوردوها، شعراء كثيراً آخرين

لَيْسَ الْكِرَامُ بِنَاجِلِيكَ أَبَاهُمْ حَتَّى تُرَدَّ إِلَى عَطِيَّةٍ تُعْتَلُ
لا ينحلك (يعيرك) الكرام أباً كريماً .. إلا رأيت نفسك تعتل (تحمل حملاً شديداً) وتتسب إلى أهلك عطية

٧٦ عندما أكل الأسد جريراً

إِنِّي وجدتُ بَنِي كُلَيْبٍ إِنَّمَا خُلِقُوا، وَأُمُكْ، مُذْ ثَلَاثَ لَيَالٍ
وجدت بني كليب قد خلقوا - وأحلف بأُمك - منذ ثلاث ليال فقط، فهم غير ذوي حسب ولا نسب

يُرَوِّهِمُ الثَّمَدُ الَّذِي لَوْ حَلَّهُ جُرَذَانِ مَا نَدَّاهُمَا بِسِلَالٍ
وهم قليلو العدد ويرويهما الثمد (الماء القليل) الذي لو سقط فيها جرذان ما ندهما (بلهما) بيلال (بماء)

تَبْكِي الْمَرَاةَ بِالرَّغَامِ عَلَى ابْنِهَا وَالنَّاهِقَاتُ يَنْحَنُّ بِالإِعْوَالِ
المراة (الحمارة، وسمى الفرزدق أم جرير بهذا الاسم) ابنها جرير بالرغام (وهي تحنو التراب على نفسها)، والناهقات (الأنثى/إناث الحمير) نانحات معولات (باكيات)

قَالُوا لَهَا: احْتَسِبِي جَرِيرًا، إِنَّهُ أَوْدَى الْهَزْبَرُ بِهِ أَبُو الْأَشْبَالِ
قيل لأُمك: احتسبي جرير (مات فليكن لك الأجر محسوباً على الصبر عليه)، فقد أودى به (قتله) الهزبر (الأسد)، يعني أنه قتل جريراً بالهجاء

قَدْ كُنْتُ لَوْ نَفَعَ النَّذِيرُ نَهْيَتُهُ أَلَّا يَكُونَ فَرِيَسَةً الرَّئِبَالِ
لو كان ينفع النذير (التحذير) لكننت - يقول الفرزدق - نهيت جريراً أن يعرض نفسه فيكون فريسة الرئبال (الأسد)

٧٧ ميراث جرير

أَلَا إِنَّ مِيرَاثَ الْكُلَيْبِيِّ لَابْنِهِ إِذَا مَاتَ رِبْقًا ثَلَاثَةً وَحَبَائِلُهُ
ما تركه ابن قبيلة كليب لولده من ميراث ربقا (حبلا) ثلة (قطيع ماشية)

فَأَقْبِلْ عَلَى رِبْقِي أَبِيكَ، فَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا أَوْزَنَتْهُ أَوَائِلُهُ
فيا جرير يا ابن قبيلة كليب خذ ربقي (حبلي) أبيك، ولكل امرئ ما أوزنته أوائله (أجداده)

فَإِنْ كُنْتَ تَرْجُو أَنْ تُوَازِنَ دَارِمًا فَرُمٌ حَصْنًا فَإِنظُرْ مَتَى أَنْتَ نَاقِلُهُ
إن رجوت أن تقارن قومك بقبيلتي - دارم - فهذا كأنك تروم (تطلب) جبل حصن قاصداً أن تنقله من مكانه

وَأَرْسَلَ يَرْجُو ابْنُ الْمَرَاةِ صَلَحَنَا فَرَدَّ، وَلَمْ تَرْجَعْ بِنُجَحٍ رَسَائِلُهُ
أرسل إلي جرير يطلب الصلح، فردته خائباً ولم تل رسائله النجح (التوفيق)

وَقَالَتْ كُلَيْبٌ قَمَّشُوا لِأَخِيكُمُ فَفِرُّوا بِهِ، إِنَّ الْفَرَزْدَقَ آكِلُهُ
قالت قبيلة كليب قمشوا لأخيكُم (اجمعوا له العون) لكي يفر حتى لا يأكله الفرزدق

فهل أَحَدٌ يا ابْنَ المَرَاةِ هَارِبٌ مِنْ المَوْتِ، إن المَوْتَ لا بُدَّ نَائِلُهُ
ولكن، يا ابن المراغة (ابن الحمارة، لقب جرير عند الفرزدق)، هل يهرب أحد من الموت؟
فإِنِّي أنا المَوْتُ الذي هُوَ ذَاهِبٌ بِنَفْسِكَ، فانظرْ كيف أَنْتَ مُحَاوِلُهُ
أنا عليك مثل الموت، فأرني بالله كيف ستحاوله (تتصرف معه)

أنا البدرُ يُغْشِي طَرْفَ عَيْنِكَ فَالتِمَسْ بِكَفِّكَ يا ابْنَ الكلبِ هل أَنْتَ نَائِلُهُ
أنا البدر يغشي (يغطي) بصرك بغشاوة لشدة لمعانه، فهل تستطيع أن تنال البدر بكفك؟

وقد مُنِيَتْ مِنِّي كُلبٌ بِضَيْغَمٍ ثَقِيلٍ على الجُبلى جَرِيرٌ كَلَاكِلُهُ
منيت مني كلب بضيغم (أسد) ثقيلة كلاكله (صدوره) على جرير الشبيه بالمرأة الحبلى التي لا
تستطيع التصرف بسهولة

شَتِيمَ المُحَيَّا، لا يُخَايِلُ قِرْنَهُ ولكنه بالصَّخْصَحَانِ يُنَازِلُهُ
وأنا أسد شتيم المحيا (مكشر الوجه)، لا يخاتل قرنه (لا يخادع خصمه)، بل ينازله بالصخصحان (أرض السهل)

هَزَبِرٍ هَرِيَتِ الشُّدْقِ رِثَالِ عَابَةٍ إِذَا سَارَ عَزَّتُهُ يَدَاهُ وَكَاهِلُهُ
أنا هزبر (أسد) هريت الشدق (واسع الفم) رثال (عاب) في الغابة، إذا سار عزته (دعمته وقوته)
يداه وكاهله (ظهره)

٧٨ هذا ابن فاطمة

حج هشام بن عبد الملك وهو أمير شاب، وطاف بالبيت واجتهد أن يصل إلى
الحجر الأسود فأعياه، فجلس على كرسي، وحوله جماعة من أهل الشام. وأقبل زين
العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (حفيد الإمام علي) فتنحى الناس له،
وسار وسطهم حتى لمس الحجر الأسود. فقال هشام: من هذا؟ فقال الفرزدق هذه
القصيدة جواباً على سؤاله. وقالوا إن الفرزدق قال أبياتاً قليلة ثم زاد عليها الزائدون:

هَذَا الَّذِي تَعْرِفُ البَطْحَاءَ وَطَائَهُ وَالبَيْتُ يَعْرِفُهُ، وَالحِجْلُ وَالحَرَمُ

هذا من تعرف بطحاء مكة (أرضها السهلة التي تسكنها عليّة قريش) وطائهُ (خبطة قدمه)، ويعرفه
بيت الله، ويعرفه الحل (جوار مكة مما يحل فيه الصيد والقتال) والحرم (الكعبة حيث يحرم الصيد
والقتال)

هَذَا ابْنُ خَيْرِ عِبَادِ اللَّهِ كُلِّهِمْ هَذَا التَّقِيُّ النَّقِيُّ الطَّاهِرُ الْعَلَمُ

هذا ابن الرسول (حفيدة) وهو علم (جبل) أي أنه مشهور

هَذَا ابْنُ فَاطِمَةَ إِنْ كُنْتَ جَاهِلُهُ بَجْدُهُ أَنْبِيَاءُ اللَّهِ قَدْ خُتِمُوا
وَلَيْسَ قَوْلُكَ «مَنْ هَذَا؟» بِضَائِرِهِ الْعُرْبُ تَعْرِفُ مَنْ أَنْكَرْتَ وَالْعَجَمُ
قَوْلُكَ «مَنْ هَذَا؟» لَا يَضِيرُهُ (لَا يَهْمُهُ)، فَالْعَرَبُ وَالْعَجَمُ تَعْرِفُهُ

مَا قَالَ «لَا» قَطُّ إِلَّا فِي تَشْهِيدِهِ لَوْلَا التَّشْهيدُ كَانَتْ لِأَهْلِهِ نَعَمُ
زَيْنُ الْعَابِدِينَ لَا يَقُولُ «لَا» أَبَدًا، إِلَّا فِي التَّشْهيدِ، دَعَاءُ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، وَلَوْلَا التَّشْهيدُ كَانَتْ كُلُّ
لَاءٍ يَقُولُهَا «نَعَمْ». وَ«لَاءُ نَعَمْ» لِعِشَاقِ النِّحْوِ فِي مَحَلِّ نَصْبِ خَيْرِ كَانٍ، وَاسْمُهَا مُحذُوفٌ تَقْدِيرُهُ
«الْقَضِيَّةُ»، وَتَحْتَمِلُ أَوْجُهًا أُخْرَى

إِذَا رَأَتْهُ فُرَيْشٌ قَالَ قَائِلُهَا إِلَى مَكَارِمِ هَذَا يَنْتَهِي الْكَرَمُ
هُوَ أَصْلُ الْمَكَارِمِ

يُغْضِي حَيَاءً، وَيُغْضِي مِنْ مَهَابَتِهِ فَمَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَبْتَسِمُ
فِيهِ حَيَاءٌ فَهُوَ يَغْضِي (لَا يَرْفَعُ بَصَرَهُ)، وَفِيهِ مَهَابَةٌ فَالنَّاسُ يَغْضُونَ فِي حَضْرَتِهِ، وَلَا يَتَكَلَّمُونَ أَمَامَهُ
إِلَّا إِذَا ابْتَسَمَ، لَشِدَّةِ هَيْئَتِهِ

بِكَفِّهِ خَيْرُ زَانٍ رِيحُهُ عَبِقَ مِنْ كَفِّ أَرْوَاحٍ فِي عَرْنِينِهِ شَمَمُ
هَذِهِ عَصَا خَيْرِ زَانٍ ذَاتُ رَائِحَةٍ طَيِّبَةٍ تَمَسُّهَا كَفُّهُ، وَهِيَ كَفُّ هَذَا الْأَرْوَاحِ (الشَّجَاعِ) الَّذِي فِي عَرْنِينِهِ
(أَنْفُهُ) شَمَمٌ (ارْتِفَاعُ قِصْبَةِ الْأَنْفِ دَلَالَةٌ عَلَى نَبْلِ الْأَصْلِ)

يَكَادُ يُمَسِّكُهُ، عِرْفَانٌ رَاحَتِهِ، رُكْنُ الْحَطِيمِ إِذَا مَا جَاءَ يَسْتَلِمُ
رُكْنُ الْحَطِيمِ (ذَلِكَ الْجِدَارُ فِي الْكَعْبَةِ) يَكَادُ يَمَسُّكَ بَزِينُ الْعَابِدِينَ وَيَقْبِيهِ عِنْدَهُ إِذْ يُمَيِّزُ شَخْصِيَّتَهُ مِنْ
لَمَسَةِ رَاحَةِ يَدِهِ عِنْدَمَا يَأْتِي لِيَسْتَلِمَ (يَلْمَسُ الرُّكْنَ)

اللَّهُ شَرَّفَهُ قَدَمًا وَعَظَّمَهُ جَرَى بِذَاكَ لَهُ فِي لَوْحِهِ الْقَلَمُ
اللَّهُ شَرَّفَهُ مِنْذُ الْقَدَمِ، وَهَذَا مَكْتُوبٌ فِي لَوْحِ أَعْمَالِهِ

أَيُّ الْخَلَائِقِ لَيْسَتْ فِي رَقَابِهِمْ لِأَوَّلِيَّةِ هَذَا، أَوْ لَهُ، نَعَمْ
كُلُّ النَّاسِ فِي رِقَابِهِمْ نِعْمَةٌ (مَعْرُوفٌ) لِزَيْنِ الْعَابِدِينَ أَوْ لِأَوَّلِيَّتِهِ (لِأَجْدَادِهِ)
مَنْ يَشْكُرُ اللَّهَ يَشْكُرُ أَوَّلِيَّةَ ذَا فَالِدَيْنِ مِنْ بَيْتِ هَذَا نَالَهُ الْأَمُّ
شَكَرَ اللَّهُ يَسْتَتِيعُ شُكْرَ أَوَّلِيَّةِ (أَجْدَادِ) زَيْنِ الْعَابِدِينَ، فَهُمْ أَصْلُ الدِّينِ

يَنْشَقُّ ثَوْبَ الدُّجَى عَنْ نُورِ عُرَّتِهِ كَالشَّمْسِ تَنْجَابُ عَنْ إِشْرَاقِهَا الظُّلُمُ
نُورُ طَلْعَتِهِ الْبَهِيَّةِ يَشُقُّ ثَوْبَ الدُّجَى (الظَّلَامِ)، كَمَا تَنْجَابُ (تَتَكَشَّفُ) الظُّلْمَةُ بِالشَّمْسِ

مِنْ مَعْشَرِ حُبِّهِمْ دِينٌ، وَيُغْضِيهِمْ كَفَرٌ، وَقُرْبُهُمْ مَنْجَى وَمُعْتَصَمٌ
هُوَ مِنْ قَوْمِ حُبِّهِمْ مِنَ الدِّينِ، وَيَغْضِيهِمْ كَفَرٌ، وَقُرْبُهُمْ مُعْتَصِمٌ (مُلَجَأٌ) وَنَجَاةٌ مِنَ النَّارِ

مُقَدَّمٌ بَعْدَ ذِكْرِ اللَّهِ ذِكْرُهُمْ فِي كُلِّ بَدْءٍ وَمَخْتَوِمٌ بِهِ الْكَلِمُ

بعد ذكر الله يذكر المرء آل النبي، في بده الكلام وفي ختامه

إِنْ عُدَّ أَهْلُ الثَّقَى كَانُوا أَتَمَّتْهُمْ أَوْ قَبْلَ مَنْ خَيْرُ أَهْلِ الْأَرْضِ؟ قِيلَ: هُمْ

٧٩ ولداي السَّماكان

يرثني ابني له:

أَرَى كُلَّ حَيٍّ لَا يَزَالُ طَلِبَةً الْمَنَايَا مِنْ فُرُوجِ الْمَخَارِمِ
كل حي يظل الموت طالماً عليه طلوفاً مفاجئاً من فروج (فتحات) المخارم (جروف الجبال،
السفوح الواقعة وقوفاً)

وَمَا أَحَدٌ كَانَ الْمَنَايَا وَرَاءَهُ، وَلَوْ عَاشَ أَيَّاماً طَوَالاً، بِسَالِمٍ
ولا يكون المرء، والمنايا تلاحقه وتجري وراءه، سالماً، حتى وإن عاش طويلاً

يُذَكِّرُنِي ابْنِي السَّماكانِ مَوْهِنًا إِذَا ارْتَفَعَا بَيْنَ النُّجُومِ الثَّوَائِمِ
يذكرني بولدي السماكان (نجمان) إذ يطلعان موهناً (ليلاً) بين النجوم (وكثير منها ثوائم،
كالفرقدين إلخ)

فَقَدْ رُزِيَ الْأَقْوَامُ قَبْلِي بِابْنِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ فَأَقْنِي حَيَاءَ الْكَرَائِمِ
رزئ (أصيب) قبلي الناس بفقد الابن والأخ، فاقني (احفظي) حياءك يا امرأة كالنساء الكرائم
(ذوات الحسب) ولا تكثري من النوح

فَمَا ابْنَاكَ إِلَّا ابْنٌ مِنَ النَّاسِ، فَاصْبِرِي فَلَنْ يَرْجِعَ الْمَوْتَى حَنِينُ الْمَاتِمِ
اصبري فابنك كإبناء الناس، وحنين الماتم (نواح النساء) لا يرجع الموتى، أي لا يعيدهم

٨٠ حملتهم على الجمر

وَكَمْ مِنْ أَسِيرٍ قَدْ فَكَّكْنَا، وَمِنْ دَمٍ حَمَلْنَا، إِذَا مَا ضَجَّ بِالثَّقَلِ غَارِمُهُ

ما أكثر ما فككنا من أسرى، وما حملنا من دم (بدفع الديات) عندما يضحج (يحترق ويشكو ويعلل
بالأمر. هذه اليبعل هي خير ما جاءني، واحمد ربك أن لم أضعها كلمة أولى في التفسير) الغارم
(المدين الذي دفع الدية) بثقل الحمل

وَكُنْتُ إِذَا عَادَيْتُ قَوْمًا حَمَلْتُهُمْ عَلَى الْجَمْرِ حَتَّى يَحْسِمَ الدَّاءُ حَاسِمُهُ

إذا عاديت قوماً أوجعتهم بعدائي حتى يحسم الأمر وتنتهي العداوة ببلي حقي، أو بتمام ظلمي لهم

٨١ هجاء إبليس

أَطَعْتُكَ يَا إِبْلِيسُ سَبْعِينَ حِجَّةً فَلَمَّا انْتَهَى شَيْبِي، وَتَمَّ تَمَامِي ..
أطعتك يا إبليس سبعين حجة (سنة) فلما اكتمل شيبى ووصلت أتم العمر ..

فَرَزْتُ إِلَى رَبِّي، وَأَيَقَنْتُ أَنَّنِي مُلَاقٍ لِأَيَّامِ الْمَنُونِ حِمَامِي ..
فررت إلى طاعة الله موقناً أنني سألاقي الموت قريباً

أَلَا طَالَ مَا قَدْ بَتُّ يُوَضِّعُ نَاقَتِي أَبُو الْجِنِّ إِبْلِيسُ بِغَيْرِ خَطَامٍ
كثيراً ما كان إبليس يُوَضِّعُ (يحث) ناقتي ويسير بها على هواه وهي تائهة بلا خطام (مفود)

يَظُلُّ بِمَنْبِنِي عَلَى الرَّحْلِ وَارِكاً يَكُونُ وَرَائِي مَرَّةً وَأَمَامِي
يجلس لي على راحل الناقة (سرجها) مائلاً على وركه، أراه يكون ورائي حيناً وأمامي حيناً

يُبَشِّرُنِي أَنْ لَنْ أَمُوتَ، وَأَنَّهُ سَيُخْلِدُنِي فِي جَنَّةٍ وَسَلَامٍ
فقلت له: هَلَا أَخَيَّكَ أَخْرَجْتَ بِمِثْنِكَ مِنْ خُضْرِ الْبَحْرِ طَوَامٍ
قلت له: هَلَا أَخْرَجْتَ أَخَاكَ فَرْعُونَ عِنْدَمَا غَرِقَ فِي لُجَةِ الْبَحْرِ الْخَضِرَاءِ (السوداء) الطامية
(المفعمة بالماء)؟

فَلَمَّا تَلَاقَى فَوْقَهُ الْمَوْجُ طَامِياً نَكَّضْتُ، وَلَمْ تَحْتَلْ لَهُ بِمَرَامٍ
لما اجتمع على فرعون الموج وغرق، نكصت يا إبليس (انكفأت راجعاً) ولم تحتل له (تجد حيلة)
بمرام (بمخرج)

وَمَا أَنْتَ يَا إِبْلِيسُ بِالْمَرْءِ ابْتَغِي رِضَاءَهُ، وَلَا يَفْتَادُنِي بِزِمَامٍ
لست بالمرء الذي ابتغي رضاه، ولا الذي أسمح له أن يقتادني بمقود

٨٢ وصف قصيدة

لَقَدْ كَافَحْتُ مِنيَّ الْعِرَاقَ قَصِيدَةً رَجُومٌ مَعَ الْمَاضِي زُؤُوسَ الْمَخَارِمِ
كافحت (أرھقت) العراق قصيدة قلتها وهي رجوم (ترجم) المخارم (جروف الجبال) إذ يمضي
الرواة بها يحملونها من مكان إلى مكان

خَفِيفَةٌ أَفْوَاهُ الرِّوَاةِ، ثَقِيلَةٌ عَلَى قَرْنِهَا، نَزَالَةٌ بِالْمَوَاسِمِ
وهي خفيفة في أفواه الرواة يستعذبون إنشادها، ولكنها ثقيلة على قرنها (خصمها)، ونزالة بالمواسم
(تنزل هذه القصيدة في المحافل وتُشَدُّ)

٨٣ بيني وبين الجحيم

يهجو باهلة:

أَلَا كَيْفَ الْبَقَاءُ لِبَاهِلِيٍّ هَوَى بَيْنَ الْفِرْزَدِقِ وَالْجَحِيمِ
مُسْكِنِ الْبَاهِلِيِّ . . كَيْفَ لَهُ أَنْ يَحْيَا وَقَدْ وَقَعَ بَيْنَ الْفِرْزَدِقِ وَبَيْنَ الْجَحِيمِ . . فَهُوَ كَافِرٌ مُصِيرُهُ نَارُ
الْآخِرَةِ، وَفِي الدُّنْيَا لَهُ نَارُ الْفِرْزَدِقِ

فَمَنْ يَكُ تَارِكاً، مَا كَانَ، شَيْئاً، فَلِئَنِّي لَا أَضِيعُ بَنِي تَمِيمٍ
مَنْ تَرَكَ شَيْئاً - كَانَتْ مَا كَانَ هَذَا الشَّيْءُ - فَلِئَنِّي لَا أَضِيعُ (أَتَخْلِي عَنْ) بَنِي تَمِيمٍ

٨٤ هجاء البيروقراطي

قال في أبي عبيدة، وهو مولى لمخزوم كان مع عمر بن عبد العزيز وهو وال، وعطل
حاجة للفرزدق:

أَمَرَ الْأَمِيرُ بِحَاجَتِي وَقَضَائِهَا وَأَبُو عُبَيْدَةَ عِنْدَنَا مَذْمُومٌ
أَبَتْ الْمَوَالِي أَنْ تَكُونَ صَمِيمَةً، وَنَفَثَكَ عَنْ أَحْسَابِهَا مَخْزُومٌ
حتى الموالي (غير العرب، الملحقين إلحاقاً بالقبيلة العربية) يرفضون أن يكون أبو عبيدة من
صميمهم (وسطهم)، ومخزوم قبل ذلك نفثك (أبعدتك) عن نسبها

٨٥ أنا والعذاب وهو اك

يَا أُخْتُ نَاجِيَةٍ بِنِ سَامَةَ إِنَّنِي أَخْشَى عَلَيْكَ بَنِيَّ إِنْ طَلَبُوا دَمِي
أيها المحبوبة من بني «ناجية بن سامة» ستقتليني، وسيطلب أبنائي دمي (يسعون في الثأر)
لَنْ يَقْبَلُوا دِيَّةً، وَلَيْسُوا - أَوْ يَرَوْا - مِنِّي الْوَفَاءَ، وَلَنْ يَرَوْهُ - بَنُوهم
ولن يقبلوا دية، وليسوا ناثمين عن طلب الثأر، إلا أن يروا مني الوفاء (يقتلوا من يفي بي،
يساوني في الشرف) ولا يوجد من يساوني شرفاً

وَلَقَدْ ضَنْيْتُ مِنَ النِّسَاءِ، وَلَا أَرَى كَضَنْيَ بِنَفْسِي مِنْكَ أُمُّ الْهَيْمِ
أرهقتني النساء، وأنت أرهقتني أكثر من غيرك

كَيْفَ السَّلَامَةُ بَعْدَمَا تَيَمَّمْتَنِي وَتَرَكْتَ قَلْبِي مِثْلَ قَلْبِ الْإِيْهِمِ
تيممتي: خلعت عقلي، الأيهم: الملتاث، المجنون

هَلْ تَذْكُرِينَ إِذِ الرِّكَابُ مُنَاخَةٌ بِرِجَالِهَا لِزَوَاجِ أَهْلِ الْمَوْسِمِ

هل تذكرين إذ الركاب (الإبل) مناخة (جائمة) والرجال حولها يستعدون للزواج (المغادرة) بعد انتهاء الموسم (ومواسم العرب أسواقها ومحافلها)

إِذْ نَحْنُ نَسْتَرْقِي الْحَدِيثَ، وَفَوْقَنَا مِثْلُ الضَّبَابِ مِنَ الْعَجَاجِ الْأَقْتَمِ

عندئذ كنا نتحدث خفية، وفوقنا عجاج أقم (غبار داكن) كأنه الضباب

إِذْ نَحْنُ نُخْبِرُ بِالْحَوَاجِبِ بَيْنَنَا مَا فِي النُّفُوسِ، وَنَحْنُ لَمْ نَتَكَلَّمْ

كنا نتحدث بلغة الحواجب، لا بالكلام

٨٦ لَا أَنَامُهَا

قَدْ اقْتَسَمْتُ عَيْنَاكَ يَوْمَ لَقِيْتِنَا حُشَاشَةً نَفْسٍ مَا يَحِلُّ اقْتِسَامُهَا

اقتسمت عينك حشاشة نفسي (بقيتها) - لكل عين نصف - ولا يحل لك ذلك

وَكَائِنْ مَنَعْتُ الْقَوْمَ مِنْ نَوْمِ لَيْلَةٍ، وَقَدْ مَيَّلْتُ أَعْنَاقَهُمْ، لَا أَنَامُهَا

وكثيراً ما سهرت مفكراً فيك في ليلة لا أنامها، ومنعت القوم من النوم كي يسهروني ويؤنسوني، بينما أعناقهم تميل نعاساً

٨٧ أُمْنِيَّة

ومما لم يرد في الديوان، وأخذته من كتاب شاكر الفحام:

أَلَا لَيْتَنَا نِمْنَا ثَمَانِينَ حِجَّةً تَنَامُ مَعِيَ عُزَيَّاتُهُ وَأَنَامُهَا

يريد أن تنام معه ثمانين سنة

ضَجِيعَيْنِ مَسْتُورَيْنِ، وَالْأَرْضُ تَحْتَنَا يَكُونُ طَعَامِي ضَمُّهَا وَالتَّزَامُهَا

ينامان على الأرض وعليهما غطاء، وطعامه ضمها والالتصاق بها

٨٨ اخترتكم

يمدح بني أنان بن دارم:

تَجَاوَزْتُ أَقْوَاماً إِلَيْكُمْ، وَإِنَّهُمْ لَيَدْعُونَنِي، فَاخْتَرْتُكُمْ لِلْعِظَائِمِ

مررت بأقوام وتجاوزتهم مع أنهم يدعونني للنزول ضيفاً، وجتكم لأنكم أهل لتلبية عظامم الطلبات

وَأَيْنَ مُنَاخِي بَعْدَكُمْ إِنْ نَبَوْتُمْ عَلَيَّ، وَهَلْ تَنْبُو صُدُورُ الصَّوَارِمِ
وَأَيْنَ مُنَاخِي (نزولي) بعدكم إن نبوتم علي (انحرفتم عني)، ولكن صدور الصوارم (السيف) لا تنبو
(لا تنحرف بل تصيب)

٨٩ أكفأونا

وإِنَّ هِجَاءَ الْبَاهِلِيِّينَ دَارِمًا لِإِخْدَى الْأُمُورِ الْمُتَكَرِّرَاتِ الْعَظَائِمِ
كيف لقبيلة باهلة أن تهجو دارماً ذات الشرف الرفيع؟ تلك من الكوارث

وَهَلْ فِي مَعَدٍّ مِنْ كِفَاءٍ نَعْدُهُ لَنَا، غَيْرَ بَيْتِي عَبْدٍ شَمْسٍ وَهَاشِمٍ
وَهَلْ لَنَا كِفَاءٌ (مساو) في كل قبائل معد (عرب الشمال كلهم) إلا عبد شمس (الأمويين) وهاشماً (آل النبي)

٩٠ تحمل الرزء دارم

وَقَالَ بَرْنِي أَحَدُ بَنِي مَجَاشِعَ مِنْ تَمِيمٍ:

أَصَبْنَا بِمَا لَوْ أَنْ سَلَمَى أَصَابَهَا لَهَدَّتْ، وَلَكِنْ تَحْمِلُ الرُّزْءَ دَارِمُ
لو أصاب جبل سلمى ما أصابنا لنهدم. غير أن قبيلة دارم تتحمل الرزء (المصيبة)، قال بيتاً كهذا
على قافية الراء برني رجلاً من عامر

كَأَتَّهُمْ تَحْتَ الْحَوَافِقِ، إِذْ مَسَوْا إِلَى الْمَوْتِ، أَسْدُ الْعَابَتَيْنِ الضَّرَاعِمُ
كان دارم تحت الرايات الخافقة وهم يمشون إلى الحرب المميتة أسود الغابتين (اختر أي غابتين
تريد... ولو جعلها الفرزدق غابة واحدة لانكسر وزنه)

٩١ الحصى والمجد

أَخَذْتُ عَلَى النَّاسِ اثْنَتَيْنِ: لِيِ الْحَصَى مَعَ الْمَجْدِ مَا لِي فِيهِمَا مِنْ مُخَاصِمٍ
أخذت على الناس (فقتهم) باثنتين: الحصى (العدد الكثير من أبناء قبيلتي)، والمجد، فلا أحد
يخاصمني في هاتين

وَمَا كُنْتُ أَخْشَى طَيِّئًا أَنْ تَسُبَّنِي وَهُمْ نَبِطٌ لَمْ تَعْتَصِبْ بِالْعِمَائِمِ
لا أخشى قبيلة طيء وهجاءها إيائي، فهم نبط (قوم من غير العرب) لا يعتصبون (يُحَلُّونَ رؤوسهم)
بالعمائم فعل العرب

وإِنَّ هِجَائِي طَيِّئًا، وَهِيَ طَيِّءٌ، نَبِطُ الْقُرَى إِخْدَى الْكِبَارِ الْعَظَائِمِ
ومجرد هجائي لطيء - وهي ما هي - هي نبط القرى (من أهل الزراعة وليسوا عرباً أهل صحراء)،
هو من العظائم (العجائب)

٩٢ ما الذي حشرك؟

قال لعمر بن لجا، وقد دخل بينه وبين جرير:

وما أنت إن قرماً تميم تَسَامِيَا أَخَا التَّيْمِ إِلَّا كَالشَّظِيَّةِ فِي الْعَظْمِ
أيها التيمي أنت مثل الشظية (السَّيِّئَةُ، السَّقِيرَةُ، العظمة المديبة الصغيرة) بين العظام، فما أدخلك
بين قرمي تميم (فحلي تميم) وقد سما أحدهم للآخر (صاولة وخاصمه). ونقل عن جرير أنه قال:
ما أنصفتي الفرزدق إلا في قوله هذا

ولو كنتَ مَوْلَى الْعِزِّ أَوْ فِي ظِلَالِهِ ظَلَمْتَ، وَلَكِنْ، لَا يَدِّي لَكَ بِالظُّلْمِ
لو كنت مولى العز (صاحبه) أو حتى في ظلاله (متحالفاً مع قبيلة ذات قوة) لكنا توقعنا منك أن
تتداول وتظلم، ولكنك من قوم ضعاف ولا يدي لك (لا قدرة لك) بالظلم

٩٣ الاستراحة عند الخليفة

يمدح هشام بن عبد الملك:

إِلَامَ تَلَفَّتَيْنِ وَأَنْتِ تَحْتِي وَخَيْرُ النَّاسِ كُلِّهِمْ أَمَامِي
إلى ماذا تلفتتين أيها الناقة وأنت تحتي، بينما أنا متوجه إلى خير الناس
متى تأتي الرُصَافَةُ تَسْتَرِيحِي مِنَ الشَّهْجِيرِ وَالذَّبَرِ الدَّوَامِي
عندما تصلين الرصافة تستريحين من التهجير (مير الظهيرة) ومن الدبر الدوامي
(الجروح الدامية في مفاصلك)

٩٤ على ساعة..

يهجو رجلاً من بلعبر كان دليلاً وأضلهم:

وَكَيْفَ يَضِلُّ الْعَنْبَرِيُّ ببلْدَةٍ بِهَا قُطِعَتْ عَنْهُ سُيُورُ التَّمَائِمِ
هذا العنبري يزعم أنه ضل الطريق، وكيف يضل الطريق في بلدة نشأ فيها صغيراً، وبها قطعوا
سيور (خيوط) التمام (الخرزات التي تدفع الشر، وكانوا يعلقونها في عنق الطفل) عنه، أي أنه نشأ
وكبر هناك، وهناك أزيلت عن عنقه التمام

أَتَخُنَا بِهَجْرٍ بَعْدَمَا وَقَدَ الْحَصَى وَذَابَ لُعَابُ الشَّمْسِ فَوْقَ الْعَمَائِمِ
أنخنا إيلنا في «هجر» والحصى يتوقد حرارة، وقد سلقنا الشمس بأشعتها على رؤوسنا

وَنَحْنُ بِذِي الْأَرْطَى يَقْسُ ظِمَاؤُنَا لَنَا بِالْحَصَى شَرِباً صَحِيحَ الْمَقَاسِمِ
ونحن في مكان ذي الأرطى والظمآنون يقيسون الشرب (نصيب كل فرد من الماء) بالحصى بدقة
(يضعون حصاة صغيرة في الإناء ويصبون الماء حتى يغمرها.. فهذا نصيب كل نفر منهم عندما يعز
الماء في سير الصحراء)

فَلَمَّا تَصَافْنَا الْإِدَاوَةَ أَجْهَشْتُ إِلَى غُضُونِ الْعَنْبَرِيِّ الْجُرَاضِمِ

لما تصافنا الإداوة (تقاسمنا ماء القرية الصغيرة بالحصاة)، أجهش (بدأ يخفق قبل البكاء) العنبري الجراضم (الجشع) وتغضن وجهه

وَجَاءَ بِجُلْمُودٍ لَهُ مِثْلُ رَأْسِهِ لِيُسْقَى عَلَيْهِ الْمَاءَ بَيْنَ الصَّرَائِمِ

وجاء بجلمود (حجر كبير) مثل رأسه، يريد أن تقسم له الماء عليه ونحن واقفون بين الصرائم (جماعات الإبل)

فَأَثَرْتُهُ لَمَّا رَأَيْتُ الَّذِي بِهِ ، عَلَى الْقَوْمِ ، أَخْشَى لَاحِقَاتِ الْمَلَاوِمِ ..

آثرته (خصصته بنصيبي) خشية أن ألام فيما بعد ..

حِفَافًا ، وَلَوْ أَنَّ الْإِدَاوَةَ تُشْتَرَى عَلَتْ فَوْقَ أَمَانٍ عِظَامِ الْمَغَارِمِ

فعلت ذلك حفاظاً (تكرماً)، وفعلته في وقت لو أن الإداوة (القرية الصغيرة) فيه تشتري لكان ثمنها غالياً يلحق المغارم (الخسائر) بالشاري

عَلَى سَاعَةٍ لَوْ كَانَ فِي الْقَوْمِ حَاتِمٌ عَلَى جُودِهِ ، ضَنْتَ بِهِ نَفْسُ حَاتِمِ

وكان هذا في ساعة تضمن فيها النفس وتبخل بالماء حتى لو كانت نفس حاتم الطائي

٩٥ عندما ولد جدنا

يمدح سليمان بن عبد الملك، ويهجو جريراً:

جُعِلَتْ لِأَهْلِ الْأَرْضِ أَمْنًا وَرَحْمَةً وَبُرْءًا لِأَثَارِ الْقُرُوحِ الْكَوَالِمِ

جعلك الله رحمة للناس وبرءاً (شفاء) للقروح الكوالم (الجارحة)

كَمَا بَعَثَ اللَّهُ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا عَلَى فِتْرَةٍ وَالنَّاسُ مِثْلُ الْبَهَائِمِ

مثلما بعث الله محمداً على فترة (الفترة هي الزمن الذي يفتر فيه البعث فلا نبي فيه) والناس يعبدون الأصنام غير مفكرين في الآخرة كالبهائم

فَمَا بَيْنَ مَنْ لَمْ يُعْطِ سَمْعًا وَطَاعَةً وَبَيْنَ تَمِيمٍ غَيْرُ حَزِّ الْحَلَاqِمِ

بين تميم وبين العاصي الذي لا يطع أمر الخليفة لا مهادنة بل حز الحلاقم (قطع الأعناق)

فَإِنَّ تَمِيمًا لَمْ تَكُنْ أُمُّهُ ابْتِغَتْ لَهُ صِحَّةً فِي مَهْدِهِ بِالنَّمَائِمِ

وتميم (جدنا الأعلى) ولدته أمه غير عابئة بوضع التمامم (الخرزات الحاميات من الشر) في عنقه ابتغاء صحته، فقد ولد شديداً

كَأَنَّ الْأَكْفَ الْقَابِلَاتِ لِأُمِّهِ رَمَيْنَ بِعَادِيَّ الْأَسْوَدِ الضَّرَافِمْ

كان الأكف القابلات لأمه (أكف النسوة اللاتي ولدن أمه) رمين ولداً يشبه عادي الأسود (الأسود العادية، أي القوية المنسوبة إلى قوم عاد، وكل «عادي» في لغتنا القديمة هو القوي الشديد القديم)

تَأَزَّرَ بَيْنَ الْقَابِلَاتِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ تَوَامٌ إِلَّا دَهَاءٌ لِحَازِمِ

تأزر بالثوب هذا الطفل الوليد بين القابلات (الدائيات) وهو فرد لا توأم له، إلا أن يكون توأمه الدهاء والحزم

وَضَبَّةٌ أَخُوَالِي هُمُ الْهَامَةُ الَّتِي بِهَا مُضَرٌّ دَمَاعَةٌ لِلْجَمَاجِمِ

وأخوالي من قبيلة ضبة هم الهامة (الرأس) التي تدمغ (تفلق الدماغ) بها مضر (القبيلة الكبرى) جماجم الأعداء

فَمَا أَنْتَ مِنْ قَيْسٍ فَتَنْبَحَ دُونَهَا وَلَا مِنْ تَمِيمٍ فِي الرُّؤُوسِ الْأَعَاطِمِ

أنت - يا جرير - لست من قيس فتنبح دونها (تدافع عنها)، ولا من بيت شريف في تميم

نَرَى كُلَّ مَظْلُومٍ إِلَيْنَا فِرَارُهُ وَيَهْرُبُ مِنَّا جَهْدُهُ كُلُّ ظَالِمٍ

كل مظلوم يفر ويلجأ إلينا، والظالم يهرب من وجوهنا

فَلَا نَقْتُلُ الْأَسْرَى، وَلَكِنْ نَفْكُهُمْ إِذَا أَنْقَلَّ الْأَعْنَاقَ حَمْلُ الْمَغَارِمِ

ولا نقتل الأسرى بل نفكهم ونعتقهم، في وقت يشق فيه الأعناق حمل المغارم (الأموال التي يفدى بها الأسرى، أو تدفع في الدية). وكان الفرزدق أقدم على أسير رومي يريد ضرب عنقه في مجلس سليمان بن عبد الملك فبأ سيفه، فسخر القوم منه، وهجاه جرير..

فَهَلْ ضَرَبَتْهُ الرُّومِيُّ جَاعِلَةً لَكُمْ أَبًا عَنْ كَلِيبٍ، أَوْ أَبًا مِثْلَ دَارِمٍ

فهل نبو سيفي في ضرب عنق الرومي يجعل لكم أباً (جداً) عن كليب (بديلاً بآبائكم كليب الوضيع)، أو يجعل لكم أباً مثل أبي دارم؟

كَذَاكَ سِيوْفُ الْهِنْدِ، تَنْبُو ظَبَاتُهَا وَيَقْطَعُنَ أَحْيَانًا مَنَاطَ التَّمَائِمِ

كذا هي سيوف الهند، تنبو ظباتها (تنحرف شفراتها)، وأحياناً تقطع مناط التمامم (موضع تعليق الحرز، أي تقطع العنق)

٩٦ لَوْ فَقَّاتَ عَيْنُكَ!

يهجو جريراً:

يَقُولُ كِرَامُ النَّاسِ إِذْ جَدَّ جِدُّنَا وَبَيَّنَّ عَنْ أَحْسَابِنَا كُلِّ عَالِمٍ:

يقول الكرام عندما جد الجد، وعرف أمجادنا كل عالم بالأنساب:

عَلَامَ تَعْنَى يَا جَرِيرٌ، وَلَمْ تَجِدْ كُتْلِبًا لَهَا عَادِيَّةٌ فِي الْمَكَارِمِ
على ماذا تعنى (تتعنى أي تتعب نفسك) ولم تجد لقومك كليب عادية (مكرمة قديمة)
من المكارم

وَلَسْتُ، وَإِنْ فَقَأَتْ عَيْنَيْكَ، وَاجِدًا أَبًا لَكَ، إِنَّ عُدَّ الْمَسَاعِي، كَذَارِمِ
لن تجد مهما فعلت - حتى لو فقأت عينيك - جدًا تتسب إليه حين تعد المساعي (الأمجاد) مثل
جدي دارم

٩٧ الناهض للمعالي

قال في الزعل الجرمي:

وَرِثْتُ - فَلَمْ تُضَيِّعْ - مَأْثِرَاتٍ وَقَصَّرَ عَنِ بِنَائِكَ كُلُّ بَنَانٍ
ورثت مآثرات (أمجاداً) ولم تضيعها، وقصر عن بنائك المجد كلُّ البناة

وَتَنَهَضُ حِينَ تَنْهَضُ لِلْمَعَالِي وَتَنْطِقُ حِينَ تَنْطِقُ بِالْبَيَانِ
وَتُعْطِي الْعُرْفَ عَفْوَاً سَائِلِيهِ وَتُرْوِي الزَّاعِغِيَّةَ فِي الطَّعَانِ
تعطي العرف (المطايا) عفواً (بأريحية) للسائلين، وتروي بدم الأعداء الزاغية (الرماح) في الطعان
(المطاعنة بالرماح في الحرب)

٩٨ وفاة المكارم

يرثي محمد بن موسى، وقتله شبيب بالأهواز:

نَامَ الْخَلِيُّ، وَمَا أَغْمَضُ سَاعَةً أَرْقَاً، وَهَاجَ الشَّوْقُ لِي أَحْزَانِي
نام الخلي (الخالى من الهم) وأنا ساهر أرقاً، وشوقي بعث لي الحزن

وَإِذَا ذَكَرْتُكَ يَا ابْنَ مُوسَى أَسْبَلْتُ عَيْنِي بِدَمْعٍ دَائِمٍ الْهَمَلَانِ
تنزل دموعي لدى تذكري إياك وتسبل عيني (تنهمر) بدمع دائم الهملان (الانهمار)

فَالنَّاسُ بَعْدَكَ يَا ابْنَ مُوسَى أَصْبَحُوا كَقَفْلَانَةٍ حَرَبٍ غَيْرِ ذَاتِ سِنَانٍ
الناس بعدك كالقناة (عصا الرمح) التي لم يعد فيها سنان (حديدة مسنونة)

جُمِعَ ابْنُ مُوسَى وَالْمَكَارِمُ وَالنَّدَى فِي الْقَبْرِ بَيْنَ سَبَائِبِ الْأَكْفَانِ
جُمِعَ ابْنُ مُوسَى الْمَكَارِمُ وَالنَّدَى (السَّخَاءُ)، وَأَصْبَحَتْ هَذِهِ كُلُّهَا بَيْنَ سَبَائِبِ (قِمَاشِ) الْأَكْفَانِ،
فَالْمَكَارِمُ فَقَدَتْ مِنَ الدُّنْيَا بِمَوْتِهِ

٩٩ في صحبة الذئب

وَأَطْلَسَ عَسَالٍ، وما كان صاحباً، دَعَوْتُ بِنَارِي مَوْهِنًا فَأَتَانِي
رب ذئب أطلس (مغبر اللون) عسال (يتمايل في مشيته) وليس بصاحب للآدمي، دعوت بناري
(أوقدتها) موهنا (مساء) فأتاني

فَلَمَّا دَنَا قُلْتُ: اذْنُ دُونَكَ، إِنِّي وَإِيَّاكَ فِي زَادِي لَمُشْتَرِكَانِ
لما اقترب قلت له: تعال، ودونك (خذ)، فسوف نشترك في زادي

فَبِتُّ أَقْدُ الرَّازِدَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ عَلَى ضَوْءِ نَارٍ مَرَّةً وَدُخَانِ
وبدأت أقسم الطعام بيني وبينه، والنار تضيء المشهد تارة ويغطينا الدخان أخرى

فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَكَثَّرَ ضَاحِكاً وَقَائِمُ سَيْفِي مِنْ يَدِي بِمَكَانٍ:
قلت له لما تكثر فكأنه يضحك، وكانت يدي على قائم سيفي (مقبضه) مستعداً:

تَعَشَّ، فَإِنْ عَاهَدْتَنِي لَا تَخُونَنِي نَكُنْ مِثْلَ مَنْ يَا ذَنْبُ يَصْطَحِبَانِ
تعش أيها الذئب، فإن لم تخن صحبتي نكن كأننا صاحبان

وَأَنْتَ امْرُؤٌ، يَا ذَنْبُ، وَالْغَدْرُ كُنْتُمَا أَخْبَيْنِ كَانَا أَرْضِعَا بِلَبَانِ
لكنك يا ذئب أخو الغدر، الغدر ملازمك خلقة، وكأنك رضعت بلبان أمك أنت والغدر معاً

وَلَوْ غَبِرْنَا نَبْهَتْ ثَلْتِمِسُ الْقَرَى رَمَاكَ بِسَهْمٍ أَوْ شَبَاةٍ مِئَانِ
لو التمس (طلبت) القرى (طعام الضيف) من غيري لرماك بسهم أو شبابة سنان (حد رمح)

وَكُلُّ رَفِيقِي كُلِّ رَحْلٍ وَإِنْ هُمَا تَعَاطَى الْقَنَا قَوْمَاهُمَا أَخَوَانِ
والرفيقان على الرحل (على سرج الناقة/ وكان الرجلان يركبان الناقة ويتعادلان على جانبيها) أخوان
حتى وإن تعاطى (تبادل) القنا (الطعن بالرماح) قوماهما

فَهَلْ يَرْجِعَنَّ اللَّهُ نَفْساً تَشَعَّبَتْ عَلَى أَثَرِ الْغَادِينَ كُلِّ مَكَانٍ
هل يعيد الله نفسي إلي بعد أن تشعبت وذهبت تتبع الغادين (الزاهبين) إلى كل مكان

فَأَصْبَحْتُ لَا أَدْرِي أَتَتَّبِعُ ظَاعِنًا أَمْ الشُّوقُ مِثِّي لِلْمُقِيمِ دَعَانِي
احترت أتبع الظاعن (الراحل) أم الشوق يدعوني للبقاء مع من ظل مقبياً

وَمَا مِنْهُمَا إِلَّا تَوَلَّى بِشِقَّةٍ مِنَ الْقَلْبِ، فَالْعَيْنَانِ تَبْتَدِرَانِ
وكلاهما - الراحل والمقيم - قد ذهب بشقة (بقطة) من القلب، فعينايتا يتبدران (تسكبان الدمع)

ولو سُئِلْتُ عَنِّي النَّوَارُ وَقَوْمُهَا إِذْ لَمْ تُوَارِ النَّاجِدَ الشَّفَتَانِ
لو سئلت عني طليقتي النوار وقومها لضحكوا وبدت منهم النواجد (الأضراس الخلفية)، وذلك بعد
أن نالت الطلاق مني بطلبها

لَعَمْرِي لَقَدْ رَقَّقْتَنِي قَبْلَ رِقَّتِي وَأَشْعَلْتَ فِيَّ الشَّيْبَ قَبْلَ زَمَانِي
لقد رقت عظمي (أنهكتني) قبل أواني، وشيبتني يا نوار

وَأَمْضَحْتَ عِرْضِي فِي الْحَيَاةِ، وَشَيْتِهِ وَأَوْقَدْتَ لِي نَاراً بِكُلِّ مَكَانٍ
وأمضحت عرضي (فضحتني) وعبتني، وجعلت اللوم يتصب علي من كل مكان. وكانت النوار
تطالبه بالطلاق دوماً

تَمِيمٌ إِذَا تَمَّتْ عَلَيْكَ رَأْيَتُهَا كَلِيلٌ وَبَحْرٌ حِينَ يَلْتَقِيَانِ
تميم إذا اجتمعت عليك فهي كالليل والبحر يلتقيان، فهذا ظلام دامس مخيف

هُمْ دُونَ مَنْ أَخْشَى، وَإِنِّي لَدُونَهُمْ إِذَا نَبَحَ الْعَاوِي، يَدِي وَلِسَانِي
هم دون من أخشى (يحمونني ممن أخاف)، وأنا دونهم (أدافع عنهم) إذا نبح العاوي (هجاهم
الهاجي) يدي ولساني

وَأَنَا لَتَرَعَى الْوَحْشُ أَمِنَةً بِنَا وَرَهَبْنَا أَنْ نَغْضَبَ الثَّقَلَانِ
ونحن نجير الخائف فيأمن، حتى إن الوحش (كثيران البر) ترعى أمانة في وجودنا غير خائفة أن يأتي
صائد، إذ لا يدخل حمامنا أحد. ويرهب غضبنا الثقلان (الإنس والجن)

فَضَّلْنَا بِشَنْتَيْنِ الْمَعَاشِيرَ كُلَّهُمَا بِأَعْظَمِ أَحْلَامٍ لَنَا وَجِفَانٍ
تفوقنا على كل الأقوام بانتين: أحلامنا (عقولنا) كبيرة، وجفاننا (قصاع الطعام) كبيرة

جِبَالٌ إِذَا شَدُّوا الْحَبَى مِنْ وَرَائِهِمْ وَجِنَّ إِذَا طَارُوا بِكُلِّ عِنَانٍ
رجال تميم كالجبال رزانة إذا عقدوا الحبى (الحبوة هي الشال يجمع به الرجل بين ظهره وركبتيه)،
فأما في الحرب فهم يطيطون كالجن ممسكين بعنان (بمقود) كل فرس

١٠٠ ما ضَرَّ تَغْلِبَ

يَا ابْنَ الْمَرَاغَةِ، وَالْهَجَاءُ إِذَا تَلَقَّتْ أَعْنَاقُهُ، وَتَمَاحَكَ الْخَصْمَانِ
يا جرير، في الهجاء عندما تلتقي الأعناق مثلما تلتقي أعناق الخيل في المعركة، وعندما يتماحك
(يتلاحى ويتشائم) الخصمان..

مَا ضَرَّ تَغْلِبَ وَائِلٌ أَهْجَوْتَهَا أَمْ بُلْتَ حَيْثُ تَنَاطَعَ الْبَحْرَانِ
في الهجاء لا يؤثر في قبيلة تغلب هجاؤك، مثلما لا أثر لك إن بلت حيث تناطح (تلتاق) البحرين
(دجلة والفرات)

يا ابْنَ الْمَرَاغَةِ إِنَّ تَغْلِبَ وائِلِ رَفَعُوا عِنَانِي فَوْقَ كُلِّ عِنَانٍ
 تغلب رفعت عناني (مقود فرسي) فوق كل عنان، أي أنها فضلتني ورفعتني عالياً
 واسأَلْ بِتَغْلِبَ كَيْفَ كَانَ قَدِيمُهَا وَقَدِيمُ قَوْمِكَ أَوَّلَ الْأَزْمَانِ
 اسأل عن مجد تغلب القديم وعن قديم قومك الذين لا مجد لهم..
 قَوْمٌ هُمْ قَتَلُوا ابْنَ هِنْدٍ عَنَوَةً عَمْرًا، وَهُمْ قَسَطُوا عَلَى النُّعْمَانِ
 تغلب قتلوا الملك عمرو بن هند، وقسطوا (اعتدوا) على النعمان

١٠١ رثاء الأبناء

يرثي ابنه:

أَبِي الْحُزْنُ أَنْ أَسْلَى بَنِيَّ، وَسُورَةٌ أَرَاهَا إِذَا الْأَيْدِي تَلَاقَتْ غَضَابُهَا
 الحزن لا يدعني أسلى (أنسى) أبنائي المفقودين، والذي يجعلني أذكركم أيضاً سورة (هجمة)
 أشهدها عندما تتلاقى الأيدي الغضبية في عراك. فالمرء يفتقد أولاده الذين من شأنهم أن ينصروه
 في مواقف كهذه

وكانوا هُمُ الْمَالِ الَّذِي لَا أْبِيعُهُ وَدِرْعِي إِذَا مَا الْحَرْبُ هَرَّتْ كِلَابُهَا
 كانوا مالي، ودرعي في الحرب إذا ما اشتعلت

وَكَمْ قَاتِلٍ لِلْجُوعِ قَدْ كَانَ مِنْهُمْ وَمِنْ حَيَّةٍ قَدْ كَانَ سُمًّا لُعَابُهَا
 وكان من أولادي من يقتل الجوع بتقديم الطعام للناس، وكان منهم من هو حية ذات لعاب سام
 (قوي شديد على الأعداء)

فَلَا تَحْسَبَا أَنِّي تَضَعُضَعُ جَانِبِي وَلَا أَنْ نَارَ الْحَرْبِ يَخْبُو شِهَابُهَا
 ولكن، لم يتضعضع (يتخلخل) جانبي وبقيت صلباً، ولا تحسبا نار الحرب قد خبا شهابها (خمدت نارها)

بَقِيْتُ، وَأَبْقَتْ مِنْ قَنَاتِي مَصَابِييَ عَشَوْرَتُهُ زُرَّاءَ صُمًّا كِعَابُهَا
 قد عشت بعدهم، وبقي من قناتي (جسمي) بعد مصابتي (مصيبتني) قامة عشوزنة (قوية) زوراء (تميل
 بعز وفخر) صم كعابها (صلدة قوية).. المعنى الملموح: المصيبة جعلتني أفسى وأشد

عَلَى حَدِيثٍ لَوْ أَنَّ سَلَمَى أَصَابَهَا بِمِثْلِ بَنِي أَرْقَضَ مِنْهَا هَضَابُهَا
 هذا رغم حدث لو أصاب جبل سلمى لارفضت (تفرقت وانهارت) هضابها

وَأَقَعْتُ عَلَى الْأَذْنَابِ كُلِّ قَبِيلَةٍ عَلَى مَضَضٍ مِنِّي، وَذَلَّتْ رِقَابُهَا
 وقد أقعنت (جلست) كل قبيلة على ذنبها إقعاء الكلب خاضعة الرقاب ذليلة بعد هجائي لها

وَمُسْتَنْبِحِ وَاللَّيْلِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ يُرَاعِي بِعَيْنَيْهِ النُّجُومَ التَّوَالِيَا
رب مستببح (تأته في الصحراء ينبج التماساً لكلب يجييه فيعرف مكان قوم لديهم مأوى وطعام)،
والليل بيني وبينه، وهو ينظر إلى النجوم

سَرَى إِذْ تَغَشَّى اللَّيْلُ، تَحْمِلُ صَوْتَهُ إِلَيَّ الصَّبَا، قَدْ ظَلَّ بِالْأَمْسِ طَاوِيَا
سار وقد تغشى الليل (غطى الأشياء) وريح الصبا تحمل إلي صوت نباحه، وقد قضى
أَمَسَهُ طَاوِيَا (جائعاً)

تَأْتَيْتُ وَاسْتَسَمَعْتُ حَتَّى فَهِمْتُهَا وَقَدْ قَفَعْتُ نَكْبَاءَ مَنْ كَانَ سَارِيَا
تمهلت، واستسمعت (أصغيت) حتى فهمتها (تأكدت أنه صوت إنسان) وكانت ريح نكباء (هوجاء
جاءت بين ريحين) قد قفعت (جمدت أصابع) من يسري في الليل

فَلَمَّا رَأَيْتُ الرِّيحَ تَخْلِجُ نَبْحَهُ وَقَدْ هَوَرَ اللَّيْلُ السَّمَاءَ الْيَمَانِيَا
لما رأيت الريح تخلج (تذبذب) نباحه وتجعله يتموج في الأذن، وكان الليل قد هور (أسقط) نجم
السماك اليماني

حَلَفْتُ لَهُمْ إِنْ لَمْ تُجِبْهُ كَلَابُنَا لِأَسْتَوْقِدَنَّ نَاراً تُجِيبُ الْمُنَادِيَا
حلفت للقوم أنني سأوقد ناراً عظيمة تستجيب لصوته إن لم تجبه كلابنا بنباح

وَقُلْتُ لِعَبِيدِي اسْعِرَاهَا فَإِنَّهُ كَفَى بِسَنَاها لَا بَنَ إِنْ سِكَ دَاعِيَا
قلت للعبدين اسعراها (أوقدا النار)، فكفى بسناها (ضوئها) داعياً للإنسان

فَمَا خَمَدَتْ حَتَّى أَضَاءَ وَقُودُهَا أَخَا قَفْرَةَ يُزْجِي المَطِيَّةَ حَافِيَا
اشتعلت النار ولم تخدمد حتى كان أخو القفرة (الثائث في الصحراء) قد وصل وأضاءت النار وجهه،
وكان يزجي المطية (يسوق ناقته) حافياً

فَقُمْتُ إِلَى الْبَرْكِ الْهُجُودِ، وَلَمْ يَكُنْ سِلَاحِي يُوقِي المُرْبِعَاتِ المَتَالِيَا
قمت إلى البرك الهجود (النياق الراقدة). وأنا رجل لا يوقي سلاحِي (لا يوفر، ولا يترك)
المربعات المتاليا (النياق الحوامل في الربيع التي يتلوها أولادها)

فَمَكَّنْتُ سَيْفِي مِنْ ذَوَاتِ رِمَاحِهَا غَشَّاشاً، وَلَمْ أَحْفَلْ بِكُءَا رِعَائِيَا
أُتيت إلى ناقة منها ومكنت سيفي من ذوات رماحها (من قوائمها التي ترمح، أي ترفس، بها)
غشاشاً (في وقت يغشاه الظلام)، ولم أهتم ببكاء الرعاة

وَقُمْنَا إِلَى دَهْمَاءَ ضَامِنَةِ الْقَرَىٰ غَضُوبٌ إِذَا مَا اسْتَحْمَلُوهَا الْأَثَافِيَا
وقمنا إلى قدر دهماء (سوداء) تضمن القرى (طعام الضيف) غضوب عندما نحملها فوق الأثافي (الحجارة التي توضع عليها القدر)، لعل غضب القدر لأنها تتقلقل قبل أن تثبت وتوازن فوق الحجارة، عموماً سناها تغضب أكثر بعد قليل

رَكُودٌ كَأَنَّ الْعَلْيَ فِيهَا مُغِيرَةٌ رَأَتْ نَعَمًا قَدْ جَنَّهُ اللَّيْلُ دَانِيَا
هذه القدر ركود (ثابتة رصينة) كأن صوت غليان الماء واللحم بداخلها صوت مغيرة (جماعة تشن غارة) قد رأت نعماً (إبلاً) جنه الليل (أخفاه) ولكنه دان (قريب)

إِذَا اسْتَحْمَشُوهَا بِالْوُقُودِ تَغَيَّظَتْ عَلَى اللَّحْمِ حَتَّى تَتْرَكَ الْعَظْمَ بَادِيَا
إذا استحمشوها (أهاجوها) بالوقود (بوضع المزيد من الحطب تحتها) تغيظت على اللحم (هذه غصبة القدر الكبيرة على ما فيها من لحم) تنهكه حتى يتقلص فيبدو العظم

كَأَنَّ نَهِيمَ الْعَلْيِ فِي حُجْرَاتِهَا تَمَارِي خُصُومٍ عَاقِدِينَ النَّوَاصِيَا
كأن نheim الغليان (صوته المغمغم) في حجراتها (جوانب القدر) تماري خصوم (جدال بين خصوم) عاقدين النواصيا (رابطين رؤوسهم)

فَمَا قَعَدَ الْعَبْدَانِ حَتَّى قَرَيْتُهُ حَلِيْبًا وَشَحْمًا مِنْ ذُرَى السَّوْلِ وَارِيَا
فما أتم العبدان المهمة وقعدا حتى قرئت (أطعمته) حليبا وشحماً واريأ (سمياً) من ذرى الشول (سنام الناقة)

١٠٣ البكاء راحة

أَلَمْ تَرَ أَنِّي يَوْمَ جَوِّ سُوَيْقَةٍ بَكَيتُ فَنَادَتْنِي هُنَيْدَةُ مَا لِيَا
في ذلك المكان «جو سويقة»، وذلك اليوم، بكيت فنادتني هند: ما لك؟

فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الْبُكَاءَ لَرَاحَةٌ بِهِ يَشْتَفِي مَنْ ظَنَّ أَلَّا تَلَاقِيَا
البكاء راحة يشفي به من أحس أن هذا آخر لقاء ولا تلاقى بعده

فَفِي وَدْعِنَا يَا هُنَيْدُ، فَلِأَنِّي أَرَى الْحَيَّ قَدْ شَامُوا الْعَقِيقَ الْيَمَانِيَا
ودعينا يا هند، فالحي (القوم) قد شاموا (تبعوا بنظرهم) العقيق اليماني (البرق البادي من جهة اليمن) أي أنهم سيرحلون في اتجاه سير السحاب ذي البرق طلباً للعشب

أَرَانِي إِذَا فَارَقْتُ هِنْدًا كَأَنِّي دَوَى سَنَةٍ مِمَّا التَّقَى فِي فُؤَادِيَا
بفراقني هنداً كأنني دوى (مرضى) مضت على مرضي سنة، مما تجمع في قلبي من أحزان

الفرزدق
فهرس القوافي
(القافية فرقم القطعة)

٨	وَتُجَانِيَةُ	١	ورائِها
١٩	اسْتَظَلَّتْ	١٧	والصَّنَابُ
١٨	وَصَلَّتْ	٢	الأعاجِبِ
٢٠	الصَّفَانِحِ	١٤	العِتَابِ
٢٤	خالدا	٥	الكواكِبِ
٢٨	الغَمْدِ	٤	المَشْرَبِ
٢٥	يَبْعَادِ	٣	بِالْعَصَائِبِ
٢٢	شَاهِدِ	١١	ذَاهِبِ
٢٧	مَعْبِدِ	١٣	غَالِبِ
٢١	وَمِجْسَدِ	١٥	لِيلِي وَغَالِبِ
٢٣	جَدُودُهَا	٦	أَقَارِبُهُ
٢٦	يَقُودُهَا	٩	بِالنِّثَارِ أَقَارِبُهُ
٤٧	الدَّمَارِ	١٠	ثِيَابُهَا
٣٢	تَحَدَّرَا	١٦	جَاذِبُهُ
٣٩	وَالْمَطَرِ	١٢	جَوَائِبُهَا
٣٥	الْحَوَاسِرُ	١٠١	غِصَابُهَا
٤٢	الْمَطَرُ	٧	مُنِيئُهَا

٦٠	تَعْرِفُ	٥٠	عَلَيْكَ نَوَارُ
٥٩	خَائِفِ	٣١	مُضَرُّ
٦٢	الْفَرْزَدَقَا	٤٣	نَوَارُ
٦٦	الْفَرْزَدَقِ	٣٣	هَوَادِرُ
٦١	الْمُحْتَقِ	٣٠	وَفَرَا
٦٥	بِالْخَلَائِقِ	٢٩	يُنْتَظَرُ
٦٣	تَصْدُقِ	٤٤	الْأَشْعَارِ
٦٤	مَقَارِقِي	٤٦	الْقِصَارِ
٧٠	النَّسْرَيْنِ زَالَا	٤٥	جَيَّارِ
٧٥	أَعَزُّ وَأَطْوَلُ	٣٦	صَبِرِ
٧٣	الْحَوَامِلِ	٤٨	قِصَارِ
٦٩	الْغَالِي	٣٧	مُجِيرِي
٧٢	حُلَاكِ	٣٨	تُغَوِّرُهَا
٦٨	فَاعِلِ	٤٠	زَائِرَةِ
٧٤	لِلْجَهْلِ	٤١	عَاصِرَةِ
٧٦	لِيَالِ	٣٤	مَشَافِرَةِ
٧١	بَارِئُهُ	٤٩	تُحَوِّرُهَا
٧٧	وَحَبَائِلُهُ	٥١	وَأَوْتَارِهَا
٦٧	يَسْتَبِيلُهَا	٥٢	الْحَرِيصِ
٩٠	دَارِمُ	٥٣	مِرَاضُ
٧٨	وَالْحَرَمُ	٥٤	الْبَيَاضِ
٨٤	مَذْمُومُ	٥٨	تَقَطَّعَا
٩٤	الْتَّمَائِمِ	٥٦	الْمُذَرَّعُ
٨٩	الْعِظَائِمِ	٥٥	رَاتِعُ
٩٢	الْعَظِمِ	٥٧	وَالْأَقَارِعُ

٨٦	اقتسامها	٩٥	الكَوَالِمِ
٨٠	عَارِئُهُ	٩٣	أَمَامِي
٨٧	وَأَنَامُهَا	٨١	تَمَامِي
٩٨	أَحْزَانِي	٨٥	دَمِي
١٠٠	الْخَصْمَانِ	٨٢	رُؤُوسِ الْمَخَارِمِ
٩٧	بَانِ	٩٦	عَالِمِ
٩٩	فَأَتَانِي	٧٩	فُرُوجِ الْمَخَارِمِ
١٠٢	التَّوَالِيَا	٨٨	لِلْعِظَانِمِ
١٠٣	مَا لِيَا	٩١	مُخَاصِمِ
		٨٣	وَالْجَحِيمِ

جرير بن عَطِيَّة بن الخَطَفَى

(٣٠هـ - ١١٥هـ)

هذا شاعر متميز .

لا والله ، ليس متميزاً ، فعندنا منه نسخة أخرى اسمها الأخطل ، وأخرى اسمها الفرزدق . ما الذي جعلني أبدأ بجملته بليدة كتلك الجمل التي يبدأ بها الأكاديميون مقالاتهم ؟ لا أدري .

الثلاثة جميعاً كانوا شتامين ، فاخرين ، قوَّالين . نعم ، أقرب مثال أجده القوَّالون في بلاد الشام . يدعو الرجل إلى عرس ابنه زجلاً قوَّالاً ، ويدعو زجلاً آخر من طبقته ، فيدخل الزجالان في معركة يتبادلان فيها السباب ، ثم قد يتغزل أحدهم بمحبوبته السمراء ، ويرد عليه الآخر مفضلاً البيضاء . ويمدحان العريس وأهله ، والعروس وأهلها . ويتسلَّى المدعوون .

هكذا كان بشر بن مروان أمير الكوفة يدعو الشعراء ، ويحرض بعضهم على بعض ويجلس يستمتع . وكان جرير أحدهم .

يصف صاحب مقال «جرير» في موسوعة الإسلام المستشرقية شاعرنا بأنه «شكس» بطبيعته ، ويجعل هذا الوصف - الذي يمكننا أن نترجمه بالمقاوح ، والنكد ، والشرس ، ومثير الخصومة ، وقليل السماحة ، الخ - مفتاحاً لشخصية جرير . ويراه بعض الدارسين العرب حقوداً لأنه من بيئة فقيرة ، ولأنه كان - زعموا - دميماً قصيراً . ولا نرى رأي المستشرق ، ولا رأي أبناء جلدتنا . وملتفت إلى تلك الأبيات الفكهة المثورة نثراً في كل قصائد جرير ، وملتفت إلى مكانته الجليلة من قبيلته ، وملتفت إلى قول قديم بأنه كان طويلاً حسن الشعر . ونرى جريراً رجلاً سمحاً يحب النكتة ، قريب الدمعة ، يحب قبيلته وعائلته . . ليس فقط زوجته العزيزة خالدة وأولاده ، وقال فيهم جميعاً شعراً رقيقاً ، بل

أحب جده البخيل ووالده القميء - ولا بد من الاعتراف بأن والده كان قميئاً، فقد أجمع القدامى على هذا -، كانت علاقته بوالده علاقة الفقير بوالده، يتسابان قليلاً، ولكنهما يتعايشان.

عندما سب ابنٌ لجريـر أباه، قالت له الأم: ويحك، أتقول هذا لأبيك؟ فقال لها جريـر: دعيه، فوالله لكأنني أسمعها من فمي أقولها لأبي.

بعد قليل سنحدثك عن حياة جريـر فاصبر.

ليس لدينا مفتاح واحد يفتح شخصية جريـر. مات العقد وأخذ مفاتيحه. لكننا نقول إنه كان يتسلَّى بحفلات الهجاء، وإنه كان يعرف تقاليد الشعر العربي. قيل كان جده الخطفي شاعراً. ولعل جريراً سمع شعراً كثيراً في مجالس العشيرة. ونبه أنفسنا إلى أن العروض لم يكن قد اخترع بعد - وسيتظر الناس سبعين سنة بعد موت جريـر ليسمعوا أول مرة بالطويل والخفيف والكامل -. ولم يكن علم البلاغة قد اخترع بعد. لا، ولا النحو. جريـر عتيق، ولد في خلافة عثمان. ولكنه كان يكتب. تعلم الكتابة في قريته أئيفيَّة باليمامة (غير بعيد من الرياض عاصمة السعودية اليوم).

درج في قريته بين أهله وأغنامهم، وحميرهم أيضاً. ولئن كانت قبيلته يربوع ذات مجد حربي قديم، فقد كانت عشيرته كليب ترعى أغنامها في اليمامة وادعة، لكن غيرَ ناسية أنها من يربوع، ولا أنها تنتمي فوق ذلك إلى تميم إحدى أكبر وأمنع قبائل العرب.

هاجر من تميم من هاجر مع الفتوح، وكانت لهم بالبصرة والكوفة خطط. ولكن جريراً وأهله ظلوا يعيشون في اليمامة على جاهليتهم. قد أسلموا وأدوا الصدقات، ولكن حياتهم لم تتغير كثيراً. قد لا يكون الطفل جريـر ابن السابعة فهم حديث الناس عن قتل المسلمين خليفتهم عثمان، لكنه بالتأكيد سمع وقد تجاوز العاشرة بمقتل علي. واستتب الأمر لمعاوية، ولم تكن تميم المضربة القبيلة المقربة للخليفة الجديد، فقد حاربت في صفين مع علي، وظلت قبائل اليمن، لا مضر، ذراع معاوية.

وانشغل جريـر بمهاجاة أبناء اليمامة ممن نطقوا بالشعر، ولمع نجمه.

كان الشعر في ذلك الزمن يسافر بأجنحة قوية: هي شهوة العرب المعروفة للشعر، وهي أن الشعر كان سلوتهم الوحيدة، وهي أن ذائقهم لشعرهم كان حادة.

بايعت تميم معاوية، وظلت على بيعته العشرين سنة التي حكمها، تأخذ أعطياتها وتحتضن قلوباً تكره معاوية، ولكنها عاشت عيشة ناعمة في ظل سيدها الكبير الأحنف بن قيس الذي جمع من الحلم والدهاء ما جمع معاوية.

ومات معاوية وورث الحكم يزيد، ووفد عليه جرير فوجده قد سمع بشعره. ثم جاءت أمور كبار.. قتل يزيد الحسين بن علي، وشدّد النكير على عبد الله بن الزبير في مكة كي يبايع، فلم يبايع، فاستقل ابن الزبير بالحرمين ثم أرسل أخاه مصعباً والياً على العراق. فكان من جلساء مصعب في الكوفة الأحنف. كانت تميم زبيرية الهوى، ولكنها عاشت في حلم الأحنف أربعين سنة، ومثلما أغمدت سيوفها في وقعة الجمل قعدت في هذا الزمن الزبيري - الأموي الذي دام نحو عشر سنين على السياج تشهد فحول قريش تنتطح على الحكم. وقبل موته لا بد أن الأحنف سمع وهو بالكوفة أن شاعرين من فخذين من تميم بدأ يتشاثمان، أحدهما الفرزدق والآخر جرير. ولعله تسلى بالأمر. ومات الأحنف، ولم تعرف تميم سيداً قوياً تجتمع حوله مثل الأحنف، فلم يجد الشاعران من يقدهما. وظلا يتهاجيان ثمانين أربعين سنة. نعود إلى جرير نفسه.

ظل باليمامة حتى أواسط الثلاثين من العمر، ورحل إلى الشام، وأتى يزيد، ورجع عن يزيد. وجلس على السياج غير غامس لسانه في الصراع على الحكم، ثم استتب الأمر لعبد الملك بن مروان، وقضى على دولة ابن الزبير في العراق ثم في الحرمين، ودانت له الأمة في عام ٧٣. وولى أخاه بشراً العراق.

ما كان شيء أحب إلى قلب بشر من الواقعة بين الشعراء. كان يجد في ذلك تسلية عظيمة. وكان جرير سريع الاستثارة، ليس لشكاسة فيه، ولا لشراً، بل كان يتسلى هو أيضاً.. لم يكن ابن الراعي الفقير يجد غضاضة إذا شتم وشُتم، وكان يجد من قبيلته يربوع من يشجعه، فالقوم لهم مآثر في الجاهلية، وجهاد في الإسلام، وإن لم تعرف لهم سيادة كسيادة أبناء عمومته مجاشع مثلاً.

ومات بشر أمير العراق بعد سنتين وجاء الحجاج، وقضى على «جيوب المقاومة» الخارجية بعض قضاء، وأسس مدينة له هي واسط. ومنع أحداً أن يدخلها إلا بإذن. ودخلها جرير بغير إذن. ولم يبطش به الحجاج الذي وصف نفسه قائلاً «ما أعلم اليوم رجلاً على ظهر الأرض هو أجراً على دم مني»، بل استمع إليه، وقربه. وأصبح جرير مداحاً للحجاج.

كان الحجاج بطاشاً كبيراً، لكنه لم يكن يتعدى مرتبته: هو الرجل الثاني، الذي يعرف أن الأمر لقريش لا لثقيف، فهو خادم مطيع لمن فوقه، جبار على من تحته. غير أنه كان من أفصح العرب، وكان يقدر الشعر. ولعله أخذ يشعر بالضييق من مدائح جرير.. فهذا مما قد يغير قلب الخليفة عليه. وخير ما يصنعه أن يبعث بشاعره هدية إلى الخليفة عبد الملك بن مروان.

كان الحجاج حريصاً الحرص كله على التخلص من جرير. فالخليفة في دمشق لن يكتفي بشاعره الأخطل، شاعر بني أمية الذي وضع مصيره في أيديهم، فهجا عنهم الأنصار قبل بضع سنين عندما غمزههم شاعر الأنصار عبد الرحمن بن حسان وعرض نفسه للموت في سبيلهم. وحتى لو اكتفى الخليفة بشاعره الأثير، فهو لن يغفر لواليه المطيع الحجاج أن يكون له شاعر في قامة جرير وقدرته.

كان عبد الملك ذواقة للشعر نقادة، أليس عندما جاءه ابن الرقيّات وأنشده: «يعتدل التاج فوق مفرقة/ على جبين كأنه الذهب» قال له: تقول لي هذا، تمدحني كأنني من ملوك العجم، وتقول لمصعب: «إنما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء». ثم حرّمه.

بعث الحجاج جريراً إلى عبد الملك هدية، وزيادة في حرصه على أن يقبل الخليفة الهدية بعث معه ابنه محمداً.

عبد الملك لا يريد شاعراً يمدحه مدحاً بارداً بعد إذ مدح واليه مدحاً قوياً. فردّه مرة ومرة، ولكن ابن الحجاج - بوصية من أبيه - لم يبرح دمشق، وظل بباب الخليفة يستعطفه حتى أذن لجرير بالإنشاد، وعلى مضض. قال الخليفة لجرير: إنما أنت شاعر الحجاج. وشمته بعد البيت الأول. ولكن جريراً مضى ينشد حتى قال: «ألستم خير من ركب المطايا»، فعرف عبد الملك أن الرجل شاعر صاحب صنعة، وأنه سيكون درة ثانية في عمامة خلافته.

وأعطاه عبد الملك مئة ناقة وثمانية رعاء، ورجع جرير إلى قومه باليمامة مظفراً. وتناول في اليمامة بعض الشعراء الذين هجوا قومه فهجاهم وأسكتهم. وعاد إلى دمشق في قدمة أخرى ورأى الأخطل في مجلس عبد الملك لأول مرة، ولم يعرفه حتى عُرف به. إذن فهذا شاعر بني أمية العجوز الذي تبرع بمناصرة الفرزدق عليه؟ شتمه واستطال عليه في مجلس الخليفة. ومن حسن حظ جرير أن عبد الملك كان كأخيه بشر يحب أن يتسلى بالشعراء. فما داما

كلاهما من مداحه فلا بأس في أن يستبأ في حضرته.. وبيقبيح الكلام. وعاد جرير إلى اليمامة في نجد، إلى أولاده الكثر وعائلته الكبيرة. فقد كان يعول ثمانين نفساً حسبما زعم.

ثم طلبته يربوع البصرة، فهو شاعرها ولسانها. فأقام في البصرة سنين يتهاجى مع الفرزدق وغير الفرزدق.. أحصوا الشعراء الذين هاجاهم جرير فكانوا ثلاثة وأربعين.

قصة جرير وراعي الإبل النميري

في البصرة نصر الشاعر النميري الملقب براعي الإبل الفرزدق على جرير. وكانت قصة.

قد رويت هذه القصة في الإذاعة يوم أن اشتغلت في إذاعة، وكتبتها في مكان آخر، ولكنها طريفة. فهل تراقفني فيها؟ وأنا أكتبها هنا كتباً جديداً فراراً من معرة القص واللصق.

أراد جرير أن يوفر على نفسه عدوّاً جديداً. فوقف في مكان خالٍ بالمربد ينتظر انصراف «الراعي» من مجلسه الذي تعود أن يجلس فيه مع الفرزدق، ولم يرد جرير أن يراه أحد، ولا أن يواجه الراعي في المجلس.

وانصرف الراعي راكباً بغلة، ووراءه ابنه جندل يركب مهرأ. قال جرير للراعي: «يا أبا جندل، إنك شيخ مضر، وقد بلغني تفضيلك الفرزدق عليّ، فإن أنصفتني وفضلتني كنتُ أحق بذلك، لأنني مدحت قومك وهجاهم». ووضع جرير يده على عنق البغلة، وأردف: «الفرزدق ابن عمي، ولا عليك كلفة في أمري معه، وقد يكفيك من ذلك هين: أن تقول كلاهما شاعر كريم، فلا تحمل منه لائمة ولا مني».

سكت الراعي. ثم إذا بابنه جندل يلحق به، ويضرب عجز بغلته قائلاً: أراك واقفاً على كلب بني «كليب»، كأنك تخشى منه شراً أو ترجو منه خيراً. فرمحت البغلة جريراً، فوقعت قلنسوته عن رأسه. فتناولها. يقول جرير: «ما كانت القلنسوة بأغيب أمره إليّ، لو أنه عاج عليّ». ولكن الراعي مضى ولم يعج.

فانصرف جرير مُغضباً إلى بيت رجل من يربوع كان نازلاً عنده بالبصرة.

فلما صلى العشاء، قال أسرجوا لي، وارفعوا لي باطية نبيذ. وصعد إلى عليته مع صاحبه، ومعهما كتف للكتابة. وأخذ يهيمهم ويملي على صاحبه. «أُقْلِي اللوم عاذل والعتابن. . وقولي إن أصبت لقد أصابن» وكانت في جرير غنة، ينشد فكأنه يُدخل في حروفه نوناً. وسمى أهل اللغة هذه النون في تلك القصيدة نون الترنم.

أطلت امرأة على جرير فرأته عريان يحبو على أربع، فنزلت مسرعة وقالت: جُنَّ صاحبكم. فقالوا لها: دعيه فهذا شأنه عندما يأتيه الشعر. فلما بلغ جرير البيت: «فغض الطرف إنك من نمير. .» ظل يردد هذا الشطر طويلاً، فلصقت ذقن صاحبه ب صدره ونالته إغفاءة. وجرير يبحث في تلافيف عقله الشعري عن الشطر الثاني. ثم إذا به يقول «الله اكبر» ويكررها. فصحا صاحبه مذعوراً، فقال له: «اكتب «فلا كعباً بلغت ولا كلابا»، أخزيتة ورب الكعبة، وفضلت أخويه عليه».

ثم انطلق جرير إلى مكان الراعي والفرزدق في المربد، بعد أن استيقن أنهما أخذاً مجلسهما. ركب حصانه ووقف من غير أن يسلم، وانطلق ينشد قصيدته بأبياتها التي زادت عن الثمانين بيتاً. وعندما سمع الراعي القصيدة قال لقومه: اركبوا فقد فضحككم جرير. وساروا وسارت القصيدة. وكانوا كلما نزلوا بمكان وجدوا القصيدة قد سبقتهم.

تقول الأسطورة إن بني نمير أخذوا يظنون أن لجرير أشياء من الجن ينشرون شعره. ولكن الحق أن العرب كانت تتذوق الشعر، وأنه كان يسير ويضرب في الأرض. وقد تركت هذه القصيدة بني نمير يستحون من نسبتهم زمناً. وسميت القصيدة الدامغة، أي التي تصيب الدماغ.

رَجَعَ إِلَى جَرِيرِ الْهَجَاءِ

ما استبَّ شاعران منذ كان للعرب شعر مثلما استب جرير والفرزدق. على أن جريراً كان يهاجي سوى الفرزدق اثنين وأربعين شاعراً آخر، ويتفق النقاد على أنه لم يصمد لجرير سوى الفرزدق والأخطل.

وستجد جريراً يسب الأخطل بدينه، ولو كان الخلق مما يوزن به الشعر لسقط جرير بهذا سقوطاً. فالأخطل لم يكن يستطيع - إن هو أراد أصلاً - أن يتعرض للإسلام وهو شاعر خليفة المسلمين. فهنا كانت مروءة جرير ناقصة

نقصاً معيباً، وكانت مروءته ناقصة وهو يزعم أن أخت الفرزدق زانية، وكان جديراً بأولي الأمر في دولة بني أمية أن يكفوه عن مثل هذا، ولكنهم كانوا يتسلون، وكان يطيب لهم أن يؤججوا العداوة بين القبائل. على أن شاعرنا لقي تعزيراً من والي المدينة عندما لجع الهجاء بينه وبين عمر بن لجأ التيمي، فقد قيدا معاً ظهراً لظهر، وتركا في الشمس ساعات. ثم أفرج عنهما على ألا يعودا إلى التهاجي. فكف عمر، لكن جرير كان يستل الواحدة تلو الأخرى ويقول: هذه كانت قبل العهد.

وتولى الوليد بن عبد الملك الخلافة، ولجرير من العمر خمس وستون سنة، ووفد عليه جرير، وظن أن الخليفة الجديد يحب التآريث بين الشعراء كوالده وكعمه، فأطلق لسانه في شاعر الخليفة عدي بن الرقاع، فكاد الخليفة أن ينتقم من جرير بجعله مطية لعدي في ذلك المجلس، لولا أن تدخل عمر ابن الخليفة الوليد.

قتل الأسرى وسبي السبايا

استخلف الوليد عشر سنين لم يكن لجرير فيها حظوة. ثم تولى الخلافة سليمان. فمدحه جرير وحضر مجلسه. وكان له في مجلسه حكاية مع الفرزدق، فيها ما يؤلم. فقد جيء بأسرى الروم كي تضرب أعناقهم في مجلس سليمان. وقال الخليفة لكل من جرير والفرزدق: ليضرب كل منكما رقبة علع من هؤلاء. ضرب جرير رقبة أسير فقتله، وضرب الفرزدق بسيفه فبنا عن عنق الأسير. وكانت حادثة عبّره جرير بها في أكثر من قصيدة.

وقد قرأت قصة هذه الحادثة في كتب الأدب القديمة والحديثة مراراً كثيرة، ووجدتهم يروونها بكل طريقة، وينشدون ما قاله جرير وما رد به عليه الفرزدق من شعر. ولم أجد أحداً وقف متأملاً في هذه الوحشية البغيضة. بغيض أن يُقتل الأسرى، وبغيض أن يقتلهم الخليفة في مجلسه، وبغيض جداً أن يجعل قتلهم تسلية له ولشعرائه.

لا أشك في أن الروم في القسطنطينية كانوا يقتلون أسرى المسلمين، وأكاد أراهم يفعلون بهم مثلما يفعل المسلمون. ولست أشك لحظة في أن السبايا الروميات اللاتي ملأن قصور الخلفاء والأمراء والأغنياء، كانت توجد مقابلهن سبايا مسلمات يخدمن في قصور القسطنطينية وفي أسرة أثريائها. ولئن كان

المعتصم قد غزا الروم غزوة كبيرة انتقاماً لامرأة «هاشمية» جاءه أنها قالت: وامعتصماه، فإن المعتصم ومن قبله وبعده من الخلفاء لم يسمعوا صرخات سبايا المسلمين وهن يصرخن، ذلك أن السبايا من الطرفين كن من فتيات الفلاحين الفقراء على جانبي الحدود. ولعل آباءهن كانوا يقولون في أنفسهم فلتهب هذه البنت إلى المعسكر الآخر، ولتعش حياة أهنأ مما نعيشه هنا تحت سوط السلطان ندفع الخراج ونجوع. انتهى سوق العبر.

نورد هذا الكلام ونحن نرى قضية السبايا تتكرر ولكن في غياب الروم، تتكرر على نساء من أقوام ضعاف يتمسكون بطريقة عيشهم وبدينهم، نكتب هذا في آب من عام ألفين وخمسة عشر، ونرجو أن نتغير وأن نتنصف من ظلم العالم، وأن نكون منصفين. وتساأني: فلماذا تورد إذن هذا الشعر الذي يسقط في ميزان الأخلاق؟ فأقول هذا إرثنا الشعري، وأنفك منك وإن كان أجدع. وعيار الفن غير عيار الأخلاق.

وعهد سليمان بالخلافة لعمر بن عبد العزيز، ووفد عليه جرير، ولم ينل شيئاً، ولكنه رضي، ومدح عمر ورثاه عندما مات بعد سنتين من خلافته. وجاء هشام فمدحه جرير، ومدح ابنه، ونال العطايا وهو شيخ كبير.

ومات الفرزدق عن تسعين سنة، فشمت به جرير هنيهة وقال بيتاً ندم عليه، ثم رثاه مرتين، وقال: لا أعيش بعده طويلاً. ومات جرير بعد الفرزدق بأشهر. مات جرير بين أهله في اليمامة.

وصلنا شعر جرير بحالة طيبة.. نسبياً. فقد كان له من أولاده وبناته وأحفاده شعراء اهتموا بشعره ورووه. وعندما كتبه الكاتبون بعد عقود كان لديهم ما يستندون إليه من روايات شفهية، وربما أيضاً مخطوطة.

يمكننا أن نظمثن إلى معظم ما في ديوان جرير. ويقول لنا نقاد الشعر القدماء إن البيت الفلاني أو الفلاني نسب إلى جرير خطأ، لكنهم لم يقولوا قط إن الكثير من شعره منحول. هو شعره بعجره وبجهره. ولا تسلك كثيراً عن ترتيب الأبيات، فجرير كشعراء الجاهلية قبله يقفز من موضوع إلى موضوع، ومن غزل بأمامة إلى غزل بسليمة، ولو بدل الرواة في رواياتهم مواضع الأبيات لما أضروا بشعره كثيراً، بل ربما جبروا بعض ما فيه من خلل. في كثير من الأبيات عليك أن تشدد على نفسك في التأول حتى تخلص إلى معنى البيت، وقد عانينا من ذلك نصباً. كان شاعرنا يريك طرف المعنى، مثلما يريك جبل الجليل قمته،

ويترك الباقي في بطنه. كذا كان شعر القدماء، وعندما ستسطع أضواء العصر العباسي سنجد الشعر أكثر تماسكاً، والمعنى أكثر التصاقاً بالمفردات، وأكثر التزاماً بقواعد النحو.

لا تنس وأنت تطالع شعر جرير الذي انتخبناه لك، وهو زبدة الزبدة، أن تلتقط أبيات الفكاهة، وفكاهة جرير حارة وجميلة. وقد سودنا لك أبياتاً هنا وهناك حتى نتشارك في الاستمتاع بها. وقد يكون لك رأي غير رأينا في أي الأبيات أجمل. اذهب واصنع مختاراتك أنت. فأما هذه فمختاراتي.

عن جرير قالوا الكثير، هو يغرف من بحر، وهو أستاذ الشعراء في الإسلام، الخ. ذلك تجده بأيسر سبيل في كل كتاب وكل موقع. ولم نكتبه لك. كتبنا لك رؤيتنا نحن لشعر جرير وحياته. ولم نخترع شيئاً؛ وكنا في سياقة حياة شعراء غيره نخترع ونكمل القصة من عندنا، مع الاعتراف بذلك قياماً بحق الأمانة. وتبقى في حياة جرير أمور تضطرب فيها كلمة مؤرخي الشعر، يزدون سنة أو سنتين في تاريخ ميلاده، ووفاته، ويروون حكاياته بروايات تتقارب وتتباعد.

سلق الأكاديميين

قد عهدتنا نسلق الأكاديميين ببعض الأسطر في كل مرة نتناول فيها شاعراً. قد شرح ديوان جرير إيليا الحاوي لطلابه، ولم يكن رديئاً. واستند تماماً إلى نسخة كرم البستاني. ولم يشرح ما عجز عن شرحه ولم يقل لنا ذلك. ووجدنا نسخة الصاوي بغير شرح. وجاء أكاديمي بأخرة فطبع الديوان في ألف صفحة عن نسخة شارح قديم، ولم يكن شرحُ الشارح القديم كافياً، فقد ترك من الأبيات أكثر مما شرح. على أن الأكاديمي الأخير كسل عن تشكيل كثير من الكلمات. وأشعرنا بالاستسهال، رغم الجهد الذي بذله. ولو رأى ما صنع الأب صالحاني بنقائض جرير والأخطل لتضائل وعزف عن الوقوف أمام المرأة زمناً، هذا لو كان فيه حياء.

ديوان جرير ينتظر محققاً لا يستسهل.

فإن أردنا أن نعتذر لمن أصدروا الديوان بعذر فهو إقرارنا بأن ما صنعناه أيسر بكثير مما كان عليهم أن يصنعوه، فنحن انتخبنا من ذلك الشعر ما راق لنا وما فهمناه، ولو أقدمنا على الديوان كله لربما كان بدا من عجزنا ما بدا من عجزهم.

وننظر حولنا فنرى مئات الجامعات في العالم العربي، وبها مئات كليات الأدب العربي، فماذا نرى؟ نرى أساتيد نزلت بهم هممهم عن رتبة الإتقان، وتنطحوا لكتابة أسمائهم على أغلفة الدواوين، وهم يتكثرون في مقدماتهم بفضول القول في مدح النفس، ويتنطعون ما وسعهم بأنهم يخدمون التراث، وقد ترى أحدهم يتلمظ بركيك العبارة ويتمطق بسقيم الكلام وهو ينبثق بأنه ينافح عن العروبة والإسلام. ويصنع لهم طلبتهم رسائل دكتوراه تافهة عن الجانب الفلاني أو الفلاني في شعر فلان أو فلان، فتأتي رسائلهم وقد انحطت دركة عن مستوى أساتذتهم، ويذهب الطلبة فرحين بهذه الأسقاط إلى المطابع، فيجعلونها كتباً تشوه واجهات المكتبات، ثم ينصرفون إلى التدريس الجامعي لكي يتخرج على أيديهم جيل ينحط دركة أخرى عنهم، فيكون كالدرهم المسيح، أو كالكتاب المسروق بالأوفست صورة عن صورة.

١ زينب

لَقَدْ هَتَفَ الْيَوْمَ الْحَمَامُ لِيُطْرِبَا وَعَنَى طِلَابُ الْغَنَائَاتِ وَشَيْبَا
صَوْتُ الْحَمَامِ لِيُطْرِبَ (لِيُحْزِنَ)، فَقَدْ عَنَانِي (أَوْجَعَنِي) طِلَابُ الْغَنَائَاتِ (تَتَبَعَ الْحَسَانَ) وَشَيْبَ رَأْسِي
وَأَحْبَبْتُ أَهْلَ الْعَوْرِ مِنْ حُبِّ ذِي فَنَاءَ وَأَحْبَبْتُ سُلَمَانِينَ مِنْ حُبِّ زَيْنَبَا

٢ إخضاع العفاريت

وَكَائِنُ بِالْأَبَاطِحِ مِنْ صَدِيقٍ يَرَانِي لَوْ أَصْبَحْتُ هُوَ الْمَصَابَا
وَكَائِنُ (وَرُبُّ) صَدِيقٍ فِي الْأَبَاطِحِ يَتَوَجَّعُ لِمَصِيبَتِي كَانَهَا أَصَابَتُهُ

وَمَسْرُورٍ بِأَوْبِنَا إِلَيْهِ وَآخِرَ لَا يُحِبُّ لَنَا إِيَابَا
وَرُبَّ مَسْرُورٍ بِرُجُوعِنَا، وَآخِرَ لَا يَتَمَنَّى لَنَا رُجُوعاً

صَبَّرْتُ النَّفْسَ يَا ابْنَ أَبِي عَقِيلٍ مُحَافَظَةً فَكَيْفَ تَرَى الثُّوبَا
صَبَّرْتُ نَفْسَكَ (صَبَّرْتُهَا) أَيُّهَا الْحَجَّاجُ بْنُ يُوسُفَ بْنِ الْحَكَمِ بْنِ أَبِي عَقِيلٍ مُحَافَظَةً (حِفَافاً عَلَى الشَّرَفِ) فَهَلْ تَرَى كَيْفَ كَانَ النَّصْرُ ثَوَابَكَ

وَلَوْ لَمْ يَرْضَ رَبُّكَ لَمْ يُنْزَلْ مَعَ النَّصْرِ الْمَلَائِكَةُ الْغَضَابَا
نَصَرَكَ اللَّهُ بِالْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ غَضِبُوا لِلشَّرَفِ وَالدين، وَهَذَا دَلِيلُ رِضَا اللَّهِ. (فَالْحَجَّاجُ هَدَمَ جَانِباً مِنْ الكعبة بالمنجنيق، فكان لا بد للشاعر المنافق من أن يزوده بصك غفران من ملائكة تقاتل معه)

إِذَا سَعَرَ الْخَلِيفَةُ نَارَ حَرْبٍ رَأَى الْحَجَّاجَ أَثْقَبَهَا شِهَابًا

سعر: أوقد، أثقبها: أشدها اشتعالاً، الشهاب: الشعلة من اللهب

عَفَارِيثُ الْعِرَاقِ شَفِيَتْ مِنْهُمْ فَأَمْسَوْا خَاضِعِينَ لَكَ الرُّقَابَا

شفيت نفوسنا من عفاريت العراق (الشياطين الخارجين على الدولة كالخوارج)، فخضعت رقابهم لك

وَقَالُوا لَنْ يُجَامِعَنَا أَمِيرٌ أَقَامَ الْحَدَّ وَاتَّبَعَ الْكِتَابَا

كانوا يقولون لن يجمعنا البلد مع أمير يقيم حدود الله ويتبع كتابه..

إِذَا أَخَذُوا، وَكَيْدُهُمْ ضَعِيفٌ، بَابٍ يَمْكُرُونَ فَتَحَتْ بَابَا

فأصبحوا كلما دخلوا باباً للفتنة فتحت لهم باباً من الدهاء، وفي النتيجة كان كيدهم ضعيفاً

وَأَشْمَطَ قَدْ تَرَدَّدَ فِي عَمَاهُ جَعَلَتْ لِشَيْبٍ لِحْيَتِهِ خِضَابَا

ورب رجل أشمط (اختلط سواد شعره بياض) يروح ويحي في ضلاله، وقد خضبت (صبغت) لحيته بدمه، (وذلك هو عمير بن ضابئ البرجمي، الذي كان دخل على عثمان يوم قتل وداسه، قتله الحجاج سنة ٧٥هـ)

٣ أنا والغواني

نَعَبَ الْغُرَابُ فَمَا لَهُ مِنْ مَطْلَبٍ مَا شِئْتَ إِذْ طَعَنُوا لِبَيْنٍ فَانْعَبِ

صوت الغراب ولا مطلب (غاية) له لأن صوته نذير برحيلهم، وهم الآن قد طعنوا (رحلوا) فعلاً، فصوت كما تشاء

إِنَّ الْغَوَانِيَّ قَدْ قَطَعْنَ مَوَدَّتِي بَعْدَ الْهَوَى وَمَنْعَنْ صَفْوِ الْمَشْرِبِ

وإذا وعدتك نائلاً أخلفته وجعلن ذلك مثل برقي الخلب

النائل: ما يناله المرء، برق الخلب: برق السحاب الخادع، يشر بمطر ولا يأتي مطر

٤ كل واشرب

فَإِنَّكَ يَا خِنْزِيرَ تَغْلِبَ إِنْ تَقُلْ رَبِيعَةً وَزَنْ مِنْ تَمِيمٍ تُكَذِّبِ

أبا مالِكٍ لِلْحَيِّ فَضْلٌ عَلَيْكُمْ فَكُلْ مِنْ خَنَانِيصِ الْكِنَاسَةِ وَاشْرَبِ

الخنانيص: صغار الخنازير، كل لحم الخنزير واشرب الخمر. أو أنه جعل «واشرب» مجرد لاحقاً لـ «كُل»!

٥ وظيفة المكارم

لَقَدْ عَلِمَ الْفَرَزْدَقُ أَنَّ قَوْمِي يُعْدُونَ الْمَكَارِمَ لِلْسَّبَابِ

نحن ندخر المكارم لكي نرد بها على من يسبنا

إِذَا عَدَّتْ مَكَارِمَهَا تَمِيمٌ فَخَرَّتْ بِمِرْجَلٍ وَبِعَقْرِ نَابٍ

كل فخرك وسط قبيلة تميم هو مرجل (موقد الحداد)، وأن أجدادك كانوا يعقرون النيب (يذبحون النياق).. وكان أبو الفرزدق قد تعاقر مع أحدهم (أي تبارى معه أيهما يذبح نياقاً أكثر) فعقر مئة ناقة وقيل أكثر، والتعاقر تفاخراً مما نهى عنه الإسلام، فلئن كان العقر للضيف وللجوعى محموداً فالتعاقر مذموم

وَسَيْفُ أَبِي الْفَرَزْدَقِ قَدْ عَلِمْتُمْ قَدْوَمٌ غَيْرُ ثَابِتَةٍ النَّصَابِ

سيف أبيك مثل القدوم (المطرقة) الجرج ذي البد القلقة. يهجوهم بأنهم أهل صناعة لا حرب، وكان الفرزدق جرب سيفه في أسير عند الخليفة فلم يقطع

أَمَّا يَدْعُ الزُّنَاءُ أَبُو فِرَاسٍ وَلَا شُرْبُ الْخَبِيثِ مِنَ الشُّرَابِ

وَلَا مَثُ فِي الْحُدُودِ وَعَاتَبْنُهُ فَقَدْ يَسِسَتْ نَوَارُ مِنَ الْعِتَابِ

لامته زوجته نوار في التعدي على حدود الله، ولكنها يثبت منه

٦ ليست عنكبوتة

قَدْ تَيَّمَ الْقَلْبَ حَتَّى زَادَهُ خَبَلًا مَنْ لَا يُكَلِّمُ إِلَّا وَهُوَ مَحْجُوبٌ

الخبيل: الهوس

تَمَثَّ إِلَى حَسَبٍ مَا فَوْقَهُ حَسَبٌ مَجْدًا، وَزَيْنَ ذَاكَ الْحُسْنُ وَالطَّيِّبُ

تَبْدُو فَتُبْدِي جَمَالًا زَانَهُ خَفَرٌ إِذَا تَزَارَّاتِ السُّودُ الْعَنَاكِيْبُ

الخفر: الحياء، تزارأت: مشيت مسرعة واختبأت. فهي امرأة حياء تمشي ويثداً، وليست كالقبيحات اللاتي يشبهن العناكب السود منظرًا وحركة

٧ صراصير وقنافذ

أَمَّا صُبَيْرٌ فَإِنْ قُلُوا وَإِنْ لَوْمُوا فَلَسْتُ هَاجِيَهُمْ مَا حَنَّتِ النَّيْبُ

قبيلة صبير مذمومة بقلة العدد وباللؤم، ومع ذلك لن أهجومهم ما دامت النيب (النياق) تصدر صوت «الحنين».. أي أبداً

أَمَّا الرِّجَالُ فَجِعْلَانُ، وَنِسَوْتُهُمْ مِثْلُ الْقَنَافِذِ لَا حُسْنَ وَلَا طِيبُ

جعلان: صراصير

٨ داء الركبتيين

قال لسليمان بن سعد صاحب ديوان العطاء باليمامة، وقد منعه بعض رزقه:

لَقَدْ كَانَ ظَنِّي يَا ابْنَ سَعْدٍ سَعَادَةً وَمَا الظَّنُّ إِلَّا مُخْطِئٌ وَمُصِيبٌ
نَرَكْتُ عِبَالِي لَا قَوَاكِمَ عِنْدَهُمْ وَعِنْدَ ابْنِ سَعْدٍ سُكْرٌ وَزَبِيبٌ
تَحْتَى الْعِظَامُ الرَّاجِفَاتُ مِنَ الْبَلَى وَلَيْسَ لِدَاءِ الرُّكْبَتَيْنِ طَبِيبٌ

التوت عظامي المرتعشة من البلى (الاهتراء). رحم الله أمي، اشتكت ركبتيها طويلاً، ولم يكن عمرها يسمح بتركيب ركبتيين صناعيتين، وكنت كلما سمعت شكواها أتذكر هذا البيت اللعين، ولم أقله لها بالطبع، وكانت إحدى قريباتي تمد كفيها ناظرة إلى أصابعها وتقول: لعنة الله على الكبر، انظروا كيف تنقوس الأصابع

مَنَعَتْ عِطَائِي يَا ابْنَ سَعْدٍ وَإِنَّمَا سَبَقَتْ إِلَيَّ الْمَوْتُ، وَهُوَ قَرِيبٌ
فَإِنْ تُرْجِعُوا رِزْقِي إِلَيَّ فَإِنَّهُ مِتَاعٌ لَيَالٍ، وَالْحَيَاءُ كَذُوبٌ

٩ طلبك ليس عندنا

قال لجارية ابتاعها، وكانت قبله عند «زيد» الثري:

تُكَلِّفُنِي مَعِيشَةَ آلِ زَيْدٍ وَمَنْ لِي بِالصَّلَاتِ وَالصَّنَابِ
الصلائق: رقائق اللحم المشوي، الصناب: إدام من خل وزبيب

وَقَالَتْ لَا تَضُمُّ كَضْمَ زَيْدٍ وَمَا ضَمِّي وَلَيْسَ مَعِيَ شَبَابِي
تريده أن يضمها (المهذبون من الشراح قالوا بل الضم هو القيام بأمر البيت لا غير، ويقصّر شرحهم دون الشطر الثاني)

١٠ أخاف عليك

أَبْنِي حَنِيفَةً أَحْكِمُوا سَفَهَاءَكُمْ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ أَغْضَبَا
أَبْنِي حَنِيفَةً إِنَّنِي إِنْ أَهْجُكُم أَدْعُ الْيَمَامَةَ لَا تُوَارِي أَرْزَبَا
اليمامة: منطقة بني حنيفة في نجد، وكان يقيم بها قوم من تميم منهم جرير، وباليمامة ولد

١١ كدت أبوح

أَلَا حَيَّ لَيْلَى إِذْ أَجَدَّ اجْتِنَابُهَا وَهَرَكَ مِنْ بَعْدِ اثْتِلَافٍ كَلَابُهَا
نحية ليللى وقد جدّ علينا هجرانها لنا، وصارت كلابها تهرنا (تنبخنا) بعد أن كانت تألفنا لكثرة زيارتنا

إِذَا ذُكِرَتْ لِلْقَلْبِ كَادَ لِذِكْرِهَا يَطِيرُ إِلَيْهَا، وَاعْتَرَاهُ عَذَابُهَا
فَهَلْ مِنْ شَفِيعٍ أَوْ رَسُولٍ بِحَاجَةٍ إِلَيْهَا، وَإِنْ صَدَّتْ وَقَلَ ثَوَابُهَا
ثَوَابُهَا: عطاؤها، وصلها

بَأَنَّ الصَّبَا يَوْمًا بِمَنْعِجٍ لَمْ يَدْعُ عَزَاةً لِنَفْسٍ مَا يُدَاوَى مُصَابُهَا
هل من رسول يقول لها إن الصَّبَا (الشوق لزمان الصبا وللشوق) لم يترك لنا في «منعج» ما نعزي به
أنفسنا المصابة بعشق لا دواء له

وَيَوْمًا بِسُلْمَانِينَ كَذْتُ مِنَ الْهَوَى أَبُوحُ، وَقَدْ زُمْتُ لِبَيْنِ رِكَابِهَا
كدت لفرط الهوى أبوح بحبها عندما زُمت (هَيئت) ركايبها (نياقتها وعليها رحالها) للبين (الرجل)

حَمَى أَهْلُهَا مَا كَانَ مِنَّا فَاصْبَحَتْ سِوَاءَ عَلَيْنَا نَائِبُهَا وَاقْتِرَابُهَا
حمى (منع) أهلها ما كان بيننا من وصل، فصار ابتعادها واقترابها سيات

أَبَا مَالِكٍ مَالَتْ بِرَأْسِكَ نَشْوَةٌ وَبِالشِّبْرِ قَتْلَى لَمْ تَطْهَّرْ ثِيَابُهَا
يخاطب الأخطل: مالت برأسك نشوة السكر، بينما في «الشبر» قتلى من قبيلتك تغلب لم تكفن
وتغسل من دمائها بعد

فَإِنَّ نَدَامَاكَ الَّذِينَ خَذَلْتَهُمْ تَلَاَقَتْ عَلَيْهِمْ خَيْلُ قَيْسٍ وَغَابُهَا
من كانوا ينادمونك وخذلتهم تعرضوا لخيل قيس وغابها (رامحها)

ظَلَلْتَ تَقِيءُ الْخَنْدَرِيسَ، وَتَغْلِبُ مَعَانِيْمُ يَوْمَ الْبَشْرِ يُخَوِّى نَهَايُهَا
الخندريس: الخمر، يوم البشر: وقعة كانت لبني سليم، من قيس، على بني تغلب رهط الأخطل،
الغنائم

لَقَدْ تَرَكْتُ قَيْسَ دِيَاراً لَتَغْلِبُ طَوِيلًا بِشِطِّ الرَّابِيعِينَ خَرَابُهَا
الزبايان: الزاب الصغير والزاب الكبير، رافدان لدجلة

عَجِبْتُ لِفَخْرِ التَّغْلِبِيِّ وَتَغْلِبُ تُؤَدِّي جِزَى النَّيْرُوزِ خُضْعًا رِقَابُهَا
جزي النيروز: ضريبة قديمة كان يفرضها الفرس والرومان على من يحتفلون بعيد الربيع، وفرضت
في العصر الأموي غير أن عمر بن عبد العزيز ألغاهما

أَيَفْخَرُ عَبْدٌ أُمُّهُ تَغْلِبِيَّةٌ قَدْ اخْضَرَ مِنْ أَكْلِ الْخَنَانِيصِ نَائِبُهَا
أنفخر أيها الأخطل العبد، وأمك تغلبية اسودت أسنانها لكثرة ما أكلت لحوم الخنايص
(والخنوص: صغير الخنزير). كانوا في القديم ربما عبروا بالخضرة عن السواد

عَلِيْظَةُ جِلْدِ الْمِنْخَرَيْنِ مُصِنَّةٌ عَلَى أَنْفِ خِنْزِيرٍ يُشَدُّ نَقَابُهَا
هي فطساء، مصنة (كربهة الرائحة)، وأنفها أنف خنزير

أَبَا مَالِكٍ لَيْسَتْ لِتَغْلِبَ نَجْوَةٌ إِذَا مَا بُحُورُ الْمَجْدِ عَبَّ عُبَابُهَا
 لَنْ تَنْجُو تَغْلِبَ مِنْ تَدْفِقُ بِحُورِ الْمَجْدِ الَّذِي لِلْقَبَائِلِ الْآخَرَى وَتَغْلِبَ لَا تَمْلِكُ مِنْهُ شَيْئاً
 كَذَلِكَ أَعْطَى اللَّهُ قَيْساً وَخُنْدِفاً خَزَائِنَ لَمْ يُفْتَحْ لِتَغْلِبَ بِأُوبِهَا
 خندف: شعب كبير منهم تميم قبيلة جرير

١٢ نَفث الشوارب

يَا تَيْمُ مَا خَطَبَ الْمَلُوكُ بَنَاتِكُمْ رِيحُ الْخَنَافِسِ فِي مُسُوكِ ضِبَابِ
 رائحة بناتكم كرائحة الخنافس، وهن في مسوك ضباب (في جلود حيوان الضب) أي يشبهن الضباب
 قَوْمٌ إِذَا حَضَرَ الْمُلُوكَ وَفُودُهُمْ نُتِفَتْ شَوَارِبُهُمْ عَلَى الْأَبْوَابِ

١٣ وطء الجبين

وَنَعْرِفُ حَقَّ النَّازِلِينَ وَلَمْ تَزَلْ فَوَارِسُنَا يَحْمُونَ قَاصِيَةَ السَّرْبِ
 نضيف من ينزل بنا، وفرساننا يفرضون حمايتهم على قاصية السرب (الطريق النائية)
 عَلَى مُقَرَّبَاتِ هُنَّ مَعْقِلٌ مِنْ جَنَى وَسَمُّ الْعِدَى وَالْمُنْجِيَاتِ مِنَ الْكَرْبِ
 وفرساننا يركبون مقربات (خيول تكون قريبة دوماً ومهيأة للركوب) وهي معقل (حصن) من جنى
 جناية واحتمى بنا، وهي سم في حلق الأعداء، وتنجينا من اعتداءاتهم
 أَلَا رَبُّ جَبَّارٍ وَطِئْنَ جَبِينَهُ صَرِيْعاً، وَنَهَبَ قَدْ حَوَيْنَ إِلَى نَهَبِ
 النهب: الغنيمة

١٤ قواف تلتهب التهابا

لَقَدْ طَرِبَ الْحَمَامُ فَهَاجَ شَوْقاً لِقَلْبٍ مَا يَزَالُ بِكُمْ مُصَابَا
 بِنَفْسِي مَنْ أَزُورُ فَلَا أَرَاهُ وَيَضْرِبُ دُونَهُ الْحَدْمُ الْحَجَابَا
 بنفسي: أفدي بنفسي

أَخَالِدَ لَوْ سَأَلْتُ عَلِمْتَ أَنِّي لَقِيتُ بِحُبِّكَ الْعَجَبَ الْمُعْجَابَا
 أخالد: يا خالدة، وهي زوجته أم حزرة

سَتَظْلَعُ مِنْ دُرَى شُعْبَى قَوَافٍ عَلَى الْكِندِيِّ تَلْتَهَبُ التَّهَابَا
 ستخرج من قمم شعبي قواف (قصائد) في هجاء «العباس بن يزيد الكندي» الذي يسكن هناك

١٥ فغض الطرف

قال يهجو «الراعي النميري»، وسميت القصيدة بالدائمة، وقصصنا قصتها في مقدمة هذا الباب:

أَقْلِي اللَّوْمَ عَاذِلَ وَالْعِتَابَا وَقُولِي إِنْ أَصَبْتُ لَقَدْ أَصَابَا
أَقْلِي (قُلِّي) يَا عَاذِلَ مِنْ لَوْمِكَ، وَاَعْتَرَفِي لِي بِالصَّوَابِ حِينَ أَقُولُ صَوَابًا

أَجِدُّكَ مَا تَذْكُرُ أَهْلَ نَجْدٍ وَحَيًّا طَالَمَا انْتَظَرُوا الْإِيَابَا
يُخَاطَبُ نَفْسَهُ: أَجِدُكَ يَا جَرِيرُ (بِرِّيكَ) أَلَا تَتَذَكَّرُ أَهْلَ نَجْدٍ، وَذَلِكَ الْحَيُّ (الْقَوْمُ) الْمُنْتَظَرِينَ عَوْدَتَكَ.. قَالَ جَرِيرُ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ وَهُوَ بِالْبَصْرَةِ، وَلَعَلَّهُ فَعَلًا مُشْتَاقٌ إِلَى مَوْطِنِهِ بِنَجْدٍ

وَهَاجَ الشُّوقُ لَيْلَةً أَذْرَعَاتٍ هَوَىٰ مَا تَسْتَطِيعُ لَهُ طِلَابَا
الشُّوقُ هَاجَ (هَيَّجَ وَأَيْقَظَ) فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ بِأَذْرَعَاتٍ (دَرَعَا فِي حُورَانِ الشَّامِ) عَشْقًا مُسْتَحِيلًا لَا يُمْكِنُكَ السَّعْيُ وَرَاءَهُ

وَوَجِدٍ قَدْ طَوَّيْتُ يَكَاذَ مِنْهُ ضَمِيرُ الْقَلْبِ يَلْتَهُبُ النَّهَابَا
رَبِّ وَجَدَ كَتَمْتَهُ يَكَاذُ يَحْرِقُ قَلْبِي

أَبَاخْتُ أُمَّ حَزْرَةَ مِنْ فَوَادِي شِعَابَ الْقَلْبِ، إِنَّ لَهُ شِعَابَا
وَلَا تَمْشِي اللَّثَامُ لَهَا بِسِرٍّ وَلَا تُهْدِي لِجَارَتِهَا السَّبَابَا
أَبَى لِي مَا مَضَى لِي فِي تَمِيمٍ وَفِي فَرْعِي خَزِيمَةً أَنْ أَعَابَا
كَأَنَّ بَنِي طَهْيَةَ رَهْطَ سَلَمَى حِجَارَةً خَارِيٍّ يَرْمِي كِلَابَا

بَنُو طَهْيَةَ هَؤُلَاءِ - وَكَانَ شَاعِرٌ مِنْهُمْ خَطَبَ ابْنَةَ عَمِّهِ «سَلَمَى» وَلَكِنْ أَبَاهَا زَوْجَهَا مِنْ غَيْرِهِ فَمَضَى إِلَيْهَا وَقَتْلَهَا - نَاسٌ قَمِيثُونَ أَشْكَالَهُمْ عَجِيبةٌ غَيْرُ مُتَنَاسِقَةٍ، فَكَأَنَّهُمْ تِلْكَ الْحِجَارَةُ الَّتِي يَرْمِي بِهَا رَجُلٌ قَعْدَ الْفَرْصَاءِ يَقْضِي حَاجَتَهُ فَنَبَحَتُهُ كِلَابٌ وَاقْتَرَبَتْ فَأَخَذَ يَرْشُقُهَا بِهَا. هَذِهِ صُورَةُ جَرِيرِيَّةٍ أَقْشَعَتْ مِنْهَا أَبْدَانُ بَنِي طَهْيَةَ كَثِيرًا

فَلَا وَأَبِيكَ مَا لَا قِيَتَ حَيًّا كَيَّرَبُوعٍ إِذَا رَفَعُوا الْعُقَابَا
لَنْ تَجِدَ مِثْلَنَا، آلُ يَرْبُوعٍ، عِنْدَمَا نَرْفَعُ الْعُقَابَ (رَايَةَ الْحَرْبِ)

لَنَا تَحْتَ الْمَحَامِلِ سَابِغَاتُ كَنَسَجِ الرِّيحِ تَطَّرِدُ الْحَبَابَا

نَرْتَدِي دُرُوعًا سَابِغَةً (كَاسِيَةً طَوِيلَةً) تَبْلُغُ إِلَى مَا تَحْتَ مَحَامِلِ السِّيُوفِ (مَكَانَ تَعْلِيقِ السِّيُوفِ عِنْدَ الْجَنْبِ) وَهِيَ مَنْسُوجَةٌ مِنْ زَرْزَرٍ كَأَنَّمَا هِيَ سَطْحُ الْمَاءِ الْمَتَكَّرِ وَقَدْ مَرَّتِ الرِّيحُ فَوْقَ جَدُولِهِ وَأَخَذَتْ تَسْحَبُ مِنْ عَلَى السَّطْحِ الْحَبَابَ (الْفَقَاقِيعَ)

وذي تاجٍ له خَرَزَاتُ مُلْكٍ سَلْبَنَاهُ السُّرَادِقُ وَالْحِجَابَا
رب ملك صاحب تاج مرصع قد سلبناه خيمته الكبيرة ومستوره

أَعَدَّ اللَّهَ لِلشُّعْرَاءِ مِنِّي صَوَاعِقَ يَخْضَعُونَ لَهَا الرُّقَابَا
قَرَنْتُ الْعَبْدَ عَبْدَ بَنِي نُمَيْرٍ مَعَ الْقَيْنَيْنِ إِذْ غُلِبَا وَخَابَا
قرنت الراعي الشاعر مع القينين (الحداين، وهما البيت والفرزدق)

أَلَمْ تَرَ أَنَّ جِعْثَنَ وَسَطَ سَعْدٍ تُسَمَّى بَعْدَ فِضَّتِهَا الرُّحَابَا
ألم ترى يا فرزدق أن أختك «جعثن» صارت تُلقب عند بني سعد بالرحاب (الواسعة) بعد أن
اقتضها منهم ذلك الرجل عمران بن مرة. وكان هذا الرجل قد اعترض أخت الفرزدق ونزع ثوبها،
فاستنجدت بقومها فهرب الرجل ولما يفعل شيئاً، ولكن جرير في مواضع كثيرة يعبر الفرزدق
بالحادثة ويزعم المزاعم

تَرَى بَرَصاً بِمَجْمَعِ أَسْكَنِيهَا كَعْنَفَقَةِ الْفِرْزَدِقِ حِينَ شَابَا
يرى المرء بمجمع (مكان اللقاء) أَسْكَنِيهَا (شفري فرجها) بياضاً كأنه البرص وهو يشبه عنفقة
الفرزدق (الشعر الذي تحت شفته) حين شاب

أَتَلْتَمِسُ السَّبَابَ بَنُو نُمَيْرٍ فَقَدْ وَأَبِيهِمْ لَأَقْوَا سَبَابَا
أَجْنَدُلُ مَا تَقُولُ بَنُو نُمَيْرٍ إِذَا مَا الْأَبْرُ فِي اسْتِ أَبِيكَ غَابَا
ويحتاج البيت إلى نقطة في مكان ما حتى يستقيم معناه. وجندل هو ابن الشاعر المهجو، وكان قد
أهان جريراً في قصة طويلة، ذكرناها في المقدمة

وَلَوْ وَزَنْتُ حُلُومَ بَنِي نُمَيْرٍ عَلَى الْمِيزَانِ مَا وَزَنْتُ ذُبَابَا
فَغَضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ فَلَا كَعْباً بَلَفْتَ وَلَا كِلَابَا
عبقرية البيت بساطته. كعب وكلاب ونمير أبناء عمومة، وكل ما فعله جرير أنه فضل كعباً وكلاباً
على نمير، والمفاضلة عند القدماء هي الهجاء «المقذع»

فَيَا عَجَبِي أَتَوَعِدُنِي نُمَيْرٌ بِرَاعِي الْإِبِلِ يَحْتَرِشُ الضُّبَابَا
أتهددني نمير بشاعرها «راعي الإبل» - وهذا لقبه لكثرة وصفه للإبل - هذا الذي يحترش الضباب
(يصيد حيوان الضب مخرجاً إياه من جحره)

إِذَا نَهَضَ الْكِرَامُ إِلَى الْمَعَالِي نَهَضَتْ بِعُلْبَةٍ وَأَثَرَتْ نَابَا
يا راعي الإبل إذا فعل الكرام ما يكسيهم حمداً، فأنت تأخذ العلية (قصعة من جلد أو خشب
يحبون بها) وأقمت ناباً (ناقة) باركة كي تحلبها

إِذَا غَضِبَتْ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ حَسِبْتَ النَّاسَ كُلَّهُمُ غَضَابَا

١٦ البازي والحباريات

أنا البازي المَطْلُ على نُمَيْرٍ على رَغَمِ الْأُنُوفِ الرَّاغِمَاتِ
إِذَا سَمِعْتَ نُمَيْرٌ مَدَّ صَوْتِي حَسِبْتُهُمْ نِسَاءً مُنْصِتَاتِ
رَجَوْتُمْ يَا بَنِي وَقَبَانَ مَوْتِي وَأَرْجُو أَنْ تَطُولَ لَكُمْ حَيَاتِي
إِذَا اجْتَمَعُوا عَلَيَّ فَخَلَّ عَنْهُمْ وَعَنْ بَازٍ يَصُكُّ حُبَارِيَاتِ

يشبه نفسه بالصقر قد انفرد بطيور الحبارى فهو يصكها صكاً قبل أن يلتقط طيراً منها ويصيده،
لست على يقين إن كان الصقر يفعل هكذا، لكن جرير رأى نفسه بازياً وسط ثلاثة وأربعين شاعراً
اجتمعوا عليه ينهشونه فتنف ريشهم

١٧ نخاف ثم ننسى

نُرْوَعْنَا الْجَنَائِزُ مُقْبِلَاتٍ فَنَلْهُو حِينَ تَذْهَبُ مَذِيرَاتِ
كَرَوَعَةٍ هَجْمَةٍ لِمَغَارٍ سَبْعٍ فَلَمَّا غَابَ عَادَتْ رَاتِعَاتِ
نخاف من الموت خوفاً هجمة (قطيع) لمغار سبع (الإغارة سبع)، فلما انصرف عادت راتعة ترعى

١٨ رثاء الفرزدق

فَلَا حَمَلْتُ بَعْدَ الْفَرَزْدَقِ حُرَّةً وَلَا ذَاتُ حَمْلٍ مِنْ نِفَاسٍ تَعَلَّتِ
لَا حَمَلْتُ بَعْدَكَ النِّسَاءَ، وَلَا تَعَلْتُ (قامت سالمة) امرأة نساء، لأنهن لن ينجبن مثلك
هُوَ الْوَاقِدُ الْمَجْبُورُ، وَالرَّائِقُ الثَّأِي إِذَا التَّعْلُ يَوْمًا بِالْعَشِيرَةِ زَلَّتِ
كان الفرزدق الوافد على الملوك الذي يجبرون كسره (يعطونه مالا لأهله)، وهو الرائق الثأى (الذي
يصلح الخرق) عندما تزل النعل (تقع أزمة) بالعشيرة

١٩ صولة الحجاج

قُلْ لِلْجَبَانِ إِذَا تَأَخَّرَ سَرِجُهُ هَلْ أَنْتَ مِنْ شَرِّكَ الْمَنِيَّةِ نَاجٍ
تأخر سريجه: إذا تأخر بحصانه في الخروج إلى القتال
مَنْ سَدَّ مُطْلَعَ النَّفَاقِ عَلَيْهِمْ؟ أَمْ مَنْ يَصُولُ كَصَوْلَةِ الْحَجَّاجِ؟
من سد على المنافقين المطلع (الموضع العالي) الذي يشرف منه المقاتلون على العدو؟ ومن يصول
ويهجم هجوم الحجاج؟

أَمْ مَنْ يَغَارُ عَلَى النِّسَاءِ حَفِيزَةً إِذْ لَا يَشُقُّنَ بِغَيْرَةِ الْأَزْوَاجِ
حفيزة: حفاظاً على الشرف

٢٠ أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا؟

قال يمدح عبد الملك بن مروان:

أَتَضَحُّو؟ بَلْ فَوَإِذَاكَ غَيْرُ صَاحٍ عَشِيَّةَ هَمٍّ صَحْبُكَ بِالرَّوَّاحِ
يخاطب نفسه عشية رحيل صجبه (أهل محبته!)

يَقُولُ الْعَاذِلَاتُ عَلَاكَ شَيْبٌ. أَهَذَا الشَّيْبُ يَمْنَعُنِي مَرَاحِي
تَعَزَّتْ أُمُّ حَزْرَةَ ثُمَّ قَالَتْ: رَأَيْتُ الْوَارِدِينَ ذَوِي امْتِيَا ح
تعزت (وجدت العزاء والتسرية عن النفس) أم حزرة (زوجه) قائلة إنها ترى الذين يردون الخليفة
ذوي امتياح (ناقلين العطاء)

تُعَلِّلُ وَهِيَ سَاغِبَةٌ بَنِيهَا بِأَنْفَاسٍ مِنَ الشَّيْبِ الْقَرَّاحِ
تصبر أولادها وهي ساغبة (جائعة) بسقيهم أنفاساً (جرعات) من الماء الشبم (البارد)
القراح (الصافي)

يُقِي بِاللَّهِ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ وَمِنْ عِنْدِ الْخَلِيفَةِ بِالنَّجَاحِ
أَغْنَنِي، يَا فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي، بِسَيْبٍ مِنْكَ، إِنَّكَ ذُو ارْتِيَا ح
السبب: العطاء. ذو ارتياح: ذو أريحية، يعطي وهو سعيد بنفس طيبة

فَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ عَلَيَّ حَقًّا زِيَارَتِي الْخَلِيفَةَ وَامْتِدَاحِي
سَأشْكُرُ أَنْ رَدَدْتَ عَلَيَّ رِيثِي وَأَثَبْتَ الْقَوَادِمَ فِي جَنَاحِي
رددت علي ريثي: أنعمتني. القوادم: الريشات الظاهرات في جناح الطير

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بُطُونُ رَاحٍ
دَعَوْتُ الْمُلْحِدِينَ أَبَا حُبَيْبٍ جَمَاحًا، هَلْ شُفِيتَ مِنَ الْجِمَاحِ
يخاطب عبد الله بن الزبير: يا أبا حبيب لقد دعوت إليك الملحدين (الخارجين عن الدين) جماحاً
(عصياناً). وكان قبيلة جرير تميل إلى ابن الزبير، وها هو يتنصل

فَقَدْ وَجَدُوا الْخَلِيفَةَ هَبْرَزِيًّا أَلَفَ الْعَيْصِ لَيْسَ مِنَ النَّوَاحِي
هبرزياً: خالصاً، نقي النسب. أَلَفَ العيص: ذا شجر ملتف، وليس من النواحي (الفروع)

فَمَا شَجَرَاتُ عَيْصِكَ فِي قُرَيْشٍ بَعَشَاتِ الْفُرُوعِ وَلَا ضَوَاحٍ
شجرات عيصك (أصلك ومنبتك) ليست عشات الفروع (متفرقة) ولا ضواحي (مفردة بعيدة عن
الأصل).. وينظر جرير في اختيار «العيص» ومعناها «الأصل» إلى «الأعياص» وهم أولاد
أمية بن عبد شمس

٢١ تَرْقِيعُ الْأَكْيَارِ

تَقُولُ نَوَارُ قَضَحْتَ الْقُيُونَ قَلَيْتَ الْفَرَزْدَقَ لَمْ يُوَلِّدْ

تقول نوار، زوجة الفرزدق، لقد فضحت بشعرك يا جرير القيون (الحدادين) وجرير يصم الفرزدق وآباءه بأنهم اتخذوا الحدادة صنعة. وكانت نوار كارهة لزوجها لأنه تزوجها بخديعة، وهي ابنة عمه، وسعت في التخلص منه بطلاق فلم تفلح، وظلت عنده تشاكسه

وَقَالَتْ بِذِي حَوْمَلٍ وَالرِّمَاحِ: شَهِدْتَ وَلَيْتَكَ لَمْ تَشْهَدْ

قالت نوار في هذين المكانين: يا فرزدق لقد كنت موجوداً، لكن لم يكن لوجودك فائدة

وَقَارَ الْفَرَزْدَقُ بِالْكَلْبَتَيْنِ وَعَذَلَ مِنَ الْحُمَمِ الْأَسْوَدِ

ورث الفرزدق الكلبتين (ملقط كبير يتشل به الحديد المحمى من النار) وورث عدلاً (شوالاً، كياً) من الحمم (الفحم) الأسود

فَرَّقَ لَجْدَكَ أَكْيَارَهُ وَأَصْلَحَ مَتَاعَكَ لَا تُفْسِدِ

رقع لجذك أكياره (منافخه، وللحداد كير أي منفاخ يوجج به الجمر)

وَأَذِنَ الْعَلَاءَ وَأَذِنَ الْقَدُومَ وَوَسَّعَ لِكَيْرِكَ فِي الْمَقْعَدِ

العلاء: السندان

قَرَنْتُ الْبَعِيثَ إِلَى ذِي الصَّلِيبِ مَعَ الْقَيْنِ فِي الْمَرَسِ الْمُخَصَّدِ

في هجائي جمعت بين البعيث المجاشعي (من قوم الفرزدق) وبين ذي الصليب (الأخطل المسيحي)، مع القين (الحداد، يعني الفرزدق) في مرس محصد (حبل مفتول)

٢٢ حَفِيدُ الْفَارُوقِ

إِلَيْكَ رَحَلْتُ يَا عُمَرَ بْنَ لَيْلَى عَلَى ثِقَةٍ أَزُورُكَ، وَاعْتِمَادًا

عمر بن ليلي: عمر بن عبد العزيز وأمه ليلي حفيدة عمر بن الخطاب

إِلَى الْفَارُوقِ يَنْتَسِبُ ابْنُ لَيْلَى وَمَرْوَانَ الَّذِي رَفَعَ الْعِمَادَا

مروان بن الحكم: جد عمر بن عبد العزيز لأبيه

٢٣ جَزَاكُمُ اللَّهُ خَيْرًا

قال وقد مرض وعاده ناس:

نَفْسِي الْفِدَاءُ لِقَوْمٍ زَيْنُوا حَسْبِي وَإِنْ مَرِضْتُ فَهُمْ أَهْلِي وَعُوَادِي

إِنْ تَجَرَّ طَيْرٌ بِأَمْرِ فِيهِ عَافِيَةٌ أَوْ بِالْفِرَاقِ، فَقَدْ أَحْسَنْتُمْ زَادِي
 إِنْ جَرَّتِ الطَّيْرُ (أَيُّ الْقَالِ) بَانَ أَقْوَمُ مِنْ مَرَضِي، أَوْ بَانَ أَفَارِقُ الدُّنْيَا، فَعَلَى كُلِّ حَالٍ زُودْتُمُونِي
 زَاداً طَيِّباً بِيَزَارَتِي

٢٤ أَذْكَرُ تَمِيمًا

أَلَا حَيٍّ رَبْعًا بِاللَّوَى ذَكَرَ الْعَهْدَا مَحْتَهُ الصَّبَا جَرَّ الْيَمَانِيَّةِ الْبُرْدَا

حي يا صاحبي هذا الموضع الذي ما زالت فيه ذكرى عهدنا مع الأحباب، لقد محته
 ريح الصبا مثلما تجر اليمانية (الفتاة اللابسة البُرد اليماني) بردها فهي بنت عز تلبس
 الثوب الكاسي الطويل وتجره جرأً على الأرض. وقد رأى شارح هذا الشعر في بلاد
 العرب بالخليج فتيات يلبسن المسوح الكاسية يجرنها على الأرض وراءهن، وكان
 يقول لهن في عقله: يا حبيباتي ألا قصرتن برودكن قليلاً، أم أنكن تردن إخفاء
 الكموب التي تجعلكن طويلات

لِهِنْدٍ، وَلَوْ أَنَّ الْمَقِيمِينَ بَعْدَهَا أَرَادُوا فِرَاقاً لَمْ أَجِدْ لَهُمْ فَقْدَا
 هذا العهد هو لهند، فاما من أقاموا بالربع بعد رحيلها فلا يهمننا أقاموا أم رحلوا .

إِذَا ذَكَرْتُ نَفْسِي تَمِيمًا تَذَكَّرْتُ أُمُوراً تُنْسِبُنِي الضَّغَائِنَ وَالْحِقْدَا

يفخر بقيته

فَكَيْفَ تَقُولُ السَّيْفُ يُحْمَلُ نَصْلُهُ إِذَا فَارَقَ السَّيْفُ الْمَحَامِلَ وَالْغِمْدَا
 فالسيف لا يحمل نصله وحده، لا بد له من محامل (سيور وعلاقات يعلق بها) ولا بد له من
 غمد، وكذا الفرد لا بد له من قوم حتى يكون فاعلاً

شَكُونَا إِلَى سُعْدَى جَوَى وَصَبَابَةٍ وَمَا كُلُّ مَا فِي النَّفْسِ تُخْبِرُهُ سُعْدَى
 ما أكثر ما كان الشعراء يغيرون اسم المحبوبة في وسط القصيدة. قال ذلك المزارع الهولندي،
 ونقل عنه أبراهام لنكولن: «لا تبدل حصانك وأنت تعبر الجدول»

٢٥ نَاسٌ بِلَا قُلُوبٍ

وَجَدْنَا الْأَزْدَ أَكْرَمَكُمْ جَوَاراً وَأَوْرَاكُمُ إِذَا قَدَحُوا زِنَادَا

أوراكم: أشدكم اشتعلاً، الزناد: حجر النار

وَلَوْ فَرَجْتَ قَصَّ مُجَاشِئِي لِنَظَرِ مَا وَجَدْتَ لَهُ فُؤَادَا
 فرجت القص: فتحت عظام الصدر، ومن لا قلب له هو الجبان. ومجاشع قوم الفرزدق

وَلَوْ وَازَنْتَ لُؤْمَ مُجَاشِئِي بِلُؤْمِ الْخَلْقِ أَضْعَفَ ثَمَّ زَادَا
 لومه يزيد عن ضعف لؤم البشرية

٢٦ حبتُموني بالحياة

قال لهشام بن عبد الملك:

وَأَعْلَمُ أَنَّ إِذْنَكُمْ نَجَاحٌ وَأَنْتِي إِنْ بَلَّغْتُكُمْ سَعِيدٌ

مجرد منحكم الإذن بالدخول عليكم نجاح لسعادي

تَزِيدُونَ الْحَيَاةَ إِلَيَّ حُبًّا وَذِكْرٌ مِنْ حَبَائِكُمْ حَمِيدٌ

تحيون إلي الحياة، ويأتيني ذكر، أي سمعة حسنة بسبب حبائكم، أي عطائكم، لأنني أعطي قومي
مما أعطيتُموني فيشكرون

٢٧ تدمير

قال يمدح معاوية بن هشام بن عبد الملك:

لَقَدْ عَلِمْتُ وَمَا أُخْبِرْتُ مِنْ أَحَدٍ أَنَّ الْهَوَى بِنَقَا يَبْرِينَ مُعْتَادِي

اللَّهُ دَمَّرَ عِبَادًا وَشَيْعَتَهُ عَادَاتُ رَبِّكَ فِي أَمْثَالِ عِبَادٍ

يشمت بعباد الجحافي، وقد خرج على الخلافة باليمن فقتل

مَنْ يَهْدِيهِ اللَّهُ يَهْتَدِ لَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ أَضَلَّ فَمَا يَهْدِيهِ مِنْ هَادٍ

لَا قُوا بُعُوثُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لَهُمْ كَالرَّيْحِ إِذْ بُعِثَتْ نَحْسًا عَلَى عَادٍ

فِيهِمْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَنِ مَا لَهُمْ سِوَى التَّوَكُّلِ وَالتَّسْبِيحِ مِنْ زَادٍ

كانت الملائكة تقاتل مع جيش الخلافة، وكما تعلمون فهؤلاء الملائكة لا يأكلون ولا يشربون،
فقط يتوكلون على الله ويسبحون

٢٨ فعلها أو يكاد

لَعَمْرِي لَقَدْ أَشْفَقْتُ مِنْ شَرِّ نَظْرَةٍ تَقُودُ الْهَوَى مِنْ «رَامَةٍ» وَيَقُودُهَا

خفق قلبي إشفافاً على نفسي من شر هذه النظرة إلى الحبيبة، فهي نظرة تأتي بالهوى، والهوى
يقودني ويقود نظراتي.. شيء من هذا القبيل

وَلَوْ صَرَمْتُ حَبْلِي أَمَامَهُ تَبْتَغِي زِيَادَةَ حُبٍّ لَمْ أَجِدْ مَا أَزِيدُهَا

إِذَا مِتُّ فَاَنْعَيْتَنِي لِأَضْيَافِ لَيْلَةٍ تَنْزَلُ مِنَ صُلْبِ السَّمَاءِ جَلِيدُهَا

إذا مت فأبلغني خبري ضيوف الليلة الباردة التي ينزل فيها البرد، يقول إنه كريم وسيحزن
الضيوف لموته

مَتَى تَرَوْجَةَ التَّغْلِبِيِّ تَقُولُ لَهُ أَتَى وَجْهُ هَذَا سَوَاءٌ أَوْ يُرِيدُهَا

إذا لم يصلك ما في الشطر الثاني من طراقة وقوة فاقرأه ثانية. ترى في معاشك شخصاً كثر الوجه متقبضاً رافعاً أنفه كأنما شم لتوه غائطاً، فتقول: هذا الشخص قد ارتكب فاحشة أو أنه سيرتكها قريباً

٢٩ شبه عروة

بَاتَتْ هُمُومِي تَغْشَاهَا طَوَارِقُهَا مِنْ خَوْفِ رَوْعَةِ بَيْنِ الطَّاعِنِينَ غَدَا

باتت همومي العادية تغشاه (تزورها) طوارقها (مصائبها) كلما انتابني الخوف من روعة (ارتياح) بين (فراق) الطاعنين (الراجلين). المعنى الملموح: أتذكر أنهم سيرحلون غداً فتضاعف همومي

هَلْ أَنْتِ شَافِيَةٌ قَلْبًا يَهِيمُ بِكُمْ لَمْ يَلْقَ عُرْوَةً مِنْ عَفْرَاءَ مَا وَجَدَا

عروة حبيب عفراء، ومات عشقاً

٣٠ غابوا أم حضروا

فَأَنْشِذْ يَا فَرَزْدُقُ غَبَرَ عَالٍ فَقَبْلَ الْيَوْمِ جَدَّعَكَ النَّشِيدُ

اخفض صوتك، فقبل اليوم كنت قد غلبت في إنشاد الشعر وجُدعَ أنفك (أهنت)

خَرَجْتَ مِنَ الْمَدِينَةِ غَيْرَ عَفٍّ وَقَامَ عَلَيْكَ بِالْحَرَمِ الشُّهُودُ

كان الوالي أخرج الفرزدق عن المدينة المنورة لما فعل هناك من موبقات

تَحِبُّكَ يَوْمَ عِيدِهِمُ النَّصَارَى وَيَوْمَ السَّبْتِ شِيعَتُكَ الْيَهُودُ

أَزِيدُ مَنْأَةً تُوعِدُ يَا ابْنَ تَيْمٍ؟ تَبَيَّنَ أَيْنَ تَأَهُ بِكَ الْوَعِيدُ

يتحول إلى هجاء التيم، وكان يشتبك مع شاعرهم عمر بن لجأ

أَتُوعِدُنَا وَتَمْنَعُ مَا أَرَدْنَا وَنَأْخُذُ مِنْ وَرَائِكَ مَا نُرِيدُ

وَيُقْضَى الْأَمْرُ حِينَ تَغِيْبُ تَيْمٌ وَلَا يُسْتَأْمَرُونَ وَهُمْ شُهُودُ

وَلَا حَسَبٌ فَخَرْتُ بِهِ كَرِيمٌ وَلَا جَدٌّ إِذَا أزدَحَمَ الْجُدُودُ

لِنَامِ الْعَالَمِينَ كِرَامُ تَيْمٍ وَسَيِّدُهُمْ وَإِنْ رَغِمُوا مَسُودُ

وَأَنَّكَ لَوْ لَقِيتَ عَبِيدَ تَيْمٍ وَتَيْمًا قُلْتَ أَيْهُمُ الْعَبِيدُ

أَرَى لَبِلاً يُخَالِفُهُ نَهَارٌ وَلَوْمُ التَّيْمِ مَا اخْتَلَفَا جَدِيدُ

يختلف الليل والنهار ويمضي الزمن، ولو لم تيم يتجدد ما دام هناك ليل ونهار، أي أنه أبدي

تَمَنَّى التَّيْمُ أَنْ أَبَاهُ سَعْدٌ فَلَا سَعْدَ أَبَوُهُ وَلَا سَعِيدُ

التيمن هنا جد قبيلة التيمن

وَأَنَّ التَّيْمَ قَدْ خَبُّشُوا وَقَلُّوا فَمَا طَابُوا وَلَا كَثُرَ الْعَدِيدُ

كانت قلة العدد مما يهيج به الأقوام

ثَلَاثُ عَجَائِزٍ لَهُمْ وَكَلْبٌ وَأَشْيَاخٌ عَلَى ثُلُلٍ قُعُودُ

الثلل: أكوام الحجارة والرمل

أَتَرْجُو أَنْ تُسَاقِىَ سَعْيِ قَوْمٍ هُمْ سَبَقُوا أَبَاكَ وَهُمْ قُعُودُ

فَقَدْ سَلَبَتْ عَصَاكَ بَنُو تَمِيمٍ فَمَا تَدْرِي بِأَيِّ عَصَا تَذُودُ

تميم سلبتكم المجد والقوة

إِذَا تَيْمٌ ثَوَتْ بِصَعِيدِ أَرْضٍ بَكَى مِنْ خُبْنٍ رِيحِهِمُ الصَّعِيدُ

ثوى: مكث، صعيد: تراب

إِذَا مَا قُرَّبَ الشَّهْدَاءُ يَوْمًا فَمَا لِلتَّيْمِ يَوْمُنْذٍ شَهِيدُ

٣١ هات اليوم وهات غداً

قال يمدح الأمير معاوية بن هشام بن عبد الملك:

يَا ابْنَ الْخَلِيفَةِ يَا مُعَاوِيَةَ إِنِّي أَرْجُو فُضُولَكَ فَاتَّخِذْ عِنْدِي يَدَا

فضولك: فضلك، اتخذ عندي يدا: اصنع بي معروفاً أحفظه لك

إِنَّا لَنَأْمُلُ مِنْكَ سَيْبًا عَاجِلًا يَا ابْنَ الْخَلِيفَةِ، ثُمَّ نَرْجُوكُمْ غَدَا

٣٢ أصحاب الخنزير

رَهْطُ الْفَرَزْدَقِ مِنْ نَصَارَى تَغْلِبُ أَوْ يَدَّعِي كَذِبًا دَعَاوَةَ زُورٍ

حُجُّوا الصَّلِيبَ وَقَرَّبُوا قَرَابَاتَكُمْ وَخُذُوا نَصِيبَكُمْ مِنَ الْخِنْزِيرِ

٣٣ رثاء خالدة

قال يرثي زوجته:

لَوْلَا الْحَيَاءُ لَهَاجَنِي اسْتِعْبَارُ وَلَزَزْتُ قَبْرَكَ وَالْحَبِيبُ يُزَارُ

هاجني استعبار: غلبنى البكاء

ولقد نظرتُ، وما تَمَتُّعُ نظرةً في اللَّحْدِ حيثَ تَمَكَّنَ المَحْفَارُ

المحفار: القاس

فَجَزَاكَ رَبُّكَ فِي عَشِيرِكَ نظرةً وَسَقَى صَدَاكَ مُجَلِّجِلٌ مِدْرَارُ

لينظر إليك الله نظرة رحمة جزاء ما قدمت لزوجك وليق صدك (جثمانك) مطر مجلجل
(صاحب برعوده) مدرار (غزير)

وَلَهَتْ قَلْبِي إِذْ عَلَتْنِي كَبْرَةٌ وَذَوُ التَّمَائِمِ مِنْ بَنِيكَ صِغَارُ

ذوو التمايم: من عليهم القلائد التي فيها الحجب أو الخرزات، وكانوا يعلقونها في رقاب الصبية
دراءاً للشر عنهم

كَانَتْ مُكْرَمَةَ الْعَشِيرِ وَلَمْ يَكُنْ يَخْشَى غَوَائِلَ أُمَّ حَزْرَةَ جَارُ

غوائل: شرور

ولقد أَرَاكَ كُسِبْتَ أَجْمَلَ مَنْظِرٍ وَمَعَ الْجَمَالِ سَكِينَةً وَوَقَارُ

وَالرَّيْحُ طَيِّبَةً إِذَا اسْتَقْبَلَتْهَا وَالْعِرْضُ لَا دَنَسٍ وَلَا خَوَارُ

إذا واجهتك فرائحك طيبة، وعرضك نقي غير خوار (ضعيف)

وَإِذَا سَرَيْتُ رَأَيْتُ نَارَكَ نَوْرَتْ وَجْهًا أَغَرَّ يَزِينُهُ الْإِسْفَارُ

أسري ليلاً فأراك أوقدت ناراً للضيوف، والنار تنور وجهك الأغر (الأبيض) السافر

صَلَّى الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ تُخَيِّرُوا وَالصَّالِحُونَ عَلَيْكَ وَالْأَبْرَارُ

لَا يَلْبُثُ الْقُرْنَاءُ أَنْ يَتَفَرَّقُوا لَيْلٌ يَكُورُ عَلَيْهِمْ وَنَهَارُ

كَانَتْ إِذَا هَجَرَ الْحَلِيلُ فِرَاشَهَا خُزْنُ الْحَدِيدِ وَعَقَّتِ الْأَسْرَارُ

حَدَرَاءُ أَنْكَرَتِ الْقُبُورُ وَرِيحَهُمْ وَالْحُرُّ يَمْنَعُ ضَبَمَهُ الْإِنْكَارُ

ينتقل إلى هجاء الفرزدق، فخطيبته حدراء أنكرت (استهجت) القيون (قومه الحدادين)

وما ينبعث من رائحة عندهم. والإنسان الحر عندما ينكر شيئاً فهذا الإنكار يحول بينه

وبين قبول الظلم

لَمَّا رَأَتْ صَدَا الْحَدِيدِ بِجَلْدِهِ فَالْلُونُ أَوْرَقُ وَالْبَنَانُ قِصَارُ

قد أنكرته حدراء لما رأت صدأ الحديد عليه، وأنكرت لون جلده الأورق (بين بياض وسواد)،
وأصابه القصار

قَالَ الْفَرَزْدَقُ رَقَّعِي أَكْبَارَنَا قَالَتْ: وَكَيْفَ تُرَقِّعُ الْأَكْبَارُ

الكير: متفاخ الحداد

رَفَعْ مَنَاعَكَ، إِنَّ جَدِّي خَالِدٌ وَالْقَيْنُ جَدُّكَ لَمْ تَلِدْكَ نِزَارُ

تفخر بجدها، وتقول للفرزدق: جدك قين (حداد) ولست من أبناء نزار (أبي عرب الشمال)

قَدْ كَانَ قَوْمُكَ يَحْسَبُونَكَ شَاعِرًا حَتَّى عَرِفْتَ وَضَمَّكَ التَّبَارُ

لَا يَخْفَيْنَ عَلَيْكَ أَنَّ مَجَاشِعًا لَوْ يُنْفَخُونَ مِنَ الْخُؤُورِ لَطَارُوا

الخؤور: الفراغ، ضده الصلاة

قَدْ يُؤْسِرُونَ فَمَا يُفْلِكُ أَسِيرُهُمْ وَيُقَتِّلُونَ فَتَسْلَمَ الْأَوْتَارُ

تسلم الأوتار: لا يؤخذ لهم بثأر لضعفهم

٣٤ نشور مبكر

قال يهجو التيم:

فَلَوْ غَيْرُ تَيْمٍ يَفْخَرُونَ عَذَرْتُهُمْ أَتَيْمُ ابْنُ تَيْمِ اللَّؤْمِ! يَا سَوَاءَ الدَّهْرِ

وَلَوْ يُدْفَنُ التَّيْمِيُّ ثُمَّ دَعَوْتُهُ إِلَى فَضْلِ زَادٍ جَاءَ يَسْعَى مِنَ الْقَبْرِ

وَلَا يَحْتَبِي التَّيْمِيُّ قُدَامَ بَيْتِهِ وَلَا يَسْتُرُ التَّيْمِيُّ إِلَّا عَلَى الْقَدْرِ

الاحتباء أن يجمع المرء ركبته إلى ظهره بشال أو نحوه، فيجلس كأنه متكئ، والسادة يحتبون أمام خيامهم يستقبلون الأضياف، ويسترون حريمهم، لكنهم لا يترون القدر الكبيرة التي تغلي باللحم خارج الخيمة

وَبُئِثْتُ تَيْمًا قَدْ هَجَوْنِي لِيُذَكِّرُوا فَهَذَا الَّذِي لَا يَشْتَهُونَ مِنَ الذِّكْرِ

٣٥ المنجنيق

يَا أَهْلَ جُزْرَةَ لَا حِلْمٌ فَيَنْفَعَكُمُ أَوْ تَنْتَهُونَ فَيُنْجِي الْخَائِفَ الْحَذَرُ

يخاطب بني العنبر مو أهل «جزرة» في اليمامة: لن ينفعكم حلمي، فلن أكون حليماً معكم، والحل أن تكفوا عن التعرض لي خوفاً، ففي هذا نجاتكم

يَا أَهْلَ جُزْرَةَ إِنِّي قَدْ نَصَبْتُ لَكُمْ بِالْمَنْجَنِيقِ وَلَمَّا يُرْسِلِ الْحَجَرُ

٣٦ متدبرون لا مدبرون

وَأَنَّ الَّذِي أُعْطِيَ الْخِلَافَةَ أَهْلُهَا بَنَى لِي فِي قَيْسٍ وَخِنْدِفٍ مَفْخَرًا

أهلها: مستحقوها، وهم بنو أمية حينذاك

مَنَابِرَ مُلْكٍ كُلِّهَا مُضَرِيَّةٌ يُصَلِّي عَلَيْنَا مَنَ أَعْرَنَاهُ مِنْبَرًا
 فِي قَيْسٍ وَخَنْدَفٍ مُلُوكَ، وَهُمْ جَمِيعًا مِنْ مُضَرَ، (الملك في لغة ذلك العصر الزعيم الذي يتولى
 ناحية، وقد يكون حكمه وراثياً وقد لا يكون)، وهؤلاء الذين نصبناهم ملوكاً يصلون (بحمدون)
 القيلتين اللتين بسواعد رجالهما يقوم الملك

لَقَدْ كُنْتُ يَا ابْنَ الْقَيْنِ ذَا خَبْرَةٍ بِكُمْ وَعُوفٌ أَبُو قَيْسٍ بِكُمْ كَانَ أَخْبَرًا
 وَكَانَ عُوفٌ هَذَا قَتَلَ مِنْ آلِ الْفَرَزْدَقِ رَجُلًا فِي الْقَدِيمِ
 فَلَا تَتَّقُونَ الشَّرَّ حَتَّى يُصِيبَكُمْ وَلَا تَعْرِفُونَ الْأَمْرَ إِلَّا تَذُبُّرًا
 تَذِبَرًا: بَعْدَ أَنْ يَدْبِرَ وَيُنْتَهِي

أَلَا قَبَّحَ اللَّهُ الْفَرَزْدَقَ كُلَّمَا أَهْلًا مُصَلٍّ لِلصَّلَاةِ وَكَبَّرَا
 فَلَا يَقْرَبَنَّ الْمَرْوَتَيْنِ وَلَا الصَّفَا وَلَا مَسْجِدَ اللَّهِ الْحَرَامَ الْمُطَهَّرَا
 فَالْفَرَزْدَقُ يَقْرُءُ فِي شِعْرِهِ بِالزُّنَا وَالْكَبَائِرِ، وَقَدْ أَجْلِيَ فَعَلًا عَنِ الْمَدِينَةِ
 فَإِنَّكَ لَوْ تُعْطِي الْفَرَزْدَقَ دِرْهَمًا عَلَى دِينَ نَصْرَانِيَّةٍ لَتَنَصَّرَا

٣٧ الضاحكون إلى الخنزير

خَابَتْ بَنُو تَغْلِبٍ إِذْ ضَلَّ فَارِطُهُمْ حَوْضَ الْمَكَارِمِ، إِنْ الْمَجْدَ مُبْتَدَّرُ
 فَارِطُهُمْ (رائدهم الذي يسبقهم كي يبحث عن مواضع العشب والماء) تَاهَ عَنْ حَوْضِ الْمَكَارِمِ،
 وَالنَّاسُ يَتَسَابِقُونَ لِتَحْصِيلِ الْمَجْدِ

الظَّاعِنُونَ عَلَى الْعَمْيَاءِ إِنْ ظَعَنُوا وَالسَّائِلُونَ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مَا الْخَبْرُ
 لَا تَدِيرُ عَنْدهُمْ فَهَمْ لَا يَرْحَلُونَ بِتَخْطِيطٍ لَكِي يَرُدُّوهُ عَشْبًا وَمَاءً بَلْ يَرْحَلُونَ عَلَى الْعَمْيَاءِ (عشوائياً)،
 وَلَيْسَ عَنْدهُمْ فِي قَبِيلَتِهِمْ جِهَازٌ اسْتِخْبَارِي مُحْكَمٌ، فَهَمْ لِذَلِكَ يَسْأَلُونَ عَمَّا حَدَثَ سَوَّالٌ جَاهِلٌ

إِنِّي رَأَيْتُكُمْ - وَالْحَقُّ مَغْضَبَةٌ - تَخْزُونَ أَنْ يُذَكَّرَ الْجَحَافُ أَوْ زُقُرُ
 يَخْزِيكُمْ ذَكَرُ هَذَيْنِ الْفَارَسَيْنِ اللَّذَيْنِ أَوْقَعَا بِتَغْلِبٍ وَقَتَلَا الْكَثِيرِينَ مِنْهَا

قَادُوا إِلَيْكُمْ صُدُورَ الْخَيْلِ مُعْلَمَةً تَغْشَى الطَّعَانَ وَفِي أَعْطَافِهَا زُورُ
 الْمُعْلَمَةُ: الَّتِي عَلَيْهَا شَارَةُ الْحَرْبِ (كَانُوا يَضَعُونَ صُوفًا أَحْمَرَ أَوْ أَبْيَضَ عَلَى الْفَرَسِ عِنْدَ الْحَرْبِ)،
 تَغْشَى الطَّعَانَ: تَأْتِي مَكَانَ الْمُطَاعَةِ بِالرِّمَاحِ، وَأَعْطَافُهَا (جَوَانِبُهَا) فِيهَا زُورٌ (مِيلَانٌ)

كَانَتْ وَقَائِعُ قُلْنَا لَنْ يُرَى أَبَدًا مِنْ تَغْلِبٍ بَعْدَهَا عَيْنٌ وَلَا أَثَرُ
 حَتَّى سَمِعْتُ بِخَنْزِيرٍ ضَغَا جَزْعًا مِنْهُمْ فَقُلْتُ: أَرَى الْأَمْوَاتَ قَدْ نُثِرُوا
 سَمِعْتُ خَنْزِيرًا مِنْهُمْ ضَغَا (صَاحَ) فَقُلْتُ: قَدْ نَشَرَ (قَامَ) الْأَمْوَاتُ

أَحْيَاؤُهُمْ شَرُّ أَحْيَاءٍ وَالْأَمَةُ وَالْأَرْضُ تَلْفِظُ مَوْتَاهُمْ إِذَا قُبِرُوا
رَجْسٌ يَكُونُ إِذَا صَلَّوْا، أَذَانُهُمْ قَرَعُ التَّوَاقِيسِ لَا يَذْرُونِ مَا السُّورُ
فَمَا مَنَعْتُمْ غَدَاةَ «الْبَشْرِ» نِسْوَتَكُمْ وَلَا صَبَرْتُمْ لِقَيْسٍ مِثْلَمَا صَبَرُوا
نَرَضَى عَنِ اللَّهِ أَنَّ النَّاسَ قَدْ عَلِمُوا أَنْ لَنْ يَفَاخِرَنَا مِنْ خَلْقِهِ بَشَرٌ

نرضى: نحمد

وَمَا لَتَغْلِبَ إِنْ عَدَّتْ مَسَاعِيَهَا نَجْمٌ يُضِيءُ وَلَا شَمْسٌ وَلَا قَمَرٌ
الصَّاحِكِينَ إِلَى الْخِنْزِيرِ شَهْوَتُهُ يَا قُبَحْتُ تِلْكَ أَفْوَاهُهَا إِذَا اكْتَشَرُوا

شهوته: اشتهاؤه له

وَالْمُقْرِعِينَ عَلَى الْخِنْزِيرِ مَيَسِّرَهُمْ يَثْسُ الْجَزُورُ وَبَثْسَ الْقَوْمُ إِذْ يَسْرُوا
بدلاً من الاقتراع على ناقة يقتسمون لحمها، كما كانت العرب تفعل، يقرعون على خنزير، فهذا
ميسرهم (قمارهم)

وَالْتَّغْلِبِيُّ لَثِيمٌ حَيْثُ تَجَهَّرُهُ وَالتَّغْلِبِيُّ لَثِيمٌ حَيْثُ يُخْتَبَرُ

تجهره: تحادثه لتبر غوره

وَالْتَّغْلِبِيُّ إِذَا تَمَّتْ مَرُوءَتُهُ عَبْدٌ يَسُوقُ رِكَابَ الْقَوْمِ مُؤْتَجَرٌ
نِسْوَانُ تَغْلِبَ لَا حِلْمٌ وَلَا حَسَبٌ وَلَا جَمَالٌ وَلَا دِينَ وَلَا خَفَرٌ

خفر: حياء

وَالْتَّغْلِبِيَّةُ فِي ثِنْيَيْ عِبَاءِ نَهَا بَطَرٌ طَوِيلٌ وَفِي بَاعِ ابْنِهَا قِصَرٌ

قصير الباع: المقصر عن المكارم

مَا كَانَ يَرْضَى رَسُولَ اللَّهِ دِينَهُمْ وَالطَّيِّبَانِ أَبُو بَكْرٍ وَلَا عَمْرُ
جَاءَ الرَّسُولُ بِدِينِ الْحَقِّ فَانْتَكَبُوا وَهَلْ يَضِيرُ رَسُولَ اللَّهِ أَنْ كَفَرُوا

انتكثوا: أبطلوا العهد

يَا خُزَرَ تَغْلِبَ إِنْ اللَّؤْمُ خَالَفَكُمْ مَا دَامَ فِي مَارِدِينَ الرَّيْتُ يُغْتَصَرُ

خزر تغلب = تغلب الخزر (ذوو العيون الضيقة)، ماردین: بلد في جنوب تركيا على الحدود مع سوريا، واليوم يعصرون بها السمسم ويستخرجون زيت، فاللؤم - على هذا - مستمر في تغلب!

قَالَ الْكَرَامُ تَنَحَّوْا إِنَّكُمْ نَجِسٌ أَفْوَاهُ تَغْلِبَ أَسْتَاهُ بِهَا وَضَرُ

أستاه: جمع است وهو فتحة الشرج، وضر: وسخ

٣٨ صابرون.. ولكن

قال في هجاء ربيعة، ويذكر مالك بن حنظلة بن مالك:

أَقُولُ، وَذَاكُمْ لِلْعَجِيبِ الَّذِي أَرَى: أَمَالِ بْنِ مَالٍ مَا رِبِيعَةٌ وَالْفَخْرُ!
أمال بن مال: يا مالك بن مالك

يُحَالِفُهُمْ فَقَرَّ قَدِيمٌ وَذَلَّةٌ وَبِئْسَ الْحَلِيفَانِ الْمَذَلَّةُ وَالْفَقْرُ
فَصَبْرًا عَلَى ذُلِّ رَبِيعَ بْنِ مَالِكٍ وَكُلُّ ذَلِيلٍ خَيْرٌ عَادِيَةِ الصَّبْرِ

٣٩ المداواة بالسّم

وَدَاوَيْتُ مِنْ عَرِّ الْفِرْزَدِقِ نُقْبَةً يَنْقِطُ فَأَمْسَتْ لَا يُخَافُ نُشُورُهَا
العَرِّ: الجرب، نقبة: بقعة، النقط: القار، وبه كانوا يداوون الجرب، نشورها: انتشارها
وَأَنْهَلْتُهُ بِالسَّمِّ ثُمَّ عَلَلْتُهُ بِكَأْسٍ مِنَ الذِّيفَانِ مُرَّ عَصِيرُهَا
أنهله: سقته أولاً، عللته: سقته ثانياً، الذيفان: الصبر المر

رَأَيْتَكَ لَمْ تَعْقِدْ حِفَاطًا وَلَا حِجَى وَلَكِنْ مَوَاخِيرًا تُؤَدِّي أَجُورُهَا
الحفاط: المحافظة على الشرف، الحجى: الحجب، المواخير: بيوت الدعاة
أَثَرْتُ عَلَيْكَ الْمُخْزِيَّاتِ، وَلَمْ يَكُنْ لِيَعْدَمَ جَانِي سَوَاءَ مَنْ يُشِيرُهَا
لقد نبهت على أفعالك المخزية، ولا يعدم جاني السواء (مكتسب العار) من يفضحه

٤٠ الخلافة قدره

قال يمدح عمر بن عبد العزيز:

إِنَّا لَنَرْجُو إِذَا مَا الْغَيْثُ أَخْلَقَنَا مِنْ الْخَلِيفَةِ مَا نَرْجُو مِنَ الْمَطَرِ
إن فاتنا غيث (مطر) السماء نرجو من الخليفة أن يعوضنا

يَا رَبُّ سَجَلٍ مُغِيثٍ قَدْ نَفَحَتْ بِهِ مِنْ نَائِلٍ غَيْرِ مَنْزُوحٍ وَلَا كَدِيرٍ
رب سجل (دلو عظيمة) من نائلك (عطائك) قد نفحتنا به (أعطيتنا إياه) وهو غير منزوح (ناقص)

أَذْكُرُ الْجَهْدَ وَالْبُلُوىَ الَّتِي نَزَلَتْ أَمْ قَدْ كَفَانِي الَّذِي بُلِّغْتَ مِنْ خَبْرِي
كم بالمواسم من شعثاء أرملة ومن يتيم ضعيف الصوت والنظر
تري الكثيرين في المواسم (الأسواق) من الأرامل الشعث (ذوات الهيئة الزرية المغبرة) ومن اليتامى الذين أنهكهم الجوع

مِمَّنْ يَعُدُّكَ تَكْفِي فَقَدْ وَالِدِهِ كالفرخ في العُشِّ لم يَدْرُجْ ولم يَطِرِ
يتيم كهذا يعدك بدلاً عن والد فقده، وهو كفرخ الطائر، لم يطر بعد ولا حتى درج
على الأرض

أَنْتَ الْمَبَارَكُ وَالْمَهْدِيُّ سِيرَتُهُ تَعْصِي الْهَوَى وَتَقُومُ اللَّيْلَ بِالسُّورِ
نَالَ الْخِلَافَةَ إِذْ كَانَتْ لَهُ قَدْرًا كَمَا أَتَى رَبَّهُ مُوسَى عَلَى قَدَرٍ
وكان عمر بن عبد العزيز نال الخلافة بوصية مكتومة من سليمان بن عبد الملك، وفوجئ بنو أمية
باختيار عمر للخلافة مثلما فوجئ موسى بربه يكلمه على الطور

٤١ وقوف واستيقاف

لَقَدْ طَرَفْتُ عَيْنِي فِي الدَّارِ دِمْنَةً تَعَاوَرَهَا الْأَزْمَانُ وَالرَّيْحُ وَالْقَطَرُ
أصابني عيني بقذى دمنة (خربة) هي أطلال الديار، وقد تعاورتها الأزمان (تبادلتها) بالريح والمطر
(المطر) مما أسرع في انحاء آثارها

فَقُلْتُ لِأَدْنَى صَاحِبِي وَإِنِّي لَأَكُنُّمْ وَجْدًا فِي الْجَوَانِحِ كَالْجَمْرِ
لَعَمْرُكَ مَا لَا تَعْجَلُ إِنِّ مَوْقِفًا عَلَى الدَّارِ فِيهِ الْقَتْلُ أَوْ رَاحَةُ الدَّهْرِ
وقوفي على دار الحبيبة مهم جداً، فلما أن أموت شوقاً، أو أن أنفس
عما في داخلي فاستريح

فَلِئْلِهِ مَاذَا هَيَّجَتْ مِنْ صَبَابَةٍ عَلَى هَالِكٍ يَهْدِي بِهَيْدٍ وَمَا يَدْرِي
طَوَى حَزَنًا فِي الْقَلْبِ حَتَّى كَانَمَا بِهِ نَفْثُ سِحْرِ أَوْ أَشَدُّ مِنَ السَّحْرِ

٤٢ الراحل بفضيحة

وَهَلْ كَانَ الْفَرَزْدَقُ غَيْرَ قَرْدٍ أَصَابَتْهُ الصَّوَاعِقُ فَاسْتَدَارَا
وَكُنْتَ إِذَا حَلَلْتَ بِدَارِ قَوْمٍ رَحَلْتَ بِخِزْيَةٍ وَتَرَكْتَ عَارَا

٤٣ هدايا متتالية

يَا تَيْمُ تَيْمَ عَيْدِي لَا أَبَالَكُمْ لَا يُوقِعَنَّكُمْ فِي سَوَاءٍ عُمُرُ
لا أبا لكم (هديتم) يا تيم، لا تركوا شاعركم عمر بن لجأ يجلب عليكم العار

قَدْ خِفْتُ يَا ابْنَ الْتِي مَاتَتْ مُنَافِقَةً مِنْ خَبَثِ بَرَزَةٍ أَنْ لَا يَنْزِلَ الْمَطَرُ
خفنا من نفاق أمك «برزة» وخبثها أن يجسب الله المطر عنا

أَخْزَيْتَ تَيْمًا وَمَا تَحْمِي مَحَارِمَهَا إِذْ أَنْتَ نَفَاحَةٌ لِلْقَيْنِ مُؤْتَجِرٌ
 اخزيت يا «عمر» قبيلتك تيمًا بدل أن تحمي حماها، فأنت قد عملت عند الفرزدق القين (الحداد)
 نفاحَةٌ (تفخ على جمره بالمفاح)

إِنِّي لَمُهْدٍ لَكُمْ غُرًّا مَقْشَبَةً فِيهَا السَّمَامُ وَأُخْرَى بَعْدُ تُنْتَظَرُ
 سأهديكم قصائد غرًّا (بديعة) مقشبة (جديدة) فيها السم، وستلونها قصائد

لَا تُنْكِرُ التَّيْمَ يَوْمًا أَنْ يَكُونَ لَهُمْ سُورُ الْعَشِيِّ وَشُرْبُ التَّابَعِ الْكَدِيرُ
 التيم ترضى بسور العشي (ورود الماء مع إيلهم مساء وشرب السور . . البقية في القعر) وشرب
 التابع الكدر (وشرب بواقي المياه من الحوض وتكون كدرة)

تُخْزِيكَ أَحْيَاءُ تَيْمٍ إِنْ فَخَرْتَ بِهِمْ وَالْخِزْيُ أَمْوَاتُ تَيْمٍ إِنْ هُمْ نُشِرُوا

٤٤ سادتهم على كل حال

إِنَّا تَفْضَلُ فِي الْحَيَاةِ حَيَاتُنَا وَنَسُودُ مَنْ دَخَلَ الْقُبُورَ قُبُورًا
 اللَّهُ فَضَّلَنَا وَأَخْزَى تَغْلِبًا لَنْ تَسْتَطِيعَ لِمَا قَضَى تَغْيِيرًا
 فِينَا الْمَسَاجِدُ وَالْإِمَامُ وَلَا تَرَى فِي دَارِ تَغْلِبَ مَسْجِدًا مَعْمُورًا
 تَلْقَى إِذَا اجْتَمَعَ الْكِرَامُ بِمَوْطِنٍ أَشْرَافَ تَغْلِبَ سَائِلًا وَأَجِيرًا
 الْجَاعِلِينَ لِمَارِ سَرْجَسَ حَجَّهِمْ وَحَجِيجُ مَكَّةَ يُكْثِرُ التَّكْبِيرَا

٤٥ فيم يشتمونني؟

يهجو سراقه البارقي وقومه:

يَا صَاحِبَيَّ هَلِ الصَّبَاحُ مُنِيرٌ أَمْ هَلِ لِلْيَوْمِ عَوَازِلِي تَفْتِيرُ
 تفتير: تقليل

عَادَاتُ قَلْبِكَ حِينَ خَفَّ بِهِ الْهَوَى لَوْلَا تُسَكِّنُهُ لَكَادَ يَطِيرُ
 بِشُرِّ أَبُو مَرَوَانَ إِنْ عَاسَرْتَهُ عَسِيرٌ وَعِنْدَ يَسَارِهِ مَيْسُورُ
 بشر والي الكوفة لأخيه عبد الملك كان يقرب الشعراء ويعبت بهم ويفري بعضهم ببعض،
 ويعطيهم . .

قَدْ كَانَ حَقُّكَ أَنْ تَقُولَ لِبَارِقٍ: يَا آلَ بَارِقٍ فِيمَ سُبِّ جَرِيرُ
 . . وكان الأمير بشر مسروراً بالمهاجاة بين سراقه البارقي وجريير، وجريير يقول له: كان يجب
 عليك أن تسأل آل بارق «لأي سبب سب شاعرهم جريراً»

أَسْرَاقَ إِنَّكَ قَدْ غَشِيتَ بَارِقِ أَمْرًا مَطَالِعُهُ عَلَيْكَ وَغُورُ

يا سراقه لقد غشيت ببارق (قدمت بقومك) أمراً مطالعه (طرقه) عليك مليئة بالوعور

بَا أَلْ بَارِقَ لَوْ تَقَدَّمَ نَاصِحُ لِلْبَارِقِيِّ فَإِنَّهُ مَغْرُورُ

هلاً كتتم نصحتم لأخيكم قبل إقدامه على هجائي فهو مغرور (مغرر به، وواهم)

كَالسَّامِرِيِّ غَدَاةَ ضَلَّ بِقَوْمِهِ وَالْعِجْلُ يُعْكَفُ حَوْلَهُ، وَيَخُورُ

فهو مثل السامري الذي أضل قومه في التيه وجعلهم يعبدون عجلاً من الذهب مفتوحاً من فمه ومؤخرته ويصدر من مرور الهواء بداخله خواراً

تُؤْتَى الْكِرَامُ مُهَوَّرَهْنَ سَيَاقَةً وَنِسَاءُ بَارِقَ مَا لَهُنَّ مُهَوَّرُ

بنات الكرام تساق إليهن الإبل مهوراً

إِنَّ الْمَلَامَةَ وَالْمَذَلَّةَ فَاعْلَمُوا قَدَرٌ لِأَوَّلِ بَارِقٍ مَقْدُورُ

أول بارق: أسلاف البارقين

أَسْرَاقَ إِنَّكَ لَوْ تُفَاضِلُ خِنْدِفًا بَثَقْتُ عَلَيْكَ مِنَ الْفُرَاتِ بُحُورُ

بثقت: تدفقت، وخندف: الشعب الكبير الذي منه تميم

٤٦ شماعة بميت

يهجو الأخطل، أبا مالك، بعد موته:

وَزَارَ الْقُبُورَ أَبُو مَالِكٍ فَكَانَ كَأَلَامٍ زُؤَارِهَا

تَنُوحُ بِنَاتُ أَبِي مَالِكٍ بِبُوقِ النَّصَارَى وَمِزْمَارِهَا

٤٧ رثاء عمر

قال يرثي عمر بن عبد العزيز:

تَنَعَى النُّعَاةُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَنَا يَا خَيْرَ مَنْ حَجَّ بَيْتَ اللَّهِ وَاعْتَمَرَ

حُمِلَتْ أَمْرًا عَظِيماً فَاصْطَبَرَتْ لَهُ وَقَمَتْ فِيهِ بِأَمْرِ اللَّهِ يَا عُمَرَا

فَالشَّمْسُ كَأَسِفَةٍ لَيْسَتْ بِطَالِعَةٍ تَبْكِي عَلَيْكَ، نَجُومَ اللَّيْلِ وَالْقَمَرَا

الشمس كاسفة كأنها تبكي لموتك، ولأنها كاسفة لم تخف نجوم الليل ولا القمر.

بيت فيه التواء

٤٨ عبدة الصليب

عَلِقَ الْأَخْيَاطُ فِي جِبَالِي بَعْدَمَا عَشَرَ الْفِرْزْدُقُ، لَا لَعَا لِلْعَاثِرِ
لَا لَعَا لَهُ: لَا أَقَامَهُ اللَّهُ

إِنْ الْقَصَائِدَ قَدْ وَطِئْنَ مُجَاشِعًا وَوِطِئْنَ تَغْلِبَ، مَا لَهَا مِنْ زَاجِرٍ
مَجَاشِعُ: قَبِيلَةُ الْفِرْزْدُقِ، تَغْلِبُ: قَبِيلَةُ الْأَخْطَلِ

نُبْتُتُ تَغْلِبَ يَعْْبُدُونَ صُلَيْبَهُمْ بِالرَّقَّتَيْنِ إِلَى جَنُوبِ الْمَآخِرِ
يَسْتَنْصِرُونَ بِمَارِ سَرْجَسَ وَابْنِهِ بَعْدَ الصَّلِيبِ، وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرٍ
أَذِ الْجِزَى وَدَعِ الْفَخَارَ بِتَغْلِبِ وَاخْسَأْ بِمَنْزِلَةِ الذَّلِيلِ الصَّاعِرِ
بَيْنَ الْحَوَاجِبِ وَاللَّحَى مِنْ تَغْلِبِ لَوْمْ تُورَثَ كَابِرًا عَنْ كَابِرِ
بَيْنَ الْحَوَاجِبِ وَاللَّحَى: أَيِ فِي الْوَجْهِ

٤٩ غدار يا زمن

حَيُّوا الْمَقَامَ وَحَيُّوا سَاكِنَ الدَّارِ مَا كِدْتَ تَعْرِفُ إِلَّا بَعْدَ إِنْكَارِ
يَطْلُبُ مِنْ صَحْبِهِ أَنْ يَحْيُوا الْمَكَانَ وَصَاحِبَهُ الرَّاحِلَ عَنْهُ، وَالشَّاعِرُ لَمْ يُمَيِّزِ الْمَكَانَ إِلَّا بَعْدَ أَنْ شَكَّ
فِيهِ وَأَنْكَرَهُ لِتَغْيِيرِهِ بَعْدَ أَنْ هَجَرَهُ أَهْلُهُ

إِذَا تَقَادَمَ عَهْدُ الْحَيِّ هَيَّجَنِي خِيَالُ طَيْبَةِ الْأُرْدَانِ مِغْطَارِ
الْأُرْدَانُ: الْأَكْثَامُ

لَا بِأَمْنَنْ قَوِيَّ نَقُضَ مِرَّتِهِ إِنِّي أَرَى الدَّهْرَ ذَا نَقْضٍ وَإِمْرَارِ
عَلَى الْقَوِيَّ أَنْ لَا يَأْمَنَ الزَّمَنُ الَّذِي يَنْقُضُ مِرَّتَهُ (يَفْكَ فُتْلَهُ، أَيِ يَضْعَفُ قُوَّتَهُ)، فَالدَّهْرُ ذُو نَقْضٍ
(فَكَ) وَإِمْرَارٍ (فُتْلَ). يَشْبَهُ الْمَرْءَ بِالْحَبْلِ الْمَفْتُولِ مِنْ قُوَى عِدَّةٍ، وَ«الْقُوَّةُ» فِي الْأَصْلِ هِيَ الْفُتْلَةُ
الْوَّاحِدَةُ مِنْ فُتْلَاتِ الْحَبْلِ

قَدْ أَطْلُبُ الْحَاجَةَ الْقُصْوَى فَأَذِرُكُهَا وَلَسْتُ لِلْجَارَةِ الدُّنْيَا بِزَوَّارِ
قَوْمِي تَمِيمٍ هُمُ الْقَوْمُ الَّذِينَ هُمْ يَنْقُوتُ تَغْلِبَ عَنْ بُحْبُوحَةِ الدَّارِ
بِحُبُوحَةِ الدَّارِ: وَسَطُهَا الْمَتْنَعُ

النَّازِلُونَ الْحِمَى لَمْ يُرْعَ قَبْلَهُمْ وَالْمَانِعُونَ بَلَا جَلْفٍ وَلَا جَارِ
تَمِيمٍ يَنْزِلُونَ الْحِمَى (الْأَرْضَ الْمُحَمَّيَّةَ مِنْ جَانِبِ قَبِيلَةِ مَعِينَةَ) الَّذِي لَمْ يَجْرُؤْ أَحَدٌ قَبْلَهُمْ عَلَى انْتِهَاكِهِ،
وَهُمْ يَمْنَعُونَ (يَحْمُونَ حِمَاهُمُ الْخَاصَّ) دُونَ حَاجَةِ لِلتَّحَالُفِ مَعَ غَيْرِهِمْ أَوْ الْاسْتِجَارَةِ بِهِ

إِنَّ الَّذِينَ اجْتَنَبُوا مَجْدًا وَمَكْرَمَةً تِلْكَمُ قُرَيْشِي وَالْأَنْصَارُ أَنْصَارِي
 وَتَمِيمٌ مِنْ مِضَرٍ وَقُرَيْشٌ مِنْ مِضَرٍ، أَمَّا الْأَنْصَارُ فَمِنْ الْيَمَنِ، وَلَكِنْ جَرِيرٌ يَعْدَهُمْ مِنْ أَنْصَارِهِ
 لَا تَفْخَرُونَ فَإِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ كُفْرَكُمْ يَا خُزْرَ تَغْلِبَ دَارَ الذُّلِّ وَالْعَارِ
 عَلَيْكُمْ أَلَا تَفْخَرُوا يَا خُزْرَ تَغْلِبَ (يا تغلب الخزر، يا ذوي العيون الضيقة)

٥٠ الله وقريش والأنصار معنا

يهجو الأخطل:

وَرَايَةَ مَلِكٍ كَظِلِّ الْعُقَابِ ضَرَبْنَا عَلَى الرَّأْسِ جَبَّارَهَا
 رَبِّ رَايَةَ مَلِكٍ كَأَنَّهَا ظِلُّ الْعُقَابِ ضَرَبْنَا صَاحِبَهَا الْمَلِكَ عَلَى رَأْسِهِ

وَكُنَّا إِذَا حَوْمَةٌ أَغْرَضْتُ نَحْوُضُ إِلَى الْمَوْتِ أَغْمَارَهَا
 حومة: ساحة حرب

وَلَوْ أَصْبَحَ النَّاسُ حَرْبًا عِدَى لَقَيْسٍ وَخِنْدِفَ مَا ضَارَهَا
 وَأَذْعُو إِلَهَ وَتَذْعُو الصَّلِيبِ وَأَذْعُو قُرَيْشًا وَأَنْصَارَهَا

٥١ قذف المحصنات

يهجو الفرزدق:

تَرْجُو الْهُوَادَةَ يَا فَرْزَدُقُ بَعْدَمَا أَطْفَأْتَ نَارَكَ وَاصْطَلَيْتَ بِنَارِي
 يزعم أن الفرزدق صار يرجو من جرير الهوادة (المهادنة) بعد إذ كف عن التصدي للشعراء والدفاع
 عن تميم (وهي القبيلة الكبيرة التي تجمعهما) وأخذ يتدفأ بنار جرير

أَبْنِي قُفَيْرَةَ قَدْ أَنَاخَ إِلَيْكُمْ يَوْمَ التَّقَاسُمِ لَوْمُ آلِ نِزَارِ
 قفيرة: أم الفرزدق، أناخ إليكم: حل عندكم

يَتَلَاوُمُونَ وَقَدْ أَبَاحَ حَرِيمَهُمْ قَيْنٌ أَحَلَّهُمْ بِدَارِ بَوَارِ
 يلوم أهل الفرزدق بعضهم بعضاً وقد جعل القين (الحداد، يعني الفرزدق) حريمهم مباحاً للشم،
 وأنزلهم بدار البوار (الخراب)

إِنَّ الْقَصَائِدَ لَمْ يَزَلْنَ سَوَاحِجًا بِحَدِيثِ جِعْثَيْنِ مَا تَرَّتْ سَارِ
 جعثن: أخت الفرزدق، ويقول جرير - كاذباً - إنها اغتصبت. وها هو يقول إن القصائد ستروح
 وتجيء بذكرها إلى الأبد، ما دام هناك سار (سائر ليلاً) يترنم بالشعر

تَبْكِي الْمُغِيبَةَ مِنْ بَنَاتِ مُجَاشِعٍ وَلَهُى إِذَا سَمِعَتْ نَهِيْقَ حِمَارِ
المغيبية (التي غاب زوجها) من بنات مجاشع تبكي ولها (شوقاً) إذا سمعت نهيق حمار
(ينفق لأثناء مشتاقاً)

لَا تَبْتَغِي كَمَرَأَ بَنَاتِ مُجَاشِعٍ وَيُرِدْنَ مِثْلَ بَيَازِرِ الْقَصَّارِ
ولا تريد نساء مجاشع كمرأ (والكمرة أداة الرجل) بل يردن شيئاً مثل بيزرة القصار (مدقة غاسل
التياب)

٥٢ حي الهدملة

حَيِّ الْهَدْمَلَةِ مِنْ ذَاتِ الْمَوَاعِيسِ فَالْجَنُودُ أَصْبَحَ قَفْرًا غَيْرَ مَأْنُوسِ
أسماء أماكن خربة

بَيْنَ الْمُخَيَّصِرِ فَالْعَرَافِ مَنْزِلَةً كَالْوَحْيِ مِنْ عَهْدِ مُوسَى فِي الْقِرَاطِيسِ
هذه المنزلة (المكان) أصبحت معالمها محوّة مثل الكلمات في أوراق التوراة

لَا يَسْتَطِيعُ امْتِنَاعًا فَنَقَعَ قَرْقَرَةً بَيْنَ الطَّرِيقَيْنِ بِالْبِيدِ الْأَمَالِيسِ
فقع القرقرة (الفطر النابت في الوادي) بين طريقين في البيد الأماليس (الصحارى الجرداء) لا
يستطيع حماية نفسه من دوس الأرجل

وَابْنُ اللَّبُونِ إِذَا مَا لَزَّ فِي قَرْنٍ لَمْ يَسْتَطِعْ صَوْلَةَ الْبُزْلِ الْقَنَاعِيسِ
ابن اللبون: الصغير الذي قُطم قريباً، إذا ما لَزَّ (حُشِر) في قرن (حبل) لا يستطيع أن يقاوم صولة
البزل القناعيس (هجمة الجمال القوية)

هَلْ مِنْ حُلُومٍ لِأَقْوَامٍ فَتُنْذِرُهُمْ مَا جَرَّبَ النَّاسُ مِنْ عَضِيٍّ وَتَضْرِيْسِي
هل للقوم عقول تحذرهم مما جرب غيرهم من عضي وتضريسي (فتكي بالخصوم بالأسنان والأضراس)

٥٣ أنا جهنم

إِنْ تَضْرِسَانِي تَجِدَا مُضَرَّسًا
إن تخثيراني تجدا رجلاً كثير التجارب

قَدْ لَيْسَ الدَّهْرَ وَأَبْقَى مَلْبَسًا

لا نعرف كيف يلبس المرء الدهر، غير أن المعنى الملموح هو أنه عاين صنوف الرزايا،
وبقيت فيه بقية

مَنْ شَاءَ مِنْ حَرِّ الْجَحِيمِ اقْتَبَسَا

٥٤ أفنيت الشعر

أَلَا لَا تَلُومَا الْقَلْبَ أَنْ يَتَحَشَّعَا فَقَدْ هَاجَتِ الْأَحْزَانُ قَلْبًا مُفَرَّعَا
وَجُودًا لِهِنْدٍ بِالْكَرَامَةِ مِنْكُمَا وَمَا شِئْتُمَا أَنْ تَمْنَعَا بَعْدُ فَاثْمَعَا
جودا يا صاحبيْ لهند بالوقوف ساعة على أطلال منازلها، وبعد ذلك لا أسألكما شيئاً
وأدركتُ مَنْ قَدْ كَانَ قَبْلِي وَلَمْ أَدْعُ لِمَنْ كَانَ بَعْدِي فِي الْقَصَائِدِ مَصْنَعَا
أدركت الشعرء السابقين (صنعت في الشعر مثلما صنعوا) ولم أترك لمن بعدي في القصائد مصنعاُ
(شيئاً يصنعه)

٥٥ زعم الفرزدق..

بَانَ الْخَلِيطُ بِرَامَتَيْنِ قَوَّدَعُوا أَوْكُلَّمَا رَفَعُوا لِبَيْنٍ تَجَزَّعُوا
بان الخليط: فارَّق القوم، رفعوا: وضعوا رحالهم فوق الإبل للرحيل

إِنْ الشَّوَاخِجَ بِالضُّحَى هَيَّجَنِي فِي دَارِ زَيْنَبَ، وَالْحَمَامُ الْوُقُعُ
الشواخج: الغربان

كَيْفَ الْعِزَاءُ وَلَمْ أَجِدْ مُذْ بِنْتُكُمْ قَلْبًا يَقْرُ وَلَا شَرَابًا يَنْقَعُ
بنتم: فارقم، ينقع: يروي

وَلَقَدْ صَدَقْتُكَ فِي الْهَوَى وَكَذَّبْتَنِي وَخَلَبْتَنِي بِمَوَاعِدٍ لَا تَنْفَعُ
خلبتني: خلدعتني

بَانَ الشَّبَابُ حَمِيدَةً أَيَّامُهُ وَلَوْ أَنَّ ذَلِكَ يُشْتَرَى أَوْ يَرْجَعُ
وتقول بوزع قد دببت على العصا هَلَّا هَزَلْتِ بِغَيْرِنَا يَا بَوَزُعُ
ولقد رأيتك في العذارى مرةً ورأيت رَاسِي وَهُوَ دَاجٍ أَفْرَعُ
داج: أسود، أفرع: ذو شعر غزير، والفرع الشعر

حَيُّوا الدِّيَارَ وَسَائِلُوا أَطْلَالَهَا هَلْ تَرْجِعُ الْخَبَرَ الدِّيَارُ الْبَلْقَعُ
البقع: الخربة

وَلَقَدْ حَبَسْتُ بِهَا الْمِطْيَى فَلَمْ يَكُنْ إِلَّا السَّلَامُ، وَوَكَّفَ عَيْنٍ تَدْمَعُ
وكف: انهمار

لَمَّا رَأَى صَحْبِي الدَّمُوعَ كَأَنَّهَا سَحَّ الرِّذَاذِ عَلَى الرِّدَاءِ اسْتَرْجَعُوا
سح الرذاذ: هطول المطر الخفيف، استرجعوا: قالوا «إنا لله وإنا إليه راجعون»

هل تذكّرِينَ زماننا بِعُنَيْرَةٍ والأبرقَيْنِ، وذاك ما لا يَرْجِعُ
أَعْدَدْتُ للشعراءِ كأساً مُرَّةً عندي مُحَالِطُهَا السَّامُ الْمُنْفَعُ
السما: السم، المنفع: الشديد

وَهَنَ الْفَرَزْدَقُ يَوْمَ جَرَبَ سَيْفُهُ قَيْنٌ بِهِ حُمَمٌ وَأَمِ أَرْبَعُ
ضعف الفرزدق حين ضرب بسيفه ذلك الأسير فبنا سيفه، والفرزدق قين (حداد) به حمم (فحم)،
وَأَمِ أَرْبَعُ (أربع إماء، أي أنه سليل جَدَّاتِ أربع من الإماء)
أُخْزِيتَ قَوْمَكَ فِي مَقَامٍ قُمْتَهُ ووجدتَ سيفَ مجاشعٍ لا يَقْطَعُ
مجاشع: قوم الفرزدق

ومجاشعُ قَصَبٌ هَوَتْ أَجْوَاؤُهُ غَرَّوْا الزُّبَيْرَ فَأَيَّ جَارٍ صَيَّعُوا
مجاشع فارغون كالقصب الذي لا شيء في جوفه، وقد غرّوا الزبير بن العوام حين
استجار بهم، فأخذه أعداؤه وقتلوه. والزبير ابن عمه الرسول، وقد خرج مع عائشة في
يوم الجمل ضد علي بن أبي طالب، وانصرف عن القتال، فلاقاه رجل من مجاشع،
رهط الفرزدق، فقال له: إِلَيَّ إِلَيَّ فإنا أملك. فقبل جواره، ولكن قوماً لحقوا به وقتلوه
لما أتى خبرُ الزُّبَيْرِ تَوَاضَعَتْ سُورُ الْمَدِينَةِ وَالْجِبَالُ الْحُشُّعُ
تواضعت: تهدمت، خشعت الجبال: همدت

هَلَّا سَأَلْتَ بَنِي تَمِيمٍ أَئِنَّا يَحْمِي الذُّمَارَ، وَيُسْتَجَارُ فَيَمْنَعُ
الذمار: العرض
من كان يَسْتَلِيبُ الْعِجَابِرَ تَاجَهُمْ وَيَضُرُّ، إِذْ رُفِعَ الْحَدِيثُ، وَيَنْفَعُ
من الذي يجرؤ على الملوك فيقهرهم، ومن الذي بيده أن ينفع ويضر عندما يأتي زمن الفعل
ويذهب زمن القول

زَعَمَ الْفَرَزْدَقُ أَنَّ سَيَفْتُلُ مَرْبَعاً أَبْشُرْ بِطُولِ سَلَامَةٍ يَا مَرْبَعُ
مربع: راوية جرير

أُخْتُ الْفَرَزْدَقِ مِنْ أَبِيهِ وَأُمُّهُ بَاتَتْ وَسِيرَتُهَا الْوَجِيفُ الْأَرْفَعُ
تلك جَعْفَرُ أُخْتُ الْفَرَزْدَقِ الَّتِي تَعْرُضُ لَهَا رَجُلٌ مِنْ مَنَقَرٍ وَلَمَسَهَا أَوْ سَحَبَ ثَوْبَهَا يَرِيدُ أَنْ يَهِينَ
قَوْمَهَا، فَصَرَخَتْ بِهِ فَهَرَبَ، وَمَلَأَ جَرِيرٌ شَعْرَهُ بِقَذْفِهَا، يَقُولُ إِنَّ سِيرَتَهَا بَاتَتْ الْوَجِيفُ الْأَرْفَعُ
(السائرة سيراً سريعاً سريعاً كوجيف الإبل)

قَدْ تَعَلَّمُ النَّحْبَاتُ أَنَّ فَتَاتَهُمْ وَطِئَتْ كَمَا وَطِئَ الطَّرِيقُ الْمَهْيَعُ
النحبات (النساء الغلمات الطالبات الجماع) علمن أن فتاتهم جعثن ديسن كما يداس الطريق
المهيع (الممهد)

نُبْتُ جِعْشَنَ دَافَعْتُهُمْ بِاسْتِهَا إِذْ لَمْ تَجِدْ لِمَجَاشِيعَ مَنْ يَدْفَعُ

لم تجد من قومها مجاشع من يدفع عنها الأذى فدفعته باستها

يَبْكِي الْفَرَزْدَقُ وَالِدَمَاءَ عَلَى اسْتِهَا قُبْحاً لِنَلْكَ غُرُوبَ عَيْنٍ تَذْمَعُ

غروب: دموع

٥٦ لا يشبعون

أَشْكُو إِلَيْكَ فَأَشْكِنِي ذُرِّيَّةً لَا يَشْبَعُونَ وَأُمَّهُمْ لَا تَشْبَعُ

أشكني (استجب لشكواي) في ذرية (أولاد) جباع

كُثِرُوا عَلَيَّ فَمَا يَمُوتُ كَبِيرُهُمْ حَتَّى الْحَسَابِ وَلَا الصَّغِيرُ الْمُرْضَعُ

رِشْنِي، فَقَدْ دَخَلْتُ عَلَيَّ خَصَاصَةً، مِمَّا جَمَعْتَ وَكُلَّ خَيْرٍ تَجْمَعُ

رشني (أُتيت عليّ ريشاً، أي أنعشني وقوّني، وعلامة قوة الطائر أن يثبت ريشه) بشيء مما جمعته، وأنت تجمع كل خير، فقد دخلت عليّ خصاصة (فقر)

٥٧ مدح أمير المؤمنين

بمدح عبد الملك بن مروان:

لَوْلَا الْخَلِيفَةُ وَالْقِرَانُ يَقْرَأُ مَا قَامَ لِلنَّاسِ أَحْكَامٌ وَلَا جُمُعُ

مَا عَدَّ قَوْمٌ بِإِحْسَانٍ صَنِيعَهُمْ إِلَّا صَنِيعُكُمْ فَوْقَ الَّذِي صَنَعُوا

أَنْتَ الْمُبَارَكُ يَهْدِي اللَّهُ شِيعَتَهُ إِذَا تَفَرَّقَتِ الْأَهْوَاءُ وَالشَّيْعُ

فَكُلُّ أَمْرٍ عَلَى يُمْنٍ أَمَرْتُ بِهِ فِينَا مُطَاعٌ، وَمَهُمَا قُلْتُ مَسْتَمَعُ

تَلْقَى الرِّجَالَ إِذَا مَا خِيفَ صَوْلَتُهُ يَمْشُونَ هَوْنًا وَفِي أَعْنَاقِهِمْ خَضَعُ

تجد الرجال إذا ما خيفت صولة عبد الملك (إذا غضب) يمشون هوناً (مشياً وثيداً) وقد نكسوا رؤوسهم

إِنَّ الْبَرِيَّةَ تَرْضَى مَا رَضِيتَ لَهَا إِنْ سَرَتْ سَارُوا وَإِنْ قُلْتَ ارْبَعُوا رَبَعُوا

اربعوا: انزلوا

٥٨ الملك يتجبح

إِذَا مَا اسْتَضَافْتَنِي الْهُمُومُ قَرَيْتُهَا زِمَاعِي وَلَيْلَ الذَّامِلَاتِ الْهَوَايِعِ

إذا جاءني الهموم تطلب الضيافة قريتها (أطعمتها) زماعاً (عزيمة) وليلاً أسير فيه على متون
الذاملات الهوايِع (النفاق الماضية في سيرها وتمد أعناقها)

تَبَخَّجَ هَذَا الْمُلْكُ فِي مُسْتَقَرِّهِ فَلَيْسَ إِلَى قَوْمٍ سِوَاكُمْ بِرَاجِعٍ
قعد الملك مستريحاً عندكم يا بني أمة

٥٩ صاحب المكرمات

يمدح عبد العزيز بن مروان:

رَأَيْنَ تَغْيِيرِي فَجَزَعَنُ مِنْهُ كَذَعِرِ الْفَارِسِ الْبَقَرَ الرُّتَاعَا
رأت الحسان تغيري بمرور الزمن فأصابهن بالجزع مثلما يصيب الفارس بالذعر البقر البرية الرائعة
في عشها

سَمَا عَبْدُ الْعَزِيزِ إِلَى الْمَعَالِي وَفَاتِ الْعَالَمِينَ نَذَى وَبَاعَا
الندى: الكرم، الباع: القدرة

أَلَسْتُ ابْنَ الْأَيْمَةِ مِنْ قَرِيْشٍ وَأَرْحَبَهَا بِمَكْرُمَةٍ ذِرَاعَا

٦٠ صوت الضفادع

يهجو الفرزدق:

إِذَا أَسْفَرَتْ يَوْمًا نِسَاءً مُجَاشِيعٍ بَدَتْ سَوَاءً مِمَّا تُجِنُّ الْبَرَاقِعُ
تجن: تخفي

مَبَاشِيمٌ مِنْ غِبِّ الْخَزِيرِ، كَأَنَّمَا تُصَوْتُ فِي أَغْفَاجِهِنَّ الضَّفَادِعُ
مباشيم (مصابات بفساد معدة لكثرة الأكل) وذلك غب (نتيجة) أكل الخزير (دقيق يحاس بالماء أو
المرق، وهي أكلة يعير بها جرير قوم الفرزدق)، ويصدر عن أغفاجهن (أسافل أمعانهن) صوت
كنقيق الضفادع

أَتَعْدِلُ أَحْسَابًا كِرَامًا حُمَاتِهَا بِأَحْسَابِكُمْ؟ إِنِّي إِلَى اللَّهِ رَاجِعُ
لَقَوْمِي أَحْمَى لِلْحَقِيقَةِ مِنْكُمْ وَأَضْرَبُ لِلْجَبَّارِ، وَالنَّفْعُ سَاطِعُ
الحقيقة: الشرف، النفع: الغبار، ساطع: منتشر

إِذَا قِيلَ أَيُّ النَّاسِ شَرُّ قَبِيلَةٍ وَأَعْظَمُ عَارًا قِيلَ تِلْكَ مُجَاشِيعُ

٦١ هندستان وصينستان

قال في الوليد بن عبد الملك:

طَلَبْنَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَدُونَهُ تَنَائِفُ غُبَرُ، وَاصَلَّتْهَا تَنَائِفُ
تنائف: صحارى

إِذَا قِيلَ شَكَوَى بِالْإِمَامِ تَصَدَّعَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْخَوْفِ الْقُلُوبُ الرَّوَاجِفُ
شكوى: مرض

أَتَنَّا لَكَ الْبُشْرَى فَقَرَّتْ عَيْوُنَا وَدَارَتْ عَلَى أَهْلِ النِّفَاقِ الْمَخَاوِفُ
ثم أتنا البشرى بشفائه

هَذَا الَّذِي يَهْدِي الْخَلَائِفَ لِلتَّقَى وَأُعْطِيَتْ نَصْرًا لَمْ تَنَلُهُ الْخَلَائِفُ
وَأَدَّتْ إِلَيْكَ الْهِنْدُ مَا فِي حَصُونِهَا وَمِنْ أَرْضِ صِينِستَانِ تُجَبَّى الطَّرَائِفُ
استسلم المقاتلون في الهند ونزلوا من حصونهم، وبعث الصين بالهدايا درءاً لغزوها

٦٢ أَعْطُوا هَنِيْدَةً

وقال في يزيد بن عبد الملك:

خَبَّرَ عَنِ الْحَيِّ سِرًّا أَوْ عَلَانِيَةً جَادَتْكَ مُدْجِنَةٌ فِي عَيْنِهَا وَطَفُ
أيها الربيع خبرنا عن رحلوا عنك، ولتتهطل عليك أقطار سحابة مدجنة معتمة، وكان للغيمة عين،
وكان بها وطف (سيولة)

مَا اسْتَوْصَفَ النَّاسُ عَنْ شَيْءٍ يَرَوْقُهُمْ إِلَّا أَرَى أُمَّ عَمْرٍو فَوْقَ مَا وَصَفُوا
استوصف: التمس وصفاً

كَأَنَّهَا مُزْنَةٌ غَرَاءُ وَاضِحَةٌ أَوْ دُرَّةٌ لَا يُوَارِي ضَوْءَهَا الصَّدْفُ
مزنة: سحابة، غراء: بيضاء

قَالَ الْعَوَازِلُ هَلْ تَنْهَاكَ تَجْرِبَةٌ أَمَا تَرَى الشَّيْبَ، وَالْأَخْدَانَ قَدْ دَلَّفُوا
أما ترى أخدانك (رفاقك الذين في سنك) قد دلفوا (مشوا مشياً وثيداً وكبروا)

كَلَّفْتُ صَحْبِي أَهْوَالًا عَلَى ثِقَةٍ لَلَّهْ دَرُّهُمْ رَكْبًا، وَمَا كَلِّفُوا
كلف صحبه مماشاته في رحلته واثقاً بقبولهم

لَا وَرَدَ لِلْقَوْمِ إِنْ لَمْ يَعْرِفُوا بَرْدَى إِذَا تَجَوَّبَ عَنْ أَعْنَاقِهَا السَّدْفُ
لا ورد (ورود على ماء) لصحبي إن لم يجينوا نهر بردى بالشام وقد تجوَّب (انزاح) عن أعناق
الإبل السدف (الظلام)

صَبَّحَنَ ثُومَاءَ، وَالنَّاقُوسُ يَقْرَعُهُ قَسُّ التَّصَارَى، حَرَاغِيحًا بِنَا تَجِفُ
عند الصباح تصل الإبل إلى ثوماء (بدمشق) مع قرع القس الناقوس، وإبلنا هذه الحراجيج (الضامرة
الهزيلة لطول السير) تصل وهي تجف (تسرع)

يا ابن الأروم، وفي الأغياصِ مَنبِئُها لا قَادِحٌ يَرْتَقِي فيها ولا قَصَفٌ
يا ابن الأروم (الجدور) التي منبئها في الأغياص (وسط الشجر المتكاثف)، والتي لا يصعد فيها
قَادِح (سوس) ولا قَصَف (ضعف يؤدي إلى انقصاص)

أَرْجُو الْفَوَاضِلَ إِنَّ اللَّهَ فَضَّلَكُمْ يا قَبْلَ نَفْسِكَ لَا قَى نَفْسِي التَّلَفُ
أرجو الفواضل (العطايا)، وليقبض الله نفسي قبلك (كأنه يقول له: تقبرني)

أَعْطَوْا هُنَيْدَةً يَحْدُوها ثَمَانِيَّةٌ ما في عَطَائِهِمْ مَنْ ولا سَرَفٌ
لقد أعطوني هنيذة (مئة ناقة/ قد جاءك أنهم يسمون المليون جنيه «الأرنب»، فهذه الهنيذة مئة ناقة)،
ويحدوها (يقودها) ثمانية من الرعاء، وليس في عطائهم مَنْ (استطالة على الأخذ)
ولا إسراف

كُوماً مَهَارِسَ مِثْلَ الْهَضْبِ لو وَرَدَتْ ماء الفراتِ لكاذ البحرُ يُنْتَزَفُ
هذه النياق كوم (ضخمة) مهريس (تهرس العشب هرساً ثم تدر اللبن الغزير) وهي كالهضاب، ولو
وردت نهر الفرات لكاذ ينتزف (ينضب)

إِنِّي شَكَرْتُ، وقد جَرَّبْتُ أَنْكُمْ على رجالٍ وإن لم يَشْكُرُوا عُظْفُ
يا رَبِّ قَوْمٍ وقومٍ حاسِدينَ لَكُمْ ما فِيهِمْ بَدَلٌ مِنْكُمْ ولا خَلَفُ
ما أكثر الحساد، لكنهم لا يقومون مقامكم

أَنْتَ الْمُبَارَكُ والميمونُ سِيرَتُهُ لولا تُقَوِّمُ ذَرَّةَ النَّاسِ لا خَتَلَفُوا
درء: اعوجاج

تَدْعُو فَيَنْصُرُ أَهْلُ الشَّامِ، إِنَّهُمْ قَوْمٌ أَطَاعُوا وُلاَةَ الْحَقِّ وَاثْتَلَفُوا
ما في قلوبهم نَكْتُ ولا مَرَضٌ إذا قَذَفْتَ مُحَلًّا خَالِعاً قَذَفُوا
ليس في قلوبهم مرض (نفاق)، وإذا قذفت محلاً (من يحل حرمات الله) خالِعاً (خالعاً للطاعة)
فهم معك

٦٣ هبيرة ومشيته

أَبْنِي رَبِيعَةً إِنَّمَا أَرَزَى بِكُمْ نَكْدُ الْجُدُودِ، وَدَقَّةُ الْأَخْلَاقِ
يمشي هَبِيرَةً بعد مَقْتَلِ شَيْخِهِ مَشْيِ الْمُرَاسِلِ أَوْذَنْتَ بِطَلَاقِ
هبيرة يمشي مختلاً ولم يأخذ بثأر أبيه مشي المراسل (المطلقة التي ترأسل الرجال كي تتزوج)
أوذنت (أبلغت) بطلاقها

٦٤ يا زيق.. يا زيق

يا زِيْقُ أَنْكَحْتَ قَيْنًا بِاسْتِهِ حُمَمٌ يا زِيْقُ وَيْحَكَ مَا أَنْكَحْتَ يا زِيْقُ
زوج زيق ابنته حدراء للفرزدق على مئة ناقة، فهذا جرير يوبخه: قد زوجت قيناً (حداداً) في
مؤخرته حمم (سواد من فحم مرجله الذي يحمي به الحديد)

يا رَبِّ قَائِلَةٍ بَعْدَ الْبِنَاءِ لَهُ لا الصَّهْرُ راضٍ، ولا ابْنُ الْقَيْنِ مَعشُوقُ
البناء: الزواج، إذ كان الرجل «يبني» فعلاً على عروسه خيمة جديدة، فغدا كل زواج بناء

٦٥ لولا إسحاق

يهجو سراقه البارقي:

يا رَبِّ قَائِلَةٍ تَقُولُ وَقَائِلٍ: أَسْرَاقُ إِنَّكَ قَدْ خَزَيْتَ سُراقاً
إن الذين عَوَوْا عَوَاءَكَ قَدْ لَفَوْا مِنِّي صَوَاعِقُ تُخْضِعُ الْأَعْنَاقَا
فإذا لَقِيتَ مُجَبِّلِيساً مِنْ بَارِقٍ لَأَقْبِتَ أَطْبَعَ مَجْلِسِ أَخْلَاقَا
أطع: أسوأ

الناقِصِينَ إذا يُعَدُّ حِصَاهُمْ والجامِعينَ مَذَلَّةً وَنِفاقَا
حصاهم: عددهم

ولقد هممتُ بأنْ أَدْمَرَ بَارِقاً فَرَقَبْتُ فِيهِمْ عَمَّنَا إِسْحاقَا
أردت أن أدمرهم ولكنني رقبته (راعت) عمنا إسحق (فهم يهود من أبناء إسحق الذي هو «عم»
العرب، إذ أبو العرب أخوه إسماعيل)

٦٦ عقاب الحجاج

أَعَالِجُ بَرَحاً مِنْ هَوَاكِ، وَشَفَّنِي فَوَادُ إِذَا مَا تُذْكَرِينَ خَفَوقُ
أعالج (أعاني) برحاً (الماً) من هواك، وشفني (آلمني) فواد خافق كلما ذُكِرَتْ
أَوَائِسُ أَمَّا مَنْ أَرَدَنْ عِناهُ فَعَانٍ، وَمَنْ أَطْلَقَنْ فَهُوَ طَلِيقُ
من أردن عناه (إيلامه) فهو عانٍ (أسير)

وَمَنْ يَأْمَنُ الْحَجَّاجَ؟ أَمَّا عِقَابُهُ فَمُرٌّ، وَأَمَّا عَقْدُهُ فَوَيْثُ
لا يأمن الحجاج منافق

وما دُفَّتْ طَعْمَ النَّوْمِ إِلَّا مُفَرَّعاً وما ساعَ لي بين الحَيَازِمِ رِيْقُ
الحيازيم (أعالي الصدر التي تضم الحلق)

يُسِرُّ لَكَ الْبَغْضَاءَ كُلَّ مَنَافِقٍ كَمَا كُلُّ ذِي دِينٍ عَلَيْكَ شَفِيقٌ
وَأَطْفَأَتْ نِيرَانَ الْعِرَاقِ، وَقَدْ عَلَا لَهُنَّ دُخَانٌ سَاطِعٌ وَحَرِيقٌ
ساطع: منتشر

٦٧ لسان تميم

يرثي الفرزدق، وقد سبقه بنحو سنة:

لَعَمْرِي لَقَدْ أَشْجَى تَمِيمًا وَهَذَهَا عَلَى نَكَبَاتِ الدَّهْرِ مَوْتَ الْفَرْزَدَقِ
فوق نكبات الدهر جاء موت الفرزدق ليحزن تيمياً ويهدها

عَشِيَّةً رَاخُوا لِلْفِرَاقِ بِنَعْيِهِ إِلَى جَدَثٍ فِي هُوَّةِ الْأَرْضِ مُغَمَّقِ
لَقَدْ غَادَرُوا فِي اللَّحْدِ مَنْ كَانَ يَنْتَمِي إِلَى كُلِّ نَجْمٍ فِي السَّمَاءِ مُحَلَّقِ
عِمَادُ تَمِيمٍ كُلُّهَا وَلِسَانُهَا وَنَاطِقُهَا الْبَذَاخُ فِي كُلِّ مَنْطِقِ
البذاخ: المتدفق الهذار

وَكَمْ حِصْنٍ جَبَّارٍ هُمَامٍ، وَسُوقَةٍ إِذَا مَا أَتَى أَبْوَابَهُ لَمْ تُغْلَقِ
كان الفرزدق يزور الملوك الجبارين، والسوقة (الأثرياء من غير الملوك، وهي كلمة غير مردولة في هذا السياق) ولم تكن تغلق دونه الأبواب

لِتَبْكُ عَلَيْهِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ، إِذْ تَوَى فَتَى مُضَرٍّ، فِي كُلِّ غَرْبٍ وَمَشْرِقِ
فَتَى عَاشَ يَبْنِي الْمَجْدَ تَسْعِينَ حِجَّةً وَكَانَ إِلَى الْخَيْرَاتِ وَالْمَجْدِ يَرْتَقِي

٦٨ عز تميم

يهجو الأخطل التغلبي:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ عِزَّ بَنِي تَمِيمٍ بِنَاءُ اللَّهِ يَوْمَ بَنَى الْجِبَالَا
إِذَا مَا كَانَ خَالُكَ تَغْلِبِيًّا فَبَادِلُ إِنْ وَجَدْتَ لَهُ بَدَالَا
وَيَرْبُوعٌ تَحُلُّ ذُرَى الرَّوَابِي وَتَبْنِي فَوْقَهَا عَمْدًا طَوَالَا
يربوع: عشيرة جرير، وهي من تميم

٦٩ العاجل والآجل

قال لعمر بن عبد العزيز:

إِنَّ الَّذِي بَعَثَ النَّبِيُّ مُحَمَّدًا جَعَلَ الْخِلَافَةَ فِي الْإِمَامِ الْعَادِلِ

قد نالَ عدْلُكَ مَنْ أَقامَ بأَرْضِنَا وإليكِ حاجةٌ كُلٌّ وفدٍ راحِلِ
 إِنِّي لأَمُلُ مِنْكَ خيراً عاجِلاً والنفسُ مولعةٌ بحُبِّ العاجِلِ
 واللَّهُ أنزَلَ في الكتابِ فريضةً لابنِ السبيلِ وللفقيرِ العائلِ
 يذكُرُ عمرُ بالآية: «إنما الصدقات للفقراء والمساكين وابن السبيل...» والعائل: ذو العيال

٧٠ مصنوعون من لؤم

قومٌ توارثَ أصلَ اللؤمِ أوْلَهُمْ فما لَهُمْ عن ديارِ اللؤمِ تحوِيلُ
 مُحالِفُو اللؤمِ آلى لا يُفارِقُهُمْ حتى يُردَّ على أدراجِهِ النِّيلُ
 ملازمون للؤم، وقد آلى، أي حلف، لا يفارقهم حتى ينعكس جريان النيل

قد ارتدّوا بِرداءِ اللؤمِ واتَّزَرُوا وقُطِعَتْ لَهُمْ مِنْهُ سَرايِلُ

٧١ بسطام وغالب

أَحَبُّ لِحُبِّ العاصِمِيَّةِ معشراً مِنَ الناسِ ما كانوا صديقاً ولا أهلاً
 وأَرعاهُمْ بالغيبِ مِنْ أَجلِ حُبِّها وأُولِيهِمْ مِنْي الكَرَامَةُ والبَذَلُ
 لَقَدْ جَمَعَتْ عِرْسُ الفرزدقِ، والتَوَى بِحَذَرَاءِ قومٍ لَمْ يَرَوْكَ لَهَا أَهلاً
 جمعت (تمردت) عرس الفرزدق (زوجته) حذراء، والتوى بها أهلها (تحابلوا لمنع زواجها) لأنهم لم يروك كفتاً لها

رَأَوْا أَنَّ صِهْرَ القومِ عارٌ عَلَيْهِمْ وَأَنَّ لِبِسطامٍ على غَالِبٍ فَضْلاً
 فأبوهم بسطام خير من أيبك غالب

وَمَا رَغِبُوا في صِهْرِ آلِ مُجاشِعٍ وما إنْ رَأَوْا شَكْلَ القِيُونِ لَهُمْ شُكْلاً
 وهم لا يُضْهِرونَ إلى قِيون (حدادين)

٧٢ على أهواء نسوتهم

قيسُ البَرّاجِمِ شَرُّ الخَلْقِ كُلِّهِمْ أَخْزَاهُمْ رَبُّ جَبْرِيلَ ومِيكالِ
 الطَّاعِنُونَ على أَهْواءِ نِسْوَتِهِمْ والخَافِضُونَ بِدارِ غيرِ مُحْلالِ
 الخافضون: النازلون، دار غير محلال: لا تصلح للحلول بها

٧٣ موتي

خُذُوا كُحْلًا وَمِجْمَرَةً وَعِظْرًا فَلَسْتُمْ يَا فِرْزْدُقُ بِالرَّجَالِ

مجمرة: مبخرة

يَقُولُ الْمُنْقَرِيُّ، وَأَبْرَكُوهَا: رَخِيصٌ مَهْرُ جَعِثَنَ غَيْرُ غَالٍ

كان المنقري قد تعرض لأخت الفرزدق جعثن ثم فر، ويزعم جرير - كاذباً - أن أصحاب المنقري أقاموا الفتاة على أربع للفعل الشنيع

تَقُولُ قَتَلْتَنِي، وَيَقُولُ مُوتِي وَلَوْ رَغِمَ الْفِرْزْدُقُ لَا أَبَالِي

٧٤ أشبالي

يرثي ولده سودة، ومات بالشام:

قَالُوا نَصِيْبَكَ مِنْ أَجْرٍ، فَقُلْتُ لَهُمْ: مَنْ لِلْعَرِينِ إِذَا فَارَقْتُ أَشْبَالِي

قالوا تأخذ نصيبك من الأجر لصبرك على ابنك، فقلت لهم: من يحمي العرين إذا فقدت أولادي

لَكِنْ سَوَادَةٌ يَجْلُو مُقْلَتِي لَحِمٍ بَايَ يُصْرَصِرُ فَوْقَ الْمَرْقَبِ الْعَالِي

سودة كان يجلو (يُبرِز) مقتلتي لحم (صقر) يصيح فوق المرقب (الموضع الذي يرقب منه الصقر فريسته قبل انقضاضه)

إِلَّا تَكُنْ لَكَ بِالْدَّيْرَيْنِ مُعْوَلَةٌ قُرْبَ بَاكِيَةِ بِالرَّمْلِ مِعْوَالٍ

إن لم يكن لك يا سودة من تبيك بالديرين في الشام، فهناك باكية معوال (باكية)

في الرمل ببلاد البمامة

فَارَقْتَنِي حِينَ كَفَّ الدَّهْرُ مِنْ بَصَرِي وَحِينَ صِرْتُ كَعَظْمِ الرِّمَّةِ الْبَالِي

الرمة: ما يبقى من الجسم بعد التحلل

إِنَّ الثَّوْيَ بِذِي الزَّيْتُونِ، فَاحْتَسِبِي، قَدْ أَسْرَعَ الْيَوْمَ فِي عَقْلِي وَفِي حَالِي

الثوي: الدفين، ذو الزيتون: الشام، أو موضع بها

٧٥ تحية الطلول

عَلَامٌ تَلُومُ عَاذِلَةً جَهُولُ وَقَدْ بَلَى رَوَاحِلَنَا الرَّحِيلُ

بلَى: أبلى، الرواحل: النياق. فقد هزلت لطول السفر

عَلَيْكَ، وَإِنْ بَلَيْتِ كَمَا بَلَيْنَا، سَلَامٌ إِلَّهَ أَيُّهَا الطُّلُولُ

٧٦ صاحب الدنيا والآخرة

إِذَا قُلْتُ لِي عَبْدَ الْعَزِيزِ كَفَيْتَنِي زَمَانًا فَشَتَّ عِلَاتُهُ وَمَبَاخِلُهُ
 يكفيني عبد العزيز بن مروان، أخو الخليفة عبد الملك، نواب هذا الزمن وما فيه من بخل أهله
 وَلِلتُّرْكِ مِنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَقِيعَةٌ وَلِلرُّومِ يَوْمٌ مَا تُتِمُّ حَوَامِلُهُ
 للترك منه وقية (هزيمة) وللروم يوم لا تتم فيه الحوامل حملها لفظاعته
 فَمَا وَجَدُوا عَبْدَ الْعَزِيزِ مُعَمَّرًا وَلَا ذَا سِقَاطٍ عِنْدَ أَمْرِ يُحَاوِلُهُ
 مغمر: غسيم، ذو سقاط: كثير الخطأ

فَلَا هُوَ مِنَ الدُّنْيَا مُضِيعٌ نَصِيبُهُ وَلَا عَرَضُ الدِّينِ شَاغِلُهُ
 فهذا بديع ليس في الناس مثله وهذا مديح لا يكذب قائله
 أَبِينَا فَمَا يَدْعُو إِلَى غَيْرِكَ الْهَوَى وَمَا مِنْ خَلِيلٍ بَابِنٍ لِيَلَى نُبَادِلُهُ
 عبد العزيز الممدوح هو ابن ليلي، وزوجته أيضاً اسمها ليلي. فإذا مدح المادحون ابنه عمر بن
 عبد العزيز فهم يقولون له «ابن ليلي» مثلما يقولون لأبيه

٧٧ ثيابكم والدم

فَلَنْ تَسْتَطِيعَ يَا ابْنَ دَعْيٍ تَيْمٍ عَلَى دَحْضٍ مُزَاحِمَةِ الْقُبُولِ
 لن تستطيع يا ابن الدخيل في قبيلة تيم مزاحمة القبول (الملوك) وأنت تفق على دحض (على منزلق
 بسبب لوم قومك وكون أبك دعياً). وتيم هذه ليست تيم قريش التي منها أبو بكر الصديق، بل
 تيم بن عبد مناة وهم من مضر

كَأَنَّ التَّيْمَ وَشَطَّ بَنِي تَمِيمٍ خَصِيٌّ بَيْنَ أَخَصِنَةٍ فَحُولِ
 وإني قد رميتك من تميم بعيب لا تقوم له ثقبيل
 فَرَعْتُ مِنَ الْقُبُورِ وَعَضَّ تَيْمًا فَرِنْدُ الْوَقْعِ لَيْسَ بِذِي فُلُولِ
 فرغت من القبور (الحدادين، يعني الفرزدق وقومه) وعض تيماً فرند الوقع (السيف)
 الحاد غير المثلم

وَقُلْتُ نَصَاحَةً لِبَنِي عَدِيٍّ ثِيَابَكُمْ وَنَضَحَ دَمِ الْقَتِيلِ

ينصح بني عدي بن عبد مناة (وهم أبناء عم تيم من قبائل الرباب) أن يبتعدوا حتى لا تلبث ثيابهم
 برشاش دم القتيل الذي يريد أن يقتله شعره. ولعل مما يؤهم القارئ أن تأتي تيم وعدي في بيتين
 متتالين، فتم قبيلة أبي بكر الصديق، وعدي قبيلة عمر بن الخطاب وكنيتهما من قريش، وأمّا تيم
 وعدي المقصودتان هنا فمن الرباب التي تنتهي أيضاً إلى مضر مثل قريش ومثل تميم نفسها

تَشِينُ الزَّعْفَرَانَ عَرُوسُ تَيْمٍ وَتَمْشِي مِشْيَةَ الْجَعَلِ الزَّحُولِ
الجعل الزحول: الصرصور الذي يدخل ذيله قبل رأسه في جحره

يَقُولُ الْمُجْتَلُونَ عَرُوسَ تَيْمٍ شَوَى أُمُّ الْحُبَيْنِ وَرَأْسُ فَيْلٍ
المجتلون عروس تيم (الذين يرونها ليلة عرسها) يقولون الشوى (الأطراف) أطراف أم الحبين
(السلحية، وأطرافها صغيرة) والرأس رأس فيل

وَلَوْ غُسِلَتْ بِسَاقِيَتَي دُجَيْلٍ لَقَالَتْ مَا اكْتَفَيْتُ مِنَ الْعُسُولِ
وَمَا يَزْدَادُ رِيحُكَ غَيْرَ خُبْثٍ وَمَا يَزْدَادُ قُنْبُكَ غَيْرَ طُولِ
القنب: البظر

فَقُنْبُكَ إِنْ قَعَدْتَ بِهِ تَشْنَى قَمْدِي الْقُنْبَ قَائِمَةً فُبُولِي
إن قعدت فبظرك يشني لظوله، فقفي ومدية وبولي، فهو في طول عضو الرجل

٧٨ القائل الفاعل

دَعُوا الْجَبْنَ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ فَإِنَّمَا يَبَاعُ وَيُشْرَى سَبْيٌ مَن لَا يُقَاتِلُ
لَقَدْ جَرَّدَ الْحَجَّاجُ بِالْحَقِّ سَيْفَهُ لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَا يَمِيلَنَّ مَائِلُ
وِثْنَانِ فِي الْحَجَّاجِ: لَا تَرُكْ ظَالِمٍ سَوِيًّا، وَلَا عِنْدَ الْمُرَاشَاةِ نَائِلُ
لا يترك الحجاج الظالم سوياً بل يصيبه بغاة في جسمه، ولا يقبل الرشوة

تَقُولُ فَلَا تُلْفَى لِقَوْلِكَ نَبْوَةٌ وَتَفْعَلُ مَا أَنْيَأَتْ أَنْكَ فَاعِلُ
ليس لقولك نبوة (خطأ) فالحجاج فصيح، ويفعل ما يقول إنه سيفعل

٧٩ تصف السيوف

يَا أُمَّ نَاجِيَةَ السَّلَامِ عَلَيْكُمْ قَبْلَ الرُّوْحِ وَقَبْلَ لَوْمِ الْعُدْلِ
وَإِذَا غَدَوْتَ فَبَاكَرْتُكَ تَحِيَّةٌ سَبَقَتْ سُرُوحَ الشَّاحِجَاتِ الْحَجَلِ
إذا غدوت (بكرت) فلك تحية تسبق سروح الشاحجات الحجل (قدوم الغربان التي تمشي متمايلة
في أطلال القوم بعد رحيلهم)

لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ آخَرَ عَهْدِكُمْ يَوْمَ الرِّحِيلِ فَعَلْتُ مَا لَمْ أَفْعَلِ
سئل ابن لجبر: وماذا كان يفعل أبوك؟ قال: كان سيفاً عينه حتى لا يراهم يرحلون
أَعَدَدْتُ لِلشُّعْرَاءِ سُمًّا نَاقِعًا فَسَقَيْتُ آخِرَهُمْ بِكَأْسِ الْأَوَّلِ
سما ناقعاً: شديداً

لَمَا وَضَعْتُ عَلَى الْفَرَزْدَقِ مِيسْمِي وَضَعَا الْبَعِيثُ، جَدَعْتُ أَنْفَ الْأَخْطَلِ
 وضع الميسم (الحديدة المحمأة التي تدمع بها الإبل لتوثق مَلَكِيَّتُهَا) على الفرزدق فضعا البيت
 (صاح) فجذع (قطع) أنف الأخطل... يريد أن يجمعهم في بيت

أَخَزَى الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ مُجَاشِعاً وَبَنَى بِنَاءَكَ فِي الْحَضِيضِ الْأَسْفَلِ
 سمك السماء: رفعها

إِنِّي بَنَيْ لِي فِي الْمَكَارِمِ أُولِي وَنَفَخْتُ كِيرَكَ فِي الزَّمَانِ الْأُولِ
 أولي: أجدادي، الكير: متفاح الحداد

إِنِّي انْصَبَبْتُ مِنَ السَّمَاءِ عَلَيْكُمْ حَتَّى اخْتَطَفْتُكَ يَا فَرَزْدَقُ مِنْ عِلِّ
 قَتَلَ الرَّزْبِيرُ وَأَنْتَ عَاقِدُ حُبُوةٍ قُبْحاً لِحُبُوتِكَ الَّتِي لَمْ تُحْلَلِ
 قتل الزبير بن العوام بعدما استجار برجل من قوم الفرزدق، يقول جرير: كنت عاقداً
 الحبوة (شال يقعد الرجل ويجمع به ما بين ظهره وساقبه) عندما قتل الزبير ولم تقم
 لتنجده. من هذا البيت نستدل - إن صح لنا - أن الفرزدق مولود فعلاً في عام ٢٠
 للهجرة، وليس بعده. فقد قتل الزبير سنة ست وثلاثين بعيد وقعة الجمل. فلو كان ما
 قاله نفر عن مولد الفرزدق في عام ثلاثين صحيحاً لكان عمره إذ ذاك ست سنين، فلا
 مكان للقول إنه كان محتياً

لَا تَذْكُرُوا حُلَلَ الْمُلُوكِ فَإِنَّكُمْ بَعْدَ الزَّبِيرِ كَحَائِضٍ لَمْ تُغَسَّلِ
 لا تذكروا نيلكم حلل الملوك، وكان الملوك يخلعون على الناس الحلل، أي الثياب، ضمن
 الهبات

وَلَقَدْ تَرَكْتُ مُجَاشِعاً وَكَأَنَّهُمْ فَقَعُ بِمَدْرَجَةِ الْخَمِيسِ الْجَحْفَلِ
 تركت مجاشعاً كالققع (الفطر) النامي في طريق الخميس (الجيش) الجرار، يداسون بالأقدام
 كان الفرزدق إذ يعودُ بخاله مثل الذليل يعودُ تحت القَرْمَلِ
 القرمل: شجر ضعيف

وَأَفْخَرُ بِضَبَّةٍ إِنَّ أُمَّكَ مِنْهُمْ لَيْسَ ابْنُ ضَبَّةٍ بِالْمُعَمِّ الْمُخُولِ
 تَصِفُ السُّيُوفَ وَغَيْرُكُمْ يَعْصِي بِهَا يَا ابْنَ الْقِيُونِ، وَذَاكَ فِعْلُ الصِّقْلِ
 يعصى: يضرب، الصيقل: صانع السيوف

قَعَدْتُ قُفَيْرَةً بِالْفَرَزْدَقِ بَعْدَمَا جَهَدَ الْفَرَزْدَقُ جَهْدَهُ لَا يَأْتَلِي
 قفيرة أم الفرزدق، لا يأتلي: لا يوفر جهداً

٨٠ والتغليبي إذا تنحنح..

قال يهجو الأخطل:

إِنِّي جُعِلْتُ، فَلَنْ أَغَايِي تَغْلِبًا، لِلظَّالِمِينَ عَقُوبَةً وَنَكَالًا
والتغليبي إذا تَنَحَّنَحَ لِلْقَرَى حَكَّ اسْتَهُ وَتَمَثَّلَ الْأَمْثَالَا

التغليبي يتنحنح.. ثم يحك استه.. ويتكلم بكلام عام محاولاً التملص عندما يأتيه
زائر يطلب طعاماً

أَنْسَيْتَ يَوْمَكَ بِالْجَزِيرَةِ بَعْدَمَا كَانَتْ عَوَاقِبُهُ عَلَيْكَ وَيَا لَا
انهزم قوم الأخطل بالجزيرة الفراتية، وقيل أسر الأخطل ولكنه تخلص إذ لم يعرفه أسروه،
وظنوه عبداً

حَمَلْتُ عَلَيْكَ حُمَاءَ قَيْسٍ خَيْلَهَا شُعْثًا عَوَاسٍ نَحْمُلُ الْأَبْطَالَا
كانت الخيل مشعثة عابسة في تلك المعركة

مَا زِلْتُ تَحْسَبُ كُلَّ شَيْءٍ بَعْدَهُمْ خَيْلًا تَشُدُّ عَلَيْكُمْ وَرِجَالَا
لما أصاب الأخطل من خوف ظل يرى كل شيء كأنه تلك الخيل وأولئك الرجال الذين أوقعوا
بقومه. وأخذ المتنبّي المعنى ووضعه في إطار سريالي: «إذا رأى غير شيء ظنه رجلاً»

زُقِرُ الرَّئِيسُ أَبُو الْهَذِيلِ أَبَادَكُمْ فَسَبَى النِّسَاءَ وَأَحْرَزَ الْأَمْوَالَا
قَالَ الْأَخْيَطُ لُ إِذْ رَأَى رَايَتَهُمْ يَا مَارَ سَرَجِسَ لَا نُرِيدُ قِتَالَا
القديس سرجيس من أولياء تغلب (وقته الرومان قبل أربعة عقود من تحول الإمبراطورية الرومانية
إلى المسيحية)

قَيْسٌ وَخِنْذِفُ إِنْ عَدَدْتَ فَعَالَهُمْ خَيْرٌ وَأَكْرَمُ مِنْ أَبِيكَ فَعَالَا
إِنْ حَرَمُوكَ لَتَحْرُمَنَّ عَلَى الْعِدَى أَوْ حَلَّلُوكَ لَتَشُوْكَلَنَّ حَلَالَا
وَلَوْ أَنَّ تَغْلِبَ جَمَعَتْ أَحْسَابَهَا يَوْمَ التَّفَاضُلِ لَمْ تَزِنْ مِثْقَالَا
لَا تَطْلُبَنَّ خُؤُولَةً فِي تَغْلِبٍ فَالزُّنْجُ أَكْرَمُ مِنْهُمْ أَخْوَالَا
لَوْلَا الْجَزَى قُسِمَ السَّوَادُ وَتَغْلِبُ فِي الْمُسْلِمِينَ فَكُنْتُمْ أَنْفَالَا

لولا أنكم تدفعون الجزية، ويتعيش بها بيت المال، لكانت بلادكم بسواد العراق قد
قسمت بين المسلمين، ولقسمتم أنتم فكنتم غنائم. وكان عمر بن الخطاب أفعى
نصارى تغلب من الجزية، ورضي أن يستوفي بعض قيمتها منهم باسم الصدقة، ولكن
ولاة الأمر من بعده تمللوا من حكمه

٨١ مقتل الزبير

إِنِّي تُذَكِّرُنِي الزُّبَيْرَ حَمَامَةً تَدْعُو بِمَجْمَعٍ نَخَلَتَيْنِ هَدِيلاً
يتذكر جرير الزبير بن العوام، تذكره بمقتله حمامة تدعو الهديل، وقالوا إن «الهديل» ابن الحمامة،
وقد فقدته فهي منذ ذلك الوقت تنادي «الهديل» بصوت حزين

قالت قريش: ما أَذَلُّ مُجَاشِعاً جَاراً، وأكرمَ ذا القَتِيلِ قَتِيلاً
قريش تقول إن قبيلة مجاشع، قبيلة الفرزدق - التي أجارت الزبير القرشي ثم لم تحمه - ذليل جارها
لأنها لا تجعله عزيزاً بحمايتها، على أن هذا القتل شريف كريم

أَفْبَعَدَ مَتَرَكِهِمْ خَلِيلَ مُحَمَّدٍ تَرْجُو الْقِيُونَ مَعَ الرُّسُولِ سَبِيلاً
متركهم: تركهم، خليل محمد: الزبير، وكان يدعى حوارياً رسول الله

لو كنتَ حُرّاً يا ابنَ قَيْنٍ مجاشع شَيِّعَتَ صَيْفَكَ فَرَسَحَيْنِ وَمِيلاً
لا يمل جرير ولا يكل من تلقب الفرزدق بالقين وابن القيون زاعماً أن آباء الفرزدق كانوا يمتهون
الحدادة، وهذه كذبة كبيرة

قَتَلَ الزُّبَيْرُ وَأَنْتُمْ جِيرَانُهُ عَيّاً لِمَنْ عَرَّ الزُّبَيْرَ طَوِيلاً
لو كنتَ حينَ غُرِرْتَ بينَ بيوْتِنَا لَسَمِعْتَ مِنْ صَوْتِ الْحَدِيدِ ضَلِيلاً
أيها الزبير لو كنت عندنا لسمعت صليل السيوف إذا حاول أحد الاقتراب منك

لَحَمَاكَ كُلُّ مُغَاوِرٍ يَوْمَ الْوَعَى وَلَكَانَ شِلْوُ عَدُوِّكَ الْمَأْكُولَا
شلو: طرف، وجمعها الأشهر منها: أشلاء

٨٢ قاتل الحيات

عُوجِي عَلَيْنَا وَارْبَعِي رَبَّةَ الْبَغْلِ وَلَا تَقْتُلِينِي لَا يَحِلُّ لَكُمْ قَتْلِي
ميلي إلينا يا راكبة البغل

تَمَنَّى رَجَالٌ مِنْ تَمِيمٍ لِي الرَّدَى وَمَا ذَادَ عَنْ أَحْسَابِهِمْ ذَائِدٌ مِثْلِي
ذاذ: حامى ودافع

فَلَوْ شَاءَ قَوْمِي كَانَ جَلِمِي فِيهِمْ وَكَانَ عَلَى جُهَالٍ أَعْدَائِهِمْ جَهْلِي
وقد زعموا أن الفرزدق حبة وقد قتل الحيات من أحد قتلي
رأيتك لا تحمي عقلاً، ولم تُرد قتالاً، فما لاقيت شر من القتل

عقال: بعير

٨٣ شبه الرجال

لَا يَخْفَيْنَ عَلَيْكَ أَنَّ مُجَاشِعًا شَبَهُ الرِّجَالِ وَمَا هُمْ بِرِجَالٍ
فَانْفُخْ بِكِبْرِكَ يَا فَرَزْدُقُ، وَانْتَظِرْ فِي كَرْتَبَاءِ هَدِيَّةِ الْقُقَالِ
اقعد يا فرزدق عن القتال وانفخ في متفاخك أيها الحداد، وانتظر في «كرتباء» عودة القفال
(الراجعين) من القتال ليعطوك هدية مما غنموا

٨٤ أميمة

وَدَّعْ أَمَامَةً حَانَ مِنْكَ رَحِيلُ إِنَّ الْوَدَاعَ إِلَى الْحَبِيبِ قَلِيلُ
إِنْ كَانَ طِبُّكُمْ الدَّلَالُ فَلِئِنَّهُ حَسَنَ دَلَالِكَ يَا أُمَيْمَ جَمِيلُ
طبكم: عادتكم، أميم: أميمة

قَالَ الْعَوَازِلُ قَدْ جَهِلْتُ بِحُبِّهَا بَلْ مَنْ يَلُومُ عَلَى هَوَاكِ جَهْلُ
كَنَفَا الْكُثِيبِ تَهَيَّلْتُ أَغْطَاةُ وَالرِّيحُ تَجْبُرُ مَثْنَهُ وَتُهِيلُ
بصفا: جسمها، وخصوصاً عجيزتها، ككثيب الرمل يهيل رمله ويترجرج، والريح تسفي عليه رملاً
ثم تأخذ منه رملاً

أَمَّا الْفَوَازِدُ فَلَيْسَ يَنْسَى ذِكْرَكُمْ مَا دَامَ يَهْتَفُّ فِي الْأَرَاكِ هَدِيلُ
الأراك: من الأشجار، والهديل: صغير الحمام

٨٥ مات الهوى

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْجَهْلَ أَقْصَرَ بَاطِلُهُ وَأَمْسَى عَمَاءٌ قَدْ تَجَلَّتْ مَخَايِلُهُ
جهل الشباب قد أقصر باطله (انحسر)، وأصبح عماء (سحاباً عالياً) قد تجلت مخايله (تبددت
غيماته الخفيفة)

فَلِئَنِّي، وَلَوْ لَامَ الْعَوَازِلُ، مُوَلَّعٌ بِحُبِّ «الْقُضَا» مِنْ حُبِّ مَنْ لَا يُزَايِلُهُ
القضا: مكان معين فيه شجر الغضا

و«ذَا مَرَّحٌ» أَحْبَبْتُ مِنْ حُبِّ أَهْلِهِ وَحَيْثُ انْتَهَتْ فِي الرُّوْضَتَيْنِ مَسَائِلُهُ
أَتَنْسَى لَطُولَ الْعَهْدِ أَمْ أَنْتَ ذَاكِرٌ خَلِيلُكَ ذَا الْوَصْلِ الْكَرِيمِ شَمَائِلُهُ
وقد كان أحياناً بيّ الشوق مولعاً إِذَا الطَّرْفُ الطَّعَّانُ رُدَّتْ حَمَائِلُهُ
الطرف: المهر المتطرف في المرعى الطعان: المرتحل، ردت حمائله: رفع رحله فوق الجمل
استعداداً للرحيل

فَلَمَّا التَّقَى الْحَيَّانِ أَلْقَيْتِ الْعَصَا وَمَاتَ الْهَوَى لَمَّا أَصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ

عندما التقى قومي وقومها، ألقى العصا (كناية عن النزول بالمكان)، وتبدد ألم الشوق وقُتل بحضور الحبيب. لم يتقد القدماء هذا البيت الذي قُتل فيه جرير الحب. بل لقد أعجبوا به كل الإعجاب. أولئك ناس جربوا الهوى، وعرفوا كيف يبدأ بالوصال

لَقَدْ طَالَ كَيْثْمَانِي أُمَامَةً حَبَّهَا فَهَذَا أَوَّانُ الْحَبِّ تَبَدُّو شَوَاكِلُهُ

شواكله: أماراته وعلاماته

إِذَا حُلِّيتُ فَالْحَلِي مِنْهَا بِمَعْقِدٍ مَلِيحٍ، وَإِلَّا لَمْ تَشْنُهَا مَعَاطِلُهُ

معقد الحلي: العنق، وإن لم تُحلَّ جيدها بشي فليس يشينها العطل (عدم الحلي)

وَقَالَ اللَّوَاتِي كُنَّ فِيهَا يَلْمَنِي لَعَلَّ الْهَوَى يَوْمَ الْمُغْبِزِلِ قَاتِلُهُ

ويوم كلبهام القطاة مُزَيْنٍ إِلَيَّ صَبَاهُ غَالِبٍ لِي بِاطِلُهُ
يوم قصير كأبهام طائر القطا أَشْتَقُ إِذْ أَتَذَكَّرُ صَبَاهُ، ما فيه من شقاوة، وقد غلبني فيه الباطل،
اللهو، عن رزائي

لَهَوْتُ بِجَنِّي عَلَيْهِ سُمُوطُهُ وَإِنْسٍ مَجَالِيهِ، وَأَنَسٍ شَمَائِلُهُ

هي كالجنية من جمالها، السموط: العقود، إنس مجاليه: صورته صورة الإنسان، أنس شمائله: طباعته فيها الأنس والرقّة

فَمَا مُغْزِلُ أَدْمَاءٍ تَحْنُو لِشَاوِنٍ كَطَوِقِ الْفَتَاةِ لَمْ تُشَدِّذْ مَفَاصِلُهُ

المغزل (الغزاة ومعها ولدها) أدماء: يضاء، شادن: ولد الغزاة، كأن هذه الغزاة تطوق ولدها وتلتف عليه كطوق في عنق فتاة لكنه طوق رخو

بِأَحْسَنَ مِنْهَا يَوْمَ قَالَتْ أَنَاظِرُ إِلَى اللَّيْلِ بَعْضَ النَّيْلِ أَمْ أَنْتَ عَاجِلُهُ

تلك الغزاة ليست بأجمل من المحبوبة يوم قالت لجرير: أنتنظر الليل لتنال بعض ما تريد، أم أنت مستعجل؟

فَلَوْ كَانَ هَذَا الْحَبُّ حَبًّا سَلَوْتُهُ وَلَكِنَّهُ دَاءٌ تَعُودُ عَقَابِلُهُ

عقابله: بقاءه

وَلَمْ أَنَسْ يَوْمًا بِالْعَقِيقِ تَخَايَلْتُ ضَحَاهُ، وَطَابَتْ بِالْعَشِيِّ أَصَائِلُهُ

تخايلت ضحاه: بدت فيه سحب خفيفة وقت الضحى

رُزِقْنَا بِهِ الصَّيْدَ الْغَزِيرَ، وَلَمْ أَكُنْ كَمَنْ نَبَلُهُ مَحْرُومَةٌ وَحَبَائِلُهُ

صدنا فيه كثيراً، ولم تكن نبالي (سهامي) وحبائلي (شباكي) محرومة، فقد صدت كما صادوا

فَأَيَّاهُتْ أَيَّهَاتِ الْعَقِيقُ وَمَنْ بِهِ وَأَيَّهَاتِ وَضَلَّ بِالْعَقِيقِ نَوَاصِلُهُ

أيهات: هيهات

يَقْلُنْ إِذَا مَا حَلَّ دَيْنُكَ عِنْدَنَا، وخيرُ الذي يُقْضَى مِنَ الدَّيْنِ عاجِلُهُ..
إذا حل وقت الوفاء بالدين، وقد يكون الدين قبلة أو لقاء، والأفضل - يقول جرير - تعجيل الوفاء بالدين..

: لَكَ الْخَيْرُ، لَا نَقْضِيكَ إِلَّا نَسِيَّةً مِنَ الدَّيْنِ أَوْ عَرْضاً فَهَلْ أَنْتَ قَابِلُهُ؟
يقُلن: نقضي دينك نسيئة (تأجيلاً)، أو نعطيك بدلاً منه عرضاً لا نقداً. يقصد أنها تريد إعطاءه قبلة في الهواء، مثلاً، بدل القبلة الحقيقية

عَشِيَّةً يَبْغَا الْجَلْمَ بِالْجَهْلِ، وَأَنْتَحَتْ بِنَا أَرْحِيَّاتُ الصَّبَا وَمَجَاهِلُهُ
حدث هذا عشية تخلينا عن الحلم (العقل) وملنا إلى اللهو، وانتحيت بنا (أخذتنا بعيداً) أرحييات الصبا (الانجراف مع اللهو) ومجاهله (رعوته)

وَذَلِكَ يَوْمٌ خَيْرُهُ دُونَ شَرِّهِ تَغَيَّبَ وَاشِيَهُ وَأَقْصَرَ عَاذِلُهُ
ذلك يوم كان فيه خير، فقد غاب الواشي، وكف العاذل عن اللوم، ثم جاء الشر وهو في الغالب رحيل القوم

أَنَا الْبَدْرُ يُعْشِي طَرْفَ عَيْنِكَ فَالْتَمِسْ بِكَفِّكَ يَا ابْنَ الْقَيْنِ هَلْ أَنْتَ نَائِلُهُ
يخاطب الفرزدق، أنا البدر يعشي طرف عينيك (يضعف بصرك)، ولا سبيل لك عليّ

لَبِستُ أَدَاتِي، وَالْفَرْزَدُقُ لُغْبَةٌ عَلَيْهِ وَشَاخًا كُرْجٌ وَجَلَّاجِلُهُ
يذكر جرير واقعة، فقد طلب الحجاج من جرير والفرزدق أن يأتي كل واحد منهما وقد لبس ملابس قومه في الجاهلية. وجاء الفرزدق لابساً الحرير متزيناً لأن قومه كانوا من السادة الأثرياء، وجاء جرير لابساً درعاً ومتهيئاً للحرب. يقول: لبست أداة الحرب، والفرزدق لعبة كُرْج (خشبة كأنها المهر يلهو بها الصبية) وعليه وشاحان وجلجل (أجراس)

أَعْدُوا مَعَ الْحَلِيِّ الْمَلَابِ، فَإِنَّمَا جَرِيرٌ لَكُمْ بَغْلٌ وَأَنْتُمْ حَلَائِلُهُ
جهزوا مع الزينة الملاب (الطيب)، فأنتم حلائل (نساء) وجرير هو البعل

أَنَا الدَّهْرُ يُفْنِي الْمَوْتَ، وَالدَّهْرُ خَالِدٌ فَجِئَنِي بِمِثْلِ الدَّهْرِ شَيْئاً يُطَاوِلُهُ
أَمِنْ سَفَهِ الْأَحْلَامِ جَاءُوا بِقِرْدِهِمْ إِلَيَّ وَمَا قِرْدٌ لِقِرْمٍ يُصَاوِلُهُ
القم: الفحل، يصاوله: ينازله

تَعَمَّدَهُ آذِيٌّ بِحَرِّ فَعَمَّهُ وَالْقَاهُ فِي فِي الْحَوْتِ، فَالْحَوْتُ آكِلُهُ
لقد تعمد الفرزدق (غمره) آذِيٌّ بحر (موج) فغمه (فغطاه)، والقاه الموج في في (فم) الحوت

٨٦ عدي واللؤم

يُمَاشِي عَدِيًّا لُؤْمَهَا مَا تُجِئُهُ مِنْ النَّاسِ مَا مَاشَتْ عَدِيًّا ظِلَالُهَا
تَجَنُّهُ: تَخْفِيهِ. وَلُؤْمَهَا لَاصِقٌ بِهَا كَظَلِّهَا

فَقُلْ لِعَدِيٍّ تَسْتَعِينُ بِنِسَائِهَا عَلَيَّ فَقَدْ أَغْيَا عَدِيًّا رَجَالُهَا
تَرَى اللَّؤْمَ مَا عَاشَتْ عَدِيٌّ مُخْلَدًا سَرَابِيلُهَا مِنْهُ، وَمِنْهُ نِعَالُهَا
سَرَابِيلُ: ثِيَاب

٨٧ اقعدِي أو قومي

حَيِّ الدِّيَارَ كَوَحِي الكَافِ والمِيمِ مَا حَظَّكَ الْيَوْمَ مِنْهَا غَيْرُ تَسْلِيمِ
حَي الديار التي صارت كالوحي (كالكتابة) وفيها حروف هنا وهناك من كاف ومن ميم، فهي أطلال
خربة، وكل حظك منها أن تلقى عليها السلام

الطَّبِيبُونَ مِنَ الرِّيحَانِ مَنَبَتْهُمْ وَمَنْبَتُ التَّيْمِ فِي الْكُرَّاثِ وَالشُّومِ
تَقْضِي الْقَضَاءُ عَلَى تَيْمٍ وَإِنْ رَغِمَتْ فَاكْتُبْ قَضَاءَكَ وَاطْبَعْ بِالْخَوَاتِيمِ
مَا بَيْنَ تَيْمٍ وَإِسْمَاعِيلَ مِنْ نَسَبٍ إِلَّا الْقَرَابَةُ بَيْنَ الرُّنَجِ وَالرُّومِ
أَيَّ أَنْ تَيْمًا لِسُوا مِنَ الْعَرَبِ

إِنْ ابْنُ تَيْمٍ لَمَنْسُوبٌ لِوَالِدِهِ دَانِي الْقَرَابَةِ مِنْ حَامٍ وَيَحْمُومٍ
إِنْ نَسَبَ التَّيْمِي لَوَالِدِهِ فَهُوَ قَرِيبٌ مِنْ حَامٍ (وَلَدَ نُوْحٍ، وَهُوَ جَدُّ السُّودِ) وَيَحْمُومٍ (الدَّخَانُ الْأَسْوَدُ)
هَذِي الَّتِي جَدَعْتَ تَيْمًا مَوَاسِمَهَا ثُمَّ اقْعُدِي بَعْدَهَا يَا تَيْمُ أَوْ قُومِي
هَذِهِ الْقَصِيدَةُ هِيَ الَّتِي جَدَعْتَ مِنَ التَّيْمِ مَوَاسِمَهَا (أَنُوفَهَا)، فَلْتَفْعَلْ بَعْدَهَا تَيْمٌ مَا تَشَاءُ

٨٨ لومي كما تشائين

أَعَاذَلْ طَالَ لَيْلُكَ لَمْ تَنَامِي وَنَامَ الْعَاذِلَاتُ وَلَمْ تُنِيْمِي
إِذَا مَا لُمْتَنِي وَعَذَرْتُ نَفْسِي قُلُومِي مَا بَدَا لَكَ أَنْ تُلُومِي

٨٩ الخزي

قال يهجو الفرزدق:

سَتَخَزَى مَا حَيِّتَ وَلَا يُحْيَا، إِذَا مَا مُتَّ، قَبْرُكَ بِالسَّلَامِ
مَتَى تَأْتِ الرُّصَافَةُ تَخَزُ فِيهَا كَخَزِيكَ فِي الْمَوَاسِمِ كُلِّ عَامٍ

٩٠ يميل ويستقيم

قال يمدح هشام بن عبد الملك:

سَمِعْتُ حَمَامَةً طَرِبَتْ بِنَجْدٍ فَمَا هَجَّتَ الْعَشِيَّةُ يَا حَمَامَا

طربت: حزنت، فما هذا الشجن الذي تهيجه فينا يا حمام؟

مُطَوَّقَةٌ تَرْتَمُ فَوْقَ غُصْنٍ إِذَا مَا قَلْتُ مَالَ بِهَا، اسْتَقَامَا

أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ قَضَى بِعَدْلٍ أَحَلَّ الْجَلَّ وَاجْتَنَبَ الْحَرَامَا

فِيَا رَبَّ الْبَرِّيَّةِ أَغْطِ شُكْرَا وَعَافِيَّةً، وَأَبْقِ لَنَا هِشَامَا

وَيُخَسِّرُ مَنْ تَرَكْتَ فَلَمْ تُكَلِّمْ وَيُغْبِطُ مَنْ تُرَاجِعُهُ الْكَلَامَا

يخسر (يفض بصره) من تتجاهله، ومحسود من تراجع الكلام (تصادفه)

رَضِينَا بِالْخَلِيفَةِ حِينَ كُنَّا لَهُ تَبَعًا وَكَانَ لَنَا إِمَامَا

كُنَّا هُنَا لِلْحَاضِرِ لَا لِلْمَاضِي كَمَا فِي الذِّكْرِ «وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا»

وَرِيشِي مِنْكُمْ، وَهَوَايَ فِيكُمْ وَإِنْ كَانَتْ زِيَارَتُكُمْ لِمَامَا

ريشي: نعمتي، لماماً: متباعدة

٩١ يعطين ويحرم

أَلَا قُلْ لِرَبِّعٍ بِالْأَفَاقِينَ يَسْلَمُ يُحَيَّا عَلَى شَحْطٍ وَإِنْ لَمْ يُكَلِّمْ

على شحط: برغم البعد

وَمَنْ يُعْطِ وَدَّ الْعَافِيَاتِ فَإِنَّهُ غَنِيٌّ، وَمَنْ يَحْرِمُنَّهُ فَهُوَ يُخْرِمُ

٩٢ مدح عمر بن عبد العزيز

إِنَّ طِلَابَكَ شَيْئًا لَسْتَ نَائِلَهُ جَهْلٌ، وَطُولُ لُبَانَاتِ الْهَوَى سَقَمٌ

طلابك (ملاحقتك) ما لن تناله جهل، وطول التفكير في لبانات (رغبات)

الهوى سقم (مرض)

حَمَلْتُ رَحْلِي عَلَى الْأَهْوَالِ نَاجِيَةً مِثْلَ الْقَرِيعِ الْمُعْنَى شَقُّهُ السَّدَمُ

رفعت رحلي، رغم المتوقع من أهوال السفر، على ظهر ناجية (ناقة سريعة) تشبه القرية (البعير)

المتوتر الذي شقه (أثعبه) السدم (طول الحبس عن الإناث)

مِنَ الطَّوَامِجِ أَبْصَاراً، إِذَا خَشَعَتْ عَنْهَا ذُرَى عِلْمٍ قَالُوا بَدَأَ عِلْمٌ
 نَاقِي تَطْمَحُ بِيَصَرِهَا (ترفع رأسها) فإذا خشعت عنها (انخفضت) ذُرَى عِلْمٍ (قمة جبل)
 بدأ جبل جديد

إِلَى الْأَعْرَ الَّذِي تُرْجَى نَوَافِلُهُ إِذَا الْوُفُودُ عَلَى أَبْوَابِهِ ازْدَحَمُوا
 قد جئت بالناقة إلى الأعر (الصحيح الوجه) الذي ترجى نوافله (عطاياها) عندما تزدهم وفود السائلين ببابه
 أَشَبَّهَتْ مِنْ عُمَرَ الْفَارُوقِ سِيرَتَهُ سَنَ الْفَرَايِضِ وَائْتَمَّتْ بِهِ الْأُمَمُ
 فعلاً أشبهه، لذا لم يعط جريراً سوى القليل

٩٣ عوى الشعراء

أَقُولُ لِصُحْبَتِي لِمَا ارْتَحَلْنَا وَدَمْعُ الْعَيْنِ مِنْهُمْ رُجَامُ
 أَتَمُضُونَ الرُّسُومَ وَلَا تُحْيَا كَلَامُكُمْ عَلَيَّ إِذْ حَرَامُ
 أتمضون الرسوم: أتمرون بالأطلال، ولا تحيونها، فلا والله ما كلمتكم إذن

أَقِيمُوا إِنَّمَا يَوْمٌ كَيَوْمٍ وَلَكِنَّ الرَّفِيقَ لَهُ ذِمَامُ
 بِنَفْسِي مَنْ تَجَنَّبُهُ عَزِيزٌ عَلَيَّ وَمَنْ زِيَارَتُهُ لِمَامُ
 أفدي بنفسي من يصعب عليّ تجنبه، ومن لا أزوره إلا لماماً (قليلاً)

وَمَنْ أُنْسِي وَأَصْبَحُ لَا أَرَاهُ وَيَظْرُقُنِي إِذَا هَجَعَ النَّيَامُ
 يأتيني في المنام

أَلَيْسَ لِمَا طَلَبْتُ فَدَنَّاكَ نَفْسِي قَضَاءً، أَوْ لِحَاجَتِي انْصِرَامُ
 ألا تلبين رغبتني في الوصال؟ أليس لحاجتي انصرام (انقضاء)؟

أَتُنْسَى إِذْ تَوَدُّعُنَا سُلَيْمَى بِعُودِ بَشَامَةٍ؟ سُقِيَ الْبَشَامُ
 يخاطب نفسه: أنسى يوم ودعتنا سليماً ولوحت - دون أن تقدر على كلامنا - بعود بشامة (من
 الأشجار)؟ ألا سقى الله البشام

تَرَكْتُ مُحَلِّينَ رَأَوْا شِفَاءً فَحَامُوا ثُمَّ لَمْ يَرُدُّوا وَحَامُوا
 تركت يا سليماً ناساً محلّتين (مطرودين عن الماء) رأوا فيه شفاء ظمأهم فحاموا وحاموا ولم يتيسر
 لهم ورود الماء

فَلَوْ وَجَدَ الْحَمَامُ كَمَا وَجَدْنَا بِسُلْمَانِينَ لَاكْتَابَ الْحَمَامُ
 لو وجد الحمام (حزن/ من الوجد) مثلنا في سلمانين لاكتأب الحمام

عَوَى الشَّعْرَاءُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَلَيَّ، فَقَدْ أَصَابَهُمْ انتِقَامٌ

ساعد الشعراء بعضهم بعضاً عليّ، وأصابهم جميعاً انتقامي

كَأَنَّهُمُ الشُّعَالِبُ حِينَ تَلْقَى هَزَبْرَأَ فِي الْعَرِينِ لَهُ انْتِحَامٌ

الهزير الاسد، الانتحام: هزير الاسد

إِذَا أَوْقَعْتُ صَاعِقَةً عَلَيْهِمْ رَأَوْا أُخْرَى تَحَرَّقُ فَاسْتَدَامُوا

استداموا: تأثروا

فَمُضْطَلَمَ الْمَسَامِعِ أَوْ خَصِيٍّ وَآخِرُ عَظْمٍ هَامَتِهِ حُطَامٌ

مصطلم: مقطوع الأذنين

٩٤ مدح رياح

مَا كَانَ يُوجَدُ فِي «رِيَّاحٍ» نَبْوَةٌ عِنْدَ الْجَوَارِ وَلَا بِضِيقِ الْمَقْدَمِ
قبيلة رياح لا تتأخر عن حماية من يستجير بها، ولو كان فيها ضيق لدى قدمه، كذا المعنى الملموح

السَّالِبِينَ عَنِ الْجَبَابِرِ بَزَّهِمْ وَالْخَيْلُ تَحْجِلُ فِي الْغُبَارِ وَفِي الدِّمِّ

يسلبون بز (ملابس) الأبطال بعد قتلهم في معركة تنقل الخيل فيها أرجلها بين الغبار والدم

وَالْخَيْلُ تُخْبِرُ عَنِ رِيَّاحٍ أَنَّهُمْ نِعَمَ الْفَوَارِسُ فِي الْغُبَارِ الْأَقْتَمِ

٩٥ على هوى النسوان

أَمَّا أَسْنَدٌ وَالْهَجِيمُ وَمَازَنٌ فَشِرَارُ مَنْ يَمْشِي عَلَى الْأَقْدَامِ

الطَّاعِنُونَ عَلَى هَوَى نِسْوَانِهِمْ وَالنَّازِلُونَ بِشَرِّ دَارٍ مُقَامِ

٩٦ لؤم التيم

نَهَيْتُ التَّيْمَ عَنْ سَفَهٍ، وَطَالَتْ أَنَاتِي وَانْتَظَرْتُ ذَوِي الْحُلُومِ

انتظرت العاقلين من تيم كي يكفوا شاعرهم عن سفهه

تَرَى الْأَبْطَالَ قَدْ كَلِمُوا، وَتَيْمٌ صَحِيحُو الْجِلْدِ مِنْ أَثَرِ الْكُلُومِ

تيم جبناء، ترى الأبطال قد كلموا (جرحوا) وتيم ليس بهم جراح

وَمَا لِلتَّيْمِ مِنْ حَسَبٍ حَدِيثٍ وَمَا لِلتَّيْمِ مِنْ حَسَبٍ قَدِيمٍ

مِنَ الْأَصْلَابِ يَنْزِلُ لَوْمٌ تَيْمٍ وَفِي الْأَرْحَامِ يُخْلَقُ وَالْمَثْبِمِ

تَرَى التَّيْمِيَّ يَزْحَفُ كَالْقَرْنَبِيِّ إِلَى سَوْدَاءَ مِثْلَ قَفَا الْقُدُومِ
القرنبي: حشرة، ويشبه امرأة التيمي بقفا القدم (المطرقة)

٩٧ أعين الحسان

وَإِذَا وَعَدْتِكَ نَائِلًا أَخْلَفْتَهُ وَإِذَا طُلِبْنَ لَوَيْنَ كُلٌّ غَرِيمٍ
إذا وعدتك بنائل (عطاء) أخلفن الوعد، وإذا طولبن لوين (مطلن) كل غريم (دائن)

فَاعْصِي مَلَامَ عَوَازِلٍ يَنْهَيْنَكُمُ فَلَقَدْ عَصَيْتُ إِلَيْكَ كُلَّ حَمِيمٍ
ينصح محبوبته بعصيان لوم العواذل، فهو قد عصى كل صديق تقريباً إليها

يَرْمِيَنَّ مِنْ خَلَلِ السُّتُورِ بِأَعْيُنٍ فِيهَا السَّقَامُ وَبُرْءُ كُلِّ سَقِيمٍ
ترمي النسوة من الشقوق بين الستور بنظرات فيها مرض (ويتغزلون بالعيون المراض الكسولة)،
وفيها أيضاً شفاء كل مريض

٩٨ ولدي بلال

إِنَّ بِلَالَ لَمْ تَثْنُهُ أُمُّهُ

يفخر بولده بلال: لم تكن أمه مما يعيبه

لَمْ يَتَنَاسَبْ خَالُهُ وَعَمُّهُ

أمه ليست من عائلتنا فلا نسب بين خاله وعمه، وهذا أشد له وأبعد عن الضوى

يَشْفِي الصُّدَاعَ رِيحُهُ وَشَمُّهُ

ريحه: رائحته

وَيُذْهِبُ الْهُمُومَ عَنِّي ضَمُّهُ

كَأَنَّ رِيحَ الْمِسْكِ مُسْتَحَمُّهُ

عندما يستحم يشم المرء رائحة كالمسك

مَا يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِينَ دَمُهُ

٩٩ منيذة

إِذَا شَاعَ السَّلَامُ بِدَارِ قَوْمٍ فَلَيْسَ عَلَى «عَزْوَلَاةٍ» السَّلَامُ
مُنْيَزِلَةٌ تَبَرًّا لِلَّهِ مِنْهَا بِهَا مِنْ مَازِنٍ نَقَرٌ لِيَأْمُ

١٠٠ كاد يتكلم

قال يهجو البعث:

لِمَنْ طَلَّلَ هَاجَ الْفَوَادِ الْمُتَيِّمَا وَهَمَّ سُلْمَانِينَ أَنْ يَتَكَلَّمَا
وعهدي بهند، والشباب كأنه عَسِيبٌ نَمَا فِي رِيَّةٍ فَتَقَوَّمَا
عسب: شتلة نخل، رية: أرض مروية

لقد عَلِقَتْ بِالنَّفْسِ مِنْهَا عَلَائِقُ أَبَتْ طُولَ هَذَا الدَّهْرِ أَنْ تَتَصَرَّمَا
تتصرم: تنقطع

وَعَاوِ عَوَى مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ رَمِيئُهُ بِقَارِعَةٍ أَنْفَاذُهَا تَقْطُرُ الدِّمَا
رب عاو عوى دون أن أتعرض له (وذلك هو الشاعر البعث الذي بدأ جريراً بالهجاء)، فرمته
بقارعة (ضربة) نفذت في جسمه فمن أنفاذها (فتحاتها) يقطر الدم، وما القارعة سوى قصيدة
خُرُوجٍ بِأَنْفَوَاهِ الرُّوَاةِ كَأَنَّهَا قَرَا هُنْدُوَانِي إِذَا هُزَّ صَمَمَا
قصيدتي فيه تخرج من أنفواه الرواة كأنها قرا هندواني (نصل سيف) إذا هزه المرء صمم (تغلغل
وأصاب المفصل)

وَإِنِّي لَقَوَّالٌ لِكُلِّ غَرِيبَةٍ وَرُودٍ إِذَا السَّارِي بِلَيْلٍ بَرَّئِمَا
أقول كل قصيدة غريبة (ترحل بعيداً فهي في أراض غريبة)، وترد على لسان الساري المترنم ليلاً
وهو يحلو إليه

فَهَلَّا سَأَلْتَ النَّاسَ إِنْ كُنْتَ جَاهِلًا بِأَيَّامِنَا يَا ابْنَ الصَّرُوطِ لَتَعْلَمَا
وما كان ذو شُعْبٍ يُمَارِسُ عَيْصَنَا فَيَنْظُرَ فِي كَفِّهِ إِلَّا تَنَدَّمَا
المشاغب الذي يمارس (يعالج) عيصنا (شجرنا الملتف) ثم ينظر في كفيه يراهما دامتين فيندم

١٠١ هند

لقد وَكَفَّتْ عَيْنَاهُ أَنْ ظَلَّ وَاقِفًا عَلَى دِمْنَةٍ لَمْ يَبْقَ إِلَّا رَمِيمُهَا
وكفت: سالت بالدمع

أَبِينَا فَلَمْ نَسْمَعْ بِهِنْدٍ مَلَامَةً كَمَا لَمْ تُطِغْ هِنْدٌ بِنَا مَنْ يَلُومُهَا
وَأَتَى لَهُ هِنْدٌ وَقَدْ حَالَ دُونَهَا عُيُونٌ وَأَعْدَاءُ كَثِيرٌ رُجُومُهَا
رجومها: ظنونها

١٠٢ ارجعي غداً

ذُمَّ الْمَنَازِلَ بَعْدَ مَنَزِلَةِ اللَّوَى والعيشَ بَعْدَ أَوْلَئِكَ الْأَقْوَامِ
فَإِذَا وَقَفْتُ عَلَى الْمَنَازِلِ بِاللَّوَى فَاصْتُ دُمُوعِي غَيْرَ ذَاتِ نِظَامِ
طَرَقْتُكَ صَائِدَةُ الْقُلُوبِ وَلَيْسَ ذَا وَقَتِ الزُّبَارَةِ فَارْجِعِي بِسَلَامِ
جاءتك في المنام فقلت لها ارجعي بسلام، فهو يريد رؤيتها في الصحو لا في المنام..

تُجْرِي السَّوَاكُ عَلَى أَغْرَ كَأَنَّهُ بَرْدٌ تَحْدَرُ مِنْ مُثُونِ غَمَامِ
تمر بالسواك على ثغر أغر (أبيض) كأن أسنانه بَرْد انهمر من السحاب

لَوْلَا مُرَاقِبَةُ الْعَيُونِ أَرَيْتُنَا مُقَلَّ الْمَهَا وَسَوَالِفَ الْأَرَامِ
لولا الرقباء لأرتنا الحسان مقل المها (عيونهن الشبيهة بعيون بقر الوحش) وسوالف الآرام (أعناقهن الشبيهة بأعناق الطباء)

وَنَظَرُنْ حِينَ سَمِعْنَ رَجَعَ تَحِيَّتِي نَظَرَ الْجِيَادِ سَمِعْنَ صَوْتَ لَجَامِ
جفلن من صوتي

مَهْلًا فَرَزْدُقُ إِنَّ قَوْمَكَ فِيهِمْ خَوَرُ الْقُلُوبِ وَخِفَّةُ الْأَحْلَامِ
خور القلوب: فراغها لجنهم، خفة الأحلام: ضعف العقول

كَانَ الْعِنَانُ عَلَى أَبِيكَ مُحَرَّمًا وَالْكَبِيرُ كَانَ عَلَيْهِ غَيْرَ حَرَامِ
كان محرمًا على أبيك الإمساك بمقود الفرس، فهو ليس بفارس، ولكنه كان يلتزم بالكبر (منفاخ الحداد)

١٠٣ ذاب لعباب الشمس

لَقَدْ لُمْتُنَا يَا أُمَّ غِيلَانَ فِي السَّرَى وَنَمِتْ، وَمَا لَيْلُ الْمَطِيِّ بِنَائِمِ
يعاتب ابنته أم غيلان لأنها تلومه على السرى (سفر الليل)، وابنته تام ولكن المطي (النياق) تسهر الليل وتسير

إِذَا الْعُفْرُ لَادَتْ بِالْكَنَاسِ وَهَجَّجَتْ عَيُونُ الْمَهَارَى مِنْ أَجِيجِ السَّمَائِمِ
وفي هداة الليل تلوذ العفر (الطباء) بالكناس (بيت الطبي)، وتهجج عيون المهاري (تغور عيون النياق) من أجيج السمائم (من حر رياح السموم)

وَضَلَلْتُ قَرَايِرَ الْفَلَاةِ مُنَاحَةً بِأَكْوَارِهَا مَعْكُوسَةً بِالْحَرَائِمِ
وبعدئذ تناخ قراير الفلاة (سفن الصحراء)، وعليها أكوارها (أخشاب الرحال)، وأزمتها معكوسة بالخزائم (مربوطة ما بين رؤوسها وقوائمها لتبرك)

أَنْخَنَ لِتَغْوِيرٍ وَقَدْ وَقَدَ الْحَصَى وَذَابَ لُعَابُ الشَّمْسِ فَوْقَ الْجَمَاجِمِ
 انيخت الإبل للتغوير (الاستراحة) وقد أصبح الحصى حاراً، والشمس حارقة فوق الرؤوس
 أَلَا إِنَّمَا كَانَ الْفِرْزْدُقُ ثَعْلَباً ضَغَا وَهَوَى فِي أَشْدَاقِ لَيْثِ ضَبَارِمِ
 ضغنا: صاح، ضبارم: من أسماء الأسد

لَقَدْ وَلَدَتْ أُمُّ الْفِرْزْدُقِ فَاسْقاً وَجَاءَتْ بِوَزَوَازٍ قَصِيرِ الْقَوَائِمِ
 وزواز: طائر كثير الحركة

١٠٤ القرد الزاني

وَمَا كَانَ جَارٌ لِلْفِرْزْدُقِ مُسْلِمٌ لِيَأْمَنَ قِرْداً لَيْلُهُ غَيْرُ نَائِمٍ
 جار الفرزدق، حتى وإن كان مسلماً، لا يأمن الفرزدق القرد الذي ليله لا ينام (ليله صاح = هو صاح)

يُوصِّلُ حَبْلِيهِ إِذَا جَنَّ لَيْلُهُ لِيَرْقَى إِلَى جَارَاتِهِ بِالسَّلَالِمِ
 الفرزدق يوصل الحبلين إذا جن الليل (ستر الأشياء) ليصعد إلى من في جوار قومه من نساء
 أَتَيْتَ حَدُودَ اللَّهِ مُذْ أَنْتَ يَافِعٌ وَشَبْتُ فَمَا يَنْهَاكَ شَيْبُ اللَّهَازِمِ
 اللهازم: اللّهزمة عظمة تحت الأذن

تَتَبَّعُ فِي الْمَآخُورِ كُلَّ مُرِيبَةٍ وَلَسْتُ بِأَهْلِ الْمُحْصَنَاتِ الْكَرَائِمِ
 ترتكب في الماخور (بيت الجماع) كل مريبة (فعله شعاء)، ولست أهلاً للزواج من المحصنات
 (العفيفات) الكرائم (الكريمات)

تَدَلَّيْتُ تَزْنِي مِنْ ثَمَانِينَ قَامَةً وَقَصَّرْتُ عَنْ بَاعِ الْعُلَى وَالْمَكَارِمِ
 وفي الواقع أن الفرزدق «ارتقى» ليزني ثم بعد ذلك تدلى هارباً كما وصف نفسه في قصيدة له مشهورة

أَكَلَفْتُ قَيْساً أَنْ نَبَا سَيْفٌ غَالِبٍ وَشَاعَتْ لَهُ أَخْدُوتهُ فِي الْمَوَاسِمِ
 رحت تلوم قبيلة قيس عندما نبا سيفك، الذي هو سيف أليك غالب، وأخفقت في قتل الأسير.
 وكانت أخدوته (فضيحة) في المواسم (الأسواق)

بِسَيْفِ أَبِي رَغْوَانَ، سَيْفٍ مُجَاشِعٍ، ضَرَبْتُ، وَلَمْ تَضْرِبْ بِسَيْفِ ابْنِ ظَالِمٍ
 لقد ضربت بسيف مجاشع أبي رغوآن جدك الأعلى ولذا نبا سيفك، ولم تضرب بسيف الحارث بن ظالم ذلك الفاتك المرّي قاتل ابن السموأل

ضَرَبْتُ بِهِ عِنْدَ الْإِمَامِ فَأَرْعِشْتُ يَدَاكَ، وَقَالُوا مُحَدِّثٌ غَيْرُ صَارِمٍ

١٠٥ هجاء مزارع

لَقَدْ عَلِقْتُ بِمِئْنِكَ قَرْنَ ثَوْرِ وَمَا عَلِقْتُ بِمِئْنِكَ بِاللَّجَامِ
أنت مزارع لا مقاتل

ذَرْنُ الْفَخْرَ يَا ابْنَ أَبِي خُلَيْدٍ وَأَذْ خَرَّاجَ رَأْسِكَ كُلَّ عَامٍ
ذَرْنُ: اتركَنَّ

١٠٦ زهرة وأمها

قال لبني الديان وناصروا الغرزق عليه:

سَتَعْلَمُ أُمُّ زُهْرَةَ مَنْ هَجَّاهَا إِذَا قَالَتْ لِزُهْرَةَ مَنْ هَجَّانِي
فَلَا حَسْبِي يُقْصِّرُ فِي تَمِيمٍ وَلَا سَيْفِي يَكِلُ وَلَا لِسَانِي

١٠٧ يا ذا العباءة

يرد على الأخطل:

لِمَنِ الدِّيارُ بِبُرْقَةِ الرُّوحَانِ إِذْ لَا نَبِيعُ زَمَانِنَا بِزَمَانٍ
إِنْ زَرْتُ أَهْلَكَ لَمْ يُبَالُوا حَاجَتِي وَإِذَا هَجَرْتُكَ شَفَّنِي هِجْرَانِي
شَفَّنِي: أَلْمَنِي

رَاجَعْتُ بَعْدَ سُلُوهِنَّ صَبَابَةً وَعَرَفْتُ رَسَمَ مَنَازِلِ أَبْكَانِي
أَخْطَا الرِّبِيعُ بِلَادَهُمْ فَتَبَمَّئُوا وَلَحَبَّهُمْ أَحَبَّبْتُ كُلَّ يَمَانِي
أخطأ الربيع (العشب والمطر الذي ينبت) بلادهم فاضطروا للهجرة إلى اليمن

بَكَرَتْ حَمَامَةٌ أَيْكَةً مَحْزُونَةً تَدْعُو الْهَدِيلَ فَهَيَّجَتْ أَحْزَانِي
والهديل في الخرافة ابن الحمامة الذي ذهب ولم يعد

وَلَقَدْ أَبَيْتُ صَجِيعَ كُلِّ مُحَضَّصٍ رَخِصَ الْأَنَامِلِ طَيِّبِ الْأَرْدَانِ
مخضب: مصبوغ بالحناء، رخص الأنامل: طري الأصابع، الأردن: الأكمام

عَطِرِ الشِّبَابِ مِنَ الْعَبِيرِ مُذِيلٍ يَمْشِي الْهُوَيْنَى مِشْيَةَ السَّكْرَانِ
معطرة تجر أذيال ثوبها وتمشي الهوينى

يَا ذَا الْعَبَاءِ! إِنْ بِشْرًا قَدْ قَضَى أَلَّا تَجُوزَ حُكُومَةُ النَّشْوَانِ

يا أيها الأخطل الذي أُعطيَ عباءة كي يحكم للغزذق عليّ، الأمير بشر بن مروان الذي قلت ما قلت في مجلسه قضى بأن الحكومة (الحكم) لا تجوز للنشوان (السكران)

فَدَعُوا الْحُكُومَةَ لَسْتُمْ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ الْحُكُومَةُ فِي بَنِي شَيْبَانَ

الحكم، في قبائل ربيعة، ليس لتغلب بل لشيبان

بَكْرٌ أَحَقُّ بِأَنْ يَكُونُوا مَقْنَعًا أَوْ أَنْ يَقُوا بِحَقِيقَةِ الْجِيرَانِ

وقيلة بكر الربيعة هي أحق بأن تكون مقنعاً (كافيةً هذا الجانب) وأن تفي بحقيقة (شرف) الجيران (من يجاورها)

قَتَلُوا كُلَّيْبَكُمْ بِلِقْحَةِ جَارِهِمْ يَا خُزَرَ تَغْلِبَ لَسْتُمْ بِهَجَانَ

جساس البكري قتل كليب بن ربيعة التغلبي بلقحة (بسبب ناقة) جارههم (رجل استجار بهم وأقام عندهم)، وأنتم يا تغلب الخزر (الضيقة العيون) لستم بهجان (باصيلين)

كَذَبَ الْأَخْيَاطُ إِنْ قَوْمِي فِيهِمْ تَاجُ الْمُلُوكِ وَرَايَةُ النُّعْمَانِ

والتَّغْلِبِيُّ مُغْلَبٌ قَعَدَتْ بِهِ مَسْعَاتُهُ، عَبْدٌ بِكُلِّ مَكَانٍ

تَلَقَّى الْكَرَائِمَ إِنْ خُطِبَنَ غَوَالِيَا وَالتَّغْلِبِيَّةُ مَهْرُهَا فَلْسَانِ

١٠٨ ماذا لقيت من الهوى ولقينا

قال يمدح الخليفة الأموي:

أَمْسَيْتُ إِذْ رَحَلَ الشَّبَابُ حَزِينَا لَيْتَ اللَّيَالِي قَبْلَ ذَاكَ فَنِينَا

مَا لِلْمَنَازِلِ لَا يُجِنُّ حَزِينَا أَصُمِّنَ أَمْ قَدَّمَ الْمَدَى فَبَلِينَا

إِنَّ الذِّينَ عَادُوا بِلُبِّكَ عَادَرُوا وَشَلًّا بِعَيْنِكَ مَا يَزَالُ مَعِينَا

الوشل: الماء القليل، معين: ظاهراً

غَيْضُنَ مِنْ عَبْرَاتِهِنَّ وَقُلْنَ لِي: مَاذَا لَقِيتَ مِنَ الْهَوَى وَلَقِينَا

بكت لفراقه الحبيبات، ثم غيظن من عبراتهن (جففن دموعهن) وشكون ما لقين من الهوى وما لقي الحبيب

وَلَقَدْ تَسَقَّطَنِي الْوُشَاءُ فَصَادَفُوا حَصْرًا بِسِرِّكَ يَا أُمَيْمَ صَنِينَا

تسقطني الوشاة (حاولوا التقاط ما يسقط مني من كلام) فراؤني حصرأ بسرك (صامتاً عنه) ضنيناً به

إِنَّ الَّذِي حَرَّمَ الْمَكَارِمَ تَغْلِبًا جَعَلَ النُّبُوَّةَ وَالْخِلَافَةَ فِينَا

تميم، قبيلة جرير من مضر، وقريش من مضر، فأما تغلب فمن ربيعة

مُضَرَّ أَبِي وَأَبُو الْمَلُوكِ فَهَلْ لَكُمْ يَا خُزَرَ تَغْلِبَ مِنْ أَبِ كَابِسِنَا

هَذَا ابْنُ عَمِّي فِي دِمَشْقَ خَلِيفَةً لَوْ شِئْتُ سَأَفُكُمُ إِلَيَّ قَطِينَا

القطين: الخدم

١٠٩ أطلال الله سخطكم

يَرُوعُ الْقَرْدُ مِنِّي إِنْ رَأَيْتِي فَقُلْ لِلْقَرْدِ أَيْنَ تَرُوعُ أَيْنَا

يفر الفرزدق من وجهي كلما رأيته

أَحِينَ رَأَيْتَنِي مَرَسَتْ حِبَالِي وَجَدَّ الْجَدُّ تَسْأَلُنِي الْهُوَيْنَا

تطلب مني التخفيف من حدة الهجاء بعد أن مرست حبالِي (اشتد قتلها) وجد الجد

فَقَدْ أَمْسَى الْبَعِيثُ سَخِينٌ عَيْنٍ وَمَا أَمْسَى الْفَرَزْدَقُ قَرَّ عَيْنَا

لقد أَلَمْتُ البعيث الشاعر، ولم أوفر الفرزدق نفسه

إِذَا ذُكِرْتُ مَسَاعِينَا غَضِبْتُمْ أَطَالَ اللَّهُ سُخْطَكُمْ عَلَيْنَا

مساعينا: أمجادنا

١١٠ هجاء الهجيم

إِنَّ الْهُجَيْمَ قَبِيلَةٌ مَخْسُوسَةٌ تُطُّ اللَّحَى مُتَشَابِهُهُ الْأَلْوَانِ

مخسوسة: ناقصة، تُطُّ اللحى: لحاهم متفرق شعرها

لَوْ يَسْمَعُونَ بِأَكَلَةٍ أَوْ شُرْبَةٍ بِعُمَانَ أَصْبَحَ جَمْعُهُمْ بِعُمَانِ

١١١ هجاء التيم

وَمَا شَكَرْتُ تَيْمٌ لِقَوْمٍ كَرَامَةٍ وَمَا غَضِبْتُ تَيْمٌ عَلَى مَنْ يُهِنُهَا

وَلَمْ يَدْعُ إِبْرَاهِيمُ فِي الْبَيْتِ إِذْ دَعَا لِتَيْمٍ وَلَا مِنْ طَيْنٍ آدَمَ طَيْنُهَا

يفهيم عن العروبة، بل عن الإنسانية

وَمَا حَمَلْتُ تَيْمِيَّةً نِصْفَ لَيْلَةٍ مِنْ الدَّهْرِ إِلَّا أَرْدَادَ لُؤْمًا جَنِينُهَا

١١٢ المرخي عمامته

يخاطب فقيهاً داخلاً على عمر بن عبد العزيز:

يا أيها الرَّجُلُ المُرْخِي عِمَامَتَهُ هذا زِمَانُكَ إِنِّي قَدْ مَضَى زَمَنِي
أَبْلُغْ خَلِيفَتَنَا إِنْ كُنْتَ لَاقِيَهُ أَنِّي لَدَى الْبَابِ كَالْمَصْفُودِ فِي قَرْنِ
المصفود في قرن: المقيد في حبل

لا تَنْسَ حَاجَتَنَا لَأَقِيتَ مَغْفِرَةً قَدْ طَالَ مُكْثِي عَنْ أَهْلِي وَعَنْ وَطَنِي

١١٣ في طرفها حور

بَانَ الْخَلِيطُ وَلَوْ طُوِّعْتُ مَا بَانَ وَقَطَّعُوا مِنْ جِبَالِ الْوَصْلِ أَقْرَانَا
بان الخليط (فارق القوم) ولو طوعت (لو طاعوني) ما فارقوا، وقطعوا أقران (جبال) الوصل
حَيَّ الْمَنَازِلَ إِذْ لَا نَبْتَغِي بَدَلًا بِالْدَارِ دَارًا وَلَا الْجِيرَانِ جِيرَانَا
يَا رَبِّ مَكْتَنِيبٍ لَوْ قَدْ نُعِيتُ لَهُ بَاكِ، وَآخِرَ مَسْرُورٍ بِمَنْعَانَا
لَوْ تَعَلَّمِينَ الَّذِي نَلْقَى أَوَيْتَ لَنَا أَوْ تَسْمَعِينَ إِلَى ذِي الْعَرْشِ شُكُونَا
أويت لنا: أشفقت علينا

كَصَاحِبِ الْمَوْجِ إِذْ مَالَتْ سَفِينَتُهُ يَدْعُو إِلَى اللَّهِ إِسْرَارًا وَإِعْلَانَا
يَا أَيُّهَا الرَّاكِبُ الْمُزْجِي مَطِيبَتَهُ بَلِّغْ تَحِيَّتَنَا لُقَيْتِ حُمَلَانَا
المزجي مطيبته: السائقها، حملانا: هدايا

بَلِّغْ رَسَائِلَ عَنَّا خَفَّ مَحْمَلُهَا عَلَى فَلَائِصَ لَمْ يَحْمِلْنَ جِيرَانَا
بلغ رسالتنا للمحبوبة واركب فلائص (نياقاً) لم يحملن حيراناً (جمع حُوار وهو ولد الناقة، أي
نياقاً غير حوامل كي يسرعن أكثر)

يَا لَيْتَ ذَا الْقَلْبِ لَأَقَى مَنْ يُعَلِّلُهُ أَوْ سَاقِبًا فَسَقَاهُ الْيَوْمَ سُلُوانَا
يعلله: يسلية، السلوان: شراب قبل في أساطيرهم إن الذي يشربه ينسى

أَوْ لَيْتَهَا لَمْ تُعَلِّقْنَا عِلَاقَتَهَا وَلَمْ يَكُنْ دَاخِلَ الْحُبِّ الَّذِي كَانَا
علاقة: عشق

هَلَّا تَحَرَّجَتْ مِنَّا تَفْعَلِينَ بِنَا يَا أَطْيَبَ النَّاسِ يَوْمَ الدَّجَنِ أَرْدَانَا
يوم الدجن: اليوم الغائم، الأردن: الأكام

قَالَتْ أَلَمْ بَنَا إِنَّ كُنْتَ مُنْطَلِقًا ، وَلَا إِخَالَكَ بَعْدَ الْيَوْمِ تَلْقَانَا
 يَا أُمَّ عَمْرٍو جَزَاكَ اللَّهُ مَغْفِرَةً رُدِّيْ عَلَيَّ فُؤَادِي كَالَّذِي كَانَا
 أَلَسْتُ أَحْسَنَ مَنْ يَمْشِي عَلَى قَدَمِ الْإِنْسَانِ : بِؤُوسِ الْعَيْنِ
 يَا أُمَّلَحَ النَّاسِ كُلِّ النَّاسِ إِنْسَانَا

يَلْقَى غَرِيمَكُمْ مِنْ غَيْرِ عُسْرَتِكُمْ بِالْبَذْلِ بُخْلًا وَبِالْإِحْسَانِ حِرْمَانَا
 رَغْمَ عَدَمِ عُسْرَتِكُمْ (فقركم) فغريمكم (صاحب الدين عليكم) يلقي بخلاً منكم رغم بذله محبته
 وإحسانه إليكم

لَا تَأْمَنَنَّ ، فَإِنِّي غَيْرُ آمِنِهِ ، غَدَرَ الْخَلِيلِ إِذَا مَا كَانَ أَلْوَانَا
 قَدْ خُنْتُ مَنْ لَمْ يَكُنْ يَخْشَى خِيَانَتَكُمْ مَا كُنْتُ أَوَّلَ مَوْثُوقٍ بِهِ خَانَا
 لَقَدْ كَتَمْتُ الْهَوَى حَتَّى تَهَيَّمَنِي لَا أَسْتَطِيعُ لِهَذَا الْحَبِّ كِتْمَانَا
 تهيمني: صيرني هائماً على وجهي حيراناً

كَادَ الْهَوَى يَوْمَ سُلْمَانَيْنِ يَقْتُلْنِي وَكَادَ يَقْتُلْنِي يَوْمًا بِبَيْدَانَا
 لَا بَارَكَ اللَّهُ فِيمَنْ كَانَ يَحْسَبُكُمْ إِلَّا عَلَى الْعَهْدِ حَتَّى كَانَ مَا كَانَا
 لَا بَارَكَ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا إِذَا انْقَطَعَتْ أَسْبَابُ دُنْيَاكَ مِنْ أَسْبَابِ دُنْيَانَا
 مَا أَحْدَثَ الدَّهْرُ مِمَّا تَعْلَمِينَ لَكُمْ لِلْحَبْلِ ضُرْمًا وَلَا لِلْعَهْدِ نِسْيَانَا
 لم يُحدث الزمن ومروده صرماً لعبلكم (قطعاً لعهدكم) من جانبي

أَبْدَلُ اللَّيْلِ لَا تَسْرِي كَوَاكِبُهُ أَمْ طَالَ حَتَّى حَبِيبَتِ التَّجَمِّ حَبْرَانَا
 يَا رَبِّ عَائِدَةً بِالْغُورِ لَوْ شَهِدْتُ عَزَّتْ عَلَيْهَا بِدَيْرِ اللَّجِّ شَكْوَانَا
 العائدة بالغور: النازلة في الغور، لو شهدتني في ذلك المكان لصعب عليها ما ألاقي

إِنَّ الْعُيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا حَوْرٌ قَتَلْنَا، ثُمَّ لَمْ يُحْيَيْنَ قَتْلَانَا
 طرفها: نظرها، الحور: شدة سواد في شدة بياض في العين

يَضْرَعَنَّ ذَا اللَّبِّ حَتَّى لَا حَرَكَ بِهِ وَهْنٌ أَضْعَفُ خَلْقِ اللَّهِ إِنْسَانَا
 حتى العاقل ذو اللب فتلك العيون تصرعه رغم ضعف إنسانها (بؤيؤها)، وأجوا العيون الناعسة
 التي كأنها عيون المريض

طَارَ الْفُؤَادُ مَعَ الْخَوْدِ الَّتِي طَرَقَتْ فِي النَّوْمِ طَيِّبَةَ الْأَعْطَافِ مِبْدَانَا
 الخود: الشابة، طرقت في النوم: حلم الشاعر بها، مبدان: مربية، ريانة

قَالَتْ تَمَرٌ، فَإِنَّ الْقَوْمَ قَدْ جَعَلُوا دُونَ الزَّيَارَةِ أَبْوَاباً وَخُرَازِناً

نُحْرَان: حراس

يَا حَبَّذَا جَبَلُ الرِّيَّانِ مِنْ جَبَلٍ وَحَبَّذَا سَاكِنُ الرِّيَّانِ مَنْ كَانَا
وَحَبَّذَا نَفَحَاتُ مِنْ يَمَانِيَّةٍ تَأْتِيكَ مِنْ قِبَلِ الرِّبَانِ أَحْيَانَا

يمانية: ريح قادمة من اليمن

هَلْ يَرْجِعَنَّ، وَلَيْسَ الدَّهْرُ مُرْتَجِعاً عِشْ بِهَا طَالَمَا احْلَوْلَى وَمَا لَنَا

احلولى: كان حلواً، ما لان: لم يكن زمن رغد وثرء

أَزْمَانٌ يَدْعُونَنِي الشَّيْطَانَ مِنْ غَرْلِي وَكُنَّ يَهْوِيَنَنِي إِذْ كُنْتُ شَيْطَانَا

١١٤ هجاء بني حنيفة

قَدْ غَلَّبَتْني رُؤَاةُ النَّاسِ كُلِّهِمْ إِلَّا حَنِيفَةً تَفْسُو فِي مَنَاحِيهَا

يفخر بأن رواة الناس (القبائل) كلهم اعتبروه غالباً للفرزدق في الهجاء، إلا قبيلة حنيفة

تُخْزِي حَنِيفَةً أَبَاكُمْ كَسَتْ حُمَماً مِنْهَا الْوَجُوهَ فَمَا شَيْءٌ بِمَاحِيهَا

حم: سواد

أَبَاكُمْ تُسَبِّى وَلَا تُسَبِّى، وَيَقْتُلُهَا مَا لَمْ تَوْدْ خَرَجاً مَنْ يُعَادِيهَا

وحنيفة في منطقة اليمامة من الزراع، وكان باليمامة ناس من أقارب حنيفة من ربعية غير زراع، وكان بها ناس من يربوع قوم جرير غير زراع أيضاً. وقد درج العربي قديماً وحديثاً على احتقار الزراعة والافتخار بالرعي والغزو، وحتى قبل الإسلام فإن الرعاة المحاربين كانوا يفرضون على أهل الزراعة الإتاوات إما على هيئة غزو أو ضريبة

قَطَعَ الدُّبَارِ وَأَبْرُ النَّخْلِ عَادَتْهُمْ قَدْماً، فَمَا جَاوَزَتْ هَذَا مَسَاعِيهَا

عادتهم منذ القدم قطع الدبار (تقسيم أراضي الزراعة) وأبر النخل (تلقيحه)، وما جاوزت (تعدت) هذا مساعيها (أمجادها)

رَأْتُ حَنِيفَةً إِذْ عَدَّتْ مَسَاعِيَهَا أَنْ يَثْسَمَا كَانَ يَبْنِي الْمَجْدَ بَانِيهَا

لَمَّا رَأْتُ خَالِداً بِالْعِرْضِ أَهْلَكَهَا قَتَلًا، وَأَسْلَمَهَا مَا قَالَ طَاغِيهَا . .

لما أوقع خالد بن الوليد في وادي العرض باليمامة ببني حنيفة، وأسلمها (خذلها) ما قاله طاغيها (مسيلة الكذاب الذي ارتد بعد وفاة الرسول) . .

دَانَتْ وَأَعْطَتْ يَدَا لِلْسُّلَمِ صَاغِرَةً مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ سَيْفُ اللَّهِ يُفْنِيهَا

عندئذ دانت (خضعت) حنيفة، بعد أن كاد خالد يفنيها

صَارَتْ حَنِيفَةً أَثْلَاثًا قُلْتُ لَهُمْ مِّنَ الْعَبِيدِ وَثُلُثٌ مِّنْ مَّوَالِيهَا

ويبدو أن الثلث الباقي من الأحرار، لكن... الزراع

١١٥ عَفَ الْفَقْرَ مُشْتَرِكُ الْغِنَى

هذا آخر ما نختاره لجبرير، لأنه على الباء، وهو من أوائل قصائده، وقالها في

زمن معاوية:

نَظَرْتُ بِرَهْبَى وَالظَّعَّائِنُ بِاللَّوَى فَطَارَتْ بِرَهْبَى شُعْبَةً مِّنْ فُؤَادِيَا

رَغِبْتُ إِلَى ذِي الْعَرْشِ مَوْلَى مُحَمَّدٍ لِيَجْمَعَ شُعْبًا أَوْ يُقَرِّبَ نَائِبَا

الشعب: الصدع

أَذَا الْعَرْشِ إِنِّي لَسْتُ مَا عِشْتُ تَارِكًا طِلَابَ سُلَيْمَى فَأَقْضِ مَا كُنْتُ قَاضِيَا

وَلَوْ أَنَّهَا شَاءَتْ شَفَعْتَنِي بِهَيِّينَ وَإِنْ كَانَ قَدْ أَغْيَا الطَّيِّبَ الْمُدَاوِيَا

وَإِنِّي لَعَفُّ الْفَقْرِ مُشْتَرِكُ الْغِنَى سَرِيعٌ إِذَا لَمْ أَرْضَ دَارِي أَحْتِمَالِيَا

إن افتقرت عفت عن الطلب، وإن اغتنيت أشركت قومي في مالي، وإذا لم أرض عن وضع معين فانا سريع الاحتمال (حمل متاعي والارتحال)

وَقَائِلَةٌ وَالِدْمُعُ يَحْدِرُ كُحْلَهَا أَبْعَدَ جَرِيرٍ تُكْرِمُونَ الْمَوَالِيَا

غضبت له هذه المرأة لأن قومه أهملوه، والفتوا لناس من المواليا

فَأَنْتَ أَبِي مَا لَمْ تَكُنْ لِي حَاجَةً فَإِنْ عَرَضْتَ أَيقَنْتُ أَنْ لَا أَبَا لِيَا

يصف حاله مع قومه، ولعله يعني أباه عطية فعلاً، فهو «أب» ما لم يطلب منه ابنه شيئاً، فإن كلفه شيئاً فلا يعود أباً. وقيل كان جرير عاقاً بعض العقوق، ونال عقوقاً من بعض أبنائه

بِأَيِّ سِنَانٍ تَطْعَنُ الْقَوْمَ، بَعْدَمَا نَزَعْتَ سِنَانًا مِّنْ قَنَاتِكَ مَاضِيَا

فيا قوم كيف تردون كيد أعدائكم، وقد تخليتم عن شاعركم الذي هو كالسنان نزعتموه من قناتكم (عصا الرمح)

أَلَمْ أَكُ نَارًا يَصْطَلِيهَا عَدُوُّكُمْ وَحِزْرًا لِّمَا أَلْجَأْتُكُمْ مِّنْ وَرَائِيَا

الحرز: الحارس الحامي

وَبِاسِطِ خَيْرٍ فَيْكُمْ بِيَمِينِهِ وَقَابِضِ شَرٍّ عَنْكُمْ بِشِمَالِيَا

وَلَيْسَ لِسَيْفِي فِي الْعِظَامِ بَقِيَّةٌ وَلَلْسَيْفُ أَشْوَى وَقَعَةً مِّنْ لِّسَانِيَا

سيفي يصل العظام ولا يبقى على من يصيه، على أن سيفي أشوى (أخف) أثراً من لساني

جرير
فهرس القوافي
(القافية فرقم القطعة)

١٧	مذبرات	١٠	أَغْضَبَا
١٩	الْمَنِيَّةِ نَاجٍ	٢	المصابا
٢٠	بالرَّوَّاحِ	١٥	لقد أصابا
٢٤	البُرْدَا	١٤	مُصَابَا
٢٥	زِنَادَا	١	وَشَيَّيَا
٢٩	عَدَا	٧	النَّبِيْبُ
٢٢	واعتَمَدَا	٦	مَحْجُوبُ
٣٠	التَّشِيدُ	٨	وَمُصِيبُ
٢٦	سَعِيدُ	١٣	السَّرْبِ
٣١	عِنْدِي يَدَا	٤	تُكْذَّبِ
٢٧	مُعْتَادِي	١٢	ضِيَابِ
٢٣	وَعُوَادِي	٣	فَانْعَبِ
٢١	يُولَدِ	٥	لِلسَّبَابِ
٢٨	ويَقُودُهَا	٩	وَالصَّنَابِ
٤٢	فاسْتَدَارَا	١١	كَلَابِهَا
٤٤	قُبُورَا	١٦	الرَّاعِمَاتِ
٣٦	مَفْخَرَا	١٨	تَعَلَّتِ

٦١	تَنَائِفُ	٤٧	وَاعْتَمَرَا
٦٢	وَوَطَفُ	٣٥	الْحَذَرُ
٦٥	سُرَاقَا	٤٥	تَقْتِيرُ
٦٦	خَفَوقُ	٤٣	عُمَرُ
٦٤	يَا زَيْقُ	٣٧	مُبْتَدَرُ
٦٣	الْأَخْلَاقِ	٣٨	وَالْفَخْرُ
٦٧	الْفِرْزَدَقِ	٤١	وَالْقَطْرُ
٦٨	الْجَبَالَا	٣٣	يُزَارُ
٧١	أَهْلَا	٣٤	الدَّهْرِ
٨١	هَدِيلَا	٤٠	الْمَطَرِ
٨٠	وَنَكَالَا	٤٩	إِنْكَارِ
٧٥	الرَّحِيلُ	٥١	بِنَارِي
٧٠	تَحْوِيلُ	٣٢	زُورِ
٨٤	قَلِيلُ	٤٨	لِلْعَاثِرِ
٧٨	يُقَاتِلُ	٥٠	جَبَّارَهَا
٧٤	أَسْبَالِي	٣٩	نُشُورَهَا
٦٩	الْعَادِلِ	٤٦	زُؤَارِهَا
٧٩	الْعُدْلِ	٥٣	مُضَرَّسَا
٧٧	الْقُيُولِ	٥٢	مَأْنُوسِ
٧٣	بِالرَّجَالِ	٥٤	مُقَرَّعَا
٨٣	بِرِّجَالِ	٦٠	الْبَرَاقِعِ
٨٧	تَسْلِيمِ	٥٩	الرِّتَاعَا
٨٢	قَتْلِي	٥٥	تَجْزَعُ
٧٢	وَمِيكَالِ	٥٦	تَسْبَعُ
٨٦	ظِلَالُهَا	٥٧	جُمَعُ
٨٥	مَحَايِلُهُ	٥٨	الْهَوَابِعِ

١٠٤	نَائِمٍ	٧٦	وَمَبَاخِلُهُ
٩١	يُكَلِّمُ	٩٠	حَمَامًا
٩٨	أُمُّهُ	١٠٠	يَتَكَلَّمَا
١٠١	رَمِيمُهَا	٩٩	السَّلَامُ
١١٣	أَقْرَانَا	٩٣	سِجَامُ
١١٠	الْأَلْوَانِ	٩٢	سَقَمُ
١٠٩	أَيْنَا	٩٥	الْأَقْدَامِ
١٠٨	فَنِينَا	١٠٢	الْأَقْوَامِ
١٠٧	بِرِّمَانٍ	٩٦	الْحُلُومِ
١١٢	رَمَنِي	٩٤	الْمَقْدَمِ
١٠٦	هَجَانِي	٨٩	بِالسَّلَامِ
١١١	يُهِنُهَا	١٠٥	بِاللِّجَامِ
١١٥	فُؤَادِيَا	١٠٣	بِنَائِمٍ
١١٤	مَنَاحِيهَا	٨٨	تُنِيمِي
		٩٧	غَرِيمٍ

عمرُ بنُ أبي ربيعة

(٢٣هـ — ٩٣هـ)

المرأة ليست مثلنا.

المرأة لا تأكل رأس بصل مع صحن الفول.

المرأة تحبُّك قوياً متوحشاً، وتعشّقك ضعيفاً. كن لها حامياً الحمى، أو كن لها الطفل. ستعرف صدقَ كلامي عندما تنكسرُ يدُك وتحملها بين صدرك وبطنك مكسوةً بالجبس، مربوطةً إلى عنقك. ستري فتاتك عندئذ تسرع إليك وتطعمك بيدها. وستسمع للمرة الأولى في حياتك كلمة يا حبيبي.

إن تعرضت لها بغزل وقلة حياء ثم ارعويت وحسنَ خلقك فلن تغفرَ لك، إلا إن كررت المحاولة.

والرجل يكون فاسقاً خشناً كالفرزدق فينال من النساء، ويكون أنيساً ناعماً كشاعرنا فينال من النساء. وبين هذين النموذجين من الرجال يوجد نموذج ثالث، هو نحن كلنا.

والمرأة معذورة في كل ما تصنعه بالرجال، فقد أصروا على أنها فتنة. أصروا على قياس روحها بالمازورة، أي متر الخياطين. وأصروا على أن يكتبوا على قفا العلبة تاريخ الانتهاء. فإذا ما تجاوزت المرأة هذا التاريخ رموا بها.

في كينيا تقضي بعض التقاليد بقتل العجائز بدعوى أنهن ساحرات. وتُقتل في ذلك البلد في كل عام، وأنا أكتب لك هذا في عام ٢٠١٦، عشرات العجائز.

معذورة المرأة، فهي تردُّ على قسوة الرجال بأن تستقطر كل ما يمكن من الإعجاب في أقصى ما يمكن من السنوات فتسوق عليهم الدلال، وتطيل حياتها

الرُقْيَة بالنفخ والشفط والتكبير والتصغير. هي أسيرة، والرجل حيوان قاس.

كان أبو عيسى في نحو الخامسة والسبعين عندما سأله: أذهب ممّا الشهوة مع العمر؟ فقال: بل تبقى، وإن ذهب الاستطاعة. فكرّني جوابه. كنت أظن أن المرء إن تقدّم به العمر عاش سنوات من الراحة لم يشعر فيها بما يشعر به كل واحد ممّا من هذا الافتتان. وقد قُيِّض لي أن أسمع من امرأة شيئاً عن هذا الأمر عندهن. فقد نقلت لي هذه الشابة عن صديقة لها قطعت الخمسين، وقطعها ما كان يعتادها. قالت لي إن صاحبها المسنة قالت لها: كل تلك المشاعر تروّج تروّج. وقالت ذلك بآلم. وفَسَّرْتُ الأمر في عقلي: أن الرجل يبقى فيه قدرة - ولو نظرية - على الإنجاب حتى سن متقدمة، فأما المرأة فلها فعلاً تاريخ انتهاء صلاحية من هذه الناحية. هي تستريح من تلك المشاعر، ولكنها نفسياً تبقى محتاجة إلى ما تعودت أن تلقاه من مشاعر الإعجاب.

في الصفحات التالية يأتيك كلام شاعر فاتك غزل هو عمر بن أبي ربيعة. فإن عجبت كيف يقول الرجل كل هذا الشعر الفاضح وهو عاش بين مكة والمدينة فاعلم أن الناس كانوا غير الناس. كانوا في ذلك الزمن طيبعين.

ولد شاعرنا سنة ٢٣ للهجرة، قيل في الليلة التي توفي فيها عمر بن الخطاب الذي كان من خوولة أبيه. فسمي باسمه وكُنّي بكُنيتيه، فشاعرنا اسمه عمر وكُنيتاه: أبو الخطاب، وأبو حفص.

فأما العمومة فهي مخزوم. شاعرنا من قبيلة مخزوم من قريش. وكان من أعلى فروع مخزوم نسباً ومالاً. أبوه عبد الله. وكان اسم الأب بحيرا، فغيره النبي إلى عبد الله. وولاه النبي منطقة الجند باليمن. وجده أبو ربيعة كان من أغنياء قريش. كان طويلاً مهيباً، وبلغ من ثرائه أنه كان يكسو الكعبة سنة وحده، وتكسوها قريش كلها سنة، فسموه العدل لأنه يعادل كل قريش.

كان لهذا الفرع من مخزوم عبيد كثر من الأحباش. وكانوا أهل مال جاءهم من التجارة بين اليمن والشام.

أمّ شاعرنا سبية نصرانية من حضرموت اسمها مجد. وزعم من يزعمون أن للشعوب خصائص تنتقل بيولوجياً أن الغزل جاء عمر من تلقاء أمه اليمانية، وقد قيل «الغزل يمانى والدلال حجازي».

غير بعيد أن يكون عمر ولد في اليمن، لكنه عاش طفولته في المدينة

وسرعان ما اتخذ مكة، وفيها عشيرته، وطناً. ومن شعره نحس أن معظم مغامراته كانت بمكة.

وكانت جدة شاعرنا تبيع العطر. كأنما كانت تتاجر به، لا أن لها دكاناً تقعد فيه تبيع العطر.

هذه بيئة حجازية مترفة. لم يغير فيها الإسلام بسماحته، التي لا نعرف عنها اليوم ما يجب أن نعرف، الكثير. فقد دخلت مخزوم في الإسلام وكان منها بطل الإسلام خالد بن الوليد. واستمر التاجر يتاجر، ورغم اضطراب الأحوال في سنوات معينة فإن الحياة لم تتوقف. عندما كان شاعرنا في نحو السابعة عشرة سمع بمعركة صفين، واستقر الأمر بعدها لمعاوية فلم تتأثر الحجاز كثيراً بأحداث العراق والشام، وأغلق معاوية على مكة والمدينة. وعندما بلغ شاعرنا الأربعين وقعت أحداث صعبة في المدينة المنورة، ولعله كان أثناءها قد سكن مكة. وحكم الحجاز ابن الزبير تسع سنين، ثم قتل في الكعبة في أحداث اضطرب لها الحجاز كثيراً. ولعل شاعرنا كان آنذاك في اليمن، أو لعله كان قد نسك ولزم بيته.

وفي كل حال، فإن شاعرنا لا يورد شيئاً من كل تلك الحوادث. فشعره كله مقصور على الغزل، وعلى وصف المرأة. ليكن عمر بن أبي ربيعة في أي مكان فهذا لا يهمنا، فشعره كله نمط واحد. وليس له من السياسة، ولا من أي شيء آخر، سوى المرأة والافتتان بها، نصيب.

كان أخوه الحارث موظفاً في الدولة، وكان تقياً. وعرفنا لعمر ابناً اسمه جَوان، وكان تقياً. وعرفنا له صديقاً هو عبد الله بن أبي عتيق، وهو من قوم أبي بكر الصديق. وكان صاحبه هذا تقياً، غير أنه كان يغفر لعمر كل شيء، وكان يحبه حباً جماً.

لم يكن عمر شاعراً متقناً، لم يكن كحسان والحطيئة ممن سبقوه، ولا كزهير الجاهلي ولا الأعشى. ولا كان كمعاصريه الأخطل والفرزدق وجربير ولا حتى كصديقه الغزل جميل. كان أقرب إلى الهاوي.

كان الشعر في ذلك الزمن يأتي المرء من محيطه. لم تكن الكتب قد كتبت، فلا كتاب بين أيدي القوم إلا القرآن، ولم تكن الرقاع التي فيها شعر أمراً مألوفاً، بل هي أبيات يلقيها الناس في أمسياتهم ويتندرون بها. كانت خيام

تَغْلِبَ في الحيرة، ومضارب تميم في كاظمة واليمامة والبصرة أغنى بالشعر من بيوت مكة والمدينة. وكان البدو، بما أتيح لهم من فراغ وتنقل، يتخذون من الشعر مادة يَقْرؤون بها بعض القرار. فالقبيلة التي تسعى وراء العشب تجاور قبيلة أخرى وتسمع شعرها، وتنكفي إلى نفسها وتقول: وأين شعرنا نحن؟ فتمسك بشعر شعرائها وتردده في أمسياتها. ويتبارز الشعراء في عكاظ وغير عكاظ، وترحل أشعار الناس معهم بانفضاض السوق.

وكلما سمع شعراء البوادي شعراً حضرياً رفعوا حواجبهم. فهذا شعر بارد، ليس فيه ما في شعر البوادي من قوة. وقوة شعر البوادي ليست أنه - كما يحب الأكاديميون أن يقولوا - شعر غليظ جاسئ جاف يشبه حياة البدو. فالشعر الذي يقال في القصور يكون رائعاً وبديعاً وذو لغة متينة صحيحة، وذو ألفاظ غريبة مثل الشعر الذي يقال في مضارب البدو. وليس أبو نواس بنازل في المرتبة عن كبار شعراء البداية في زمنه وقبل زمنه.

بل المسألة مسألة خبرة وصنعة.

شعراء البوادي في زمن عمر بن أبي ربيعة كانوا يعيشون للشعر، يسمعون منذ الصغر، ويقولونه طول الوقت ويتخصصون فيه. هي مسألة الفارق بين الهاوي والمتخصص. وفي زمن عمر كان الحجاز، وكانت قرش، منصرفين إلى التجارة وإلى السياسية، وإلى الصراعات الحزبية. وحتى قبل الإسلام فقد كان الحجاز يسمع الشعر في عكاظ ويطلب له، ثم سرعان ما ينصرف أهل الحجاز إلى تجارتهم، وزعامتهم.

وجاء عمر. ولم ينصرف إلى تجارة ولا إلى سياسة. لكنه كان كسولاً عابثاً. ولم يحترف الشعر. احترف الغزل. ولم يكن صائفاً ماهراً. كانت قوافيه تتحير، فيبحث عن مخرج سريع، فتأتي القوافي في أحيان كثيرة قلقلة. ويعيا بالبيت فينحرف باللغة عن طرائقها. كلهم كانوا يفعلون شيئاً من هذا في ذلك العصر. ولكن عمر كان أضعف من مشاهير شعراء زمنه في الصناعة.

والصناعة ليست كل شيء في الشعر. فأين عنك حرارة الشعور؟ ذلك لم يكن له كبير نصيب من شخصية عمر. فهو رجل وسيم غني عابث. وأين عنك حلاوة الشخصية والخفة؟ قد كان عند عمر شيء كثير من ذلك. وأين عنك التخصص في موضوع واحد؟ قد كنا قلنا - ولم ننس - أن عمر لم يكن «متخصصاً» في الشعر، لم يكن من عبيد الشعر، لم يكرس عمره للاستماع إلى

الأشعار المختلفة تأتيه من هنا وهناك، فيتزود منها زاداً دسماً. ولم يكن له من شعراء قومه من يصعد فوق أكتافهم فيتعلمق في «صناعة» الشعر. انظر إلى معاصره كعب بن زهير! قد كان كعب وريث إمبراطورية شعرية ضاربة الأوتاد عمقاً في الزمن، ومنتشرة في المكان. واسمع معاصره الفرزدق يفتخر في إحدى قصائده بأنه وريث الشعراء الكبار، ويسمي في تلك القصيدة أسماء نحو عشرة من كبار شعراء الجاهلية. لا، لم يكن عمر متخصصاً في صناعة الشعر، بما هي صناعة. لكنه كانت متخصصاً في لون شعري واحد.

هذا ما عنيناه بالتخصص.

قصر عمر شعره على الغزل، وظل يقول فيه حتى طأطأ جرير وأقر له بالشاعرية، وطأطأ الفرزدق وأقر له بالشاعرية، وكانا كلاهما يبرّدان شعر عمر من قبل. ومثلهما أقر جميل لعمر بالشاعرية.

أبدأ بقراءة القصيدة لعمر فأرى في أحشائها المعاني المبتكرة، وأخذ في تشجيع شاعرنا على أن يمضي ويسجل هدفاً. لكنه يضيع في وسط الطريق، وتخونه القوافي، أو تلتوي عليه القصة. وبالكاد أستخلص من القصيدة أبياتاً قليلة تحمل في جوفها الوعد بالمعنى الجليل.

لا، قد ظلمته.

يكفيه أنه قال «وهل يخفى القمر»، وأنه قال «ليت هنداً أنجزتنا ما تعد». قلائد عمر بن أبي ربيعة قليلة، لكن له جوه الخاص. ولولا أن جاءنا بأخرة نزار قباني لقلنا إن عمر ليس له مثل في كل الشعر العربي. وحتى لا نجحف بحق معاصرنا المشهور فنحن نضيف أن نزاراً كان شاعر لهو وعبث كثير، وكان صائغاً ماهراً، وعندما قال في السياسة والوطن كان شاعراً فحلاً متصرفاً في اللغة، كان نزار محترفاً.

كنت أفضّل لو اقتصررت في اختياراتي على مئة بيت لعمر، ففي هذا ما يكفي لتمثيل جوه، ولكن هذا الجو له سحره، ولعلي سحرت مثلما سحر أبو الفرج الذي روى في الأغاني قصص عمر وأشعاره في مئة وتسعين صفحة، من صفحات طبعة دار الكتب.

كانت أشعار عمر، على ما فيها من هنات في الصناعة الشعرية، مشهورة. وتحفّظ الناس أشعاره، لأن الناس فيهم دعارة كامنة. ولأنهم يحبون كل شيء

يحكي لهم عن العلاقة بين الرجل والمرأة. ووصلنا شعره في بضع مئات من الصفحات. وأنا هنا أقلب ديوانه كما أخرجه محمد محيي الدين عبد الحميد. ولا أعلم عن نسخة أفضل ضبطاً. فأما النسخ البيروتية والمصرية الأخرى فلم تستطع، ولم تطمح، أي منها إلى تجاوز تلك الطبعة التي لم تصف نفسها بالتحقيق ولم تعطنا أي إشارات إلى مصادرها. وكل رأسمالها اسم محيي الدين عبد الحميد، الذي فسر الألفاظ تفسيراً قاموسياً رفع فيه عن كاهلنا بعض الجهد.

وقد رتبنا الأشعار ترتيب محيي الدين الذي قال إنه أخذه عن «نسخ الديوان الأمهات». وهاك آخر عبارة من مقدمة الشيخ محيي الدين ففيها حُكم طيب: «عمر بن أبي ربيعة وصف المرأة العربية وصفاً دقيقاً، ورسم لنا، رسماً واضح المعالم، ما كان يستملحه العرب يومئذ من المرأة في كل جزء من أجزائها، وأبان إلى حد كبير عن عواطف المرأة العربية وما يثير غضبها وما يثير رضاها، وعما يدفع المرأة إلى الجفوة والصدود والتأبّي، وما يستل غضبها ويذهب بجفائها، وهو في كل واحدة من أولئك تابع لغيره من الشعراء الذين تعرضوا لوصف النساء، ولكنه يمتاز بين هؤلاء جميعاً بشيئين: أحدهما أنه يتبع الشيء من ذلك ويفصله تفصيلاً دقيقاً، ويكرره فيطيل أحياناً ويجتزئ أحياناً أخرى، وثانيهما أنه جمع في شعره ما تفرق في شعر غيره، فكان فيه العوض عنهم جميعاً، وليس في غيره عوض عنه، وحسبك أن ديوانه المشتمل على خمس وثلاثين وثلاثمئة قطعة ليس فيها قطعة واحدة في غير وصف النساء والتشبيب بهن.» اهـ. عن محمد محيي الدين عبد الحميد.

والشيخ محيي الدين انقطع للعربية منذ صغره، وتصدى في سنوات الشباب الباكر لطبع نصوص صعبة في الأدب والنحو. ثم قضى عمره يطبع كتب النحو العتيقة بضبط ممتاز، وبهمة عالية. كان من رهبان هذه اللغة. وهو يساوي في الميزان بضعة آلاف من أكاديمي الزمن الرديء الذي نعيش فيه. كان مخلصاً في عمله، وكان متعمقاً في مجاله. ولم يدخل عالم التحقيق، ولا أنفق السنين وهو يصنع «الفهارس الفنية»، فقد ترك هذه المهمات لمن برع فيها، وما أقلهم. على أنه كان حسن الضبط، واسع المعرفة، غزير الإنتاج.

وإذ ذكرت رهبان المعرفة، فإنني أذكر لك أحد اختراعاتي. وأنا كثير الاختراعات. تراني أكتب صفحة لك في هذا الذي أكتب، أو أشرح قصيدة أو

قصبتين، ثم تعرّ لي فكرة، فأقوم عن حاسوبي وأسرع كي أختبرها. وآخر مخترعاتي يتعلق بسلق البيض.

إن كنت من المتزمتين، ورغبت عن معرفة اختراعي في سلق البيض، فيمكنك المضي إلى شعر صاحبنا لتقرأه فهو يأتي بعد هذه المقدمة. فأما إن مكثت معي فاعلم أنني لاحظت أن لسعة بخار الماء أوجع من لسعة الماء المغلي، وتذكرت شيئاً درسناه في كتاب العلوم عن الحرارة الكامنة. وقلت في نفسي: الناس تملأ القدر ماء وتضعها على النار وتنتظر نصف ساعة حتى تغلي، ثم تضع فيها البيض وتنتظر عشر دقائق حتى ينسلق، فهذه نصف ساعة وعشر دقائق، أي ثلثا ساعة.

وضعت في قدري مَجَّة ماء لا غير، فوصلت إلى الغليان في دقيقة، ثم وضعت البيض وسلقته على البخار في عشر دقائق. فوفرت نصف ساعة من الطاقة. وبعد هذا الاختراع علمت من ابنة أختي التي تعمل خبيرة تغذية في مستشفى أنهم يفعلون هذا بالضبط. فهم يسلقون البيض على البخار.

ثمة مخترعات كثيرة اخترعتها ظاناً أنني سابق إليها، وكنت سرعان ما أكتشف أنني مسبوق.

أردت أن أخترع عدداً من «محمد محيي الدين عبد الحميد»، وإليك التفصيل:

كان رهبان العلم في الأديرة المعلقة في جبال لبنان وفارس وتركيا يكرسون حياتهم للنسخ والترجمة. وقد ترجموا كتب اليونان إلى السريانية، ثم ترجموها، وترجمها غيرهم، إلى العربية. وكانت نهضة فكرية.

وترهبت أم كلثوم لفنها فأنشأت هرمأ تعب الكاتبون والسامعون في فك لغزه. وسأدلي بدلوي. قالوا إن صوت أم كلثوم نادر. هو صوت نادر حقاً، ولكن ليس إلى درجة أن لا يوجد الزمن بمثله إلا مرة في القرن والقرنين. هذا هراء لا يرضى به العلم. المسألة ليست مسألة حبال صوتية. أم كلثوم كرس حياتها لعملها. منذ الذي يجري بروفات بالعشرات مع الفرقة كاملة، سواها؛ هي التي استدعت بليغ حمدي ليلحن لها وعمره تسع وعشرون سنة، قالت له: اعمل لي حاجات كتلك التي تعملها لشادية. كانت تسمع الراديو وتتعقب الملحنين، وبعدما وقعت الخصومة بينها وبين السنباطي ذات سنة، وحدثت القطيعة، سمعت شهرزاد في الراديو تغني من ألحانه «يا ناسيني» فهاتفته

وصالحته. الخلطة الكلثومية بمجملها شديدة الندور، صوت واجتهاد وشخصية. كانت لها «زعامة الصوت» - التعبير لمحمد عبد الوهاب -، وكانت ذات شخصية قوية، وكانت راهبة فن.

واللحن المتقن - والتعبير مما استقاه كمال النجمي من كتاب الأغاني، وطوره ببراعة -، مثل نبتة البطاطا، تراها تطلق الأوراق الخضراء فتستعجل أنت فتنبشها، فإذا حبات صغار لا يُسَمَّى من جوع. لا بد للحن من أن يأخذ وقته، وينمو. يلحن الملحن الأغنية في يومين، ويتعقبها بالتشذيب شهراً وشهرين، وأكثر. نتحدث عن التلحين المتقن المصنوع، فأما اللحن الشعبي فقد لاكته حناجر الشعب عشرات السنين وصقلته، وما على المغني إلا أن يسمع جيداً ويؤدي باقتدار. وعلى صاحب اللحن المتقن المصنوع أن يخلق اللحن، وعليه أيضاً أن يصقله. ثم يأتي المغني، فإذا كان المغني أم كلثوم فهي تريد أن تصقل اللحن في حنجرتها، وأن تتعقب أدق تفاصيله، وأن تجرب كثيراً - ومعها الملحن يهديها تارة ويحنق على مزاجها تارة، ويدعن ويجري بعض التعديلات تارة.. ويختلف اللحن عن نبتة البطاطا في أن البطاطا إن مكثت في الأرض أطول مما يجب تلفت، فأما اللحن فهو أشبه بالفول المدمس. قال لي صاحبي: كلما غليت الفول جاد. وكان يترك فوله على نار هادئة طول الليل، فإذا أصبح صنع لعائلته صحن فول مدمس فاخراً.

ثمة شيء يتفق فيه أخو الموسيقى وأخو اللغة: البدء في الصغر. أحد من قرأت لهم كان يتعجب من الملحن الأميركي جورج غيرشوين، كيف تأتى له أن يبرع في الموسيقى وهو قد بدأ يتعلم العزف بعد أن تجاوز العاشرة. والمعهود في كبار الموسيقيين أنهم يبدأون في سن الثالثة والرابعة أو بعد ذلك بقليل. فالموسيقى شيء ينقش نفسه في خلايا الدماغ الغضة، فإن نما الدماغ وامتلاً غداً صعباً أن يُدَوَّرَ على موسيقى غريبة أو لغة جديدة.

والشعر واللغة، وكل علم، بحاجة إلى تلك الصفحة البيضاء.

قد يتفق الصبي سنوات طفولته يسمع الشعر ويحفظ اللغة ولا يمارس من ذلك شيئاً، فإن كبر انطلق. لا شك في أن الملكات تختلف بين إنسان وإنسان. والرغبات تختلف. لكنَّ النقش على الحجر ضروري لتحقيق التميز.

نعقد فقرة أو فقرتين لשתم الأكاديميين من أهل زمننا. لأننا لا يطيب لنا أن نمضي في حديثنا دون أن نصنع شيئاً من ذلك.

يبلغ أحدهم منتصف المرحلة الثانوية، فيبدو عليه الكلال، فلا رغبة لديه لا في علم ولا في أدب، فيرميه النظام التعليمي في الفرع الأدبي. فيجر قدميه جراً حتى ينال الشهادة الثانوية وتزغرد له أمه. ويدخل الجامعة. وطبعاً سيدرس اللغة العربية. أليس قد حصل على معدل خمسة وستين؟ ويجر قدميه. ويقدر ما عند أهله من مال يمضي في الدراسة. ويصبح دكتوراً. فإن علمت أيها القارئ، وأرجو أن تكون علمت، أن الرغبة هي مفتاح التفوق، وهي فقط التي تصنع الإبداع، فقد علمت أن صاحبنا لن يصنع شيئاً سوى أمثال هذه البحوث التافهة التي يقدفنا بها الأكاديميون.

حلم يقظتي الذي هممت بالتحدث إليك عنه، ثم أخذني الاستطراد إلى موضوعات شتى، هو أن أصنع للدراسات اللغوية والأدبية ناساً محبين قديرين من بين الراغبين. وهو كحللم الرجل الأمي الذي يريد من ابنه أن يعوضه عما فاته من علم.

فأنا رجل ساقطني الظروف سوقاً إلى كل مجال سوى مجال الأدب واللغة. أنا ذلك الرجل الأمي. أنا من أنفق عمره في أعمال شتى تقوته وتقوت عياله، وانتبه في شيخوخته إلى أنه كبت رغباته الحقيقية. فعندما بدأت أعالج اللغة القديمة، والشعر القديم، وجدت أنني لم أدخل الدبر ولم أكرس نفسي لهذا العمل. ففهم الشعر القديم يقتضي من الوقت والجهد الكثير، واستيعاب اللغة العربية في عصورها المختلفة كان سيكون أسهل عليّ بكثير لو أنني كنت بدأت باكراً، ولو أنني كنت فرغت للأمر.

الأزهر كان بيئة صالحة للتفرغ. ومن الأزهر خرج علماء يتقنون العربية حقاً. هذا شيء كان.

الحاصل: أريد أن يكون في مقدور مجتمعاتنا العربية أن تهَيء لخروج أم كلثومات، وعبد الحميد بن كثيرين. أريد لمجتمعاتنا أديرة علم. أقول قولي هذا وقد غسلت يدي من الجامعات غسلًا.

يتحرك الأكاديمي في جامعته كالبزاق، ذلك المخلوق اللزج الذي يخرج قرنيه ويمشي على بطنه. فإذا كان يقظاً وذكياً وجدته فاقداً البوصلة. يظن نفسه أتى برأس كليب إن هو كتب ألف صفحة عن حروف الجر في شعر أبي الشمقمق.. هذا مجرد مثال، وأخشى أن يقرأ كلامي هذا بعض أولئك الحلزونات فيكتب مثل ذلك الكتاب.

يبدأ الأكاديمي حياته «العلمية» - لُعن وعلمه، أمين - بمجموعة ضخمة من المسلمات. يقدس كتابات القدماء. ويقدس كتابات الأجانب. وتراه يتعبد بالمعجمات. تراه يتظرف ولا يقول «معاجم» بل لا بد أن تكون «معجمات». فإن سميتها وأنت جالسٌ إليه «قواميس»، فهذا يوم بؤسك. فسوف يصدع الأفندي رأسك وهو يحاول ردك إلى صواب يظنه. ويكلمك بالفصحى ويغلط، ويصحح نفسه إن انتبه إلى أنه غلط. وعندي لك وصفة طيبة كي تجعله يتكلم كخلق الله. أغظه. قل له أشياء لم يسمعها من أساتذته، قل له مثلاً، إن الممنوع من الصرف جدير بالإلغاء. . . وسوف تراه يحتد، وسوف تراه. . . يتكلم بالعامية.

الأكاديمي عندنا يكتب على جبهته: «كل شيء معلوم، وموجود في كتاب معين». المهم عنده أن يبحث ويجد المعلومة. لم يخطر بباله قط أن الاعتراف بالجهل هو بداية الطريق. لم يخطر بباله قط أن ملايين الصفحات التي سودها آلاف علماء اللغة في مئات السنين تنقصها معلومات كثيرة. وهو لا يتخيل أن هناك مجهولات تنتظر من يجعلها معلومات. هو يظن أن كل شيء معلوم، وأن غاية البحث العلمي هي - فقط - البحث عن الفقرة المناسبة ووضعها بإزاء فقرة مناسبة أخرى لكي يسمى ذلك بحثاً.

يزعجني أكثر من الأكاديمي الذي يتدرج من ماجستير إلى دكتوراه ذلك الذي يقضي شبابه وكهولته على الماجستير محاضراً في جامعة أو مدرسة، ثم يطمح إلى العلاوة، وإلى حرف الدال، فـ «يسجل» للدكتوراه. هذا أسوأ بمراحل. يدخل الجامعة من جديد بعقل متخشب، وينال الدكتوراه بالتأكيد، ويزيد على كومة المسلمات التي في عقله مسلمات جديدة. ويصبح ثقيل الدم.

يغيظني وأنا أبحث في دواوين الشعراء القدامى أن كل ديوان منها اكتشفه وسهر عليه أول مرة ثم طبعه مستشرق.

أول طبعة جيدة لديوان عمر طبعة المستشرق باول شفارتس، ١٩٠٨، وشفعها بكتاب عن الشاعر، ١٩٠٩. ولقد أخبرنا بروكلمان في ثلاث صفحات عن حياة عمر ما وفر علينا مشقة المقارنة بين روايات القدماء. قد قرأنا كتابات القدماء، لكن بروكلمان قرأها وقارن بينها واستخلص ما يمكن استخلاصه من الحقائق. أعجبتني عنده عبارة في التشكيك بأن عمر ولد في الليلة التي توفي فيها سميخ الخليفة، قال الألماني إن هذا القول «متهم ككل ما روي في اقتران أمرين عظيمين».

ونختم هذه المقدمة بالتنبية على شيء يتعلق بكل الشعر القديم، وربما بكل الشعر:

لا تنثر الشعر. ولا تدقق في معانيه كثيراً. كانت جدة صاحبي تقول له وهو صغير: «الزاد لا يَفْتَشُ»، فإن فتش المرء الزاد وجد على وجه الرغيف قشة وعلى قفاه قذاة مما يكون على أرضية الفرن، ووجد في طبق الأرز حبة مسودة ضربتها السوسة. سمّ بالله وكل، واقرأ الأشعار وترنم بها. فإنك واجد - إن أمعنت في الفحص - هنات كثيرات، وإنك فاقد لمعنى جليل كنت تتوهم أنه كامن هناك. الشعر كتب لكي ترنم به لا لكي تفحصه في المختبر.

١ ليلة غرامية

أَمِنْ آلِ نَعْمَ أَنْتَ عَادٍ فَمُبَكِّرُ عَدَاةِ غَدٍ أَمْ رَائِحُ فَمُهَجَّرُ؟
المعنى الملموح: أنتذهب إلى قوم الحبية «نعم» باكراً أم وقت الهاجرة واشتداد الحر؟

أَهْيِمُ إِلَى نَعْمٍ، فَلَا الشَّمْلُ جَامِعٌ وَلَا الْحَبْلُ مَوْصُولٌ، وَلَا الْقَلْبُ مُقْصِرُ
مغرم بها، ولكن الاجتماع صعب لكثرة الترحال، وليس هناك حبل موصول، لا علاقة، ومع ذلك فالقلب ليس يُقْصِر، أي لا يكت

وَلَا قُرْبُ نَعْمٍ، إِنْ دَنَتْ، لَكَ نَافِعٌ وَلَا نَائِيهَا يُسْلِي، وَلَا أَنْتَ تَصْبِرُ
وقربها لا ينفع، لأن الوصول إليها صعب، ولا بعدها يسليني، أي ينسيني، ولا أنت يا عمر - يخاطب نفسه - صابر

إِذَا زُرْتُ نَعْمًا لَمْ يَزَلْ ذُو قَرَابَةٍ لَهَا، كُلَّمَا لَاقَيْتُهَا يَتَنَمَّرُ
إذا زرتها لاقاني قريب لها، متمراً، متحفزاً للشر

رَأَيْتُ رَجُلًا: أَمَّا إِذَا الشَّمْسُ عَارَضَتْ فَيَضْحَى، وَأَمَّا بِالْعَشِيِّ فَيَخْصَرُ
رأيتي إذا ما الشمس برزت أضْحَى، أي أبيضُ للشمس، وفي المساء أَخْصَرُ، أي أشعر بالبرد

أَخَا سَفَرٍ، جَوَابَ أَرْضٍ، تَقَازَقْتُ بِهِ فَلَوَاتٌ، فَهُوَ أَشَعْتُ أَغْبَرُ
رأيتي صاحب أسفار، تقاذفتي القلوات، أي الصحارى، وأنا مشعث الرأس والثياب، مغبرٌ

وَلَيْلَةَ «ذِي دُورَانَ» جَشَمْنِي السُّرَى، وَقَدْ يَجْشِمُ الْهَوَلُ الْمُحِبُّ الْمَغْرُرُ

في تلك الليلة بموضع «ذي دوران» تكلفت سير الليل، والمحب الذي خدعه الحب يتجشم كل هول

وَبِتُّ أَنَا جِي النَّفْسِ أَتَيْنَ خِيبَاؤُهَا وَكَيْفَ لِمَا أَتَى مِنَ الْأَمْرِ مَصْدَرُ

أخذت أحدث نفسي: يا ترى أين خيمتها بين الخيام؟ وكيف سيكون لي مصدر، رجوع،
بعد انتهاء مغامرتي؟

فَدَلَّ عَلَيْهَا الْقَلْبَ رَيًّا عَرَفْتُهَا لَهَا، وَهَوَى النَّفْسِ الَّذِي كَادَ يَظْهَرُ

دل قلبي عليها رياء، رائحة عطرة، عرفتها لها. ودلني عليها هواي الذي يكاد يظهر للناس

فَلَمَّا فَقَدْتُ الصَّوْتَ مِنْهُمْ، وَأَطْفَيْتُ مَصَابِيحُ شُبَّتْ بِالْعِشَاءِ وَأَنْوَرُ

لما خفت أصوات القوم، وأطفأوا مصابيحهم وأنوارهم..

وَعَابَ قُمَيْرٌ كُنْتُ أَهْوَى غُيُوبَهُ وَرَوَّحَ رُغَيَانٌ، وَنَوْمَ سُمُرُ..

ولما غاب القمر، الذي كنت أحب غيابه لأستتر في الليل، وعندما روح الرعيان، عادوا من
المراعي، ونام السامرون..

وَحُفِّضَ عَنِّي الصَّوْتُ، أَقْبَلْتُ مِثْبَةَ الْـ حُبَابٍ، وَشَخْصِي خَشْبَةَ الْحَيِّ أَزُورُ

وعندما خفت الصوت، مضيت أمشي مشية الحباب، الحية، منساباً، وجسمي يميل ويتضاءل خشية
أن يراني القوم

فَحَيَّيْتُ إِذْ فَاجَأَتْهَا، فَتَوَلَّهْتُ وَكَادَتْ بِمَخْفُوضِ التَّجِيَّةِ تَجْهَرُ

حييتها، فتولت، دهشت، ولدهشتها كادت ترفع صوتها برد التحية

وَقَالَتْ، وَعَضَّتْ بِالْبَنَانِ: فَضَحْتَنِي وَأَنْتَ امْرُؤٌ مَبْسُورٌ أَمْرَكَ أَعَسَرُ

عضت على إصبعها، وقالت: فضحتني، وإنك لرجل تجعل السهل من الأمر صعباً بتصرفاتك

فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي: أَتَعْجِيلُ حَاجَةً سَرَتْ بِكَ، أَمْ قَدْ نَامَ مَنْ كُنْتُ تَعْلُذُ؟

أأنت مستعجل للحصول على حاجتك مني فغامزت؟ أم أنك وثقت بنوم القوم فرايت أنه لا بأس
من القدوم؟

فَقُلْتُ لَهَا بَلْ قَادَنِي الشَّوْقُ وَالْهَوَى إِلَيْكَ، وَمَا نَفْسٌ مِنَ النَّاسِ تَشْعُرُ

فَبِتُّ قَرِيرَ الْعَبْنِ، أُعْطِيتُ حَاجَتِي أَقْبَلُ قَاهَا فِي الْخَلَاءِ وَأُكْثِرُ

في الخلاء: أي وأنا مُختلٍ بها

فَيَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ تَقَاصَرَ طَوْلُهُ وَمَا كَانَ لَيْلِي قَبْلَ ذَلِكَ يَقْصُرُ

كان ليلي طويلاً وأنا أفكر فيها، والآن صار ليلي قصيراً معها

وَيَا لَكَ مِنْ مَلْهَى هُنَاكَ وَمَجْلِسٍ لَنَا لَمْ يُكَدِّرْهُ عَلَيْنَا مُكَدِّرُ

يا لهذا المجلس الجميل معها

فَلَمَّا تَقَضَّى اللَّيْلُ إِلَّا أَقَلَّهُ وَكَادَتْ تَوَالِي نَجْمِهِ تَتَفَوَّرُ..

عندما مضى معظم الليل، وبقي القليل، وكادت النجوم تنفجر..

أَشَارَتْ بِأَنَّ الْحَيَّ قَدْ حَانَ مِنْهُمْ هُبُوبٌ، وَلَكِنْ مَوْعِدَ لَكَ «عَزُورُ»

قالت إن الحي، أي القوم، كادوا يهبون من نومهم. عليك الذهاب، وسنلتقي مرة أخرى في موضع «عزور»

فَمَا رَاعَنِي إِلَّا مُنَادٍ: تَرَحَّلُوا. وَقَدْ شَقَّ مَفْتُوقٌ مِنَ الصُّبْحِ أَشْقَرُ

وراعني صوت منادٍ ينادي بالرحيل. وقد فتق الصباح وجه السماء بضياؤه

فَلَمَّا رَأَتْ مَنْ قَدْ تَنَبَّهَ مِنْهُمْ وَأَبْقَاظَهُمْ، قَالَتْ: أَشِيرُ كَيْفَ تَأْمُرُ؟

عندما أدركت أن بعضهم قد صحا، قالت متحيرة: فما العمل الآن؟

فَقُلْتُ أَبَادِيهِمْ، فَلِمَا أَفْوَتْهُمْ، وَإِمَّا يَنَالُ السَّيْفُ ثَارًا فَيَبْثَارُ

قلت: أباديهم، أبدو لهم وأظهر نفسي، فلما أن أهرب فلا يمسون بي، وإما أن يثاروا فينال السيف مني

فَقَالَتْ: أَنَحْقِيقًا لِمَا قَالَ كَاشِحٌ عَلَيْنَا، وَتَصَدِيقًا لِمَا كَانَ يُؤَثِّرُ؟

قالت: بذلك تؤكد ما قاله الكاشح، المضرر العداوة، عن علاقتنا، ويتوفر الدليل على ما كان يؤثر ويقال عنا

فَإِنْ كَانَ مَا لَا بُدَّ مِنْهُ فَغَيْرُهُ مِنَ الْأَمْرِ أَذْنَى لِلْخَفَاءِ وَأَسْتَرُ

فإن كان لا بد من المخاطرة فلا بد من أمر أستر..

أَقْصُرْ عَلَى أُخْتَيَّ بَدْءَ حَدِيثِنَا وَمَا لِي مِنْ أَنْ تَعْلَمَا مُتَأَخَّرُ

أخبر أختي بما كان، ولا سبيل سوى إعلامهما

لَعَلَّهُمَا أَنْ تَطْلُبَا لَكَ مَخْرَجًا وَأَنْ تَرْجَبَا سِرِّي بِمَا كُنْتُ أَخْصَرُ

لعلهما أن تتوصلا إلى مخرج لك، وأن ترجبا سري، أي يكون لديهما سعة في الرأي، بدل الضيق الذي عندي

فَقَامَتْ كَثِيبًا لَيْسَ فِي وَجْهِهَا دَمٌّ مِنَ الْحُزْنِ، تُذَرِّي عِبْرَةً تَتَحَدَّرُ

قامت وهي محزونة مخطوفة اللون، ودمعها يجري

فَقَامَتْ إِلَيْهَا حُرَّتَانِ عَلَيْهِمَا كِسَاءٌ إِنْ مِنْ حَرٍّ: دِمَقْسٌ وَأَخْضَرُ

وجاءتها أختاها وعليهما كساءان من حرير

فَقَالَتْ لِأَخْتَيْهَا: أَعَيْنَا عَلَى فَتْنَى أَتَى زَائِرًا، وَالْأَمْرُ لِلْأَمْرِ يُقْدَرُ

قالت لهما أعتاني على هذا الزائر، ولا بد لكل أمر من حل يناسبه

فَأَقْبَلْنَا، فَارْتَاعَتَا، ثُمَّ قَالَتَا: أَقْلِي عَلَيْكَ اللَّوْمَ، فَالْخَطْبُ أَيْسَرُ

عندما رأيتي الفتاتان أصابهما الرعب، ثم طمأناتا

فَقَالَتْ لَهَا الصُّغْرَى: سَأَعْطِيهِ مُطَرَفِي وَدِرْعِي، وَهَذَا الْبُرْدُ، إِنْ كَانَ يَحْذَرُ

الصغرى ستعطيني مطرفاً، أي رداءً، ودرعاً، أي قميصاً، وبرداً، أي ثوباً من عندها.. لكي
البس.. ولكن يجب أن أكون حذراً

يَقُومُ فَيَمْشِي بَيْنَنَا مُتَنَكِّراً فَلَا سِرْنَا يَفْشُو، وَلَا هُوَ يَظْهَرُ

وليقيم ويمشي بيننا فلا يتبه أحد

فَكَانَ مِجْنِي دُونَ مَنْ كُنْتُ أَتْقِي ثَلَاثُ شُخُوصٍ كَاعِبَانِ وَمُعْصِرُ

وهكذا كان مجني، تُرسي، دون من كنت أحذر من الأعداء، ثلاث نساء: كاعبان قد برز منهما
الصدر، ومعصر، أي فتاة في أول البلوغ

فَلَمَّا أَجْرُنَا سَاحَةَ الْحَيِّ قُلْنَا لِي: أَمَا تَتَّقِي الْأَعْدَاءَ وَاللَّيْلَ مُقْمِرًا؟

لما عبرنا ساحة القوم، بدان باللوم والتأنيب: ألسنت تتقي الأعداء في ليلة مقمرة؟

وَقُلْنَا: أَهَذَا دَأْبُكَ الدَّهْرَ سَادِراً؟ أَمَا تَسْتَحْيِي أَوْ تَرْعَوِي أَوْ تُفَكِّرُ

أهذا شأنك دائماً سادراً، غير مبالٍ؟ ألا تستحي، ألا ترعوي، أي تكف، ألا تفكر في العواقب؟

إِذَا جِئْتَ فَاَمْنَعُ طَرَفَ عَيْنَيْكَ غَيْرَنَا لِكِي يَحْسَبُوا أَنَّ الْهَوَى حَيْثُ تَنْظُرُ

إذا جئت مرة أخرى فانظر إلى غيرنا حتى لا يعرف أهلنا أنك مشغوف بنا

فَآخِرُ عَهْدِي لِي بِهَا حِينَ أَعْرَضْتُ وَلاَحَ لَهَا خَدُّ نَقِيٍّ وَمَخَجَرُ

آخر عهدي بها كان عندما انفتلت وانصرفت، ورأيت طرف خدها الناعم، وجانب عينها

هَنِيئًا لِأَهْلِ الْعَامِرِيَّةِ نَشْرُهَا إِلَيَّ لَلَّذِيذُ، وَرِيَاها الَّذِي أَتَذَكَّرُ

هنيئاً لأهلها نشرها اللذيذ، رائحتها الطيبة التي ما زلت أتذكرها

٢ أنت السمع والبصر

هَيْفَاءُ لَفَاءً مَصْقُولٌ عَوَارِضُهَا تَكَادُ مِنْ ثِقَلِ الْأَرْدَافِ تَنْبَتِرُ

هيفاء، ضامرة البطن، لفاء، سميكة الفخذين، مصقولة العوارض، أي الأسنان، ولدقة خصرها
وعظم أردافها تكاد تنبت من منتصفها

تلك التي سَلَبْتَنِي العقلَ وَامْتَنَعْتَ، وَالْغَانِيَاتُ، وَإِنْ وَاصَلْنَا، غُدْرُ
سَلَبْتَنِي عَقْلِي بِدَلَالِهَا وَامْتَنَعْتَ مِنَ الْمَضِيِّ فِي الْعَلَاقَةِ، وَالْغَانِيَاتُ غَادَرَاتُ حَتَّى وَإِنْ أَنْشَأَ عِلَاقَةً
لَا أَضْرِفُ الدَّهْرَ وَدِّيْ عَنْكِ أَمْنَحُهُ أُخْرَى أَوْاصِلُهَا مَا أَوْرَقَ الشَّجَرُ
لَنْ أَحُولَ مُحِبَّتِي عَنْكَ طَوْلَ الدَّهْرِ لَامْرَأَةٍ أُخْرَى، لَنْ أَفْعَلَ ذَلِكَ مَا دَامَ الشَّجَرُ يَطْلُقُ الْوَرَقَ
أَنْتِ الْمُنى وَحَدِيثُ النَّفْسِ خَالِيَةٌ وَفِي الْجَمِيعِ، وَأَنْتِ السَّمْعُ وَالْبَصَرُ
أَنْتِ مَتَمَّتْهُ أَمْنِيَاتِي، وَأَفَكَّرَ فِيكَ سِوَا فِي خُلُوتِي أَمْ عِنْدَمَا أَكُونُ فِي الْجَمِيعِ، أَيَّ مَعَ النَّاسِ
يَا لَيْتَ مَنْ لَامَنَا فِي الْحُبِّ، مَرَّ بِهِ مِمَّا نَلَاقِي - وَإِنْ لَمْ نُخَصِّصْهُ - الْعُشْرُ
لَيْتَ مَنْ يَلُومُنَا فِي الْحُبِّ يَمُرُّ بِهِ عُشْرٌ مَا نَلَاقِي مِنْ عَذَابٍ، وَإِنْ لَمْ نَكُنْ أَحْصَيْنَا عَذَابَاتِنَا لَكُنْتَهَا
حَتَّى يَذُوقَ كَمَا ذُقْنَا، فَيَمْنَعَهُ مِمَّا يَلِدُ حَدِيثُ النَّفْسِ وَالسَّهْرِ
كَيْ يَذُوقَ مِثْلَمَا ذُقْنَا، فَيَمْنَعَهُ السَّهْرَ وَحَدِيثَ النَّفْسِ، أَيُّ الْخَوَاطِرِ وَالْهَوَاجِسِ، مِنَ الْإِسْتِمَاعِ بِمَا
يَلِدُ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا

٣ حب بحب

وَاللَّهُ قَدْ زَادَنَا وَجْدًا بِهِمْ كَلَفٌ وَمُتَرَعٌ مِنْ رَجِيعِ الدَّمْعِ مُبْتَدِرُ
زَادَنَا بِهَا حِبًّا الْكَلَفُ (الْمُثَقَّةُ فِي الْحُبِّ)، وَالِدَمْعُ الْمُرْتَعُ (الْغَزِيرُ) الْمَتَكَّرُ الَّذِي ابْتَدَرَ (سَالَ) عَلَيْهَا
وَأَنَّهَا حَلَفَتْ بِاللَّهِ جَاهِدَةً وَمَا أَهْلٌ لَهُ الْحُجَّاجُ وَاعْتَمَرُوا . .
وَزَادَنَا حِبًّا أَنَّهَا حَلَفَتْ جَاهِدَةً (بَلَا تَقْصِيرَ) بِاللَّهِ وَبِمَا أَهْلٌ لَهُ الْحُجَّاجُ
(رَفَعُوا صَوْتَهُمْ بِالتَّكْبِيرِ قَبْلَ التَّضَحِّيَةِ)
مَا وَافَقَ النَّفْسَ مِنْ شَيْءٍ تُسَرُّ بِهِ وَأَعْجَبَ الْعَيْنَ إِلَّا فَوْقَهُ عُمَرُ
حَلَفَتْ وَقَالَتْ إِنَّ عَمْرَ أَكْبَرَ مِنْ كُلِّ مَا أَحَبَّتْهُ النَّفْسُ وَأَعْجَبَهَا
فَذَاكَ أَنْزَلَهَا عِنْدِي بِمَنْزِلَةٍ مَا كَانَ يَحْتَلُّهَا مِنْ قَبْلِهَا بَشَرُ
فَهَذَا مَا جَعَلَهَا أَقْرَبَ النَّاسِ إِلَى قَلْبِي

٤ واهاً لعفراء

وَاهَا لِعَفْرَاءٍ، إِنْ دَارَ بِهَا قَرِيبٌ فَمَا أَبَالِي أَلَا مَ النَّاسُ أَمْ عَذَرُوا
إِنْ قَرِيبَ مِنِّي عَفْرَاءٌ فَلَا يَهْمُنِي أَلَا مَنِي النَّاسُ أَمْ التَّمَسُّوا لِي عَذْرًا فِي جِهَا
نَقُولُ، إِذْ أَبَقَنْتَ أَنْيَ مُقَارِفُهَا: يَا لَيْتَنِي مُتُّ قَبْلَ الْيَوْمِ يَا عُمَرُ

٥ متوسداً معصمها

بِتُّ فِي نِعْمَةٍ، وَبَاتَ وَسَادِي مِغْصَمًا بَيْنَ دُمْلُجٍ وَسَوَارٍ
بت ورأسي على معصمها بين الدملج، أي سوار العضد، وسوار المعصم

ثُمَّ إِنَّ الصَّبَاحَ لَاحَ، وَلاَحَتْ أَنْجُمُ الصُّبْحِ مِثْلَ جَزَعِ الْعَذَارِي
ثم لاح الصبح وخفت النجوم فكأنها صارت كجزع العذاري، أي الخرز الذي تقلده العذاري
فَنَهَضْنَا نَمْشِي نُعْقِي بُرُودًا وَمُرُوطًا، وَهَنَّا عَلَى الْآثَارِ
نهضنا وهناً، في آخر الليل، نعفي الأثر، أي نمحوه، ونجر عليه ذبول المروط، أي الثياب

٦ مظلومة!

فَالْتَقَيْنَا فَرَحَبَتٍ حِينَ سَلِمَ تُّ، وَكَفَّتْ دَمْعًا مِنَ الْعَيْنِ مَارَا
التقينا فرحبت بي حين سلمت عليها ومار الدمع، أي تفرق

ثُمَّ قَالَتْ عِنْدَ الْعِتَابِ: رَأَيْنَا فِيكَ عَنَّا تَجَلُّدًا وَازْوِرَارًا
عابت وقالت: رأيت منك تجلداً، أي صبراً على الفراق، وازوراراً، ابتعاداً وانحرافاً عني

ثُمَّ قَالَتْ، وَسَامَحَتْ بَعْدَ مَنَعٍ وَأَرْتَنِي كَفًّا تَزِينُ السُّوَارَا . .
ثم سامحت، لانت وسمحت بالوصال، ولم تعد تزم ثوبها زماً بل استرخت فرايت كفها تزين
السوار، لا نظنه قصد أن الكف هي التي تزين السوار . . فقط القافية الجأته إلى ابتكار معنى «أن
كفها أجمل من سوارها فهو الذي يزينه»، ففي ذلك الزمن لم يكونوا يتحللون كما في العصور
التالية

فَتَنَاوَلْتُهَا، فَمَالَتْ كَغُضْنٍ حَرَكْنَهُ رِيحٌ عَلَيْهِ فَخَارَا
خار: وقع

وَأَذَاقْتُ بَعْدَ الْعِلَاجِ لَذِيذًا كَجَنَى النَحْلِ شَابَ صِرْفًا عُقَارَا
وبعد العلاج، بعد محاولات الاستمالة، أذاقتني ريقها الذي كأنه عسل خالط خمراً صافية

ثُمَّ كَانَتْ دُونَ اللَّحَافِ لِمَشْغُو فِي مُعَنَى بِهَا صَبُوبٍ شِعَارَا
ثم كانت لي تحت اللحاف - وأنا المشغوف المتعب بجبها الصبوب، أي الصب المتيم - كانت لي
شعاراً، أي لباساً داخلياً . . يقول: التصقت به كأنها ثوبه الملاصق للجسم

وَاشْتَكْتُ شِدَّةَ الْإِزَارِ مِنَ الْبَهْرِ، وَأَلَقْتُ عَنْهَا لَدَيَّ الْخِمَارَا
اشتكت ضيق ملابسها من البهر، أي مما اعترأها من ضيق تنفس، فألقت خمارها

حَبَّذَا رَجَعُهَا إِلَيْهَا يَدَيَّ فِي يَدَيَّ دِرْعَهَا تَحُلُّ الْإِزَارَا
 ما أجمل حركة يديها وهي تخرجهما من يدي درعها، أي قميصها، وهي ماضية في خلع ثوبها
 : يَا ابْنَ عَمِّي فَدَتَكَ نَفْسِي إِنْني أَتَقِي كَاشِحاً إِذَا قَالَ جَارَا
 تقول وهي تفعل ذلك إنها تخشى عدواً يفترى عليها فإذا قال عنها شيئاً جارَ وتجاوز الحق.. بعد
 كل هذا الذي تفعلينه يا آنسة لن يكون قد جار

٧ كيد العواذل كايدني

إِنَّ الْعَوَازِلَ قَدْ بَكَرْنَ يَلْمُنَنِي وَحَسِبْتُ أَكْثَرَ لَوْمِيهِنَّ ضِرَارَا
 العاذلات جئن صباحاً يلمني، ولكن لومهن معظمه ضرار، أي بغرض إيقاع الأذى
 وَرَعَمْنَ أَنَّ وَصَالَ عَبْدَةَ عَائِدُ عَاراً عَلَيَّ، وَلَيْسَ ذَلِكَ عَارَا
 والنفس يمنعه الحياء فترعوي وتكاد تغلبني إليك مزارا
 يا عبدة، الحياء يمنع النفس فترعوي، أي تكف، ولكن نفسي تغلبني فأميل إليك
 مَا يُذَكِّرُ اسْمُكَ فِي حَدِيثٍ عَارِضٍ إِلَّا اسْتُخِفَّ لَهُ الْفُؤَادُ فَطَارَا

٨ حبذا المعاكسة

أَبْصَرْتُهَا لَيْلَةً وَنَسَوْتُهَا يَمْشِينَ بَيْنَ الْمَقَامِ وَالْحَجَرِ
 أبصرتها مع رفيقاتها في الحرم بين مقام إبراهيم والحجر الأسود
 قَالَتْ لَتَرْبٍ لَهَا مُلَاطِفَةٌ: لَتُفْسِدَنَّ الطَّوَافَ فِي عَمَرٍ
 قالت لترب لها، أي لرفيقة في عمرها، على سبيل المزاح: سوف تفسدين الطواف علينا
 بالحديث عن عمر

قَالَتْ: تَصَدِّي لِي لِيُبْصِرْنَا ثُمَّ اغْمِزِيهِ، يَا أُخْتُ فِي خَفَرٍ
 قالت لها رفيقتها: واجهيه كي يلاحظنا، واغمزيه في حياء.. حبذا الحياء!

قَالَتْ لَهَا: قَدْ غَمَزْتُهُ قَابِي. ثُمَّ اسْبَطَرْتُ تَسْعَى عَلَى أَثَرِي
 قالت لها: غمزته قابي ولم يأبه. ويضيف الشاعر معلقاً على حديثهن: ثم اسبطرت، أي أسرعت، تلحقني

٩ النوار

تَلَيْنُ حَتَّى يَقُولَ قَدْ خُدِعْتُ مَنْ لَمْ يَكُنْ بِالنِّسَاءِ ذَا خُبَرٍ
 تلين الفتاة حتى ليقول ويحسب من ليست له خبرة بالنساء أنها خدعت

حتى إذا ما التَّمَسْتُ غِرَّتْهَا كانت نَوَاراً قَلِيلَةَ الْغِرْرِ
فإذا ما التمت فرصة ضعفها ألفتها نواراً، أي فتاة مستمكة لا تعطي صاحبها شيئاً، قليلة الانخداع

١٠ على أطلال الحبيبة

لِمَنْ طَلَلُ مُوجِشٍ أَقْفَرَا فأصبحَ مَعْرُوفُهُ مُنْكَرَا؟
لمن هذا الطلل الموحش الذي أصبحت معالمه الواضحة منكراً لا تكاد تبين؟
ولو أَنَّهُ يَسْتَطِيعُ الْجَوَابَ لِأَخْبَرَ إِذْ سِيلَ أَنْ يُخْبِرَا
سئل: سئل

ولكنَّهُ غَيَّرَتْهُ الصَّبَا فأَمَسَتْ مَعَالِمُهُ دُثْرَا
غيرته ريح الصبا، فاندثرت معالمه

وَكُلُّ مُسِفٍّ لَهُ هَيْدَبٌ إِذَا مَا حَدَا رَعْدُهُ أُمْطَرَا
وغيره الغمام المسف، المنخفض، الذي يسيل مطراً كالخيوط، والرعد يحثه على النزول، كأن
الرعد حادي الإبل ينشد فتسير على إيقاع نشيده

وقد كنتُ أَلْقَى به شَادِنَاً قَطُوفَ الْخُطَا نَاعِمًا أَحُورَا
في هذا المكان كنت أقابل غزلاً قطوف الخطا، أي خطاه متقاربة، وناعماً وأحور، عيناه «سواد»
صافي على بياض صافي، وهذا هو الحور

أَسِيلَ الْمُحَيَّا هَضِيمَ الْحَشَا كشمسِ الضُّحَى واضِحاً أَزْهَرَا
أسيل المحيا، طويل الخدين، هضيم الحشا، ضامر البطن، أزهر، أي أبيض

أَقُولُ لِمَنْ لَمْ فِي حُبِّهَا أَرَى لَكَ فِي الرَّأْيِ أَنْ تُقْصِرَا
يا من يلومني في حبها، من رأيي أن تكف

١١ وهل يخفى القمر

هَيَّجَ الْقَلْبَ مَفَانٍ وَصَبْرُ دَارِسَاتٍ قَدْ عَلَاهُنَّ الشَّجَرُ
هيج مشاعري المغاني، الرياض، والصبر، الحظائر، الدارسات، الخربة، التي قد علاها الشجر

وَرِيَا حُ الصَّيْفِ قَدْ أَزْرَتْ بِهَا تَنْسِجُ الثُّرْبَ فُنُوناً وَالْمَطَرُ
ورياح الصيف أزرت بها، خربتها، فهي تزوج وتجيء عليها فكانها تنسج التراب نسجاً بأشكال
شتى، وخربها المطر أيضاً

ظَلْتُ فِيهَا ذَاتَ يَوْمٍ وَاقِفًا أَسْأَلُ الْمَنْزَلَ هَلْ فِيهِ خَبَرٌ
لِلَّتِي قَالَتْ لِأَتْرَابٍ لَهَا قُطِّفَ فِيهِنَّ أَنْسٌ وَخَفَرُ:

هل عند الديار المقفرة خبر لهذه الفتاة التي قالت لرفيقاتها القطف، البطشات السير، الخجولات..

قَدْ خَلَوْنَا فَتَمَنَّيْنِ بِنَا إِذْ خَلَوْنَا الْيَوْمَ نُبْدِي مَا نُسِرَ
قالت لهن: هيا - ونحن وحدنا - نتكاشف بأسرارنا وأمّياتنا!

فَعَرَفْنَ الشَّوْقَ فِي مُقْلَتِهَا وَحَبَابُ الشَّوْقِ يُبْدِيهِ النَّظَرُ
أدركن ما بها من شوق، وحبّاب الشوق، أعظمه، يبدو في العين

قُلْنَ يَسْتَرْضِيْنَهَا: مُنْبِئْنَا لَوْ أَتَانَا الْيَوْمَ فِي سِرِّ عُمُرِ
قلن لها: ليت عمر يأتينا سرّاً

بَيْنَمَا يَذْكُرُنِي أَبْصَرْتُنِي دُونَ قَيْدِ الْمِيلِ يَعْدُو بِي الْأَعْرُ
وفجأة أبصرني دون قيد الميل، أي قريباً، يعدو بي فرسي الأغر، ذو البياض في جبهته

قُلْنَ: تَعْرِفْنَ الْفَتَى؟ قُلْنَ: نَعَمْ قَدْ عَرَفْنَاهُ، وَهَلْ يَخْفَى الْقَمَرُ
قالت بعضهن لبعض: أتعرفن الفتى؟ ثم أجابت بعضهن: وهل يخفى القمر

١٢ حيلة النساء

أَلَمْ تَسْأَلِ الْأَطْلَالَ وَالْمُتَرَبِّعَا «بِطْنِ حُلَيَّاتٍ» دَوَارِسَ بَلَقَعَا؟
ألم تسأل الأطلال والمتربّع، المنزل، الدوارس البلقع، أي المقفرة الخربة، في موضع
«بطن حليات»؟

فَيَبْخُلْنَ، أَوْ يُخَيَّرْنَ بِالْعِلْمِ بَعْدَمَا نَكَبْنَا فُؤَادًا كَانَ قَدْماً مُفَجَّعَا
فتبخل عليك تلك الأطلال الخربة بالجواب، أو لعلها تخبرك بشيء! ذلك بعد أن نكأ، جدت،
جروح القلب الذي كان قد فجع قديماً بالفراق

بِهَنْدٍ وَأَتْرَابٍ لِهَنْدٍ إِذِ الْهَوَى جَمِيعٌ، وَإِذْ لَمْ نَخْشَ أَنْ يَتَّصَدَّعَا
فُجِعَ الْقَلْبُ بِفِرَاقِ هِنْدٍ وَصَوِيحِبَاتِهَا عِنْدَمَا كَانَ الْهَوَى جَمِيعٌ، أي على اجتماع وبلا فراق، ولم
نكن نخشى التصدع، الفراق

فَقُلْتُ لِمُطَرِّبِهِنَّ بِالْحُسْنِ: إِنَّمَا صَرَرْتُ، فَهَلْ تَسْطِيعُ نَفْعًا فَتَنْفَعَا؟
قلتُ لمن يصف حسنهن: هذا يجدد لي الشجون، فهل تستطيع أن تصنع شيئاً نافعاً؟

فَقَالَ: تَعَالَ أَنْظُرْ، فَقُلْتُ: وَكَيْفَ بِي؟ أَخَافُ مَقَاماً أَنْ يَشِيعَ فَيَشْنَعَا

قال لي: تعال انظر. قلت: أخاف أن ينكشف أمري ويشيع، ونقع في فضيحة شنيعة

فَأَقْبَلْتُ أَهْوِي مِثْلَمَا قَالَ صَاحِبِي لِمَوْعِدِهِ أَزْجِي قَعُوداً مُوقِعَا

لكنني مضيت أهوي، أسرع، مثلما أراد، وأنا أزجي، أي أسوق، قعوداً، جملاً، موقِعاً،
مجرّحاً مدبراً

فَلَمَّا تَوَاقَفْنَا وَسَلَّمْتُ أَشْرَفْتُ وَجُوهَ زَهَاهَا الْحُسْنُ أَنْ تَتَقَنَّنَا

لما تقابلنا رأيت وجوهاً مفتخرة مزهوة بجمالها فهي لا تغطي بالبراقع

تَبَالَهَنَ بِالْعِرْقَانِ لَمَّا رَأَيْتَنِي وَقُلْنَ: امْرُؤُ بَاغٍ أَكَلٌ وَأَوْضَعَا

تبالهن، تصنعن البله، وزعنن أنهن لا يعرفني، وقلن: لعلك رجل يبغي مكاناً وقد أكل ناقته، أي
أرهقها، وأوضع، أي سار مسرعاً عليها

وَقَرَّبْنِ أَسْبَابَ الصُّبَا لِمُتَيْمٍ يَقْبِسُ ذِرَاعاً كُلَّمَا قِسْنَ إِضْبَعَا

وأخذن يتكلمن كلاماً فيه إثارة للشجون، وأنا أندفع اندفاعاً في عواطفي

فَلَمَّا تَنَازَعْنَا الْأَحَادِيثَ قُلْنَ لِي: أَخِفْتُ عَلَيْنَا أَنْ نُغَرَّ وَنُخْذَعَا؟

ولما تبادلنا الحديث، قلن لي: هل ظننت أننا مخدوعات عنك، ولا نعرفك؟

فَبِالْأَمْسِ أَرْسَلْنَا بِذَلِكَ خَالِدَاً إِلَيْكَ، وَبَيَّنَّا لَهُ الشَّأْنَ أَجْمَعَا

لقد أرسلنا أمس خالدًا - صاحبه الذي غرر به -، وورسنا الخطة معه

فَمَا جِئْتَنَا إِلَّا عَلَى وَفْقِ مَوْعِدٍ عَلَى مَالٍ مِنَّا خَرَجْنَا لَهُ مَعَا

وعندما جئتنا كنا متهيئات، وخرجنا لهذا اللقاء، فهو ليس مصادفة

وَقُلْنَا كَرِيمٌ نَالَ وَضَلَ كَرَائِمٍ فَحَقَّ لَهُ فِي الْيَوْمِ أَنْ يَتَمَتَّعَا

فأنت كريم، ونحن كريمات، ولا بأس أن تتمتع بهذا اللقاء

١٣ تشيع

وَأَقُولُ مِنْ جَزَعٍ لِعَزَّةٍ بَعْدَمَا سَارُوا وَسَالَ بِهِمْ طَرِيقٌ مَهْيَعٌ:

أقول لعزة بعد أن سار أهلها وسال بهم الطريق الواسع:

لَوْ كُنْتُ أَمْلِكُ دَفْعَ ذَا لَدَفْعَتِهِ عَنِّي، وَلَكِنْ مَا لِهَذَا مَذْفَعٌ

لو كنت أستطيع منع فراقكم لفعلت، ولكن، ما باليد حيلة

قَالَتْ تُشَيِّعُنَا؟ فَقُلْتُ صَبَابَةٌ: إِنَّ الْمُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُشَيِّعٌ

قالت: هل تمضي معنا مسافة وتشيعنا؟ فقلت لفرط عشقي: هذا ما يفعله المحب

فَتَبِعَتْهُمْ وَمَعِيَ فُوَادٌ مُوجِعٌ صَبٌّ بِقُرْبِهِمْ وَعَيْنٌ تَذْمَعُ

فتبعهم وقلبي موجع، وعيني دامعة

١٤ سَمِعَ بِنَا مِنْ سَمْعٍ

يَا خَلِيلِي إِذَا لَمْ تَنْفَعَا فَدَعَانِي الْيَوْمَ مِنْ لَوْمٍ، دَعَا

وَأَلِمَّا بِي بِظُلْبِي شَادِنٍ لَسْتُ أَدْرِي الْيَوْمَ مَاذَا صَنَعَا

الشادن: الظبي الذي قوي واستغنى عن أمه

قَدْ جَرَى بِالْبَيْنِ مِنْهَا طَائِرٌ رَفَّ بِالْفُرْقَةِ ثُمَّ ارْتَفَعَا

رفرف طائر - ولعله غراب - منذراً بالبين، أي الفراق، ثم طار

سَأَلْتَنِي: هَلْ تَرَكْتَ اللَّهَوَ أَمْ ذَهَبَتْ أَزْمَانُهُ فَأَنْقَطَعَا؟

تسألني العاذلة: هل تركت اللهو اختياراً، أم قد ذهب زمنه وكبرت عنه؟

قُلْتُ: لَا، بَلْ ذَهَبَ الدَّهْرُ الَّذِي كُنْتُ أَسْعَى مَعَهُ حَيْثُ سَعَى

فقصصت عليها قصة ذاك الظبي... سلمى

ذَاكَ إِذْ نَحْنُ وَسَلَّمَى جِيرَةً لَا نُبَالِي مَنْ وَشَى أَوْ سَمِعَا

حِينَ قَالَتْ: كَيْفَ أَسْلُو بَعْدَمَا سَمِعَ الْيَوْمَ بِنَا مَنْ سَمِعَا

كان سلمى قالت: فلنمض في عشقنا، فقد وقع المحذور وطار لنا به سمعة

١٥ أَنَا وَعَتِيقُ وَالْهَوَى

قَالَ لِي فِيهَا «عَتِيقٌ» مَقَالاً فَجَرَّتْ مِمَّا يَقُولُ الدُّمُوعُ

قال له صاحبه عتيق قولاً أبكاه

قَالَ لِي وَدَّعَ سُلَيْمَى، وَدَّعَهَا فَأَجَابَ الْقَلْبُ أَنْ لَا أُطِيعُ

لَا تَلُمْنِي فِي اشْتِيَاقِي إِلَيْهَا وَابِكْ لِي مِمَّا تُجِنُّ الضُّلُوعُ

تجن: تخفي

١٦ الحب قديم

أَشَارَتْ بِطَرْفِ الْعَيْنِ خَيْفَةَ أَهْلِهَا إِشَارَةً مَحْزُونٍ، وَلَمْ تَنْكَلِمِ
فَأَبْقَنْتُ أَنَّ الطَّرْفَ قَدْ قَالَ مَرْحَبًا وَأَهْلًا وَسَهْلًا بِالْحَبِيبِ الْمُتِمِّمِ
الْأُمَ عَلَى حُبِّي كَأَنِّي سَنَنْتُهُ وَقَدْ سُنَّ هَذَا الْحُبُّ مِنْ قَبْلِ جُزْمِهِ
الام على الحب كأنني أنا اخترعته، وهو موجود من قبل قبيلة جرهم البائدة

١٧ فلم أستطعها

نَظَرْتُ إِلَيْهَا بِالْمُحَصَّبِ مِنْ مِئْتَى وَلِي نَظَرٌ، لَوْلَا الشَّخْرُجُ، عَارِمُ
لولا الحرج لكانت نظراتي تحديدًا شديدًا

فَقُلْتُ: أَشْمَسُ أَمْ مَصَابِيحُ بَيْعَةٍ بَدَتْ لَكَ تَحْتَ السَّجْفِ أَمْ أَنْتَ خَالِمُ
أوجهها شمس، أم مصابيح بيعة، صومعة ناسك، بدت تحت السجف، الستر ولعله يقصد الظلام؟
ومصابيح الناسك في الظلام، لثائث في البر، أجمل من ضوء الشمس

مُهْفَهْفَةٌ غَرَاءُ صِفْرٍ وَشَاحِهَا وَفِي الْمِرْطِ مِنْهَا أَهْيَلُ مُتْرَاكِمُ
مهفهفه، ضامرة البطن، غراء، وضيئة الوجه، وشاحها صفر، أي خالٍ لضمور بطنها؛ وأما
مرطها، أي ثوبها ففي داخله أهيل متراكم، أي كثيب تراكم عليه الرمل فهو يتساقط، يعني أن
عجيزتها كبيرة

بَعِيدَةُ مَهْوَى الْقُرْطِ، إِمَّا لِنَوْقِلِ أَبُوهَا، وَإِمَّا عَبْدُ شَمْسٍ وَهَاشِمُ
مهوى القرط، حرفياً: المكان الذي يسقط فيه قرطها. . كناية عن طول عنقها. فهذا ورثته من
أعمامها أو من أخوالها، وذكر عشيرتين

وَمَدَّ عَلَيْهَا السَّجْفَ يَوْمَ لَقَيْتُهَا عَلَى عَجَلٍ أَتْبَاعُهَا وَالْحَوَادِمُ
غطاها الخدم بالستر بسرعة عندما لقيتها

فَلَمْ أَسْتَطِعْهَا، غَيْرَ أَنْ قَدْ بَدَا لَنَا عَشِيَّةً رَاحَتْ كَفُّهَا وَالْمَعَاصِمُ
فلم أتمكن من رؤيتها، غير أنني رأيت كفيها ومعصمها أوان الرحيل

مَعَاصِمُ لَمْ تَضْرِبْ عَلَى الْبَهِمِ فِي الضُّحَى عَصَاهَا، وَرَجَّةٌ لَمْ تَلُحْهُ السَّمَائِمُ
هاتان اليدان ناعمتان لم تحملا عصا لضرب البهم، أي الماعز، ووجهها بقي لم يسمر من البروز
في الشمس، فهي فتاة مدللة بنت نعمة

إِذَا مَا دَعَتْ أَتْرَابَهَا فَاکْتَنَفَتْهَا تَمَائِلُنَ أَوْ مَالَتْ بِهِنَ الْمَاكِمُ
إذا دعت صاحباتها فأحطن بها تمايلن دلالاً، أو ربما مالت بهن الماكِم، أردافهن

١٨ قولاً له

أَلِمَّا بِذَاتِ الْخَالِ فَاسْتَظْلَعَا لَنَا أَكَالِ الْعَهْدِ بَاقٍ وَدُّهَا، أَمْ تَصَرَّمَا
زوراً هذه الفتاة واعرفا إن كانت باقية على العهد، أم تصرم، أي تقطع، حب الوصل

وقولاً لها: ما في العبادِ كريمةٌ أَعَزُّ عَلَيْنَا مِنْكَ طُرّاً وَأَكْرَمَا
وقولاً لها: لم أَجْنِ ذَنْباً فَتَعْتَبِي عَلَيَّ بِحَقٍّ، بل عَتَبْتَ تَجَرُّمَا
فقالا لها، فَاَرْقُضْ فَيُضْ دُمُوعَهَا كَمَا أَسْلَمَ السَّلْكُ الْجُمَانَ الْمُنْظَمَا
ارفضْ دمعها، أي تفرق، كأنَّ سلكاً فيه جمان، أي لؤلؤ، قد انتثر

وَقَالَتْ لِأَخْتَيْهَا أَذْهَبَا فِي حَفِيطَةٍ فَزُورَا أَبَا الْخَطَّابِ سِرّاً وَسَلِّمَا
اذهبا في تحفّظ وسلما على عمر، وأبو الخطاب كنيته

وقولاً له: وَاللَّهِ مَا الْمَاءُ لِلصَّدِيِّ بِأَشْهَى إِلَيْنَا مِنْ لِقَائِكَ فَاعْلَمَا
لفاوتك أشهى إلَيَّ من الماء للصدي، أي العطشان. اعلمنا: اعلمن يا فتى، وحذف النون وأطلق

١٩ أليس كثيراً؟

يَلُومُونَنِي فِي غَيْرِ جُرْمٍ جَنَيْتُهُ وَغَيْرِي، فِي كُلِّ الَّذِي كَانَ، أَلْوَمٌ
أَمِنْتُ أَنَسَاءً أَنْتُمْ تَأْمُنُونَهُمْ فَزَادُوا عَلَيْنَا فِي الْحَدِيثِ، وَأَوْهَمُوا
وقالوا لنا ما لم نَقُلْ، ثُمَّ أَكْثَرُوا عَلَيْنَا، وَبَاحُوا بِالَّذِي كُنْتُ أَكْتُمُ
أَلَيْسَ كَثِيراً أَنْ نَكُونَ بِبَلَدَةٍ كَلَانَا بِهَا ثَارٌ وَلَا نَتَكَلَّمُ؟
ثارٌ: مقيمٌ

٢٠ مع صويحباتها دوني

حَنَّا أَثْرَابُهَا دُونِي عَلَيْهَا حُنُوُّ الْعَائِدَاتِ عَلَى سَقِيمٍ
اكتفتها صويحباتها واجتمعن حولها، مثلما تجتمع الزائرات حول المريض،
فلم يكن لي مدخل بينهن

عَقَائِلُ لَمْ يَعْشَنَ بِعَيْشِ بُؤْسٍ وَلَكِنْ بِالْعَضَارَةِ وَالنَّعِيمِ
نساء منعمات عشن عيشة نعيم ورغد

٢١ لا ترحل

نَظَرْتُ إِلَيْكَ، وَدَوَّ شِبَامَ دُونَهَا، نَظَرًا يَكَاذُ بِسِرِّهَا يَتَكَلَّمُ
نظرت إليك غير قادرة على الكلام فكان في فمها ذا شيبام، وهو عود يوضع في فم الجدي كيلا يرضع من أمه، ولكن نظرتها كادت تشي بسرها

فَأَبَانَ رَجُعَ الظَّرْفِ أَنْ لَا تَرْحَلَنَّ حَتَّى يُجِنَّ النَّاسَ لَيْلٌ مُظْلِمٌ
فأبان لي طرفها، نظرتها، أنها تقول لي: لا ترحل، وانتظر حتى يُجِنَّ الناسَ الليل، أي يغشاهم ويغطيهم

فَلَعَلَّ غَبَّ اللَّيْلِ يَسْتُرُ مَجْلِسًا فِيهِ يُودَّعُ عَاشِقٌ وَيُسَلَّمُ
فربما تكون عاقبة الليل أن يستر مجلساً يجتمعنا للوداع

فَأَتَيْتُ أَمَشِي بَعْدَمَا نَامَ الْعِدَا وَأَجَنَّهُمْ لِلنُّومِ جَوْنٌ أَذْهَمُ
مشيت إليها بعد نوم الناس وبعد أن غشيهم الليل الجون الأدهم، الحالك السواد، فناووا.
(والجون كلمة تعني أسود وتعني أبيض، هي من الأضداد)

حَيَّيْتُهَا فَتَبَسَّمَتْ، فَكَأَنَهَا عِنْدَ التَّبَسُّمِ مُزْنَةٌ تَتَبَسَّمُ
كأنها وهي تبسم غيمة في جانبها يلمع البرق

فَعَنَيْتُ جَذْلَانَا، وَقَدْ جَذَلْتُ بِنَا نَبْغِي بِذَلِكَ رَغَمَ مَنْ يَتَرَعَّمُ
غنيتُ، سعدت، وكنت جذلان، فرحاً، وهي فرحة، وبعض سعادتنا أننا نكيد لمن يعاندنا

ثُمَّ انصَرَفْتُ وَكَانَ آخِرُ قَوْلِهَا أَنْ سَوْفَ يَجْمَعُنَا إِلَيْكَ الْمَوْسِمُ
وانصرفت على وعد باللقاء في الموسم المقبل

٢٢ مرارة الحب

وَوَجَدْتُ حَوْضَ الْحَبِّ حِينَ وَرَدْتُهُ مُرَّ الْمَذَاقَةِ طَعْمُهُ كَالْعَلَقَمِ
لا والذي بعث النبي محمداً بالنور والإسلام دين القيم
ما خنتُ عهدكِ يا عُثَيْمُ، وَلَا هَفَا قَلْبِي إِلَى وَصْلِ لِعَيْرِكِ فَاعَلَمِي

٢٣ حديثها

طَالَ لَيْلِي، وَاعْتَادَنِي الْيَوْمَ سُقْمٌ وَأَصَابَتْ مَقَاتِلَ الْقَلْبِ نُعْمٌ
وحديث بِمِثْلِهِ تَنَزَّلُ الْعُصْبُ مُمْ، رَحِيمٌ يَشُوبُ ذَلِكَ حِلْمٌ
حديثها لذيد تسمعه العصم، الوعول، في جبالها فتتزل؛ وهي حليلة، رقيقة الطباع

٢٤ ليلة في الخلاء

ثم قالت، وَهِيَ تَذْرِي دَمْعَ عَيْنَيْهَا سُجُومًا:
قالت وهي تذرف الدمع سجوماً، بغزارة

أَخْبِرِيهِ بِالَّذِي أَلَسَ قَى فِلَانٍ كَانَ مُقِيمًا،
إن كان مقيماً لم يرحل بعد..

فَلْيَعِدْنَا مَوْعِدًا لَا نَتَّقِي فِيهِ نُمُومًا
فليكن بيتنا موعد لا نخاف فيه من شخص نمام

وَلْيَكُنْ ذَاكَ إِذَا مَا أَنْتَ تَصَفَّ اللَّيْلُ بِهِيْمًا
بَرَزَتْ بَيْنَ ثَلَاثِ نَسَاءٍ كَأَنَّهُنَّ الْمَهَا، بَقَرُ الْوَحْشِ، تَقْرُو، أَيْ تَبْعُ، الصَّرِيمِ، الرَّمْلِ الْمُتَكَافِ
برزت بين ثلاث نساء كأنهن المها، بقر الوحش، تقرو، أي تبع، الصريم، الرمل المتكاف

قَمَرٌ بَدْرٌ تَبَدَّى بِأَهْرًا يُعْشِي النُّجُومًا
وهي بينهن قمر يعشي النجوم، يغلب على ضوئها

قُلْتُ أَهْلًا بِكُمْ مِنْ زُورٍ زُرْنَ كَرِيمًا
فَأَذَاقْتَنِي لَذِيذًا خِلْتُهُ رَاحًا خَتِيمًا
أذاقتني ريقها الذي كأنه الخمر المختوم عليها المعققة

ثُمَّ أَبَدْتُ إِذْ سَلَبْتُ الْـ مِرْطَ مُبَيَضًّا هَضِيمًا
وبدا منها بطن أبيض هضيم، ضامر، عندما نزعت عنها المرط، الثوب

فَلَهَوْنَا اللَّيْلَ حَتَّى هَجَمَ الصُّبْحُ هُجُومًا
قُلْتُ قَدْ نَادَى الْمُنَادِي وَبَدَا الصُّبْحُ فَقُومًا
قلت ها قد نادى منادي القوم، وبدا الصبح فقومن يا فتيات، وجعل «قومن» «قوما»، ويجوز للشاعر..

وَلَقَدْ قَضَيْتُ حَاجًا تِي وَلَا قَيْتُ النَّعِيمَ

٢٥ يرميان الجمرات

لَقَدْ عَرَضْتُ لِي بِالْمُحَصَّبِ مِنْ مَنَى لِحَيْنِي شَمْسٌ سُرَّتْ بِيْمَانٍ
برزت لي في ذلك الموضع من مكة لحيني، لموتي وكي تقتلني، فتاة وضاعة كالشمس
مستورة يبرد يمانني

بَدَا لِي مِنْهَا مِعْصَمٌ يَوْمَ جَمَّرَتْ وَكَفَّ خَضِيبٌ زَيْنَتْ بِبَنَانِ
وهي ترمي الجمار بدا معصمها وكفها الخضيب، المحنّى، وأصابها الجميلة
فَلَمَّا التَقَيْنَا بِالثَّنِيَّةِ سَلَّمْتُ وَتَارَعَنِي الْبَغْلُ اللَّعِينُ عِنَانِي
لما التقينا في المنعطف سلمت وهي راكبة بغلها وأنا أمسك بزمامه،
والبغل يتزع المقود من يدي

فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي، وَإِنِّي لَحَاسِبٌ، بِسَبْعِ رَمَيْتِ الْجَمْرِ أَمْ بِثَمَانِ
رغم براعتي في الحساب لا أدرى هل رميت سبع جمرات أم ثمانى جمرات

٢٦ هُبْتُهَا

وَإِذَا جِئْتُهَا لِأَشْكُو إِلَيْهَا بَعْضَ مَا شَفَّنِي وَمَا قَدْ شَجَانِي
شفني: براني برياً

هُبْتُهَا، وَازْدَهَى مِنَ الْحُبِّ عَقْلِي وَعَصَانِي بِذَاتِ نَفْسِي لِسَانِي
أحسنت بالهية وازدهى عقلي، أي أخذته خفة واضطراب، ولم أدر ما أقول
وَنَسِيتُ الَّذِي جَمَعْتُ مِنَ الْقَوَى لِ لَدَيْهَا، وَغَابَ عَنِّي بَيَانِي

٢٧ القليل المهناً

مَنْ لِقَلْبٍ أَمْسَى حَزِيناً مُعْنَى مُسْتَكِيناً، قَدْ شَفَّهُ مَا أَجَنَّا
من ذا يسعف قلباً حزيناً متعباً خاضعاً، شفه، وبراها وأنهكه، ما أجنّ، أي أخفى، من الحب
إِثْرُ شَخْصٍ، نَفْسِي قَدَّتْ ذَاكَ شَخْصاً، نَازِحِ الدَّارِ بِالمَدِينَةِ عَنَّا
قلبي ذاهب إثر تلك الفتاة التي نزلت دارها عنّا، ابتعدت، إلى المدينة المنورة

لَيْتَ حَظِّي كَطَرْفَةِ الْعَيْنِ مِنْهَا وَكَثِيرٌ مِنْهَا الْقَلِيلُ الْمُهْنَا
لا أطلب سوى نظرة، والقليل الذي أحصل عليه منها كثير إذا كان مهناً،
غير مخلوط بتكدير

مَا نَرَى رَاكِباً يُخَبِّرُ عَنْكُمْ أَوْ يُرِيدُ الْحِجَازَ إِلَّا حَزَنًا
قد يكون قال القطعة وهو باليمن، فقد قيل لنا إن عمر بن أبي ربيعة سافر إلى اليمن ومكث بها
بعض الوقت

٢٨ الفاتنة

وَعَظِيضِ الظَّرْفِ، مِكَسَالِ الضُّحَى أَخَوْرِ الْمُقْلَةِ، كَالرِّيمِ الْأَعْنُ
رب فتاة غضيضة الطرف، غاضة بصرها خجلاً، مكسال الضحى، تظل كسلانة نائمة حتى الضحى
لأنها ابنة نعمة، حوراء العينين، اشتد سوادهما في بياض صافٍ، وكلامها فيه غنة

مَرَّ بِي فِي نَفَرٍ يَحْفُقُنُهُ مِثْلَمَا حَفَّ النَّصَارَى بِالْوَتَنِ

تحف بها صاحباتها مثلما يحف النصارى بتمثال لهم

قُلْتُ مَنْ هَذَا؟ فَقَالَتْ: بَعْضُ مَنْ قَتَنَ اللَّهُ بِكُمْ فِيمَنْ قَتَنَ

بَعْضُ مَنْ كَانَ أَسِيرًا زَمَنًا ثُمَّ أَضْحَى لِهَوَاكُم قَدْ مَجَنُ

كنت أسيرة الخجل زمناً وأصبحت ماجة جريئة في حبك

قُلْتُ: يَا سَبِّدَتِي عَذَّبَتْنِي قَالَتْ: اللَّهُمَّ عَذِّبْنِي إِذْنُ

٢٩ النظرة الأخيرة

إِعْتَادَنِي بَعْدَ سَلْوَةٍ حَزَنِي طَيِّفُ حَبِيبِي سَرَى فَأَرَقَنِي

بعد السلوة، النسيان، اعتادني، عاد إليّ، طيف حبيبي سارياً في الليل فأرقني

مِنْ ظَبِيَةٍ بِالْعَقِيقِ سَاكِنَةٍ قَدْ شَقَّنِي حُبُّهَا وَعَذَّبَنِي

يَا نَظْرَةً مَا نَظَرْتُ مُوجِعَةً لَمْ أَرَهَا بَعْدَهَا وَلَمْ تَرَنِي

ما نظرت: أي قد نظرت

٣٠ تذكّر ظبية

إِنَّنِي الْيَوْمَ عَادَنِي أَحْزَانِي وَتَذَكَّرْتُ مَا مَضَى مِنْ زَمَانِي

وَتَذَكَّرْتُ ظَبِيَةً أُمَّ رِيمٍ صَدَعَ الْقَلْبَ ذِكْرُهَا فَشَجَانِي

تذكرت فتاة كالظبية الحانية على الريم، والريم الظبي الخالص البياض

لَا تَلْمَنِي «عَتِيقُ» حَسْبِي الَّذِي بِي إِنَّ بِي يَا «عَتِيقُ» مَا قَدْ كَفَانِي

يخاطب صاحبه عتيقاً: لا تلمني فحسبي ما بي

إِنْ دَهْرًا يَلْفُ شَمْلِي بِسُغْدَى لَزَمَانُ يَهُمُّ بِالْإِحْسَانِ

لَا تَلْمَنِي، وَأَنْتَ زَيَّنْتَهَا لِي أَنْتَ مِثْلُ الشَّيْطَانِ لِلْإِنْسَانِ

لَوْ بِعَيْنَيْكَ يَا عَتِيقُ نَظَرْنَا لَيْلَةَ السَّفْحِ قَرَّتِ الْعَيْنَانِ

لو نظرتُ إليها بعينيك، وأنت غير عاشق، لقرت عيناى واستراح قلبي،
لكن عيناى أنا عينا عاشق متألم

هِيَ دَانِي، وَهِيَ الدَّوَاءُ لِدَانِي لَوْ أَدَاوَى بِرَبِّقِهَا لَشَفَّانِي

لم تدع للنساء عندي نصيباً غير ما قلتُ مازحاً بلساني

ليس لغيرها في قلبي نصيب، وكل الغزل الذي قلته في غيرها مجرد مزاح

٣١ لا أبالي غيركم

لَمْ يُحِبِّ الْقَلْبُ شَيْئاً مِثْلَ حُبِّكُمْ وَلَمْ تَرَ الْعَيْنُ شَيْئاً بَعْدَكُمْ حَسَنًا

ما إن أبالي إذا ما اللهُ قَرَّبَكُمْ مَنْ كَانَ سَطَّ مِنَ الْأَحْبَابِ أَوْ ظَعْنَا

سَطَّ: ابتعد، ظعن: رحل

٣٢ قامت تراءى

أَمْسَى بِأَسْمَاءَ هَذَا الْقَلْبُ مَعْمُودًا إِذَا أَقُولُ صَحَا يَعْتَادُهُ عِيْدًا

أمسى قلبي معموداً، مولهاً، بأسماء، وكلما قلت إنه صحا يعتاده الهم اعتياداً

كَأَنَّهُ يَوْمٌ يُمْسِي لَا يُكَلِّمُهَا ذُو بُعْيَةٍ يَبْتَغِي مَا لَيْسَ مَوْجُودًا

أَجْرِي عَلَى مَوْعِدٍ مِنْهَا فَتُخْلِفُنِي فَمَا أَمَلُ، وَمَا تُوفِي الْمَوَاعِيدَا

قَامَتْ تَرَاءَى، وَقَدْ جَدَّ الرَّحِيلُ بِنَا لِنَتَكَّا الْقَرْحَ مِنْ قَلْبٍ قَدْ اضْطَبَّدَا

قامت تراءى: تبرز نفسها، تنكأ القرح: تفتح الجرح من جديد

٣٣ ليت هنداً

لَيْتَ هِنْدًا أَنْجَزْنَا مَا تَعِدُ وَشَفَّتْ أَنْفُسَنَا مِمَّا نَجِدُ

ليتها أنجزت وعدها وشفت أنفسنا من الوجد

وَأَسْتَبَدَّتْ مَرَّةً وَاحِدَةً إِنَّمَا الْعَاجِزُ مَنْ لَا يَسْتَبِدُّ

ليتها كانت ذات قرار فواصلتي بدلاً من الدلال والامتناع والخوف من الأهل . . هذا المعنى الذي لمحه

رَعْمُوهَا سَأَلَتْ جَارَاتِهَا وَتَعَرَّتْ ذَاتَ يَوْمٍ تَبَرَّدُ:

سألت جاراتها وقد تعرت في الحر كي تبرد

أَكْمَا يَنْعَمُنِي تُبْصِرُنِي عَمْرُكُنَّ اللَّهُ، أَمْ لَا يَفْتَصِدُ؟

سألتهن: أترينني جميلة مثلما يصفني؟ أم أنه يبالغ؟

فَتَضَاحَكُنَّ وَقَدْ قُلْنَ لَهَا: حَسَنٌ فِي كُلِّ عَيْنٍ مَنْ تَوَدَّ

قلن لها: هو يراك بعين المحب فأنت في عينه حسنة. وتعلق الصديق عمران القفيني: «أي القرد في عين أمه غزال»

حَسَدًا حُمِلْنَهُ مِنْ شَأْنِهَا وَقَدِيمًا كَانَ فِي النَّاسِ الْحَسَدُ

وقولهن هذا باعته الحسد، فكأنهن قلن لها أنت لست جميلة بحق..

غَاذَةً تَفْتَرُّ عَنْ أَشْنَبِهَا حِينَ تَجْلُوهُ أَقَا حِ أَوْ بَرَدُ

غادة جميلة تفرج شفتاها عن أسنان بيض، فعندما تجلو أسنانها، أي تظهرها، تظهر ما يشبه الألقوان أو البرد

وَلَهَا عَيْنَانِ فِي طَرْقَيْهِمَا حَوْرٌ مِنْهَا، وَفِي الْجِيدِ عَيْدُ

في عينيها حور، أي سواد خالص في بياض خالص، وفي عنقها تنثر، فهي تميل بعنقها لشدة الدلال

طُفْلَةٌ بَارِدَةٌ الْقَيْظِ إِذَا مَعْمَعَانُ الصَّيْفِ أَضْحَى يَتَّقِدُ

كل شيء بارد حسن في عيون أهل المناطق الحارة، فهذه الفتاة باردة

قُلْتُ مَنْ أَنْتِ؟ فَقَالَتْ أَنَا مَنْ شَفُّهُ الْوَجْدُ وَأَبْلَاهُ الْكَمَدُ

قالت إن الوجد والعشق أرهاقها وإن بها كمدًا، كبتًا ومشاعر مختلطة

نَحْنُ أَهْلُ الْخَفِيفِ مِنْ أَهْلِ مَنَى مَا لِمَقْتُولٍ قَتَلْنَاهُ قَوْدُ

تقول: القتل الذي تقتله ليس له دية.. فهي تقتل الرجل بالعشق

قُلْتُ: أَهْلًا أَنْتُمْ بُغْيَتُنَا فَتَسَمَّيْنِ، فَقَالَتْ: أَنَا هِنْدُ

إِنَّمَا أَهْلُكَ جِيرَانُ لَنَا إِنَّمَا نَحْنُ وَهُمْ شَيْءٌ أَحَدُ

يحدثنا عن أهلها وأهلها، وهذا الحديث الخفيف مما يتقنه أهل الغزل

حَدَّثُونَا أَنَّهَا لِي نَفَثَتْ عُقْدًا، يَا حَبْدًا تِلْكَ الْعُقْدُ

يزعم عمر أنها نفثت له عقدًا، صنعت له سحرًا بعقد خيوط والفتخ عليها، وهو مسرور بهيامها به

كَلَّمَا قُلْتُ مَتَى مِيعَادُنَا ضَحِكَتْ هِنْدٌ وَقَالَتْ: بَعْدَ عَدُ

٣٤ لا كان هذا آخر العهد

وَاللَّهِ لَا أَنْسَى مَقَالَتَهَا حَتَّى أَضْمَنْ مَيِّتًا لَحْدِي
إِذْهَبَ قَدَيْتُكَ غَيْرَ مُبْتَعِدٍ لَا كَانَ هَذَا آخِرَ الْعَهْدِ

٣٥ أنا وقلبي

أَرِفْتُ وَلَمْ أُمْلِكْ لِهَذَا الْهَوَى رَدًّا وَأَوْرَثَنِي حُبِّي وَكَيْثَمَانُهُ جَهْدًا
كَتَمْتُ الْهَوَى حَتَّى بَرَانِي وَشَفَّنِي وَعَزَيْتُ قَلْبًا لَا صُبُورًا وَلَا جَلْدًا
إِذَا قُلْتُ لَا تَهْلِكْ أَسَى وَصَبَابَةٌ عَصَانِي، وَإِنْ عَاتَبْتُهُ زِدْتُهُ وَجْدًا

٣٦ جرى ناصح

جَرَى نَاصِحٌ بِالْوُدِّ بَيْنِي وَبَيْنَهَا فَفَرَّرَنِي يَوْمَ الْحَصَابِ إِلَى قَتْلِي
سعى صديق في عقد الود بيني وبينها، وفي يوم رمي الجمرات كان اللقاء بيننا محفوفاً بالمخاطر
التي تنذر بالقتل

فَمَا أَنْسَ مِ الْأَشْيَاءِ لَا أَنْسَ مَوْقِفِي وَمَوْقِفَهَا وَهَنًا بِقَارِعَةِ النَّخْلِ
لست أنسى لقاءنا وهناً، ليلاً، في ذلك الموضع

فَلَمَّا تَوَاقَفْنَا عَرَفْتُ الَّذِي بِهَا كَوَيْلِ الَّذِي بِي، حَذَوَكَ النَّعْلَ بِالنَّعْلِ
لما وقفنا واحداً بإزاء الآخر وجدت ما عندها من العشق مثل الذي عندي بالضبط، مثلما تطبق
الفردة اليمنى من النعل على اليسرى فيطباقان

فَسَلَّمْتُ وَاسْتَأْنَسْتُ خِيفَةً أَنْ يَرَى عَدُوَّ مَكَانِي، أَوْ يَرَى كَاشِحَ فِعْلِي
استأنست بالمكان على وجل، خوف أن يرى عدو مكاني، أو كاشح، مضمّر للعداوة، فعلي

فَقَالَتْ، وَأَرْخَتْ جَانِبَ السِّتْرِ إِنَّمَا مَعِيَ - فَتَحَدَّثَ غَيْرَ ذِي رِقْبَةٍ - أَهْلِي
أرخت الستر وطمأننتي قائلة: تحدث ولا ترتقب ولا تخف، فالبنات اللاتي معي هن من أهلي

فَقُلْتُ لَهَا: مَا بِي لَهُمْ مِنْ تَرَقُّبٍ وَلَكِنْ سِرِّي لَيْسَ بِحِمْلُهُ مِثْلِي
قلت لها: ليس بي خشية أو ترتقب من أهلك، ولكن سري عميق، ولا أبوح به حتى أمام فتيات
صديقات

فَلَمَّا افْتَصَرْنَا دُونَهُنَّ حَدِيثَنَا وَهُنَّ طَبِيبَاتٌ بِحَاجَةِ ذِي التَّبَلِ
لما كان الحديث مقصوراً علينا كلياً، والفتيات طبيبات، خيريات، بحاجة ذي التبل، العاشق...

عَرَفَنَّ الَّذِي تَهَوَّى، فَقُلْنَ لَهَا ائْذَنِي نَطْفُ سَاعَةً فِي طِيبٍ لَيْلٍ وَفِي سَهْلٍ
عرفت الفتيات مبتغاها، فاستأذنن ساعة للمشي في جو الليل الطيب

فَقَالَتْ: فَلَا تَلْبِثْنَ، قُلْنَ: تَحَدَّثِي أَتَيْنَاكِ، وَانْسَبْنَ انْسِيَابَ مَهَا الرَّمْلِ
قالت لهن: لا تتأخرن. فقلن لها: هيا تحدثي إلى حبيبك، وسنأتيك بعد حين. وانسجين بهدوء
كالمها، بقرات الوحش

فَقُمْنَ وَقَدْ أَفْهَمْنَ ذَا اللَّبِّ أَمَّا فَعَلْنَ الَّذِي يَفْعَلْنَ فِي ذَاكَ مِنْ أَجْلِي
قد قمن، واللبيب يفهم أنهن ذهبن من أجلي.. عندما سمع الفرزدق هذا البيت صاح وقال: هذا
والله الذي أرادته فأخطأته الشعراء، وبكت على الديار

وَبَاتَتْ تَمُجُّ الْمِسْكَ فِي فِي عَادَةٍ بَعِيدَةُ مَهْوَى الْقُرْطِ صَامِتَةُ الْحِجْلِ
وباتت الحبيبة الجميلة تقبلني وتنث في فمي من فيها ما يشبه في رائحته المسك، وهي بعيدة
مهوى القرط، كناية عن طول عنقها، وصامتة الحجل، أي خلخالها لا يتحرك ولا يصدر صوتاً،
لأنها ممثلة الساق

٣٧ الحديق النجل

وَأَقْبَلْنَ يَمْسِسِينَ الْهُوَيْنَا عَشِيَّةً يُقْتَلْنَ مَنْ يَرْمِينَ بِالْحَدَقِ النُّجْلِ
تمشي الفتيات بدلال، ويقتلن الرجال بعيونهن الواسعة

فَسَلَّمْنَ تَسْلِيماً ضَعِيفاً، وَأَعْيُنُ نَحَاذِرُهَا مِنْ أَهْلِيهِنَّ وَمِنْ أَهْلِي
سلمن علينا بخفوت، وأهلي وأهلن يراقبون

٣٨ اندفاع

كِدْتُ يَوْمَ الرِّحْلِ أَقْضِي حَيَاتِي لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ يَوْمِ الرِّحْلِ
ولقد قالت الحبيبة: لولا كثرَةُ الناسِ جُدْتُ بِالتَّقْبِيلِ

٣٩ العاشق الأشمط

إِنَّمَا أَلَوْتُ بِعَقْلِي بَعْدَ حِلْمٍ وَاعْتِهَالٍ
ألوت بعقلي، ذهبت به، بعد الحلم، التعقل، والاعتِهال، سن الرجولة الناضجة

حِينَ لَاحَ الشَّيْبُ مِنِّي فِي شَوَاتِي وَقَدْ أَلِي
الشواة: جلدة الرأس، والقذال: مؤخر الرأس

أَيُّهَا النَّاصِحُ، قَبْلِي فُتِنْتُ شُمُطُ الرِّجَالِ

أَيُّهَا النَّاصِحُ، لَقَدْ فُتِنَ قَبْلِي الرِّجَالُ الشُّمُطُ، مِنْ اخْتِلَاطِ بَيَاضِ شَعْرِهِمْ بِسَوَادِهِ

فَفُؤَادِي فِي هَوَاهَا هَائِمٌ أُخْرَى اللَّيَالِي

٤٠ إني أخاف المهر أن يصهلا

أَرْسَلْتُ لَمَّا عِيلَ صَبْرِي إِلَى أَسْمَاءَ، وَالصَّبُّ بِأَنْ يُرْسَلَ

أَرْسَلْتُ لَهَا رَسُولًا بَعْدَ أَنْ نَفَذَ صَبْرِي، وَالصَّبُّ، الْمَحَبُّ، بِأَنْ يَرْسَلَ. . . أَيُّ جَدِيرٍ بِهِ أَنْ يَرْسَلَ

ثُمَّ دَعَتْ مِنْ عَجَبٍ أُخْتَهَا هِنْدًا فَقَالَتْ: عُمَرُ أَرْسَلَ

يَسْأَلُنِي مُعْتَذِرًا مَجْلِسًا كَأَنَّهُ يَأْمَنُ أَنْ نَبْخَلَ

يَطْلُبُ مِنِّي أَنْ أَجَالِسَهُ، وَكَأَنَّهُ مُتَاكِدٌ بِأَنِّي سَارِضٌ

فَأَرْسَلْتُ أَرْوَى وَقَالَتْ لَهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَرْضَى وَأَنْ تَقْبَلَ:

أُخْتَهَا الثَّانِيَةِ «أَرْوَى» تَدَخَّلَتْ وَبَادَرَتْ بِالْقَوْلِ لِأَسْمَاءَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْرَرِ الْقَبُولَ

فَوَاعِدِيهِ سِدْرَتِي مَالِكٍ أَوْ ذَا الَّذِي بَيْنَهُمَا أَشْهَلَا

أَضْرِبِي مَوْعِدًا مَعَهُ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ بَيْنَ شَجَرَتِي السِّدْرِ، أَوْ فِي الْمَكَانِ الَّذِي بَيْنَهُمَا، فَذَلِكَ أَسْهَلُ

وَلَبَّاتِ إِنْ جَاءَ عَلَى بَغْلَةٍ إِنِّي أَخَافُ الْمُهْرَ أَنْ يَصْهَلَا

٤١ قَدْ سَأَلْتُ قَلِيلًا

أَرِقْتُ، وَلَمْ آرُقْ لِسُقْمٍ أَصَابَنِي أَرَأَيْتَ لَيْلًا مَا يَزُولُ طَوِيلًا

أَصَابَنِي الْأَرَقُّ، لَكِنْ لَيْسَ لِمَرَضٍ. . . وَظَلَلْتُ أَرَأَيْتَ اللَّيْلَ الطَّوِيلَ الَّذِي يَأْبَى أَنْ يَزُولَ

إِذَا خَفَقْتُ مِنْهُ نُجُومٌ فَحَلَقْتُ تَبَيَّنْتُ مِنْ تَالِي النُّجُومِ رَعِيلًا

إِذَا ارْتَجَفَتْ بَعْضُ النُّجُومِ وَارْتَفَعَتْ وَخَفَّتْ، رَأَيْتُ مَجْمُوعَةً أُخْرَى تَظْهَرُ بَعْدَهَا

فَلَمَّا مَضَتْ مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ هَجَعَةٌ وَأُيْقِنْتُ مِنْ حِسِّ الْعُيُونِ غُفُولًا. . .

لَمَّا مَضَتْ هَجَعَةٌ، نَوْمَةٌ خَفِيفَةٌ أَيْ مَدَّةٌ قَصِيرَةٌ، مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ، وَجَاءَ النَّوْمُ الْحَقِيقِيُّ فَأَغْفَتِ الْعُيُونُ وَغَفَلْتُ عَمَّا حَوْلَهَا. . .

دَخَلْتُ عَلَى خَوْفٍ فَأَرَقْتُ كَاعِبًا هَضِيمَ الْحَشَا رَيَّا الْعِظَامَ كَسُولًا

دَخَلْتُ مُتَوَجِّسًا وَأَبْقَيْتُ فَنَاءَ كَاعِبًا، أَيْ بَرَزَ صَدْرُهَا، وَهِيَ هَضِيمُ الْحَشَا، ضَامِرَةُ الْبَطْنِ، وَرَيَّا

الْعِظَامَ، مَمْتَلِئَةُ الْخَلْقَةِ، وَكَسُولٌ، بِنْتُ نِعْمَةٍ تَنَامُ حَتَّى الضُّحَى

فَهَبْتُ تُطِيعُ الصَّوْتِ نَشْوَى مِنَ الْكَرَى كَمُغْتَبِقِ الرَّاحِ الْمُدَامِ شَمُولَا
استيقظت على صوتي وهي نشوى، مخدرة، من الكرى، النعاس، كمن اغتبق الخمر، شربها مساء

فَعَضَّتْ عَلَى الْإِبْهَامِ مِنْهَا مَخَافَةً عَلَيَّ، وَقَالَتْ: قَدْ عَجِلْتُ دُخُولَا
عضت على إبهامها خائفة عليّ من القوم، وقالت: قد عجلت بالمجيء

فَهَلَّا إِذَا اسْتَيْقَنْتَ أَنَّكَ دَاخِلٌ دَسَسْتَ إِلَيْنَا فِي الْحَلَاءِ رَسُولَا
أما بعثت رسولا يخبرنا بأنك قادم

فَنُقْصِرُ عَنَّا عَيْنَ مَنْ هُوَ كَاشِحٌ وَتَأْتِي وَلَا نَخْشَى عَلَيْكَ دَلِيلَا
فعندئذ نكف عنا عين العدو المضمر للعداوة، ولا نترك دليلاً على زيارتك

فَقُلْتُ: دَعَانِي حُبُّكُمْ فَأَجَبْتُهُ إِلَيْكَ، فَقَالَتْ: بَلْ خُلِفْتُ عَجُولَا
فلما أفضنا في الهوى نستبيته وعادَ لنا صعبُ الحديثِ ذُلُولَا
لما أفضنا في الهوى، ومضينا في الحديث نستبته، نستخرجه وتبادلته، وصار سهلاً علينا
أن نتصارع

شَكُوتُ إِلَيْهَا ثُمَّ أَظْهَرْتُ عَبْرَةً وَأَخْفَيْتُ مِنْهَا فِي الْفَوَادِ عَلِيلَا
بدرت مني دمة، وظلت في قلبي حرارة العشق

فَقُلْتُ صِلِي مَنْ قَدْ أَسْرَتْ فُؤَادَهُ وَعَادَ لَهُ فِيكَ النَّصُوحُ عَذُولَا
قلت لها: أريد وُضْلِكَ، فأنا محب ولهان، ولشدة تولهي بك أصبح من كان ينصحني عادلاً يلومني

فَصَدَّتْ وَقَالَتْ: مَا تَزَالُ مُتَيِّمًا نَرَاكَ، وَإِنْ كُنْتَ الصَّحِيحَ، قَتِيلَا
فصدت عني، وقالت: يا لك من متيم، جسمك صحيح وقلبك قتيل الحب.. شيء كهذا

صُدُودَ شَمُوسٍ، ثُمَّ لَأَنْتَ وَقَرَّبْتُ إِلَيَّ، وَقَالَتْ: قَدْ سَأَلْتَ قَلِيلَا
وكان صدودها صدود فتاة شمس، معاندة، لكنها بعد ذلك لانت واقتربت، وقالت: ما طلبته
قليل.. كأنها تشجعه على نيل المزيد

لَقَدْ حَلَيْتَكَ الْعَيْنُ أَوَّلَ نَظَرَةٍ وَأَعْطَيْتَ مِنِّي يَا ابْنَ عَمٍّ قَبُولَا
قد استحلكتك العين من النظرة الأولى، ووجدت في نفسي قبولا لك

٤٢ استخبار الطلل

يَا صَاحِبِي قِفَا نَسْتَخْبِرِ الطَّلَالَ عَنْ بَعْضِ مَنْ حَلَّهَ بِالْأَمْسِ، مَا فَعَلَا

فَقَالَ لِي الرَّبُّ لَمَّا أَن وَقَفْتُ بِهِ: إِنَّ الْخَلِيطَ أَجَدَّ الْبَيْنِ فَاحْتَمَلَا
قال لي منزل القوم الخرب: إن الخليط، أي القوم، جددوا فراقاً ورحلوا

٤٣ لا تحلفي

جُنَّ قَلْبِي، فَقُلْتُ: يَا قَلْبُ مَهْلًا لَا تَبْدُلْ بِالْجَلْمِ وَالْعَزْمِ جَهْلًا
جُنَّ قَلْبِي بحبها، فقلت له لا تنهور بعد أن كنت ذا حلم وعزيمة

حَلَفْتُ أَنَّ مَا آتَاهَا يَقِينٌ، قُلْتُ: لَا تَحْلِفِي فَنَذْبُوكِ كَلًّا
تحلف لي أن ما بلغها عن معاشرتي لغيرها يقين، فقلت لا تحلفي..

لَا أَخُونُ الْخَلِيلَ مَا عِشْتُ حَتَّى يُنْقَلَ الْبَحْرُ بِالْفَرَابِيلِ نَقْلًا
لا أخون الصديق حتى يكون مستطاعاً نقل البحر بالفرايل

٤٤ أَنْتِ أَشْغَالِي

أَنْتِ كُنْتَ الْهُوَى، وَرُؤْيُكَ الْخُلْدَ لَدَى، وَكُنْتَ الْحَدِيثَ وَالْأَشْغَالَ
حُلْتَ دُونَ الْفُرَادِ، وَالتَّذْكَ الْقُلْدَ بْ، وَخَلَّى لَكَ النِّسَاءَ الْوِصَالَ
أغلقت فؤادي فلم يعد يتقبل غيرك من النساء، وتركت النساء وصالي،
فهو لك أنت وحدك

أَيُّهَا الْعَاذِلِي أَقِلَّ عِتَابِي لَمْ أَطْعُ فِي وَصَالِهَا الْعُدَّالَا

٤٥ حديث الطلل

سَائِلَا الرَّبَّ «بِالْبُلَى» وَقُولَا: هِجَتْ شَوْقًا لَنَا الْعُدَّةَ طَوِيلَا
يريد من صاحبيه أن يخبرا الطلل في ذلك الموضع بأنه أهاج القلب
وأشعل نار الشوق

أَيْنَ حَيٍّ حُلُوكَ إِذْ أَنْتَ مَحْفُوفٌ قَدْ بِهِمْ أَهْلٌ أَرَاكَ جَمِيلًا؟
أين من كانوا ينزلون بك أيها المكان الخالي، وكانوا يحفون بجوانبك؟

قَالَ: سَارُوا بِأَجْمَعٍ فَاسْتَقْلُوا، وَبِكُرْهِ لَوْ اسْتَطَعْتُ سَبِيلَا
قال - وفي هذه المرة استطاع الطلل أن يتكلم - إنهم ركبوا جميعاً ورحلوا، وهو كاره رحيلهم،
ولو استطاع لمنعهم من الرحيل

٤٦ مبيت عند الحبيبة

بِتُّ فِي نِعْمَةٍ وَبَاتَتْ وَسَادِي ثُنِي كَفَّ حَدِيثُهُ بِخَضَابِ
بِتُّ سَعِيداً وَبَاتَتْ الْمَحْبُوبَةُ وَسَادَةً لِي، يَدُو أَنَّهُ كَانَ يَسْنُدُ رَأْسَهُ إِلَى عَضْدِهَا، وَكَانَ يَرَى كَفَهَا مَثْنِيَةً
نَحْوَهُ وَيَرَى مَا بِهِذِهِ الْكَفِّ مِنْ حَنَاءٍ وَضَعَتْ حَدِيثاً

ثُمَّ قُمْنَا لَمَّا تَجَلَّى لَنَا الضُّبُّ حُ نَعَفِّي آثَارَنَا بِالثَّرَابِ
وَفِي الصَّبَاحِ قَامَا يَعْفِيَانِ، أَيِ يَزِيلَانِ، آثَارَ الْخَطِيئِ بِمَسْحِ التُّرَابِ

٤٧ المحتالة والفتاة

قَدْ بَعَثْنَا طَبَّةً مُحْتَالَةً تَمْزِجُ الْجَدَّ مِرَاراً بِاللَّعِبِ
بَعَثَ إِلَى فَتَاتِهِ امْرَأَةً طَبَّةً، خَبِيرَةً، مُحْتَالَةً، تَخْلُطُ فِي كَلَامِهَا الْجَدَّ بِالْمَزَاحِ

تَرْفَعُ الصَّوْتَ إِذَا لَانَتْ لَهَا وَتَرَاحَى عِنْدَ سَوَرَاتِ الْعَضْبِ
فَإِذَا وَجَدَتِ الْفَتَاةَ قَدْ لَانَتْ رَفَعَتْ صَوْتَهَا وَهِيَ تَقْنَعُهَا بِالْوَصَالِ، فَإِذَا غَضِبَتِ الْفَتَاةَ خَفَضَتِ الْمَرَأَةُ
الْمُحْتَالَةَ صَوْتَهَا وَلَانَتْ فِي كَلَامِهَا

وَهِيَ إِذْ ذَاكَ عَلَيْهَا مِثْرٌ وَلَهَا بَيْتُ جَوَارٍ مِنْ لَعَبِ
وَالْفَتَاةُ عَلَيْهَا مِثْرٌ، ثَوْبٌ مِثْلُ مِثْرِ كَالْتَنُورَةِ، وَهِيَ صَغِيرَةٌ تَلْعَبُ بِلَعْبِهَا

لَمْ تَزَلْ تَضْرِفُهَا عَنْ رَأْيِهَا وَتَأْتَاهَا بِرِفْقِي وَأَدَبِ
وَالْمُحْتَالَةُ تَتَأْتَاهَا، أَيِ تَحَايِلُ عَلَيْهَا بِاللُّطْفِ، كَيْ يَغَيِّرَ لَهَا رَأْيَهَا

٤٨ بين عرفات والجمرات

صَادَ قَلْبِي الْيَوْمَ ظُبِّي مُقْبِلٌ مِنْ عَرَفَاتِ
فِي ظَبَاءٍ تَتَهَادَى عَامِداً لِلْجَمَرَاتِ
وَعَلَيْهِ الْخَزُّ وَالْقَزُّ وَوَشْيُ الْحَبَرَاتِ

الْخَزُّ وَالْقَزُّ: نَوْعَانِ مِنَ الْحَرِيرِ، وَالْحَبَرَاتُ الْمَوْشَاةُ: ثِيَابٌ مَزِينَةٌ يَقُولُ مُحَمَّدٌ مَحْبِي الدِّينِ
عَبْدُ الْحَمِيدِ إِنَّهَا تَجْلِبُ مِنَ الْيَمَنِ

إِنَّنِي لَسْتُ بِنَاسٍ ذَلِكَ الظُّبِّي حَيَاتِي

٤٩ لم أعدل به أحدا

أَلِمُمْ بِزَيْنَبَ إِنَّ الْبَيْنَ قَدْ أَفِدا قَلَّ الثَّوَاءُ لَيْثُنَ كَانَ الرَّحِيلُ غَدا
المم بزيب، زُرْها، فقد اقترب الفراق، ولأن الرحيل سيكون غداً فقد أصبح الثواء،
الإقامة، قليلاً

لَعَمْرُهَا مَا أَرَانِي إِنْ نَوَى نَزَحْتُ وَدَامَ ذَا الْحُبِّ إِلَّا قَاتِلِي كَمَدَا
إن رحلت وظل حبا في قلبي فسوف أموت حسرة

قَدْ حَلَفْتُ لَيْلَةَ «الصَّوْرَيْنِ» جَاهِدَةً، وَمَا عَلَى الْمَرْءِ إِلَّا الصَّبْرُ مُجْتَهِدًا . .
حلفت في تلك الليلة في ذلك المكان . .

لِيَتَرِبَهَا وَلِأُخْرَى مِنْ مَنَاصِفِهَا لَقَدْ وَجَدْتُ بِهِ فَوْقَ الَّذِي وَجَدَا
حلقت لصديقتها ولفتاة أخرى من مناصفها، وصفاتها،
بأنها عانت من الشوق أكثر مما عانيت أنا

لَوْ جُمِعَ النَّاسُ ثُمَّ اخْتِيرَ صَفْوَتُهُمْ شَخْصًا مِنَ النَّاسِ لَمْ أَغْدِلْ بِهِ أَحَدًا
وقالت لهما: إنها لا تعدل بي أحداً من بين كل الناس

٥٠ لا صبر لي

وَلَقَدْ قُلْتُ إِذْ تَطَاوَلَ مَجْرِي: رَبِّ لَا صَبْرَ لِي عَلَى مَجْرِ هِنْدِ
رَبِّ حَمَلْتَنِي مِنَ الْحُبِّ ثِقْلًا رَبِّ لَا صَبْرَ لِي، وَلَا عَزَمَ عِنْدِي
ليس حُبِّي لها ببذعة أمرٍ قَدْ أَحَبَّ الرِّجَالُ قَبْلِي وَبَعْدِي

٥١ حب تحت المطر

فَلَسْتُ بِنَاسٍ لَيْلَةَ الدَّارِ مَجْلِسًا لِيَزَيْنَبَ حَتَّى يَغْلُوَ الرَّأْسُ رَامِسُ
لن أنسى ذلك المجلس مع زينب حتى يعلو رأسي الرامس، والرمس هو القبر ولعل الرامس مثله

فَمَا نِلْتُ مِنْهَا مَحْرَمًا غَيْرَ أَنَا كِلَانَا مِنَ الثَّوْبِ الْمُورَدِ لَا يَسُ
لم أنل منها ما يحرم الدين، لكننا كنا كلانا لابسين ثوباً واحداً - وبالأمانة كان
مورداً - . . وعلق صديقه عتيق على هذا البيت: فأبي محرم بفي؟ فأخبره عمر بأن السماء
أمطرت فأمر غلامانه فستروهما بكساء خز. فقال عتيق: هذا البيت يحتاج إلى حاضنة

٥٢ آخر الشعر

قيل إن عمر حلف في شيخوخته لا يقول بيتاً إلا أعتق عبداً.
فسمع شكوى محبٍّ فهاج شوقه، فقال هذه الأبيات، ثم أعتق عبداً لكل بيت:
تَقُولُ وَلَيْدَتِي لَمَّا رَأَتْنِي طَرِبْتُ، وَكُنْتُ قَدْ أَقْصَرْتُ حِينًا:
رَأَتْنِي ابْتِي، أَوْ جَارِيَتِي، وَقَدْ اهْتَزَّتْ طَرِباً وَاشْتِيَاقاً وَحَسْرَةً - والطرب يجمع كل هذه المعاني -،
وَكُنْتُ مِنْذُ زَمَنٍ قَدْ كَفَفْتُ عَنِ الْغَزْلِ

أَرَاكَ الْيَوْمَ قَدْ أَخَذْتُ شَوْقاً وَعَادَ لَكَ الْهَوَى دَاءً دَفِينَا
فَقُلْتُ شَكَا إِلَيَّ أَخٌ مُحِبٌّ كَبِعَضِ زَمَانِنَا إِذْ تَعْلَمِينَا
فَقَصَّ عَلَيَّ مَا يَلْقَى بِهِنْدٍ فَوَافَقَ بَعْضَ مَا قَدْ تَعْرِفِينَا
وَذُو الْقَلْبِ الْمُصَابِ وَلَوْ تَعَزَّى مَشُوقٌ حِينَ يَلْقَى الْعَاشِقِينَ

٥٣ دعوة لسهرة

قَالَتْ لِنَائِلَةَ: اذْهَبِي قُولِي لَهُ إِنْ كَانَ أَجْمَعَ رَحْلَةً أَصْحَابُهُ
قالت المحبوبة لنائلة: قولي لعمر أن يتأخر ولا يرحل مع أصحابه إن قرروا رحلاً
فَلْيَبْقَ بَعْدَهُمْ لَدَيْنَا لَيْلَةً فَلَهُ عَلَيَّ بِأَنْ يُجَادَ ثَوَابُهُ
ليبق بعدهم ليلة عندي، وله عليّ أن أكون سخية في مكافأته
قُلْتُ اذْهَبِي قُولِي لَهَا: قَدْ طَالَ مَا حُبِسْتُ لَدَيْكَ عَلَى الْكَلَالِ رِكَابُهُ
قلت لنائلة، قولي للمحبوبة: كثيراً ما وقف ببابك وحبس نياقه رغم الكلال، أي التعب
بُنَا بِأَنْعَمِ لَيْلَةٍ وَأَلْذَّهَا لِلنَّفْسِ، مَا سَتَرَ الصَّبَاحَ حِجَابُهُ
بنا بليلة لذينة استمرت ما ظل الصباح محجوباً بالظلمة

٥٤ الزمن المتقلب

خَلِيلَيَّ عُوْجَا، حَيِّيًا الْيَوْمَ زَيْنَبَا وَلَا تَشْرُكَانِي صَاحِبَيَّ وَتَذْهَبَا
يا صاحبيَّ عوجا، ميلا عن الطريق، لكي نحيا أطلال زينب، ولا تتركاني وحدي
فَلَا مَرَحَبًا بِالشَّامِتِينَ بِهَجْرِنَا وَلَا زَمَنٍ أَضْحَى بِنَا قَدْ تَقَلَّبَا

٥٥ تراجع سريع

أُضْبِحَ الْقَلْبُ قَدْ صَحَا وَأَنَابَا هَجَرَ اللَّهُوَ وَالصَّبَا وَالرَّبَابَا
أَنَاب: رجع وتاب، الصَّبَا: العشق

كُنْتُ أَهْوَى وَصَالَهَا فَتَجَنَّثْتُ ذَنْبَ غَيْرِي فَمَا تَمَلُّ الْعِتَابَا
الَصَقْتُ بي ذنب غيري وتجنَّثْتُ عليَّ، وأكثرْتُ من العتاب

فَتَعَزَّيْتُ عَنْ هَوَاهَا لِرُشْدِي حِينَ لَاحَ الْقَذَالُ مِنِّي فَشَابَا
فطيت نفسي عن تركي هواها، وقد بان في قذالي، أي مؤخر رأسي، الشيب

بَعَثْتُ لِلْوِصَالِ نَحْوِي وَقَالَتْ: إِنَّ لِّلْهِ ذَرَّةٌ كَيْفَ تَابَا
هي بعثت لي تريد إحياء الهوى متعجة من توبتي

إِنْ لَمْ أَضْرِفْهُ لِّلَّذِي قَدْ هَوَيْنَا عَنْ هَوَاهُ فَلَا أَسْفُتُ الشَّرَابَا
وحلفت ألا تلذ شربة ماء إن لم تنجح في مسعاها

فَأَتَاهَا لِلْحَيْنِ يَغْدُو سَرِيعاً وَعَصَى فِي هَوَى الرَّبَابِ الصُّحَابَا
بسرعة أجابها عمر للحين، للموت.. أي أجابها لما فيه موته عشقاً، وعصى في هواها الناصحين من أصحابه

كُنْتُ أَعْصِي النَّصِيحَ فَيْكَ مِنَ الْوَجْدِ دِ وَأُنْهَى الْخَلِيلَ أَنْ يَرْتَابَا
لشدة وجدي وشغفي بك كنت أعصي الناصح، وأنهى الصديق أن يشكك في جدوى هذه العلاقة
فَابْتُلَيْتُ الْغَدَاةَ مِنْهُ بِشَيْءٍ سَلَّ جِسْمِي وَعُدْتُ شَيْئاً عُجَابَا
واليوم ابتليت من الوجد بشغف مضاعف سل جسمي وبراها برياً، وجعلني أعجوبة

٥٦ لا تلمني عتيق

لَا تَلْمُنِي «عَتِيقُ»، حَسْبِي الَّذِي بِيِ وَالْتِمَسْ لِي الدَّوَاءُ عِنْدَ الطَّبِيبِ
إِنْ قَلْبِي مَا زَالَ مِنْ أَمِّ عَمُرٍ ضَمِنَاً بَعْدَ لَيْلَةِ التَّخْصِيبِ
ما زال قلبي ضمناً، سقيماً، من ذلك اللقاء مع أم عمرو بعد ليلة رمي الجمار

٥٧ الصلح مع «الثرى»

قَالَ لِي صَاحِبِي لِيَعْلَمَ مَا بِي: أَتَحِبُّ الْقَتُولَ أُخْتَ الرَّبَابِ

قُلْتُ وَجَدِي بِهَا كَوَجْدِكَ بِالْعَذِّ ب، إِذَا مَا مُنِعْتَ طَعْمَ الشَّرَابِ

حبي لها كحبك الماء بعد إذ مُنِعَتْ منه

مَنْ رَسُولِي إِلَى «الثَّرِيَا»؟ فَإِنِّي ضِيقْتُ ذُرْعاً بِهَجْرِهَا وَالكِتَابِ

من يسمى في الصلح بيني وبين الثريا؟ فقد ضقت ذرعاً بالهجر وكتاب الله . هذا معنى البيت . .
وتكملة القصة أن ابن أبي عتيق ركب من فوره ليصلح بين الثريا وبين عمر، وأخذ عمر معه إلى
الطائف حيث تقضي الثريا الصيف، وأصلح بينهما

أَزْهَقْتُ أَمْ نَوَفَلٍ إِذْ دَعَتْهَا مُهْجَتِي، مَا لِقَاتِلِي مِنْ مَتَابِ

أم نوفل، وصفة الثريا أو قريبتها، أزهرت روعي عندما نادى الثريا؛ وليس لقاتلي توبة

حِينَ قَالَتْ لَهَا أَجِيبِي، فَقَالَتْ: مَنْ دَعَانِي؟ قَالَتْ: أَبُو الْخَطَّابِ

قالت لها إن عمر، وكنيته أبو الخطاب، ينتظرك

فَأَجَابَتْ عِنْدَ الدُّعَاءِ كَمَا لَبَّ- سِى رِجَالٌ يَرْجُونَ حُسْنَ الثَّوَابِ

لبث الثريا الدعوة، وجاءت بسرعة، مثلما يلي دعوة ربهم رجال يرجون حسن الثواب بقصد
بيت الله الحرام

وَهِيَ مَكْنُونَةٌ تَحْيَرُ مِنْهَا فِي أَدِيمِ الْخَدَيْنِ مَاءُ الشَّبَابِ

هي مكنونة، مخدرة ومخبأة في البيت لا تظهر للشمس، وفي أديم خديها،
أي جلدها نضارة الشباب

أَبْرَزُوهَا مِثْلَ الْمَهَاءِ تَهَادَى بَيْنَ خَمْسٍ كَوَاعِبِ أَثَرَابِ

كانت كبقرة الوحش تهادى بين أترابها الكواعب، الفتيات اللاتي نهدت صدورهن

دُمِيَّةٌ عِنْدَ رَاهِبٍ ذِي اجْتِهَادٍ صَوَّرُوهَا فِي جَانِبِ الْمَحْرَابِ

هي كتمثال في صومعة راهب مجتهد في العبادة

ثُمَّ قَالُوا: نُحِبُّهَا؟ قُلْتُ بَهْرًا: عَدَدَ النَّجْمِ وَالْحَصَى وَالشَّرَابِ

قالوا لي: أنتحبها؟ فقلت مبهوراً، أي بعد أن تنهَّدت وأصابني البهر أي انقطاع النفس: أحبها عدد
النجوم وعدد الحصى وحبات الرمل

٥٨ المهریق ماء

إِنْ تَبْذُلِي لِي نَائِلًا يَشْفِي بِهِ سَقْمُ الْفُؤَادِ. فَقَدْ أَطْلَلْتُ عَذَابِي

هلاً بذلت لي من وصلك ما يشفي فؤادي؟ فلقد أطلت عذابي بالهجر

وَعَصَيْتُ فِيكَ أَقَارِبِي فَتَقَطَّعَتْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ عُرَى الْأَسْبَابِ
وعصيت أقاربي الذي نصحوني بالابتعاد عنك، وتقطعت العلاقات بيني وبينهم. والأسباب في الأصل هي الجبال

وَتَرَكْتَنِي لَا بِالْوَصَالِ مُتَمَعًا يَوْمًا، وَلَا أَسَعَفْتَنِي بِثَوَابٍ
لم أنل منك شيئاً. لا نلت وصالك، ولا أقيت على علاقتي مع أقاربي. كذا أراد أن يقول
فالتوى عليه الكلام، وكثيراً ما يلتوي، فقد كان عمر شاعراً مسترخياً يقول الأبيات كيفما اتفق،
فيتلففها أصحابه وينشرونها وهي أحوج ما تكون إلى التقيح

فَقَعَدْتُ كَالْمَهْرِيْقِ فَضْلَةً مَائِهِ فِي حَرِّ هَاجِرَةٍ لِلْمَعِ سَرَابٍ
أصبحت كمن أراق بقية الماء من قربته في حر الظهيرة عندما رأى سراباً فحسبه ماء

٥٩ العجب العاجب

وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ فِي جَانِبٍ مِّنَ الْأَرْضِ وَاعْتَزَلْتُ جَانِبَا
لَأَتَّبَعْتُ طِيَّتَهَا، إِنَّنِي أَرَى دُونَهَا الْعَجَبَ الْعَاجِبَا
لتبعنها وتوجهت إلى جهتها، فهي تعجبني جداً

٦٠ قَبْلِيْ

أَحِبُّ لِحُبِّ عَبْلَةٍ كُلِّ صَهْرٍ عَلِمْتُ بِهِ لِعَبْلَةٍ أَوْ صَدِيقٍ
وَلَوْ لَا أَن تَعَنَّفَنِي قُرَيْشٌ وَقَوْلُ النَّاصِحِ الْأَدْنَى الشَّفِيقِ
لَقُلْتُ إِذَا التَّقَيْنَا: قَبْلِيْ، وَلَوْ كُنَّا عَلَى ظَهْرِ الطَّرِيقِ

٦١ فَقُلْنَ: اسْكُنِي

فَلَمَّا التَّقَيْنَا وَاطْمَأَنَّتْ بِنَا النَّوَى وَغُيِّبَ عَنَّا مَن نَخَافُ وَنُشْفِقُ..
لما التقينا وانتهى البعاد، ولم يكن في الجوار من نخاف منه..

أَخَذْتُ بِكَفِّيْ كَفَّهَا فَوَضَعْتُهَا عَلَى كَبِدِيْ مِنْ خَشْيَةِ الْبَيْنِ تَخْفِقُ
أخذت كفها ووضعتها على كبدي التي تخفق خشية فراق جديد

فَقَالَتْ لِأَثْرَابٍ لَهَا حِينَ أَيْقَنْتُ بِمَا قَدْ أَلَاقِيْ إِنْ ذَا لَيْسَ يَصْدُقُ
تقول لصاحباتها - رغم أنها تأكدت من مبلغ حيي - إن الرجل ليس صادقاً

فَقُلْنَ: أَتَبْكِيْ عَيْنُ مَنْ لَيْسَ مُوجَعًا كَثِيبًا وَمَنْ هُوَ سَاهِرُ اللَّيْلِ يَأْرَقُ؟
فقلن لها: أويكي من ليس موجه القلب، ومن هو ساهر عشقاً؟

فَقُمْنَ لِكُنْيِ يُخْلِينَنَا، فَتَرَقَّرَتْ مَدَامُ عَيْنَيْهَا، فَظَلَّتْ تَدْفُقُ

قامت صاحباتها يردن أن يتركن لنا الجور، فبكت المحبوبة..

وَقَالَتْ: أَمَا تَرَحَّمْنِي أَنْ تَدْعَنِي لَدَيْهِ، وَهُوَ فِيمَا عَلِمْتُنَّ أُخْرَقُ

قالت لهن: كيف تركتني لديه وهو أخرق متهور؟

فَقُلْنَ: اسْكُتِي عَنَّا فَغَيْرُ مُطَاعَةٍ لَهُوُ بِكَ مِنَّا، فَأَعْلَمِي ذَاكَ، أَرْفُقُ

قلن لها: اسكتي. لن نطيعك. هو أرفق بك منا

فَقَالَتْ: فَلَا تَبْرَحَنَّ ذَا السُّتْرِ، إِنَّنِي أَخَافُ وَرَبَّ النَّاسِ مِنْهُ وَأَفْرُقُ

فقالت لهن: لا تتعدن عن الستر فانا أفرق منه، أي أخاف

٦٢ تحويل طريق

جَعَلْتُ طَرِيقِي عَلَى بَابِكُمْ وَمَا كَانَ بِأَبْكُمْ لِي طَرِيقًا

صَرَمْتُ الْأَقَارِبَ مِنْ أَجْلِكُمْ وَصَافَيْتُ مَنْ لَمْ يَكُنْ لِي صَدِيقًا

صرمت: قاطعت، صافيت: هادئت وصادقت

٦٣ حدث في الطواف

أَدْخَلَ اللَّهُ رَبُّ مُوسَى وَعِيسَى جَنَّةَ الْخُلْدِ مَنْ مَلَائِي خَلْقًا

أدخل الله الجنة من ملائني خلقاً، أي طيباً

مَسَحَتْهُ مِنْ كَفِّهَا بِقَمِيصِي حِينَ طَافَتْ بِالْبَيْتِ مَسْحًا رَفِيقًا

غَضِبْتُ أَنْ نَظَرْتُ نَحْوَ نِسَاءٍ لَيْسَ يَعْرِفُنَا مَرَزْنَ الطَّرِيقًا

وَأَرَى بَيْنَهَا وَبَيْنَ نِسَاءٍ كُنْتُ أَهْذِي بِهِنَّ بَوْنًا سَحِيقًا

ما أبعد الفرق بينها وبين غيرها من النساء

٦٤ بانوا بنعم

بَانُوا بِنُعْمٍ، فَلَسْتُ نَاسِيَهَا مَا اهْتَزَّ فِي غُصْنِ أَيْكَةٍ وَرَقٌ

رحلوا ومعهم نعم، ولن أنساها أبداً، ما اهتز الورق في غصن الأيكة، أي الشجرة

الطَّبْيُ فِيهِ مِنْ خَلْقِهَا شَبَةٌ: النَّحْرُ وَالْمُقْلَتَانِ وَالْمُعْنُ

٦٥ العين الناطقة

تَكَادُ غَدَاةَ الْبَيْنِ تَنْطِقُ عَيْنُهُ بِعَبْرَتِهِ، لَوْ كَانَتِ الْعَيْنُ تَنْطِقُ

٦٦ يا حَبْنِي لَهُم

لَيْتَ شِعْرِي، غَدَاةَ بَانُوا وَفِيهِمْ صُورَةُ الشَّمْسِ، أَيْنَ يُرْجَى التَّلَاقِي؟
لَسْتُ أَدْرِي، صَبِيحَةَ رَحِيلِهِمْ وَمَعَهُمُ الْمَحْبُوبَةُ الَّتِي هِيَ كَالشَّمْسِ، كَيْفَ يَكُونُ التَّلَاقِي مِنْ بَعْدِ
إِنْ قَلْبِي لَفِيكُمْ الْيَوْمَ رَهْنٌ لِشَقَائِي، وَحُبِّ أَهْلِ الْعِرَاقِ!
حُبٌّ: أَيُّ يَا حَبْنِي لِأَهْلِ الْعِرَاقِ! هَكَذَا ضَبَطَهَا وَفَسَّرَهَا مُحِبِّي الدِّينِ عَبْدِ الْحَمِيدِ. وَيَقُولُونَ فِي
عَامِيَتِهِمْ «يَا حَبْنِي لَهُ» أَيُّ مَا أَحَبَّهُ إِلَى قَلْبِي!

٦٧ الوثيرات

أَسِيلَاتُ أَبْدَانٍ دِقَاقُ خُصُورُهَا وَثِيرَاتُ مَا التَّقَّتْ عَلَيْهِ الْمَلَاحِفُ
نِسَاءً طَوَالَ الْجِسْمِ، خُصُورُهُنَّ نَحِيلَةً، وَلَكِنْ عَجِيزَاتُهُنَّ، حَيْثُ يَلْفِفْنَ الْمَلَأَاتِ،
وَوَثِيرَةٌ سَمِينَةٌ

إِذَا قُمْنَ أَوْ حَاوَلْنَ مَشْيًا تَأْظَرْنَ إِلَى حَاجَةٍ مَالَتْ بِهِنَّ الرُّوَادِفُ
إِنْ قُمْنَ لِبَعْضِ حَاجَاتِهِنَّ، أَوْ إِنْ أَرَدْنَ الْمَشْيَ تَأْظَرْنَ، أَيُّ تَنْثِيًا،
مَالَتْ أَجْسَامُهُنَّ بِفَعْلٍ ثَقُلَ الْأَرْدَافُ

٦٨ الباكي

تَأَوَّبَ عَيْنَهُ وَهَنًا قَذَاهَا وَذَاوَاهَا الطَّبِيبُ فَمَا شَفَاهَا
عَادَ إِلَى عَيْنِهِ الْقَذَى وَهَنًا، لَيْلًا، لِكَثْرَةِ مَا بَكَى

٦٩ ربة البغلة

يَا رَبَّةَ الْبَغْلَةِ الشَّهْبَاءِ هَلْ لَكُمْ أَنْ تَرْحَمِي عُمَرًا، لَا تُرْهِقِي حَرْجًا
يَا صَاحِبَةَ الْبَغْلَةِ الْبَيْضَاءِ ارْحَمِينِي، وَلَا تُرْهِقِي رَجُلًا هَيَّابًا، يَر_اقِبُ شَتَى الْمُحَازِيرِ
قَالَتْ بِدَائِكَ مُتٌ، أَوْ عِشْ تَعَالِجْهُ فَمَا نَرَى لَكَ فِيمَا عِنْدَنَا فَرْجًا
حَتَّى لَوْ أَسْطِيعُ، مِمَّا قَدْ فَعَلْتُ بِنَا، أَكَلْتُ لَحْمَكَ مِنْ غِيظِي، وَمَا نَضِجَا
لَوْ أَسْطِيعُ لِأَكَلْتُ لَحْمَكَ نَيْتًا لِأَنَّكَ فَضَحْتَنِي بِشَعْرِكَ

٧٠ رسول شمس

بَعَثْتُ وَلِيدَتِي سَحَرًا وَقُلْتُ لَهَا: خُذِي حَذْرَكَ
وليدته: جاريته

وَقُولِي فِي مُعَاتَبَةٍ لِزَيْنَبَ نَوْلِي عُمَرَكَ
فَهَزَّتْ رَأْسَهَا عَجَبًا وَقَالَتْ: مَنْ بِذَا أَمْرِكَ
زينب تخاطب الجارية: من أمرك بهذا؟

أَهَذَا سِحْرُكَ النُّسُوءُ نَ؟ قَدْ خَبَّرَنِي خَبْرَكَ
وَقُلْنَا إِذَا قَضَى وَطَرًا وَأَذْرَكَ حَاجَةً هَجْرَكَ

٧١ كوجد الجن والإنس

إِنَّ الْخَلِيطَ تَصَدَّعُوا أَمْسٍ وَتَصَدَّعَتْ لِفِرَاقِهِمْ نَفْسِي
الخليط، أي الجيران، تصدعوا، أي تفرقوا، ورحلوا أمس، وتصدعت، أي تحطمت،
نفسي بفراقهم

وَوَجَدْتُ وَجْدًا كَانَ أَهْوَنُهُ كَأَشَدُّ وَجْدِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ
وجدت، أي حزنت كثيراً

وَتَبَيْتُ عَوَادِي وَقَدْ يَتُّسُوا مِنِّي، وَأُضِيحُ مِثْلَمَا أُمْسِي
زواري يشعرون بالأس من حياتي

٧٢ العاشقة

وَمَحَدَّتِي قَدْ بَاتَ يُؤْنِسُنِي رَجُصِ الْبَنَانِ، مُهْفَهَفِ الْخَصْرِ
رب محدثة آتستني وهي رخصة البنان، طرية الأصابع، مهفهفة الخصر، نحيلته

وَيُذِيقُنِي مِنْهُ عَلَى وَجَلٍ عَذْبًا كَطَعْمِ سُلَاقَةِ الْخَمْرِ
وهي تذيقني ريقها الذي طعمه كالخمر

فِي لَيْلَةٍ كَانَتْ مُبَارَكَةً ظَلَّتْ عَلَيَّ كَلِيلَةَ الْقَدْرِ
حتى إذا ما الصُّبْحُ أَذَّنَا وَبَدَتْ سَوَاطِعُ مِنْ سَنَا الْفَجْرِ
جَعَلْتُ تُحَدِّرُ مَاءَ مُقْلَتِهَا وَتَقُولُ: مَا لِي عَنْكَ مِنْ صَبْرِ

٧٣ عذوبة الريق

وَلَوْ تَقَلَّتْ فِي الْبَحْرِ، وَالْبَحْرُ مَالِحٌ لِأَصْبَحَ مَاءُ الْبَحْرِ مِنْ رِيْقِهَا عَذْبًا

٧٤ لولاك لم أحجج

أَوَمَتَ بِعَيْنَيْهَا مِنَ الْهُدُجِ لَوْلَاكَ هَذَا الْعَامَ لَمْ أَحْجُجِ
أومات إلي بعينها وهي في هودجها، وقالت: لولا أنت لم آت إلى مكة للحج

أَنْتَ إِلَى مَكَّةَ أَخْرَجْتَنِي وَلَوْ تَرَكْتَ الْحَجَّ لَمْ أَخْرِجِ

٧٥ موقف وقبلة

لَمَّا تَعَاظَمَ أَمْرُ وَجْدِي فِي الْهَوَى وَكَلِفْتُ شَوْقًا بِالْغَزَالِ الْأَذْعَجِ
لما كبر غرامي وشوقي للغزال ذي العينين الواسعتين

فَوَضَعْتُ كَفِّي عِنْدَ مَقْطَعِ خَصْرِهَا فَتَنَفَّسْتُ نَفْسًا فَلَمْ تَتَلَهَّجْ
لم ترتبك، وإن أخذت نفساً عميقاً، إذ لمستُ خصرها

فَلَزِمْتُهَا فَلَزِمْتُهَا فَتَفَرَّعَتْ مِنِّي وَقَالَتْ: مَنْ؟ فَلَمْ أَتَلَجَّلَجْ
ضممتها وقبلتها، فعدتُ جفلة. ولكنني لم أتردد

قَالَتْ وَعَبِشِ أَبِي وَحَرَمَةَ إِخْوَتِي لِأَنْبَهَنَّ الْحَيَّ إِنْ لَمْ تَخْرُجْ
فَخَرَجْتُ خَوْفَ يَمِينِهَا، فَتَبَسَّمْتُ فَعَلِمْتُ أَنَّ يَمِينَهَا لَمْ تَحْرَجْ
خشي من غضبتها فخرج، فابتسمت، فعلم أن يمينها لم تحرج، أي كانت مجرد لغو

فَتَنَاوَلْتُ رَأْسِي لِتَعْلَمَ مَسَّهُ بِمُخَضَّبِ الْأَطْرَافِ غَيْرِ مُشْنَجِ
أمسكت برأسه - ها هي تريد تقييله بنفسها - وكفها مخضبة عند البنان وناعمة

فَلَزِمْتُ فَاهَا آخِذًا بِقُرُونِهَا شَرِبَ النَّزِيفِ بِبَرْدِ مَاءِ «الْحَشْرِجِ»
أمسك بقرونها، أي بجاني رأسها، وقبلها وذاق ريقها بشغف مثلما يمتص النزيف، العطشان، ماء ذلك النبع

٧٦ ضرورة العشق

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْشَقْ وَلَمْ تَذْرِ مَا الْهَوَى فَكُنْ حَجَرًا مِنْ يَاسٍ الصَّخْرِ جَلْمَدًا

٧٧ في الصحراء

وَنَاهِدَةَ الثَّدْيَيْنِ قُلْتُ لَهَا: اَتَكْبِي عَلَى الرَّمْلِ مِنْ جَبَانَةٍ لَمْ تُوسِّدِ
رب فتاة قلت لها اتكبي على الرمل في جبانة، أي صحراء، لم يسبق لأحد أن توسدها.. كذا
فهتت المعنى

فَقَالَتْ عَلَى اسْمِ اللَّهِ أَمْرُكَ طَاعَةٌ وَإِنْ كُنْتَ قَدْ كَلَّفْتَ مَا لَمْ أُعَوِّدِ
فَأطاعني، قائلة إنها تتكلف فعل شيء لم تعدت عليه

فَمَا زِلْتُ فِي لَيْلٍ طَوِيلٍ مُلْتَمِئًا لَذِيذَ رُضَابِ الْمِسْكِ كَالْمُتَشَهِّدِ
ظللت ليلي ملتمئاً، أي مقبلاً، فمها راشقاً ريقها الذي كالمسك المشوب بالعسل

فَلَمَّا دَنَا الْإِصْبَاحُ قَالَتْ: فَضَحْتَنِي فَقُمْ غَيْرَ مَطْرُودٍ، وَإِنْ شِئْتَ فَازْدِدِ
فَقَامَتْ تُعَقِّي بِالرَّدَاءِ مَكَانَهَا وَتَطْلُبُ شَذْرًا مِنْ جُمَانٍ مُبَدِّدٍ
جعلت تعفي بالرداء، تمشح بالثوب الأثر، وتبحث عن حبات لؤلؤ تبددت عندما انثر عقدها

٧٨ عليها جسم!

أَبَتْ الرِّوَادِفُ وَالثَّدْيُ لِقُمُصِهَا مَسَّ الْبُطُونِ، وَأَنْ تَمَسَّ ظُهُورًا
لكبر أردافها وثديها فقميصها لا يمس البطن ولا الظهر. أعمل خيالك ولا تلجني
إلى مزيد من الشرح

وَإِذَا الرِّيحُ مَعَ الْعَشِيِّ تَنَاوَحَتْ نَبَّهْنَ حَاسِدَةً وَهَجْنَ غَيُورًا
فإذا هبت الريح مساء وصدر منها صوت كالنواح، التصق القميص بجسمها فبدت فنته كاملة
فتنبهت الحاسدة واهتاج الزوج أو الأخ الغيور

٧٩ ليله تزوج عشرا

خَبَّرُوهَا بِأَنَّنِي قَدْ تَزَوَّجْتُ فَظَلَّتْ تُكَاتِمُ الْغَيْظَ سِرًّا
نَمِ قَالَتْ لِأُخْتِهَا وَلِأُخْرَى جَزَعًا: لَيْتَهُ تَزَوَّجَ عَشْرًا
وَأَشَارَتْ إِلَى نِسَاءٍ لَدَيْهَا لَا تَرَى دُونَهُنَّ لِلْسَّرِّ سِرًّا:
مَا لِقَلْبِي كَأَنَّهُ لَيْسَ مِنِّي وَعِظَامِي إِخَالٌ فِيهِنَّ فَتُرَا
مِنْ حَدِيثٍ نَمَى إِلَيَّ فَطَبِيعُ خِلْتُ فِي الْقَلْبِ مِنْ تَلَطُّبِهِ جَمْرًا
من حديث فطيع نعى إليّ، أي بلغني، جعل القلب يلتهب ويتلظى

٨٠ الترقيع

رَأَيْنَ الْغَوَانِيَّ الشَّيْبَ لَاحَ بِمَقْرِقِي فَأَعْرَضَنَ عَنِّي بِالْخُدُودِ النَّوَاضِرِ
رأت الفتيات الشيب قد بدا وسط رأسي فأعرضن عني، وأشحن بخدودهن النضرة

وَكُنَّ إِذَا أَبْصَرْنَنِي أَوْ سَمِعْنَنِي سَعَيْنَ فَرَقْنَنَ الْكُوى بِالْمَحَاجِرِ
وفي الماضي كن عندما يرينني أو يسمعنني، يلصقن أعينهن بثقوب الخيمة لرؤيتي، فكانهن يرقعن الثقوب بعيونهن

٨١ ألسنت تبصر من حولي؟

قَالَتْ وَأُبْشِئْتُهَا سِرِّي وَبُحْتُ بِهِ قَدْ كُنْتُ عِنْدِي تُحِبُّ السُّنْرَ، فَاسْتَتِرَ
خبرتها بمكنون عواطفها تجاهها، فقالت: كنت فيما مضى كتوماً! فاستتر الآن

أَلَسْتُ تُبْصِرُ مَنْ حَوْلِي؟ فَقُلْتُ لَهَا: غَطَّى هَوَاكِ، وَمَا أَلْفَى، عَلَى بَصْرِي
ألا ترى الناس حولي؟ فأجبته: لقد غطى حبك، وغطى ما ألقىه من الألم، على بصري فلم أر هؤلاء القوم حولنا

٨٢ منتهى الجبور

لَعَمْرِي لَقَدْ نِلْتُ الَّذِي كُنْتُ أَرْتَجِي وَأَصْبَحْتُ لَا أَخْشَى الَّذِي كُنْتُ أَخْذَرُ
فليس كمثلي اليوم كسرى وهزمز ولا الملك النعمان مثلي وقبصر

٨٣ يا عمَّتا

تَقُولُ: يَا عَمَّتَا كُفِّي جَوَابَهُ، وَيَلِي بُلْبُثٌ وَأَبْلَى جِيدِي الشَّعْرُ
البتت تقول للماشطة: أبعدني جواب شعري عن وجهي وعنفي، قد ابتليت بهذا الشعر. كذابة، هي به مفتخرة

مِثْلُ الْأَسَاوِدِ قَدْ أَعْيَا مَوَاشِطُهُ تَضِلُّ فِيهِ مَدَارِيهَا وَتَنْكَسِرُ
شعرها مثل الأساود، الحيات، يُتعب الماشطات، وتوه فيه المداري، الأمشاط، وتنكسر لجثولته وكثافته

٨٤ كتب القتل والقتال علينا

إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْكَبَائِرِ عِنْدِي قَتَلَ حَسَنَاءٍ عَادَةٍ عُطْبُولُ
من الفظائع قتل حسناء عطبول، طويلة العنق

قَتَلْتُ بَاطِلًا عَلَى غَيْرِ ذَنْبٍ إِنَّ لِلَّهِ دَرَمًا مِنْ قَنْبِلٍ
كُتِبَ الْقَتْلُ وَالْقِتَالُ عَلَيْنَا وَعَلَى الْغَانِيَاتِ جَرُّ الذُّبُولِ

القتل والقتال للرجال؛ والنساء عليهن فقط جر ذبول ملابسهن لفتنة الرجال. تقول القصة إن الوالي قتل عمرة بنت النعمان لأنها دعت بالنبوة للمختار الثقفي، فقال عمر الأبيات

٨٥ يا ذا الذي

يا ذا الذي في الحبِّ يَلْحَى أَمَا تَخْشَى عِقَابَ اللَّهِ فِيْنَا أَمَا . .

يلحى: يلوم ويؤنب

تَعْلَمُ أَنَّ الْحُبَّ دَاءٌ أَمَا وَاللَّهِ لَوْ حُمِلَتْ مِنْهُ كَمَا . .
حُمِلْتُ مِنْ حُبِّ حَبِيبِي لَمَّا لُمْتُ عَلَى الْحُبِّ فَدَعْنِي وَمَا . .
أَظْلُبُ، إِنِّي لَسْتُ أَذْرِي بِمَا أَصِيبْتُ، إِلَّا أَنَّنِي بَيْنَمَا . .
أَنَا بِبَابِ الْقَصْرِ فِي بَعْضِ مَا أَظْلُبُ مِنْ قَصْرِهِمْ إِذْ رَمَى . .
شِبْهُ غَزَالٍ بِسِهَامٍ فَمَا أَخْطَأ سَهْمَاهُ وَلَكِنَّمَا . .
عَيْنَاهُ سَهْمَانِ لَهُ كُلَّمَا أَرَادَ قَتْلِي بِهِمَا سَلَّمَا

واضح أن القصيدة منحولة، فمثل هذا الشعر كان يعث به الناس في العصور المتأخرة جداً. لكن، استطرفنا الأبيات، وهي موجودة في الديوان، فنقلناها لك

٨٦ أمنية غريبة

فَيَا لَيْتَ أَنِّي حَيْثُ تَذْنُو مَنِيَّتِي شَمَمْتُ الَّذِي مَا بَيْنَ عَيْنَيْكَ وَالْقَمِ
وَلَيْتَ سُلَيْمَى فِي الْمَنَامِ ضَجِيعَتِي لَدَى الْجَنَّةِ الْخَضِرَاءِ أَوْ فِي جَهَنَّمَ
إذا كنت مستعداً لدفع هذا الثمن الباهظ فلماذا تريدها ضجيعة في المنام فقط؟

٨٧ الثريا وسهيل

قبل زوجوا الثريا بنت علي العيشمية، حبيبة عمر، من رجل اسمه سهيل ورحل بها إلى الشام، فقال عمر:

أَيُّهَا الْمُنْكَحُ الثَّرِيَّا سُهَيْلًا عَمْرَكَ اللَّهُ كَيْفَ يَلْتَقِيَانِ

يا من زوّج الثريا بسهيل، كيف يلتقيان بحق الله؟

هِيَ شَامِيَّةٌ إِذَا مَا اسْتَقَلَّتْ وَسُهَيْلٌ إِذَا اسْتَقَلَّ يَمَانِي
الثريا مجموعة نجوم شامية، تظهر في الشمال، وسهيل نجم، يكون إذا استقلَّ وارتفع،
يمانياً جنوبياً

٨٨ لَا تَكُنْهُ

خَانَكَ مَنْ تَهَوَّى فَلَا تَخُنْهُ
وَكُنْ وَفِيًّا إِنْ سَلَوْتَ عَنْهُ
وَاسْلُوكَ سَبِيلَ وَضْلِهِ، وَضْنُهُ
إِنْ كَانَ غَدَاراً فَلَا تَكُنْهُ
أي فلا تكن أنت غداراً

عمر بن أبي ربيعة
فهرس القوافي
(القافية فرقم القطعة)

٧٧	تُوسِدِ	٥٩	جَانِبَا
٣٤	لَحْدِي	٧٣	عَذْبَا
٥٠	هِنْدِ	٥٥	وَالرَّيَابَا
٣٣	نَجْدِ	٥٤	وَتَذَهَبَا
٧٩	سِرَا	٥٧	الرَّيَابِ
٧	ضِرَارَا	٥٦	الطَّيِّبِ
٧٨	ظُهُورَا	٤٦	بِخِضَابِ
٦	مَا رَا	٥٨	عَذَابِي
١٠	مُنْكَرَا	٤٧	بِاللَّعِبِ
٨٢	أَحْذَرُ	٥٣	أَصْحَابُهُ
٨٣	الشَّعْرُ	٤٨	عَرَفَاتِ
٢	تَنْبِيرُ	٦٩	حَرِجَا
٤	عَدَرُوا	٧٤	أَحْجَجِ
١	فَمَهْجَرُ	٧٥	الْأَدْعَجِ
٣	مُبْتَدِرُ	٧٦	جَلَمَدَا
٧٢	الْخَضِرِ	٣٥	جَهْدَا
٨٠	التَّوَاضِرِ	٣٢	عِيدَا
٩	خُبِرِ	٤٩	عَدَا

٣٨	الرحيل	٨١	فاسْتَبْرَ
٣٧	التُّجْلِ	٨	والْحَجَرِ
٨٤	عُطْبُولِ	٥	وَسِوَارِ
٣٦	قَتْلِي	١١	الشَّجَرِ
٣٩	واكْتِهَالِ	٧٠	حَذَرَكَ
٨٥	أَمَا	٥١	رَامِسُ
١٨	تَصَرَّمَا	٧١	نَفْسِي
٢٤	سُجُومَا	١٢	بَلَقَعَا
١٩	أَلُومُ	١٥	الدُّمُوعُ
١٧	عَارِمُ	١٣	مَهْيَعُ
٢٣	نُعْمُ	١٤	دَعَا
٢١	يَتَكَلَّمُ	٦٧	المَلَا حِفْ
١٦	تَتَكَلَّمِ	٦٨	شَفَاهَا
٢٠	سَقِيمِ	٦٣	خُلُوقًا
٢٢	كَالْعَلَقَمِ	٦٢	طَرِيقًا
٨٦	وَالْفَمِ	٦٥	تَنْطِقُ
٢٧	أَجْنًا	٦٤	وَرَقُ
٣١	حَسَنًا	٦١	وَنُشْفِقُ
٥٢	حِينَا	٦٦	التَّلَاقِي
٢٨	الْأَعْنَ	٦٠	صَدِيقِ
٢٥	بِيَمَانِ	٤٣	جَهْلًا
٣٠	رَمَانِي	٤١	طَوِيلًا
٢٦	شَجَانِي	٤٥	طَوِيلًا
٢٩	فَأَرَقْنِي	٤٢	فَعَلَا
٨٧	يَلْتَقِيَانِ	٤٤	وَالْأَشْعَالَا
٨٨	نَخْنُهُ	٤٠	يُرْسِلَا

جميل بثينة (٤٠ هـ - ٨٢ هـ)

ترى اسم المرأة مركباً من اسم أنثى فاسم ذكر مثل «سناء جميل»، و«سعاد حسني». فيها نحن بإزاء ظاهرة مختلفة.. «جميل بثينة»، و«قيس ليلي».

جميل أن يتسمّى المرء باسم حبيته. جميل الإخلاص لمحبوبة واحدة.

عاش «جميل بن معمر» في وادي القرى بين مكة والمدينة. وهو من قبيلة عُذرة، ومنها محبوبته بثينة، وترتفع عذرة إلى قضاة وترتفع قضاة إلى مَعَدّ، فهي مضرية من عرب الشمال؛ أو ترتفع إلى حِمير، فهي يمانية من عرب الجنوب، ولأهل الأنساب في انتساب قضاة إلى اليمن أم إلى معد كلام كثير. وقبيلة «عُذرة» هي التي سُمّي الحب العذري باسمها، فقد شاءت الصدف أن يكون عدد كبير من شعراء العشق المميت من هذه القبيلة.

كان جميل شاباً طويلاً وسيماً، وكان أهله على جانب من اليسار. وكما يجب أن تكون القصة فقد عشق بثينة وهما صغيران وبادلته حباً بحب، ونما حبهما وقال فيها شعراً فمنعوه من الزواج بها. وزوجوها من آخر، فظل جميل يزورها ويقول فيها شعراً. أصابه في هذا الطور شيء من الحصار النفسي الداخلي - انتبه إلى أن هذه العبارة مني، وليس لها في علم النفس سند، ولا تحسب أننا نريد إحياء «مدرسة» التحليل النفسي للأدباء التي جعلها العقاد والنويهي تقليعة في أواسط القرن العشرين -. انحصر جميل في بثينة، ووقع في شيء شبيه بما وقع فيه مجنون ليلي من عدم القدرة على الإفلات من هذا الحصار الذي تضربه امرأة بعينها.

يقول برنارد شو إن الشبان يبالغون في مدى الفرق بين فتاة وأخرى.

وصاحبنا جميل بن معمر تضخمت في ذهنه صورة بثينة فلم يستطع إلى غيرها سيلا. وأوصل المقولة الشوثية - نسبة إلى برنارد شو - إلى غايتها.

وقف جميل شعره على بثينة. ولا نجد له فيما بين أيدينا من شعره إلا قليلاً من الفخر، ثم لا شيء إلا بثينة. ورووا في الكتب القديمة بعض القصص عن اتصاله بالخلفاء، ولعلهم ما رووا ذلك إلا ليزعموا أنه رفض مدح أحد.

لم يشكك القدماء، ولا شكك المحدثون في وجود شخصية جميل. فهو قد كان. ونقلوا لنا شيئاً من أخباره مع تلميذه وراويته كثير عزة، وبين أيدينا قصة له مع عمر بن أبي ربيعة. لكننا نشك في كثير من القصص التي أوردها صاحب الأغاني عن غرام جميل. وصدق من قال، ولعله بروكلمان، إن الكثير من أمثال هذه القصص إنما وضعت لكي توفر سياقاً لأشعار وصلت ولم يصل معها سياق.

في آخر حياته القصيرة - وعاش ٤٢ سنة - توجه جميل إلى مصر، وبها مات.

لئن شكك المشككون من القدماء في وجود شخصية قيس بن الملوح، مجنون ليلى، وجعلوا كل ما ورد من شعر عنه منحولاً، فإن لجميل شأناً آخر. قلنا إنه قد كان، فقد رأيناه تحت ضوء بعض القرائن التاريخية. على أن الدليل الأدل على وجوده شعره. فهذا الشعر الذي وصلنا عنه يمثل شخصية واضحة المعالم، إن من حيث اللغة أم من حيث المعنى.

كنا نريد أن نعقد بضع فقرات عن الشعر العذري، ولكننا وجدنا كتب المدارس قد فعلت من ذلك ما يكفي ويزيد. ووجدنا العرب يعرفون عن الشعر العذري أكثر مما يجب أن يعرفه الأسوياء. فأضربنا. والعرب في زمننا مكبوتون رجالاً ونساء.

صديق يعيش في أوروبا، مكث شهراً أو نحو ذلك في بلد عربي، وقال لي: أصبحت مشتتاً في ختام الشهر أن أرى عنق امرأة. قد مررت بشيء من ذلك عندما عشت مدة في بلاد الخليج. وقد أتيت هذه البلاد مرتين: مرة وأنا شاب غض، ومرة وأنا شيخ. وفي المرتين - وبينهما ثلاثون سنة - كان الوضع هو الوضع: لا ترى من المرأة إلا عطرها. في المرة الثانية قلت:

صُفْرَةُ الرملِ في الخليج تَغُرُّ وأنا طامعٌ، وما بي فقرُ

جئتُه يافعاً، وشعري غابٌ
ومضت سبعةً من الأشهر غادراً
وترحلتُ بعدها سنواتٍ
وأنتني الخمسونَ شمطاءً؛ عُذراً:
وتزوَّدْتُ، ليتنبي ما تزوَّدُ
حَصْبَةً أنتَ للجميع ولكن،
يا أبا النفط! هل تأذيت شيئاً
إنها شمسُك العنيفةُ تنسيب
كم بيوتٍ فتحتَها في فلسطين
بعضُهم شاكرٌ وبعضُهم مث
يسرُّ الشكرُ عورةَ الأخذ، من يش
عذٌّ عن ذا، ففي الخليج نساءٌ
خادراتُ، فانظر بأنفِكَ وارسم
كُفَّ عن ذا، بالله كُفَّ، فإن الشـ
صلعتي، سعلتي، وكرشي، وعمرى
ذات يومٍ أبيتُ صبراً على القيـ
فاتنني يا خليجُ أنك وعدٌ

وأمانني دون عقلي وقُر
تُ على إثرها، وحلقني مُر
عددَ التَّيه أنقصتُ منه عشرُ
قد أتتني وليس في الرأس شعُر
تُ، كأنني إلى الخليج أُجرُ
مزمنٌ أنتَ في: سِلٌّ وعُرُ
من لسانني، وهل أصابك ضُرُ؟
نبي، وخيرٌ من التنكُّرِ شرُ
ن، وكم من أبنائها فيك قُرُوا
لبي شاكٍ؛ هيهات ما لي عذرُ
كُر ينلُه خيرانٍ أخذٌ وسرُّ
فاتناتٌ يسبيك منهن عطرُ
صورَ الحسن، والخيالُ يسرُّ
يخَّ ضيفٌ، والعشقُ كلبٌ يهْرُ
منعتني القري، فأين المفرُ
ظ إباء، والآن كُلِّي صَبْرُ
للفتى بالغنى، وللشيخ قبرُ

وليس مزاجي بالسوداوي. فقد قضيت ست ساعات في نهار هذا اليوم الذي أكتب لك في مسائه، وأنا في جبور تام مع فتية وفتيات نتدارس أشياء عن اللغة والإعلام في دورة من تلك الدورات، وسعدت بهم سعادة غمرت ساعات نهارى وفاضت على مسائي. على أنها سعادة الشيخ الذي يفتنه حديث الشباب، ويستمتع بما يحس من زيادته عليهم في المعرفة. تلك متعة خبيثة. هذا شيء والفتون شيء آخر.

ستقرأ في شعر جميل المقبل عليك البيت «لكل حديث بينهن بشاشة، وكل قتيل عندهن شهيد». فقد كان صاحبنا شخصاً طبيعياً، يحب مجالسة النساء، ولم يكن مزاجه انتحارياً كقيس بن الملوح، غير أنه وقع في مصيدة العشق.

١ أبيات فرائد

وِدِدْتُ، وَلَا تُغْنِي الْوَدَادَةُ، أَنَّهَا نَصِيبِي مِنَ الدُّنْيَا وَأَنِّي نَصِيبُهَا

* * *

أُرِيدُ لِأَنَسَى ذِكْرَهَا، فَكَأَنَّمَا تَمَثَّلُ لِي لَيْلَى عَلَى كُلِّ مَرْقَبٍ

أريد نسيانها، ولكنها تراءى لي في كل مكان أرقبه وأراه

* * *

وَقَالُوا يَا جَمِيلُ أَتَى أَخُوهَا فَقُلْتُ: أَتَى الْحَبِيبُ أَخُو الْحَبِيبِ

* * *

أَحَقًّا عِبَادَ اللَّهِ أَنْ لَسْتُ لَا قِيًّا بُثِينَةً أَوْ يَلْقَى الثُّرَيَّا رَقِيبُهَا؟

الثريا وراقبها مجموعتان متباعدتان من النجوم

* * *

وَمَا بَكَتِ النِّسَاءُ عَلَى قَتِيلٍ بِأَشْرَفٍ مِنْ قَتِيلِ الْغَانِيَاتِ

* * *

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَنْظُرْ بِشَيْءٍ طَلَبَتْهُ فَبِعِضِّ التَّائِي فِي اللَّبَانَةِ أَنْجَحُ

اللبانة: الحاجة

أَلَا لَبِئَنِي أَعْمَى أَصَمُّ تَقُودُنِي بُثِينَةٌ لَا يَخْفَى عَلَيَّ كَلَامُهَا

* * *

لَا لَا أَبُوحُ بِحُبِّ بَثْنَةٍ إِنَّهَا أَخَذَتْ عَلَيَّ مَوَاقِفًا وَعُهُودًا

* * *

أَقْلَبُ طَرْفِي فِي السَّمَاءِ لَعَلَّهُ يُوَافِقُ طَرْفِي طَرْفَهَا حِينَ تَنْظُرُ

الطَّرف: العين والنَّظَر

* * *

أَمُوتُ وَأَلْقَى اللَّهَ يَا بَثْنُ لَمْ أَبْحَ بِسِرِّكَ، وَالْمُسْتَخِيرُونَ كَثِيرُ

* * *

وَأَنِّي لِلْمَاءِ الْمُخَالِطِ لِلْقَدَى إِذَا كَثُرَتْ وَرَادُهُ لَمَبُوفٌ

ذكر لجميل أن بشينة واصلت رجلاً آخر، فقال إنه يعاف شرب ماء خالطته الشوائب وكثر الوردون عليه

* * *

وَمَا كَانَ حُبِّهَا لِبَذْلِ رَجَوْتُهُ لَدِيهَا، فَأَخْشَى أَنْ يُعَيِّرَهُ الْبُخْلُ

لم أحبها بغرض نيل شي، لذا لن يغير بخلها بهذا «الشيء» من عواظني

* * *

وَلَسْتُ عَلَى بَذْلِ الصَّفَاءِ هَوَيْتُهَا وَلَكِنْ سَبَتْنِي بِالذَّلَالِ مَعَ الْبُخْلِ

* * *

بِأَعَاذِلِي مِنَ الْمَلَامِ دَعَانِي إِنَّ الْبَلْبِلَةَ فَوْقَ مَا تَصِفَانِ

٢ أول المودة

وَأَوَّلُ مَا قَادَ الْمَوَدَّةَ بَيْنَنَا بِوَادِي بَغِيضٍ يَا بُثَيْنَ سَبَابُ

أول لقاء بينهما حدث وهما صغيران يرعيان الأغنام في الوادي، سبها وسبته

وَقُلْتُ لَهَا قَوْلًا، فَجَاءَتْ بِمِثْلِهِ لِكُلِّ كَلَامٍ يَا بُثَيْنَ جَوَابُ

٣ نعم، يقتله

أَلَا أَيُّهَا النُّوَامُ وَنَحْكُمُ هُبُوا أَسْأَلُكُمْ هَلْ يَقْتُلُ الرَّجُلُ الْحُبَّ

استيقظوا أيها الناس وأجيبوني: هل يقتل الحب الإنسان قتلاً؟

فَقَالُوا: نَعَمْ حَتَّى يَسْلُ عَظَامَهُ وَيَتْرَكُهُ حَيْرَانَ لَيْسَ لَهُ لُبُّ

قالوا: نعم، وقبل أن يقتله يسل عظامه، أي يستلها من بين العضلات ويبرزها للعيان فيصبح الإنسان جلدًا على عظم، ثم يتركه متحيراً بلا لب، أي بلا عقل

٤ أثر الريح

إِذَا ضَرَبَتْهَا الرِّيحُ فِي الْمَرِطِ أَجْفَلْتُ مَاكُمُهَا، وَالرِّيحُ فِي الْمَرِطِ أَفْضَحُ

تهب الريح على المحبوبة وهي لابسة المرط، الثوب الواسع الذي بلا أزرار، فتجفل مآكمها، أي ترتج مؤخرتها، والريح تفضح وتجسم مع ارتداء المرط

تَرَى الزُّلَّ يَلْعَنُ الرِّيحَ إِذَا جَرَتْ وَبَشَنَةُ إِنْ هَبَّتْ لَهَا الرِّيحُ تَفْرَحُ
الرُّلُّ، أي النساء الرسحاوات التحيلات الخلفيات، يكرهن هبوب الريح لأنها تفضح نحول تلك
الأماكن من أجسامهن؛ ولا كذلك بشنة

٥ بوحه لو أبوحها

لقد ذَرَفْتُ عَيْنِي، وَطَالَ سُفُوحُهَا وَأَصْبَحَ مِنْ نَفْسِي سَقِيمًا صَحِيحُهَا
ذرفت عيني الدمع من عشق، وأصبح ما كان صحيحاً من جمي مريضاً

فلا أنا أرجو أن تَعِيشَ سَوِيَّةً ولا الموتُ فيما قد شجأها يُرِيحُهَا
لا أرجو لنفسي أن تعيش حياة سوية، ولا يأتي الموت فيريح هذه النفس

أَلَا لَيْتَنَا نَحْيَا جَمِيعًا، فَإِنْ نُمْتُ يُوَافِي لَدَى الْمَوْتِ ضَرِيحِي ضَرِيحُهَا
ليتني وبشنة نحباً مجتمعين، ونموت مجتمعين فيكون قبري قرب قبرها

فَمَا أَنَا فِي طَوْلِ الْحَيَاةِ بِرَاغِبٍ إِذَا قِيلَ قَدْ سُوِّيَ عَلَيْهَا صَفِيحُهَا
فلمست أرغب في الحياة إذا ماتت وسوِّيَ فوق قبرها الصفيح، الحجارة المبسطة

أَظَلُّ نَهَارِي لَا أَرَاهَا، وَتَلَسَّنِي مَعَ اللَّيْلِ رُوحِي فِي الْمَنَامِ وَرُوحُهَا
فهل لي في كتمان حُبِّي راحةً وهل تَنفَعُنِي بَوْحَةٌ لَوْ أَبُوحُهَا

٦ دعوة عليها

رَمَى اللَّهُ فِي عَيْنِي بِشِنَةَ الْقَدَى وَفِي الْغُرِّ مِنْ أَنْيَابِهَا بِالقَوَادِحِ
يدعو عليها بأن تصاب بالرمد، وأن تصاب أسنانها الغر، البيض، بالتسوس

رَمَتْنِي بِسَهْمِ رِيشِهِ الْكُحْلُ لَمْ يَضُرْ ظَوَاهِرَ جِلْدِي فَهُوَ فِي الْقَلْبِ جَارِحِي

٧ حَلَّتْ بَيْنَ الْجَوَانِحِ

لَمَّا أَطَالُوا عِتَابِي فِيكَ قُلْتُ لَهُمْ: لَا تُفْرِطُوا، بَعْضُ هَذَا اللُّومِ، وَاقْتَصِدُوا
بعض هذا اللوم: كفوا عن هذا اللوم

حَلَّتْ بُشِينَةُ مِنْ قَلْبِي بِمَنْزِلَةٍ بَيْنَ الْجَوَانِحِ لَمْ يَنْزِلْ بِهَا أَحَدٌ
وَعَاذِلُون لَحَوْنِي فِي مَوَدَّتِهَا يَا لَيْتَهُمْ وَجَدُوا مِثْلَ الَّذِي أَجِدُ

لحوني: لاموني، وجدوا: أصابهم الوجد والعشق

٨ أمصرَ تريد؟

أَلَا لَبِثَ أَيَّامَ الصَّفَاءِ جَدِيدٌ وَدَهْرًا تَوَلَّى يَا بُثَيْنَ بَعْدُ
ليت أيام الصفاء تتجدد، وليت الزمن الذي مضى يرجع

فَنَغْنَى كَمَا كُنَّا نَكُونُ وَأَنْتُمْ صَدِيقٌ، وَإِذْ مَا تَبْدُلِينَ زَهِيدٌ
ليتنا نغنى، نتمتع، كما كنا في الماضي، إذ كنت لي صديقة، وإذ كان ما تعطيني قليلاً

وَمَا أَنْسَمَ الْأَشْيَاءُ لَا أَنْسَ قَوْلَهَا، وَقَدْ قَرَّبْتُ نِضْوِي: أَمِصْرُ تُرِيدُ؟
لا أنسى بين كل الأشياء قولها وقد أمسكت بعنان حصاني المهزول: أتريد الذهاب إلى مصر؟
وكان جميل قاصداً عبد العزيز بن مروان لمدحه

وَلَا قَوْلَهَا: لَوْلَا الْعُيُونُ الَّتِي تَرَى أَتَيْتُكَ، فَأَعْذِرْنِي قَدَتِكَ جُدُودُ
لولا عيون القوم لكنت أتيتك للسهر قبل السفر

خَلِيلِيَّ مَا أَخْفَى مِنَ الْوَجْدِ ظَاهِرٌ قَدَمَعِي بِمَا أَخْفَى الْعَدَاةَ شَهِيدُ
ظهر للعيان ما أخفيه من العشق، ودمعي شاهد عليه

أَلَا قَدْ أَرَى وَاللَّهِ أَنَّ رُبَّ عَبْرَةٍ إِذَا الدَّارُ شَطَطَتْ بَيْنَنَا سَتَرُودُ
أرى أن العبرة، الدمعة، ستروء، أي تأتي وتسيل، إذا شطت الدار، أي ابتعدت

إِذَا قُلْتُ مَا بِي يَا بَشِينَةَ قَاتِلِي مِنَ الْوَجْدِ، قَالَتْ: ثَابِتٌ وَيَزِيدُ
تدعو لعشقه أن يثبت ويزيد

وَإِنْ قُلْتُ رُدِّي بَعْضَ عَقْلِي أَعْشَنَ بِهِ مَعَ النَّاسِ، قَالَتْ: ذَاكَ مِنْكَ بَعِيدُ
فَمَا ذُكِرَ الْخُلَّانُ إِلَّا ذُكِرْتُهَا وَلَا الْبَخْلُ إِلَّا قُلْتُ: سَوْفَ تَجُودُ

إِذَا فَكَّرْتُ قَالَتْ قَدْ اذْكُرْتُ وَدَّهَ وَمَا ضَرَّنِي بُخْلُ فَفِيمَ أَجُودُ
هي تفكر في الأمر وتقول لنفسها: قد حصلت على مرادي من ابتلائه بالعشق، فلا حاجة بي إلى أن أجود له بالوصل

فَلَا أَنَا مَرْدُودٌ بِمَا جِئْتُ طَالِبًا وَلَا حَبُّهَا فِيمَا يَبِيدُ يَبِيدُ
فلا أنا مردود، عائد، وقد حصلت على طلبي، ولا حبها يفنى مثلما تفنى الأشياء

فَأَنْفَيْتُ عَيْشِي بِانْتِظَارِي نَوَالَهَا وَأَبْلَيْتُ فِيهَا الدَّهْرَ وَهُوَ جَدِيدُ
أنفقت عمري منتظراً امتلاك قلبها، وضيعت سنواتي. والعمر نفسه يفنى رغم أن الدهر لا يفنى

وَيَحْسَبُ نِسَاوَنَ مِنَ الْجَهْلِ أَنَّنِي إِذَا جِئْتُ إِيَّاهُنَّ كُنْتُ أَرِيدُ

لِكُلِّ حَدِيثٍ بَيْنَهُنَّ بَشَاشَةٌ وَكُلِّ قَتِيلٍ عِنْدَهُنَّ شَهِيدٌ

سبحان من ألهمك هذا البيت يا جميل!

عَلِقْتُ الْهَوَى مِنْهَا وَلِيداً فَلَمْ يَزَلْ إِلَى الْيَوْمِ يَنْمِي حُبُّهَا وَيَزِيدُ
أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَ لَيْلَةً بِوَادِي الْقَرَى! إِنِّي إِذْنُ لَسَعِيدُ
وَهَلْ أَلْقَيْنَ سُعْدَى مِنَ الدَّهْرِ مَرَّةً وَمَا رَثَ مِنْ حَبْلِ الصَّفَاءِ جَدِيدُ

السعدى: السعد، الحظ الحسن، ما رث: ما اهتمر

وَقَدْ تَلْتَقِي الْأَشْتَاتُ بَعْدَ تَفَرُّقٍ وَقَدْ تُذَرِّكُ الْحَاجَاتُ وَهِيَ بَعِيدُ
يَمُوتُ الْهَوَى مِنِّي إِذَا مَا لَقِيَتْهَا وَحَيًّا إِذَا فَارَقَتْهَا فَيَعُودُ
يَقُولُونَ جَاهِدْ يَا جَمِيلُ بِغَزْوَةٍ وَأَيَّ جِهَادٍ غَيْرُهُنَّ أُرِيدُ
لَيْتُنْ كَانَ فِي حُبِّ الْحَبِيبِ حَبِيبَهُ حُدُودٌ لَقَدْ حَلَّتْ عَلَيَّ حُدُودُ

لو كان في الحب حدود، عقوبات، إذن لوجبت علي العقوبات

٩ لا أسأل ولا أستزيد

يُكَذِّبُ أَقْوَالَ الْوُشَاةِ صُدُودُهَا وَيَحْتَازُهَا عَنِّي كَأَن لَّا أُرِيدُهَا
صدودها عني يجعل أقوال الوشاة عن عشقنا كاذبة، وهذا الصدود يحتازها عني، يستأثر بها،
فكأنني أنا لا أريدها

رَفَعْتُ عَنِ الدُّنْيَا الْمُنَى غَيْرَ وَدَّهَا فَمَا أَسْأَلُ الدُّنْيَا، وَلَا أَسْتَزِيدُهَا

١٠ حبها قضاء وقدر

لَقَدْ لَامَنِي فِيهَا أَخٌ ذُو قَرَابَةٍ حَبِيبٌ إِلَيْهِ فِي نَصِيحَتِهِ رُشْدِي
كان ابن عمه ينصحه بالابتعاد عن بشية، وكان يريد الخير له

فَقَالَ: أَفُقْ حَتَّى مَتَى أَنْتَ هَائِمٌ بِبِشْنَةٍ، فِيهَا قَدْ تُعِيدُ وَقَدْ تُبْدي
أي تعيد فيها، في ذكرها، وتبدأ من جديد فلا تفتأ تذكرها

فَقُلْتُ لَهُ: فِيهَا قَضَى اللَّهُ مَا تَرَى عَلَيَّ، وَهَلْ فِيهَا قَضَى اللَّهُ مِنْ رَدٍّ؟
قلت له: هذا قضاء الله عليّ فيها، ولا رادّ له

فَإِنْ يَكُ رُشْداً حُبُّهَا أَوْ غَوَايَةً فَقَدْ جِئْتُهُ مَا كَانَ مِنِّي عَلَى عَمْدٍ
أني الناس أمثالي أحبوا فحبهم كحبي، أم أحببت من بينهم وحدي

أَكَانَ كَذَا يَلْقَى الْمُحِبُّونَ قَبْلَنَا بِمَا وَجَدُوا أَوْ لَمْ يَجِدْ أَحَدٌ وَجَدِي؟

بما وجدوا: بما عانوا من الوجد والعشق

١١ حُبُّ أَرْزَلِيَّ أَبَدِيَّ

تَعَلَّقَ رُوحِي رُوحَهَا قَبْلَ خَلْقِنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا كُنَّا نَطَافًا وَفِي الْمَهْدِ

حبنا أزلّي، مكتوب علينا قبل أن نولد

فَزَادَ كَمَا زِدْنَا، فَأَصْبَحَ نَامِيًا وَلَيْسَ إِذَا مُتْنَا بِمُنْتَقِضِ الْعَهْدِ

وزيد مع العمر، ولا ينتهي بالموت

وَلَكِنَّهُ بَاقٍ عَلَى كُلِّ حَالَةٍ وَزَايَرُنَا فِي ظُلْمَةِ الْقَبْرِ وَاللَّحْدِ

١٢ عندما التفتت

وَمِمَّا شَجَانِي أَنَّهَا يَوْمٌ وَدَّعْتُ نَوَلْتُ وَمَاءَ الْعَيْنِ فِي الْجَفْنِ حَايِرُ

مما أحزنني أنها يوم الوداع تولت، انصرفت، ودمعها يترقق في جفنيها

فَلَمَّا أَعَادَتْ مِنْ بَعِيدٍ بِنَظَرَةٍ إِلَيَّ التِّفَافَاتُ أَسْلَمَتْهُ الْمَحَاجِرُ

فلما ابتعدت والتفتت تنظر إلي أسلمت محاجرها، يقصد عينيها، الدمع فسال

يَقُولُونَ لَا تَنْظُرْ، وَتِلْكَ بَلِيَّةٌ بَلَى، كُلُّ ذِي عَيْنَيْنِ لَا بُدَّ نَاطِرُ

١٣ أوله لهو وآخره هول

الْحُبُّ، أَوَّلَ مَا يَكُونُ، لِحَاجَةٍ نَأْتِي بِهِ وَتَسْوِفُهُ الْأَقْدَارُ

الحب - في بداياته - لحاجة، أي عناد، أي يكون خصاماً وشداً وإرخاء، ويأتي بقدر من الله لا عن إرادتنا الحرة

حَتَّى إِذَا اقْتَحَمَ الْفَتَى لُجَجَ الْهَوَى جَاءَتْ أُمُورٌ لَا تُطَاقُ كِبَارُ

فإذا ما دخل الفتى في لجج، أعماق، الحب وردت عليه أمور ما كان يتصورها ولا يطبقها

١٤ حب على الرائحة

لَا وَالَّذِي تَسْجُدُ الْجِبَاهُ لَهُ مَا لِي بِمَا دُونَ ثَوْبِهَا خَبِرُ

لا والله لم يحدث بيننا تماس على عري

وَلَا بِفِيهَا، وَلَا هَمَمْتُ بِهَا مَا كَانَ إِلَّا الْحَدِيثُ وَالنَّظَرُ

ولا حتى قبلات، ولا أنا نويت ذلك: فقط حديث ونظر

١٥ تضليل الأعداء

وَأَخِرُ عَهْدِي لِي بِهَا يَوْمٌ وَدَّعْتُ وِلَاخَ لَهَا خَدُّ مَلِيحٌ وَمَحْجَرُ
المحجر: العين. فأخر ما يتذكره منها وقد اثنت ومضت خدما الناعم وجانب عينها

عَشِيَّةً قَالَتْ: لَا تُضَيِّعَنَّ سِرَّتَا إِذَا غِبْتَ عَنَّا، وَازْعُهُ حِينَ تُذْبِرُ
قالت لي: لا تبج بجنبا، وارع، احفظه، عندما تدبر، أي تنصرف

وَأَعْرِضْ إِذَا لَاقَيْتَ عَيْنًا تَخَافُهَا وَظَاهِرُ بِيْغُضٍ، إِنَّ ذَلِكَ أَسْتَرُ
وعندما تراني مرة أخرى ويكون هناك شخص يراقبنا، فظاهر بيبغض، أي أبد أنك لي كاره، فهذا
يستر مشاعرك الحقيقية

وَقَطَّعَنِي فِيكَ الصَّدِيقُ مَلَامَةً وَإِنِّي لِأَعْصِي نَهْيَهُمْ حِينَ أُزْجَرُ
الأصدقاء قطعوني تقطيعاً بلومهم، وأنا أعصيههم عندما يزوجروني

وَأَنْتَ أَمْرٌ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ، وَأَهْلُنَا تَهَامٌ، وَمَا النَّجْدِيُّ وَالْمُتَغَوَّرُ؟
أنت من نجد وأنا من تهامة، والبون بيتنا بعيد

غَرِيبٌ إِذَا مَا جِئْتَ طَالِبَ حَاجَةٍ وَحَوْلِي أَعْدَاءٌ وَأَنْتَ مُشْهَرُ
ستكون غريباً عندما تأتينا، وحولي الأعداء، وأنت معروف لأنك غريب فالكل يحس بوجودك
فقلت: لها يا بثنْ أَوْصِيَتْ حَافِظًا وَكُلُّ أَمْرِي لَمْ يَزْعُهُ اللَّهُ مُعَوَّرُ
يا بشينة، أوصيت حريصاً بشأن التجاهل، وأما كوني مكشوفاً لهم فإن كل شخص لم يتل رعاية
من الله فهو معور، أي عوراته بادية

سَأَمْنُحُ طَرَفِي حِينَ أَلْقَاكَ غَيْرُكُمْ لِكَيْمَا يَرَوْا أَنَّ الْهَوَى حَيْثُ أَنْظَرُ
حسناً سأنظر إلى غيرك عندما آتي، حتى يحسب القوم أنني أهوى فتاة أخرى

وَأَكْنِي بِأَسْمَاءِ سِوَاكَ، وَأَتَّقِي زِيَارَتَكُمْ، وَالْحَبُّ لَا يَتَغَيَّرُ
وعندما سأحدث سأذكر أسماء أخرى، وسأمتنع عن زيارتك، ولكن الحب لا يتغير

١٦ لهن الوجا

لَهُنَّ الْوَجَا لِمَ كُنَّ عَوْنًا عَلَى النَّوَى وَلَا زَالَ مِنْهَا ظَالِعٌ وَكَسِيرُ
يدعو على النياق: ليصبهن الله بالوجا، أي الحفا وتجريح الأخفاف، فقد كن معينات لنا على
البعاد والرحيل، وليكن من هذه النياق الظالع، الأعرج، والكسير، مكسور القوائم

كَأَنِّي سُقَيْتُ السَّمَّ يَوْمَ تَحَمَّلُوا وَجَدَّ بِهِمْ حَادٍ، وَحَانَ مَسِيرُ
كَأَنِّي شَرِبْتُ سَمًا حِينَ حَمَلُوا مَتَاعَهُمْ عَلَى الْإِبِلِ، وَاسْتَعَدَّ الْحَادِي لِيَسُوقَ الْجَمَالَ بَنَشِيدِهِ، وَحَانَ
وَقْتُ الْمَسِيرِ

١٧ بِثْ عِنْدِي

وَتَقُولُ بِثْ عِنْدِي، فَذَيْتُكَ، لَيْلَةً أَشْكُو إِلَيْكَ، فَإِنَّ ذَاكَ يَسِيرُ
وَلِئِنْ جَزَيْتَ الْوَدَّ مِنِّي مِثْلَهُ إِنِّي بِذَلِكَ يَا بُثَيْنَ جَدِيرُ

١٨ عِدْمَتُكَ مِنْ حُبِّ

أَبْيَكِي حَمَامُ الْأَيْكَ مِنْ فَقْدِ إِلْفِهِ وَأَصْبِرْ؟ مَا بِي عَنْ بُثَيْنَةَ مِنْ صَبْرِ
تَقُولُ الْخِرَافَةُ إِنْ الْحَمَامُ يَنْوَحُ عَلَى فَقْدِ وَلَدِهِ، وَاسْمُ وَلَدِهِ «الْهَدْبِلُ» فَهُوَ يَبْكِي «الْهَدْبِلُ»، ثُمَّ سَمَوُ
صَوْتَ الْحَمَامِ هَدْبِلًا. فَكَيْفَ يَبْكِي الْحَمَامُ وَلَا أَبْكِي بُثَيْنَةَ؟

يَقُولُونَ: مَسْحُورٌ يُجَنُّ بِذِكْرِهَا فَأُقْسِمُ مَا بِي مِنْ جُنُونٍ، وَلَا سِحْرِ
فَأُقْسِمُ لَا أَنْسَاكَ مَا ذَرَّ شَارِقُ وَمَا حَبَّ آلٌ فِي مُلْمَعَةٍ قَفْرِ
أَقْسَمُ لَا أَنْسَاكَ مَا ذَرَّ شَارِقُ، أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ، وَمَا حَبَّ، جَرَى وَرَكُضَ، الْآلُ، أَيُّ السَّرَابِ فِي
الصَّحْرَاءِ الْمَقْفَرَةِ. وَالْمُلْمَعَةُ هِيَ الْأَرْضُ ذَاتُ السَّرَابِ

وَمَا لَاحَ نَجْمٌ فِي السَّمَاءِ مُعَلَّقٌ وَمَا أَوْرَقَ الْأَغْصَانُ مِنْ فَنَنِ السُّدْرِ
وَلَنْ أَنْسَاكَ مَا ظَهَرَ نَجْمٌ مُعَلَّقٌ فِي السَّمَاءِ، وَلَا مَا أَوْرَقَتْ أَغْصَانُ شَجَرِ السُّدْرِ

هِيَ الْبَدْرُ حُسْنًا، وَالنِّسَاءُ كَوَاكِبُ وَشَتَّانَ مَا بَيْنَ الْكَوَاكِبِ وَالْبَدْرِ
لَقَدْ فَضَّلْتُ حُسْنًا عَلَى النَّاسِ مِثْلَمَا عَلَى أَلْفِ شَهْرٍ فَضَّلْتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ
عِدْمَتُكَ مِنْ حُبِّ، أَمَّا مِنْكَ رَاحَةٌ وَمَا بِكَ عَنِّي مِنْ تَوَانٍ وَلَا فَتْرِ
عِدْمَتُكَ أَيُّهَا الْحُبُّ، أَلَا أَسْتَرِيحُ مِنْكَ؟ أَلَا تَتَوَانَى وَتَفْتَرُ وَتَخْفُ

١٩ إَحْيَاءُ الْمَوْتَى

مَضَى لِي زَمَانٌ لَوْ أُخْجِرُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَيَاتِي خَالِدًا آخِرَ الدَّهْرِ . .
لَقُلْتُ ذَرُونِي سَاعَةً وَبُثَيْنَةَ عَلَى غَفْلَةِ الْوَاشِينَ، ثُمَّ اقْطَعُوا أَمْرِي
لَوْ خَيْرَ بَيْنَ الْخُلُودِ وَبَيْنَ بُثَيْنَةَ لَقُلْتُ: اتْرَكُونِي سَاعَةً مَعَ بُثَيْنَةَ شَرَطَ أَنْ يَغْفَلَ عَنِّي الْوَاشُونَ،
ثُمَّ اقْطَعُوا حَيَاتِي

مُفْلَجَةُ الْأَنْيَابِ، لو أن ريقَهَا يُدَاوِي به المَوْتَى لَقَامُوا مِنَ القَبْرِ
أَسْنَانَهَا فُرُق، وريقها يحيي القلب، فلو ذاقه الموتى لقاموا

٢٠ فكيف كبرت ولم تكبري؟

تَقُولُ بِثَبْنَةٍ لَمَّا رَأَتْ قُنُوناً مِنَ الشَّعْرِ الْأَحْمَرِ..
رأنتي قد خضبت شعري بالحناء، فقالت..

كَبِرْتُ جَمِيلٌ وَأَوْدَى الشَّبَابُ فَقُلْتُ: بُثْنِنِ أَلَا فَأَقْصِرِي
قد كبرت وأودى، أي ذهب، الشباب، فقلت لها: أقصري، وكفي عن هذا

أَمَّا كُنْتُ أَبْصَرْتَنِي مَرَّةً لِبَالِي نَحْنُ «بِذِي جَوْهَرٍ»
ألم تبصرتني مرة عندما كنا في «ذي جوهر»

لِبَالِي أَنْتُمْ لَنَا جِيرَةٌ أَلَا تَذْكُرِينَ؟ بَلَى فَاذْكُرِي
عندما كنتم جيراناً لنا، تذكري جيداً

وَإِذْ لِمَتْنِي كَجَنَاحِ الْغُرَابِ تُضْمَخُ بِالْمِسْكِ وَالْعَنْبَرِ
كانت لمتني، أي شعري، كجناح الغراب لسوادها، وكنت أضمخ شعري بالطيب من مسك وعنبر

قَرِيبَانِ مَرْبَعُنَا وَاحِدٌ فَكَيْفَ كَبِرْتُ وَلَمْ تَكْبِرِي؟
كنا متقاربين سكناً - وعمرأ أيضاً - فكيف كبرت أنا ولم تكبري؟

٢١ سحابة لا تمطر

يَا لَيْتَنِي أَلْقَى الْمَنِيَّةَ بَغْتَةً
لَا تَحْسَبِي أَنِّي هَجَرْتُكَ طَائِعاً حَدَّثَ لَعْمُرُكَ رَائِعٌ أَنْ تُهْجَرِي
حدث رائع: يروع القلب ويخيفه

يَهْوَاكِ مَا عَشْتُ الْفَوَاذُ فَإِنْ أُمْتُ يَتَّبَعُ صَدَايَ صَدَاكِ بَيْنَ الْأَقْبَرِ
لو متنا فسوف يتبع صدائي صداك، يقصد روحي تتبع روحك. وكانت العرب تظن أن طائراً يسمونه
الهامة يخرج من قبر القتيل ويصرخ بصوت هو الصدى، ويظل يصيح اسقوني، ولا يكف إلا إذا
أخذ بثأر القتيل

إِنِّي إِلَيْكَ بِمَا وَعَدْتَ لَنَاظِرٌ نَظَرَ الْفَقِيرِ إِلَى الْغَنِيِّ الْمُكْثِرِ
إني ناظر، أي متظر ما وعدت به، وأنا كالفقير الذي ينظر إلى الغني منتظراً عطاءه

ما أنتِ والوَعْدَ الذي تَعِدِينِي إِلَّا كَبَرَقِ سَحَابَةٍ لَمْ تُمَطِّرِ
أنتِ كسحابة، ووعدك كالبرق الذي يشر بالمطر، ثم لا يأتي مطر

٢٢ لن يمنعوني البكاء

فَإِنْ يَحْجُبُوهَا، أَوْ يَحُلْ دُونَ وَصْلِهَا مَقَالَةً وَاشِ، أَوْ وَعِيدُ أَمِيرٍ..
إن حجبوها، أو حال دون لقيها قول من واش، أو تهديد من أمير..

فَلَنْ يَحْجُبُوا عَيْنِي عَنْ دَائِمِ الْبُكَاءِ، وَلَنْ يَمْلِكُوا مَا قَدْ يُجِنُّ ضَمِيرِي
فلن يمنعوني من البكاء، ولن يتحكموا بما يخفي ضميري من مشاعر

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو مَا أَلاَقِي مِنَ الْهَوَى وَمِنْ حُرْقٍ تَعْتَاذُنِي، وَزَفِيرِ
الحرق: جمع حُرقة، شيء يعرفه مَنْ جَرَّه

٢٣ يَا رَبِّ حَبِّبْنِي إِلَيْهَا

إِذَا قُلْتُ هَذَا حِينَ أَسْلُو ذَكَرْتُهَا تَظَلُّ لَهَا نَفْسِي تَتَوَقُّ وَتَنْزِعُ
إذا قلت: الآن أنسى ذكرها تظل نفسي تتوق، وتشتاق، وتميل إليها

أَلَا تَتَّقِينَ اللَّهَ فِي قَتْلِ عَاشِقٍ لَهُ كِبْدٌ حَرَّى عَلَيْكَ تَقَطَّعُ
فَأَصْبَحْتُ مِمَّا أَحْدَثَ الدَّهْرُ مُوجِعاً وَكُنْتُ لِرَيْبِ الدَّهْرِ لَا أَتَخَشَّعُ
أصبحت متوجعاً من أحداث الزمن رقيق المشاعر مرتبكاً قلقاً، وكنت لا أتخضع، كنت صلباً لا
أذعن للمصائب

فَيَا رَبِّ حَبِّبْنِي إِلَيْهَا، وَأَعْطِنِي الـ مَوَدَّةَ مِنْهَا، أَنْتَ تُعْطِي وَتَمْنَعُ
وَالْأَفْصَرُ بِنِي، وَإِنْ كُنْتُ كَارِهاً فَإِنِّي بِهَا يَا ذَا الْمَعَارِجِ مُولِعُ
إن لم تكتب يا رب الوصال، فصبّرني على فراقها، وإن كنت أكره هذا الصبر لأنني بها مولع
يا ذا المعارج، العلو

جَزِعْتُ غَدَاةَ الْبَيْنِ لَمَّا تَحَمَّلُوا وَمَا كَانَ مِثْلِي يَا بُيُوتَةَ يَجْزَعُ
فلقت صبيحة الفراق عندما حملوا أمتعتهم للرحيل، ولم أكن جزوعاً

تَمَتَّعْتُ مِنْهَا يَوْمَ بَأَنُوا بِنَظَرَةٍ وَهَلْ عَاشِقٌ مِنْ نَظَرَةٍ يَتَمَتَّعُ

٢٤ الحب المتحرك

لا خَيْرَ فِي الْحُبِّ وَفَقاً لَا تُحَرِّكُهُ عَوَارِضُ الْيَأْسِ أَوْ يَرْتَاخُهُ الطَّمَعُ
لا حلاوة للحب بدون حركة: بدون ما يعترض طريقه أحياناً من يأس، وبدون ما يروح ويغدو عليه
من طمع في الوصال

لو كان لي صَبْرُهَا أَوْ عِنْدَهَا جَزَعِي لَكُنْتُ أَمْلِكُ مَا آتِي وَمَا أَدْعُ
لو كنت صبوراً على بعدها كصبرها على بعدي، أو لو كان عندها ما عندي من قلق وتوتر، لكنت
ملكتم زمام أمري.. لكن الحال أن كل المعاناة عندي وهي غير عابثة

إِذَا دَعَا بِاسْمِهَا دَاعٍ لِيُبْحِرَ نَسِي كَادَتْ لَهُ شُعْبَةٌ مِنْ مُهْجَتِي نَقَعُ
لا أَحْمِلُ اللُّومَ فِيهَا وَالْغَرَامَ بِهَا لَا حَمَلَ اللَّهُ نَفْساً فَوْقَ مَا تَسَعُ
أتحمل لوم اللاتمين، وأتحمل الغرام.. فهذا ألم مضاعف

٢٥ حماء المدامع

كَلِيفْتُ بِحَمَائِ الْمَدَامِعِ طِفْلَةً حَبِيبٍ إِلَيْنَا قُرْبُهَا لَوْ تُنَاصِفُ
أغرمت بطفلة سوداء المآقي، من كحل رباني، وكنت أحب قريبها لو أنها منصفة وتبادلني حباً
مِنَ اللَّفِّ أَفْخَاذاً، إِذَا مَا تَقَلَّبْتُ مِنَ اللَّيْلِ وَهْنًا أَثْقَلْتُهَا الرُّوَادِفُ
ملفوفة الفخذين، وعندما تتقلب في نومها تحس بثقل لضخامة مؤخرتها

٢٦ فخر

فَإِنْ تَسْأَلِي يَا بَشَرَ عَنَّا فَإِنَّا لَنَا الْمَجْدُ قَدَمًا، وَالْعَدِيدُ الْمُضْعَفُ
مجدنا قديم، وعشيرتنا كبيرة

فُضَاعَةُ قَوْمِي، إِنْ قَوْمِي دُؤَابَةٌ بِفَضْلِ الْمَسَاعِي فِي الْمِلَمَاتِ تُعْرِفُ
قومي قضاة هم الذؤابة، القمة، وهي مشهورة بالمساعي في الملمات، التصدي للمصائب
وَكُنَّا إِذَا مَا مَعَشَرُ أَجْحَفُوا بِنَا وَمَرَّتْ جَوَارِي طَيْرِهِمْ، وَتَعَيَّفُوا
إذا ظلمنا قوم، ونووا قتالنا، فتعيفوا، أي أطلقوا الطيور ليحددوا، بحسب اتجاهها يميناً أو
شمالاً، وقتاً يتفاءلون به للإغارة علينا

وَضَعْنَا لَهُمْ صَاعَ الْقِصَاصِ رَهِيْنَةً بِمَا سَوْفَ نُؤْفِيهَا إِذَا النَّاسُ طَفَفُوا
أعدنا لهم صاعاً، مكياًلاً، من القصاص، ونعطيهم الصاع وافيّاً غير مطفف، غير ناقص
كما يفعل بعض الناس

تَرَى النَّاسَ مَا سِرْنَا يَسِيرُونَ خَلْفَنَا وَإِنْ نَحْنُ أَوْمَانَا إِلَى النَّاسِ وَقَفُوا

الناس يتبعوننا لأننا السادة، وإذا أشرنا بالوقوف وقفوا. قيل إن هذا البيت سرقه الفرزدق من جميل

فَأَيُّ «مَعَدَّةٍ» كَانَ فَيءٌ رِمَاحِهِ كَمَا قَدْ أَفَأْنَا؟ وَالْمُفَاخِرُ يُنْصِفُ

فأي قبيلة في قبائل «معدّة» كانت غنائم رماحهم مثل غنائم رماحننا؟ والذي يفاخر عليه أن يكون منصفاً

بَرَزْنَا وَأَضَحَرْنَا لِكُلِّ قَبِيلَةٍ بِأَسْيَافِنَا، إِذْ يُؤَكِّلُ الْمُتَضَعُّفُ

برزنا في الصحراء يسوفنا ولم نأخذ استحكاماً وراء جبال، والضعيف يُهزم ويُتهب ماله

وَنَحْنُ حَمِينَا يَوْمَ مَكَّةَ بِالقَنَا قُصِيًّا، وَأَطْرَافُ القَنَا تَتَقَصِّفُ

وفي الماضي البعيد حمينا قصي بن كلاب زعيم قريش في حرب كانت الرماح فيها تقصف

فَحَطْنَا بِهَا أَكْنَافَ مَكَّةَ بَعْدَمَا أَرَادَتْ بِهَا مَا قَدْ أَبَى اللّهُ «خِنْدِفُ»

حمينا بالرماح جوانب مكة عندما تكالبت عليها قبائل خندف. المقصود ما جرى بين قريش وخزاعة في الزمن القديم

٢٧ الرعايب

وَبِيضِ رَعَايِبٍ تُثْنِي خُصُورَهَا إِذَا قُمْنَ أَعْجَازٌ يُقَالُ وَأَسْوُقُ

ما يجعل خصور هؤلاء الفتيات البيض الرعايب، الناعمات، تثني عند قيامهن هو مؤخراتهن الضخمة وسيقانهن الممتلئة. قد كنت تجرات وسألت فتاة يوماً: كيف تتحرك أجسامكن هكذا إذ ترقصن في الأعراس؟ تلك مهارة عجيبة. فقالت لي: ليس ثمة من مهارة، نحن نحرك الجزء السفلي الثقيل أدنى حركة، فيهتز الجسم كله، فشكرت الله شكر اليهودي المتدين الذي يصحو كل صباح فأول ما يفعله أن يشكر الله أن خلقه ذكراً

غَرَائِرَ لَمْ يَلْقَيْنَ بُؤْسَ مَعِيشَةٍ يُجَنُّ بِهِنَّ النَّاطِرُ الْمُتَنَوِّقُ

فتيات غرائر، أي بريئات، منتعمات لم يعرفن الفقر، والناظر المتنوق، صاحب المزاج، يجن بهن جنوناً

٢٨ فراق

مَنَعَ النُّومَ شِدَّةَ الإِسْتِيَاقِ وَادِّكَارَ الْحَبِيبِ يَوْمَ الْفِرَاقِ

اذكار: تذكّر

لَيْتَ شِعْرِي إِذَا بُشِينَةُ بَانتْ هَلْ لَنَا بَعْدَ بَيْنِهَا مِنْ تَلَاقٍ

ولقد قُلْتُ يَوْمَ نَادَى الْمُنَادِي مُسْتَحِجًّا بِرِخْلَةٍ وَإِنِّطْلَاقٍ . .

عندما نادى نادى قومها بالرحيل وهو يحث القوم للاستعداد والانطلاق قلت: . .

لَيْتَ لِي الْيَوْمَ يَا بَثِينَةُ مِنْكُمْ مَجْلِسًا لِلدَّوَادِعِ قَبْلَ الْفِرَاقِ
. . ليتني أجلس معك للدواع

٢٩ لَعَلَّهَا

وَبَيْنَا جِبَالَ ذَاتُ عَقْدٍ لِبَثْنَةٍ أَتَيْحَ لَهَا بَعْضُ الْغَوَاةِ فَحَلَّهَا
بيننا، أي بينما، كانت بيننا جبال معقودة، علاقة وثيقة، وجاء بعض الغواة الضالون فحلوها
وَقَالُوا نَرَاهَا يَا جَمِيلُ تَبَدَّلَتْ وَغَيَّرَهَا الْوَاشِي، فَقُلْتُ لَعَلَّهَا
يقولون لي تغيرت لما سمعت من الواشي، فقلت: ربما!

٣٠ جميل ينصح قلبه

أَلَا مَنْ لِقَلْبٍ لَا يَمَلُّ فَيَذْهَلُ أَفْقُ فَالْتَّعَزَّيْ عَنْ بُثِينَةَ أَجْمَلُ

من ذا يساعد قلباً لا يمل من الغرام ولا يذهل عنه، لا ينسأه؟ أفق يا قلبي فسيان بثينة أحسن
لحالك. وقال هذه القصيدة بعد أن كلمه أبوه وقال له إن بثينة تستهويك وتبدي لك الحب، ولكنها
تعود إلى زوجها كما تعود كل امرأة إلى زوجها، فعزم جميل على أن ينقطع عنها

سَلَا كُلُّ ذِي وُدٍّ عَلِمْتُ مَكَانَهُ وَأَنْتَ بِهَا حَتَّى الْمَمَاتِ مُوَكَّلُ
كل محب عرفته أحب ثم نسي، وأنت يا قلبي كأنك مكلف بحبها حتى الممات

فَمَا هَكَذَا أَحْبَبْتَ مَنْ كَانَ قَبْلَهَا وَلَا هَكَذَا فِيمَا مَضَى كُنْتَ تَفْعَلُ
يا قلبي! لم تكن تحب بهذه الطريقة الجنونية من قبل

فِيَا قَلْبُ دَعْ ذِكْرِي بِثِينَةَ إِنَّهَا، وَإِنْ كُنْتَ تَهَوَّاهَا، تَضِضْ وَتَبْخَلْ
اتركها يا قلبي، فهي ضئيلة بخيلة بالوصل

وَقَدْ أَيَّاسْتُ مِنْ نَيْلِهَا وَتَجَهَّمْتُ وَلَلْيَاسُ إِنْ لَمْ يُقَدَّرِ النَّيْلُ أَمْثَلُ
وقد أوصلتك إلى اليأس من نيل حبها، واليأس أفضل لك عندما يتعذر الوصال

وَأَنَّ الَّتِي أَحْبَبْتَ قَدْ حِيلَ دُونَهَا فَكُنْ حَازِمًا، وَالْحَازِمُ الْمُتَحَوِّلُ
وقد حال قومها بينك وبينها، فتحول عنها فهذا هو الحزم

۳۱ ولو قُطعت رجلی

ولو أن ألفاً دونَ بَشَنَةِ كُلِّهِمْ غِيَارَى، وَكُلُّ حَارِبٍ مُزْمِعٌ قَتْلِي..

لو كان حول بشينة ألف رجل يغارون عليها ، وكلهم متنمّر ينوي أن يقتلني . .

لَحَاوَلْنُهَا إِمَّا نَهَاراً مُجَاهِراً وَإِمَّا سُرَى لَيْلٍ، وَلَوْ قُطِعَتْ رِجْلِي

لحاولت وصلها إما في وضوح النهار، وإما بسير الليل نحوها، ولو قطعت رجلى في المحاولة

۳۲ طلابیہا لما فات من عقلی

لَقَدْ فَرِحَ الْوَاشُونَ أَنْ صَرَمَتْ حَبْلِي بُشِينَةً، أَوْ أَبَدَتْ لَنَا جَانِبَ الْبُخْلِ

فرح الواشون عندما صرمت بشينة جبلى، أي قطعت العلاقة، أو بدا منها بخل بوذها

بِقَوْلُونَ مَهْلًا بِأَجْمِيلٍ، وَإِنِّي لَأَتُسِّمُ مَا لِي عَنْ بَشِيئَةٍ مِنْ مَهْلٍ

أَجْلَمًا! فَقَبْلَ الْيَوْمِ كَانَ أَوَانُهُ، أَمْ اخْشَى! فَقَبْلَ الْيَوْمِ أُوْعِدْتُ بِالْقَتْلِ

أَتَعْقِلُ! كَانَ هَذَا مُمْكِنًا قَبْلَ الْعَشَقِ. أَمْ أَخْشَى؟ لَنْ أَخْشَى، وَكُنْتُ سَابِقًا هُذِّدْتُ بِالْقَتْلِ وَلَمْ أَخْشَ ذَلِكَ

لَقَدْ أَنْكَحُوا حَرْبِي «نُبَيْهَا» طَعِينَةً لَطِيفَةً طَيِّبُ الْبَطْنِ ذَاتَ شَوَى خَذَلِ

لقد رُجوا حربي، أي خصمي، نُبهاً ظعينة، أي فتاة، لطيفة طي البطن، أي ضامرة البطن، ذات

شوى خدل، ذات أطراف ممتلئة، وكانوا - وأيضاً كُنّا - يحبون الساق الممتلئة والذراع العَبلة

الممتلئة.. فيها قد عرفنا معنى اسم «عيلة»!

وَكَمْ قَدْ رَأَيْنَا سَاعِيًا بِنَمِيمَةٍ لَا خَرَ لَمْ يَغْمَذْ بِكَفٍّ وَلَا رِجْلٍ

كثيراً ما رأينا واشياً يسعى بالنميعة لآخر لم يفعل شيئاً

إذا ما تراجعنا الذي كان بيننا جرى الدمع من عيني بشنة بالكحل

إذا استعرضنا ما جرى بيننا بكت بدمع أسال كحلها. لا يقولنَّ أحد إن هذا خيال شاعر.. من قال

هذا البيت لا يد أنه شهد هذا الموقف

أَلَا أَيُّهَا الْبَيْتُ الَّذِي حَبَّلَ دُونَهُ بَنَا أَنْتَ مِنْ بَيْتٍ، وَأَهْلَكَ مِنْ أَهْلِ

يا بيتها الذى حيل بينى وبينه الآن، أفديك بنفسى وأفدي أهلك

كَلَانَا بِكَى، أَوْ كَادَ يَبْكِي صَبَابَةٌ إِلَى الْفِهِ، وَاسْتَعَجَلْتُ عِبْرَةً قَبْلِي

کلانا بکی، او کاد، لفرط العشق لحییہ، بل ہی بکت قبلی

فَلَوْ تَرَكْتُ عَقْلِي مَعِيَ مَا طَلَبْتُهَا وَلَكِنْ، طَلَبْتُهَا لِمَا فَاتَ مِنْ عَقْلِي

لو تركت في عقلاً لكففت عنها بعد زواجها، لكنني لا أكف لأن عقلي لم يعد معي

فإن وُجِدَتْ نَعْلٌ بِأَرْضٍ مَضَلَّةٍ مِنْ الدَّهْرِ يَوْمًا فَاعْلَمْ بِأَنَّهَا نَعْلِي
فإن وجد أحدهم نعلًا ملقاة في أرض مقفرة يضل فيها المرء، فاعلمي أنها نعلي وأنتي همت على وجهي.. وأكلتني الصحراء

أَجِدِّي لَا أَلْقَى بُشِينَةً مَرَّةً مِنْ الدَّهْرِ إِلَّا خَائِفًا أَوْ عَلَى رَحْلِ
أعقول أنتي لن ألقى بشينة أبدًا إلا وأنا خائف، أو مارًا مروراً وأنا راكب جملي؟

خَلِيلِي فِيمَا عِشْتُمَا هَلْ رَأَيْتُمَا قَتِيلًا بَكَى مِنْ حُبِّ قَاتِلِهِ قَبْلِي
أفني أمْ عَمَرُو تَعَذَّلَانِي هُدَيْتُمَا؟ وَقَدْ تَيَمَّتْ قَلْبِي، وَهَامَ بِهَا عَقْلِي
أَبَيْتُ مَعَ الْهَلَاكِ ضَيْفًا لِأَهْلِيهَا وَأَهْلِي قَرِيبُ مُوسِعُونَ ذَوُو فَضْلٍ
أبيت مع الصعاليك على أطراف منازل قومها، مع أن أهلي يسكنون قريباً وهم موسعون موسرون ولديهم زيادة من المال

٣٣ سائقة الثاقل

أَبُيِّنَ إِنَّكَ قَدْ مَلَكَتِ فَاسْجِحِي وَخُذِي بِحَظِّكَ مِنْ كَرِيمٍ وَاصِلٍ
قد ملكت قلبي يا بشينة فأسجحي، أي أحسني،
وخذي أنت حظك من الوصل

فَلَرُبَّ عَارِضَةٍ عَلَيْنَا وَصَلَهَا بِالْجِدِّ تَخْلِطُهُ بِقَوْلِ الْهَازِلِ..
فرب فتاة عرضت علينا وصلها بكلام فيه مزيج من الجد والمزاح..

فَأَجَبْتُهَا بِالْقَوْلِ بَعْدَ تَسْتَرْ حُبِّي بِشِينَةٍ عَنْ وَصَالِكَ شَاغِلِي
فقلت لها بعد أن ترددت قليلاً إن حبي لبشينة يشغلني عن وصلك

لَوْ كَانَ فِي صَدْرِي كَقَدْرِ قَلَامَةٍ وَصَلْتِكَ كُتُبِي أَوْ أَتَتْكَ رَسَائِلِي
ولو كان في صدري فراغ بقدر قلامة الظفر لكنت واصلتك وجاءتك رسائلني

وَيَقُولَنَّ: إِنَّكَ قَدْ رَضِيتَ بِبَاطِلٍ مِنْهَا، فَهَلْ لَكَ فِي اجْتِنَابِ الْبَاطِلِ
تقول لي العاذلات إنني رضيت بالباطل الذي هو غرامي بك

وَلَبَاطِلٌ مِمَّنْ أَحَبُّ حَدِيثِهِ أَشْهَى إِلَيَّ مِنَ الْبَغِيضِ الْبَازِلِ
ولكن الباطل من شخص أحب حديثه أشهى إليّ من الشخص البغيض الكريه ولو أنه يمنحني ويذل لي ما أريد

صَادَتْ فُؤَادِي يَا بُثَيْنَ حَبَالُكُمْ يَوْمَ «الْحَجُونِ»، وَأَخْطَأْتُكَ حَبَائِلِي
لما رأيتك في ذلك المكان وقعت في شراكك، ولكك أنت لم تقعي في شراكي
وَتَشَاقَلْتُ لَمَّا رَأْتُ كَلْفِي بِهَا أَحْبَبَ إِلَيَّ بِذَاكَ مِنْ مُتَشَاقَلِ
يقول المثل «الثقل صنعة»

وَأَطْعَمْتُ فِيَّ عَوَازِلًا فَهَجَرْتَنِي وَعَصَيْتُ فِيكَ، وَقَدْ جَهَدَنْ، عَوَازِلِي
طاوعت أنت العاذلات، أما أنا فقد اجتهدت عاذلاتي في ثني عنك وعصيتهن
يَعْضَضُنْ مِنْ غَيْظٍ عَلَيَّ أَنَامِلًا وَوَدِدْتُ لَوْ يَعْضَضُنْ صُمَّ جَنَادِلِ
الجنادل: الصخور

وَيَقُلْنَ إِنَّكَ يَا بُثَيْنَ بِخَيْلَةٍ نَفْسِي فِدَاؤُكَ مِنْ ضَنِينِ بَاخِلِ

٣٤ أقل من القليل

أَيَا رِيحَ السَّمَالِ أَمَا تَرِنِي أَهِيْمُ، وَأَنْنِي بَادِي النُّحُولِ
هَبِي لِي نَسَمَةً مِنْ رِيحِ بَثْنِ وَمُنِّي بِالْهُبُوبِ إِلَى جَمِيلِ
وَقُولِي: يَا بُثَيْنَةُ حَسْبُ نَفْسِي قَلِيلُكَ أَوْ أَقْلُ مِنَ الْقَلِيلِ
قولي أيتها النسمة: يا بثينة يكفيني منك القليل

٣٥ بكر النعي

قيل: هذا آخر ما قاله..

بَكَرَ النَّعْيُ، وَمَا كُنِّي، بِجَمِيلِ وَثَوَى بِمَضَرٍ ثَوَاءً غَيْرِ قُفُولِ
جاء خبر موت جميل صباحاً، وورد فيه الاسم صراحة بلا تعريض، وثوى، أي أقام جميل في
مصر إقامة دائمة ليس بعدها قفول، أي عودة

وَلَقَدْ أَجْرُ الذَّيْلِ فِي وَادِي الْقَرَى نَشْوَانٌ بَيْنَ مَزَارِعٍ وَنَخِيلِ
مضى زمن كنت فيه أنبخت في وادي القرى بمكة وأجر ذيل ثوبي سعيداً بين النخيل

قُومِي بُثَيْنَةُ فَاثْدُبِي بِعَوِيلِ وَابْكِي خَلِيلَكَ دُونَ كُلِّ خَلِيلِ
وقيل إن بثينة قالت عندما جاءها نعيه:

سَوَاءٌ عَلَيْنَا يَا جَمِيلَ بَنَ مَعْمَرٍ إِذَا مَتَّ بِأَسَاءِ الْحَيَاةِ وَلَيْسَ لَهَا

٣٦ مغامرة بريئة

رَسْمُ دَارٍ وَقَفْتُ فِي طَلَلِهِ كِدْتُ أَقْضِي الْعَدَاةَ مِنْ جَلَلِهِ
وقفت ببقايا الدار التي رحل عنها الحبيب،
وكدت أقضي لجلل، لهول، الموقف

واقفاً في ديارٍ «أُمَّ جُسَيْرٍ» مِنْ ضَحَى يَوْمِهِ إِلَى أُصْلِهِ
وقفت طول اليوم من الضحى إلى الأصيل قبيل الغروب في ديار «أم جسير» أخت بئنة
بينما هُنَّ بِالْأَرَاكِ مَعاً إِذْ بَدَأَ رَاكِبٌ عَلَى جَمَلِهِ
يتذكر الأيام الخوالي: بينما كانت الفتيات في واد فيه شجر الأراك، ظهر راكب على جملة
فَتَأَطَّرْنَ، ثُمَّ قُلْنَ لَهَا: أَكْرَمِيهِ حُبِّيتٍ فِي نُزُلِهِ
فتشين دلالاً وقلن لبئنة: أكرمي نزوله بطعام

فَطَلَلْنَا بِنِعْمَةٍ، وَاتَّكَأْنَا وَشَرَبْنَا الْحَلَالَ مِنْ قُلَلِهِ
فمكثنا سعداء متكئين، وشربنا ماء من القلل، الجرار..
كناية عن التمتع بالمتع البريئة

قَدْ أَصُونُ الْحَدِيثَ دُونَ خَلِيلٍ لَا أَخَافُ الْأَذَاةَ مِنْ قَبَلِهِ
قد أصون الحديث، وأخفيه، عن صاحب رغم عدم خوفي من أذاه
وخليلٍ صَافَيْتُ مُرْتَضِياً وَخَلِيلٍ فَارَقْتُ مِنْ مَلَلِهِ
ورب صاحب أصفيه مودتي، وصاحب آخر أمله وأفارقه

٣٧ لقاء في المنام

شَهِدْتُ بِأَنِّي لَمْ تَغَيِّرْ مَوَدَّتِي وَأَنِّي بِكُمْ حَتَّى الْمَمَاتِ ضَنِينُ
لم تتغير مودتي، وأنا ضنين، أي حريص، على هذا الحب حتى الممات
وَأَنْ فُؤَادِي لَا يَلِينُ إِلَى هَوَى سِوَاكَ، وَإِنْ قَالُوا: بَلَى سَيَلِينُ
وفؤادي لن يعيل لغيرك مهما قالوا

وَإِنِّي لِأَسْتَعْشِي، وَمَا بِي نَعْسَةٌ لَعَلَّ لِقَاءَ فِي الْمَنَامِ يَكُونُ
أستعشي، أتكلف النوم، وما بي من نعاس، حتى أراك في منامي

٣٨ أنا وهي وقومها

ولو أَرْسَلْتُ يَوْماً بُشِينَةً تَبْتَنِي يَمِينِي، ولو عَزَّتْ عَلَيَّ يَمِينِي..
لَأَعْطَيْتُهَا مَا جَاءَ يَبْغِي رَسُولَهَا وَقُلْتُ لَهَا بَعْدَ الْيَمِينِ سَلِينِي

سليبي: اسأليني

ولستُ، وإنْ عَزَّتْ عَلَيَّ، بِقَائِلٍ لَهَا بَعْدَ صَرْمٍ: يَا بُشَيْنَ صَلِينِي
حتى وإن كانت بشينة عزيزة علي، فلن أطلب منها الود بعد الصرم، أي القطيعة

فَلَيْتَ رِجَالاً فِيكَ قَدْ نَذَرُوا دَمِي وَهَمُّوا بِقَتْلِي يَا بُشَيْنَ لَقُونِي
ليت هؤلاء الذي أهدروا دمي وحاولوا قتلي لقوني

إِذَا مَا رَأَوْنِي مُقْبِلاً مِنْ ثَنِيَّةٍ يَقُولُونَ: مَنْ هَذَا؟ وَقَدْ عَرَّفُونِي
الثنية: الطريق

يَقُولُونَ لِي أَهْلاً وَسَهْلاً وَمَرْحَباً وَلَوْ ظَفَرُوا بِي سَاعَةً قَتَلُونِي
وكيف! ولا تُوفِي دِمَاؤُهُمْ دَمِي وَلَا مَالُهُمْ ذُو كُثْرَةٍ فَيَدُونِي
كيف لهم أن ينفذوا تهديدهم، وهم ليسوا لي بأكفاء في الدم، فقومي سيأخذون ثأري في مقتلة
عظيمة، والأعداء لا يملكون من المال ما يكفي ليدوني، ليدفعوا ديتي

تَجَنَّى عَلَيَّ الذَّنْبَ أَهْلِي وَأَهْلُهَا وَلَوْ عَرَفُوا وَجَدِي بِهَا عَذَرُونِي
الوجد: شدة العشق

٣٩ أرجوزة عاشق

أُبْكِي، وَمَا يُدْرِيكَ مَا يُبْكِينِي
أُبْكِي حِذَارَ أَنْ تُفَارِقِينِي
إِنَّ بَنِي عَمِّكَ أَوْعَدُونِي
أَنْ يَقْطَعُوا رَأْسِي إِذَا لَقُونِي

٤٠ إنقاذ الغزالة

عَلَى الدَّارِ الَّتِي لَيْسَتْ بِلَاهَا قَفَا يَا صَاحِبِي فَسَائِلَاهَا
قفا يا صاحبي عند الدار التي ليست حلّة جديدة هي حلّة البلى، الدثور والخراب، واسألاها

وقد طالَبْتُهَا حَتَّى مَلَلْنَا مَوَاعِدَهَا وَأَعْيَانَا مُنَاهَا
طالبت بشينة بتحقيق وعودها، ولكن أتعبنا تمنى ذلك

فَمَا جَادَتْ لَنَا حَتَّى وَرَدْنَا حَيَاضَ الْمَوْتِ أَوْ كِدْنَا نَرَاهَا
فما جادت لنا حتى وردنا أحواض الموت أو كدنا

ذَكَرْتُكَ إِذْ رَأَيْنَا أُمَّ خَشْفٍ «بِذِي ضَالٍ» تَرِيعُ إِلَى طَلَاهَا
تذكرتك عندما رأينا غزالة مع خشفها، صغيرها، في ذلك المكان وهي تريع، أي ترجع، لتلازم
طلاها، أي صغيرها

رَأَيْنَا قَاصِدِينَ لَهَا فَوَلَّتْ أَمَامَ الْخَشْفِ مُضْطَرِباً حَشَاهَا
رأنا قاصدين لها فانصرفت ووقفت أمام صغيرها مضطربة حائرة

وَقَدْ حَفَّ الرَّمَاءُ بِجَانِبَيْهَا وَكُلُّهُمْ عَلَى حَنْقٍ يَرَاهَا
وقد أحاط رماء السهام بها من الجانبين، وهم على حنق، على استعداد، ينظرون إليها

فَجَالَتْ سَاعَةً ثُمَّ اسْتَظَلَّتْ إِلَى سَنَدٍ تُحَاوِلُ مُلْتَجَاها
تمشت قليلاً، واستندت لتلمس ملجأ

إِلَيْهِ سَاعَةً تَرْمِي بِطَرْفٍ وَأُخْرَى نَحُونَا قَلِيقاً حَشَاهَا
ترمي بنظرها إلى صغيرها حيناً، وتنظر إلينا حيناً

وَقَدْ آلَيْتُ خَشْيَتَهُمْ عَلَيْهَا أَكَلَمُ مِنْهُمْ رَجُلًا رَمَاهَا
وقد حلفت لخشيته عليها أنها لا أكلم بعد اليوم أي شخص يرميها

فَقَالُوا مَا دَهَاكَ؟ فَقُلْتُ نَفْسِي وَبَيْتَ اللَّهِ تَعْلَمُ مَا دَهَاها
وما بي فأعلموا من حُبِّي ظبي ولكنني ذكرتُ بهِ سواها
أَلَا يَا شِبْهَ ذَاتِ الْخَالِ قَرِّي بِأَرْضِكَ، لَنْ تُرَاعِي فِي رَبَاهَا
أيتها الغزالة، يا من تشبهين الحبيبة ذات الخال، اطمئني في أرضك، فلن تراعي،
لن يصيبك خوف

٤١ خذي من عمري

وَقَدْ خِفْتُ أَنْ يَغْتَرَّنِي الْمَوْتُ بَغْتَةً وَفِي النَّفْسِ حَاجَاتُ إِلَيْكَ كَمَا هَبَا
يغترني: يباغتني

وإِنِّي لَتُنْسِينِي الْحَفِظَةُ كُلَّمَا لَقَيْتُكَ يَوْمًا أَنْ أَبْتُكَ مَا بَيَا

التحفظ يجعلني أنسى أن أصارحك بحبي

وَدِدْتُ، عَلَى حُبِّي الْحَيَاةَ، لَوْ أَنَّهَا يُزَادُ لَهَا فِي عَمْرِهَا مِنْ حَيَاتِيَا

٤٢ صدق الواشون

وماذا عَسَى الْوَاشُونَ أَنْ يَتَحَدَّثُوا سِوَى أَنْ يَقُولُوا إِنَّنِي لَكَ وَامِقٌ

ماذا يمكن للواشين أن يقولوا سوى أنني لك محب عاشق

نَعَمْ صَدَقَ الْوَاشُونَ أَنْتِ كَرِيمَةٌ عَلَيْنَا، وَإِنْ لَمْ تَصُفْ مِنْكَ الْخَلَائِقُ

وقد صدقوا فأنت موضع تكريم عندي، وإن كانت طباعك لا تصفو لي

٤٣ حب بالمراسلة

وإِنِّي لَأَرْضَى مِنْ بَشِينَةٍ بِالَّذِي لَوْ ابْصَرَهُ الْوَاشِي لَقَرَّتْ بِلَابِلُهُ

أرضى من بشينة بالقليل جداً، الذي لو رآه الواشون لاطمأن بالهم واستقرت مخاوفهم

بِلا، وَبِأَنْ «لَا أَسْتَطِيعُ»، وَبِالْمُنَى وَبِالْأَمَلِ الْمَرْجُوِّ قَدْ خَابَ أَمَلُهُ

أرضى منها بكلمة «لا»، وبقولها «لا أستطيع»، وأرضى بالأمل.. لكنه أمل خائب

وَبِالنَّظَرَةِ الْعَجَلَى، وَبِالْحَوْلِ تَنْقُضِي أَوَاخِرُهُ، لَا نَلْسَقِي، وَأَوَائِلُهُ

وأرضى منها بالنظرة السريعة، ويتنقض العام من أوله إلى آخره ولا يكون بيننا لقاء

جميل بثينة
فهرس القوافي
(القافية فرقم القطعة)

١٣	الأقدارُ	٣	الحُبُّ
١	تَنْظُرُ	٢	سَبَابُ
١٢	حَائِرُ	١	الحبيبِ
١٤	خَبْرُ	١	مَرْقَبِ
١	كَنْيَرُ	١	رَقِيهَها
١٦	وَكَسِيرُ	١	نَصِيهَها
١٥	وَمَخَجَرُ	١	الغانياتِ
١٧	يَسِيرُ	٤	أَفْضَحُ
٢٠	الأخْمَرِ	١	أُنْجَحُ
١٩	الدهرِ	٦	بِالْقَوَادِحِ
٢٢	أَمِيرِ	٥	صَحِيحُها
١٨	صبرِ	١	وَعُهودا
٢١	يُقَدِّرِ	٧	وَأَقْتَصِدُوا
٢٤	الظَّمْعُ	٨	يَعُودُ
٢٣	وَتَنْزَعُ	١١	المَهْدِ
٢٦	المُضْعَفُ	١٠	رُشْدِي
٢٥	تُنَاصِفُ	٩	أُرِيدُها

٢٩	فَحَلَّهَا	١	لَعْيُوفُ
٤٣	بَلَابِلُهُ	٢٧	وَأَسْوَقُ
٣٦	جَلَلُهُ	٤٢	وَامِقُ
١	كَلَامُهَا	٢٨	الْفِرَاقِ
٣٧	ضَنِينُ	٣٠	أَجْمَلُ
١	تَصِفَانِ	١	الْبُخْلُ
٣٩	يُبْكِينِي	٣٢	الْبُخْلُ
٣٨	يَمِينِي	٣٤	النُّحُولِ
٤٠	فَسَائِلُهَا	٣١	قَتْلِي
٤١	هَيَا	٣٥	قُقُولِ
		٣٣	وَاصِلِ

بقية المعلقات

كنا قد اخترنا أبياتاً من معلقات امرئ القيس وزهير والنابغة والأعشى ضمن ما اخترناه من شعرهم. وبقيت معلقات ست، بحسب من جعل المعلقات عشرًا. فهذه مختارات من الست الباقيات.

وخير من شرح المعلقات العشر وأعربها كلها وبذل فيها الجهد الكبير الشيخ محمد علي طه الدرة، وقد أخذنا بأكثر من رواية وراجعنا المعلقات عند الزوزني والشنقيطي، الذي ساق روايات عدة، لكن ما صنعه الشيخ الدرة في مجلدين كبيرين انتهى من تبييضهما عام ١٩٧٤، جهد كبير جداً. اسمعه يقول في مقدمته: «وبما أنني لا أملك مالا يكفي لطبعها ونشرها أخذت أتمسك ذلك من الناشرين، ومن المكتبات الشهيرة... ثم أرسلت المخطوط بكامله إلى وزارة الثقافة والإرشاد في دمشق والتمست منها طبعه ونشره فاعتذرت الوزارة...» وقف بإزاء هذين المجلدين الكبيرين اللذين حشيا علماً وذوقاً وفهماً للشعر وللغة وللنحو، وتأمل حال ثقافتنا، ومقدار احترامنا لجهد كبير مميز. كلما نظرت في طبّعات المعلقات السبع أو العشر، وهي أكثر من النمل وأقبح من القمل، قلت في نفسي: يا لضياح الورق. غير أن مجلدي الشيخ الدرة ثمينان.

سترى أن عملنا مختلف عن عمل الشيخ الدرة كثيراً، فالرجل شرح شرحاً مستفيضاً مفعمًا بالتفسير اللغوي والبياني، وزاد في تفسير كل بيت فلفظه تلخيصاً، ثم زاد فأعرب البيت إعراباً كاملاً. كل ذلك بقلم قدير مبين. ونحن اخترنا أبياتاً من كل معلقة هي فيما نرى أجمل الأبيات وأقواها، وشرحناها بما يجعل القارئ يفهم، ثم إننا لا نمر بكلمة صعبة إلا فسرناها في سياق الشرح. لا نحن أعربنا ولا نحن عرضنا لما في الأبيات من نكت بلاغية، ومن مشكلات نحوية، ولا نحن سردنا الروايات المختلفة. فقد كنا نرى الروايات

المختلفة للكلمة بعينها أو لبيت أو نصف بيت، ونختار أشهرها، ثم لا ننقل على القارئ بذكر ما لم نختره من الروايات. وقد تأثرنا في اختيارنا للآيات نفسها، بعض التأثير، بذوق القدماء. فإذا رأيناهم أكثروا من التعجب من بيتين لعنترة يصف فيهما الذباب حرصنا على إيراد البيتين. فإن وجدنا الشنقيطي وطبعات عديدة أخرى أهملت بيتي عنترة «ولقد ذكرك والرماح نواهل/مني وبيض الهند تقطر من دمي// فوددت تقبيل الرماح لأنها/لمعت كبارق ثغرك المتبسم» جئنا بالبيتين من رواية قديمة أخرى.

فإن قلت إن هذين البيتين السهلين الجميلين البسيطين عليهما سيما عصر لاحق، ولا يحملان من سمات لغة الجاهلية شيئاً، قلنا لك إن كل معلقة عنترة، وكل المعلقات، وكل الشعر الجاهلي قد دخل فيه ما ليس منه.

هذه مسألة شائكة جداً من مسائل تحقيق مصادر الأدب القديم. ونكتفي هنا بالإشارة إلى الحشد الكبير من الأمثلة الذي ساقه ناصر الدين الأسد - في كتابه «مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية» هذا الكتاب الذي ظل فذاً، لا ضريب له - على أن كثيراً من الشعر الجاهلي دُوِّن في مراحل باكرة. قد أكثر الأسد من الأمثلة إكثار مريب يحشد الأعذار. لكنه وقف في وجه الاندفاع العارمة لأستاذه طه حسين، الذي أنكر جاهلية الشعر الجاهلي، وقفة صارمة وهادئة وفيها الكثير من التأدب وحسن الخلق. ونحن هنا نقف ووقتنا المعتادة، كي نمدح ونذم.

هذا الدارس الأردني، ناصر الدين الأسد، كان يحضر لرسالة الدكتوراه في مصر. وكانت رسالته هذا الكتاب الكبير، كتاباً ظل حتى بعد انقضاء سبعين سنة السند المكين لكل من يدرس موضوع «مصادر الشعر الجاهلي». وتقرأ الكتاب فتتمتع بلغته العالية، وتتمتع بالبحث العميق. وترى بحثاً حقيقياً. رحم الله ناصر الدين الأسد.

فهل لاحظتم أننا لم نقل «الدكتور» ناصر الدين الأسد؟ قد رفعنا قدره عن أن نلحقه بهذه الزمرة الكلبة من دكاتير الدكاكين الجامعية الذين يتصاعد الصنان من تلك الأسقاط التي يطبعونها ويسمونها كتباً.

المزيد من إنزال النكال بأهل الابتذال

قد كنا في مواضع من أوراقنا هذه، التي ننتخب فيها الأشعار ونشرحها، قصبنا الأكاديميين وضررناهم، وتحدثنا في الأسطر السابقة هنا عن رجلين من

جلة العلماء، فذُكرنا - والشيء يُذكر بضده - بأساتيد الجامعات والجراء اللاعقة في سبيل الدكتوراهات. فطاب لنا أن نقف وقفة نعالنهم فيها بعضائهم، ونحسر اللثام عن مساوئهم، ونصحر لهم، لا نصادي ولا نداجي، بل نجدُ في فل شباتهم وكف عُرامهم. فما منهم إلا من هو خسارة مدرسته وكساحة صفه. إنهم - إلا من رحم ربي - أوشاظ رمت بهم مجاميعهم في كليات اللغة العربية في الجامعات، فأض ذلك زؤاناً كثيراً ضاع فيه القمح. ولا والله ما نرجو فيما نكتب أن نرتق فتقاً ولا أن نرأب ثأياً، بله أن نجادل بالتي هي أحسن. بل نقارعهم بالتي هي أسوأ حتى نقيم صعرهم من غير نية إصلاح، ونَجاً أعناقهم حتى نزعهم عن صيدهم. لا نرجو منهم إنابة ولا نزوعاً، قد اتسع الفتق على الراتق؛ ولا نلتمس إنهاءهم من كبوة ولا إقالتهم من عثرة، فقد تمرغوا في وضر السرجين، لا أقام الله لهم ساقاً. وتقول لي: أليس في افتتاح أمرهم ما يكفك عما أنت فيه من شتم؟ أولم يسلم سخيمة قلبك ما تراه من احتقار الناس في أيامنا لكل أصحاب الشهادات؟ أوليس مما يزيل حسائك صدرك أن لعبة «الدكتوراه» قد انكشفت؟ لا، لا يثنيني ذلك كله عن المضي في انتهاشهم، وجعلهم أحدىة، فما أصنعه أثار لا إنذار. وإن عزب عنك إنني ألهم بهم لهو سيف الدولة بلحية الأحمق، فقد غاب عنك المطرب. أولئك قوم - وأعني دارسي الأدب العربي الذي استشروا في الجامعات - لم يتصوّنوا عن عرض الأدب، ولا ارعوا عن التسربل بسربال الشنار في درسه. سأغلظ لهم وأحملهم على مبرد خشن يجرون عليه عضارطهم، وسأماظهم وأراغمهم كعماً كعماً.

وجل غضبي راجع إلى قبح في روعي ليس لي فيه يد. فقد تبرمجت منذ أن شدت على أن درس اللغة والعربية والشعر العربي، والتعمق فيهما، خير ما يصنعه المرء. ومضت سنوات كنت فيها كالماشي في نومه، فإذا الناس ينصرفون عن هذا كله انصرافاً، وإذا الفصحى تبهت، وإذا العاميات تزحزحها. ولا قبل لي بتغيير ما عليه تبرمجت وفيه نشأت. تولد في نفسي غضب شديد. ثم رأيت صروح التخلف والعفن - قد فهمت أنني أعني بذلك الجامعات! - تقيم للغة الفصحى وللأدب العتيق الصلوات: ورأيت رؤساء الجامعات، رؤساء، لا يؤمنون بكل هذا الذي اسمه أدب عتيق ولغة فصحي، ولكنهم ينضحون تلك الصروح بماء الرياء، ويحشرون فيها حُسافة الرجال كي يرضى عنهم زمن الانهزام، وكيلا يقال إنهم يتخلون عن تراث أمتهم. ثم يجيء هؤلاء الرؤساء

فيشطبون اللغة العربية شطباً من كليات العلوم. كأن الله لم يخلق العلوم إلا كي تدرس بلغة إفرنجية. فهذه واحدة بواحدة: يترصّون المتزمتين الرجوعيين برفع الكراسي للغة العتيقة يُجلسون عليها بعض خلق الله ممن رميناهم بالفواقر في الفقرات السابقة، ثم يلحقون أحذية سماسرة الغرب بشطب اللغة العربية من كليات العلوم، وبعضهم يشطبها من كليات الاجتماع والفلسفة والتاريخ أيضاً.

أنا غاضب أنني تعلقت بهذا القديم، ثم ما بلغت أول الشيخوخة إلا وهو مردول، فبارت بضاعتي.

أصدقك القول إنني أحمل بين جوانحي نفساً غضبى، وإنني أعاني علة الشيخ النكد الحاقد على الدنيا بلا سبب إلا أنه بدأ يدخل في أرذل العمر.

عود إلى المعلقات

لا تكاد تقرأ سطرين من مقدمة كتاب من مئات الكتب التي كتبها أولئك الفسول عن الشعر الجاهلي إلا قفزت إلى عينيك التسيبحات والتحميدات، والدعوات الحارات إلى المنافحة عن ديننا وشرفنا القومي. كأن هؤلاء الصبية داخلون على ضابط مخبرات فأول ما يجأرون به نفي التهمة عن أنفسهم. هذه - يا سوقة - مسألة بحثية لا شأن لها بمشاعرهم.

الشعر الجاهلي موضع شك منذ ابن سلام حتى اليوم. قد قتل الناس الأمر بحثاً، وعليك بأبحاث نولدكه وألفرت ومرغوليوث التي نشرها مترجمة إلى العربية عبد الرحمن بدوي، وعليك بطه حسين، ثم عليك بكتاب محمود شاكر الذي محص فيه آراء ابن سلام، ففيه كتابة بديعة غير أنها ملوثة بالغضب. كان شاكر أحسن من فهم الشعر العربي القديم في زمننا، غير أن هذا لا يرفع عنه شبهة الغرض.

لا نخوض في صحة الشعر الجاهلي لأنه ليس عندنا جديد في هذا الأمر. وفي المعلقات نقول بقول مصطفى صادق الرافعي: «.. غير أنه مما لا شك فيه عندنا أن تلك القصائد لا تخلو من الزيادة وتعارض الألسنة، قل ذلك أو كثر؛ أما أن تكون بجملتها مولدة فدون هذا البناء نقض التاريخ.» نعم نحن لا نراها مولدة بجملتها، ولا نرى أن قريحة حماد الراوية أو خلف الأحمر قادرة على الإتيان بهذا التنوع البديع، وبهذه الأساليب المختلفة. وأما قصة تعليقها في الكعبة فلا يصلح فيها إلا قول الرافعي «ذلك التعليق إنما كان بحبل من التلفيق».

اختياراتنا من المعلقات

ذوقنا في الاختيار ذوق تراكمي: نحب الأبيات التي تعجبنا بصرف النظر عن أي تأثر، ونهش لكثير مما يستحسنه القدماء، فنورده حتى لا يفوت القارئ، أو نورده لأننا وجدناه حسناً. والبيت يصبح حسناً في أذنك إذا تكرر عليك، فإذا اصطلحت كتب الأدب على أبيات تكثر من إيرادها فهي تصبح حسنة بالتكرار. نعم، ذوقي في الاختيار ليس ذوق القادر المحكم الصارم المتجهم. قطفت لك أطايب المعلقات. ولست بالرجل العتيق يطلب من أمة لا إله إلا الله أن يغرقوا في الشعر القديم، وأن يطالعوه صباح مساء.

ففي الدنيا ما يشغل العاقل عن الشعر القديم. وحسب المتعلم أن يعرف قليلاً من خرافاتنا تكون له حبلأً سرياً يصله بلغته وأمته. ولا حياة لشعب بغير خرافات. قد كنت أتندر ظهيرة اليوم مع نحو أربعين طالباً من طلابي بمقتل المتنبي. أروي لهم النادرة، وبيت الشعر المصاحب لها. وأرى في عيون بعضهم بريقاً: أنهم سمعوا بالنادرة، وأرى بعضهم متحفزاً يريد أن يعرف القصة، بعضهم يحفظ بيت الشعر المشهور الذي زعموا أنه «قتل» المتنبي، وبعضهم يتلأأ فيه. فإذا قلت: الخيل والليل والبيداء.. أكملوا كلهم البيت. تلك في عرف التاريخ خرافة، ولكنها تجمعنا حولها.

ولعلي ألا أطيل عليك وأنا أحدثك عن طلبتي الأربعين هؤلاء، وهم في الواقع ثمانية وأربعون.. عددتهم أمس.

هذا الصباح جئت إلى مركز التدريب وألقيت محاضرتي التي استغرقت ساعة، وانصرف الطلبة. وسيأتون عصراً للتدريب الطويل. فهل تريد أن تعرف أين أنا الآن إذ أكتب لك هذا؟

أنا في جوبا بجنوب السودان. وطلبتني مذيعون وصحفيون من راديو وتلفزيون دولة جنوب السودان الوليدة. والقوم هنا، في جوبا العاصمة نخبة لا تمثل سكان البلاد. فجوبا ثلث مليون، ودولة جنوب السودان عشرة ملايين.

ثمة اضطراب في نفوس الثمانية والأربعين متدرباً بشأن اللغة وبشأن الانتماء القبلي، وبشأن الدين. أحاول أن أثبت فيهم فكرة بسيطة: بسبب هذا التنوع الذي تعيشونه فالاتفاق على محور واحد هو الدولة وقوانينها أمر مجد. في البلد لغات شتى، وفيها صراع بين العربية والإنجليزية. تحاول السلطات

فرض الإنجليزية لغة رسمية ولغة تعليم، وهي ماضية في هذا. ولكن معظم الذين يملكون تعليماً، أو حتى يملكون دوراً اجتماعياً مهماً قد تعلموا في الخرطوم وعاشوا في شمال السودان طفولتهم أو شبابهم، ولغتهم الأولى العربية. سيكون صعباً على الإنجليزية أن تحل محل العربية وتغلبها إلا إذا استمرت مساعي الحكومة في هذا الصدد بضع سنوات أخرى. لكن دولة جنوب السودان ستبقى متعددة اللغات. لن يكون للإنجليزية فيها نصيب أفضل من نصيبها في الهند التي تتخذها لغة تفاهم رسمية دون أن تحلها في الألسنة محل اللغات الهندية الكثيرة.

نرجو لجنوب السودان ألا يجعل الدين محور انتماء وخلاف، لأنه سيخرج من الحرب القبلية القائمة الآن منذ ثلاث سنين - وأنا أكتب في ١٨ شباط/فبراير ٢٠١٦ - ليدخل في حرب دينية.

لو حدثت القارئ عن الـ ٤٥ درجة مئوية التي أكتب وأنا أستحم بعرقها لأدرك اضطراب كتابتي، وانتقالي من موضوع إلى موضوع.

ما الذي أدى بي إلى أن أزيد متاعب قلبي الناشئة عن شعر طرفة بن العبد وعبيد بن الأبرص وسائر أصحاب المعلقات، بشرح هذا الشعر وتشكيله في مثل هذا الجو الخانق؟ لا بد أنني، في لاوعمي، أعاقب نفسي على خطايا كنت ارتكبتها.

١ معلقة طَرْفَةَ بْنِ الْعَبْدِ الْبَكْرِيِّ

لِخَوْلَةٍ أَطْلَالَ بِبُرْقَةٍ نَهْمَدِ تَلَوْحُ كَبَاقِي الْوَشْمِ فِي ظَاهِرِ الْبَدِ

لقوم خولة بقايا منازل بعد رحيلهم عن «برقة نهمد»، وهي تبدو شاحبة كأنها بقايا الوشم

وَقُوفًا بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيبُهُمْ يَقُولُونَ لَا تَهْلِكْ أَسَى وَتَجَلَّدِ

يقف أصحابي نياقهم، أي يوقفونها، عليّ، أي من أجلي،

ويقولون لا تُمِتْ نفسك حزناً وتجلد (اصبر)

كَأَنَّ حُدُوجَ الْمَالِكِيَّةِ غُدُوَّةَ خَلَايَا سَفِينٍ بِالنَّوَاصِفِ مِنْ دَدِ

كأن الحدوج، أي هودج النساء، المنسوبة إلى مالك بن سعد خلايا سفين، سفن كبيرة، لكنها تسير في النواصف، أي الطرق، في وادي «دَدِ»

عَدُولِيَّةٌ أَوْ مِنْ سَفِينِ ابْنِ يَامِنْ يَجُورُ بِهَا الْمَلَّاحُ طَوْرًا وَيَهْتَدِي

كأنها من سفن عدولّي، على ساحل عمان، أو من سفن البَحَّار المعروف ابن يامن، وهي تسير والملاح ينحرف بها حيناً ويسير مستقيماً حيناً

يَشُقُّ حَبَابَ الْمَاءِ حَيَزُومُهَا بِهَا كَمَا قَسَمَ الثُّرْبُ الْمُفَايِلُ بِالْيَدِ

حيزوم السفينة، أي صدرها، يشق حباب الماء، أي فقايقه، ماضياً بها، أي بالسفينة، مثلما يشق المفايل التراب. فالمفايل، اللاعب بالتراب، يدس في كوم التراب شيئاً ثم يشق الكوم نصفين، وعلى خصمه أن يحزر في أي نصف استقر ذلك الشيء

وَوَجْهِهْ كَأَنَّ الشَّمْسَ أَلْقَتْ رِءَاءَهَا عَلَيْهِ نَقِيَّ اللَّوْنِ لَمْ يَتَّخَذِ

وللحبيبة وجه كأن الشمس منحته بهجتها. وبشرته صافية لم تتشق

وَأَنِّي لَأَمْضِي الْهَمَّ عِنْدَ احْتِضَارِهِ بِعَوَجَاءِ مِرْقَالٍ تَرُوحُ وَتَعْتَدِي

وأنا أنفذ همي، أي مقصدي ومطمحي، عندما يحضر وقته بانقة عرجاء تسير مهملجة يمينا ويساراً لشدة نشاطها، وهي مرقال، سريعة، تروح، أي تسير مساءً، وتغتدي، أي تسير صباحاً

لَهَا فَخِذَانِ أَكْمَلَ النَّحْضُ فِيهِمَا كَأَنَّهُمَا بَابَا مُنِيفٍ مُمَرِّدٍ

اكتمل نحض، أي لحم، فخذيها فكأنهما مصراعاً باب قصر منيف، أي عال، مجرد، أي أملس.. من رخام مثلاً

وَجُمُجْمَةٌ مِثْلُ الْعَلَاةِ كَأَنَّمَا وَعَى الْمُلتَقَى مِنْهَا إِلَى حَرْفٍ مَبْرَدٍ

وللناقة جمجمة كالعلاة، أي سندان الحداد. ومكان التقاء أطراف الجمجمة عند فم الناقة محدد كطرف السندان الذي يشبه المبرد. السندان حتى في أيامنا يشبه رأس الناقة، ويبدو أن «السندان» لم يتطور كثيراً في الألف والخمسة سنة التي تفصلنا عن طرفه

وَأِنْ شِئْتُ لَمْ تُرْقِلْ وَإِنْ شِئْتُ أَرْقَلْتُ مَخَافَةَ مَلُويٍّ مِنَ الْقِدِّ مُحْصَدٍ

إن أردتها أن تبطئ فعلت، وإن أردتها أن ترقل وتسرع فعلت، وكل ذلك من أثر السوط الذي التوت سيوره الجلدية مجدولة. والقِدِّ: الجلد، والمحصد: المفنول بإحكام

عَلَى مِثْلِهَا أَمْضِي إِذَا قَالَ صَاحِبِي أَلَا لَيْتَنِي أَفْدِيكَ مِنْهَا وَأَفْتَدِي

أسافر على مثل هذه الناقة، إذ يقول لي صاحبي أفديك منها، أي من هول الصحراء، وأفندي أنا أيضاً

إِذَا الْقَوْمُ قَالُوا مَنْ فَتَى؟ خِلْتُ أَنَّنِي عُنَيْتُ فَلَمْ أَكْسَلْ وَلَمْ أَتَبَلَّدِ

إذا قال القوم: هل من فتى؟ ظننتهم يعتونني، فنهضت بالمهمة الصعبة بلا كسل ولا تبلد، أي بلا بطء في الفهم

وَلَسْتُ بِحَالَالِ التَّلَاعِ مَخَافَةَ وَلَكِنْ مَتَى يَسْتَرْفِدِ الْقَوْمُ أَرْفِدِ

لا أحل التلاع، السفوح تحت القمم، مخبتاً خائفاً، لكنني عندما يطلب القوم الرfid والمعونة أرفدهم

وَأَنْ تَبْغِنِي فِي حَلَقَةِ الْقَوْمِ تَلْقَنِي وَإِنْ تَلْتَمِسْنِي فِي الْحَوَانِيتِ تَضْطَلِدِ
 إن تطلبني في مجلس القوم فأنا هناك، وإن بحث عني في حوانيت الخمر عثرت علي
 وَأَنْ يَلْتَقِ الْحَيُّ الْجَمِيعُ ثَلَاقِنِي إِلَى ذُرْوَةِ الْبَيْتِ الْكَرِيمِ الْمُصْمَدِ
 وإن التقى القوم جميعاً فأنا هناك بينهم، ومكاني في أعلى البيوت نسباً، فأسرتنا كريمة مصمدة،
 أي يقصدها القصاد لنيل العون

نَدَامَايَ بِيضُ كَالنُّجُومِ، وَقَيْنَةُ تَرُوحُ عَلَيْنَا بَيْنَ بُرْدٍ وَمُجَسَّدِ
 ندماي بيض الوجوه من الأشراف، ومعهم قينة، جارية مغنية، تخدمنا وهي ترتدي برداً، ثوباً
 مخططاً، وترتدي مجسداً، ثوباً مصبوغاً ملاصقاً للجسد

رَحِيبٌ قَطَابُ الْجَيْبِ مِنْهَا رَفِيقَةُ بِجَسِّ النَّدَامَى بَضَّةُ الْمُتَجَرِّدِ
 وثوب الجارية مشقوق شقاً رحيباً واسعاً، وهي مترفة راضية بأن يتحسس الندامى جسمها،
 ومتجردها، أي مغراها، بض طري

إِذَا نَحْنُ قُلْنَا أَسْمِعِينَا انْبَرَتْ لَنَا عَلَى رِسْلِهَا مَطْرُوفَةٌ لَمْ تَشُدِّدِ
 إذا أردنا غناءها فهي تنبري لنا، تميل علينا، مغنية على رسلها، بهدوء، مطروفة، أي تغضض عينيها
 نصف إغماض، ولا تشدد، أي لا تمتنع من تلبية الطلب

وَمَا زَالَ تَشْرَابِي الْخُمُورَ وَلَدَّنِي وَبَيْعِي وَإِنْفَاقِي طَرِيفِي وَمُتَلَدِّي
 هذا دأبي: أشرب وأستمتع، وأبيع طرفي، مالي الذي كسبته، ومتلدي، ما ورثت

إِلَى أَنْ تَحَامَتْنِي الْعَشِيرَةُ كُلُّهَا وَأَفْرَدْتُ إِفْرَادَ الْبَعِيرِ الْمُعْبَدِ
 حتى تجنبتني العشيرة، وصرت منبوذاً كالبعير المعبد، المطلي بالقطران للجرب

أَلَا أَيُّهَذَا الرَّاجِرِي أَخْضَرُ الْوَعَى وَأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلِدِي؟
 يا من يزجرني، ويؤنبني لمغامراتي في الحرب وفي مجالس اللهو، أنتستطيع منع الموت أن يأتيني؟

فَإِنْ كُنْتُ لَا تَسْتَطِيعُ دَفْعَ مَنِيَّتِي فَدَعْنِي أَبَادُهَا بِمَا مَلَكَتْ يَدِي
 فإن كنت لا تستطيع منع الموت عني، فاتركني أبادر، أي أسبق، الموت بإففاق مالي

وَلَوْ لَا ثَلَاثُ هُنَّ مِنْ عَيْشَةِ الْفَتَى وَجَدَّكَ لَمْ أَخْفِلْ مَتَى قَامَ عُوْدِي
 لولا ثلاثة أمور، هن خير ما في عيشة المرء، فحياتك لن أهتم بالموت الذي يقوم عند حضوره
 العود، أي زوار المريض، ويروحون إلى بيوتهم

فَمِنْهُمْ سَبَقُ الْعَاذِلَاتِ بِشَرِّبَةِ كُمَيْتِ مَتَى مَا تُعَلَّ بِالْمَاءِ تُزِيدِ
 هذه الأمور: أن أسبق حضور العاذلات، اللاتي يلمتنني على الخمر، بأن أشرب خمراً كمياً داكنة
 يعلوها الزبد عندما يضاف إليها الماء

وَكَرِّي إِذَا نَادَى الْمُضَافُ مَحْنَبًا كَسِيدِ الْغَضَا نَبْهَةً، الْمُتَوَرِّدُ

ومنها هجومي عندما يناديني المضاف، أي المهموم، بفرسي المحنب، المعوج اليدين مما يجعله سريع الانفتال والمناورة في المعركة. وإن فرسي مثل سيد الغضا، ذئب الغابة، المتورد، الوارد إلى الماء، عندما تتعرض له وتنبهه فيفر مسرعاً

وَتَقْصِيرُ يَوْمِ الدَّجْنِ، والدَّجْنُ مُعْجَبٌ، بِبَهْكَنَةٍ تَحْتَ الطَّرَازِ الْمُعَمَّدِ

ومنها تقصير اليوم الغائم، وما أجمله، باللهو مع بهكنة، امرأة ناعمة، تحت الخيمة ذات العمود. ظلوا حتى العصر العباسي يحبون عقد مجلس اللهو عندما تغيم السماء، أو تمطر

كَرِيمٌ يُرَوِّي نَفْسَهُ فِي حَيَاتِهِ. سَتَعْلَمُ إِنْ مُتْنَا عَدَا أَيْنَا الصَّدِي

أنا كريم أرتوي من الملاذ في حياتي، وستعلم عندما نموت من منا مات صادقاً عطشاناً

أَرَى قَبْرَ نَحَامٍ بِخَيْلٍ بِمَالِهِ كَقَبْرِ عَوِيٍّ فِي الْبَطَالَةِ مُفْسِدِ

القبور تشابه، فقبر النحام، أي البخيل الذي يأخذ ليتحنح إذا طلبت منه شيئاً، قمر الضال الذي يبدد ماله على شهواته

أَرَى الْمَوْتَ يَنْتَامُ الْكِرَامَ، وَيَضْطَفِي عَقِيلَةَ مَالِ الْفَاحِشِ الْمُتَشَدِّدِ

الموت يعتام، أي يختار، الكرام، وهو بالطبع يختار اللثام أيضاً لكنه فوق ذلك يتخير عقيلة مال الفاحش، السيء الخلق المتشدد ببخله. ذلك أن البخيل يموت فيفقد نفسه، ويفقد فوق ذلك ماله. وعقيلة المال أحسن ما يملك المرء من إبل معقولة أي مربية

أَرَى الْعَيْشَ كَنْزاً نَاقِصاً كُلَّ لَيْلَةٍ وَمَا تَنْقُصُ الْأَيَّامُ وَالْدَّهْرُ، يَنْقُدِ

العيش مثل كنز يضمحل باستمرار، والذي تنقصه، أي تجعله ينقص، الأيام وبيدده الدهر فهو ينقذ وينتهي

لَعَمْرُكَ إِنَّ الْمَوْتَ مَا أَخْطَأَ الْفَتَى لَكَالطَّوْلِ الْمُرْخَى وَثَنِيَّاهُ فِي الْيَدِ

الموت آت لا محالة، فهو مثل الطول، الجبل، المرخى للبعير كي يرعى كما يشتهي، ولكن ثني الجبل، ما يشته الراعي على كفه من طرف الجبل، في يدي الراعي. فالبعير الذي يرعى بحريته ليس حراً، ولا بد أن يجذبه صاحبه في النهاية، وكذا الموت

مَتَى مَا يَشَأُ يَوْمًا يَقْذُهُ لِحَتْفِهِ وَمَنْ يَكُ فِي حَبْلِ الْمَمِيَّةِ يَنْقُدِ

متى أراد صاحب البعير قاده بحبله، ومن كان مربوطاً بحبل الموت فلا بد أيضاً أن ينقاد يوماً

فَمَا لِي أَرَانِي وَإِنَّ عَمِّي مَالِكًا مَتَى أَذُنُ مِنْهُ يَنَأُ عَنِّي وَيَبْعُدِ

يَلُومُ وَمَا أَدْرِي عَلَامَ يَلُومُنِي كَمَا لَا مَنِي فِي الْحَيِّ قُرْطُ بَنٍ مَعْبَدِ

وإن أذع للجلى أكن من حماتها وإن يأتك الأعداء بالجهد أجهد
إذا دعيت للجلى، الأمر العظيم، فإنني ممن يحمون الديار والقوم، وإن أنك يا ابن عمي الأعداء
جاهدين فأنا أتصدى لهم جاهداً

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند
مضاضة: إيلاًماً

أنا الرجل الضرب الذي تعرفونه خشاش كراس الحية المتوقد
الضرب: النحيل، الخشاش: النشاط الفعّال. وهذه الكلمة تصلح كي تقوم مقام تعبير إنجليزي أراه
بديعاً، يقول الإنجليزي عن الشخص الفعّال إنه «يجعل الأشياء تحدث»، فهذا هو الخشاش

فإن مت فأنعيني بما أنا أهله وشقي عليّ الجيب يا ابنة معبد
يوصي ابنة أخيه: انعيني بما أستحق، وشقي عليّ الجيب، أي فتحة الرأس في الثوب

ولا تجعليني كامري ليس همهم ولا يُعني غنائي ومشهدي
لا تجعليني كمن ليس همهم وطموحه مثل طموحي، ولا يقوم بما أقوم به من أفعال، وليس له محضري

سبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تزود
ستكشف الأيام ما كنت تجهله، وسيأتك بالأخبار كل الناس، وليس فقط الشخص الذي تزود
بزاد ومال وترسله في طلب الأخبار

ويأتيك بالأخبار من لم تبع له بتاتاً، ولم تضرب له وقت موعد
سيأتك بالأخبار من لم تشتّر له بتاتاً، أي متاعاً، ولم تضرب بينك وبينه موعداً لرجوعه بالأخبار

٢ معلقة لبدي بن ربيعة العامري

عفت الديار محلها فمقامها بمنى تأبد عولها فرجامها

عفت: أمحت، محلها: موضع الحلول المؤقت، مقامها: موضع الإقامة مدة طويلة. تأبد: توحش.
يقول: لقد أمحت تلك الديار سواء منها ما كان للحلول والاستراحة أم للإقامة. وهذه الديار في
موضع منى، بين نبع الغيل وجبل الرجام، وأصبحت تردها الوحوش فقط، ولم يعد بها بشر

فمدافع الريان عري رسمها خلّفاً، كما ضمن الوحي، سلامها

المدافع: الشقوق في الجبل التي تندفع منها مياه السيول، الوحي، جمع وحي:
الكتب. السلام: الصخور. يقول: قد أصبحت مجاري الماء في جبل الريان رسوماً
عارية، وخلّفاً سلامها، أي عتيقة حجارتهاء، وهذه الحجارة تشبه النقوش التي
تتضمنها الكتب. ولم تكن الكتب مألوفة لعرب الجاهلية، فإذا رأوا كتاباً من كتب
اليهود مثلاً، ويسمونهم الوحي، فهم يرون الكتابة فيه خرايش متفرقة ليست بذات معنى

دِمْنُ تَجَرَّمِ بَعْدَ عَهْدِ أَنْيَسِهَا حَجَجُ خَلَوْنَ حَلَالُهَا وَحَرَامُهَا

هذه أطلال تجرم، أي مضي، عليها بعد أن فارقتها الأنيس، أي الإنسان، أعوام كثيرة خلت، أعوام كثيرة بما فيها من الشهور الحلال والشهور الحرام (ما يجوز فيه القتال وما يحرم)

وَجَلَا السَيُولُ عَنِ الطُّلُولِ كَأَنَّهَا زُبُرٌ تُجَدُّ مَتُونُهَا أَقْلَامُهَا

كشفت السيول ما غطى بقايا الديار، فكان الطلول هي الزبر، أي الكتب التي تجدد الكتابة عليها الأقلام. وكانوا يكتبون على الجلد أو العظم ثم يمسحون ثم يجددون الكتابة فيبدو وجه الكتاب منقوشاً بنقوش مختلطة. أعجب القدماء بهذا التشبيه، روى أن الفرزدق عندما سمعه سجد، فقيل له: ما هذا؟ فقال: أنتم تعرفون سجدة القرآن، وأنا أعرف سجدة الشعر

فَوَقَفْتُ أَسْأَلُهَا، وَكَيْفَ سُؤْلُنَا سَفْعًا خَوَالِدَ مَا يَبِينُ كَلَامُهَا؟

فوقفت أسأل الطلول، وكيف للمرء أن يسأل صخوراً صماء سفعاً، محترقة من وضع القدور فوقها والنار تحت القدور، وهي صخور خوالد باقية لم تحرك بفعل السيول، ولكن.. لا نفهم لها كلاماً

بَلْ مَا تَذَكَّرُ مِنْ نَوَارٍ وَقَدْ نَأَتْ وَتَقَطَّعَتْ أَسْبَابُهَا وَرِمَامُهَا؟

أي شيء تذكر يا لبيد، يخاطب نفسه، من نوار وقد ابتعدت، وتقطعت أسبابها، أي حبالها، ورمامها، أي الحبال البالية، كناية عن انقطاع الصلات معها

مُرِّيَّةٌ حَلَّتْ بِقَيْدٍ، وَجَاوَرَتْ أَهْلَ الْحِجَازِ فَأَيْنَ مِنْكَ مَرَامُهَا

نوار من بني مرة، وقد نزلت في قرية قيد على طريق مكة، وجاورت الحجاز، فلا سبيل إلى مرامها، مطلبها والحصول على وصلها

أَوَلَمْ تَكُنْ تَدْرِي نَوَارُ بِأَنِّي وَصَّالٌ عَقْدِ حَبَائِلٍ جَذَامُهَا؟

ألا تدري نوار أنني أصل من أعاهده، وأنني جذام، أي قاطع، هذه الصلات إذا استحق الآخر أن أنصرف عنه؟

تَرَاكَ أَمَكْنَةً إِذَا لَمْ أَرْضَها أَوْ يَغْتَلِقُ بَعْضَ النَّفُوسِ حِمَامُهَا

أنا أترك المكان الذي لا يرضيني، لا ينعني من ذلك إلا أن يتعلق بجسمي الموت

وَجَزُورٍ أَيْسَارٍ دَعَوْتُ لِحَتْفِهَا بِمَعَالِقِ مُتَشَابِهِ أَجْسَامُهَا

رب جزور أيسار، أي ناقة أعدت للمقامرة على لحمها، جئت بها للذبح، حيث ستقامر عليها بمغالق، أي سهام متشابهة، لا يعرف المقامرون ما الذي كتب على كل سهم. وسرمي السهام وسيفوز كل مقامر بحصة كبيرة أو صغيرة

أَدْعُو بِهِنَّ لِعَاقِرٍ أَوْ مُظْفِلٍ بُذِلَتْ لِحِيرَانِ الشِّتَاءِ لِحَامُهَا

وإنما أحضر هذه السهام لكي نذبح في المحصلة ناقة عاقراً، أو ناقة مطلق لها ولد. وسيتم توزيع اللحم في النهاية على الفقراء المجاورين لنا في الشتاء حيث يشتد البرد ويقل العشب والحليب في ضروع النياق، وجيران الشتاء جائعون

فَالضَّيْفُ وَالْجَارُ الْجَنِيبُ كَأَنَّمَا هَبَطَا تَبَالَةً مُخَصِباً أَهْضَامُهَا

فالضيف النازل بنا والجار المقيم قريباً منا وهو غريب عن قبيلتنا، يشعران لسخاتنا كأنما نزلا بمنطقة «تباله» الخصبه أهضامها، أي سهولها ذات النخل

فَأَفْتَنَعَ بِمَا قَسَمَ الْمَلِكُ، فَإِنَّمَا قَسَمَ الْخَلَائِقَ بَيْنَنَا عَلَامُهَا

فارض بما قسم لك الله، فهو يعلم كيف يقسم الرزق

وَإِذَا الْأَمَانَةُ قُسِّمَتْ فِي مَعْشَرٍ أَوْفَى بِأَوْفَرِ حَظَّنَا قَسَامُهَا

إذا قسمت «الأمانة» في معشر من الناس فنحن ننال النصيب الأوفر من هذا الخلق الكريم

فَبَنَى لَنَا بَيْتاً رَفِيعاً سَمَكُهُ قَسَمَا إِلَيْهِ كَهْلُهَا وَعُلامُهَا

بنى الله لنا بيتاً من العز والشرف عالي السمك، أي السقف، فالكهل والغلام في عشيرتنا يتطلعان إلى بلوغ ذروة الشرف

وَهُمُ السُّعَاةُ إِذَا الْعَشِيرَةُ أَفْطَعَتْ وَهُمْ فَوَارِسُهَا وَهُمْ حُكَّامُهَا

شباننا وكهولنا يسعون للنجدة إذا حل بالعشيرة أمر فظيع،

وهم الفرسان وهم من يحتكم إليهم الناس

وَهُمُ رَبِيعٌ لِلْمُجَاوِرِ فِيهِمْ وَالْمُرْمِلَاتِ إِذَا تَطَاوَلَ عَامُهَا

وهم بمثابة خصب وخير لمن يجاورهم، وللمرملات، أي الأرامل، اللاتي مر على ترملهن زمن

٣ معلقة عَمْرِو بْنِ كُلْثُومٍ التَّغْلِبِيِّ

أَلَا هُبْنِي بِصَحْنِكَ فَاصْبَحِينَا وَلَا تُبْقِي خُمُورَ الْأَنْدَرِينَا

استيقظي وقومي من نومك، وتقدمي بصحنك، أي بالقدرح الكبير، لتصبحينا، تسقيننا خمر الصباح، ولا توفري شيئاً من الخمر المستوردة من منطقة الأندرين

مُسْعَشَعَةً كَأَنَّ الْحُصَّ فِيهَا إِذَا مَا الْمَاءُ خَالَطَهَا سَخِينَا

اسقيننا خمرأ مشعشة، مصفرة اللون، كأن فيها الحص، وهو الورس الذي يصبغون به للصفرة، وما إن يختلط بها الماء حتى نهتز نحن للكرم والسخاء

تَجُورُ بِذِي اللَّبَانَةِ عَنْ هَوَاهُ إِذَا مَا ذَاقَهَا حَتَّى يَلِينَا

الخمر تجور وتنحرف بصاحب اللبانة، أي الحاجة، عن هواه، رغبته الأصلية، فيغير رأيه إذا ذاق الخمر ويلين

تَرَى اللَّحْزَ الشَّحِيحَ إِذَا أَمِرْتُ عَلَيْهِ لِمَالِهِ فِيهَا مُهِينَا

ترى اللحز، النزق السيء الخلق، والشحيح البخيل يهين ماله ويسخو إذا مرت الساقية عليه بالكأس

وَكَأْسٍ قَدْ شَرِبْتُ بِبَمَلَبَكْ وَأُخْرَى فِي دِمَشَقٍ وَقَاصِرِينَا

هذه أماكن يذكر أنه شرب فيها

وَأَنَا سَوْفَ تَدْرِكُنَا الْمَنَايَا مُقَدَّرَةً لَنَا وَمُقَدَّرِينَا

فليشرب المرء فالموت سيدركه في النهاية، فالموت مقدر عليه وهو مقدر للموت

قَفِي قَبْلَ التَّفَرُّقِ يَا ظَعِينَا نُخَبِّرُكَ الْيَقِينِ وَتُخْبِرِينَا

قفي أيتها الظعين، المرأة الراكبة للرجل، كي نخبرك بما ترك فينا خبر رحيلك من ألم، ولنسمع حديثك

وَمَا كَمَ يَضِيقُ الْبَابُ عَنْهَا وَكَشَحَ قَدْ جُنِنْتُ بِهِ جُنُونَا

رُبَّ أَرْدَافٍ لِهَذِهِ الْمَرْأَةِ يَضِيقُ بَابَ الْخِيْمَةِ عَنْهَا، وَلَهَا كَشَحٌ، أَيْ خَصَرٌ، جَنَّتْ بِهِ. وَلَعَلَّ جَنَ الْفَرْقِ بَيْنَ الْخَصَرِ الْتَحِيلِ وَالْأَرْدَافِ الْعَرِيضَةِ. وَالرَّجُلُ جَسَمُهُ غَيْرُ ذَلِكَ فَهُوَ يَلَاظُ هَذَا فِي الْمَرْأَةِ فَيَصِيْبُهُ شَيْءٌ شَبِيهٌ بِهِ. . . الجنون

فَمَا وَجَدْتُ كَوْجَدِي أُمُّ سَقْبٍ أَضَلَّتُهُ فَرَجَّعْتَ الْحَنِينَا

ما حزنْتُ كحزني أم سقب، أي بعير صغير، أضاعته فأخذت تردد صوتاً حزيناً بسمونه «الحنين»

وَلَا شَمَطَاءَ لَمْ يَشْرُكَ شَقَاهَا لَهَا مِنْ تَسْعَةٍ إِلَّا جَنِينَا

وَلَا حَزْنْتُ كحزني امرأة شمطاء، اختلط بياض شعرها بسواده، لم يترك لها عيشها الشقي من أولادها التسعة أحداً إلا وهو جنين في الأرض، أي مخبوء مدفون فيها

أَبَا هِنْدٍ فَلَا تَمَجِّلْ عَلَيْنَا وَأَنْظِرْنَا نُخَبِّرُكَ الْيَقِينَا

أيها الملك عمرو بن هند تريت، وأنظرننا، أمهلنا، حتى نغفلك بالحقيقة. .

بِأَنَّا نُورِدُ الرِّايَاتِ بِيَضاً وَنُضْذِرُهُنَّ حُمْراً قَدْ رَوِينَا

نأتي إلى المعركة بالرايات وهي بيض، ونصدرهن، أي نرجع بهن، وهن حمر من الدم

وَأَيَّامَ لَنَا غُرْطُولٍ عَصَيْنَا الْمَلِكَ فِيهَا أَنْ نَدِينَا

ورب أيام لنا، وأيام العرب معاركها، طويلة وغراء، أي مشهورة، وفيها عصينا الملك، أي الملك، ولم ندن، أي لم نخضع

مَتَى نَنْقُلُ إِلَى قَوْمِ رَحَانَا يَكُونُوا فِي اللَّقَاءِ لَهَا طَحِينَا

إذا نقلنا رحانا، طاحوننا، إلى قوم فسوف يكونون الطحين عند اللقاء في المعركة

يَكُونُ ثِفَالُهَا شَرْقِيَّ نَجْدٍ وَلَهْوُهَا قُضَاعَةٌ أَجْمَعِينَا

الثفال بساط من جلد يوضع تحت حجري الطاحون كي يتلقى الطحين. وطاحوننا نقله إلى نجد مع الثفال، واللهوة، أي قبضة القمح التي تلقى بين الرحوين، هي قبيلة قضاعة كلها

نُطَاعِنُ مَا تَرَاحَى النَّاسُ عَنَّا وَنَضْرِبُ بِالسِّيُوفِ إِذَا غُشِينَا

نطعن الأعداء بالرماح إذا تراخى الناس وابتعدوا، فإذا ما غشنا، أحيط بنا،
فنحن نضرب بالسيف

كَأَنَّ سِيُوفَنَا فِيْنَا وَفِيَهُمْ مَخَارِيقُ بِأَيْدِي لَاعِبِينَا

سيوفنا وهي تنهشهم، وسيوفهم وهي تنهشنا، ماضية في التلاقي والضرب كأنها المخاريق،
والمخاريق سيوف من خشب، فكان ذلك اللقاء لعب، ولكنه في الواقع لقاء دموي

كَأَنَّ ثِيَابَنَا، مِنَّا وَمِنْهُمْ، خُضِبْنَ بِأَرْجَوَانٍ أَوْ طُلِينَا

كان ثيابنا مصبوغة بصيغ الأرجوان الأحمر أو مطلية به، وذلك من دماننا ومن دمانهم هم. وصنفوا
قصيدة عمرو بن كلثوم هذه ضمن ما سموه «المنصيفات»، وهي قصائد أنصف أصحابها أعداءهم
ونسبوا إليهم الشجاعة، وأقروا بأن الأعداء أبلوا بلاء حسناً

بِشُبَّانٍ يَرَوْنَ الْقَتْلَ مَجْدًا وَشَيْبٍ فِي الْحُرُوبِ مُجَرَّبِينَ

نخوض هذا القتال شبان يعتبرون الموت قتلاً ضرباً من المجد، ونخوضه برجال وخط رؤوسهم
الشيب وجربوا الحروب

أَلَا لَا يَجْهَلْنَ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَ

الجهل: الغضب والتهور

بِأَيِّ مَشِيئَةٍ عَمَرَوْ بَنَ هِنْدٍ نَكُونُ لِقَبِيلِكُمْ فِيهَا قَطِينَا

من قال لك يا عمرو بن هند أننا قطين، خدم، لقيك، أي ملككم؟

بِأَيِّ مَشِيئَةٍ عَمَرَوْ بَنَ هِنْدٍ نَطِيعُ بِنَا الْوُشَاةَ وَتَزْدَرِينَا

كيف لك أن تطيع الوشاة الذين أفسدوا بيننا، وتحتقرنا؟

تُهَدِّدُنَا وَتُوْعِدُنَا! رُوَيْدَا مَتَى كُنَّا لِأَمِّكَ مُقْتَوِينَا

متى كنا لأمك مقتوين، أي خدماً. وكانت أم عمرو بن هند هذا قد استضافت أم الشاعر، وطلبت
منها أن تناولها شيئاً، فصرخت أم الشاعر لأنها رأت أن مضيفتها أرادت إهانتها

فإِنَّ قَنَاتَنَا يَا عَمْرُو أَعَيْتَ عَلَى الْأَعْدَاءِ قَبْلَكَ أَنْ تَلِينَا

رمحنا أعجز الأعداء قبلك أن يلين لهم، كناية عن إرادة صلبة لا تلين

عَلَى آثَارِنَا بِيضٌ حِسَانٌ نَحَاذِرُ أَنْ تُقَسِّمَ أَوْ تَهُونَا

وراءنا نساء بيض جميلات لا نريد لهن الوقوع في الأسر فيقتسمهن الأعداء ويلحق بهن الهوان
والذل، لذا فنحن نقاتل بشراسة

يَقْتُنْ حِيَادَنَا وَيَقْلُنْ: لَسْتُمْ بُعُولَتَنَا إِذَا لَمْ تَمْنُمُونَا

نساؤنا يطعمن الخيل، ويقلن لنا: لستم لنا بأزواج إذا لم تحمونا

إِذَا لَمْ نَحْمِيْهِنَّ فَلَا بَقِيْنَا لِشَيْءٍ بَعْدَهُنَّ وَلَا حَبِيْنَا وَقَدْ عَلِمَ الْقِبَائِلُ مِنْ مَعَدٍّ إِذَا قُبِبَ بِأَبْطَحِهَا بُزِينَا..

لقد علمت قبائل معد، وهي الشعب الكبير من عرب الشمال، عندما نصبنا الخيام في السهول..

يَأْنَا الْمُطْعِمُونَ إِذَا قَدَرْنَا وَأَنَا الْمُهْلِكُونَ إِذَا ابْتُلِينَا

علمت قبائل معد بأننا نطعم الفقير إذا قدرنا، أي نصبنا القدرور وطبخنا، ونهلك الأعداء الذين يبلوننا، أي يجربوننا ليعرفوا مواطن ضعفنا

وَأَنَا الْمَانِعُونَ لِمَا أَرَدْنَا وَأَنَا النَّازِلُونَ بِحَيْثُ شِينَا

ونمنع المغيرين من ورود ماثنا أو التعدي علينا، وننصب خيامنا في أي مكان شئنا لا نخاف أحداً

وَأَنَا التَّارِكُونَ إِذَا سَخِطْنَا وَأَنَا الْآخِذُونَ إِذَا رَضِينَا

ولا أحد يجلسنا في أرض، فنحن نرحل إذا سخطنا، ونأخذ ما نريد أخذه في حال الرضى

وَأَنَا الْعَاصِمُونَ إِذَا أَطْعَمْنَا وَأَنَا الْعَارِمُونَ إِذَا عُصِبْنَا

إذا أطعنا الناس نعصمهم، نحميمهم، وإذا عصانا الناس فنحن عارمون أي أشداء

وَنَشْرَبُ إِنْ وَرَدْنَا الْمَاءَ صَفْوًا وَيَشْرَبُ غَيْرُنَا كَدْرًا وَطِينًا

نحن، لقوتنا، أول من يشرب ويسقي إبله من الحوض فنشرب ماء صافياً، ونترك للآخرين الحوض وقد تكدر ماؤه، فيشربون الكدر والطين

لَنَا الدُّنْيَا وَمَنْ أَمْسَى عَلَيْهَا وَنَبِطِشُ حَيْنَ نَبِطِشُ قَادِرِينَا

مَلَأْنَا الْبَرَّ حَتَّى ضَاقَ عَنَّا وَمَاءُ الْبَحْرِ نَمْلَأُهُ سَفِينَا

إِذَا بَلَغَ الرُّضِيعُ لَنَا فِطَامًا تَخِرُّ لَهُ الْجَبَابِرُ سَاجِدِينَا

٤ معلقة عنترة بن شداد العبسي

هَلْ غَادَرَ الشُّعْرَاءُ مِنْ مُتَرَدِّمٍ أَمْ هَلْ عَرَفْتَ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُمٍ

هل ترك الشعراء شيئاً لم يقولوا فيه؟ وهل تركوا طلالاً لم يصفوه؟ وهل أنت يا عنترة - يخاطب نفسه - قد عرفت ديارهم المقفرة بعد أن شككت فيها؟ وللشراح في «المتردم» أقوال لم نرتضها

يَا دَارَ عِبْلَةٍ بِالْجَوَاءِ تَكَلَّمِي وَعِمِّي صَبَاحاً دَارَ عِبْلَةٍ وَاسْلَمِي

يا دار عبلة بموضع «الجواء» تكلمي وأخبرينا عن أهلك ماذا فعلوا؟ ولكن صباحك طيباً أيتها الدار المقفرة

فَوَقَفْتُ فِيهَا نَاقَتِي وَكَأَنَّهَا فَدَنَ لِأَقْضِي حَاجَةَ الْمُتَلَوِّمِ
وقفت ناقتي، أي أوقفتها، عند الدار الخربة، فكان الناقة فدن، أي قصر؛ لأنها بدت كبيرة
ضخمة بالقياس إلى الديار الخربة المهدامة، وأردت أن أقضي حاجة في نفسي أنا المتلوم، أي
الماكث بعد رحيلهم

حُبِّيتَ مِنْ طَلَلٍ تَقَادَمَ عَهْدُهُ أَقْوَى وَأَقْفَرَ بَعْدَ أُمِّ الْهَيْثِمِ
أقوى وأقفر: خلا. وأم الهيثم عبلة، وكانوا يكتون المرأة والرجل قبل الزواج، وربما حتى عند
الميلاد، فيولد الطفل فيلصقون به اسماً وكنية في الوقت نفسه

حَلَّتْ بِأَرْضِ الزَّائِرِينَ فَأَضْبَحَتْ عَسِيراً عَلَيَّ طِلَابُكَ ابْنَةَ مَخْرَمٍ
نزلت عبلة ابنة مخرم بأرض الزائرين، أي وسط أهلها الذين يزأرون كالأسود، وتعسر على عترة
اللقاء بها

عُلِقْتُهَا عَرَضاً، وَأَقْتُلُ قَوْمَهَا زَعِماً لَعَمْرُ أَبِيكَ لَيْسَ بِمَزْعَمٍ
أحببتها صدفةً، فهل يعقل أن أقتل قومها في حرب؟ ذلك زعم لا يكون

وَلَقَدْ نَزَلْتُ، فَلَا تَظُنِّي غَيْرَهُ، مِنِّي بِمَنْزِلَةِ الْمُحَبِّ الْمُكْرَمِ
منزلك من قلبي هو منزل المحبوب المكرم، فلا تظني سوى ذلك

وَكَأَنَّ فَارَةَ تَاجِرٍ بِقَسِيمَةٍ سَبَقَتْ عَوَارِضَهَا إِلَيْكَ مِنَ الْفَمِ
كان فم عبلة في قسيمة، أي في ساعة متأخرة تتغير فيها رائحة أفواه الناس، كأنه فارة مسك عند
تاجر عطار، ورائحتها تسبق عوارضها، أي أسنانها.. فهو قيل أن يقبلها يشم لفمها رائحة طيبة.
وفارة المسك غشاء فيه مسك

أَوْ رَوْضَةً أَنْفًا تَضَمَّنَ نَبْتَهَا غَيْثٌ قَلِيلُ الدَّمَنِ لَيْسَ بِمُعْلَمٍ
وكان رائحة فمها رائحة روضة أنف، بكر لم يدخلها راع، وقد تعهد نباتها مطر قليل الدمن، خال
من الشوائب، وهذا المكان غير معلّم، غير معروف للناس

وَلَقَدْ مَرَرْتُ بِدَارِ عِبِلَةَ بَعْدَمَا لَعِبَ الرَّبِيعُ بِرَبْعِهَا الْمُتَوَسِّمِ
مررت بدارها وقد غير موسم الربيع شكلها بالعشب الذي يتوسمه الناس ويطلبونه

وَحَلَا الذُّبَابُ بِهَا فَلَيْسَ بِبَارِحٍ عَرِدًا كَفِعَلِ الشَّارِبِ الْمُتَرَنِّمِ
وانفرد الذباب بهذه الديار لا يبرحها، والذباب يغرد بترنيم وزّين مثلاً يفعل السكران وهو بترنم
بكلام غير مفهوم، ويسكت ثم يعود بترنم

هَزَجًا يَحْكُ ذِرَاعَهُ بِذِرَاعِهِ قَدَحَ الْمُكَبِّ عَلَى الزَّنَادِ الْأَجْذَمِ

يترنم الذباب وهو هزج، أي مسرع، يحك ذراعه بذراعه، مثلما قد أكب رجل على زناده، عود قدح النار، يحكه حكاً، والزناد أجزم، أي قصير، فيدا الرجل متقاربين كيدي الذبابة وهما تحتكان. نرجح هذا الشرح على شرح الجاحظ في الحيوان، فقد جعل الجاحظ الأجزم صفة للرجل القادح، جعله مقطوع اليدين، وترنم الجاحظ بوصف عترة للذباب، وزعم أنه بلغ فيه كل مبلغ حتى تحامت الشعراء هذا المعنى

إِنْ تُغْدِفِي دُونِي الْقِنَاعَ فَإِنَّنِي طَبَّ بِأَخْذِ الْفَارِسِ الْمُسْتَلْتِمِ

إن تستري نفسك بالقناع أي الخمار مني، فاعلمي أنني طب، حاذق، بأخذ الفارس المستلتم، اللابس الدرع، فلن يعجزني أمرك

أَنَّنِي عَلَيَّ بِمَا عَلِمْتَ، فَإِنَّنِي سَمَحَ مُخَالَفَتِي إِذَا لَمْ أَظْلَمِ

امدحيني بما تعلمين حقاً، فأنا سمح الشائل ما لم يلحق بي الظلم

فَإِذَا ظَلِمْتُ فَإِنَّ ظُلْمِي بَاسِلٌ مُرٌّ مَذَاقُهُ كَطَعْمِ الْعَلَقَمِ

فإن ظلمت فإن ظلمي باسل، مكشر عن أنيابه، ويذوق الظالم جرأه عقاباً طعمه كالعلقم

وَلَقَدْ شَرِبْتُ مِنَ الْمُدَامَةِ بَعْدَمَا رَكَدَ الْهَوَاجِرُ بِالْمَشُوفِ الْمُغْلَمِ

شربت الخمر بعد أن سكنت الهاجرة، الحر الشديد، ودفعت في الخمر المشوف المعلم، الدينار المجلّو المنقوش

بِزُجَاجَةٍ صَفْرَاءَ ذَاتِ أَسْرَةٍ قُرِنْتُ بِأَزْهَرَ فِي الشَّمَالِ مُقَدِّمِ

شربت بزجاجة، أي بكأس، صفراء - لعلها من النحاس الأصفر - ذات أسرة، أي خطوط، والكأس مقرونة بإبريق أزهر، أبيض، ولعله من فضة، وهو مقدم، مزود بقماشة عند فمه للتصفية. تفسير «في الشمال»: لعله أراد أن الإبريق موضوع في مجرى ريح الشمال، وكانوا يعرضون الخمر لريح الشمال الباردة كي تبرد، ولذا غدت الصفتان «مشمولة» و«شمول» اسمين من أسماء الخمر

فَإِذَا شَرِبْتُ فَإِنَّنِي مُسْتَهِلُّكَ مَالِي، وَعِرْضِي وَافِرٌ لَمْ يُكَلِّمْ

أستهلك مالي في الشراب، ويبقى عرضي وافرأ لم يجرح لأنني لا أعربد في سكري

وَإِذَا صَحَوْتُ فَمَا أَقْصَرُ عَنْ نَدَى وَكَمَا عَلِمْتَ شِمَائِلِي وَتَكْرُمِي

وعند صحوي فلأنني كريم سخي، وهذه هي أخلاقي

هَلَّا سَأَلْتُ الْخَيْلَ يَا ابْنَةَ مَالِكٍ إِنْ كُنْتَ جَاهِلَةً بِمَا لَمْ تَعْلَمِي

أسألي الخيل وفرسانها عن بلائي في الحرب إن لم تكوني على علم بذلك

يُخْبِرُكَ مَنْ شَهِدَ الْوَقِيعَةَ أَنَّنِي أَغْشَى الْوَعَى وَأَعْفُ عِنْدَ الْمَغْنَمِ

سيخبرك من شهد المعركة بأنني أدخل الحرب، ولكنني عفيف عند توزيع الغنائم

إِنِّي عَدَانِي أَنْ أَزُورَكَ فَأَعْلَمِي مَا قَدْ عَلِمْتِ، وَبَعْضُ مَا لَمْ تَعْلَمِي

منعني من زيارتك أمور تعلمينها، وأخرى لا تعلمينها

وَمُدَجِّجُ كَرِهَةِ الْكُمَاةِ نَزَالَهُ لَا مُمَعِنٍ هَرَباً وَلَا مُسْتَسْلِمٍ

ورب مدجج بالسلاح كره الكمأة، الأبطال، نزاله،

وهو ليس بهارب ولا مستسلم بل مقبل على النزال

جَادَتْ لَهُ كَفِّي بِعَاجِلِ طَعْنَةٍ بِمُثَقِّفِ صَدَقِ الْكُعُوبِ مُقَوِّمٍ

عاجلته بطعنة من رمح مثقف، مقوِّم، صدق، أي صلب، الكعوب،

والكعب هو العقدة في أنبوب الرمح

فَشَكَكْتُ بِالرُّمَحِ الْأَصَمِّ ثِيَابَهُ لَيْسَ الْكَرِيمُ عَلَى الْقَنَا بِمُحَرَّمٍ

شككته بالرمح المصمت، ولا بأس على الرجل الكريم أن يقتل في المعركة بالقنا، أي الرماح

فَتَرَكْتُهُ جَزَرَ السَّبَاعِ يَنْشُنُهُ يَقْضِمْنَ حُسْنَ بَنَانِهِ وَالْمِعْصَمِ

تركته جزر السباع، أي ذبيحة تفرسها الوحوش وتتناوشها من هنا وهنا، وتقضم الوحوش تلك

الأنامل وذلك المعصم الحسن ممن كان فارساً شجاعاً

لَمَّا رَأَيْتِي قَدْ نَزَلْتُ أُرِيدُهُ أَبْدَى نَوَاجِذَهُ لِغَيْرِ تَبَسُّمٍ

عندما رأيته قد نزلت نحوه أظهر نواجذه، أسنانه الخلفية، في تكشيرة فزع لا ابتسام

فَقَطَعْنَاهُ بِالرُّمَحِ ثُمَّ عَلَوْنَاهُ بِمِهْنَدٍ صَافِي الْحَدِيدَةِ مَخْذَمٍ

طعنته أولاً بالرمح ثم عندما وقع أرضاً أجهزت عليه بالسيف اللامع حديده والمخدم، أي القاطع

وَلَقَدْ ذَكَرْتُكَ وَالرَّمَاحُ نَوَاهِلُ مِنِّي، وَبِيضُ الْهِنْدِ تَقْطُرُ مِنْ دَمِي

ذكرتك يا عبلة والرمماح نواهل مني، والسيوف الهندية أيضاً

فَوَدِدْتُ تَقْبِيلَ السِّيُوفِ لِأَتَهَا لَمَعَتْ كِبَارِقِي ثَغْرِكَ الْمُتَبَسِّمِ

نُبِثْتُ عَمراً غَيْرَ شَاكِرٍ نِعَمَتِي وَالْكَفْرُ مَخْبِئَةٌ لِنَفْسِ الْمُنْعِمِ

أبلغت أن ذلك الرجل لا يشكر معروفني. وكُفِرَ النعمة، أي عدم الاعتراف بالفضل، يجعل نفس

صانع المعروف تخبت، يدخلها الفساد والشك. ما أقى أن تحسن إلى إنسان ثم ينسى فضلك

تماماً، وقد يكيد لك جزاء معروفك. . . كأنه يريد أن يثبت لنفسه أن ما ناله من خير لم يكن على

يديك. عشنا وشقنا!

لَمَّا رَأَيْتُ الْقَوْمَ أَقْبَلَ جَمْعُهُمْ يَتَذَامِرُونَ كَرَرْتُ غَيْرَ مُذَمِّمٍ

أقبل الأعداء يتذامرون، يحض بعضهم بعضاً على القتال، فهجمت عليهم فلا ذم علي

يَدْعُونَ: عَنَتْرُ! وَالرِّمَاحُ كَانَتْهَا أَشْطَانُ بِئْرٍ فِي لَبَانِ الْأَدَمِ

يناديني قومي يا عتتر، يريدون النصر، ورماح الأعداء في لبان الأدم، في صدر فرسي الأسود، كأنها جبال مدلاة في بئر

مَا زِلْتُ أُرْمِيهِمْ بِثُغْرَةٍ نَحْرِهِ وَلَبَانِهِ حَتَّى تَسْرِبَلَ بِالْدَمِ

ظلت أذفع نحو الأعداء ثغرة نحر فرسي، التجويف في أعلى صدره، حتى تجلل الفرس بالدم

فَازَوْرٌ مِنْ وَقَعِ الْقَنَا بِلَبَانِهِ وَشَكَا إِلَيَّ بِعَبْرَةٍ وَنَحْنُحُمِ

فازور الفرس، مال، لشدة وقع الرماح بصدرة، وشكا إلي حاله بدمعة وبصوت متقطع

لَوْ كَانَ بَدْرِي مَا الْمُحَاوَرَةُ اسْتَكَى وَلَكَانَ لَوْ عَرَفَ الْكَلَامَ مُكَلِّمِي

لو عرف الكلام لكلمني

وَلَقَدْ شَفَى نَفْسِي وَأَبْرَأَ سُقْمَهَا قَبِيلُ الْفَوَارِسِ: وَيَكْ عَنَتْرُ أَقْدِمِ

اشتفيت، وأذهب ما بنفسي من ألم البذ والتعبير بالعبودية قول الفرسان لي: ويحك يا عترة تقدم وقاتل

وَالْخَيْلُ تَفْتَحُهُمُ الْغُبَارَ عَوَائِسًا مِنْ بَيْنِ شَيْظَمَةٍ وَأَجْرَدَ شَيْظَمِ

كانت الخيل تدخل في غبار المعركة عابسة، وهي خيل طويلة ما بين حصان ذكر وفرس أنثى. والشيزم من الخيل: الطويل، والأجرد: القصير الشعر

وَلَقَدْ خَشِيتُ بِأَنْ أَمُوتَ وَلَمْ تَذُرْ لِلْحَرْبِ دَائِرَةً عَلَى ابْنِي ضَمَضَمِ

خشيت أن أقتل قبل أن أقتل ابني ضمضم، وهما رجلان من بني مرة كان عترة قتل أباهما فظلا يتوعدها

السَّائِمِي عَرْضِي وَلَمْ أَشْتُمُهُمَا وَالنَّاذِرِينَ إِذَا لَمْ الْقَهُمَا دَمِي

فهما يشتمانني ولم أكن شتمتهما، ويقولان للناس - في غيبي - إنهما قد نذرا دمي ويريدان قتلي

إِنْ يُقْتَلَا فَلَقَدْ تَرَكْتُ أَبَاهُمَا جَزَرَ السَّبَاعِ وَكُلَّ نَسْرِ قَشَعِمِ

كنت قتلت أباهما من قبل وتركته ذبيحة للوحوش وللنور الكبيرة

٥ معلقة الحارث بن حِزَّةَ الْيَشْكُرِيِّ الْبَكْرِي

أَذَنْتَنَا بِبَيْنِهَا أَسْمَاءُ رَبِّ ثَاوٍ يُمَلُّ مِنْهُ الثَّوَاءُ

أخبرتنا أسماء بوشك رحيلها، ورب ثاوٍ مقيم نمل إقامته بيتنا، ولا كذلك أسماء

بَعْدَ عَهْدٍ لَنَا بِبُرْقَةٍ شَمَاءَ ۚ فَأَذْنَى دِيَارِهَا الْخُلَصَاءُ

ذلك بعد أن كان بيتنا عهد، أي لقاء، في موضع «برقة شماء»، وفي «الخلصاء» التي هي أقرب ديار قومها إلينا

لَا أَرَى مَنْ عَهِدْتُ فِيهَا فَأُبْكِيهِ الْ - يَوْمَ ذَٰلَهَا، وَمَا يَرُدُّ الْبُكَاءُ؟
لا أرى من عهدي رؤيتهم في هذه الأماكن لذا فانا اليوم أبكي دلها، أي بلا فائدة؛ وما الذي
سيرده عليّ البكاء؟

وَبِعَيْنَيْكَ أَوْقَدْتَ هِنْدُ النَّارَ أَخِيرًا تُلَوِّي بِهَا الْعَلْيَاءُ
رأيت بعينيك - يخاطب نفسه - نار هند وقد أوقدتها أخيراً، أي في آخر عهدك بها، وأخذت
تلوي، أي ترتفع، بالنار العليا، تلك المنطقة. يقول: ارتفع موضع هند وظهر عندما أوقدت النار

فَتَنَوَّرَتْ نَارُهَا مِنْ بَعِيدٍ بِخُزَارٍ، هِنَهَاتٍ مِنْكَ الصَّلَاءُ
وقد تنورت نارها، رأيتها متفحصاً مصدرها، وأنت بموضع «خزاز»، وهو بعيد جداً فهيهات أن
تتمكن من الاستدفاء بتلك النار

غَيْرَ أَنِّي قَدْ أَسْتَعِينُ عَلَى الْهَمِّ - إِذَا خَفَّ بِالثَّوِيِّ النَّجَاءُ ..
أستعين على الهم، أي على تنفيذ مقاصدي، عندما يعين النجاء، أي الإسراع، الثوي، أي المقيم
على التحرك ..

بِزُفُوفٍ كَأَنَّهَا هِفْلَةٌ أُمُّ - رِثَالٍ دَوِيَّةٌ سَقْفَاءُ ..
أستعين على حوائجي بزفوف، ناقة خفيفة، كأنها هفلة أم رثال، نعامة ذات أولاد، دوية، أي برية
وحشية، سقفاء، معوجة الساقين. يشبه ناقته بالنعامة في خفتها وسرعتها واعوجاج ساقها ..

آتَسَتْ نَبَآةً، وَأَفْزَعَهَا الْقَنَدُ - حَاصُ عَصْرًا، وَقَدْ دَنَا الْإِمْسَاءُ
هذه النعامة آتست نبأة، أحست بصوت خفي، وفزعت من قناص يترصدها عصراً وقد دنا الإمساء،
لذا فالنعامة تفر مسرعة

وَأَنَا مِنَ الْحَوَادِثِ وَالْأَنْبَاءِ خَطْبُ نُعْنَى بِهِ وَنِسَاءِ
جاءتنا أخبار سيئة ..

أَنَّ إِخْوَانَنَا الْأَرَاقِمَ يَغْلُو نَ عَلَيْنَا، فِي قِيلِهِمْ إِخْفَاءُ
هذه الأخبار أن «الأراقم»، وهم قوم من تغلب، يغلون علينا، يتجاوزون الحد في ظلمنا، وفي
كلامهم إحقاء، أي مبالغة

يَخْلِطُونَ الْبَرِيءَ مِنَّا بِذِي الذَّنْبِ، وَلَا يَنْفَعُ الْخَلِيَّ الْخَلَاءُ
ويخلطون البريء ذنب المذنب، ولا يتفح البريء ببراءته لأنهم يشملون الجميع بالاتهام

أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ عِشَاءً فَلَمَّا أَصْبَحُوا أَصْبَحَتْ لَهُمْ ضَوْضَاءُ
اتفقوا ليلاً على قتالنا، وعندما أصبحوا كانت لهم ضوضاء وضجة

مِنْ مُنَادٍ وَمِنْ مُجِيبٍ وَمِنْ تَصَدَّ هَالِ خَبِيلٍ خِلَالَ ذَاكَ رُغَاءٍ
 فهذا ينادي وذاك يجيبه، والخبيل تصهل، وفي وسط ذلك كله يُسمع رغاء الإبل، أي صوتها
 أَيَّمَا خُطَّةٍ أَرَدْتُمْ فَأَؤَدُّ هَا إِلَيْنَا تَمْشِي بِهَا الْأُمَلَاءُ
 يخاطبهم: مهما تكن عندكم من خطة للتسوية فقدموها لنا بواسطة الأملاء،
 السعاة بالخير من الوسطاء

إِنْ نَبَشْتُمْ مَا بَيْنَ مِلْحَةٍ فَالْصَّا قَبِ فِيهِ الْأَمْوَاتُ وَالْأَحْيَاءُ
 إن نبشتم عن الماضي وما كان بيننا فيه من قتل ومعارك بين موضعي ملحّة والصاقب، فتجدون
 قتلى بعضهم أحياء - أي أخذ بثأرهم فكان هذا أعادهم إلى الحياة - وبعضهم أموات لم يؤخذ
 بثأرهم بعد

أَوْ نَقَشْتُمْ، فَالْنَّقْشُ يُجْشِمُهُ النَّاسُ، وَفِيهِ الصَّلَاحُ وَالْإِبْرَاءُ
 وإن نقشتم، أي تتبعتم الحالات واحدة واحدة مثلما يتبع الناقش بالمنقاش، أي الملقط، الشعرات
 واحدة واحدة فيزيلها، فالتبع يجشمه الناس، أي يعانون منه، وفيه كشف للحقائق... ويتبين منه
 أنكم كنتم المعتدين

أَوْ سَكَّيْتُمْ عَنَّا فَكُنَّا كَمَنْ أَغْرَحَ عَيْنًا فِي جَفْنِهَا أَقْدَاءُ
 وإن اخترتم السكوت فنحن نغمض أعيننا عن الأمر، ولكن كإغماض المرء عينه على قذى فيها،
 فلن ننسى اعتداءكم

لَا يُقِيمُ الْعَزِيزُ بِالْبَلَدِ السَّهْلَ لِي، وَلَا يَنْفَعُ الدَّلِيلَ النَّجَاءُ
 لا يقيم القوي في السهل أمناً يرعى مواشيه، فلا بد له من التوهر ومواجهة الأعداء، ولا يتفعل
 الضعيف الدليل بالنجاء، الفرار

٦ معلقة عبيد بن الأبرص

أَقْفَرُ مِنْ أَهْلِهِ مَلْحُوبٌ فَالْقُطَبِيَّاتُ فَالذُّنُوبُ
 أقفر موضع ملحوب وخلا من أهله، وكذا أقفرت «الْقُطَبِيَّاتُ» والذنوب. معلقة عبيد مضطربة
 الوزن، كأنها النسخة الأولى من مخلع البسيط الذي سيكون له شأن في العصر العباسي. قال
 المعري: «وقد يخطئ الرأي امرؤ وهو حازم/ كما اختل في وزن القريض عبيد»

وَبَدَّلْتُ مِنْهُمْ وَحُوشًا وَغَيَّرْتُ حَالَهَا الْخُطُوبُ
 وسكنت الوحوش في هذه الأماكن بدلاً من أهلها الراحلين، وغيّرت أحوالها الأحداث

تَصُبُّوْا أَنَّى لَكَ التَّصَابِي أَنَّى وَقَدْ رَاعَكَ الْمَشِيبُ
 يخاطب نفسه: إنك لتميل إلى اللهو، وكيف لك هذا التصابي بعد أن هجم المشيب وأفرعك

فَكُلُّ ذِي نِعْمَةٍ مَخْلُوسٌ وَكُلُّ ذِي أَمَلٍ مَكْذُوبٌ
كل صاحب مال مخلوس، أي مسلوب منه في النهاية، وكل صاحب أمل سيخيب أمله

وَكُلُّ ذِي إِيلٍ مَوْزُوثٌ وَكُلُّ ذِي سَلَبٍ مَسْلُوبٌ
وصاحب الإبل يموت عنها فيرثها عقبه، وكل من سلب الناس شيئاً سيسلب منه ذلك الشيء

وَكُلُّ ذِي غَيْبَةٍ يَوْوُبٌ وَغَائِبُ الْمَوْتِ لَا يَوْوُبُ
مَنْ يَسْأَلُ النَّاسَ يَحْرِمُوهُ وَسَائِلُ اللَّهِ لَا يَخِيْبُ
سَاعِدُ بِأَرْضٍ إِنْ كُنْتَ فِيهَا وَلَا تَقُلْ إِنَّنِي غَرِيبٌ
إِنْ كُنْتَ مَغْتَرِباً فِي غَيْرِ قَوْمِكَ فَسَاعِدْ مَنْ تَلْتَحِقُ بِهِمْ، فالغربة ليست سبباً في القعود عن مد يد
العون

قَدْ يُوصَلُ النَّازِحُ النَّائِي، وَقَدْ يُقَطَّعُ ذُو السُّهُمَةِ الْقَرِيبُ
فالغريب قد ينال من حسن عشرة الناس ما لا يناله صاحب السهمة، أي النصيب، القريب نسباً
والمَرءُ ما عاشَ فِي تَكْذِيبٍ طُولُ الْحَيَاةِ لَهُ تَعْذِيبٌ

بقية المعلقات فهرس القوافي (القافية فرقم القطعة)

(المعلقات الأربع الأخرى في أبواب: امرئ القيس، وزهير، والنابغة، والأعشى).

٤	تَوَهُّم	٥	الثَّوَاءُ
٢	فَرَجَامُهَا	٦	فَالذَّنُوبُ
٣	الْأُنْدَرِينَا	١	الْيَدِ

المفضليات

هذه أشعار جمعها الْمُفَضَّل الضَّبِّي للخليفة المهدي فسميت الْمُفَضَّلِيَّات، ثم زيد فيها أكثر من ضعفي حجمها، ثم لم نعد نعرف الذي اختاره المفضل من الذي ألحقه الناس بعده بمجموعته. لكن المجموعة وقعت إلينا في نسخ كثيرة فاعتنى بها أبو محمد القاسم الأنباري من القدماء، فشرحها شرحاً ضافياً، وحقق هذا الشرح «كارلوس يعقوب لايل» الإنجليزي من المحدثين، وطبعه في بيروت على نفقة «كلية أكسفورد» - كما كتبها على الغلاف - في سنة وفاته ١٩٢٠ في نحو من ألف صفحة. ونشرت المفضليات في إنجلترا في «مطبعة جامعة أكسفورد» مترجمة إلى الإنجليزية ترجمة شعرية مرسلة، مع تعليقات ثمينة، في جزأين. ثم فهرس الطبعة الإنجليزية أنطوني بيفان بعد موت لايل بأربع سنين. ونشر المفضليات بمصر حسن السندوبي، ثم نشرها أحمد شاکر وعبد السلام هارون مع شرح موجز.

المفضليات ٣٣٦ من القصائد الكاملة لمئة وخمسة وخمسين شاعراً كلهم من الجاهلية أو صدر الإسلام. وقد اخترت لك ما راقني، وما رأيته راق أهل الأدب عبر مئات السنين. فذوقي ذوقان: ذوق أصيل وذوق مستعار. أستمتع بالبيت أو بمجموعة الأبيات فأضع إزاءها إشارة بالقلم، وتمر بي أبيات طال ترددها في كتب القدماء وتناولوها نقداً أو إعجاباً فلا أضن بها عليك. وقد شرحت ما اخترت بأحسن ما أستطيع، وانتفعت بشرح شاکر وهارون.

١ ستندم

نَابِطُ شَرَأْ:

سَدَّدْ خِلَالَكَ مِنْ مَالٍ تُجَمِّعُهُ حَتَّى تُلَاقِي الَّذِي كُلُّ امْرِئٍ لَاقٍ
خلالك: حاجاتك. قم بما عليك من واجبات ما دمت على قيد الحياة

لَتَقْرَعَنَّ عَلَيَّ السَّنَّ مِنْ نَدَمٍ إِذَا تَذَكَّرْتَ يَوْمًا بَعْضَ أَخْلَاقِي
قرع السن: كعض الإصبع في زمننا، دليل على الندم

٢ سيروا إلى الموت

بَشَامَةُ بْنُ الْقَدِيرِ: يَحْثُ قَوْمَهُ بَنِي سَهْمٍ بِنِ مَرَّةٍ عَلَى أَلَا يَنْقَضُوا حَلْفَهُمْ مَعَ بَنِي جُهَيْنَةَ:

نَأْتُكَ «أَمَامَةً» نَأِيًّا طَوِيلًا وَحَمَلَكَ النَّأْيُ عِبْنًا ثَقِيلًا
ابتعدت أمامة عن وصلك مدة طويلة، وتحملت بسبب بعدها حزناً شديداً

وَحُمِّلَتْ مِنْهَا عَلَى نَأْيِهَا خَيَالًا يُوَافِي، وَنَيْلًا قَلِيلًا
يأتيك خيالها في المنام، ولكنك لا تنال منها وصلاً حقيقياً

وَنَظَرَةَ ذِي شَجَنِ وَامِقٍ إِذَا مَا الرِّكَائِبُ جَاوَزْنَ مِيلًا
تنال منها نظرة صاحب شجن وامق، أنت في الركب مبتعداً عن خيام الحي. والميل
قياس للمسافة كان معروفاً أيضاً في الزمن القديم والكلمة يونانية

أَتُنْثَنُ تُسَائِلُ مَا بَثْنَا؟ فَقُلْنَا لَهَا: قَدْ عَزَمْنَا الرِّحِيلَا
تسألنا أمامة ما بثنا، خبرنا، فأخبرناها بعزمنا على الرحيل

وُخْبِرْتُ قَوْمِي، وَلَمْ أَلْقَهُمْ، أَجَدُّوْا عَلَى ذِي شَوَيْسٍ حُلُولًا
علمت أن قومي - ودون أن أقابلهم - قد أجدوا حلولا، نزلوا مؤخراً، بموضع ذي شويس
فإِذَا هَلَكْتُ وَلَمْ آتِهِمْ فَأَبْلِغْ أَمَائِلَ سَهْمٍ رُسُولًا . .
إن مت قبل أن آتي إليهم، فأبلغ أمائلهم، قبيلة سهم وكن رسولاً . .

بِأَنْ قَوْمُكُمْ خَيْرُوا خَصَلَتِي نِي، كِلْتَاهُمَا جَعَلُوْهَا عُذُولًا
أبلغهم بأن قومهم مخيرون بين خصلتين، خيارين، كلتاها عدول، أي جائرتان عن الحق

فَخَزِي الْحَيَاةَ وَحَرْبُ الصَّدِيقِ وَكُلًّا أَرَاهُ طَعَامًا وَبَيْلًا
إحداهما التفاعس عن الحرب وفي هذا العار، والثانية محاربة الصديق، وكلتاها كالطعام الفاسد

فَإِنْ لَمْ يَكُنْ غَيْرُ إِحْدَاهُمَا فَسِيرُوا إِلَى الْمَوْتِ سَيْرًا جَمِيلًا
فإن لم يتيسر خيار ثالث فعليك بالحرب

وَلَا تَفْعُدُوا وَبِكُمْ مُنَّةٌ كَفَى بِالْحَوَادِثِ لِلْمَرَّةِ عُولًا
ولا تتفاعسوا وبكم منه، أي قوة، فالمرء على كل حال غرض للموت بحوادث الزمن التي تغتاله

وَحُشُّوا الْحُرُوبَ إِذَا أُوقِدَتْ رِمَاحاً طَوَالاً وَخَبَلًا فُحُولاً
 حشوا، أي أوقدوا، الحروب برماح طويلة وخيول فحلة قوية
 وَمِنْ نَسِجِ دَاوُدَ مَوْضُونَةٌ تَرَى لِلْقَوَاضِبِ فِيهَا صَلِيلًا
 ويدروع كأنها من نسج النبي داود، المشهور بنسج الدروع، وهي موضونة، أي مضاعفة النسج،
 وللقواضب، أي السيوف، صليل ورنين على الدروع

٣ أرباب نخل

المرَّارُ بْنُ مُنْقَذٍ:

فإِنَّكَ إِنْ تَرَيْ إِيلاً سَوَانَا وَنُضْبِحُ لَا تَرَيْنَ لَنَا لَبُونًا . .
 إن رأيت لغيرنا الإبل، ولم تجدي عندنا لبوناً، أي بعيراً قد قُطم . .
 فَإِنَّ لَنَا حَظَائِرَ نَاعِمَاتٍ عَطَاءَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
 فلنا حظائر، نخلات، جيدات

طَلَبْنَ الْبَحْرَ بِالْأَذْنَابِ حَتَّى شَرِبْنَ جِمَامَهُ حَتَّى رَوَيْنَا
 نخلاتنا طلبن الماء بأذناهن، بجذورهن، وشربن الجمام، الماء الكثير، حتى ارتوين
 كَأَنَّ فُرُوعَهَا فِي كُلِّ رِيحٍ جَوَارٍ بِالذَّوَائِبِ يَنْتَصِينَا
 كأن فروع النخل عندما تحركها الريح جوارٍ، أي فتيات، يتصين، أي يتجاذبن، بالذوائب،
 بخصلات الشعر

بَنَاتُ الدَّهْرِ لَا يَحْفَلْنَ مَحَلًّا إِذَا لَمْ تَبْقَ سَائِمَةٌ بَقِينَا
 النخلات بنات الدهر، يعشن طويلاً، ولا يهمنن القحط . . وعندما تفتى السوائم، الإبل التي
 ترعى، بجفاف العشب تبقى النخلات

إِذَا كَانَ السَّنُونُ مُجَلِّحَاتٍ خَرَجْنَ وَمَا عَجِفْنَ مِنَ السَّنِينَا
 إن كانت المواسم مجلحة، مجدية، فالنخلات تخرج من زمن الجفاف دون أن تعجف، تهزل
 فَتَلْكَ لَنَا غِنًى وَالْأَجْرُ بَاقٍ فَعُضِّي بَعْضَ لَوْمِكِ يَا طَلْعِينَا
 هذه هي مالنا، ونطعم منها الضيف ونكسب الأجر، فكفي عنا بعض اللوم يا طلعين، يا امرأة

٤ تبليغ الغيظ

المرَّارُ بْنُ مُنْقَذٍ:

عَجِبْتُ خَوْلَةً إِذْ تُنْكِرُنِي أَمْ رَأَتْ خَوْلَةً شَيْخًا قَدْ كَبِرَ؟

وَكَسَاهُ الدَّهْرُ سِبًّا نَاصِعًا وَتَحَنَّى الظَّهْرُ مِنْهُ فَأَطْرَ

سباً ناصعاً: ثوباً أبيض هو الشيب، واطر جسمه، أي تقوَّس

مَا أَنَا الْيَوْمَ عَلَى شَيْءٍ مَضَى، يَا ابْنَةَ الْقَوْمِ تَوَلَّى، بِحَسِرْ

لست على شيء تولى وذهب بحسر، أي بنادم

كَمْ تَرَى مِنْ شَانِيٍّ يَحْسُدُنِي قَدْ وَرَاهُ الْغَيْظُ فِي صَدْرٍ وَغُرْ

كثيراً ما ترى شانتاً، مبغضاً، يحسُدني، وقد وراه الغيظ، أي قد أفسد جوفه، فصدره وغر، مملوء غيظاً

وَحَسَوْتُ الْغَيْظَ فِي أَضْلَاعِهِ فَهُوَ يَمْشِي حَظْلَانًا كَالنَّقْرِ

ملأته غيظاً فحتى مشيته فيها حظلان، أي عرج وميل، كأنه نقر، أي قد التوى عرق في ساقه

لَمْ يَضِرْنِي، وَلَقَدْ بَلَّغْتُهُ قَطَعَ الْغَيْظُ بِصَابٍ وَصَبِرْ

لم يصني بأذى مع أنني جعلته يبلع قطعاً من الغيظ كأنها قطع من نبات الصاب والصبر، وهما نباتان فيهما مرارة شديدة

هَلْ عَرَفْتَ الدَّارَ أَمْ أَنْكَرْتَهَا بَيْنَ تَبْرَاكِ فَشَسِيَّ عَبَقْرٌ؟

يخاطب نفسه: أعرفت دار الأعبة بين ذينك المكانين؟

جَرَّرَ السَّيْلُ بِهَا عُثُونَهُ وَتَعَفَّتْهَا مَدَالِيحُ بُكْرٍ

السيل جر عثونه، أوائل مياهه، فيها وتعفتها، أي محتها، مَدَالِيحُ بُكْرٍ، رياح ليلية وأخرى صباحية

وَتَرَى مِنْهَا رُسُومًا قَدْ عَفَتْ مِثْلَ خَطِّ اللَّامِ فِي وَحْيِ الزُّبُرِ

وترى رسوماً، بقايا، من الديار وقد عفت، ائمت، فكأنها خط اللام، واللام هو الإنسان، المرقوم في الزبر، أي الكتب.. المعنى: أن الديار صارت ككتابة الإنسان على وجه الورقة، والكتابة في عين شخص أُمِّي هي خربشات لا معنى لها متفرقة هنا وهناك

قَدْ نَرَى الْبَيْضَ بِهَا مِثْلَ الدُّمَى لَمْ يَحْنُھُنَّ زَمَانٌ مُقْسَعِرٌ

كنا نرى البيض، الحسان، بتلك الديار، وهن مثل الدُمى جمالاً وزَواقاً، ولم يخنهن الزمان المقشعر، أي لم يقس عليهن الزمان الصعب لأنهن منعمات

يَتَلَهَّيْنَ بِنُومَاتِ الضُّحَى رَاجِحَاتِ الْحِلْمِ وَالْأُنْسِ خُفْرٌ

بنمن حتى ترتفع شمس الضحى، وهن عاقلات وفيهن أنس، وهن خُفْرٌ، أي خجولات

يَتَزَاوَرْنَ كَتَقَطَّاءِ الْقَطَا وَطَعِمْنَ الْعَيْشَ حُلُوءًا غَيْرَ مَرٍّ

يزرن بعضهن بعضاً فيمشين بين البيوت مشياً بطيئاً متميلاً كمشي طيور القطا، وعيشهن هين هنيء

وَهَوَى الْقَلْبُ الَّذِي أَعْجَبَهُ صَوْرَةً أَحْسَنُ مِنْ لَآثِ الْأَزْرِ
 المعنى الملموح: هوى القلب وما أعجبه صورة فتاة هي أجمل من لآث الأزر، أجمل من لف
 تنورة على خصره، أي أجمل الناس

رَاقَهُ مِنْهَا بَيَاضٌ نَاصِعٌ يُؤْنِقُ الْعَيْنَ وَضَافٍ مُسَبِّكَرٌ
 بياضها ناصع يؤنق، أي يعجب، العين.. ويروقه منها شعر ضاف، طويل، مسبكر، مترسل
 تَهْلِكُ الْمِدْرَاءُ فِي أَفْنَائِهِ فَإِذَا مَا أَرْسَلْتُهُ يَنْعَفِرُ
 تختفي المدراة، أي المشط، في أفناء شعرها، أي خصلاته، فإذا أرسلت شعرها انعفر،
 وصل إلى الأرض

صَلَّتْهُ الْحَدُّ طَوِيلٌ جَيِّدُهَا نَاهِدُ الثَّدْيِ وَلَمَّا يَنْكَسِرُ
 خدها صلت، أملت، وعنقها طويل، وثديها ناهض لم ينكسر بعد.. في لقطة من
 المسلسل الكوميدي الإنجليزي «مفتوح طول النهار» ينظر الشاب إلى صدر زبونة
 الدكان الكهلة نظرة تحديق فتقول له: أيها الشاب، هذا ملموم بالصدر، ولو تركته
 لوصل إلى سرتي.. أو كما قالت

فَهِيَ هَيْفَاءُ هَضِيمٌ كَشَحُهَا فَخَمَةٌ حَيْثُ يُشَدُّ الْمُؤْتَرَزُ
 هي هيفاء، ضامرة البطن، هضيم كشحها، نحيل خصرها، ولكنها فخمة ممثلة عند الردين اللذين
 يشد عليهما الإزار

وَإِذَا تَمْشِي إِلَى جَارَاتِهَا لَمْ تَكْذُ تَبْلُغْ حَتَّى تَنْبَهْرِ
 سينة ولا تصل بيت الجارة إلا وقد كادت تنبهر، ينقطع نفسها

دَفَعَتْ رَبْلَتُهَا رَبْلَتَهَا وَتَهَادَتْ مِثْلَ مَيْلِ الْمُنْقَعِرِ
 تنماس فخذها بفخذها لسمنها، وتهادى في مشيتها كأنها تريد أن تسقط سقوط النخلة المنقعة،
 الساquate بعد قلعها

وَهِيَ بَدَاءٌ إِذَا مَا أَقْبَلَتْ ضَخْمَةُ الْجِسْمِ رَدَاحٌ هَيْدَكُرُ
 بداء: ممثلة، وجسمها ضخمة؛ و«رداح» و«هيدكر» كلتاها بمعنى ضخمة

نَطَأَ الْخَزَّ وَلَا تُكْرِمُهُ وَتُطِيلُ الذَّيْلَ مِنْهُ وَتَجُرُ
 لما هي فيه من نعمة فهي تدوس على الخز، الحرير، وثوبها طويل وتجره

وَهِيَ لَوْ يُعْصَرُ مِنْ أَرْدَانِهَا عَبَقُ الْمِسْكِ لَكَادَتْ تَنْعَصِرُ
 الأردن: الأكمام

تَرَكْتَنِي لَسْتُ بِالْحَيِّ، وَلَا مَيِّتٌ لَأَقَى وَفَاءً فَمُبِيرٌ

تركتني ملهاً لا أنا حي ولا ميت

يَسْأَلُ النَّاسُ أَحْمَى دَاوُدَ، أَمْ بِهِ كَانَ سُلاَلٌ مُسْتَسِيرٌ

يسأل الناس: أمرضه الحمى، أم هو سل مستر، خفي

وَهِيَ دَائِي، وَشِفَائِي عِنْدَهَا مَنَعَتْهُ فَهُوَ مَلُويٌّ عَسِيرٌ

والمحبوبة دائي؛ وشفائي عندها ولكنه ملوي، ممنوع عني، وصعب

وَهِيَ لَوْ يَفْقُطُهَا بِي إِخْوَتِي أَذْرَكَ الطَّالِبُ مِنْهُمْ وَظَفِيرٌ

لو قتلها إخوتي بي، أي مقابل قتلها إياي، لكان طالب النار قد أدرك ناره.. إذ هي قاتلتني

مَا أَنَا الدَّهْرَ بِنَاسٍ ذُكِرَها مَا عَدَتْ وَرَقَاءُ تَدْعُو سَاقَ حَرٍّ

لن أنساها ما دامت ورقاء، حمامة، تنادي ساق حر، ذكر الحمام.. أي لن أنساها أبداً

٥ الوصمة

المُزَرَّدُ أَخُو الشَّمَاخِ:

وَجَاوَزْتُ رَأْسَ الْأَرْبَعِينَ فَأَصْبَحْتُ قَنَاتِي لَا يُلْقَى لَهَا الدَّهْرَ عَادِلٌ

بعد أن تجاوزت الأربعين أصبحت قناتي، أي رمحي، صلبة لا يستطيع أحد أن يعدلها، بشيها..

أي أصبحت قاسياً لا ألين لمن يريد كسر إرادتي

زَعِيمٌ، لِمَنْ قَادَفْتُهُ، بِأَوَابِدٍ يُغْنِي بِهَا السَّارِي وَتُحْدِي الرَّوَاحِلُ

أنا كفيل لمن أتبادل معه الهجاء بأوابد، بقصائد قاسية، يغني بكلامها الساري، السائر ليلاً،

وتحدي بها الرواحل، تساق بالترنم بها الإبل

فَمَنْ أَرَمِهِ مِنْهَا بَيْتٌ يَلُحُّ بِهِ كَشَامَةٌ وَجْهِ، لَيْسَ لِلشَّامِ غَاسِلٌ

من رميته بيت هجاء من هذه القصائد فسوف يعلق بوجهه كالشامة، ولا يزيل الشام، الشامات،

الغاسل وجهه

٦ المسبكرة

الشَّفَرَى الْأَزْدِي:

أَلَا أُمُّ عَمْرٍو أَجْمَعَتْ فَاسْتَقَلَّتْ وَمَا وَدَّعَتْ جِيرَانَهَا إِذْ تَوَلَّتْ

أم عمرو أزمعت، أي عزمت، فاستقلت، أي ركبت وارتحلت..

وما ودعت جيرانها حين تولت وذهبت

لَقَدْ أَعْجَبْتَنِي لَا سَقُوطاً قِنَاعُهَا إِذَا مَا مَشَتْ، وَلَا بِذَاتٍ تَلَفَّتِ

كانت تعجيني، لا يسقط قناعها عن وجهها، فهي حية خجول،
ولا تلتفت يمينا ويسارا فعل النساء الخفيفات

فَدَقَّتْ وَجَلَّتْ وَاسْبَكَّرَتْ وَأَكْمَلَتْ فَلَوْ جُنَّ إِنْسَانٌ مِنَ الْحُسْنِ جُنَّتِ

دقت، كانت دقيقة ونحيلة في خصرها، وجلت، كانت جليلة سميعة عند ردفيها، واسبكرت، كانت
طويلة الجسم، وأكملت.. فلو أن المرأة تلتحق بالجن لشدة الحسن لفعلت.. وكثيراً ما وصفوا
الحسناء بأنها جنتية

٧ قتل ناقة

عمرو بن الأهتم المِثْقَرِيُّ:

أَلَا طَرَقْتَ أَسْمَاءَ وَهِيَ طَرُوقُ وَبَانَتْ، عَلَى أَنَّ الْخَيَالَ يَشُوقُ

طرقت أسماء، أي زارتي ليلاً. ثم بانَتْ، فارقتي، ولكن خيالها يثير شوق قلبي

ذَرِينِي فَإِنَّ الشُّعْ بِأُمِّ هَيْثَمٍ لِمَصَالِحِ أَخْلَاقِ الرِّجَالِ سَرُوقُ

يا أم هيثم دعيني من كلامك فالشح، البخل، يسرق محاسن الرجل ويتقص منها

ذَرِينِي وَحُطِّي فِي هَوَايَ فَإِنِّي عَلَى الْحَسَبِ الزَّائِكِي الرِّفِيعِ شَفِيقُ

اتركيني وحطي في هواي، شاركني في طباعي، فأنا شفيق، حريص، على الحسب الزاكي، على
الشرف الرفيع

وَمُسْتَنْبِحٍ بَعْدَ الْهُدُوءِ دَعْوَتُهُ وَقَدْ حَانَ مِنْ نَجْمِ السَّمَاءِ خُفُوقُ

رب رجل مستبِح، ينبح كالكلب في الصحراء وهو نائه حتى تجاوبه الكلاب فيستدل بنباحها على
مضارب القوم، كان ينبح بعد حلول الظلام، وقد بدأ نجم السماء، الثريا، بالخفوق.. متوارياً
وراء الغيوم في جو شتائي، وقد دعوته ليكون ضيفي

يُعَالِجُ عَزِيناً مِنَ اللَّيْلِ بَارِداً تَلَفْتُ رِيَّاحَ ثَوْبِهِ وَبُرُوقُ

مضطرب يحاول تدبر عرين الليل، أوله، والريح تلف ثوبه، ويلمع البرق فيبرزه، فكانه يلفه أيضاً

أَصَفْتُ فَلَمْ أَفْحَشْ عَلَيْهِ، وَلَمْ أَقُلْ لِأَخْرِمَهُ: إِنَّ الْمَكَانَ مَضِيقُ

جعلته ضيفي، ولم أسئ معاملته بأستلتي، ولم أندرع بضيق المكان لحرمانه الضيافة

فَقُلْتُ لَهُ أَهْلاً وَسَهْلاً وَمَرْحَباً فَهَذَا صَبُوحٌ رَاهِنٌ وَصَدِيقُ

قدمت له الصبح، لبناً يشربه في الصباح، وكنت له صديقاً

وَقُمْتُ إِلَى الْبَرْكِ الْهَوَاجِدِ فَاتَّقْتُ مَقَاحِدُ كَوْمٍ كَالْمَجَادِلِ رُوقٌ .

وقمت إلى الجمال الباركة الجائمة الهواجد، النائمة، فاحتمت هذه الجمال المقاحيد، الكبيرة الأسنة، الكوم، الكبيرة، التي كأنها المجادل، القصور. . وهي روق. . تعجب الناظر. . هذه الجمال احتمت مني ب. .

بِأَدْمَاءٍ مِرْبَاعِ النَّتَاجِ كَأَنَّهَا إِذَا عَرَضْتُ دُونَ الْعِشَارِ فَنِيقُ

احتمت الجمال خوف الذبح بناقة أدماء، ييضاء، مرباع النتاج، مما يلد وقت الربيع، وكأنها إذ مثلت أمام النياق العشار الحوامل، فنيق، فحل كبير لضخامتها

بِضَرْبَةٍ سَاقٍ أَوْ بِنَجْلَاءِ ثَرَّةٍ لَهَا مِنْ أَمَامِ الْمُنْكِبَيْنِ فَتِيقُ

قمت لها بضربة ساق، أو بنجلاء ثرة، طعنة واسعة غزيرة الدم. . قد ضرب بسيفه ساق الناقة لكي تبرك ثم طعنها في عنقها بين كتفيها طعنة واسعة لها فتيق أي فتق واسع

وَقَامَ إِلَيْهَا الْجَازِرَانِ فَأَوْقَدَا يُطِيرَانِ عَنْهَا الْجِلْدَ وَهِيَ تَفُوقُ

ثم قام الجازران، القصابان، فأوقدا، أي صعدا فوقها، وأخذتا يطيران الجلد عن جسم الناقة وهي تفوق، تجود بروحها. . منظر مرعب. .

فَجَرَّ إِلَيْنَا ضَرْعُهَا وَسَنَامُهَا وَأَزْهَرُ يَحْبُو لِلْقِيَامِ عَتِيقُ

وجرَّ إلينا ضرع الناقة، ثديها، وسنامها، كما جيء لنا بجنين أزهر، أبيض كان في بطنها، وهو يحبو يحاول الوقوف، وهو عتيق، كريم أصيل

بَقِيرٌ جَلَا بِالسَّيْفِ عَنْهُ عِشَاءُ أَخْ بِإِخَاءِ الصَّالِحِينَ رَفِيقُ

هذا الجنين بقير، أي يفر عنه بطن أمه، وقد جلا، أي سلخ، مشيمته عن جسمه بالسيف رجل صالح من رجالنا يحب الضيوف

فَبَاتَ لَنَا مِنْهَا وَلِلضَّيْفِ مَوْهِنًا شِوَاءُ سَمِينٍ زَاهِقٌ وَغَبُوقُ

بات لنا من الناقة موهناً، ليلاً، شواء سمين، كثير الدهن، زاهق، دسم، وغبوق، شراب المساء. . يبدو أنهم حلبوها قبل ذبحها

وَبَاتَ لَهُ دُونَ الصَّبَا وَهِيَ قَرَّةٌ لِحَافٍ وَمَضْفُوقُ الْكِسَاءِ رَقِيقُ

بات للضيف لحاف يقيه ريح الصبا وهي قرة، باردة، وبات له كساء رقيق

وَكُلُّ كَرِيمٍ يَتَّقِي الدَّمَ بِالْقِرَى وَلِلْحَمْدِ بَيْنَ الصَّالِحِينَ طَرِيقُ

الكريم يحمي نفسه من الدم بتقديم الطعام لضيفه

لَعَمْرُكَ مَا ضَاقَتْ بِلَادٌ بِأَهْلِهَا وَلَكِنَّ أَخْلَاقَ الرِّجَالِ تَضِيقُ

المشكلة ليست أن البلاد ضيقة فالخير كثير، لكن طباع الرجال هي الضيقة

٨ المناديل

عَبْدَةُ بْنُ الطَّيِّبِ:

لَمَّا وَرَدْنَا رَفَعْنَا ظِلَّ أَرْدِيَةٍ وَفَارَ بِاللَّحْمِ لِلْقَوْمِ الْمَرَاجِيلُ

عندما وردنا الماء ونزلنا بالمكان رفعنا الأردية، أي الثياب لكي نستظل بظلها، وفارت المراجيل، القدور، باللحم

وَرَدًّا وَأَشْقَرَ لَمْ يُنْهِئْهُ طَابِخُهُ، مَا غَبَرَ الْغَلِي مِنْهُ فَهُوَ مَأْكُولُ

كان اللحم ورداً، أحمر غير ناضج، وأشقر، ميضاً قد نضج بعض النضج، لكن الطابخ لم ينهه بعد، لم يجعله يستوي، ولشدة الجوع كان القوم يتناولون أي قطعة لحم تغير لونها قليلاً فيأكلونها

نُتِمَتْ قُمْنَا إِلَى جُرْدٍ مُسَوِّمَةٍ أَغْرَافُهُنَّ لِأَيْدِينَا مَنَادِيلُ

تمنا بعد ذلك إلى خيول جرد، قصيرة الشعر، مسومة، معدة للحرب، وجعلنا من أعرافها، شعر رقابها، مناديل مسحنا بها أيدينا بعد الأكل

وَالْمَرءُ سَاعٍ لِأَمْرِ لَيْسَ يُدْرِكُهُ وَالْعَيْشُ شُخٌّ وَإِشْفَاقٌ وَتَأْمِيلُ

الإنسان يسعى ولا يدرك مبتغاه، لأنه كلما وصل عن له هدف جديد، والحياة بخل وخوف وأمل

٩ النهاية معروفة

عَبْدَةُ بْنُ الطَّيِّبِ:

أَبْنِيَّ إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ وَرَأَيْتُ بَصْرِي، وَفِيَّ لِمُضْلِحٍ مُسْتَمْتَعٌ

يا أبنائي قد كبرت وشككت في سلامة بصري، ولكن في مستمتع، فائدة، لمن يريد إصلاح الحال، فعقلي وخبرتي معي

إِنَّ الْكَبِيرَ إِذَا عَصَاهُ أَهْلُهُ ضَاقَتْ يَدَاهُ بِأَمْرِهِ مَا يَصْنَعُ

إِنَّ الَّذِينَ تَرَوْنَهُمْ إِخْوَانَكُمْ يَشْفِي غَلِيلَ صُدُورِهِمْ أَنْ تُضَرَّعُوا

من تظنون بهم الإخاء هم في الواقع أعداء يسرهم موتكم

وَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ قَضْرِي حُفْرَةٌ غَبْرَاءُ يَحْمِلُنِي إِلَيْهَا شَرْجَعُ

قصري، أي قصاراي ومنتهى أمري، حفرة يحملني إليها شرجع، نعش

فَبَكَى بَنَاتِي شَجْوَهُنَّ وَرَوَّجَتِي وَالْأَقْرَبُونَ إِلَيَّ، ثُمَّ تَصَدَّعُوا

بكوا لفقدتي، ثم تصدعوا، تفرقوا عن القبر

وَتُرِكَتْ فِي غَبْرَاءٍ يُكْرَهُ وَزُذِّهَا تَسْفِي عَلَيَّ الرِّيحُ حِينَ أَوْدَعُ
تركت في أرض غبراء لا يحب النزول فيها أحد، وتسفي الرياح عليّ، تحمل التراب، بعد أن
يودعني أهلي

١٠ حسرة الأسير

عبد يغوث بن وقاص الحارثي:

أَلَا لَا تُلُومَانِي كَفَى اللُّومَ مَا بَيَا وَمَا لَكُمْ فِي اللُّومِ خَيْرٌ وَلَا لِيَا
لا تلوماني يا صاحبي فالذي بي من الهم يكفيكم مؤونة اللوم، ولا خير لكم ولا لي في اللوم أصلاً
أَلَمْ تَعْلَمَا أَنَّ الْمَلَامَةَ نَفَعُهَا قَلِيلٌ، وَمَا لَوْمِي أَخِي مِنْ شِمَالِيَا
ليس لومي أخي من شمالي، من طبعي

فَيَا رَاكِباً إِمَّا عَرَضْتَ فَبَلَّغْنَا نَدَامَايَ مِنْ نَجْرَانٍ أَلَّا تَلَايَا
أيها الراكب إن عرضت، بلغت العروض وهو مكان، فبلغ أصحابي أهل نجران أنه لا لقاء بعد اليوم
أَبَا كَرَبٍ وَالْأَيْهَمَيْنِ كِلَيْهِمَا وَقَيْساً بِأَعْلَى حَضْرَمَوْتَ الْيَمَانِيَا
يعدد أصحابه

جَزَى اللَّهُ قَوْمِي بِالْكَلَابِ مَلَامَةً صَرِيحُهُمْ وَالْآخِرِينَ الْمَوَالِيَا
يلوم قومه على ما حدث في وقعة الكلاب، الصريح منهم نسباً، والموالي، المتحالفين مع قومه
وَلَوْ شِئْتُ نَجَّجْتَنِي مِنَ الْخَيْلِ نَهْدَةً تَرَى خَلْفَهَا الْحُوءَ الْجِيَادَ تَوَالِيَا
لو شئت لفررت ونجوت على نهدة من الخيل، فرس عالية، تراها سابقة وخلفها الجياد الحو، التي
يميل لونها للخضرة، تتوالى ولا تسبقها

وَلَكِنَّنِي أَحْمِي ذِمَارَ أَبِيكُمْ وَكَانَ الرِّمَاحُ يَخْتَطِفُنَ الْمُحَامِيَا
لكنني ثبتٌ لكي أحمي ذمار أبيكم، وكانت الرماح تختطف من يحامي عن الشرف
أَقُولُ وَقَدْ شَدُّوا لِسَانِي بِنِسْعَةٍ: أَمْعَشَرَ تَيْمٍ أَطْلَقُوا مِنْ لِسَانِيَا
أقول وقد شد الأعداء، عندما أسروني، لساني بنسعة، بسير جلدي، يبدو أنهم كمنوه، ولكنه رغم
التكميم قال: يا معشر تيم أطلقوا لساني

فَإِنْ تَقْتُلُونِي تَقْتُلُوا بِي سَيِّدَا وَإِنْ تُطْلِقُونِي تَحْرُبُونِي بِمَالِيَا
إن تقتلوني تقتلوا بياي سيداً، وإن تطلقوني تحربوني بمالي، تسلبون سلاحي... لعله يقصد
أن قتلكم إياي سيؤدي إلى الثأر وسيقتل قومي منكم سيداً

أَحَقًّا عِبَادَ اللَّهِ أَنْ لَسْتُ سَامِعًا نَشِيدَ الرَّعَاءِ الْمُعْزِينَ الْمَتَالِيَا؟
أحقاً لن أسمع بعد اليوم صوت الرعاء، المعزين المتالي، المتبعدين بالإبل المتالي، التي
تتوالى في وضع أجتها فبعضها قد ولد وبعضها لم يضع بعد؟

وَتَضْحَكُ مِنِّي شَيْخَةً عَشِيمَةً كَأَنْ لَمْ تَرَى قَبْلِي أَسِيرًا يَمَانِيَا
تضحك مني عجوز من أولئك القوم، عبد شمس، كأنها لم تر قبلي أسيراً يمانياً، - قيل بل
ضحكت لأن الذي أسر الشاعر رجل أحمق ضعيف -

وظَلَّ نِسَاءُ الْحَيِّ حَوْلِي رُكْدًا يُرَاوِدُنَّ مِنِّي مَا تُرِيدُ نِسَائِيَا
نساء القوم يجلسن حولي، ويطلبن مني ما تطلبه نسائي

وَقَدْ عَلِمْتُ عِرْسِي مُلَيْكَةً أَتْنِي أَنَا اللَّيْتُ مَعْدُوًّا عَلَيَّ وَعَادِيَا
وزوجتي مليكة تعلم أنني أسد في الحرب عندما أهاجم وعندما أهاجم

وَقَدْ كُنْتُ نَحَارَ الْجَزُورِ وَمُعْمِلِ الْـ مَطِيٍّ، وَأَمْضِي حَيْثُ لَا حَيٍّ مَاضِيَا
كنت أذبج الجزور، الجمل، وأركب الإبل وأسافر إلى أماكن لم يقصدها أحد قط..
كنت سخياً مغامراً

وَأُنَحِرُ لِلشَّرْبِ الْكَرَامِ مَطِيَّتِي وَأُضْدَعُ بَيْنَ الْقَيْنَتَيْنِ رِدَائِيَا
أذبج للشرب، لشاربي الخمر، بعيري، وأشق بين القيتين المغنيتين ردائي من الطرب

وَكُنْتُ إِذَا مَا الْخَيْلُ شَمَّصَهَا الْقَنَا لَبِيقًا بِتَضْرِيفِ الْقَنَاةِ بَنَانِيَا
وكنت إذا شمَّصت القنا الخيل، نفَّرت الرماح الخيل، ليقاً، ماهر البنان بالطعن بالرمح

وَعَادِيَّةٍ سَوْمَ الْجَرَادِ وَزَعَتْهَا بِكَفِّيْ وَقَدْ أَنْحَوْا إِلَيَّ الْعَوَالِيَا
وربَّ خيل مغيرة كثيرة مثل الجراد وزعتها، رددتها، برمح أحمله بكفي، وقد أمال المهاجمون
نحوي العوالي، أي الرماح

كَأَنِّي لَمْ أَرْكَبْ جَوَادًا وَلَمْ أَقُلْ لِحَيْلِي كُرِّي نَفْسِي عَنْ رِجَالِيَا
وأنا الآن أسير فكأنني لم أركب حصاناً ولم أقل لصحبي وهم على خيولهم اهجموا ونفسوا عن
الرجال، أبعدوا الأعداء المحذقين برجالنا

وَلَمْ أَسْبِ الرِّقَّ الرَّوِّيَّ وَلَمْ أَقُلْ لِأَيَّسَارِ صِدْقٍ أَغْظُمُوا ضَوْءَ نَارِيَا
وكأنني لم أسبِ الرق الروي، قربة الخمر الممتلئة، ولم أقل لأييسار صدق، المقامر
على لحم ناقة، أجبوا النار كي نشوي اللحم للفقراء

١١ أنا على ابن عمي

ذو الإصبع العدواني:

يَا مَنْ لِقَلْبٍ شَدِيدِ الْهَمِّ مُحْزُونٍ أَمْسَى تَذَكَّرَ رِيًّا أَمْ هَارُونٍ
يا من يعين قلب الحزين الذي تذكر رِيًّا

أَمْسَى تَذَكَّرَهَا مِنْ بَعْدِهَا شَحَطْتُ وَالدهرُ ذُو غِلْظَةٍ حِينًا وَذُو لِينٍ
شحطت: نأت وابتعدت

تَرْمِي الْوُشَاةَ فَلَا تُخْطِي مَقَابِلَهُمْ بِصَادِقٍ مِنْ صَفَاءِ الْوُدِّ مَكْنُونٍ
رِيًّا تصد الوشاة صدأً وتصبب منهم المقتل بقطع وشاياتهم بمحبته الصافية وودها العميق لي
وَلِي ابْنُ عَمٍّ عَلَى مَا كَانَ مِنْ خُلُقٍ مُخْتَلِفَانِ، فَأَقْلَبِيهِ وَيَقْلِبْنِي
ابن عمي له طباع تختلف عن طباعي، فأكرمه ويكرهني

أَزْرَى بِنَا أَنَّنَا شَالَتْ نَعَامَتُنَا فَخَالَسَنِي دُونَهُ بَلْ خِلْتُهُ دُونِي
أزرى بنا، أضر بحالتنا، أننا شالت نعمتنا، أي تفرقتنا،
فكل واحد منا ظن أن الآخر أدنى منه مرتبة

لَا ابْنُ عَمِّكَ، لَا أَفْضَلْتَ فِي حَسَبٍ عَنِّي، وَلَا أَنْتَ دِيَانِي فَتَخَزُونِي
الله ابن عمك هذا! لا أنت خير في الحسب والشرف، ولا أنت ديانني، مالك أمري، حتى
تخزونني، أي تؤنّبني وتردني إلى الصواب إذا أسأت

فَإِنْ تُرِدْ عَرَضَ الدُّنْيَا بِمَنْقَصَتِي فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا لَيْسَ يُشْجِينِي
إن سعت لنيل السمعة بين الناس بأن تنتقص مني فهذا ليس يهمني

لَوْلَا أَوْاصِرُ قُرْبَى لَسْتُ تَحْفَظُهَا وَرَهْبَةُ اللَّهِ فِيمَنْ لَا يُعَادِينِي . .
لولا علاقات القرابة، التي لا تحفظها أنت، ولولا خوفاي من الله في رجل يكرهني ولكن كرهه لا
يصل حد العداة . .

إِذَنْ بَرِيئُكَ بَرِيًّا لَا انْجِبَارَ لَهُ إِنِّي رَأَيْتُكَ لَا تَنْفُكَ تَبْرِينِي
لولا ذلك لبريتك بريًّا، انحلت جسمك بما أنزله بك من العقاب، ولن يكون لهذا انجبار، أي
علاج والتتام

إِنَّ الَّذِي يَفْبِضُ الدُّنْيَا وَيَبْسُطُهَا إِنْ كَانَ أَغْنَاكَ عَنِّي سَوْفَ يُغْنِينِي
الله يغنيني عنك مثلما أغناك عني

مَاذَا عَلَيَّ وَإِنْ كُنْتُمْ ذَوِي لَا أَحْبَبُّكُمْ إِذْ لَمْ تُحِبُّوْنِي
 لَوْ تَشْرَبُونَ دَمِي لَمْ يَزَوْ شَارِبُكُمْ وَلَا دِمَاؤُكُمْ جَمْعاً تُرَوِّدُونِي
 يَا عَمْرُو إِلَّا تَدْعُ شَتْمِي وَمَنْقَصَتِي أَضْرِبُكَ حَتَّى تَقُولَ الْهَامَةُ اسْقُونِي
 إن لم تدع شتمي وانتقاصي فسوف اضربك حتى الموت.. وحتى تخرج من قبرك الهامة، وهي
 ذلك الكائن الخرافي الذي يخرج من قبر القتل ويصيح «اسقوني» طالباً الثأر

لَا يُخْرِجُ الْقَسْرُ مِنِّي غَيْرَ مَا بِيَةِ وَلَا أَلَيْنُ لِمَنْ لَا يَبْتَغِي لِيْنِي
 القسر، أي الإرغام، لا نتيجة له معي سوى الإباء والرفض، ولا يلين جانبي لمن يخاشني ولا
 يبدل جهده لمسايرتي

كُلُّ امْرِئٍ صَائِرٌ يَوْمًا لِشَيْمَتِهِ وَإِنْ تَخَلَّقَ أَخْلَاقًا إِلَى حَبِينِ
 الشيمة: الطبع

وَاللَّهِ لَوْ كَرِهْتُ كَفِّي مُصَاحَبَتِي لَقُلْتُ إِذْ كَرِهْتُ قُرْبِي لَهَا بِيْنِي
 بيني: فارقي

١٢ لائكات الشكيم

ربيعة بن مقوم:

وَتُفَرِّمُخُوفٍ أَقْمَنَا بِهِ يَهَابُ بِهِ غَيْرُنَا أَنْ يُقِيمَا
 رب نغر حدودي خطر رابطنا به، ويخاف غيرنا ذلك

جَعَلْنَا السِّبُوفَ بِهِ وَالرِّمَاحَ مَعَاقِلَنَا وَالْحَدِيدَ النَّظِيمَا
 معاقلنا، أي حصوننا، هي السيوف والرماح والحديد النظيم، أي الدروع المنظومة والمنسوجة من
 حلقات الحديد

وَجُرَدًا يُقَرَّرِينَ دُونَ الْعِيَالِ خِلَالِ الْبُيُوتِ يَلْكُنَ الشَّكِيمَا
 والجرد، الخيل القصيرة الشعر، التي تربطها قريباً منا، أقرب من عيالنا، حتى تكون على أهبة
 الاستعداد، وهي تقف بين بيوتنا تلوك الشكيم، تمضغ الحديدية التي في فم الفرس

١٣ الحكمة بين الشيب والصلع

سُوَيْدُ بْنُ أَبِي كَاهِلٍ الشُّكْرِيُّ، جاهلي إسلامي معمر:

بَسَطْتُ «رَابِعَةً» الْحَبْلَ لَنَا فَوَصَّلْنَا الْحَبْلَ مِنْهَا مَا اتَّسَعَ
 مدت لنا رابعة حبل وصلها، فبادلناها وصلاً بوصل

حُرَّةٌ تَجْلُو شَتِيَةً وَاضِحاً كَشُعَاعِ الشَّمْسِ فِي الْغَيْمِ سَطَعَ
 امرأة حرة تجلو، أي تُبرز، أسناناً شتية متفرقة واضحة، أي يضاء، وأسنانها تبرز كشعاع الشمس
 وسط الغيوم

صَقَلْتُهُ بِقَضِيبٍ نَاضِرٍ مِنْ أَرَاكِ طَيِّبٍ حَتَّى نَصَغَ
 صقلت أسنانها بعود سواك أخضر ناضر من شجر الأراك الطيب حتى نصعت أسنانها

رُبُّ مَنْ أَنْضَجْتُ غَيْظاً قَلْبَهُ قَدْ تَمَنَّى لِي مَوْتاً لَمْ يُطْعَ
 رب شخص جعلت قلبه ينضج من حر الغيظ، وتمنى لي موتاً، ولكن أمنيته لم يُستجب لها

وِيرَانِي كَالشَّجَا فِي حَلْقِهِ عَسِيراً مَخْرَجُهُ مَا يُنْتَزَعُ
 يراني كالشوكة في حلقة، انتزاعها وخروجها صعب

مُزِيدٌ يَخْطِرُ مَا لَمْ يَرْنِي فَلِذَا أَسْمَفْتُهُ صَوْتِي أَنْقَمَ
 مزيد، يخرج الزبد من فمه كالبعير المتهيج، في غيبي، فإذا سمع صوتي انقمع، وارتدع

بِئْسَمَا يَجْمَعُ أَنْ يَغْتَابَنِي مَطْعَمٌ وَخَمٌ وَدَاءٌ يُلْدَرَعُ
 بس الذي يجمعه في قلبه إذ يغتابني، فهو يجمع الطعام الفاسد، والداء الذي يدرعه، يلبسه

وَيَحْيِيَنِي إِذَا لَأَقَيْتُهُ وَإِذَا بَخُلُّوا لَهُ لَحْمِي رَتَعُ
 يحييني خوفاً مني، وإذا غبت عنه رتع في لحمي، أي اغتابني

كَيْفَ يَرْجُونَ سِقَاطِي بَعْدَمَا لَاحَ فِي الرَّأْسِ بَيَاضٌ وَصَلَعُ
 كيف يترقب الناس سقاطي، وقوعي في الخطأ، وقد لاح في رأسي بياض الشيب، والصلع

١٤ رماح نصارى.. ولكن

جابر بن حنّى التغلبي:

وَفِي كُلِّ أَسْوَاقِ الْعِرَاقِ إِتَاوَةٌ وَفِي كُلِّ مَا بَاعَ امْرُؤٌ مَكْسُ دِرْهَمٍ
 في كل أسواق العراق إتاوة، أي ضريبة، وفي كل عملية بيع هناك مكس درهم،
 والمكس: الضريبة المفروضة على المبيعات

نُعَاطِي الْمُلُوكَ السَّلَامَ مَا قَصَدُوا بِنَا وَلَيْسَ عَلَيْنَا قَتْلُهُمْ بِمُحَرَّمٍ
 نأخذ ونعطي مع الملوك بالحنى ما داموا يقصدون، يعدلون، بنا..
 وإلا فليس محرماً علينا قتلهم

وقد زَعَمَتْ بهراءُ أنَّ رِمَاحَنَا رِمَاحُ نَصَارَى لَا تَخُوضُ إِلَى الدِّمِّ..
 زعمت قبيلة بهراء أن رماحنا رماح نصارى، إذن فهي مسالمة، ولا تخوض في الدم (والشاعر تغلبي
 وتغلب قبيلة نصرانية بقي كثير من أبنائها على دينهم في العصر الأموي، وشاعرنا جاهلي)

فَيَوْمَ الْكُلابِ قَدْ أَزَالَتْ رِمَاحَنَا شُرَحْبِيلَ إِذْ آلَى أَلِيَّةٌ مُقْسِمٌ..
 يوم الكلاب، وقعة الكلاب المشهورة في الجاهلية، قتلت رماحنا شرحيل الذي آلى آلية، أي
 أقسم قسماً..

لَيَنْتَزِعَنَّ أَرْمَاحَنَا، فَأَزَالَهُ أَبُو حَنْشٍ عَنْ ظَهْرِ شَقَاءٍ صَلْدِمٍ
 أقسم أن ينتزع رماحنا، فأزاله أبو حنش عن ظهر الفرس الشقاء، الطويلة، الصلدم، الصلبة
 يرى الناسُ مِنَّا جِلْدَ أَسْوَدَ سَالِحٍ وَفَرَوَةَ ضِرْعَامٍ مِنَ الْأَسَدِ ضَيْغَمٍ
 يرى الناس إذ نبدو لهم جلد أسود، والأسود هو الثعبان، سالخ، الذي يدل جلد، ويرون فروة
 ضرغام، لبدة أسد ضيغم، أي مفترس

١٥ لقاء مسعود

ربيعة بن مقروم:

لَمَّا تَشَكَّتْ إِلَيَّ الْأَيْنَ قُلْتُ لَهَا لَا تَسْتَرِيحِينَ مَا لَمْ أَلْقَ مَسْعُودًا
 عندما اشتكت ناقتي إليّ الأين، أي التعب، قلت لها لا راحة إلا بعد أن أصل إلى مسعود
 وَقَدْ سَمِعْتُ بِقَوْمٍ يُحَمَّدُونَ فَلَمْ أَسْمَعْ بِمِثْلِكَ لَا حِلْمًا وَلَا جُودًا
 سمعت بقوم لهم صيت حسن ويحمدون الناس، ولم أسمع بمثل حلمك، سعة صدرك،
 ولا سخائك

هَذَا ثَنَائِي بِمَا أَوْلَيْتَ مِنْ حَسَنِ لَا زِلْتُ عَوْضُ قَرِيرِ الْعَيْنِ مَحْسُودًا
 هذا مدحي إياك مقابل ما أعطيت من معروف، وأدعو لك أن تظل عوض، دوماً، قرير العين،
 مسروراً، ومحسوداً من قبل الأعداء

١٦ المصير المحتوم

الأسود بن يعفر التّهشلي:

أَيْنَ الَّذِينَ بَنَوْا قَطَالَ بِنَاؤُهُمْ وَتَمَتَّعُوا بِالْأَهْلِ وَالْأَوْلَادِ
 فإذا النعيم، وكلُّ ما يُلهي به يوماً يصيرُ إلى بَلَى وَنَقَادٍ
 البلى: اهتراء الجسم بعد الموت، النقاد: الانتهاء

١٧ المنعمات

المرقش الأكبر، من شعراء ربيعة، وهو جاهلي قديم:

سَرَى لَيْلًا خِيَالًا مِنْ سُلَيْمَى فَأَرَقَّنِي وَأَصْحَابِي هُجُودُ
سرى، أي زار ليلاً، خيال المحبوبة سليمى، فصحوت وأصابني أرق بينما أصحابي هجود، نيام
فَبِتُّ أُدِيرُ أَمْرِي كُلَّ حَالٍ وَأَزُقُّ أَهْلَهَا وَهُمْ بَعِيدُ
بت، قضيت ليلي، أقلب أمري على وجوهه، وأرقب، أحسب حساب، أهلها وهم بعيدون عني
يَرْخُنَ مَعَا بِطَاءِ الْمَشْيِ بُدًّا عَلَيْهِنَّ الْمَجَاسِدُ وَالْبُرُودُ
يصف أولئك النسوة، فهن يمشين معاً مشياً بطيئاً، فهن بنات نعمة وترف ولا يسرعن في
عمل، وهن بد، أي بديئات الأسافل، ويرتدين المجاسد، الثياب المصبوغة، والبرود،
أي الثياب

سَكَنَ بِلَدَةٍ وَسَكَنْتُ أُخْرَى وَقُطِعَتِ الْمَوَاقِفُ وَالْعُهُودُ
تفرقت مساكننا ولم تبق عهود بين قومي وقومهن

فَمَا بَالِي أَفِي وَيُخَانُ عَهْدِي وَمَا بَالِي أَصَادُ وَلَا أَصِيدُ
عندي الوفاء والأقي خيانة لعهدي

وَرُبَّ أَسِيلَةٍ الْخَدَيْنِ بِكُرٍ مُنْعَمَةٍ لَهَا فَرْعٌ وَجِيدُ
رب فتاة أسيلة الخدين، طويل خذاها، لها فرع، شعر طويل، وعنق جميل

لَهَوْتُ بِهَا زَمَانًا مِنْ شَبَابِي وَزَارَتْهَا النَّجَائِبُ وَالْقَصِيدُ
كانت لي صاحبة ولهونا معاً وزرتها بالنجائب، النياق، وبقصائد الغزل

أُنَاسٌ كُلَّمَا أَخْلَقْتُ وَصَلًا عَنَانِي مِنْهُمْ وَصَلَ جَدِيدُ
هؤلاء يتجدد شوقي لهن، فكلما أخلقت وصلاً، أي انقطعت العلاقة،
صار يعينني منهن وصل جديد

١٨ أسرعها وأكثرها

المرقش الأكبر:

هَلَا سَأَلْتِ بِنَا قَوَارِسَ وَائِلٍ فَلَنَحْنُ أَسْرَعُهَا إِلَى أَعْدَائِهَا
أيتها المحبوبة أسألي عنا فرسان قبيلتنا الكبرى «وائل».. فنحن أسرعهم إلى مواجهة الأعداء

وَلَنَحْنُ أَكْثَرُهَا إِذَا عُذَّ الْحَصَى وَلَنَا قَوَاضِلُهَا وَمَجْدُ لِيَوَائِهَا
وعشيرتنا، ضمن القبيلة الكبرى، هي الأكثر عدداً، وكثيراً ما عبّروا بالحصى عن العدد الكثير، ولنا
الفضل والمجد الحربي

١٩ يا قصير العمر!

قال المرقش الأكبر، والقصيدة من السريع، وزاحف ما شاء:

هَلْ بِالْدِّيَارِ أَنْ تُجِيبَ صَمَمٌ لَوْ كَانَ رَسْمٌ نَاطِقاً كَلَّمْ
هل بالديار صمم فلذا هي لا تجيب عن سؤالنا إذ نسألها أين ذهب قوم المحبوبة؟ فعلاً بها صمم،
فلو كان أي رسم، أي طلل، ناطقاً لكَلَّمْنَا هذا الطلل

الِدَارُ قَفْرٌ، وَالرُّسُومُ كَمَا رَقَّشَ فِي ظَهْرِ الْأَدِيمِ قَلَمٌ
دار الأجرة التي نفق بها الآن قفر، خالية، ورسومها، أي بقاياها، تشبه ما يرقشه، ينقشه، القلم
على الأديم، الجلد. بهذا البيت لقبوه بالمرقش

دِيَارُ أَسْمَاءَ الَّتِي تَبَلَّتْ قَلْبِي، فَعَيْنِي مَأْوَها يَسْجُمُ
هذه ديار أسماء التي تلبت قلبي، أخضعت، قدمع عيني يسجم، أي يسيل

النَّشْرُ مِنْكَ وَالْوُجُوهُ دَنَا نِيرُ وَأَطْرَافُ الْبَنَانِ عَنَّمْ
يصف محبوبته وصويحاتها: النشر، أي الرائحة، رائحة منك، والوجوه مشرقة مدورة كالدنانير
الذهبية، وأطراف الأصابع كالعنم، ثمر كالعُنَاب، فإن لم تعرف العناب فهو ثمر كالعنم، وكلاهما
ثمرته تشبه رؤوس الأصابع المحنَّاة بالحمرة

لَيْسَ عَلَى طُولِ الْحَيَاةِ نَدَمٌ وَمِنْ وَرَاءِ الْمَرِّ مَا يَعْلَمُ
الشرط الأول فيه معنى معكوس: لا ندم على عدم تمتعك بطول الحياة، والشرط الثاني كذلك:
وراء المرء، يقصد أمامه، ما يعلمه من الهرم والضعف في الشيخوخة لو طال عمره. في يومنا هذا
يقول أهل العراق «ورا ما قلت لي» بمعنى «بعد أن قلت لي»

يَهْلِكُ وَالِدٌ وَيَخْلُفُ مَوْ لَوْدٌ، وَكُلُّ ذِي أَبٍ يَنْتَمُ
في الشيخوخة يموت الأب ويخلفه ولده، وكل ولد يصاب باليتم في أبيه

أَمْوَالُنَا نَقِي الثُّفُوسَ بِهَا مِنْ كُلِّ مَا يُدْنَى إِلَيْهِ الدَّمُ
يبدل الأموال نحمي نفوسنا من كل ما يجلب الدم

٢٠ الاهتزاز

مَتَّمْ بن نُؤَيْرَةَ الِبربوعِي، يرثي أخاه مالكا الذي قتل في حروب الردة:

لَعَمْرِي، وَمَا دَهْرِي بِتَأْبِينِ هَالِكٍ وَلَا جَزَعٍ مِمَّا أَصَابَ فَأَوْجَعَا..
لعمري - وأنا لست ممن ينفق عمره في تأبين ميت، أو في معاناة الجزع من مصيبة أوجعتني..

لَقَدْ كَفَّنَ الْمِنْهَالُ تَحْتَ رِدَائِهِ فَتَى غَيْرِ مِبْطَانِ الْعَشِيَّاتِ أَرْوَعَا
لعمري، لقد كفن المنهال، ذلك الرجل الذي وجد أخي قتيلاً فألقى عليه ثوبه، فتى لم يكن يملأ
بطنه في الليل بل يجود بالطعام على حساب نفسه، وكان أروع، أي شجاعاً

تَرَاهُ كَصَدْرِ السِّيفِ يَهْتَزُّ لِلنَّدَى إِذَا لَمْ تَجِدْ عِنْدَ امْرِئِ السَّوِّ مَطْمَعَا
كان أخي يهتز للسخاء كما يهتز صدر السيف، في حين لا يلقى الضيف طعاماً عند الرجل
السيء.. شرح الاهتزاز للندي: تجد الرجل البخيل إذا طلبت منه شيئاً يقعد مكانه جامداً،
يفكر في تبرير لرفض طلبك. فأما الكريم السخي فإنك إذا طلبت منه أمراً رأيت لجسمه حركة
فورية، إنه يفرح لأنك طلبت منه، ويهتز لطلبك.. تراه يحرك ذراعيه.. ويسرع في تلبية طلبك

وَأَنْ شَهِدَ الْأَيْسَارَ لَمْ يُلَفْ مَالِكٌ عَلَى الْفَرْتِ يَحْمِي اللَّحْمَ أَنْ يَتَمَرَّعَا
وان شهد مالك الأيسار، المقامرة على لحم ناقة، لم يلف، لم يرَ، واقفاً يرقب الفرت، حشو الكرش،
فهو لا يقف ولا يشهد ذلك المنظر المقزز، بغرض الحيلولة دون تمزيق اللحم وتفريقه في الفقراء
أَبَى الصَّبْرَ آيَاتُ أَرَاهَا، وَأَنْنِي أَرَى كُلَّ حَبْلٍ بَعْدَ حَبْلِكَ أَقْطَعَا
منع الصبر عني آيات أراها، معالِم من مآثر أخي، ومنع الصبر أنني أرى كل الأواصر والروابط بعد
موتك روابط مقطعة قصيرة لا تغني

وَأَنْنِي مَتَى مَا أَدْعُ بِاسْمِكَ لَا تُجِيبُ وَكُنْتَ جَدِيرًا أَنْ تُجِيبَ وَتَسْمَعَا
ومنع الصبر أنني عندما أناديك لا تجيبني، وكنت تسمع فتجيب دائماً

فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا كَأَنِّي وَمَالِكَا لَطُولِ اجْتِمَاعٍ لَمْ نَبْتَ لَيْلَةً مَعَا
لما فرق بيننا الموت انتهى كل شيء، فكاننا لطول اجتماع، أي «بعد» طول صحبة، لم نبت ليلة
واحدة معاً

وَكُنَّا كَنَدَمَانِي جَزِيمَةً حَقِيبَةً مِنْ الدَّهْرِ حَتَّى قِيلَ لَنْ يَتَصَدَّعَا
كنا كندماني جذيمة، كنديمي الأمير جذيمة الأبرش اللذين نادماه طويلاً معاً ثم قتلها معاً، كنا
متلازمين حتى لقد وقع في وهما أن الدهر لن يتقطع بنا

فَإِنْ تَكُنِ الْأَيَّامُ قَرَقَنَ بَيْنَنَا فَقَدْ بَانَ مَحْمُودًا أَخِي حِينَ وَدَّعَا
لئن فرقت بيننا الأيام فعزائي أن أخي بان، نأى، وهو محمود السيرة

فلو أنَّ ما أَلْقَى يُصِيبُ «مُتَالِعاً» أو الرُّحْنُ مِنْ «سَلْمَى» إِذَنْ لَتَضَعُضَعَا
لو أن ما ألقى من حزن يصيب جبل «متالع»، أو جانب جبل «سلمى» لتضعضع الجبل

٢١ حديث الناقة

المنقَّب العَبْدِي:

أَفَاطِمُ قَبْلَ بَيْنِكَ مَتَّعِينِي وَمَنْعُكَ مَا سَأَلْتُ كَأَنْ تَبِينِي

متعيني بوصلك قبل مفارقتك إياي، ومنعك الوصل وأنت موجودة شبيه بالفراق

فَلَا تَعِدِّي مَوَاعِدَ كَاذِبَاتٍ تَمُرُّ بِهَا رِيَّاحُ الصَّيْفِ دُونِي

لا تعديني وعوداً كاذبة كأنها رياح الصيف التي تهب ولا تحمل مطراً

فَإِنِّي لَوْ تُخَالِفُنِي شِمَالِي خِلَافَكَ مَا وَصَلْتُ بِهَا يَمِينِي

لو خالفتني شمالي مثلما تخالفتني أنت لما أبقيت عليها

إِذَنْ لَقَطَعْتُهَا وَلَقُلْتُ بَيْنِي كَذَلِكَ أَجْتَوِي مَنْ يَجْتَوِينِي

لقطعتها، وقلت لها فارقيني، فأنا أجتوي من يجتويني، أكره من يكرهني

ظَهَرْنَ بِكِلَّةٍ وَسَدَلْنَ أُخْرَى وَتَقَبَّنَ الْوَصَاوِصَ لِلْعُيُونِ

يصف النساء: فقد ظهرن وراء كلة، أي ستر رقيق، وأنزلن على وجوههن سترأ آخر هو الوصاوص، أي البراقع، لكنهن ثقبن البراقع فبدت عيونهن. وقيل بهذا البيت لقب بالمنقَّب

أَرَيْنَ مَحَاسِنَا وَكُنَّ أُخْرَى مِنَ الْأَجْيَادِ وَالْبَشَرِ الْمَصُونِ

أبدین بعض صفاتهن، وكنن مفاتن أخرى، أخفيها، مثل الأجياد، الأعناق، والبشر المصون، البشارة المستورة عن العيون

وَمِنْ ذَهَبٍ يَلُوحُ عَلَى تَرِيبٍ كَلُونِ الْعَاجِ لَيْسَ بِذِي غُضُونِ

وأخفين نحوراً لامعة كالذهب، والتريب هو الترائب أي أعلى الصدر، ولون نحورهن كلون العاج، والجلد ليست به غضون، تجاعيد

فَسَلِّ الْهَمَّ عَنْكَ بِذَاتِ لَوْثٍ عُدَا فِرَّةَ كَمْطَرَقَةِ الْقُيُونِ

أبعد عنك الهم بناقذة ذات لوث، قوة، عذافرة، متينة، كأنها في القوة مطرقة القيون، الحدادين

تَقُولُ إِذَا دَرَأْتُ لَهَا وَضِيْنِي أَهْذَا دِيْنُهُ أَبَدَاً وَدِيْنِي؟

تقول الناقة إذا درأت لها الوضين، شددت الحزام رابطاً الرجل عليها، تقول: أهذا دأبه ودأبي معه؟

أَكْلَ الدَّمْرِ جِلٌّ وَازْتَحَالَ أَمَّا يُبْقِي عَلَيَّ وَمَا يَقِينِي؟
 تقول الناقة: أأقضي العمر في حل ثم ارتحال؟ ألا يبقى على قوتي ولا يحميني من الهزال والتعب؟
 فَرُخْتُ بِهَا تُعَارِضُ مُسَبِّطَرًا عَلَى صَحْصَاحِهِ وَعَلَى الْمُتُونِ
 رحت بالناقة، سافرت ليلاً، تقطع الطريق المسبطر، الممتد، وتسير على صحصاحه، سهله، وعلى
 المتون، على الوعر

إِلَى عَمْرٍو، وَمِنْ عَمْرٍو أَتَنِّي أَخِي النَّجْدَاتِ وَالْجِلْمِ الرَّصِينِ
 قاصداً عمرو بن هند الملك، ولعله تلقى دعوة أخته من عمرو! فالملك صاحب النجدة، النخوة،
 والحلم والوقار

فَإِمَّا أَنْ تَكُونَ أَخِي بِحَقٍّ فَأَعْرِفَ مِنْكَ غَثِّي مِنْ سَمِينِي
 إما أن تكون أخي فأعرف ما سأنال منك بوضوح

وإِلَّا فَاطْرَحْنِي وَاتَّخِذْنِي عَدُوًّا أَتَقِيكَ وَتَنَقِّينِي
 وإلا فاتركني، ولتكن بيننا عداوة صريحة، وليتجنب أحدا الآخر

وَمَا أَدْرِي إِذَا بَمَّمْتُ أَمْرًا أُرِيدُ الْخَيْرَ، أَيُّهُمَا يَلِينِي:
 إذا قصدت أمراً أريد الخير من ورائه لا أعلم ما الذي سيليني، سيصيني:

أَلْخَيْرُ الَّذِي أَنَا أَبْتَفِيهِ أَمْ الشَّرُّ الَّذِي هُوَ يَبْتَفِينِي؟
 أيصيني الخير الذي أطلبه، أم الشر الذي يطلبني؟

٢٢ نعم ولا

المثقب العبدى:

لَا تَقُولَنَّ إِذَا مَا لَمْ تُرِدْ أَنْ تُتِمَّ الْوَعْدَ فِي شَيْءٍ «نَعَمْ»
 لا تقل «نعم» إن كنت غير ناوٍ على الوفاء بالوعد

حَسَنُ قَوْلٍ «نَعَمْ» مِنْ بَعْدِ «لَا» وَقَبِيحُ قَوْلٍ لَا بَعْدَ نَعَمْ
 فكلمة نعم طيبة الوقع بعد لا، والعكس غير صحيح

إِنَّ لَا بَعْدَ نَعَمْ فَاجِشَةً قَبْلًا قَابِذًا إِذَا خِفْتَ النَّدَمَ
 فإذا قلت نعم فاضبر لها بنجاح القول، إنَّ الخُلْفَ دَمٌ
 إن قلت نعم فاضبر لها بأن تثابر على نجاح القول، والنجاح هو التحقيق،
 وخلف الوعد يأتيك بالندم

أَكْرَمُ الْجَارِ وَأَزْعَى حَقِّهِ إِنَّ عِرْفَانَ الْفَتَى الْحَقُّ كَرَمُ
 أَنَا بَيْتِي مِنْ مَعَدٍّ فِي الذُّرَى وَلِيَّ الْهَامَةِ وَالْفَرْغُ الْأَشْمُ
 عشيرتي في قمم قبيلة معد الكبرى، ولي الهامة، الرأس، والفرع العالي، والفرع هو الرأس..
 وأصل «الفرع» الشعر

لَا تَرَانِي رَاتِعاً فِي مَجْلِسٍ فِي لُحُومِ النَّاسِ كَالسَّبْعِ الضَّرِمِ
 لَا أَرْتَعُ فِي لُحُومِ النَّاسِ، لَا أَسْتَغِيبُ النَّاسَ فِي الْمَجَالِسِ، كَأَنِّي السَّعِ الضَّرْمِ، النَّهْمِ

إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْ يَكْثُرُ لِي حِينَ يَلْقَانِي وَإِنْ غَبْتُ شَتَمَ
 شر الناس من يكثر لي، يظهر أستانه مبتسماً، في حضوري، فإن غبت عنه شتمني

وَكَلَامٍ سَيِّئٍ قَدْ وَقُرْتُ أَذُنِي عَنْهُ وَمَا بِي مِنْ صَمَمٍ
 رب كلام سيء قد قررت، شُدْتُ، أَذُنِي دُونَهُ مَعَ أَنِّي لَسْتُ بِأَصَمٍّ

وَلَبَعْضُ الصَّفْحِ وَالْإِعْرَاضِ عَنْ ذِي الْخَنَاءِ أَبْقَى، وَإِنْ كَانَ ظَلَمَ

بعض الصفح والإعراض عن ذي الخناء، صاحب الفحش والإساءة، أبقى للعلاقات حتى لو كان ظالماً وغير محق في شتمه. إن رأيت كثيراً من شعر الجاهليين يعالج أوضاعاً اجتماعية شبيهة بما كان يكون في البصرة والكوفة في العصر الأموي وأوائل العباسي، وإن صادفك أبيات كهذه فيها حذقة في تناول كلمتي «نعم» و«لا» فاعلم أن كثيراً من الشعر الذي يوصف بالجاهلي موضوع في عصور لاحقة. قد يجدون للمثقب العبيدي - وهو جاهلي وصف بأنه أقدم من النابغة - بضعة أبيات فيلحقون بها أضعافها لكي تكتمل لهم «قصيدة» ينشدونها في المربد، وفي مجالس الأمراء

٢٣ إما ود وإما انتقاد

يزيد بن الحَذَّاقِ الشَّيْ:

لَنْ تَجْمَعُوا وَدِّي وَمَعْتَبَتِي أَوْ يُجْمَعَ السَّيْفَانِ فِي غَمْدٍ
 مثلما لا يجتمع السيفان في غمد، أي قراب أو بيت، واحد فكذا لا يجتمع ودي لكم وانتقادكم لي

نُعْمَانُ إِنَّكَ خَائِنٌ خَدِيعٌ يُخْفِي ضَمِيرُكَ غَيْرَ مَا تُبْدِي
 أيها النعمان بن المنذر، أنت خائن لوعودك ومخادع، ويخفي قلبك غير ما تبدي،
 شأن كل الساسة!

فَإِذَا بَدَا لَكَ نَحْتُ أَثْلَتِنَا فَعَلَيْكَهَا إِنْ كُنْتَ ذَا حَرْدٍ
 إن بدا لك نحت أثلتنا - انتقاصنا والليل منا، والأثلة نوع من الشجر - فلتفعل إن كنت ذا حرد، ذا
 قصد إلى هذا الأمر

يَأْبَى لَنَا أَنَّا ذُووْ أَنْفٍ وَأَصُولُنَا مِنْ مَحْتِدِ الْمَجْدِ

يأبى لنا القبول بانتقاصك أننا ذوو أنف، شامخون، وأصولنا من محتد المجد، والمحتد الأصل

إِنْ تَغْزُ بِالْخَرْقَاءِ أُسْرَتْنَا تَلَقَّ الْكَتَائِبَ دُونَنَا تَرْدِي

إذا غزوت بالخرقاء، لعلها كتيبة من كتائب النعمان، أسرتنا فستجد الكتائب تردي، تهرول، لحمايتنا

أَحْسِبْتَنَا لَحْمًا عَلَى وَضْمٍ أَمْ خِلْتَنَا فِي الْبَاسِ لَا نُجْدِي؟

أظننت أننا لحم على وضم، لحم على خشبة الجزار.. فاللحم على خشبة الجزار شيء ميت لا قدرة له بالمقارنة مع البعير الحي الذي يصول ويقاوم، أم ظننت أننا لا نجدي في البأس، لا قدرة لنا في الحرب؟

وَهَزَزْتَ سَيْفَكَ كِي تُحَارِبَنَا فَاَنْظُرْ بِسَيْفِكَ مَنْ بِهِ تَرْدِي

تردي: تقتل

٢٤ التجهيز

الممزق العبدى:

قَدْ رَجَلُونِي وَمَا رُجِلْتُ مِنْ شَعَثٍ وَأَلْبَسُونِي ثِيَابًا غَيْرَ أَخْلَاقِي

يصف تجهيزه للدفن: قد رجلوا شعري أي سرحوه.. ليس لأنه كان أشعث، بل لأمر أخطر.. وألبسوني ثياباً غير أخلاق، غير بالية

وَأَرْسَلُوا فُتْيَةً مِنْ خَيْرِهِمْ حَسَبًا لِيُسْنِدُوا فِي ضَرِيحِ الثُّرْبِ أَطْبَاقِي

وأرسلوا فتية كراماً ليسندوا أطباقى، مفاصلي، في القبر

هَوْنٌ عَلَيْكَ وَلَا تَوَلَّعْ بِإِشْفَاقٍ فَإِنَّمَا مَالُنَا لِلْوَارِثِ الْبَاقِي

يهون الأمر على نفسه.. لا تولع بإشفاق، لا يلزملك الخوف، فالموت حق والمال سيؤول للوارث

٢٥ إشباع الضباع

عبد المسيح بن عَسَلَةَ العبدى:

عَدَوْنَا إِلَيْهِمْ وَالسِّيُوفُ عَصِينَا بِأَيْمَانِنَا، نَقْلِي بِهِنَّ الْجَمَاجِمَا

ذهبنا إليهم حاملين السيوف بدل العصي، وبهذه السيوف نقلي، أي نضرب، الرؤوس

لَعَمْرِي لَأَشْبَعْنَا ضِبَاعَ عُنْيَزَةٍ إِلَى الْحَوْلِ مِنْهَا وَالتُّسُورَ الْقَشَاعِمَا

والله لقد شبت الضباع في موضع عنيزة إلى الحول، أي لسنة كاملة، وشبت التسور القشاعم، الكبيرة، من لحم الأعداء

وَمُسْتَلَبٍ مِنْ دِرْعِهِ وَسِلَاحِهِ تَرَكْنَا عَلَيْهِ الذَّنْبَ يَنْهَسُ قَائِمًا

ورب محارب قتلناه وسلبنا درعه وسلاحه، وتركناه والذنب قائم عليه ينهش لحمه نهشاً، والنهش أخت النهش (لا يشير المعجم الوسيط إلى تقارب الكلمتين، وما كان أحراه أن يقول ما قاله ابن دريد نقلاً عن الأصمعي، ووافقهما ابن فارس في المقاييس: النهش والنهش واحد)

٢٦ عَنَاجِيحُ

قال عامر المَحَارِبِي:

وَيَوْمَ يَوَدُّ الْمَرْءُ لَوْ مَاتَ قَبْلَهُ رَيَّظْنَا لَهُ جَاشَأً وَإِنْ كَانَ مُعْظَمًا

رب يوم، أي وقعة، يود المرء لو مات قبله لهوله، وقد كنا رابطي الجاش متماسكين، رغم أنه كان يوماً معظماً، شديداً

وَيَوْمَ رُجِيحٌ صَبَّحَتْ جَمْعَ طِيٍّ عَنَاجِيحُ يَحْمِلُنَ الْوَشِيحَ الْمُقَوَّمَا

وفي وقعة رجيح هاجمت جمع قبيلة طيء في الصباح عناجيح، أي خيل طويلة الأعناق، وفرسانها يحملون الوشيح المقوم، أي الرماح المثقفة المستقيمة

٢٧ الحق والحقيق

معاوية بن مالك، مُعَوَّدُ الحكماء:

نُعْطِي الْعَشِيرَةَ حَقَّهَا وَحَقِيقَتَهَا فِيهَا، وَنَغْفِرُ ذَنْبَهَا وَنَسُودُ

نعطي عشيرتنا حقوقها، ونغفر الذنب للمذنب ونسود قومنا. ولم أجد لـ «فيها» موقعاً

وَإِذَا تُحْمَلُنَا الْعَشِيرَةُ ثِقْلُهَا قُمْنَا بِهِ، وَإِذَا تَعُودُ نَعُودُ

٢٨ أَعُودٌ مِثْلُهَا الْحُكَمَاءُ

قال معاوية بن مالك، معوَّدُ الحكماء، وبالبيت الثالث هنا لقب بهذا اللقب:

أَجَدَّ الْقَلْبُ مِنْ سَلَمَى اجْتِنَابَا وَأَقْصَرَ بَعْدَمَا شَابَتْ وَشَابَا

جدد القلب شعوراً مختلفاً هو اجتناب سلمى، وأقصر، أي كَفَّ، بعدما شاب صاحب القلب وشابت سلمى

حَمَلْتُ حَمَالََةَ الْقُرْشِيِّ عَنْهُمْ وَلَا ظُلْمًا أَرَدْتُ وَلَا اخْتِلَابَا

حملت الحمالة، أي قمت بالدية، للقرشي، ولم أبغ ظلم الآخرين ولا اختلابهم، خداعهم

أَعُودٌ مِثْلُهَا الْحُكَمَاءُ بَعْدِي إِذَا مَا الْحَقُّ فِي الْأَشْيَاعِ نَابَا

أصنع ذلك كي أعود الحكماء بعدي على أداء الحقوق بلا انتقاص إذا نابنا، أي حل بنا، مصاب يستدعي أداء الحقوق عن الأشياء، عن الحلفاء

وكنْتُ إذا العَظِيمَةُ أَفْطَعَتْهُمْ نَهَضْتُ ولا أدبُ لها دِباباً
إذا دمتهم عَظِيمَةً، أي مصيبة كبيرة، نهضت بها نهوضاً ولم أتلُكاً كأنني أدب على الأرض وأجبر
إذا نَزَلَ السَّحَابُ بِأَرْضِ قَوْمٍ رَعَيْنَاهَا وإن كانوا غَضَاباً
نحن قوم أفوياء إذا نزل السحاب، أي المطر، بأرض قوم آخرين، رعينا ما أخرجنا من عشب رغم أنوفهم

٢٩ فارس المزنوق

عامر بن الطفيل:

لقد عَلِمْتُ عَلِيّاً هَوَازِنَ أَنَّنِي أَنَا الفَارِسُ الحَامِي حَقِيقَةً جَعْفَرٍ
قد علم هذا الفرع من هوازن أنني الفارس الذي يحمي حقيقة، أي شرف، قوم «جعفر بن كلاب»
وقد عَلِمَ «المَزْنُوقُ» أَنَّنِي أَكْرَهُ عَلَى جَمْعِهِمْ كَرَّ المَنِيحِ المُشْهَرِ
علم حصاني واسمه «المزنوق» أنني أهجم به على جمعهم مسرعاً مثل المنيح المشهر، السهم من
سهام القمار وكانوا يرمونها رمية

إذا ازُورَّ مِنْ وَقَعِ الرِّمَاحِ زَجْرَتُهُ وَقُلْتُ لَهُ: ارْجِعْ مُقْبِلاً غَيْرَ مُدْبِرٍ
إذا ازورَّ الحصان، أي انحرف، من وقع الرماح زجرته ونهرته حتى يتقدم ولا يدبر هارباً
أَلَسْتُ تَرَى أَرْمَاحَهُمْ فِي شُرْعَا وَأَنْتَ حِصَانٌ مَاجِدُ العِرْقِ فَاضْبِرِ
وقلت للحصان: ألا ترى رماحهم شرعاً في، مسددة إليّ، فعليك أن تصبر، وأنت حصان أصيل

٣٠ الأتّاد

عبد قيس بن خُفاف:

أَجْبَيْلُ إِنَّ أَبَاكَ كَارِبُ يَوْمِهِ فَإِذَا دُعِيتَ إِلَى العِظَائِمِ فَاغْجَلِ
يخاطب ابنه جبيلاً: أبوك كارب يومه، مقرب من موته، فاعجل بتحصيل المجد
فَالضَّيْفُ أَكْرَمُهُ فَإِنَّ مَبِيتَهُ حَقٌّ، وَلَا تَكُ لَعْنَةً لِلنُّزْلِ
فاكرم الضيف، ولا تكن مذموماً ملعوناً بمن ينزلون بك
واعْلَمْ بِأَنَّ الضَّيْفَ مُخْبِرُ أَهْلِهِ بِمَبِيتِ لَيْلَتِهِ، وَإِنْ لَمْ يُسْأَلِ
سيخبر الضيف أهله بما لقي من حفاوة أو سواها حتى وإن لم يسأله
وَأَنْتَ مَحَلُّ السَّوْءِ لَا تَحْلُلْ بِهِ وَإِذَا نَبَا بِكَ مَنَزَلٌ فَتَحَوَّلِ
لا تتلبّث في موقف شائن، وإذا نبا بك منزل، انزعجت من مكان أقمت به، فتحول عنه

وَإِذَا هَمَمْتَ بِأَمْرٍ شَرٍّ فَاتَّقِذْ وَإِذَا هَمَمْتَ بِأَمْرٍ خَيْرٍ فَافْعَلِ

إن هممت بشرّ فاتقذ، ترؤ، وإذا هممت بخير فافعل فوراً

وَإِذَا افْتَقَرْتَ فَلَا تَكُنْ مُتَحَشِّعاً تَرَجُّو الْفَوَاضِلَ عِنْدَ غَيْرِ الْمُفْضِلِ

لا تتذلل في حال فقرك راجياً المعروف ممن ليس أهلاً لبذل المعروف

وَاسْتَعْنِ مَا أَغْنَاكَ رَبُّكَ بِالْغِنَى وَإِذَا تُصِيبَكَ خِصَاصَةٌ فَتَجَمَّلِ

إن كنت غنياً فتمتع بالغنى، وإذا أصابتك خصاصة، أي ضيق ذات اليد، فتجمل، أي اصبر وأخف
ففرقك عن الناس

وَاسْتَأْنِ جِلْمَكَ فِي أُمُورِكَ كُلِّهَا وَإِذَا عَزَمْتَ عَلَى الْهَوَى فَتَوَكَّلِ

اطلب الأناة من حلمك، هدوء نفسك، في كل أمر، وإذا عزمتم على الهوى، الأمر الذي تريده،
فتوكل على الله (قال بعضهم إن الشاعر إسلامي)

وَإِذَا تَشَاجَرَ فِي فُؤَادِكَ مَرَّةً أَمْرَانِ فَاعْمِدْ لِلْأَعْفِ الْأَجْمَلِ

إذا اختصم في صدرك أمران فاختر ما يكسبك عفة وحسن ذكر

٣١ الزيال الطويل

عبد قيس بن خُفاف:

صَحَوْتُ وَزَايَلَنِي بِأَطْلِي لَعَمْرُ أَبِيكَ زِيَالاً طَوِيلاً

صحوت من غفلة الشباب، وزايلني، أي فارقتني، الباطل واللهو

وَأَضْبَحْتُ لَا نَزِقاً لِلْحَاءِ وَلَا لِلْحُومِ صَدِيقِي أَكُولَا

أصبحت غير نزق، غير متسرع، للحاء، للجدال والخصومة، وغير آكل للحوم الأصدقاء،
لا أغتابهم (البيتان من قطعة أطول.. جد بقيتها فيما اخترناه من الحماسة تحت رقم ٧٣)

٣٢ ضرباً على أم رأسه

أوس بن غلفاء الهُجيمي التميمي، وهو جاهلي:

وَإِنَّكَ مِنْ هِجَاءِ بَنِي تَمِيمٍ كَمُزْدَادِ الْغَرَامِ إِلَى الْغَرَامِ

إذا هجوت بني تميم فانت تزداد غراماً إلى غرام، أي شراً تغرمه بعد شر

هُمْ مَنُوا عَلَيْكَ فَلَمْ تُثْبِتْهُمْ فَتَيْلَاً غَيْرَ شَتْمٍ أَوْ خِصَامٍ

لقد منوا عليك، أحسنوا إليك، فلم تكافئهم فتيلاً، بأقل القليل، اللهم إلا بالشتم والخصام

وَهُمْ تَرَكَوكَ أَسْلَحَ مِنْ حُبَارَى رَأَتْ صَفْرًا وَأَشْرَدَ مِنْ نَعَامٍ
وهم أخافوك بعد أن شتمتهم فصرت أسلح من حبارى، أكثر سلحاً، أي تغوطاً، من حبارى، من
الطيور، وقد رأت صفراً فخافت، وصرت أكثر شروداً وفراراً من النعامة

وَهُمْ ضَرَبُوكَ ذَاتَ الرَّأْسِ حَتَّى بَدَتْ أُمُّ الدِّمَاغِ مِنَ الْعِظَامِ
ضربوك على رأسك فبدت أم دماغك، أي غشاء المخ، من بين عظام جمجمتك

٣٣ امرأة وناقاة

علقمة بن عبدة، الفحل:

طَحَا بِكَ قَلْبَ فِي الْحِسَانِ طَرُوبُ بُعَيْدَ الشَّبَابِ عَصَرَ حَانَ مَشِيبِ
طحا بك، ذهب بك، قلبك الطروب، المحزون.. والطرب تعني الفرح وتعني أيضاً الحزن، بسبب
الحسان، وذلك بعد انقضاء الشباب وحلول المشيب

يُكَلِّفُنِي لَيْلَى وَقَدْ شَطَّ وَلِيْهَا وَعَادَتْ عَوَادٍ بَيْنَنَا وَخُطُوبُ
قلبي يكلفني وصال ليلي وقد شط، أي ابتعد، وليها، أي قريها،
وقامت بيني وبينها الشواغل والمشاكل

مُنْعَمَةٌ مَا يُسْتَطَاعُ كَلَامُهَا عَلَى بَابِهَا مِنْ أَنْ تُزَارَ رَقِيبُ
فتاة ذات نعمة لا يمكن للمرء أن يكلمها لوجود الرقباء

إِذَا غَابَ عَنْهَا الْبَعْلُ لَمْ تُفْسِرْ سِرَّهُ وَتَرْضِي إِيَّابَ الْبَعْلِ حِينَ يُؤُوبُ
وفية لزوجها فلا تفشي سره غائباً، وترضيه عندما يعود

فَلَا تَعْدِلِي بَيْنِي وَبَيْنَ مُعَمَّرٍ سَقَّتْكَ رَوَايَا الْمُزْنِ حِينَ تَصُوبُ
لا تقارني بيني وبين فتى مغمر، غثيم غير مجرب، ويدعو لها بأن تسقيها روايا المزن، السحب
الماطرة، حين تصوب، أي تهطل بالمطر

فَإِنْ تَسْأَلُونِي بِالنِّسَاءِ فَلِإِنِّي بَصِيرٌ بِأَدْوَاءِ النِّسَاءِ طَبِيبُ:
أنا طبيب، أي خبير، بأدواء النساء، مشاكلهن:

إِذَا شَابَ رَأْسُ الْمَرْءِ أَوْ قَلَّ مَالُهُ فَلَيْسَ لَهُ فِي وَدْهِنٍ نَصِيبُ
إيه يا علقمة تقول هذا وقد لقبوك بالفحل إذ مال إليك قلب أم جندب، فماذا نقول نحن!

يُرِدْنَ ثَرَاءَ الْمَالِ حَيْثُ عَلِمْنَهُ وَشَرَحُ الشَّبَابِ عِنْدَهُنَّ عَجِيبُ
تحب النساء الغني، ويحبين الفتى في شرح الشباب، أي أوله

فَدَعُهَا وَسَلَّ اللَّهُ عَنْهَا بِجَسْرَةٍ كَهَمَّكَ، فِيهَا بِالرَّدَافِ خَبِيبُ

فدع المحبوبة وسل اللهم، أي انس اللهم، بجسرة، بناقة شديدة كهمك، بحسب ما تريدها أن تكون.. ناقة تخب خبيباً، تسير سريعاً حتى وأنت تركبها مع رديف خلقتك

وَعِيسٍ بَرَيْنَاهَا كَأَنَّ عُيُونَهَا قَوَارِيرُ فِي أَذْهَانِهِنَّ نُضُوبُ

ورب عيسى، نياق، بريناها، أهزلنا جسمها لطول السير،
كأن عيونها قوارير في أذهانهن نضوب، غائرة عيون النياق فكأنها حقائق
فيها دهن لكن الدهن ناضب ومستقر في قعرها فقط

إِلَى الْحَارِثِ الْوَهَّابِ أَعْمَلْتُ نَاقَتِي لِكُلِّكُلَيْهَا وَالْقُضْرَيْنِ وَجِيبُ

سَيرت ناقتي إلى الحارث وأنا أحس لكلكُلها، لصدراها، ولقصريها، لضلعبي الأخيرين،
وجيب، أي خفقان

إِلَيْكَ أَبَيْتَ اللَّعْنَ كَانَ وَجِيفُهَا بِمُسْتَبْهَاتٍ هَوْلُهُنَّ مَهِيبُ

إليك أيها الملك كان وجيف الناقة، سيرها، في صحارى مستبهات، قاحلة يشبه بعضها بعضاً
لخلوها من المعالم، ويخاف من هولها القلب

٣٤ لكل شيء ثمن

علقمة بن عَبَّة:

وَالْحَمْدُ لَا يُشْتَرَى إِلَّا لَهُ ثَمَنٌ مِمَّا يَضُنُّ بِهِ الْأَقْوَامُ مَعْلُومٌ

نيل الذكر الطيب له ثمن معلوم يضمن، أي يخل، به الناس

وَالْجُودُ نَافِيَةٌ لِلْمَالِ مَهْلَكَةٌ وَالْبَخْلُ بَاقٍ لِأَهْلِيهِ وَمَذْمُومٌ

الجود ينفي المال، يبدده، ويهلكه، والبخل يقي المال على أهله ويُلحق بهم الذم

وَكُلُّ حِصْنٍ وَإِنْ طَالَتْ سَلَامَتُهُ عَلَى دَعَائِمِهِ لَا بُدَّ مَهْدُومٌ

٣٥ أجدع ناس

خراشة العبيسي:

فَلَا قَوْمَ إِلَّا نَحْنُ خَيْرٌ سِيَاسَةً وَخَيْرٌ بَقِيَّاتٍ بَقِيْنَ وَأَوَّلًا

لا قوم إلا ونحن خير منهم قياماً بالأمر، وخير منهم في حاضرنا الذي بقي لنا، وخير منهم أولاً،
أي في «أولنا» أي أجدادنا

وَأَظْهَرُ فِي دَارِ الْحِفَافِ إِقَامَةً وَأَرْبَطُ أَخْلَاماً إِذَا الْبَقْلُ أَجْهَلَا

ونحن أطول الناس مكوئاً في مواقف الحفاظ، أي حماية الشرف، وأكثر الناس كبحاً للغضب إذا جعل البقل، أي العشب، الناس يجهلون، يتهورون. . وكانت العداوات تزداد إذا نبت العشب لنيل حقوق الرعي

وَأَكْثَرُ مِنَّا سَيِّداً وَابْنِ سَيِّدٍ وَأَجْدَرُ مِنَّا أَنْ يَقُولَ فَيَفْعَلَا

ولا قوم أكثر منا في عدد السادة وأبناء السادة، وأجدر منا بإتباع القول بالفعل

٣٦ أودى بني

أبو ذؤيب الهذلي، جاهلي إسلامي، فقد خمسة أبناء في طاعون بمصر:

أَمِنْ الْمَنُونِ وَرَبِّهَا تَتَوَجَّعُ؟ وَالدهرُ لبسٍ بِمُعْتَبٍ مَنْ يَجْزَعُ

أتوجع، أي أبتدي الجزع، من الموت ومصيبته؟ لكن الدهر لا يعتب، لا يرضي، من يجزع

قَالَتْ أُمَيْمَةُ: مَا لِحِجْسِكَ شَاحِباً مِنْذِ ابْتِذَلْتَ، وَمِثْلُ مَالِكَ يَنْفَعُ

قالت أميمة ما لجسمك قد شحب وهزل؟ قد أهملت شأنك بعد موت بنك، ولك في مالك ما ينفعك بعد إذ مات أولادك الذين ينصرونك

أَمْ مَا لِحِجْبِكَ لَا يُلَايِمُ مَضْجَعاً إِلَّا أَقْضَ عَلَيْكَ ذَاكَ الْمَضْجَعُ

وما لجنبك لا يستقر على فراش إلا أقض الفراش عليك، أي امتلأ بالقضض أي الحصى

فَأَجَبْتُهَا: أَمَّا لِحِجْسِي أَنَّهُ أَوْدَى بَنِيَّ مِنَ الْبِلَادِ فَوَدَّعُوا

أجبتها أمأ، أي أن ما، لجسمي هو أن أبتاني أودوا من البلاد، ذهبوا وماتوا

أَوْدَى بَنِيَّ وَأَعْقَبُونِي غُصَّةً بَعْدَ الرُّقَادِ وَعَبْرَةً لَا تُفْلِعُ

ماتوا وتركوا لي غصة في حلقي أحسها بعد أن أرقد، وذمعة لا تكف عن النزول

سَبَقُوا هَوًى وَأَعْنَقُوا لِهَوَاهُمْ فَخُرَّمُوا وَلِكُلِّ جَنْبٍ مَضْرَعُ

سبقوا هوى، أي هواي ورغبتني إذ رغبت في أن أسبقهم أنا، وأعنقوا، أي أسرعوا لهواهم، لما يريدون، فتخرموا، ماتوا، ولكل إنسان يوم سيموت فيه

فَغَبَرْتُ بَعْدَهُمْ بِعَيْشٍ نَاصِبٍ وَإِخَالِ أَنِّي لَأَحِقُّ مُسْتَنْبَعُ

فغبرت، أي بقيت، بعدهم بعيش ناصب، متعب، وأظنني سألحق بهم وأنبعهم قريباً

وَلَقَدْ حَرَصْتُ بِأَنْ أَدَافِعَ عَنْهُمْ فَإِذَا الْمَنِيَّةُ أَقْبَلَتْ لَا تُدْفَعُ

كنت حريصاً على حمايتهم والدفع عنهم، ولكن المنية إذا جاءت لا دافع لها

وَإِذَا الْمَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ

إذا أنشب الموت أظفاره فلا تنفع الإنسان أي تيممة، أي حرز أو حجاب أو خرزة زرقاء

فَالْعَيْنُ بَعْدَهُمْ كَانَ حِدَاقَهَا سُمِلْتُ بِشَوْكِ فَهِيَ عَوْرٌ تَذْمَعُ

العين بعدهم كأن أحداقها، سملت، فقتت بشوك فهي عوراء لكنها تدمع

وَتَجَلَّدِي لِلشَّامِتِينَ أُرِيهِمْ أَنِّي لِرَيْبِ الدَّهْرِ لَا أَتَضَعُّعُ

أتجلد، أتماسك، للشامتين لكي أريهم أنني لا أتضعع، ولا أضطرب لمصائب الدهر

وَالنَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغَبَتْهَا وَإِذَا تُرِدُّ إِلَى قَلِيلٍ تَقْنَعُ

نفس الإنسان ترغب في الأمر إذا حملها المرء على ذلك، وتقنع بالقليل بعد ذهاب الكثير

كَمْ مِنْ جَمِيعِي الشَّمْلِ مُلْتَمِي الْقَوَى كَانُوا بِعَيْشٍ قَبْلَنَا فَتَصَدَّعُوا

ما أكثر من كانوا قبلنا مجتمعي الشمل ملتتمي القوى، والقوى هي فتلات الجبل المجدولة معاً، ثم تصدعوا، تفرقوا بالموت. ويرى مصححي الصديق الشاعر عمران القفيني أن هذا البيت شبيه جداً ببيت المتنبي: «نبكي على الدنيا وما من معشر/ جمعتهم الدنيا فلم يفرقوا» قلت: حقاً يشبهه، ولا أنهم أبا الطيب بالسرقة هنا، فهذا لا شيء في عشرات الأبيات التي سرقها، والتي نرجو أن يغفرها الله له.. فقط لأن ذئاب النقد، ونسمي ابن وكيع والحاحمي ولا نزيد، نهشوا لحمه عليها نهشاً

المفضليات
فهرس القوافي
(القافية فرقم القطعة)

٢	ثَقِيلًا	١٨	أَعْدَائِهَا
٣١	طَوِيلًا	٢٨	وَسَابَا
٣٥	وَأَوَّلًا	٣٣	مَشِيبُ
٨	الْمَرَا جِلُ	٦	تَوَلَّتْ
٥	عَادِلُ	١٥	مَسْعُودًا
٣٠	فَاعْجَلِ	١٧	هُجُودُ
٢٦	مُعْظَمًا	٢٧	وَسُودُ
١٢	يُقِيمَا	٢٣	غَمْدِ
٢٥	الْجَمِاجِمَا	١٦	وَالْأَوْلَادِ
٣٤	مَعْلُومُ	٢٩	جَعْفَرِ
٣٢	الْقَرَامِ	٤	كَبِيرُ
١٤	دِرْهَمِ	٢٠	فَأَوْجَعَا
١٩	كَلَّمَ	٩	مُسْتَمْتَعُ
٢٢	نَعَمِ	٣٦	يَجْزَعُ
٣	لَبُونَا	١٣	اتَّسَعُ
٢١	نَبِينِي	٧	يَشُوقُ
١١	هَارُونِ	٢٤	أَخْلَاقِ
١٠	وَلَا لِيَا	١	لَاقِ

الأصمعيات

هي قصائد جمعها الأصمعي واختلطت بالمفضليات اختلاطاً ذريعاً، فخلصها منها، كيفما اتفق لهما، أحمد شاعر وعبد السلام هارون.

ولد الأصمعي سنة ١٢٢هـ أي قبل استهلال الدولة العباسية بعشر سنين. ولمع نجمه في السنوات العشرين التي استخلف فيها هارون الرشيد، وكان الأصمعي آنئذ بين الخمسين والسبعين من العمر. ثم عاش حتى جاوز التسعين، ومات عام ٢١٦هـ.

قدس الأصمعي اللغة العربية «الأصلية». لم يكن يرى أن لغة عصره حلوة وغنية وتناسب زمنها. كان أصولياً. كان يرى أن ما يطرق أذنيه من كلام في البصرة ثم في بغداد - التي رآها مدينة يافعة في الخامسة والعشرين من عمرها عندما استقدمه الرشيد من البصرة، ثم رآها بعد قليل حاضرة الدنيا - إنما هو تشويه لشيء أصلي. كان الأصمعي قد أدمن ارتياد الصحراء باحثاً عن الأصل، أو عما هو أقرب شيء إلى الأصل. كان رجوعياً. غربل لنا كلام الأعراب وضرب بعضه ببعض، فملاً أندية اللغة والأدب بالكتب التي تصف اللغة القديمة. وهذه القصائد بعض مما جاءنا به. ولو نظرت في المعاجم القديمة فسوف ترى عدداً كبيراً من المفردات ومعانيها منسوبة إلى الأصمعي. وكان الأصمعي مدققاً تقياً بعيداً من الكذب. فأفادنا كثيراً في توثيق اللغة القديمة.

والتوثيق شيء، والتقديس شيء آخر.

أعاشر في هذه الأيام التي أنفض فيها يدي من كتاب «أول الشعر» شباناً ممن عشقوا العربية القديمة. عاشرت في الشهرين الماضيين - وأكتب هذا الكلام في مطلع أيار/ مايو ٢٠١٦ - ستة وثلاثين شاباً وفتاة اشتركوا في برنامج تلفزي اسمه «فصاحة». وأنا فيه عضو لجنة تحكيم، ومدرّب أيضاً. وسأمضي

معهم شهراً ثالثاً حتى ينتهي هذا البرنامج. ألتقي بهم ساعات طويلة قبل البرنامج في جلسات تدريب طويلة. ثم يأتي يوم تسجيل الحلقة فيلقون على مدى ساعة ونصف خطباً وأشعاراً.

وقد حذرتهم عشرات المرات - في جلسات التدريب، وفي البرنامج نفسه، واليوتيوب شاهد عليّ - من السجع ومن الوعظ، ومن الكلام المنمق الذي ليس له رصيد من معنى.

سينطلق هؤلاء جميعاً - من خرج من السباق سريعاً ومن استمر حتى النهاية - في حياتهم فصحاء أبناء. وسيزيد المعنى وسيقل التمنيق في كلامهم مع اكتسابهم المزيد من الخبرة والثقافة. ولكنني لن أستطيع أن أنزع من نفوسهم تقديس اللغة القديمة.

هل أستطيع أصلاً أن أنزع هذا من نفسي أنا؟

لو قيض لي أن أضع منهج اللغة العربية للمدارس في بلد عربي لما فرضت على التلاميذ في سنوات الدراسة الاثنتي عشرة من الشعر العمودي كله، القديم والحديث، سوى مئة وأربعة وأربعين بيتاً. اثني عشر بيتاً لكل سنة. ولعلي أفرض عليهم حفظ خمسة أبيات منها في كل عام. ولعلي أفرض عليهم في كل عام عشرة أضعاف هذا القدر من الشعر الجديد بأشكاله، كي يقرأوه ويتذوقوه ويلقوه إلقاءً، وكي يحفظوا ما لا يزيد عن عشرة أسطر للعام الواحد. وسأفرض عليهم من النثر عشرة أضعاف ما أفرضه من الشعر.

فلماذا - ورأيي هذا الرأي - أجشم نفسي عناء مخض الشعر القديم وشرحه؟ ذلك شيء أصنعه بفعل ما انغرس في ذهني من تقديس للقديم، غير أنني أصنعه أيضاً لمن يريد أن يتخصص في هذا المجال، وأصنعه لمن يريد أن يفهم نفسية أجدادنا، ثم قد يفيد كتابي هذا القارئ الهاوي الذي سمع بقصيدة الشنفرى أو بمعلقة امرئ القيس، ويريد أن يقرأ ويفهم.

وأصنع هذا لسبب آخر يعلم الله أنني ما كنت لأبوح به لولا ما أحس من أنس بالقارئ. ويعلم الله أنني أعرف الناس بما يمكن أن يسبب هذا الذي أقوله من استخفاف بهذا الكتاب في نفوس النقاد الذين أعادت خلقتهم المؤسسات التعليمية في صورة إنسانين آليين، فتلفت نفوسهم وتعطل مركز الفهم في عقولهم.

لست أسعى في إصلاحهم، إذا خَبِصَ الأرز في قَدْرِكَ فلا تحاول.

أقول هذا لقارئ يبغض أولئك النقاد من أبناء المؤسسات بغضي إياهم، أو نصف بغضي إياهم، فما علمت أحداً يبغضهم بغضي.

إنما جمعت لك هذه الأشعار ورحت أشكلها وأشرحها لأنني رجل حُرْكة. لا أجلس في اجتماع إلا بيدي قلم أكتب وأرسم، ثم تمتلئ الورقة بعد دقيقة فأصنع منها سفينة، أو أمزقها شرائط أصنع بها براميل، أو أقتل الشرائط فتائل مخروطة يدخل بعضها في بعض لتصبح عصاً، ثم إلى الورقة الثانية. فإن طال الاجتماع وجدت أمامي ورشة. وأكون في بيتي معزلاً الناس، وربما لم أخرج منه يومين أو ثلاثة أيام، فهذا حين أقرأ وأنقب تنقيباً. فإن ظننتني، وأنا أعد لك في مقدماتي الكتب الكثيرة التي رجعت إليها، باحثاً جاداً فاعلم أنني بالأحرى رجل قلق لا يقر له قرار.

قد فاض الأمر بالمخرجة التلفزيونية للبرنامج الذي حدثت عنه، فواجهتني بالحقيقة، قالت: أجتهد اجتهداً حتى أحصل لك على لقطة لا تعبت فيها بشيء. ذات مرة كنت محتاجة إلى لقطة لك في موضع لا بد فيه من لقطة لك، فإذا أنت تدخل القلم بين عدسة نظارتك وبين عينك. ماذا تُراك تصنع! انتهى كلامها. ولمعلومات القارئ الأنيس فإن المخرجة أخذت لي هذه اللقطة، ورآها الناس على الشاشة.

كلما داهمني الخجل مما أقوم به من عرض هذا القديم - حتى وإن في ثوب جديد سداه الصدق ولحمته الخفة - ذكرت بيني وبين نفسي شعوباً أخرى تحتفل بقديمها، وتخصص له الكراسي الجامعية، فأنحسر خجلي مما أصنع. وإذا وصلت في حديثي إلى الكراسي الجامعية فلا بد من أن أرش في وجوه أصحابها ماء النار.

المؤلف يرش ماء النار في وجوه الأساتيد

يا لقبحهم، يفرضون علينا أن نؤدي فرض التبجيل كلما خاطبناهم بدس كلمة دكتور قبل أسمائهم. نقول لأحدهم يا دكتور فيقيم جذعه ويميل برأسه ويقول أمم ثم يأخذ، أخذته الصيحة، في الكلام. يشير بيديه متحمساً ثم تدركه زهوة الدكتر، فيرُزَن رزاة افتغال، حتى إذا استوثق من الجلُس واستولى على الجلسة شبك كفيه وأراحهما على رف كرشه وراح ينثر النصائح بلهجة الأب الشفيق على أبنائه. أليس بغيضاً!

في كل مهنة يوجد الحاذق الماهر، ويوجد الأخرق الدخيل. وما عرفت مهنة اختلط فيها هذا بذاك كمهنة الأستاذة في بلاد العرب. فمع انحدار المستوى في البلاد كلها، ومع استقالة شعوب العرب من هواية المطالعة أصبح الأستاذ يضع المقياس الذي يقاس به.

أقول هذا عارفاً أن الأساتذة الأجلاء الذين يحملون في صدورهم علماً كثيراً أغبط مني من زملائهم المشعوذين.

١ أنا ابن جلا

قال سُهَيْمُ بْنُ وَثِيلِ الرَّيَّاحِيِّ، وهو من بني جَمِيرٍ، وقد تحداه في الشعر اثنان من الفتبة:

أنا ابنُ جَلَا وطلّاعُ الثَّنابَا متى أضعِ العِمَامَةَ تعرّفوني

أنا ابن جلا، المشهور المعروف، وطلّاع الثنابا، الصاعد الطرق الجبلية، متى أضع العمامة عن رأسي وتظهر ملامحي تعرفوني وتعرفوا من أنا. جعل الحجاج بن يوسف الثقفي هذا البيت من محفوظ كل عربي، إذ استشهد به في مطلع خطبته الأولى في الكوفة. وضعه الحجاج في الحقيبة الذهبية لكل عربي دخل في حياته مدرسة، وغدا البيت جزءاً من «خرافتنا» القومية، فهمه المرء أم لم يفهمه.. جرسه وحده يحمل كل المعنى

وإنْ مكاننا مِنْ جَمِيرٍ مَكَانُ اللَّيْثِ مِنْ وَسْطِ الْعَرِينِ

مكاننا من قبيلة حميري كمكان الأسد، ومكانه في الوسط من عرينه

وإنِّي لا يَعودُ إِلَيَّ قَرْنِي عَدَاةُ الْغَبِّ إِلَّا فِي قَرِينِ

وعندما أهرم قرني، أي خصمي، ثم يعود إليّ ثانية غداة الغب، أي في اليوم التالي، فهو يعود ومعه قرين كي يساعده

عَذَرْتُ الْبُزْلَ إِذْ هِيَ خَاطَرْتَنِي فَمَا بَالِي وَبَالَ ابْنِي لَبُونِ

عذرت البزل، الجمال الكبيرة التي ظهرت أسنانها، إذ تخاطرتني، تتحداني في رهان، ولكن، ما لي ولا بني لبون، لجميلين صغيرين فطما عن اللبن

وماذا يَدْرِي الشعراءُ مِنِّي وقد جاوزتُ رأسَ الأربَعينِ

ماذا يدري الشعراء مني، كيف لهم أن يخدعوني، وقد تحنكت وجاوزت آخر الأربعين

أخو خمسينَ مُجْتَمِعاً أَشْذِي وَنَجَّذَنِي مُدَاوَرَةُ الشُّؤُونِ

أصبحت ابن خمسين مجتمع القوة، وقد نجذتني، حنكتني وجعلت أسناني الخلفية، النواجذ، تسقط، مداورة الشؤون، أي التصدي للخطوب

٢ لم أكن من جناتها

الحارث بن عباد البكري:

قَرَبًا مَرَبَطَ النَّعَامَةِ مِنِّي لَقِحتُ حَرْبَ وَائِلٍ عَنِ حِيَالِ

قربا يا صاحبي مكان ربط فرسي «النعام» مني، أي اربطها قريباً، فالحرب بين قبيلتي وائل
الكبريين بكر وتغلب قد اشتدت، فالحرب مثل الناقة التي تلحق، أي تحمل بعد الحيال، أي بعد
طول العقم فيكون حملها صعباً

لَمْ أَكُنْ مِنْ جُنَاتِهَا عِلْمَ اللَّـهِ وَإِنِّي بِحَرِّهَا الْيَوْمَ صَالٍ

لم أكن من مسببي الحرب، لكنني سأصلي بنارها. تلك حرب البسوس

٣ الاستعانة بالسفيه

كعب بن سعد الفَنَوِي:

وَلَنْ يَلْبَثَ الْجُهَّالُ أَنْ يَتَهَضَّمُوا أَخَا الْحِلْمِ مَا لَمْ يَسْتَعِنْ بِجَهُولِ

سرعان ما يتهضم، أي يظلم، الجهال المتهورون الرجل الحليم إن لم يستعن بجهول سفيه مثلهم

وَلَسْتُ بِمُبْدٍ لِلرَّجَالِ سَرِيرَتِي وَمَا أَنَا عَنْ أَسْرَارِهِمْ بِسَوْوِلِ

لا أطلع الناس على سري، ولا أسألهم عن أسرارهم

٤ ينتظرونه

أعشى باهلة، عامر بن الحارث:

إِنَّ الَّذِي جِئْتَ مِنْ «تَثْلِيثٍ» تَنْدُبُهُ مِنْهُ السَّمَّاحُ وَمِنْهُ النَّهْيُ وَالْغَيْرُ

هذا الذي جئت من تثليث، موضع بالحجاز، تندبه وتبكي لموته، رجل سمح وذو نهى وتغير في
الأمور، كذا المعنى الملموح

مَنْ لَيْسَ فِي خَيْرِهِ شَرٌّ يُكَدِّرُهُ عَلَى الصَّدِيقِ، وَلَا فِي صَفْوِهِ كَدْرُ

طاوي المصير، أي مصرانه أي أمعاء، ويجوع صابراً على العزاء، الشدة، وينصلت بالقوم، يمضي

بطوي مصيره، أي مصرانه أي أمعاء، ويجوع صابراً على العزاء، الشدة، وينصلت بالقوم، يمضي
بهم للغزو في وقت قحط لا ماء فيه ولا شجر

لَا يَأْمَنُ النَّاسُ مُمَسَّاهُ وَمُضَبَّحُهُ مِنْ كُلِّ فَجٍّ وَإِنْ لَمْ يَغْزُ يُنْتَظَرُ

لا أمان للناس منه مساء أو صباحاً، فهو يطلع عليهم من كل فج، أي طريق، وحتى لو لم يأتهم
غازياً فهم يترقبون قدومه

فَإِنْ جَزَعْنَا فَقَدْ هَدَّتْ مَصِيبَتُنَا وَإِنْ صَبَرْنَا فَإِنَّا مَعَشَرُ صُبْرُ
 إِنْ جَزَعْنَا عَلَيْهِ فَقَدْ هَدَّتْنَا الْمَصِيبَةُ فِيهِ، وَإِنْ صَبَرْنَا فَنَحْنُ قَوْمٌ صَبُورُونَ

٥ ادْعُ أُخْرَى

كمب بن سعد النَّوْثِي:

أَخِي! مَا أَخِي، لَا فَاحِشٌ عِنْدَ بَيْتِهِ وَلَا وَرَعٌ عِنْدَ اللَّقَاءِ هَيُوبُ
 فاحش: بذِيء، ورع: جان، اللقاء: ملاقة الأعداء

هُوَ الْعَسَلُ الْمَادِيَّ جِلْمًا وَنَائِلًا وَلَيْتُ إِذَا يَلْقَى الْعَدُوَّ غَضُوبُ
 هو العسل المادي، الأبيض، في حلمه وفي عطائه، وهو لَيْتُ غَضُوبٌ إِذَا لَقِيَ الْعَدُوَّ

أَخُو شَتَوَاتٍ، يَعْلَمُ الضَّيْفُ أَنَّهُ سَيَكْثُرُ مَا فِي قَدْرِهِ وَيَطِيبُ
 صاحب شتوات، كريم في أيام الشتاء، حين يعم القحط، ويعلم ضيفه أنه سيطبخ له ما طاب وكثر

وَدَاعٍ دَعَا: يَا مَنْ يُجِيبُ إِلَى النَّدَى فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذَاكَ مُجِيبُ
 رب داعٍ دعا بعد موت أخي طالباً الندى، السخاء بالضيافة، ولا مجيب له

فَقُلْتُ أَدْعُ أُخْرَى وَارْفَعِ الصَّوْتُ دَعْوَةً لَعَلَّ أَبَا الْمَغْوَارِ مِنْكَ قَرِيبُ
 فقلت له: ناد مرة أخرى وارفع صوتك، لعل أخي أبا المغوار قريب يجيبك.. حتى وهو ميت

فَإِنِّي لَبَاكِيسِهِ وَإِنِّي لَصَادِقُ عَلَيْهِ، وَبَعْضُ الْبَاكِياتِ كَذُوبُ
 صادق في بكائي عليه، وبعض من يكيّن تكون كذوباً في بكائها

لِيَبْكِكَ دَاعٍ لَمْ يَجِدْ مَنْ يُعِينُهُ وَطَاوِي الْحَشَا نَائِي الْمَزَارِ غَرِيبُ
 ليبكك داعٍ لا يجد من يلبي نداءه، وطاوي الحشا، جائع، نائي المزار، بعيد عن أهله، فقد كنت أنت من يطعم الغريب ويؤويه

٦ لِيَنْفَلِقْ!

شَور بن عمرو الحنفي:

وَلَقَدْ مَرَزْتُ عَلَى اللَّثِيمِ يَسُبُّنِي فَمَضَيْتُ ثُمَّتْ قُلْتُ: لَا يَعْنِينِي
 مررت بالثيم وهو يسبني، فمضيت ثمّت، أي ثم، قلت: هذا لا يعنيني

غَضَبَانِ مُمْتَلِئَا عَلَيَّ إِهَابُهُ إِنِّي وَرَبِّكَ سُخْطُهُ يُرْضِينِي
 غضبان وإهابه، أي جلده، متنفخ من الغضب علي.. والله إن غضبه ليرضيني

٧ كن خير آكل

الممزَّق القَبْدِي:

فَإِنْ كُنْتَ مَأْكُولًا فَكُنْ خَيْرَ آكِلٍ وَإِلَّا فَأَذِرْ كُنْسِي وَلَمَّا أُمِرَّ قِي
شهرة هذا البيت أن عثمان بن عفان تمثل به وهو في داره محاصراً؛ قيل بعث به إلى علي بن أبي طالب

٨ الأم والزوجة

صخر بن عمرو بن الشريد، وقد أصيب ولزم بيته:

أرى أمَّ صَخْرٍ مَا تَجِفُّ دُمُوعُهَا وَمَلَّتْ سُلَيْمَى مَضْجَعِي وَمَكَانِي
أُمِّي تَبْكُنِي بِدُمُوعِ غَزِيرَةٍ، وزوجتي ملت نومي بالبيت وأنا جريح

فَأَيُّ امْرِئٍ سَاوَى بَأْمٍ حَلِيلَةٍ فَلَا عَاشَ إِلَّا فِي شَقَاءٍ وَهَوَانٍ
من يساوي أمه بزوجه فلا عاش، أي ليته ما عاش، إلا في شقاء ومذلة

أَهْمُ بِأَمْرِ الْحَزْمِ لَوْ أَسْتَطِيعُهُ وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ الْعَبِيرِ وَالنَّرْوَانِ
أحاول أن أصنع الأمر الصحيح الحازم، ولكن الجرح قد حال بيني وبين القيام بذلك، مثلما حيل بين العبير، حمار الوحش الذي اصطيد وبين الوثوب على أنثاه

٩ الميت الحقيقي

عَدِي بن رَعْلَاءِ الغساني:

رُبَّمَا ضَرَبَتْهُ بِسَيْفٍ صَقِيلٍ دُونَ بُضْرَى وَطَعْنَتْهُ نَجْلَاءِ
ربما، أي رُبَّ، ضربة بالسيف - في وقعة أباغ عند بصرى الشام - ورب طعنة نجلاء، واسعة بالرمح.. وكان الغساسنة أوقعوا بالمناذرة يومذاك وقتلوا ملكهم المنذر بن المنذر

وَعُمُوسٌ تَضِلُّ فِيهَا يَدُ الْآسِي، وَيَعِيَا طَبِيبُهَا بِالْأَدْوَاءِ
ورب طعنة غموس واسعة تنوء داخلها يد الآسي، الطبيب، ويعجز عن مداواتها

لَيْسَ مَنْ مَاتَ فَاسْتَرَاخَ بِمَيِّتٍ إِنَّمَا الْمَيِّتُ مَيِّتُ الْأَحْيَاءِ
الميت استراخ وهو حي بذكره، والميت الحقيقي ميت الأحياء الذي..

إِنَّمَا الْمَيِّتُ مَنْ يَعِيشُ ذَلِيلًا سَيِّئًا بِأَلْهِ قَلِيلِ الرَّجَاءِ
الذي يعيش ذليلاً، سيء الظن بالناس، قليل الرجاء في تحقيق المجد

١٠ لولا الريح

مُهْلِلُ بن ربيعة:

أَلَيْلَتَنَا بِذِي حُسْمٍ أَنْيَرِي إِذَا أَنْتِ انْقَضَيْتِ فَلَا تَحُورِي
يا ليلتنا في موضع «ذي حسم» انكسفي بالصباح المنير، ولا تحوري، لا تعودي

فَلِإِنِّي قَدْ تَرَكْتُ بِوَارِدَاتِ «بُجَيْرًا» فِي دَمٍ مِثْلِ الْعَبِيرِ
لقد تركت في موضع واردات بجيراً، وهو الحارث بن عباد، ودمه قد سال كالعبير،
الطيب المزعفر

وَهَمَّامَ بْنَ مُرَّةٍ قَدْ تَرَكْنَا عَلَيْهِ الْقَشْعَمَانِ مِنَ النُّسُورِ
وتركنا همّاماً قتيلاً وعليه قشعمان، نسران مسّان ينتفان لحمه

كَأَنَّا غُدُوَّةٌ وَيَنِي أَبِينَا بِجَوْفٍ غُنَيْزَةٍ رَحِيًا مُدِيرِ
كأننا صباح ذلك اليوم مع بني أبينا في موضع جوف غنيزة حجراً طاحون يطحنان الناس. والحرب
كانت بين بكر وتغلب وهما أبناء عمومة

فَلَوْلَا الرِّيحُ أَسْمِعَ أَهْلَ حَجَرٍ صَلِيلَ الْبَيْضِ تُقْرِعُ بِالذُّكُورِ
كان صوت البيض، الخوذ، وهي تقرع بالذكور، السيوف القوية، عالياً حتى لقد كاد يسمعه أهل
حجر البعيدة، وما منهم من سماعه إلا أن الريح تبدد الصوت

١١ الممكن والمستحيل

عمرو بن مَعْدِيكَرِب:

إِذَا لَمْ تَسْتَطِيعْ شَيْئاً فَدَعُهُ وَجَاوِزُهُ إِلَى مَا تَسْتَطِيعُ
وَصِلْهُ بِالزَّمَاعِ فَكُلُّ أَمْرٍ، سَمَّا لَكَ أَوْ سَمَوْتَ لَهُ، وَلَوْ
الزماع: الهمة، سما لك: برز لك، ولوع: مولع بالقلب مُتَعَلِّقٌ بِهِ. المعنى: لا تُصِرَّ عَلَى مَا لَا تَسْتَطِيعُ
بلوغه، واطلب الممكن، ومع وجود الهمة والمثابرة ستحققه لأن النفس تتعلق بما ترغب فيه

١٢ أنا وقيار

ضابن بن الحارث البرجُمي:

فَمَنْ يَكُ أَمْسَى بِالْمَدِينَةِ رَحْلُهُ فَلِإِنِّي وَ«قَيَّارٌ» بِهَا لَعَرِيبُ
إذا كان أحد قد حط رحله بالمدينة مرتاحاً، فإنني وجملي «قيار» غريبان هنا.. فقد حبسني
عثمان بن عفان

وما عَاجِلَاتِ الطَّيْرِ تُذْنِي مِنَ الْفَتَى رَشَاداً وَلَا عَنْ رِيثِهِنَّ يَخِيبُ
الطير المسرعة في طيرانها التي يتفائلون بها لا تقرب الرشد من المرء، ولا يخيب المرء من ريث
الطير، أي بطة طيرانها

وَرُبَّ أُمُورٍ لَا تَضِيرُكَ ضَيَرَةً وَلِلْقَلْبِ مِنْ مَخَشَايَهِنَّ وَجِيبُ
رب أمور عادية لا تضرّك، ولكن للقلب من خشيتها وجيب، خفّان

فَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يُوْطِنُ نَفْسَهُ عَلَى نَائِبَاتِ الدَّهْرِ حِينَ تَنْوُبُ
لا خير في رجل لا يوطن نفسه، يستقبل مصائب الدهر حين تنوب، تأتي

وَفِي الشُّكِّ تَفْرِيطٌ وَفِي الْحَزْمِ قُوَّةٌ وَيُخْطِئُ فِي الْحَدْسِ الْفَتَى وَيُصِيبُ
الوقوف موقف المتشكك دون فعل فيه تفريط، والقوة في الحزم. ولكن الإنسان يخطئ
ويصيب في حدسه وتقديره لما يضره وينفعه. والذي أخطأ في حدسه خطأ فاحشاً ابنك
يا ضابئ، وأنت لا تعلم ماذا جرى له. فابنك عمير دخل الدار حين قتل عثمان ورفسه
برجله فكسر له ضلعين انتقاماً لك لأن عثمان حبسك ومات في حبسه. وبعد سنين
كثيرة، وكان ابنك قد أسن، جاء يطلب من الحجاج إعفائه من الغزو. فقال أحدهم
للحجاج: هذا عمير بن ضابئ الذي رفس عثمان، فأمر الحجاج بقتل ابنك عمير فوراً

١٣ الفقرُ الفَقْدُ

أبو دؤاد الإيادي:

لَا أَعْدُ الْإِفْتَارَ عُدْمًا، وَلَكِنْ فَقْدُ مَنْ قَدْ رُزِنَتْهُ الْإِعْدَامُ
لا أعد الإفتار، أي ضيق ذات اليد، عدماً، فقراً مدقماً. بل الإعدام، أي الفقر، إنما هو فقد من
قد بليت بفقده

وَكَذَاكَمْ مَصِيرُ كُلِّ أَنْاسٍ سَوْفَ حَقًّا تُبْلِيهِمُ الْأَيَّامُ
فَعَلَى إِنْثَرِهِمْ تَسَاقُطُ نَفْسِي حَسَرَاتٍ، وَذَكْرُهُمْ لِي سَقَامُ

١٤ يا خالي

المتلمّس، جريّر بن عبد المسيح، وهو من بني ضبيعة وتربّي عند أخواله
اليشكريين، وبعاتب في القصيدة خاله الحارث اليشكري. وكان خاله قد قال للملك
عمرو بن هند: هذا يزعم تارة أنه منا بني يشكر وتارة أنه من ضبيعة. فقال له الملك:
ما أراه إلا كالساقط بين الفِرَاشَيْنِ، فقال المتلمس:

تُعَيِّرُنِي أُمِّي رِجَالًا، وَلَنْ تَرَى أَحَا كَرِمًا إِلَّا بِأَنْ يَتَكَرَّمَا
تعيرني بعض الرجال بالانتساب إلى أمي، والكريم هو من يفعل الكرم بنفسه
غير مستند إلى مجرد النسب

وَهَلْ لِي أُمَّ غَيْرَهَا إِنْ تَرَكْتُهَا أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ أَكُونَ لَهَا ابْنَمَا
ابنما: ابن

أَحَارِثُ إِنَّا لَوْ تَسَاطُ دِمَاؤُنَا تَرَائِلَنَ حَتَّى لَا يَمَسَّ دَمٌ دَمًا
يا خالي الحارث، لو يساط، أي يخلط، دمي بدمك لما اختلطا.. قيل إن دماء الأعداء لا يختلط
بعضها ببعض

لِذِي الْحِلْمِ قَبْلَ الْيَوْمِ مَا تُقْرِعُ الْعَصَا وَمَا عَلَّمَ الْإِنْسَانَ إِلَّا لِيَعْلَمَا
كانت العصا تقرع لذي الحلم، والإنسان يعيش ويتعلم. كان هذا الرجل، ولعله عامر بن الظرب،
قد بلغ من الكبر عتياً فطلب أن يصاحبه رجل بعصا، فإذا غفل الشيخ وقال شيئاً فيه اختلاط قرع له
الفتى العصا وحركها كي يعود الشيخ إلى عقله. وفي البيت «ما تقرع العصا» أي تقرع، و«ما زائدة

وَكُنَّا إِذَا الْجَبَّارُ صَعَّرَ خَدَّهُ أَقَمْنَا لَهُ مِنْ مَيْلِهِ فَتَقَوْنَا
كنا إذا الجبار صعر خده، أي أماله تكبراً، قومنا ميله ورددناه إلى منزلته

فَلَوْ غَيْرُ أَخْوَالِي أَرَادُوا نَقِيصَتِي جَعَلْتُ لَهُمْ فَوْقَ الْعَرَانِينَ مِيسَمًا
لو غيركم يا أخوالي أرادوا الانتقاص مني لجعلت لهم فوق العرانيين، الأنوف، ميسماً، كياً بالنار
كناية عن الإذلال

وَمَا كُنْتُ إِلَّا مِثْلَ قَاطِعِ كَفِّهِ بِكَفِّ لَهُ أُخْرَى فَأَصْبَحَ أَجْذَمًا
لو فعلت ذلك بكم لكنت كمن قطع كفه بكفه الأخرى فأصبح أجْذَمَ، أي مقطوع اليد

الأصمعيات
فهرس القوافي
(القافية فرقم القطعة)

٣	بِجَهُولٍ	٩	نَجْلَاءِ
٢	حِيَالٍ	٥	هَيُوبُ
١٤	يَتَكَرَّمَا	١٢	لَعَرِيبُ
١٣	الإِغْدَامُ	٤	وَالْغَيْرُ
١	تَعْرِفُونِي	١٠	تَحُورِي
٨	وَمَكَانِي	١١	تَسْتَطِيعُ
٦	يَعْنِينِي	٧	أُمَزَّقِي

الحماسة

يعجبني في لبنان قُراه.

فلبنان - من بين كل البلدان العربية قاطبة - كانت قراه مهاد ثقافة وعلم وأدب. ابحث عن مارون عبود، وستجد بيته في قرية عين كفاح، وعن جبران فستجده خرج من بشرّي، وعن ميخائيل نعيمة فهو ابن بسكنتا، والشدياق من عشقوت، وإيليا أبو ماضي من المحيدثة، وابحث عن الشاعر «القروي» فهو بالطبع من «قرية» وهي البربارة، وزميله فرحات فهو من كفر شيما، ومن كفر شيما ناصيف اليازجي ومنها بشارة وسليم تقلا مؤسس جريدة الأهرام.

أتعيني ذلك ذات سنة وسرني. أتعيني عندما صنعت فلماً وثائقياً عن العظام الذي أنهضوا اللغة العربية من رقدتها، وسميته «عظام العربية في لبنان» كي يفهم المشاهد أن عظام الرجال في لبنان نهضوا بالعربية، وأن العربية أصبحت في لبنان اليوم عظاماً؛ فعندما تهيأت لتصوير الفلم مع الفريق اكتشفت أن المكوث في بيروت لا يفيدني بشيء، وأن عليّ أن أبكر مع الشمس لأصعد الجبال وألتقط القرى الجاثمة على سفوحها واحدة واحدة. وسرني ذلك، ليس لأنني من محبي الطبيعة، فأنا من القلة الذين يكرهونها، بل لأنه انتابني ذلك الشعور الذي أسميه «حالة الدير».

من أحب أحلام يقظتي، وما أكثرها، إلى نفسي أن أسكن ديراً ليس فيه شيء من قلق وتوتر الحياة الحديثة. وقد قلت في ذلك:

لو أننا نعيش وادعين

في قرية تنام ما بين التلال، لا تُحسّ بالسنين

ولا تحسّ لذة ولا ألم

بعيدة عن الطريق لم

تلمعُ بقربها سيوف الفاتحين
ليس لها مستقبل ولا طموح
ولا لها ماضٍ، ولا تشعر بالحنين

لو أننا نزرع حقلاً

لو أننا نأكل خبزنا

لا نعرف النقودَ والمرباتِ والوظائفِ

لا نعرف الشيوخَ والمحرماتِ والأساقفا

لا نعرف استقالةً لا نعرف استخارة

لو نستقبل من هذا الصداق

لو نستريح من هذا الصراع

لو... لا نموت

وكاستحالة هذه اللو الأخيرة كل ما سبقها من لَوَات.

على أن أبا تمام عاش بضعة أسابيع أو أشهر في «دير» فرضه عليه تساقط الثلوج.

ولا تطمع في أن أحدثك عن أبي تمام وكتابه «الحماسة» قبل أن آخذك إلى ألمانيا. على أنني سأقص عليك الطريف والمفاجئ، فاحبس أنفاسك من الآن.

الحماسة الألمانية

أحدثك عن ابن قرية ألمانية في شمال بافاريا اسمها معبر الخنازير «شفارين فورت». هذا الرجل كان شاعر قومه، رأى وهو يافع نابليون يحتل بلاده، ورآه في شبابه يُهزم، ورأى دويلات الألمان تحاول التوحد ولا تجد الطريق. وكتب الشعر الوطني فألهب خيال أبناء قومه. ثم كتب أشعاراً للأسرة وفي المرأة وعن الطبيعة. وكثيرون منهم يعدونه الآن رابع العظام في تاريخ الشعر الألماني كله بعد غوته وهابيني وريلكة.

ذلك هو فريدرش روكارت.

تخصص في القانون. عجيب هذا بالقياس إلى ما سوف نقصه عليك.

يقول لنا عبد الرحمن بدوي إن الرجل «أوتي قدرة هائلة على التحكم في اللغة الألمانية»، ويقول في فقرة أخرى، من «موسوعة المستشرقين» إن روكارت «كان يملك قدرة عجيبة في السيطرة على اللغة الألمانية». ونقرأ أن روكارت كان يتقن ثلاثين لغة. وهنا تبدأ أعاجيب الرجل. لكنها ليس ههنا تنتهي.

فويكبيديا الألمانية تصر على أنه كان يحسن أربعاً وأربعين لغة، وتشفع زعمها بقائمة اللغات التي اشتغل بها صاحبنا. وتذكر الموسوعة ترجماته البديعة عن الفارسية وعن اللغات الهندية، وتذكر ما صنعه روكارت مع اللغة العربية في أسطر قلائل. ويزيدنا هيرمان كراينبورغ، القيم على أرشيف روكارت، عجباً إذ يزعم أن روكارت أتقن خمسين لغة.

ترك هذا لكتاب غينيس.

هذا الرجل المثابر استدعاه الملك البروسي فريدرش فلهم الرابع إلى برلين كي يكون أستاذاً ومستشاراً، وبعد بضعة سنين استأذن في الرحيل فزوده الملك زاده فانصرف إلى ضيعة ورثتها امرأته، وقعد فيها يؤلف. فانظر إن شئت إلى بعض المثقفين ممن يقترب من كرسي الحكم بعض اقتراب فتصطك ركبته، ويتعلق بأهداب ولي النعمة غير قادر أن يفارق هالة السلطان، ويظل يلحق من الإطار حتى يموت. أو انظر - إن شئت - إلى شيخ مؤرخي العرب الطبري يقعد في كسر بيته يؤلف، فتأتيه هدايا السلطان فيردها رداً، ويعيش على أقل القليل. قالوا إنه بعث يوماً بكمْ ثوبه، وكانت أكمام أثوابهم واسعة، كي يباع في السوق، ليشتري بثمنه طعاماً. أو انظر إلى المعري وقد حبس نفسه في بيته خمسين سنة يصنع لنفسه العظيمة.

ترجم الألماني روكارت مقامات الحريري بما فيها من الألاعيب اللغوية التي لا يظن عاقل أنه يمكن نقلها إلى لغة أخرى. ولكن روكارت لم يكن عاقلاً بالمعنى المألوف، أو أنه كان مجنوناً بمعنى غير مألوف. فقد نقل الألاعيب إلى لغته، وجعل ترجمته الألمانية للمقامات مسجوعة من أولها إلى آخرها. وجعلها قطعة أدب ألمانية ليس يشبهها شيء. وترجم صاحبنا أشعار امرئ القيس. وبعد موته نشروا له ترجمة لثلاثة أرباع القرآن الكريم.

وترجم الحماسة.

فتنته الحماسة، وهي كتاب عربي عتيق جمع فيه الشاعر المشهور أبو تمام حبيب بن أوس الطائي، المتوفى عام مئتين وثلاثين هجريه، نحو ثمانمئة وثمانين قطعة من أشعار القدماء المغمورين.

وفي الحماسة كانت لروكارت بداءة أخرى تضاف إلى بدواته. فقد قرر أن يحاكي النظم العربي في بحوره وتفعيلاته وقوافيه. وتراه في القصيدة بعد القصيدة يصنع حاشية عروضية يحلل فيها الوزن العربي مستعملاً إشارات العروض كما نعرفها في العربية، ويشرح اجتهاده في نقل الوزن العربي إلى الكلم الألماني، على ما بين اللغتين من اختلاف جارف في توالي الصوامت والصوائت، وعلى ما بينهما من افتراق في كيفية وزن الشعر. لا جرم، صاحبنا مولع بالأوزان، وله في أوزان الشعر عند الجرمان والإغريق بحوث رائدة، وهي ليست بحوث الأكاديميين المتخشبين - جعلهم الله حطب الحُطمة - بل هي دراسة وتجريب وعبث كثير يرفده علم غزير.

شقي روكارت وهو يبحث للحماسة عن ناشر، وأخيراً وبعد خمس عشرة سنة نشرها في شتوتغارت، ١٨٤٦، في مجلدين. وطبعت بعد ذلك مرات. وصارت قطعة من الأدب الألماني لما نفت فيها من زفرات قلمه.

وبعد سنين كتب روكارت قصيدة عن ترجمته للحماسة، كتبها على قريء الشعر العربي بقافية موحدة، ونقلها إلى العربية لكن بقواف مزدوجة، كما يغلب على شعر أولئك القوم:

إنهم كانوا يصومو	ن زماناً في الزمان
غير أن قد أكرموا الضيف	ف على مر الزمان
يقطعون البيد ليلاً	فوق ظهر الراحلة
فإذا قالوا بماء	نعموا بالقائلة
روضوا بالعزم والحز	م الخيول الشامسة
وسروا بالعيس في قلـ	ب الفيافي الطامسة
غُضْتُ، واستخرجتُ هذا الدُّـ	رَّ من قلب الحماسة
وحواشيَّ بليغاً	ت تضاهيها نفاسة

ولعل القارئ قد سمع بشعراء ألمان آخرين فتنهم الشعر العربي القديم،

وأشهرهم غوثه. غير أن روكارت، وعاصر غوته ولقي منه مديحاً، كان القلم الذي أدخل شعرنا القديم في جسم الثقافة الألمانية.

حماسة أبي تمام

فضل الحماسة أنها من اختيار شاعر كبير هو أبو تمام، - ومضطرون اضطراراً إلى سوق عبارة التبريزي أحد شراحها - قال التبريزي إن أبا تمام «كان في حماسته أشعر منه في شعره». ولكن هذا ليس الفضل الأكبر للحماسة. ليس ميزتها الكبرى.

ميزتها الكبرى أنها جمعت خير ما قاله الشعراء المغمورون الذين لم تبق لهم دواوين، أو لم تجمع أشعارهم في دواوين أصلاً. وميزتها أنها اختيار قليل من كثير ومخض وتنخيل، وميزتها الأخرى أن جامعها كان محكوماً بإقامة جبرية، فاحتشد لها، ولم يشغله عنها شيء.

كان أبو تمام عائداً من نيسابور بخراسان، وهي اليوم في أقصى شرق إيران، وعندما وصل إلى همدان، غرب إيران اليوم، نزل بصديقه أبي الوفاء ابن سلمة، فأكرم مثواه. وبدأ الثلج يتساقط. ودرجة الحرارة في همدان من نوفمبر/ تشرين الثاني إلى مارس/ آذار تحت الصفر (المتوسط في يناير/ كانون الثاني عشرة تحت الصفر).

فقال أبو الوفاء لضيفه: قد قطع الثلج الطرق، ولن ينحسر إلا بعد زمن. ويبدو أن الرجل أعطى أبا تمام مختصراً مفيداً عن شتاء همدان كالذي سقناه لك أعلاه. فوطن أبو تمام نفسه على أن لا فرار. وفتح له مضيفه خزانة كتب عامرة يتسلى بها. فكانت الحماسة.

تيسرت لأبي تمام «حالة الدير» مثلما يسرها لنفسه مترجمه روكارت بعد ألف سنة. فأتحفنا الأول بمجموع شعري لم يجد تاريخ آداب العرب بمثله، وأتحف الثاني قومه بأدب غريب.

ولن نتوسع في الكلام على محاسن كتاب الحماسة لأبي تمام، فليس عندنا ما نضيفه. قد شرحه الشارحون كثيراً، وعدَّ عبد الله عسيلان خمسة وثلاثين شرحاً للحماسة، وكتب الكاتبون عن الحماسة كتباً كثيرة، قديماً وحديثاً. وقد أفدنا من شروح المرزوقي والتبريزي والأعلم الشنتمري واطلعنا على «أسرار الحماسة» لسيد «بن» علي المرصفي، وهو جزء أول لم يلحقه ثان.

ودققنا أسماء شعراء الحماسة من كتاب طريف لابن جني صاحب الخصائص .
وأفدنا من كتاب عبد الله عسيلان، وهو نصف أطروحة دكتوراه . وكونه نصفاً لا
يعيبه بل يزيده شرفاً . فالرجل حقق الحماسة ثم أردف تحقيقه بكتاب وصف فيه
تاريخ كتاب الحماسة، وكان الكتابان معاً أطروحته . . هذا في زمن كانت
أطروحة الدكتوراه فيه شيئاً حقيقياً .

ومما نقتبسه عن العسيلان هذا الإحصاء: الجاهليون بين شعراء الحماسة
١٠٧، والمخضرمون ٥٥ وأهل صدر الإسلام ١٨، وممن وصفوا بأنهم
إسلاميون ١٩، والأمويون ١٠٤، ومخضرمو الدولتين ٢٠، والعباسيون ٢٩. هذا
إلى نحو مئتين وخمسين قطعة غير منسوبة . وفي الحماسة ما يقرب من خمسين
قطعة لشعراء طيء، قبيلة أبي تمام . والعهد في ذلك كله على الباحث . وأحسن
الباحث في سوق البرهان الرقمي على فداحة ما استله التبريزي (صاحب أشهر
الشروح) من المرزوقي (صاحب أهم الشروح التي وصلتنا) .

لم يتيسر لنا ما تيسر لأبي تمام ولمترجمه الألماني من التمتع بـ «حالة
الدير»، فقد ظل هذا محض أمنية . على أننا نجتمع نتف الشعر ونضعها في كتب
بقدر ما يتيسر لنا من وقت . فلماذا نعدو على مجموع وضعه أبو تمام؟

لم نستطع عنه صبراً . فالشعر الذي في حماسة أبي تمام لا يوجد معظمه
إلا عند أبي تمام . وهو كله شعر رائع، وقد اخترنا منه أروقة . وهو خير متمم
لشعر الشعراء الذين عرضنا لهم في هذا العصر .

ما اعتور كلامنا على «حالة الدير» من مبالغة:

لو نظرت إلى الأربعين سنة، التي هي حياة أبي تمام، وما فيها من أسفار
شاقة ومن اضطراب لعرفت أن الرجل لم يتمتع بحالة العزلة إلا تلك الأسابيع .
وقد أنجز ديوانه الزاخر وهو بين الحل والارتحال . كان يعتزل داخل نفسه .

ولو نظرت إلى حياة روكارت التي قاربت الثمانين سنة، فسوف تراه يجاهد
الناشرين جهاداً، ويتألم لأن كتبه لا تلقى رواجاً، وتراه يرثي ابنين له، وتراه
قلقاً في كل شأنه، لكن عزلته كانت في داخل نفسه . وتقص علينا المستشرق
الألمانية أنا ماري شيمل طريفة من طرائفه: عندما نزل الثلج، على غير عادة،
في أبريل/نيسان نظم روكارت في هذه الحادثة ثمانين وثلاثين قصيدة، فتأمل .

١ لو كنت من مازن!

قال قُرَيْطُ بْنُ أَثَيْفٍ الْعَنْبَرِيُّ يمدح قبيلة مازن لاستحقاقهم إياه، ويذم قومه هو «بَلْعَنَز» لأنهم ليسوا شرايين، وليس عندهم خبرة:

لو كنت من مازن لم تستبح إيلي بنو اللَّقِيْطَةِ مِنْ ذُهْلٍ بِنِ شَيْبَانَا
لو كنت من قبيلة مازن لما تجرأ «بنو اللقيطة» من قبيلة ذهل بن شيان على إيلي وسرقوا بعضها
إذن لَقَامَ بِنَصْرِيٍّ مَعْشَرُ خُشْنٍ عِنْدَ الْحَفِيْظَةِ إِنْ ذُو لُؤْتَةٍ لَانَا
لو كنت من مازن لنصرني ناس خشنون وقت الحفيظة، والحفيظة هي الغضب للشرف، في الوقت الذي يلين فيه ذو اللؤة، أي الضعيف

قَوْمٌ إِذَا الشَّرُّ أَبْدَى نَاجِذِيَهُ لَهُمْ طَارُوا إِلَيْهِ زَرَفَاتٍ وَوُحْدَانَا
إذا الشر استطار وكان كالسبع المكش عن ناجذيه، عن أسنانه القصوى في جانبي فمه، فهم يسرعون إليه زرافات، جماعات، ووحداناً، فرادى

لَا يَسْأَلُونَ أَخَاهُمْ حِينَ يَنْدُبُهُمْ فِي النَّائِبَاتِ عَلَى مَا قَالَ بُرْهَانَا
لا يطلبون من ابن قبيلتهم حين يندبهم، يستجدهم، في المصائب برهاناً على قوله إنه تعرض للأذى، بل هم ينجذونه فوراً

لَكِنَّ قَوْمِي وَإِنْ كَانُوا ذَوِي عَدَدٍ لَيْسُوا مِنَ الشَّرِّ فِي شَيْءٍ وَإِنْ هَانَا
قومي كثر، لكنهم ليسوا شرايين أبداً. والشراني - وهذه من عامية بلدي فلسطين - هو الذي يدفع الشر بالشر

يَجْزُونَ مِنْ ظُلْمِ أَهْلِ الظُّلَمِ مَغْفِرَةً وَمِنْ إِسَاءَةِ أَهْلِ السُّوءِ إِحْسَانَا
يغفرون للظالم، ويكافئون المسيء بإحسان

كَأَنَّ رَبَّكَ لَمْ يَخْلُقْ لِحَشِيَّتِهِ سِوَاهُمْ فِي جَمِيعِ النَّاسِ إِنْسَانَا
يا ليت لي بهم قوماً إذا ركبوا شئوا الإغارة فرساناً وركبانا
ليت لي بهم، أي بديلاً عنهم، قوماً يركبون ويشنون الهجمات لدفع الإغارة فرساناً على الخيل، وركباناً يركبون الإبل

٢ بعض الحلم إذعان

الفنْدُ الزَّمَانِي، جاهلي قديم:

صَفَحْنَا عَنْ بَنِي ذُهْلٍ وَقَلْنَا: الْقَوْمُ إِخْوَانُ

عسى الأيام أن يَرْجِفَ نَ قَوْمًا كَالَّذِي كَانُوا

ربما تَرْجِعَ، أي تُعِيدَ، الأيام بني ذهل لسيرتهم الحميدة الأولى

فَلَمَّا صَرَخَ الشَّرُّ فَأَمْسَى وَهُوَ غُرِيَانُ

بعد أن صفحنا عنهم أملاً في اصطلاح حالهم، صرَّح الشر، أصبح واضحاً، وعرياناً، أي عاودنا عداًء مكشوفاً

وَلَمْ يَبْقَ سِوَى الْعُدُوِّ نِ، دِنَّا هُمْ كَمَا دَانُوا

وعندما لم يبق في المسألة سوى العدوان، فعندئذ دناهم كما دانوا، جزيناهم بمثل عملهم

مَشِينَا مِثْلَةَ اللَّيْثِ غَدَا وَاللَّيْثُ غَضَبَانُ

بِضَرْبٍ فِيهِ تَفْجِيعٌ وَتَخْضِيعٌ وَإِقْرَانُ

ضربناهم ضرباً فجعهم بقتلاهم وأخضعهم وعرضهم للإقران، وأحسبها الأسر وربط الأسرى بالقرن، أي الجبل المقتول. ولم أر ما رآه التبريزي ولا المرزوقي في هذه الكلمة فقد فسرها بتفسيرات حائرة

وَطَعْنِ كَفَمِ الزَّقِّ غَزَا، وَالزَّقُّ مَلَانُ

واجهناهم بطعن يكون موضع الطعنة فيه كفم الزق أي القربة الجلدية غذا، أي سال، وهو ملان. كأنك طعنت قرية مملوكة بخمر فمال

وَبَعْضُ الْحُلُمِ عِنْدَ الْجَهْلِ لِي لِلذَّلَّةِ إِذْعَانُ

أحياناً يكون الحلم، التعقل، عند استفحال الجهل، التهور، إذعاناً وخضوعاً

فَلِلشَّرِّ نَجَاةٌ حِيَّ مَنْ لَا يُنْجِيكَ إِحْسَانُ

ومواجهة الشر بالشر تنجي المرء في وقت لا ينفع فيه التراخي بالحسن

٣ لهم صدر سيفي

جعفر بن عُلبَةَ الحارثي، وعاش في عصر بني أمية:

إِذَا مَا ابْتَدَرْنَا مَارِقًا فَرَجَتْ لَنَا بِأَيْمَانِنَا بِيضٌ جَلَّتْهَا الصَّيَاقِلُ

إذا ابتدرنا واستبقنا الأعداء إلى مازق، أي مضيق في جبل، فإن السيوف البيض التي جلاها الصياقل، صانعو السيوف، ونحملها بأيدينا تفتح لنا الطريق

لَهُمْ صَدْرُ سَيْفِي يَوْمَ «بَطْحَاءِ سَحْبَلٍ» وَلِي مِنْهُ مَا ضُمَّتْ عَلَيْهِ الْأَنَامِلُ

في معركة بطحاء سحبل كان للأعداء صدر سيفي، وكان لي منه مقبضه الذي ضممت عليه أصابعي

٤ السجين

وقال جعفر بن عُلبَة أيضا:

هَوَايَ مَعَ الرَّكْبِ الْيَمَانِينَ مُضْعِدٌ جَنِيْبٌ، وَجُثْمَانِي بِمَكَّةَ مُوْنِقٌ

قلبي جنيب، أي مرافق، للراكبين اليمانيين، ولكن جسمي مقيد سجين في مكة

عَجِبْتُ لِمَسْرَاهَا وَأَنْتَى تَخْلَصْتُ إِلَيَّ وَبَابُ السَّجْنِ دُونِي مُغْلَقٌ

عجبت لمسراها، سيرها ليلاً، وكيف تخلصت من الحرس وجاءتني، رغم أن باب السجن مغلق علي.. ذلك أن الذي زاره خيالها

أَلَمْتُ فَحَيْثُ، ثُمَّ قَامَتْ فَوَدَّعَتْ فَلَمَّا تَوَلَّتْ كَادَتْ النَّفْسُ تَزْهَقُ

تزهق: تهلك

فَلَا تَحْسَبِي أَنِّي تَخَشَّعْتُ بَعْدَكُمْ لِشَيْءٍ، وَلَا أَنِّي مِنَ الْمَوْتِ أَفْرَقُ

تخشعت: ذللت وخضعت. أفرق: أخاف

وَلَا أَنَّ نَفْسِي يَزِدُّهَا وَعِيدُهُمْ وَلَا أَنَّنِي بِالْمَشْيِ فِي الْقَيْدِ أَخْرَقُ

ولا يزدهي نفسي وعيدهم، لا يخيفني تهديدهم، ولا أمشي والقيود في رجلي مشي الأحقق المرتبك

وَلَكِنْ، عَرَّتْنِي مِنْ هَوَاكِ صَبَابَةٌ كَمَا كُنْتُ أَلْقَى مِنْكَ إِذَا أَنَا مُطْلَقُ

لكن، عرتني من هواك صباغة، جاءتني هزة شعور من حبي إياك،
مثلما كانت تعتريني وأنا حر طليق

٥ نازلٌ كي أنازل

ربيعَةُ بْنُ مَقْرُومٍ الضَّبِّيُّ، وهو شاعر مخضرم:

وَلَقَدْ شَهِدْتُ الْخَيْلَ يَوْمَ طَرَادِهَا بِسَلِيمٍ أَوْظَفَةِ الْقَوَائِمِ هَيْكَلِ

رأيت الخيل وبعضها بطارد بعضاً وأنا أركب حصاناً هيكلاً، وقوائمه متينة لا عوج فيها،
والأوظفة قصبات سيقان الحصان

فَدَعَوْا نَزَالَ فَكُنْتُ أَوَّلَ نَازِلٍ وَعِلَامَ أَرْكَبُهُ إِذَا لَمْ أَنْزَلِ؟

قالوا نزال، أي من ينزل للمبارزة؟ فكنت أول نازل، وما قد ركبت الحصان إلا كي
أنزل عنه للمبارزة والمنازلة. «المنازلة» و«النزال» مشتقان من النزول عن ظهر الحصان
للمضاربة بالسيوف

وَأَلَدَّ ذِي حَنْقٍ عَلَيَّ كَأَنَّمَا تَغْلِي عَدَاوَةُ صَدْرِهِ فِي مِرْجَلِ
رب رجل ألد، عدو لدود، غاضب لشدة عداوته لي، وكأن العداوة في صدره تغلي كما يغلي الماء
في المرجل، أي القدر

أَزَجَيْتُهُ عَنِّي، فَأَبْصَرَ قَصْدَهُ وَكَوَيْتُهُ فَوْقَ النَوَاطِرِ مِنْ عَلٍ
أزجيت، أبعدته، عني فعرف قصده، أي رددته إلى رشد، وكويته فوق عينيه، أي في جيبه...
وصمته بالجبن، عندما هرب مني وكانوا يكونون الناقبة بعلامة ليُعرف صاحبها

٦ منتهى التهور

قال سعدُ بن نَاشِيطٍ، وهو شاعر إسلامي جنى جناية فَهَدَمَ والي البصرة داره:
سَأَغْسِلُ عَنِّي الْعَارَ بِالسَّيْفِ جَالِبًا عَلَيَّ قَضَاءَ اللَّهِ مَا كَانَ جَالِبًا
سأغسل عاري بالسيف وليجلب قضاء الله علي ما يجلب من عقوبة

وَأَذْهَلُ عَنْ دَارِي وَأَجْعَلُ هَدْمَهَا لِعِرْضِي مِنْ بَاقِي الْمَذْمَةِ حَاجِبًا
وانني لأذهل عن داري، أنسى أمرها، وليكن هدمها فداء لعرضي وحاجباً دونه من الذم

وَيَصْغُرُ فِي عَيْنِي تِلَادِي إِذَا انْتَنَتْ بِمِينِي بِإِدْرَاكِ الَّذِي كُنْتُ طَالِبًا
ويصغر في نظري تلادي، مالي الموروث، إذا تئنت أصابع يدي اليمنى ممسكاً بما كنت أبتغي
ومحققاً هدفي

فَإِنْ تَهْدِمُوا بِالْغَدْرِ دَارِي فَلِئَنَّا تُرَاثُ كَرِيمٍ لَا يُبَالِي الْعَوَاقِبَا
العواقب: النتائج

أَخُو غَمَرَاتٍ لَا يُرِيدُ عَلَى الَّذِي يَهْمُ بِهِ مِنْ مُفْطِئِ الْأَمْرِ صَاحِبًا
هذا الذي هدمتم داره أخو غمرات، مدمن على الشدائد، لا يبالي أن يكون وحده بلا صاحب في
تحقيق ما ينويه من مفتح الأمر، أي الأمر الصعب

إِذَا هَمَّ لَمْ تُرْدَعْ عَزِيمَةُ هَمِّهِ وَلَمْ يَأْتِ مَا يَأْتِي مِنَ الْأَمْرِ هَائِبًا
إذا نوى لم يكن لعزيمته من رادع، ولا يفعل ما يفعل وهو متهيب خائف

فَبَا لِرِزَامٍ رَشْحُوا بِي مُقَدِّمًا عَلَى الْمَوْتِ خَوَاضًا إِلَيْهِ الْكَتَائِبَا
يا بني رزام رشحوني لكي أكون مقدماً على الموت أخوض إليه الكتائب غير هباب. ورشحوني هنا
بالمعنى المستحدث، وقد خاض المفسرون القدماء في أنها تعني التربة والتأهيل، ولهم في البيت
أقوال كثيرة حينذاكها

إِذَا هَمَّ الْقَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَزَمَهُ وَنَكَّبَ عَنْ ذِكْرِ الْعَوَاقِبِ جَانِبًا
يجعل هدفه نصب عينيه، ويتعد عن ذكر النتائج... هكذا المتهور، وبين التهور والشجاعة إصبع

وَلَمْ يَسْتَشِيرْ فِي رَأْيِهِ غَيْرَ نَفْسِهِ وَلَمْ يَرْضَ إِلَّا قَائِمَ السَّيْفِ صَاحِبًا
ولا يستشير أحداً، ولا يرضى صاحباً سوى مقبض سيفه

٧ يشجع نفسه

قَالَ قَطْرِي بْنُ الْقُبَاءَةِ الْمَازِنِيُّ، زَعِيمُ الْخَوَارِجِ، يَخَاطِبُ نَفْسَهُ:
أَقُولُ لَهَا وَقَدْ طَارَتْ شَمَاعاً، مِنْ الْأَبْطَالِ وَيَحْكُ لَا تُرَاعِي
أقول لنفسي وقد طارت متفرقةً، ويحك يا نفسي لا تراعي، لا تخافي، من الأبطال

فَإِنَّكَ لَوْ سَأَلْتَ بَقَاءَ يَوْمٍ عَلَى الْأَجْلِ الَّذِي لَكَ لَنْ تُطَاعِي
فَصَبْرًا فِي مَجَالِ الْمَوْتِ صَبْرًا فَمَا نَيْلُ الْخُلُودِ بِمُسْتَطَاعٍ
الخلود في الدنيا مستحيل، فالموت على هذا أمر هين، فاصبري يا نفسي

وَلَا ثَوْبُ الْبَقَاءِ بِثَوْبٍ عِزٍّ فَيُطَوَّى عَنْ أَخِي الْخَنْعِ الْيَرَاعِ
وثوب البقاء على قيد الحياة ليس ثوب عز، لذا لا تراه مطوياً عن أخي الخنع، حليف الذلة،
اليراع، أي الجبان. بل الذليل يلبس ثوب العيش لأنه ليس بثوب عز

سَبِيلُ الْمَوْتِ غَايَةُ كُلِّ حَيٍّ وَدَاعِيهِ لِأَهْلِ الْأَرْضِ دَاعٍ
المنادي بالموت ينادي كل أهل الأرض فهذا مصيرهم جميعاً

وَمَنْ لَا يُغْتَبِطُ بِهَرَمٍ وَيَسَامٍ وَتُسَلِّمُهُ الْمَنُونُ إِلَى انْقِطَاعٍ
من لم يعتبط، يمت شاباً، فمصيره الهرم والسأم، ثم بعد ذلك تقطع المنون، الموت، عمره
وما لِلْمَرءِ خَيْرٌ فِي حَيَاةٍ إِذَا مَا عُدَّ مِنْ سَقَطِ الْمَتَاعِ
سقط المتاع: النال من الأثاث

٨ مَنْ فَارِسٌ؟

وَيُنْسَبُ إِلَى بَشَامَةَ بْنِ حَزْنِ التَّهْشَلِيِّ قَوْلُهُ:

إِنَّا مُحَبُّوكَ يَا سَلْمَى فَحَيِّينَا وَإِنْ سَقَيْتَ كِرَامَ النَّاسِ فَاسْقِينَا
وَإِنْ دَعَوْتَ إِلَى جُلَّتَى وَمَكْرُمَةٍ يَوْمًا سَرَاةً كِرَامِ النَّاسِ فَادْعِينَا
الجلّى: العمل الجليل، سراة الناس: سادتهم

إِنَّا بَنِي نَهْشَلٍ لَا نَدْعِي لِأَبٍ عَنْهُ، وَلَا هُوَ بِالْأَبْنَاءِ يَشْرِينَا
نحن لا نرضى بأب سوى أبينا، ولا هو يرضى بسوانا أبناء

إِنْ تُبْتَدِرْ غَايَةَ يَوْمًا لِمَكْرُمَةٍ تَلْقَ السَّوَابِقَ مِنَّا وَالْمُصَلِّينَا
إن يستبق الناس إلى بذل المعروف، فالسوابق والمصلون منا، والسابق هو الحصان الذي يأتي أولاً
والمصلي الذي يأتي ثانياً

وَلَيْسَ يَهْلِكُ مِنَّا سَيِّدٌ أَبَدًا إِلَّا أَقْتَلَيْنَا غُلَامًا سَيِّدًا فِينَا
لا يموت سيد منا إلا اقتلنا، أي فطنا، غلاماً ليصبح سيداً بدلاً منه

إِنَّا لَنُرْخِصُ يَوْمَ الرُّوْعِ أَنْفُسَنَا وَلَوْ نُسَامُ بِهَا فِي الْأَمَنِ أَغْلَيْنَا
يوم الروع، أي الحرب، نبذل أنفسنا رخيصة، ولو نسام، نقايض، بأنفسنا في السلم أغلينا، أي
كنا ذوي ثمن غال

إِنِّي لِمِنْ مَعْشَرٍ أَفْنَى أَوَائِلِهِمْ قِيلَ الْكِمَاءُ: أَلَا أَيْنَ الْمُحَامُونَا؟
أفنى أوائلنا، آبائنا وأجدادنا، مناداة الكمأة، أي المسلحين: أين من يحمي الشرف؟.. فإذ نسع
النداء نهب للمحامة ونموت دون الشرف الرفيع

لَوْ كَانَ فِي الْأَلْفِ مِنَّا وَاحِدٌ فَدَعَوْا: «مَنْ فَارِسٌ؟ خَالَهُمْ إِيَّاهُ يَعْنُونَا
لو كان رجل من عشيرتنا وسط ألف من الناس الآخرين فانطلق النداء: من فارس؟ لظنهم يعنونه
إذا الْكِمَاءُ تَنَحَّوْا أَنْ يُصِيبَهُمْ حَدُّ الطُّبَّاتِ وَصَلَّنَاهَا بِأَيْدِينَا
إذا تنحى المسلحون حتى لا يصيبهم حد الطبات، جمع طَبَّةٍ وهي حد السيف، فإننا نمد السيوف
ونظيلها بأيدينا لتصل إلى العدو

وَلَا تَرَاهُمْ، وَإِنْ جَلَّتْ مُصِيبَتُهُمْ، مَعَ الْبُكَاءِ عَلَى مَنْ مَاتَ يَبْكُونَا
وَنَرْكَبُ الْكُرَّةَ أَحْيَانًا فَيَفْرِجُهُ عَنَّا الْحِفَاطُ وَأَسْيَافُ ثَوَاتِينَا
نركب الكرة، نقدم على القتال الصعب المكروه، فيفرجه ويبدده عنا الحفاظ، أي الغضب للشرف،
والسيوف المهيأة للقتال

٩ إن الكرام قليل

قصيدة السَّمَوَالِ بْنِ عَادِيَاءَ، ويقال: إنها لعَبِيدِ الْمَلِكِ بْنِ عَبْدِ الرَّحِيمِ الْحَارِثِيِّ
(ورجَّح هذا بروكلمان وشايعه فروخ):

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَذَنْسْ مِنَ اللَّؤْمِ عَرْضُهُ فَكُلُّ رِدَائِهِ يَرْتَدِيهِ جَمِيلُ
المهم ألا يتسخ شرف الإنسان، وبعد ذلك فكل ما يرتديه من لباس جميل

وَإِنْ هُوَ لَمْ يَحْمِلْ عَلَى النَّفْسِ ضَمِيمَهَا فَلَيْسَ إِلَى حُسْنِ الثَّنَاءِ سَبِيلُ
إذا لم يكن المرء حسن التحمل للضيم، المكاره والمصائب، فلن ينال السمعة الحسنة

تَعَبِّرُنَا أَنَا قَلِيلٌ عَدِيدُنَا فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الْكَرَامَ قَلِيلٌ

هذه العاذلة تعبرنا بقلة العدد، ولكن الكرام ليسوا كثيراً، ونحن كرام

وَمَا قَلَّ مَنْ كَانَتْ بَقَايَاهُ مِثْلَنَا شَبَابٌ تَسَامَى لِلْعُلَى وَكُھُولٌ

ومن كانت بقاياها، أي قومه الباقون بخلاف الأجداد الراحلين، مثلنا فهو ليس قليل العدد، فبقاينا هم شباب وكهول يتسامون، يرفعون أبصارهم، نحو المجد

وَمَا ضَرَرْنَا أَنَا قَلِيلٌ، وَجَارُنَا عَزِيزٌ، وَجَارُ الْأَكْثَرِينَ ذَلِيلٌ

لا تضرنا قلة عددها، ذلك أن جارنا، أي من يستجير بنا، قوي لأننا نجيره وننصره، بينما من يستجير بالقبيلة الكثيرة العدد ذليل

لَنَا جَبَلٌ يَحْتَلُّهُ مَنْ نُجِيرُهُ مَنِيْعٌ يَرُدُّ الطَّرْفَ وَهُوَ كَلِيلٌ

لنا جبل يأوي إليه من يلتحق بنا طالباً النصر، وهو منيع عال يرد عنه البصر قليلاً متعياً

رَسَا أَصْلُهُ تَحْتَ الثَّرَى، وَمَا بِهِ إِلَى النَّجْمِ فَرْعٌ لَا يُرَامُ طَوِيلٌ

أصل جبلنا راسٍ راسخٌ تحت التراب، ورفع هذا الجبل إلى النجم فرع طويل لا يرام، أي قمة عالية لا تُطال

هُوَ «الْأَبْلَقُ» الْفَرْدُ الَّذِي سَارَ ذِكْرُهُ يَعِزُّ عَلَى مَنْ كَادَهُ وَيَطْوِلُ

وفوق الجبل حصتنا الفرد المشهور، الأبلق، وهو يعز، يمتنع، على من كاده، أرادته بشر

وَأَنَا لَقَوْمٌ مَا نَرَى الْقَتْلَ سُبَّةً إِذَا مَا رَأَتْهُ عَامِرٌ وَسَلُولٌ

نحن لا نعتبر الموت قتلاً في الحرب سبة، مذمة، في حين ترى ذلك قبيلتنا عامر وسلول

يُقَرَّبُ حُبُّ الْمَوْتِ آجَالَنَا لَنَا وَتَكْرَهُهُ آجَالُهُمْ فَتَطْوِلُ

فحب الموت يقرب منا الموت، وأما أعمار أولئك فتطول لفراهم من المواجهة

وَمَا مَاتَ مِنَّا سَيِّدٌ فِي فِرَاشِهِ وَلَا طُلٌّ مِنَّا حَيْثُ كَانَ قَتِيلٌ

لا يموت السيد منا في فراشه، وكل من مات منا فنحن نأخذ بثأره، ولا يطل دمه، أي لا يذهب هدرأ

تَسِيلُ عَلَى حَدِّ الظُّبَابِ نَفُوسُنَا وَلَيْسَتْ عَلَى غَيْرِ الظُّبَابِ تَسِيلٌ

نفوسنا تسيل مثلما تسيل دماؤنا على الضباب، حد السيوف، ولا نموت غير هذه الميتة

صَفَوْنَا فَلَمْ نَكْذُرْ، وَأَخْلَصَ سِرَّنَا إِنَاثٌ أَطَابَتْ حَمْلَنَا وَفُحُونُ

أنسابنا صافية لم يكدرها اختلاط، وقد أخلصت سرنا، أي حفظت أصلنا بحفظها للشرف، الإناث اللاتي حملتنا والذكور

عَلَوْنَا إِلَى خَيْرِ الظُّهُورِ وَحَظَّنَا لَوْفَتِ إِلَى خَيْرِ الْبَطُونِ نُزُولُ

فنحن أشراف في ظهور آبائنا، وعندما آن الأوان نزلنا إلى بطون أمهاتنا

فَنَحْنُ كَمَاءِ الْمُرْنِ مَا فِي نَصَابِنَا كَهَامٌ، وَلَا فِينَا يُعَدُّ بِخَيْلُ

نحن كماء السحاب صفاء وليس في نصابنا، أي حدنا، كهام، أي حد كليل غير قاطع،
وليس فينا بخيل

وَنُتَكَبِّرُ إِنْ شِئْنَا عَلَى النَّاسِ قَوْلُهُمْ وَلَا يُنْكِرُونَ الْقَوْلَ حِينَ نَقُولُ

إِذَا سَبَدْنَا خَلَا قَامَ سَبَدٌ قَوْلُ لِمَا قَالَ الْكَرَامُ فَعُولُ

إذا مات منا سيد قام سيد ذو منطق سديد وفعل شديد

وَمَا أُخْمِدَتْ نَارٌ لَنَا دُونَ طَارِقٍ وَلَا ذَمَّنَا فِي النَّازِلِينَ نَزِيلُ

ولا نخمد نارنا بل تظل موقدة حتى يراها الطارق، زائر الليل. ولا يذمنا من ينزل بنا لأننا نكرمه

وَأَيَّامُنَا مَشْهُورَةٌ فِي عَدُونَا لَهَا غُرَّرٌ مَعْلُومَةٌ وَحُجُولُ

أيامنا، معاركنا، مشهورة، فهي كالخيل التي لها غرر، شعر أبيض على الرأس، وحجول، بياض
في القوائم

وَأَسْيَافُنَا فِي كُلِّ شَرْقٍ وَمَغْرِبٍ بِهَا مِنْ قِرَاعِ الدَّارِعِينَ فُلُولُ

وسيفونا بها فلول، أي هي مثلمة غير قاطعة تشرذم حدها، من قراع، مضاربة،
الدارعين أي لابسِي الدروع

مُعَوَّدَةٌ أَنْ لَا تُسَلَّ نِصَالُهَا فَتُغَمَدَ حَتَّى يُسْتَبَاحَ قَبِيلُ

تعودت سيفونا ألا تسل نصالها إلا بعد أن تستيح قبيلة وتفتك بها

سَلِي إِنْ جِهَلَتِ النَّاسَ عَنَّا وَعَنْهُمْ وَلَيْسَ سِوَاءَ عَالِمٍ وَجْهُولُ

فإن بني الديان قُطِبَ لِقَوْمِهِمْ تَدَوَّرَ رَحَاهُمْ حَوْلَهُمْ وَتَجَوَّلُ

بنو الديان محور الرحي، وسائر العشائر من قومهم تدور حولهم وتبعهم، مثلما يدور حجرا
الطاحون حول المحور

١٠ أَصَبْتُ وَلَمْ أَصَبْ

قَطْرِئِي بِنَ الْفُجَاءَةِ الْمَازِنِي أَحَدَ زَعَمَاءِ الْخَوَارِجِ:

لَا يَرْكَزَنَّ أَحَدٌ إِلَى الْإِحْجَامِ يَوْمَ الْوَعَى مُتَخَوِّفًا لِحِمَامِ

لا يفيد المرء الركون إلى التراجع في الوعي، أي الحرب، خائفاً من الحمام، أي الموت

فَلَقَدْ أَرَانِي لِالرَّمَاكِ دَرِيئَةً مِنْ عَن يَمِينِي مَرَّةً وَأَمَامِي

فَأَنَا مَثَلًا أَرَى نَفْسِي دَرِيئَةً، أَي عَرَضَةً، لِلرَّمَاكِ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ

حَتَّى خَضَبْتُ بِمَا تَحَدَّرَ مِنْ دَمِي أَكْنَافَ سَرَجِي أَوْ عِنَانَ لِبَاجَمِي

وَنَزَلَ دَمِي وَتَلَوْتُ بِهِ أَكْنَافَ سَرَجِي، أَي أَطْرَافَهُ، وَعِنَانَ حَصَانِي، أَي الْمَقُودَ الْمَرْبُوطَ بِلِبَاجَمِهِ،
بِتِلْكَ الْحَدِيدَةِ فِي فَمِهِ

ثُمَّ انصَرَفْتُ وَقَدْ أَصَبْتُ وَلَمْ أَصِبْ جَذَعَ الْبَصِيرَةِ قَارِحَ الْإِقْدَامِ

وَمَعَ ذَلِكَ، انصرفت من المعركة وقد أصبت العدو ولم أصب بأذى مميت، وانصرفت وأنا جذع
البصيرة، أفكاري جديدة.. فالجذع من الخيل الذي بلغ ستين، وقارح الإقدام، قديم الشجاعة..
والقارح من الخيل من بلغ أقصى السن. وكان قطري قد اعتنق فكر الخوارج متأخراً فلذا قال إن
بصيرته جذعة جديدة

١١ حمي الحديد عليهم

الْأَشْتَرُ النَّخَعِي:

بَقِيْتُ وَفَرِي، وَانْحَرَفْتُ عَنِ الْعُلَا وَلَقِيْتُ أَضْيَافِي بِوَجْهِ عَبُوسٍ..

يدعو على نفسه مشروطاً: فلاكن بخيلاً أبقي وفري وأحتفظ بمالي، ولأبتعد عن المجد، ولألق
ضيوفي بوجه رجل عابس..

إِنْ لَمْ أَشُنْ عَلَى ابْنِ حَرْبٍ غَارَةً لَمْ تَخُلْ يَوْمًا مِنْ ذَهَابِ نُفُوسٍ

.. هذا إن لم أشن غارة على ابن حرب، معاوية بن أبي سفيان بن حرب، لا تخلو من قتل.
وكان الأشتر مع علي بن أبي طالب ضد معاوية

خَيْلًا كَأَمْثَالِ السَّعَالِي شُرْبًا تَعْدُو بِبَيْضِ فِي الْكَرْيَةِ شُوسٍ

سأفود خيلاً تشبه السعالي، الشرباء، ضامرة، تجري وعلى متونها رجال بيض كرام، شوس
في الكريهة، غاضبون عابسون في الحرب

حَمِي الْحَدِيدُ عَلَيْهِمْ، فَكَأَنَّهُ وَمَضَانُ بَرَقِ أَوْ شُعَاعُ شُمُوسٍ

سخن حديد الدروع على المحاربين، وهو يلمع تحت الشمس كأنه البرق يومض أو شعاع الشمس

١٢ لو أنطقني رماحهم نطقتُ

عَمُرُو بِنُ مَعْدِيكَرِبَ الرُّبَيْدِيِّ الشَّاعِرَ الْمَخْضَرَمَ:

وَلَمَّا رَأَيْتُ الْخَيْلَ زُورًا كَأَنَّهَا جَدَاوِلُ زَرْعٍ أُرْسِلَتْ فَاسْبَطَرَّتْ

لما رأيت الخيل زوراً، منحرفة مزورة، كأنها جداول الماء المتلوية بين الحقول، وقد أرسلت هذه
الخيال لتجري واسبطرت، أي امتدت

وَجَاشَتْ إِلَيَّ النَّفْسُ أَوَّلَ وَهْلَةٍ وَرُدَّتْ عَلَيَّ مَكْرُوهِهَا فَاسْتَقَرَّتْ

جاشت نفسي، أي اضطربت، لأول وهلة ولكنني رددتها وأجبرتها على ما كرهته فاستقرت

عَلَامَ تَقُولُ الرُّمْحُ يُثْقِلُ عَاتِقِي إِذَا أَنَا لَمْ أَطْعَنْ إِذَا الْخَيْلُ كَرَّتْ

المعنى الملموح: إذا لم أطعن الأعداء بالرمح عندما تكرر الخيل وتهجم فلا عذر لي في أن يكون الرمح ثقيلاً فوق كتفي

لَحَا اللَّهُ جَرَمًا كُلَّمَا ذَرَّ شَارِقٌ وَجُوهَ كِلَابٍ هَارَشَتْ فَازُبَارَتْ

لعن الله قبيلة جرم كلما ذر شارق، كلما بزغت الشمس، فوجههم كوجه كلاب هارشت كلاباً أخرى، وواثبتها، فازبأرت، أي تهأت للعراك

ظَلَلْتُ كَأَنِّي لِلرِّمَاحِ دَرِيسَةٌ أَقَاتِلُ عَنْ أَبْنَاءِ جِزْمٍ وَفَرَّتْ

ظلمت كعندي الرماح، والدرية شبه درع توضع للتدرب على الطعن، وأنا أقاتل دفاعاً عن قبيلة جرم بينما هي فرت من القتال

فَلَوْ أَنَّ قَوْمِي أَنْطَقْنِي رِمَاحَهُمْ نَطَقْتُ وَلَكِنَّ الرِّمَاحَ أَجَرَّتْ

لو أن رماح قومي عملت في المعركة لنطقت أنا بمدحهم، ولكن رماحهم أجزت لساني، أي وضعت عوداً في لساني فلم ينطق، والإجرا شق لسان الفصيل ووضع عود فيه حتى لا يرضع من أمه الناقة

١٣ إن الجمال معادن

عمرو بن مغديكرب:

لَيْسَ الْجَمَالُ بِمُتَزَرٍّ فاعْلَمْ، وَإِنْ رُدِّيتَ بُرْدًا

الجمال ليس أن تلبس متزراً، أي ثوباً لما دون الخصر، ولا أن ترتدي فوقه برداً، ثوباً آخر كاسياً

إِنَّ الْجَمَالَ مَعَادِنٌ وَمَنَاقِبُ أَوْزُنِ مَجْدَا

الجمال في المعدن الأصيل، وفي المناقب، أي الأعمال الشريفة، التي تورثك المجد

أَعَدَدْتُ لِحَدَثَانِ سَابِغَةً وَعَدَاءَ عِلْنُدَى

أعددت لحادثي سابغة طويلة، وفرساً سريعاً علندي، غليظاً شديداً

نَهْدًا، وَذَا شُطْبٍ يَقْدُ الْبَيْضَ وَالْأَبْدَانَ قَدًا

والفرس نهدي، أي عالٍ، وأعددت سيفاً ذا حوز يقطع البيض، أي الحوز، والأجسام

وَعَلِمْتُ أَنِّي يَوْمَذَا لَكَ مُنَازِلٌ كَغَبَا وَنَهْدَا

قد عرفت أنني سأقاتل هاتين القبيلتين

قَوْمٌ إِذَا لَبِسُوا الْحَدِيدَ ذَ تَنَمَّرُوا حَلَقًا وَقِدًا
قوم إذا لبسوا الدروع تنمروا، أصبحوا شرسين؛ هم هكذا بدروعهم المنسوجة من حلقات الحديد،
ومن القِدِّ، أي الدروع المتخذة من الجلود السمكة

كُلُّ أَمْرِي يَجْرِي إِلَى يَوْمِ الْهَبَاجِ بِمَا اسْتَعَدَّا
يوم الهياج: المعركة

لَمَّا رَأَيْتُ نِسَاءَنَا يَفْحَضْنَ بِالْمَعْرَاءِ شَدًّا
لما رأيت نساء قومي يفحصن، يطأن، بأقدامهن المعزاء، الحصى، ويركضن سرعات
وَبَدَتْ لَمِيسٌ كَأَنَّهَا بَذَرُ السَّمَاءِ إِذَا تَبَدَّا
وبرزت لميس كالبرد إذ يبدو في السماء

وَبَدَتْ مَحَاسِنُهَا الَّتِي تَخْفَى، وَكَانَ الْأَمْرُ جِدًّا
وبرزت، في موقف الخوف والفرار، مفاتها التي كانت خافية. وكانوا في معاركهم يصطحبون
نساءهم خلف الجيش

نَازَلْتُ كَبِشَهُمْ، وَلَمْ أَرَّ مِنْ نِزَالِ الْكَبِشِ بُدًّا
عندت نازلت كبش الأعداء، بطلهم، ولم يكن لي بد من ذلك

هُمْ يَنْذِرُونَ دَمِي وَأَنَا ذِرُّ إِنْ لَقِيتُ بِأَنْ أَشَدًّا
الأعداء ينذرون دمي، يهددون بقتلي، وأنا أتوعدهم بقتال شديد

كَمْ مِنْ أَخٍ لِي صَالِحٍ بَوَائِهِ بِيَدَيَّ لَخْدًا
ما أكثر ما بوات، وضعت في، أخا صالحاً قبره بيدي

مَا إِنْ جَزَعْتُ وَلَا هَلِغْتُ تْ، وَلَا يَرُدُّ بُكَايَ زُنْدًا
لا اضطرب لموت صحي، ولو اضطربت وبكيت فإن بكائي لا يرد زندا، أي شيئاً نافهاً،
فكيف يرد علي من قد مات؟

أَلْبَسْتُهُ أَثْوَابَهُ وَخُلِقْتُ يَوْمَ خُلِقْتُ جَلْدًا
كفنت صاحبي، فأنا جلد، متماسك شديد منذ خلقت

أَغْنِي غِنَاءَ الذَّاهِبِ نْ، أَعْدُّ لِلْأَعْدَاءِ عَدًّا
بموت صحي فإنني أغني عن فقدهم، وأنا أعدُّ لِبِزَاءِ الأعداء رجال كثيرين، أي هو كالف رجل

ذَهَبَ الَّذِينَ أَحْبَبُّهُمْ وَبَقِيتُ مِثْلَ السِّيفِ قَرْدًا
فالسيف في غمده منفرد وحيد

١٤ طعنة الثائر

قَيْسُ بْنُ الْخَطِيمِ مِنَ الْأَوْسِ وَهُوَ مُخَضَّرَمٌ، وَلَمْ يَسْلَمْ:

طَعَنْتُ ابْنَ عَبْدِ الْقَيْسِ طَعْنَةً ثَائِرٍ لَهَا نَفْذٌ لَوْلَا الشَّعَاعُ أَضَاءَهَا

طعنته طعنة ثائر، أخذ بالثأر، والطعنة لها نفذ، فتحة نافذة من الجهة الأخرى، ولولا الشعاع، أي الدم المنتشر، لرأيت ضوءاً من خلال هذا الثقب

مَلَكَتُ بِهَا كَفِّي فَأَنْهَرْتُ فَتَقَّهَا يَرَى قَائِمٌ مِنْ دُونِهَا مَا وَرَاءَهَا

تمكن كفي من الرمح فأنهزت فتق الطعنة، وسعته، وغدا الواقف أمام الطعنة يرى ما وراءها لأنها قد اخترقت الجسم

وَكُنْتُ امْرَأً لَا أَسْمَعُ الدَّهْرَ سُبَّةً أَسْبُ بِهَا إِلَّا كَشَفْتُ غِطَاءَهَا

وكنت لا أذم إلا غسلت العار وحررت شرفي من المذمة

فَإِنِّي فِي الْحَرْبِ الضَّرُوسِ مُوَكَّلٌ بِإِقْدَامِ نَفْسِي مَا أُرِيدُ بَقَاءَهَا

أنا في الحرب الشديدة كفيل بأن أكون مقداماً لا يحرص على بقاء نفسه، فيرمي نفسه على الموت

إِذَا مَا اضْطَبَحْتُ أَرْبَعًا خَطَّ مِثْرِي وَأَتَبَعْتُ ذُلُوبِي فِي السَّمَاحِ رِشَاءَهَا

إذا اصطبحت أربعاً، شربت أربع كؤوس في الصباح، جرت ثوبي فصنع خطاً على الأرض، وسخوت وبذلت مالي، والسماح هو السماح بالمال... فكانت بهذا السخاء الزائد كمن أدلى دلوه في البئر وبالع فالحق بالدلو الرشاء، أي الجبل

مَتَى يَأْتِ هَذَا الْمَوْتُ لَا تَبْقَ حَاجَةٌ لِنَفْسِي إِلَّا قَدْ قَضَيْتُ قَضَاءَهَا

أبادر بتحقيق مرادي فلا يأتي الموت إلا وقد حققت ما أريد

تَأَزْتُ عَدِيًّا وَالْخَطِيمَ فَلَمْ أَضِغْ وَلَايَةَ أَشْيَاخٍ جُعِلَتْ إِزَاءَهَا

أخذت ثأري لجدي عدي، ولأبي الخطيم، ولم أضغ ما توليته بحق آبائي، أي هذه الولاية التي أنيطت بي

١٥ اعتذار للفرار

الحارث بن هشام المخزومي، أخو أبي جهل، وهو مخضرم

(قالها وقد فر يوم بدر وكان مع قريش):

اللّٰهُ يَعْزِمُ مَا تَرَكْتُ قِتَالَهُمْ حَتَّى عَلَوْا فَرَسِي بِأَشَقَّرَ مُزْبِدٍ

ما فررت من المعركة إلا بعد أن جعلوا على فرسي دماً. كذا فسرها المرزوقي والتبريزي

وَوَجَدْتُ رِيحَ الْمَوْتِ مِنْ تِلْقَائِهِمْ فِي مَازِقٍ، وَالْخَيْلُ لَمْ تَتَبَدَّدِ
ووجدت رائحة الموت من جهتهم وأنا في مازق والخيل متراصة لم تفرق
وَعَلِمْتُ أَنِّي إِنْ أَقَاتِلَ وَاحِدًا أَقْتُلُ، وَلَا يَضُرُّ عَدُوِّي مَشْهَدِي
وعلمت أنني سأقتل إن بقيت مفرداً، ولن أستطيع إلحاق أذى بالعدو

فَصَدَدْتُ عَنْهُمْ وَالْأَجِبَةُ فِيهِمْ طَمَعًا لَهُمْ بِعِقَابِ يَوْمِ مُرْصِدِ
فتراجعت عنهم وقد بقي لديهم أجبتي ممن قتلوا، وقد قتل في بدر أبو جهل وهو أخو الشاعر،
وطمعت بأن تكون لنا جولة أخرى

١٦ تأخرت ثم تقدمت

الْخَصِيبُ بْنُ الْحَمَامِ الْمُرِّي، الشاعر الجاهلي:

تَأَخَّرْتُ أَسْتَبْقِي الْحَيَاةَ فَلَمْ أَجِدْ لِنَفْسِي حَيَاةً مِثْلَ أَنْ تَقْدَمَا
تأخرت عن المعركة كي أحفظ حياتي، فوجدت الحياة الشريفة في التقدم والقتال

فَلَسْنَا عَلَى الْأَعْقَابِ نَدْمَى كُلُّوْمُنَا وَلَكِنْ، عَلَى أَقْدَامِنَا تَقْطُرُ الدِّمَاءُ
نحن لا ندمى كلومنا، أي تنزف دماً جراحنا، على الأعقاب، على مؤخر القدم، بل تقطر الدماء
على أمشاط أقدامنا من الأمام ونحن نواجه العدو

نُفْلِقُ هَامًا مِنْ رِجَالٍ أَعَزَّةٍ عَلَيْنَا، وَهُمْ كَانُوا أَعَزَّ وَأَظْلَمَا
نفلق رؤوس الأعداء وهم عزيزون على قلوبنا، ولكنهم تميزوا بالعقوق والظلم

فَلَسْتُ بِمُبْتَاعِ الْحَيَاةِ بِسَبَّةٍ وَلَا مُبْتَغٍ مِنْ رَهْبَةِ الْمَوْتِ سُلْمًا
لا أريد الحياة ومعها مذمة الجبن، ولا أبتغي سلماً أصدد فيه هرباً من الموت

١٧ ونقتلكم كأننا لا نبالي

رَجُلٌ مِنْ بَنِي عُقَيْلٍ، وَحَارَبَهُ بَنُو عِمَّةٍ فَقَتَلَ مِنْهُمْ:

يَكْرَهُ سَرَاتِنَا يَا آلَ عَمْرٍو نَغَادِيكُمْ بِمُرْهَقَةٍ صِقَالٍ
يا آل عمرو، نغادىكم، أي نصيحكم بالسيوف المرهقة الحادة والمصقولة، وسراتنا، أي سادتنا،
لذلك كارهون

نُعَدِّيهِمْ يَوْمَ الرُّوْعِ عَنْكُمْ وَإِنْ كَانَتْ مُثْلَمَةُ النُّصَالِ
نعدديهم يوم المعركة عنكم، وإن كانت نصالها قد تثلمت من قتالكم، فنحن لا نريد استئصالكم

لَهَا لَوْنٌ مِنَ الْهَامَاتِ كَابٍ وَإِنْ كَانَتْ تُحَادِثُ بِالصُّفَالِ
 لسيوفنا لون كاب، داكن، من ضرب الهامات، أي الرؤوس، رغم أننا نجدد لها الصقل
 وَنَبْكِي حِينَ نَقْتُلُكُمْ عَلَيْكُمْ وَنَقْتُلُكُمْ كَأَنَّا لَا نُبَالِي

١٨ القاتل النادم

القَتَالُ الْكِلَابِيُّ، وهو شاعر إسلامي:

نَشَدْتُ زِيَادًا وَالْمَقَامَةَ بَيْنَنَا وَذَكَّرْتُهُ أَرْحَامَ سَعْرِ وَهَيْثِمٍ
 ناشدت زياداً والمقامة، أي المجلس، بيننا والناس شهود على كلامي، وذكرته بالقرابات في
 معشري سحر وهيثم

فَلَمَّا رَأَيْتُ أَنَّهُ غَيْرُ مُنْتَهٍ أَمَلْتُ لَهُ كَفِّي بِلَذْنٍ مُقَوِّمٍ
 لما رأيته مستمراً على غيه لا ينتهي عنه مالت كفي عليه برمح مرن لكنه مستقيم مقوم مثقف
 وَلَمَّا رَأَيْتُ أَنَّنِي قَدْ قَتَلْتُهُ نَدِمْتُ عَلَيْهِ أَيَّ سَاعَةٍ مَنَدَمٍ

١٩ القاطع بنانه

قيس بن زهير العبسي الشاعر الجاهلي:

شَفَيْتُ النَّفْسَ مِنْ حَمَلِ بْنِ بَدْرِ وَسِيفِي مِنْ حُدَيْفَةَ قَدْ شَفَانِي
 شفيت نفسي بقتل هذين الرجلين. فحمل كان قتل أخا الشاعر، فقتله الشاعر وقتل أخاه حذيفة أيضاً
 فَإِنْ أَكْ قَدْ بَرَدْتُ بِهِمْ غَلِيلِي فَلَمْ أَقْطَعْ بِهِمْ إِلَّا بَنَانِي
 فإن كان برد غليلي، حقدِي، فإنني بقتلي الأقرين كأنما قطعت أصابعي

٢٠ سيصيني سهمي

الحارث بن وَعْلَةَ الدُّهْلِي وهو جاهلي:

قَوْمِي هُمْ قَتَلُوا أَمِينِمْ أَخِي فَإِذَا رَمَيْتُ يُصِيبُنِي سَهْمِي
 فليكن عَفْوٌ لَأَغْفُونَ جَلَالاً وَلِيْنِ سَطَوْتُ لَأَوْهِنَنَّ عَظْمِي
 لو عفوت فساكون عفوت عن أمر جلال خطير؛ ولو سطوت، هجمت، وانتقمتم فسوف أضعف
 عظمي لأنني إنما أنتقم من أقاربي

لَا تَأْمَنَنَّ قَوْمًا ظَلَمْتَهُمْ وَبَدَأْتَهُمْ بِالشُّتْمِ وَالرَّغْمِ
 الرغم: الإذلال

٢١ بين الأخ والابن

أعرابي قتل أخوه ابناً له:

أَقُولُ لِلنَّفْسِ تَأْسَاءً وَتَعَزِيَةً إِحْدَى يَدَيَّ أَصَابَتْنِي وَلَمْ تُرِدْ
أَوَاسِي نَفْسِي وَأَعْزِيهَا قَاتِلًا إِنْ إِحْدَى يَدَيَّ أَصَابَتْ الْآخَرَى عَنْ غَيْرِ تَعَمُّدٍ، فَلَا حَاجَةَ لِلتَّأْرِ
كِلَاهُمَا خَلَفَ مَنْ فَقَدَ صَاحِبِهِ هَذَا أَخِي حِينَ أَدْعُوهُ وَذَا وَلَدِي
كل منهما يسد مسد الآخر: هذا أخي وذاك ولدي

٢٢ سكاب علق

قال رجل من بني تميم، وسماه محققاً شرح المرزوقي عبدة بن ربيعة،
وطلب منه ملك من الملوك فرساً يقال لها سكاب فمنعه إياها:

أَبَيْتَ اللَّغْنَ إِنْ «سَكَابٍ» عِلْقُ نَفِيسٌ، لَا تُعَارُ وَلَا تُبَاعُ
أيها الملك فرسي سكاب علق، أي شيء نفيس، لا تعار ولا تباع
مُقَدَّاةٌ مُكْرَمَةٌ عَلَيْنَا بُجَاعُ لَهَا الْعِيَالُ وَلَا تُجَاعُ
نفديها بأنفسنا، ونكرمها ونجيع عيالنا لنطعمها

سَلِيلَةُ سَابِقَيْنِ تَنَاجَلَاهَا إِذَا نُسِبَا يَضُمُّهُمَا الْكُرَاعُ
هي سلية فرس وحصان من السوابق السريعة، تناجلاها، فهي من أنجالهما، والأب والأم يتسبان
إلى الكراع، وهو حصان قديم مشهور

فَلَا تَطْمَعُ أَبَيْتَ اللَّغْنَ فِيهَا وَمَنْعُكَهَا بِشْيٍ يُسْتَطَاعُ
ومن الممكن تعويضك بشيء عنها

٢٣ اللبن أم الدم

فَلَوْ أَنَّ حَيًّا يَقْبَلُ الْمَالَ فِدْيَةً لَسُقْنَا لَهُمْ سَيْلًا مِنَ الْمَالِ مُفْعَمًا
لو أن أولئك الحي، أي القوم، يقبل المال دية لقتلاه لسقنا مالا مفعماً كثيراً،
والمال تعني عندهم الإبل

وَلَكِنْ أَبَى قَوْمٌ أَصِيبَ أَخُوهُمْ رِضَا الْعَارِ فَاخْتَارُوا عَلَى اللَّبَنِ الدَّمَ
ولكن أولئك القوم رفضوا الدية ولم يرضوا بالعار، واختاروا الدماء بدل لبن الإبل

٢٤ شعرك حول بيتك

عَتْرَةُ بن الأخرس من طيء، وتروى للفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب:
أَظِلُّ حَمْلَ الشَّائَةِ لِي وَبُغْضِي وَعِشْ مَا شِئْتَ فَانْظُرْ مَنْ تَضِيرُ
ابن على كرهك لي حاملاً الشَّائَةِ، البغض، وعش ما شئت من العمر وانظر هل تستطيع أن تلحق
بي الأذى

فَمَا بِيَدَيْكَ خَيْرٌ أَرْتَجِيهِ وَغَيْرُ صُدُودِكَ الْحَظْبُ الْكَبِيرُ
فليس في يدك خير أرجو نواله، وصدودك عني ليس بالمشكلة الكبيرة

أَلَمْ تَرَ أَنَّ شِعْرِي سَارَ عَنِّي وَشِعْرُكَ حَوْلَ بَيْتِكَ لَا يَسِيرُ
شعري مشهور يسير عني ويرحل بعيداً، وشعرك يظل حول بيتك لا ينتشر ولا يرويه الرواة
إِذَا أَبْصَرْتَنِي أَعْرَضْتَ عَنِّي كَأَنَّ الشَّمْسَ مِنْ قِبَلِي تَدُورُ
عندما تراني تعرض عني مثلما يعرض المرء ويحول وجهه عن الشمس لشدة وهجها

٢٥ لا نحبكم

الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب وقد عاصر الجريدين:

مَهْلًا بَنِي عَمَّنَا مَهْلًا مَوَالِينَا لَا تَنْبِشُوا بَيْنَنَا مَا كَانَ مَدْفُونًا
موالينا: حلفاؤنا

مَهْلًا بَنِي عَمَّنَا عَنْ نَحْبِ أَثْلَتِنَا سِيرُوا رُؤُودًا كَمَا كُنْتُمْ تَسِيرُونَا
لا تنحتوا أثلتنا، والأثلة من الشجر ونحت الأثلة كناية عن الغيبة وتآريث الصدور، وسيروا سيرة
حسنة كما كنتم تسيرون

لَا تَطْمَعُوا أَنْ تُهَيِّنُونَا وَتُكْرِمَكُمُ وَأَنْ نَكُفَّ الْأَذَى عَنْكُمْ وَتُؤْذُونَا
اللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّا لَا نُحِبُّكُمْ وَلَا نَلُومُكُمْ أَنْ لَا نُحِبُّونَا
كُلُّ لَهُ نِيَّةٌ فِي بُغْضِ صَاحِبِهِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ نَقْلِيكُمْ وَتَقْلُونَا
نقليكم: نكرمكم

٢٦ ملأت عليه الأرض

الطَّرِمَاحُ بنُ حَكِيمِ الطَّائِي، وهو شاعر أموي:

لَقَدْ زَادَنِي حُبًّا لِنَفْسِي أَنَّنِي بَغِيضٌ إِلَى كُلِّ أَمْرٍ غَيْرِ طَائِلٍ
أحببت نفسي أكثر لأنني بغِيضٌ، مكروه مُبْغَضٌ، من جانب كل شخص غير طائل، غير ذي فضل

وَأَنْتِي شَقِيٌّ بِاللَّثَامِ وَلَا تَرَى شَقِيًّا بِهِمْ إِلَّا كَرِيمُ الشَّمَائِلِ
وأحببتها لأنني أجد شقاءاً وتعباً من اللثام، ولن تجد شخصاً يتعبه لثام الناس إلا وجدته كريم
الشمائل، أي الخصال

إِذَا مَا رَأْنِي قَطَّعَ الطَّرْفَ بَيْنَهُ وَبَيْنِي، فَعَلَ الْعَارِفُ الْمُتَجَاهِلِ
هذا الشخص إذا رأيته قطع طرفه، أي صرف نظره عني مرة بعد مرة، كما يفعل من يعرف شخصاً
لكنه يريد تجاهله

مَلَأْتُ عَلَيْهِ الْأَرْضَ حَتَّى كَانَتْهَا مِنْ الضِّيقِ فِي عَيْنِهِ كَفَّةٌ حَابِلِ
لقد غمرته بشخصيتي وسمعتي فكانهما ملاء الأرض عليه، فصارت الأرض ضيقة في عينه كأنشطة
الصائد التي تضيق وتضيق عندما تمسك بالطريدة

أَكُلُّ امْرِئٍ أَلْفَى أَبَاهُ مَقْصِراً مُعَادٍ لِأَهْلِ الْمَكْرُمَاتِ الْأَوَائِلِ
هل كل شخص وجد نسيباً ضيقاً يعادي أهل المكارم الأولى، العريقة القديمة؟

إِذَا ذُكِرَتْ مَسْعَاءُ وَالِدِهِ اضْطَنَى وَلَا يَضْطَنِي مَنْ شَتَمَ أَهْلَ الْفَضَائِلِ
إذا جاء ذكر مسعاة، فضل، والده ورأى أن والده لا يملك شرفاً اضطنى، تألم وشعر بالضيق،
ولكنه لا يتألم من شتم أهل الفضل

وَمَا مُنِعَتْ دَارٌ وَلَا عَزَّ أَهْلُهَا مِنْ النَّاسِ إِلَّا بِالْقَنَاءِ وَالْقَنَائِلِ
ما حُجِمَتْ دار قوم ولا أصبح أهلها أعز كراماً إلا بالقنأ، أي الرماح، والقنابل، جماعات الخيل

٢٧ دبلوماسية جاهلية

قال بعض بني قُحَيس:

وَدَوِي ضَبَابٍ مُظْهِرِينَ عَدَاوَةً قَرَحَى الْقُلُوبِ مُعَاوِدِي الْأَفْنَادِ
دوي ضباب، يحملون في صدورهم حيوان الضب.. أي أنهم حاقدون، ويظهرون العداوة،
وقلوبهم قرحى، مجروحة حقداً، ويكررون الأفناد، الإساءات

نَاسِيَتُهُمْ بَغْضَاءَهُمْ وَتَرَكْتُهُمْ وَهُمْ إِذَا ذُكِرَ الصَّدِيقُ أَعَادِ
نظاھرت بنسيان عداوتهم، وتركتمهم مع أنهم - إذا عددت الصديق، أي الأصدقاء - يكون تصنيفهم
مع الأعداء

كَيْمَا أَعِدُّهُمْ لِأَبْعَدَ مِنْهُمْ وَلَقَدْ يُجَاءُ إِلَى دَوِي الْأَحْقَادِ
وقد تركتمهم ليكونوا عوناً لي على ما هو مقبل عليّ، فقد يأتيني عدو أشرس منهم، وعندئذ يجاء،
يؤتى إلى الحاقدين لطلب النصرة على من هم أشد حقداً وشراسة

٢٨ أمان من القصاص

عَوَيْفُ الْقَوَافِي، وهو أموي:

اللُّؤْمُ أَكْرَمُ مِنْ وَبَرٍ وَوَالِدِهِ واللُّؤْمُ أَكْرَمُ مِنْ وَبَرٍ وَمَا وَلَدَا
اللؤم نفسه أكرم من قبيلة وبر، ومن والدعا، أي جدعا، واللؤم أكرم من أولادهم

وَاللُّؤْمُ دَاءٌ لِيَوْبَرٍ يُقْتَلُونَ بِهِ لَا يُقْتَلُونَ بِدَاءٍ غَيْرِهِ أَبَدًا
اللؤم داء لهؤلاء القوم فهم يموتون لؤماً، ولا يموتون ميتة الكرام بالحرب مثلاً

قَوْمٌ إِذَا مَا جَنَى جَانِيَهُمْ أَمِنُوا مِنْ لُؤْمِ أَحْسَابِهِمْ أَنْ يُقْتَلُوا قَوْدًا
فهم لئام أخسة، وإذا جنى الجاني منهم جناية لم يطلب أهل القتل القود، أي القصاص، لأن قدر
قبيلة وبر منقط جداً فلا يعد الرجل منهم مكافئاً لأي رجل من أي قبيلة أخرى

٢٩ الصبر بالحر أجمل

إبراهيم بن كُتَيْبِ النُّبْهَانِي:

تَعَزَّ فَإِنَّ الصَّبْرَ بِالْحُرِّ أَجْمَلُ وليس على ريب الزمان مَعَوَّلُ
انس الحزن وتسل عنه، فالصبر أليق بالإنسان الحر، ولا يعول المرء على النجاة من ريب الزمان،
أي من مصائبه

فلو كان يُغْنِي أَنْ يَرَى المرءَ جَازِعًا لِحَادِثَةٍ أَوْ كَانَ يُغْنِي التَّذَلُّ . .
لو كان الجزع والاضطراب لحادثة، لمصيبة، أو لو كان يغني التذلل . .

لَكَانَ التَّعَزُّيُّ عِنْدَ كُلِّ مُصِيبَةٍ وَنَائِبَةٍ بِالْحُرِّ أَوْلَى وَأَجْمَلُ
لكان الصبر للمصيبة - رغم ذلك - أولى بالحر. يقول: حتى بافتراض أن الجزع مفيد فمع ذلك
الصبر أجمل

فَكَيْفَ وَكُلٌّ لَيْسَ يَعْدُو حِمَامَهُ وَمَا لِأَمْرِي عَمَّا قَضَى اللَّهُ مَزْحَلُ
فكيف والأمر غير ذلك . . فالمرء لا يتجنب حمامه، موته، وليس لأحد مزحل، أي مهرب، عن قضاء الله

٣٠ ذهب الرقاد

عَوَيْفُ الْقَوَافِي الْفَزَارِي فِي عُيَيْنَةٍ عِنْدَمَا حَبَسَهُ الْحِجَاجُ
(رغم أن عيينة كان طلق أخت عوفيف):

ذَهَبَ الرُّقَادُ فَمَا يُحَسُّ رُقَادُ مِمَّا شَجَاكَ، وَنَامَتِ الْعُودُ
ذهب النوم عنك بسبب ما ألمك، وأما الآخرون من العواد، الزوار، فقد ناموا، فانت وحدك
صاحب المصيبة الكبرى

لَمَّا أَتَانِي عَنْ عُيَيْنَةٍ أَنَّهُ أَمْسَى عَلَيْهِ تَظَاهَرُ الْأَقْيَادُ
 ذَهَبَ نومي لما أتاني أن عينة تظاهرت عليه الأقياد، تكاثرت على جسمه القيود في السجن
 نَخَلْتُ لَهُ نَفْسِي النَّصِيحَةَ إِنَّهُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ تَذْهَبُ الْأَحْقَادُ
 عندئذ نخلت له نفسي النصيحة، أعطيته نصيحة صافية كأنها منخله تنخيلاً، رغم ما بيننا من
 خصام، فعند الشدائد تذهب الأحقاد

وَذَكَرْتُ: أَيُّ فَتَى يَسُدُّ مَكَانَهُ بِالرُّقْدِ، حِينَ تَقَاصَرُ الْأَرْقَادُ
 ذكرت أنه لا يوازيه في الرقد، أي العطاء، أحد، ولا يسد مسده أحد حين تقل الأعطيات
 أَمْ مَنْ يُهَيِّنُ لَنَا كَرَائِمَ مَالِهِ وَلَنَا إِذَا عُذْنَا إِلَيْهِ مَعَادُ
 ومن ذا سواه يهين لنا كرائم ماله، أي يبذل لنا الإبل الكريمة، وإن عدنا نطلب عاد للعطاء؟
 وَرَأَيْتُ فِي وَجْهِ الْعَدُوِّ شَكَاسَةً وَتَنَكَّرْتُ لِي أَوْجُهُ وَبِلَادُ
 بفقدان النصير رأيت في وجه العدو شكاسة، شراسة، وأحسست أن البلاد والعباد
 تنكروا لي. البيت يقفز بالمعنى عما قبله قفزاً، لهذا أغفلته روايتا التبريزي
 والرمزوقي؟ غير أننا أحببنا معناه فأخذناه عن رواية الجواليقي عن أبي ريش في
 الكتاب المطبوع بتحقيق عبد المنعم صالح وإصدار وزارة الثقافة العراقية (عمران
 القفيني يرى البيت حسن الاتصال بما قبله، فبعد حبس الصديق رأى الشاعر أن
 الأعداء اجترأوا عليه)

٣١ أنا السيف

بشر بن المغيرة بن المهلب بن أبي صفرة، وقد جفاه أقرابه:
 جَفَّانِي الْأَمِيرُ وَالْمُغِيرَةُ قَدْ جَفَّأَ وَأَمْسَى يَزِيدٌ لِي قَدْ ازْوَرَّ جَانِبُهُ
 تنكر لي الأمير، والمغيرة تنكر أيضاً، ويزيد قد ازورَّ، انحرف، عني
 وَكُلُّهُمْ قَدْ نَالَ شُبْعاً لِبَطْنِهِ وَشُبْعُ الْفَتَى لَوْمٌ إِذَا جَاعَ صَاحِبُهُ
 لقد شبعوا فلم يأبهوا لي، وهذا لوم
 فَيَا عَمَّ مَهْلًا وَاتَّخَذْنِي لِنَوْبَةٍ تَنُوبُ فَلِإِنْ الدَّهْرَ جَمَّ نَوَائِبُهُ
 مهلاً يا عمي، واجعلني من رجالك كي أنفعك في نوبة تنوب، مصيبة تطرأ، والدهر كثير المصائب
 أَنَا السِّيفُ إِلَّا أَنْ لِّلْسِيفِ نَبْوَةٌ وَمِثْلِي لَا تَنْبُو عَلَيْكَ مَضَارِبُهُ
 أنا سيف، والسيف ينبو وينحرف عن الضريبة، ومثلي لا تنحرف مضاربه، أي أهدافه، وأنا معك

٣٢ تراكم المصائب

تنسب لمؤرّج بن قَيْد السَّدُوسِي:

رُوِّعْتُ بِالْبَيْنِ حَتَّى مَا أَرَاكَ لَه وَبِالْمَصَائِبِ فِي أَهْلِي وَجِيرَانِي
فَجَعَنِي الزَّمَنُ بِالْبَيْنِ، بِالْفِرَاقِ، حَتَّى لَإِنِّي تَعُدْتُ وَلَمْ أَعِدْ أَجْزَعُ،
وَفَجَعَنِي بِالْمَصَائِبِ فِي الْأَهْلِ وَالْجِيرَانِ

لَمْ يَتْرِكِ الدَّهْرُ لِي عِلْقًا أَضِنُّ بِهِ إِلَّا اضْطَفَاهُ بِنَأْيٍ أَوْ بِهَجْرَانِ
لَمْ يَتْرِكْ لِي الدَّهْرُ عِلْقًا، شَيْئًا ثَمِينًا، أَضِنُّ بِهِ، وَأَحَافِظُ عَلَيْهِ، إِلَّا اخْتَارَهُ بَأْنُ يَتَأَى وَيَبْعَدُ أَوْ بَأْنُ يَهْجُرُنِي

٣٣ تمتع بالحياة أينما كنت

وقال آخر، وذكر أنها لإبراهيم بن العباس الصولي:

لَا يَمْنَعُكَ خَفَضُ الْعَيْشِ فِي دَعَا نَزَوْعُ نَفْسٍ إِلَى أَهْلٍ وَأَوْطَانِ
لَا يَمْنَعُكَ نَزْوَعُ النَّفْسِ، اسْتِيقَاقُهَا، إِلَى الْأَهْلِ وَالْوَطَنِ مِنْ أَنْ تَمْتَعَ بِخَفَضِ الْعَيْشِ، الْحَيَاةَ الْهَائِثَةَ الْوَادِعَةَ
تَلْقَى بِكُلِّ بِلَادٍ إِنْ حَلَلْتَ بِهَا أَهْلًا بِأَهْلٍ وَجِيرَانًا بِجِيرَانِ
فَفِي كُلِّ بَلَدٍ تَحِلُّ بِهَا أَهْلٌ وَجِيرَانٌ بَدَلًا مِنْ أَهْلِكَ وَجِيرَانِكَ الْأَوَّلِينَ

٣٤ ذل اليتيمة

إسحق بن خلف:

لَوْلَا أُمِيمَةٌ لَمْ أَجْزَعْ مِنَ الْعَدَمِ وَلَمْ أَجُبْ فِي اللَّيَالِي حِنْدَسَ الظُّلَمِ
لَوْلَا ابْتِي أُمِيمَةً لَمْ أَخَفْ مِنَ الْعَدَمِ، الْفَقْرِ، وَلَمْ أَتَجَشَّمْ أَهْوَالَ السَّفَرِ وَجُوبَ الْفِيَا فِي حِنْدَسِ
الظُّلَمِ، فِي الْعَتَمَةِ وَالظَّلَامِ

وَزَادَنِي رَغْبَةً فِي الْعَيْشِ مَعْرِفَتِي ذُلَّ الْيَتِيمَةِ يَجْفُوها ذَوُو الرِّجَمِ
تَزَادَتْ رَغْبَتِي فِي الْعَيْشِ كُلَّمَا تَذَكَّرْتُ أَنَّ الْيَتِيمَةَ تَتَعَرَّضُ لِقِسْوَةِ الْمَعَامَلَةِ مِنَ الْأَقَارِبِ

إِذَا تَذَكَّرْتُ بِنْتِي حِينَ تَنْدُبُنِي قَاضَتْ لِعَبْرَةٍ بِنْتِي عَبْرَتِي بِدَمٍ
أَتَذَكَّرُ كَيْفَ سَتَوَحَّ عَلَيَّ ابْنَتِي إِذَا مِتْ، فَتَفِيضُ عَبْرَتِي، دَمْعَتِي، مَخْلُوطَةً بِالدَّمِ. . . أَكْرَهَ الْمَوْتَ لِأَنَّ
مَوْتِي سَيَحْزَنُهَا

أَحَازِرُ الْفَقْرَ يَوْمًا أَنْ يُلِمَّ بِهَا فَبَيْهَتِكَ السَّتْرَ عَنْ لَحْمٍ عَلَى وَضَمٍ
أَحَازِرُ مِنَ الْفَقْرِ لِأَنَّهُ سَيَهْتِكُ سِتْرَ هَذِهِ الْبَنَتِ الصَّغِيرَةِ الَّتِي لَا تَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ فَكَأَنَّهَا قِطْعَةُ لَحْمٍ عَلَى
الْوَضَمِ، خَشْبَةِ الْجَزَارِ

تَهْوَى حَيَاتِي وَأَهْوَى مَوْتَهَا شَفَقًا وَالْمَوْتُ أَكْرَمُ نَزَالٍ عَلَى الْحُرَمِ

أورد لو تموت ابنتي خوفاً عليها من الذل، والموت أكرم شيء يحل بالحرَم، النساء. معنى قديم
تداوله وائدو بناتهم، وظلوا يتداولونه في العصر العباسي، وظل كثير من العرب - حتى يومنا -
يشعرون بهذا الشعور نفسه

أَخْشَى فِظَاظَةً عَمَّ أَوْ جَفَاءً أَخ وَكُنْتُ أَخْشَى عَلَيْهَا مِنْ أَدَى الْكَلِمِ

كنت أخشى على بنتي الكلمة الجارحة، ولو مت فأنا أخشى عليها فظاظة العم وتنكر الأخ

٣٥ أولادنا أكبادنا

حَطَّانُ بْنُ الْمُعَلَّى:

أَنْزَلَنِي الدَّهْرُ عَلَى حُكْمِهِ مِنْ شَايِخٍ عَالٍ إِلَى خَفْضٍ

جعلني الزمن أخضع لحكمه، فبعد الشموخ تطامنت نفسي وذلت للأمر الواقع

وَعَالَنِي الدَّهْرُ بِوَقْرِ الْغِنَى فَلَيْسَ لِي مَالٌ سِوَى عِرْضِي

وغالني الدهر، غدر بي، في مالي، فلم يعد لي مال سوى عرضي

أَبْكَانِي الدَّهْرُ، وَيَا رُبَّمَا أَضْحَكَنِي الدَّهْرُ بِمَا يُرْضِي

أبكاني الدهر، وكثيراً من أضحكني وأرضاني في الماضي

لَوْلَا بُنْيَاتٌ كَزُرْعِ الْقَطَا رُودُنَ مِنْ بَعْضٍ إِلَى بَعْضٍ..

لولا بناتي اللاتي كأنهن طيور القطا الزغب، ذوات الريش الصغير، واللاتي يلتصقن ببعضهن ببعض
كتلك الفراخ استدفاء واجتلاباً للأمان..

لَكَانَ لِي مُضْطَرَبٌ وَاسِعٌ فِي الْأَرْضِ ذَاتِ الطُّوْلِ وَالْعَرْضِ

لكان لي مضطرب، سعي، واسع في جنبات الأرض

وَأَتَمَّا أَوْلَادُنَا بَيْنَنَا أَكْبَادُنَا تَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ

لَوْ هَبَّتِ الرِّيحُ عَلَى بَعْضِهِمْ لَامْتَنَعَتْ عَيْنِي مِنَ الْغَمْضِ

٣٦ حديد ونشيد

لَقَدْ عَلِمَ الْقَبَائِلُ أَنَّ قَوْمِي ذُووُ جِدٍّ إِذَا لَيْسَ الْحَدِيدُ

قومي جادون إذا لبسوا الدروع وحملوا السلاح

وَأَنَا نِعَمَ أَحْلَاسُ الْقَوَافِي إِذَا اسْتَعَرَ التَّنَافُرُ وَالنَّشِيدُ
ونحن أحلاس القوافي، الملازمون للقصائد كملزمة السرج أو الحلس لظهر الفرس، إذا كان
المقام مقام إنشاد وتفاخر

٣٧ الود المستريح

قال رجل من بني أسد:

وما أنا بِالنُّكْسِ الدِّنِيِّ وَلَا الذِّي إِذَا صَدَّ عَنِّي ذُو الْمَوَدَّةِ أَخْرَبُ
لست بالجبان الدنيء، الحريص على الصغائر، ولا أحرب، أي أغضب، إذا صد عني وقاطعني
صاحب

ولكنني إن دَامَ دُمْتُ وَإِنْ يَكُنْ لَهُ مَذْهَبٌ عَنِّي فَلِي عَنْهُ مَذْهَبٌ
إن دام الصاحب بمودته دمت له، وإن ذهب فلي عنه ذهاب ولا أتوسل طلباً لمودته

أَلَا إِنْ خَبَرَ الْوُدَّ وَدَّ تَطَوَّعَتْ بِهِ النَّفْسُ لَا وَدَّ أَتَى وَهُوَ مُتَعَبٌ
أحسن الود ما جاء طوعية، وليس ما اختلط بكثير من النكد

٣٨ الإكرام والافتاء

بُكَيْرُ بْنُ الْأَخْنَسِ الطَّائِي يَمْدَحُ آلَ الْمُهَلَّبِ:

نَزَلْتُ عَلَى آلِ الْمُهَلَّبِ شَاتِيَاً غَرِيباً عَنِ الْأَوْطَانِ فِي زَمَنِ مَحَلٍ
حللت ضيفاً على آل المهلب في الشتاء، والشتاء هو زمن القحط والشدّة عند أهل الصحراء
فَمَا زَالَ بِي إِكْرَامُهُمْ وَاقْتِفَاؤُهُمْ وَإِلْطَافُهُمْ حَتَّى حَسِبْتُهُمْ أَهْلِي
أكرموني وأحسست باقتفائهم، تفقدهم لشائي، حتى حسبتهم أهلي

٣٩ مذاهب الصعلوك

أَبُو النَّشْنَشِ، وَهُوَ مِنَ اللَّصُوصِ فِي دَوْلَةِ بَنِي أُمَيَّةَ:

وَنَائِيَةِ الْأَرْجَاءِ طَامِسَةِ الصَّوَى حَدَّثَ بِأَبِي النَّشْنَشِ فِيهَا رَكَائِبُهُ
رب صحراء نائية الأرجاء، التواحي، وطامسة الصوى، أي مطموسة المعالم... فالصوة هي
العلامة على الطريق، وفي هذه الصحراء خدت الركائب، سارت الإبل سيراً يسمى الوخيد، وعليها
أبو النشماش

لِيُكْسِبَ مَجْداً أَوْ لِيُدْرِكَ مَغْنَمًا جَزِيلاً وَهَذَا الدَّهْرُ جَمٌّ عَجَائِبُهُ
أراد أن يُكسبَ قومه مجداً بمقارعة أعدائهم، أو يدرك مغنماً بسرقة إبل لقوم آخرين، فما أعجب الدهر!

وَسَائِلَةٌ بِالْغَيْبِ عَنِّي وَسَائِلٌ وَمَنْ يَسْأَلِ الصُّغْلُوكَ أَيْنَ مَذَاهِبُهُ؟
وفي غيبي يتساءلون أين ذهب، والصلعوك المشرّد لا يُسأل عن مذهب، أي الأماكن التي يذهب إليها
فلم أرَ مثلاً للفقرِ ضَاجَعَهُ الْفَتَى ولا كَسَوَادِ اللَّيْلِ أَحَقَّقَ طَالِبُهُ
لا شيء أمرٌ من الفقر يصحب الفتى حتى في فراشه،
ولا خيبة كخيبة من يخوض سواد الليل ويخفق

فَعِشْ مُعْذِمًا أَوْ مِتْ كَرِيمًا، فَإِنِنِّي أرى الموتَ لا يَنْجُو مِنَ الْمَوْتِ هَارِبُهُ
عش معدماً، فقيراً، أو مت كريماً، وكلنا سيلحق به الموت

٤٠ وأحياناً على بكر أخينا

الْقُطَامِي، واسمه عُمير التُّغْلِي:

وَمَنْ تَكُنِ الْحَضَارَةُ أَعْجَبَتْهُ فَأَيُّ رَجَالٍ بِأَوْدِيَةِ نَرَانَا!
لئن أعجبت الحضارة، عيشة الحضرة، بعض الناس فبا لنا من رجال بادية!
وَمَنْ رَبَطَ الْجِحَاشَ فَإِنَّ فِيْنَا قَنَاءَ سُلْبًا وَأَفْرَاسًا حِسَانَا
هم يربطون الجحاش، الحمير، أمام بيوتهم، وعندنا القنا السلب، الرماح الطويلة،
والجياذ الجميلة

وَكُنْ إِذَا أَغْرَنْ عَلَى جَنَابٍ وَأَعْوَزَهُنَّ نَهَبٌ حَيْثُ كَانَا..
إذا أغارت خيلنا على قبيلة جناب ولم تجد شيئاً تنهبه..

أَغْرَنْ مِنَ الضُّبَابِ عَلَى حُلُولٍ وَضَبَّةٌ، إنه مَنْ حَانَ حَانَا
أغارت عندئذ على قوم حلول، نازلين، بذلك المكان من «الضباب»، ونغير على قوم «ضبة» -
وضبة جزء من الضباب وهم أربع قبائل - ومن حان أجله فقد حان

وَأَحْيَانًا عَلَى بَكْرِ أَخِينَا إِذَا مَا لَمْ نَجِدْ إِلَّا أَخَانَا
وأحياناً نغير على قبيلة بكر، وهي من إختوتنا، إن لم نجد من نغير عليه سواها

٤١ كُلُّ مَا عُلِفَتْ

قال آخر، ورويت لنهشل بن حري:

لَعَمْرِي لَرَهْطُ الْمَرْءِ خَيْرٌ بَقِيَّةٌ عَلَيْهِ وَإِنْ عَالُوا بِهِ كُلَّ مَرْكَبٍ
والله إن قوم الإنسان أفضل ما يبقى على عيشته وكرامته، حتى لو أركبوه المركب الصعب، أي
حَمَلُوهُ الْمَشَقَاتِ

إِذَا كُنْتَ فِي قَوْمٍ وَلَمْ تَكُ مِنْهُمْ فَكُلْ مَا عُلِفَتْ مِنْ خَبِيثٍ وَطَبِيبٍ
فإن عشت وسط قومٍ آخرين غير قومك، فكل ما علفوك خبيثاً كان أم طيباً.
والعلف طعام الحيوان

٤٢ شُبُّ الحرب

موسى بن جابر، وهو جاهلي نصراني:

وَقُلْتُ لِزَيْدٍ لَا تُتَرَتِّرْ، فَإِنَّهُمْ يَرَوْنَ الْمَنَايَا دُونَ قَتْلِكَ أَوْ قَتْلِي
قلت لزيد لا تترتر، لا تعجل ولا تضطرب، فهم يعلمون أنهم يواجهون الموت قبل أن يصلوا
إليك أو إليّ

فَإِنْ وَضَعُوا حَرْباً فَضَعُوهَا، وَإِنْ أَبَوْا فَعُرْضَةُ عَضِّ الْحَرْبِ مِثْلُكَ أَوْ مِثْلِي
إن وضعوا الحرب، تركوها، فاتركها،
وإن رفضوا ذلك فالجدير بالحرب والتعرض لها نحن

وَإِنْ رَفَعُوا الْحَرْبَ الْعَوَانَ الَّتِي تَرَى فَشُبُّ وَقُودِ الْحَرْبِ بِالْحَطَبِ الْجَزْلِ
فإن جعلوها حرباً متواصلة عواناً، فشُبُّ وقود الحرب بأن تزيد عليها من الحطب الجزل،
أي الصلب

٤٣ حميت حقيقتي

موسى بن جابر:

أَلَمْ تَرِبَا أَنِّي حَمَيْتُ حَقِيقَتِي وَبَاشَرْتُ حَدَّ الْمَوْتِ، وَالْمَوْتُ دُونُهَا
ألم تر يا أنني حفظت حقيقتي، أي شرفي، وواجهت الموت، والموت أهون عليّ منها، أي من
حقيقتي وشرفي

وَجُدْتُ بِنَفْسٍ لَا يُجَادُ بِمِثْلِهَا وَقُلْتُ اظْمَنِّي حِينَ سَاءَتْ ظَنُونُهَا
وسخيت بنفسي الكبيرة التي لا يسخى بمثلها، وهونت الخطر على نفسي وطعانتها حين ساءت
ظنونها، وداخلها الخوف

وَمَا خَيْرُ مَالٍ لَا يَقِي الذَّمَ رَبَّهُ وَنَفْسٍ أَمْرِي فِي حَقِّهَا لَا يُهِينُهَا
لا خير في مال لا يحمي ربه، أي صاحبه، من الذم. ولا خير في نفس امرئ إلا إن كان يحافظ
عليها ولا يهينها في حقها

٤٤ صبرنا

الحصين بن الحُثَماء المُرِّي:

ولمّا رأينا الصبرَ قد حِيلَ دُونَهُ وإن كان يوماً ذا كواكبٍ مُظْلِمًا .
لما رأينا الصبر قد حالت دونه المصاعب، وكان اليوم، و«اليوم» عندهم كلمة تنصرف كثيراً إلى الحرب، ذا كواكب مظلماً، كان يوم قتال مظلماً انعقد فيه الغبار فوق الرؤوس وكانت السيوف والأسنة تلمع في غباره كالكواكب..

صبرنا وكان الصبرُ مِنّا سَجِيَّةً بِأَسْيافِنَا يَفْطَعْنَ كَفًّا وَمِعْصَمًا
مع ذلك فقد صبرنا والصبر سجية، طبع، فناء، وراحت سيوفنا تقطع الأكف والمعاصم
نُفْلِقُ هَامَأَ مِنْ رِجَالٍ أَعَزَّةٍ عَلَيْنَا، وَهُمْ كَانُوا أَعَقَّ وَأَظْلَمًا
نفلق هامأ، رؤوساً، من رجال يعزون علينا، لكنهم كانوا عاقين ظالمين

ولمّا رأيتُ الوُدَّ لِبِسِ بِنَافِعِي عَمَدْتُ إِلَى الْأَمْرِ الَّذِي كَانَ أَحْزَمًا
عندما رأيت الود لا يتفع عمدت إلى ما هو أقرب إلى الحزم والشدة

فَلَسْتُ بِمُبْتَاعِ الْحَيَاةِ بِسَبَّةٍ وَلَا مُرْتَقٍ مِنْ خَشْيَةِ الْمَوْتِ سُلْمًا
لا اشتري الحياة بقبول السبة، الذم، ولا أخاف الموت فأحاول الهرب منه

٤٥ قتل الملوك وقتالها

بَشَامَةُ بْنُ حَزْنٍ:

وَلَقَدْ غَضِبْتُ لِخِنْذِفٍ وَلِقَيْسِهَا لَمَّا وَتَى عَنْ نَصْرِهَا خُذَّالَهَا
غضبت لقبائل خندف ولقيس بالذات، عندما توانى عن نصرها الذين خذلوها

دَافَعْتُ عَنْ أَعْرَاضِنَا فَمَنَعَتْهَا وَلَدِيَّ فِي أُمَثَالِهَا أُمَثَالَهَا
دافعت عن أعراضنا فمنعت عنها الظلم، ولديّ مثل ذلك الدفاع كلما دعت الحاجة

إِنِّي أَمْرُؤٌ أَسِمُ الْقَصَائِدَ لِلْعَبْدَى إِنَّ الْقَصَائِدَ شَرُّهَا أَعْقَالُهَا
أنا اسمي الأعداء في قصائدي بأسمائهم لا أخشى، وشر القصائد أغفالها، ما كان الهجاء فيها عاماً غير محدد بالاسم

قَوْمِي بَنُو الْحَرْبِ الْعَوَانِ يَجْمَعُهُمْ، وَالْمَشْرِفِيَّةُ وَالْقَنَا إِشْعَالُهَا
قومي هم الذين يصبرون للحرب العوان، المتواصلة، وإشعال هذه الحرب يكون بالمشرفية، السيوف، وبالقنا، الرماح.

مَا زَالَ مَعْرُوفًا لِمُرَّةٍ فِي الْوَعَى عَلَ الْقَنَا وَعَلَيْهِمْ إِنْهَالُهَا

بنو مرة معروفون في الحرب بعل القنا وإنهالها: والعل هو الشرب للمرة الأولى،
والنهل الشرب ثانية

مِنْ عَهْدٍ عَادٍ كَانَ مَعْرُوفًا لَنَا أَسْرُ الْمُلُوكِ وَقَتْلُهَا وَقَتَالُهَا

الملك في الجاهلية الزعيم القبلي المعروف، وكانت لفظة الملك في العهد العباسي تطلق على الأمير أو الوالي المتصرف في شؤون منطقته، دون أن تعني الحاكم المستقل عن الخلافة

٤٦ ليموتوا غيظاً

إِنْ يَحْسُدُونِي فَإِنِّي غَيْرُ لَائِمِهِمْ قَبْلِي مِنَ النَّاسِ أَهْلُ الْفَضْلِ قَدْ حُسِدُوا

فَدَامَ لِي وَلَهُمْ مَا بِي وَمَا بِهِمْ وَمَاتَ أَكْثَرُنَا غَيْظًا بِمَا يَجِدُ

ليدم ما بي من الرفعة، وليدم ما بهم من الحسد، وليمت أكثرنا غيظاً، وهم وحدهم من يشعرون
بالغيظ، بما يجد في صدره

٤٧ عدوى الحرب

الشَّرُّ يَبْدَأُهُ فِي الْأَصْلِ أَصْفَرُهُ وَلَيْسَ يَصْلَى بِنَارِ الْحَرْبِ جَانِبُهَا

وَالْحَرْبُ يَلْحَقُ فِيهَا الْكَارِهُونَ كَمَا تَذْنُو الصَّحَاخُ إِلَى الْجَرَبِيِّ فَتُعْذِبُهَا

الكارهون للدخول في الحرب يجبرون أخيراً على دخولها، فكانهم يصابون بعدوى الحرب، كما
تصاب الإبل الصحيحة بالجرب لمجاورتها الإبل الجربى

٤٨ الحب الممذوق

أُبَيُّ بْنُ حُمَامٍ الْعَبْسِيُّ:

وَلَسْتُ بِهَبَّابٍ لِمَنْ لَا يَهَابُنِي وَلَسْتُ أَرَى لِلْمَرْءِ مَا لَا يَرَى لِيَا

لا أهاب من لا يهابني، ولا أرى لأحد من واجب الاحترام ما لا يرى لي عليه

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يُحِبِّكَ إِلَّا تَكْرُهَا عَرَّاضَ الْعُلُوقِ لَمْ يَكُنْ ذَاكَ بَاقِيَا

إذا أحبك المرء تكرهاً، مع بعض كراهية، عراض العلوق، والعلوق الناقة تحب
ولدها فإذا جاء يرضع اعترضته وأبعدته عنها، فإن مثل هذه المحبة لا تدوم. وعند
الألمان كلمة «هاس ليه» ومعناها «الحب - الكره» وهي أن يكون المرء في حبه إياك
حالاتياً، تراه حيناً وكأنه كاره إياك، وحيناً كأنه محب. ولعل شاعرنا قد فسر في بيته
الأول جانباً من السبب العميق لمثل هذا النوع من الشعور، فالذي يمارس عليك
«الحب - الكره» ربما يريدك أن ترى له من الفضل ما لا يرى لك. . يريد ترويضك
على أن تكون تابعاً له لا صديقاً

٤٩ صعلوك وصعلوك

عُرْوَةُ بْنُ الْوَرْدِ، الشَّاعِرُ الْجَاهِلِيُّ الصَّلُوكُ:

أَقْلِي عَالِي اللَّوْمِ يَا ابْنَةَ مُنْذِرٍ وَنَامِي، فَإِنْ لَمْ تَشْتَهِي النَّوْمَ فَاسْهَرِي
قَلْبِي لَوْمِكَ يَا امْرَأَتِي وَنَامِي، أَوْ إِنْ شِئْتَ فَاسْهَرِي وَلَكِنْ، بَلَا لَوْمِ

ذَرِينِي أَطُوفَ فِي الْبِلَادِ لَعَلَّنِي أَخْلِيكَ، أَوْ أَغْنِيكَ عَنْ سُوءِ مَحْضَرٍ
اتركيني أذرع البلاد لعلي أموت فأخلي سبيلك،
أو أحقق الثروة فأحميك من سوء المحضر بين الناس

لَحَا اللَّهُ صُغْلُوكًا إِذَا جَنَّ لَيْلُهُ مُصَافِي الْمَشَاشِ آفَاءً كُلَّ مَجْزَرٍ
لعن الله صعلوكاً، أي بدوياً مشرداً مخلوعاً من قبيلته، إذا جنه، أي ستره، الليل ذهب ينتقي
المشاش، العظم والغضاريف، مرتاداً أمكنة ذبح الماشية

يَعُدُّ الْغَنَى مِنْ نَفْسِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ أَصَابَ قِرَاهَا مِنْ صَدِيقٍ مُبَسَّرٍ
وهو يعتبر نفسه قد حقق الغنى إذا أصاب قرى ليلته، نال طعام ضيف، عند صديق ذي مال

يُعِينُ نِسَاءَ الْحَيِّ مَا يَسْتَعِينُهُ وَيُمْسِي طَلِيحاً كَالْبَعِيرِ الْمُحَسَّرِ
وهذا الصعلوك الذليل يقعد بين نساء الحي يساعدهن في شؤون البيت، ويأتي عليه المساء طليحاً،
أي متعباً، كالبعير المحسر، أي المرهق

وَلَكِنْ صُغْلُوكًا صَفِيحَةً وَجْهِهِ كَصَوْنِ شِهَابِ الْقَابِسِ الْمُتَنَوِّرِ ..
ولكن الصعلوك الذي يكون وجهه مشرقاً كأنه الشهاب، شعلة النار، الذي يأخذه القابس المتنور،
الذي يقبس ناراً لكي ينير بها موضعه ..

مُطَلًّا عَلَى أَعْدَائِهِ يَزْجُرُونَهُ بِسَاحَتِهِمْ زَجَرَ الْمَنِيحِ الْمُشْهَرِ ..
.. هذا الصعلوك الذي يقترب من مضارب الأعداء فيصرخون به ليلتعد، فيبتعد عدواً كأنه سهم
المقاومة الذي يرمى بقوة، والمنيح من أسهم القمار عند القدما ..

إِذَا بَعُدُوا لَا يَأْمَنُونَ اقْتِرَابَهُ تَشَوُّفُ أَهْلِ الْغَائِبِ الْمُتَنَظِّرِ ..
.. إذا ابتعد القوم عن مضاربهم لا يأمنون أن يعود الصعلوك ويقترب كي ينال منهم ويسرق من
إبلهم، فهم مترقبون له ترقب أهل الغائب لعودته ..

فَذَلِكَ إِنْ يَلْقَ الْمَنِيَّةَ يَلْقَاهَا حَمِيداً، وَإِنْ يَسْتَعْنِي يَوْمًا فَأَجْدِرِ
هذا الصعلوك إن لقي حتفه فهو يموت غير مذموم، وإن اغتنى فما أجدره بالغنى

٥٠ المعوج والمستقيم

قيس بن زهير يذكر مقتل خديفة وحمل ابني بدر الفزاريين:

تَعَلَّمُ أَنَّ خَيْرَ النَّاسِ مَيِّتٌ عَلَى «جَفْرِ الْهَبَاءَةِ» لَا يَرِيمُ
تَعَلَّمْ، أَيِ اعْلَمْ، أَنَّ خَيْرَ النَّاسِ مَيِّتٌ فِي مَوْضِعِ جَفْرِ الْهَبَاءَةِ مَاكُثَ هُنَاكَ لَا يَرِيمُ، لَا يَفَارِقُ

وَلَوْلَا ظُلْمُهُ مَا زِلْتُ أَبْكِي عَلَيْهِ الدَّهْرَ مَا طَلَعَ النُّجُومُ
لَوْلَا أَنَّهُ كَانَ ظَالِمًا لَبَكَيْتُ عَلَيْهِ طُولَ الدَّهْرِ وَمَا دَامَتِ النُّجُومُ تَطْلُعُ

وَلَكِنِ الْفَتَى حَمَلَ بَنَ بَذِرٍ بَعَى وَالْبَغْيُ مَرْتَعُهُ وَخَيْمٌ
لَكِنْ حَمَلَ بِنَ بَدْرٍ هَذَا بَغْيٌ وَظَلَمٌ، وَالْبَغْيُ مَرْتَعُهُ وَخَيْمٌ، عَاقِبَتُهُ سَيِّئَةٌ..

أَظُنُّ الْجَلْمَ دَلَّ عَلَيَّ قَوْمِي وَقَدْ يُسْتَجْهَلُ الرَّجُلُ الْحَلِيمُ
أَظُنُّ أَنَّ حَلَمِي دَلَّ عَلَيَّ قَوْمِي، جَعَلَهُمْ يُدُلُّونَ عَلَيَّ وَيَتِمَادُونَ؛ وَالْحَلِيمُ قَدْ يَسْتَجْهَلُ، يَجْعَلُهُ النَّاسُ
جَاهِلًا مَتَهَوِّرًا مُؤْذِيًا بِتِمَادِيهِمْ فِي إِثْنَانِهِ

وَمَارَسْتُ الرِّجَالَ وَمَارَسُونِي فَمُعَوِّجٌ عَلَيَّ وَمُسْتَقِيمٌ
عَرَفْتُ الرِّجَالَ وَعَجَّتْهُمْ، وَعَرَفْتُ الْمُسْتَقِيمَ وَالْمُعَوِّجَ مِنْهُمْ

٥١ وصف الحرب

عبد الشَّارِقُ بْنُ عَبْدِ الْعُزَّى الْجُهَنِيُّ الْجَاهِلِيُّ، وَهِيَ مِنَ الْمُنْتَصَفَاتِ،
لَأَنَّهَا أَنْصَفَتْ الْعَدُوَّ وَمَدَحَتْ شِجَاعَتَهُ:

وَأَرْسَلْنَا أَبَا عَمْرٍو رَثِيئًا فَقَالَ أَلَا انْعَمُوا بِالْقَوْمِ عَيْنَا
أَرْسَلْنَا أَبَا عَمْرٍو رَثِيئًا، مُسْتَظْلَعًا خَبَرَ الْعَدُوَّ، فَقَالَ: لَتَقْرَ عَيْنُكُمْ، فَلَا خَطَرَ لَكُمْ

وَدَسُّوا فَارِسًا مِنْهُمْ عِشَاءً فَلَمْ نَغْدِرْ بِفَارِسِهِمْ لَدِينَا
وَبَعَثُوا بِفَارِسٍ إِلَى مَعْسَكِرِنَا فَلَمْ نَغْدِرْ بِهِ

فَنَادَوْا يَا لِبُهْتَةِ إِذْ رَأَوْنَا فَقُلْنَا أَحْسِنِي ضَرْبًا جُهَيْنَا
نَادَوْا بِبَدَأِ الْحَرْبِ بِاسْمِ قَبِيلَتِهِمْ بُهْتَةً، فَنَادَيْنَا بِاسْمِ قَبِيلَتِنَا جُهَيْنَةً

سَمِعْنَا دَعْوَةً عَنْ ظَهْرِ غَيْبٍ فَجُلْنَا جَوْلَةً ثُمَّ ارْعَوَيْنَا
سَمِعْنَا نَدَاءً مِنْ مَكَانٍ لَا نَرَاهُ، فَجُلْنَا بِالْخَيْلِ جَوْلَةً ثُمَّ ارْعَوَيْنَا،
رَاجِعِينَ أَنْفُسَنَا، تَوَقَّفْنَا عَنِ الْقِتَالِ

فَلَمَّا أَنْ تَوَاقَفْنَا قَلِيلًا أَنْخَا لِلْكَلاَئِلِ فَارْتَمَيْنَا

وتواقفنا، وقف قومنا إزاء قومهم، ثم أنخنا الإبل للكلاكل، لصدورها، وأخذنا نترامى بالسهام عن بعد

فَلَمَّا لَمْ نَدَعْ قَوْسًا وَسَهْمًا مَشِينَا نَحْوَهُمْ وَمَشَوْا إِلَيْنَا

فلما فرغت الكنان من السهام مشينا نحوهم ومشوا إلينا

تَلَالَوْ مُرْنَةً بَرَقَتْ لِأُخْرَى إِذَا حَاجَلُوا بِأَسْيَافٍ رَدَيْنَا

كاننا غيمة تبرق لغيمة أخرى أمامها لما بأيدينا من سيوف تلمع: فهم يحجلون بسيوفهم، يسعون هرولة، ونحن نردي، نسعى جرياً

شَدَدْنَا شِدَّةً فَقَتَلْتُ مِنْهُمْ ثَلَاثَةً فَنُتِيبَةٌ وَقَتَلْتُ قَيْنًا

هجمنا، فقتلت منهم ثلاثة وقتلت قيناً، أي عبداً

وَشَدُّوا شِدَّةً أُخْرَى فَجَرُّوا بِأَرْجُلٍ مِثْلِهِمْ وَرَمَوْا جُوبِنَا

وهجموا فجروا أرجل ثلاثة منا، ورموا «جوين»

وَكَانَ أَخِي جُوبِينَ ذَا حِفَاطٍ وَكَانَ الْقَتْلُ لِلْفَتَيَانِ زِينَا

كان أخي جوين ذا محافظة على الشرف، والقتل لا يعيب الفتى بل يزيه

فَأَبَّوْا بِالرَّمَاكِ مُكْسَّرَاتٍ وَأُبْنَا بِالسُّيُوفِ قَدْ انْحَنَيْنَا

فرجموا برماحهم وقد انكسرت فينا، ورجعنا بسيوفنا وقد انحنت لكثرة الضرب فيهم

٥٢ الإخفاق المقبول

عُرْوَةُ بْنُ الْوَرْدِ الْعَبْسِيُّ:

وَمَنْ بَكَ مِثْلِي ذَا عِيَالٍ وَمُقْتَرًا مِنْ الْمَالِ يَطْرُخُ نَفْسَهُ كُلَّ مَطَرِحٍ

من كان مثلي ذا عيال ومقتراً، أي فقيراً، فهو يعرض نفسه لكل المخاطر

لِيَبْلُغَ عُذْرًا أَوْ يَنَالَ رَغِيْبَةً وَمُبْلَغُ نَفْسٍ عُذْرُهَا مِثْلُ مُنْجِحٍ

حتى يكون له العذر أمام عائلته إن أخفق، أو ينال رغبة، نجاحاً، ومن سعى فأخفق فنال عذراً وتجنب اللوم كان كمن نجح

٥٣ شاعر القبيلة

هُدْبَةُ بْنُ خَشْرَمٍ الشَّاعِرُ الْإِسْلَامِيُّ:

وَإِنِّي مِنْ قُضَاعَةٍ مَنْ يَكِذُّهَا أَكِذُّهُ، وَهِيَ مِنِّي فِي أَمَانٍ

ساوذي من يؤذي قبيلتي قضاعة، وهي في أمان مني فأنا لا أؤذيها

ولست بِشَاعِرِ السَّفْسَافِ فِيهِمْ وَلَكِنْ مِذْرَةُ الْحَرْبِ الْعَوَانِ
ولست شاعر السفاف، الأبيات الركيكة، بل مدره الحرب العوان، بطل الحرب الطويلة
سَاهَجُوا مَنْ هَجَاهُمْ مِنْ سِوَاهُمْ وَأَعْرِضْ مِنْهُمْ عَمَّنْ هَجَانِي
أهجو من هجاهم، وأما إذا هجاني أحد منهم فأنا أتجاهله

٥٤ في الرأس أكثرني

الشَّنْفَرَى الْأَزْدِي الشاعر الجاهلي الصعلوك:

وَلَا تَقْبُرُونِي إِنْ قَبِرِي مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَبْشِرِي أُمَّ عَامِرٍ
لا تدفنونني فقبري، أي دفني، محرم عليكم، ولكن أبشري بالطعام يا أم عامر، وأم عامر هي
الضبيح .. يريد أن تاكل الضبيح جسمه عندما يقتل

إِذَا احْتَمَلُوا رَأْسِي فِي الرَّأْسِ أَكْثَرِي وَغَوِيزَ عِنْدَ الْمُلتَقَى نَمَّ سَائِرِي..
أبشري أيتها الضبيح إذا حمل الأعداء رأسي بعد قتلي، وفي رأسي كل الحواس، وترك سائر
جسمي عند موضع المعركة..

هُنَالِكَ لَا أَرْجُو حَيَاةً تَسْرُنِي سَجِيسَ اللَّيَالِي مُبْسَلًا بِالْجَرَاثِرِ
في ذلك الموقف لا أرجو حياة تسرني أصلاً لأنني سجين الليالي، طول الدهر، سأظل مبسلاً
بالجراثير، معرضاً للخذلان والتسليم للأعداء بسبب جراثيري، أي جرايمي

٥٥ أنا ابن قيس لا براح

سعد بن مالك الشاعر الجاهلي، وقيل هو جد طرفة بن العبد:

يَا بُؤْسَ لِلْحَرْبِ الَّتِي وَضَعْتَ أَرَاهُطَ فَاسْتَرَاخُوا
ما أسوأ الحرب التي وضعت أراهط، أذلت قوماً، فاستراحوا منها وبقي عليهم الذل

كَشَفْتُ لَهُمْ عَنْ سَاقِهَا وَبَدَا مِنَ الشَّرِّ الصُّرَاخُ
كشفت الحرب عن ساقها لهم، وكأنهم جعلوا كشف الساق للحرب لأنهم هم يرفعون أنوابهم
ويشمرون للحرب.. وبدا من الشر الصراخ؛ الواضح الحقيقي

صَبْرًا بَنِي قَيْسٍ لَهَا حَتَّى تُرِيحُوا أَوْ تُرَاخُوا
يا ليلة طالَّتْ عَلَيَّ - تَفْجُعًا، فَمَتَى الصَّبَاحُ؟

هِيَ هَاتِ حَالِ الْمَوْتِ دُو نَ الْقَوَاتِ وَأَنْتُضِي السِّلَاحُ

حال الموت دون القوت والنجاة، وسل القوم السيوف

كَيْفَ الْحَيَاةُ إِذَا خَلَّتْ مَنَا الظُّلُوهَرُ وَالْبِطَاحُ

كيف تكون الحياة إذا خلت بموتنا الظواهر، النواحي، والبطاح، الأراضي المنخفضة

أَيِّنَ الْأَعِزَّةِ وَالْأَسِنَّةِ - عُنْدَ ذَلِكَ وَالسَّمَاحِ

عندئذ يذهب القوم الأعزة الذين يحملون الرماح ذوات الأسنة، ويذهب السماح والكرم

مَنْ صَدَّ عَنْ نَيْرَانِهَا فَأَنَا ابْنُ قَيْسٍ لَا بَرَا حُ

فلئن صد بعض الناس عن الحرب فأنا ابن قيس لا براح، لا أتراجع ولا أغادر موقف الشرف

٥٦ الأخوال

غسان بن وعلّة أحد بني مرة بن عباد، ويقال: إنها للنَّيِّر بن تَوْلَب:

إِذَا كُنْتَ فِي سَعْدٍ وَأُمُّكَ مِنْهُمْ غَرِيباً فَلَا يَغْفِرُكَ خَالُكَ مِنْ سَعْدٍ

إذا كنت مقيماً عند أخوالك بني سعد غريباً، فلا تغتر بأخوال

فَلِإِنَّ ابْنَ أَخْتِ الْقَوْمِ مُصْغًى إِنَاؤُهُ إِذَا لَمْ يُزَاحِمْ خَالَهُ بِأَبٍ جَلْدٍ

فابن الأخت إنآؤه مصغى، مائل... كناية عن الذلة، إذا لم يزاحم خاله بأب جلد، شجاع.

المعنى أن الرجل عند أخواله لا يكون موضع ترحيب إلا إن كان نسبه لأبيه عزيزاً،

فعندئذ يكرمه أخواله

٥٧ أنزل قيساً بالهوان

بعض بني جُهينة، في وقعة كانت لكلب وفزارة:

أَلَا هَلْ أَتَى الْأَنْصَارَ أَنَّ «ابْنَ بَحْدَلٍ حُمَيْدًا» شَفَا كَلْبًا فَقَرَّتْ عُيُونُهَا

انتقم حميد بن بحدل لقبيلة كلب فقرت عيونها، فُسِّرَتْ بذلك

وَأَنْزَلَ قَيْسًا بِالْهَوَانِ وَلَمْ تَكُنْ لِتُقْلِعَ إِلَّا عِنْدَ أَمْرِ يُهَيِّئُهَا

وأذل قيساً، وما كانت لتكف عن ظلمها إلا إذا أُذِلَّتْ

فَقَدْ تُرِكَتْ قَتَلَى حُمَيْدِ بْنِ بَحْدَلٍ كَثِيراً صَوَاحِيحُهَا قَلِيلاً دَفِنُهَا

ترك الذين قتلهم حميد هذا ضاحين، معرضين للشمس بالعراء، وقليل منهم من قد دفن

فإنَّا وَكَلَبًا كَالْيَدَيْنِ مَتَى تَقَعَ شِمَالُكَ فِي الْهَيْجَا تُعْنَهَا يَمِينُهَا

فنحن وقبيلة كلب كاليدين متى تقَعَ شمالك في الهيجاء تُعْنَاهَا يمينها

٥٨ ويحب ناقتها بعيري

وقال المنخل بن الحارث الشُّكْرِي الشاعر الجاهلي القديم:

إِنْ كُنْتُ عَاذِلْتِي فَسِيرِي نَحْوَ الْعِرَاقِ وَلَا تَحُورِي
إِنْ كُنْتُ لَانِمَةً لِي فَسِيرِي نَحْوَ الْعِرَاقِ وَلَا تَحُورِي، لَا تَرْجُمِي

لَا تَسْأَلِي عَنِ جُلٍّ مَا لِي، وَأَنْظُرِي كَرَمِي وَخَيْرِي
لَا تَسْأَلِي عَنِ مَالِي وَمَا بَقِيَ مِنْهُ، وَأَنْظُرِي إِلَى كَرَمِي، شَرَفِي، وَسَخَانِي

وَقَوَارِسٍ كَأَوَارٍ حَرٍّ - النَّارِ أَخْلَاسِ الذُّكُورِ
ورب قوارس، فرسان، كأنهم لهيب النار، وهم أخلاس الذكور أي ملازمون للسيوف. والسيوف الذكر ما كان حده من حديد «ذكر» ومنته من حديد «أنث». قال صاحب «التاج» إن الحديد الذكر أبيض الحديد وأجوده وأشدّه

شَدُّوا دَوَابِرَ بَيْضِهِمْ فِي كُلِّ مُخَكِّمَةِ الْقَتِيرِ
شدوا دوابر بيضهم، مؤخر خوذاتهم، بقفا الدروع بالقتير المحكم، بالمسامير المثبتة بقوة
وَأَسْتَلُّمُوا وَتَلَبَّبُوا إِنْ التَّلَبُّبِ لِلْمُغِيرِ
استلاموا، لبسوا اللامات وهي الدروع، وتلببوا، أي تحزموا، كي يشنوا الغارة

وَعَلَى الْجِيَادِ الْمُضْمَرَا تِ قَوَارِسٍ مِثْلُ الصُّقُورِ
فوق الخيل المضمرة، التي رُكِّضَتْ كي تنحل ويقوى عضلها، قوارس متأهبون مثل الصقور
يَخْرُجْنَ مِنْ خَلَلِ الْغُبَا رِ يَجِفْنَ بِالنَّعَمِ الْكَثِيرِ
تخرج الخيل من وسط الغبار، ويجفن، يسرعن، بالإبل الكثيرة. . فقومه سارقو إبل

أَقْرَزْتُ عَيْنِي مِنْ أَوْلَى إِلَيْكَ وَالْفَوَائِحِ بِالْعَبِيرِ
سعدت بقومي أولئك، وسعدت بالنساء اللاتي يفوح منهن العبير

يَرْفُلْنَ فِي الْمِسْكِ الذُّكِيِّ - وَصَائِكَ كَدَمِ النَّحِيرِ
يمشين وحولهن غمامة من ريح المسك، وعليهن الصائك، الزعفران اللاصق بهن المشبه في لونه
دم البعير النحير، أي المنحور المذبوح

وَلَقَدْ دَخَلْتُ عَلَى الْفَتَا فِي الْخَيْدَرِ فِي الْيَوْمِ الْمَطِيرِ
دخلت خدر الفتاة، أي الموضع المغطى بستر داخل الخيمة المخصص للنساء، في يوم مطير

أَلْكَاعِبِ الْحَسَنَاءِ تَرُ قُلُوبَ فِي الدِّمَقْسِ وَفِي الْحَرِيرِ
الكَاعب، الفتاة التي برز ثدياها، التي تتبختر وهي ترتدي الدمقس، أي الحرير الأبيض

فَدَفَعْتُهَا فَتَدَأَفَتْ مَشَى الْقَطَاةُ إِلَى الْغَدِيرِ

القطاة: طائر. ويبدو أنه يسير إلى الماء متبخرأ

وَلِئِمْتُهَا فَتَنَقَّسَتْ كَتَنَّقُسِ الظُّبْيِ الْقَرِيرِ

لئمتها، قبلتها، فتفتست كأنها الظبي الغرير، الصغير

فَدَنَتْ وَقَالَتْ يَا مُنَحَّ - لُ مَا بِجِسْمِكَ مِنْ حَرُورٍ؟

كأنها أحست أن جسمه حار

مَا شَفَّ جِسْمِي غَيْرُ حُبٍّ - لِكَ، فَاهْدَنِي عَنِّي وَسِيرِي

ما شف جسمي وبراء غير حبك، فاهدني

يَا رَبِّ يَوْمَ لِلْمُنَحَّ - لِي قَدْ لَهَا فِيهِ قَصِيرِ

لها: من اللهو

وَأَحْبُبُّهَا وَتُحِبُّنِي وَحُبُّ نَاقَتَهَا بَعِيرِي

يَا هِنْدُ مَنْ لِمُتَيِّمٍ يَا هِنْدُ لِّلْعَانِي الْأَسِيرِ

العاني: الأسير

وَلَقَدْ شَرِبْتُ مِنَ الْمُدَا مَةَ بِالصَّغِيرِ وَبِالْكَبِيرِ

شرب من الخمر بالقدح الصغير والكبير

فَإِذَا انْتَشَيْتُ فَإِنَّنِي رَبُّ الْخَوْرَنْقِ وَالسَّدِيرِ

إذا انتشيت، أي سكرت، حسب نفسي رب، أي صاحب، قصري الخورنق والسدير بالحيرة

وَإِذَا صَحَوْتُ فَإِنَّنِي رَبُّ الشُّوْهَةِ وَالْبَعِيرِ

وإذا صحوحت عدت صاحب الشاة والجمال لا غير

٥٩ ولكنه لم يطر

أُبَيِّ بْنِ سُلَيْمٍ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ زُبَّانِ الضُّبِيِّ:

وَخَيْلٍ تَلَاغَيْتُ رِيْعَانَهَا بِعِجْلِزَةٍ جَمَزَى الْمُدْخَرَ

رب خيل تلاغيت ريعانها، سبقت أوائلها وفتها، بفرس عجلزة، صلبة، جمزى المدخر، سريعة

تدخر قوتها للوقت المناسب كي تجري فتسبق

سَبُوحٍ إِذَا اعْتَرَضَتْ بِالْعِنَانِ مَرْوُحٍ مُلْمَلَمَةٍ كَالْحَجَرِ
سبوح، سريعة، إذا لوت رأسها بالعنان، أي الرسن، فهي مروح، أي تمرح، وهي مللملة
كالحجر، لعلها تتطلق بسرعة كما الحجر!

فَلَوْ طَارَ ذُو حَافِرٍ قَبْلَهَا لَطَارَتْ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَطُرْ
لو كان أي ذي حافر، أي فرس، قد طار قبلها لطارت، لكنه - بالمناسبة - لم يطر. هل يريدنا
الشاعر أن نضحك مثلاً.. غريبة هذه الفكاهة على الشعر القديم

٦٠ بثري

سينان بن الفحل من طيء وهو أموي:

وقالوا قد جُنِنْتَ، فَقُلْتُ كَلًّا وَرَبِّي مَا جُنِنْتُ وَلَا انْتَشَيْتُ
انتشيت: سكرت

وَلَكِنِّي ظَلِمْتُ فِكِدْتُ أَبْكِي مِنَ الظُّلْمِ الْمُبِينِ أَوْ بَكَيْتُ
فَلِإِنَّ الْمَاءَ مَاءَ أَبِي وَجَدِّي وَيَثْرِي ذُو حَفَرْتُ وَذُو طَوَيْتُ
هذه التي اغتصبوها بثري التي حفرتها والتي طويتها، أي زنتها بالحجارة. و«ذو» في لغة قبيلة
طيء معناها التي أو الذي

٦١ جيش تسجد له الجبال

إياس بن مالك الطائي:

سَمَوْنَا إِلَى جَيْشِ الْحَرُورِيِّ بَعْدَمَا نَنَادَرُهُ أَعْرَابُهُمْ وَالْمُهَاجِرُ
سمونا، صعدنا وتصدينا، لجيش الحروري، الخارجي المقيم بقرية حروراء، بعد أن أخذ الأعراب
والمهاجرون من سكان الحواضر ينثرون بعضهم بعضاً منه..

بِجَمْعٍ تَظَلُّ الْأَكْمُ سَاجِدَةً لَهُ وَأَعْلَامُ سَلَمَى وَالْهَضَابُ النَّوَادِرُ
تصدينا له بجيش يصعد الأكم، التلال، فكأنها تسجد تحت زحفه، ويصعد أعلام سلمى، قمم
جبل سلمى، ويصعد الهضاب النوادر، النادة الناتئة

فَلَمَّا ادَّرَكْنَاهُمْ وَقَدْ قَلَصَتْ بِهِمْ إِلَى الْحَيِّ خُوصٍ كَالْحَيِّ ضَوَايِرُ .
عندما لحقنا بهم وقد قلصت، أي أسرعت، بهم إبل خوص، ضيقة العيون، كأنها الحني،
الأقواس لضمورها ونحولها..

أَنَحْنَا إِلَيْهِمْ مِثْلَهُنَّ، وَزَادْنَا جِيَادَ السِّبْوَفِ وَالرَّمَاخَ الْخَوَاطِرُ
أنحنا إبلنا المشابهة لإبلهم في التحول، وكانت عدتنا السيوف الجيدة والرماح الخواطر، التي
تتحرك جيئة وذهاباً

كَلَّا ثَقَلَيْنَا طَامِعٌ بِغَنِيمَةٍ وَقَدْ قَدَّرَ الرَّحْمَنُ مَا هُوَ قَادِرٌ
كلا ثقلينا، أي جيشنا، طامع بالانتصار ونيل الغنائم، والأمر لله بعد ذلك

فَلَمْ أَرْ يَوْمًا كَانَ أَكْثَرَ سَالِبًا وَمُسْتَلَبًا سِرْبَالَهُ لَا يُنَاكِرُ
فلم أر يوماً أكثر من ذلك اليوم من حيث عدد السالبيين، الآخذين عتاد ولباس صرعاهم،
والمسلوبين القتلى الذين تسلب ثيابهم ولا يعترضون على ذلك لأنهم موتى

وَأَكْثَرَ مَنَّا يَافِعًا يَبْتَغِي الْعِلَا يُضَارِبُ قِرْنًا دَارِعًا وَهُوَ حَاسِرُ
ولم أر أكثر من الشبان اليافعين في جيشنا الذين يريدون من المعركة اكتساب المجد، فالواحد
منهم يضارب، أي يبارز بالسيف، قرناً دارعاً، خصماً يلبس درعاً، بينما هو حاسر، لا درع عليه

فَمَا كَلَّتِ الْأَيْدِي وَلَا أُنَاطَرُ الْقَنَا وَلَا عَشَرْتُ مَنَا الْجُدُودُ الْعَوَائِرُ
لم تعب الأيدي، ولا أناطر القنا، لم تنثني الرماح، ولا عثرت جدودنا، ما انتكست حظوظنا

٦٢ لَتْنَهَى الْقَبَائِلُ جَهَالَهَا

عُبَيْدُ بْنُ مَأْوِيَةَ الطَّائِي:

أَلَا حَيٍّ لَيْلَى وَأَطْلَالَهَا وَرَمْلَةَ رَيَّا وَأَجْبَالَهَا
يرسل تحيته إلى المحبوبة وإلى أطلال منازل قومها، وإلى مكان محبوبه أخرى هي ريا

وَأَنْعِمَ بِمَا أَرْسَلْتُ بِأَلَهَا وَنَالَ التَّحِيَّةَ مَنْ نَالَهَا
ويا لحظ من تعطيه المحبوبة انتباهها، ولمن ينال منها تحية. هذا هو المعنى الملموح

فَلِإِنِّي لَذُو مِرَّةٍ مُرَّةٍ إِذَا رَكِبْتُ حَالَةً حَالَهَا
أنا صاحب مرّة، قوة، مرّة صعبة على العدو عندما تختلط الأمور

أَقْدَمُ بِالزَّجْرِ قَبْلَ الْوَعِيدِ لَتْنَهَى الْقَبَائِلُ جُهَالَهَا

أبدأ بالزجر، التحذير القاسي، ثم الوعيد، التهديد، كي تنهى القبائل جهالها، أي المتهورين من
أبنائها عن أفعالهم

وَقَافِيَةٍ مِثْلَ حَدِّ السَّنَا نِ تَبْقَى وَيَذْهَبُ مَنْ قَالَهَا

ورب قافية، لعله يقصد بيتاً، قوية فعالة كأنها حد السنان الذي في رأس الرمح، وهي من الخوالد
اللاتي يبقين بعد موت الشاعر

تَجَوَّدْتُ فِي مَجْلِسٍ وَاحِدٍ قَرَاهَا وَتَسْمِعِينَ أَمْثَالَهَا

وقد قلت في مجلس واحد تسعين بيتاً جيداً. كذا المعنى الملموح

٦٣ نشتم بالأفعال

معبد بن علقمة:

وُعُيِّبْتُ عَنْ قَتْلِ الْحَتَاتِ وَلَيْتَنِي شَهِدْتُ حُتَاتاً يَوْمَ ضُرَجَ بِالدِّمِّ

كنت غائباً عند مقتل الحتات، وليتني شهدت حين ضرج بالدم قتيلاً

وَفِي الْكَفِّ مِنِّي صَارِمٌ ذُو حَقِيقَةٍ مَتَى مَا يُقَدَّمُ فِي الضَّرِيبَةِ يُقَدَّمُ

في يدي سيف صارم قاطع، ذو حقيقة، أي ذو شرف، إذا كان متقدماً نحو الضريبة، الهدف، فهو صائب لا ينحرف

فَيَعْلَمَ حَيًّا مَالِكٌ وَلَفِيفُهَا بِأَنْ لَسْتُ عَنْ قَتْلِ الْحَتَاتِ بِمُحْرِمٍ

ليتني شهدت ذلك اليوم حتى تعلم عشيرة مالك ولفيفها، أتباع تلك القبيلة، أنني لست متمعاً عن قتل الحتات ولا هائباً الاشتراك في دمه

فَقُلْ لِرُزْهِيرٍ إِنْ شَتَمْتَ سَرَاتِنَا فَلَسْنَا بِشَتَامِينَ لِلْمُتَشَتِّمِ

قل لزهير: إن شتمت ساداتنا، فنحن نرفع أنفسنا عن الرد بالشتم

وَلَكِنَّا نَأْبَى الظَّلَامَ، وَنَعْتَصِي وَنَعْتَصِي بِكُلِّ رَقِيقٍ الشُّفْرَتَيْنِ مُصَمِّمِ

لكننا نأبى الظلم، ونعتصي، نمتنع ونحتمي، بكل سيف رقيق الحدين، قاطع

وَتَجْهَلُ أَيْدِينَا وَيَحْلُمُ رَأْيُنَا وَنَشْتُمُ بِالْأَفْعَالِ لَا بِالنَّكَلِ

أيدينا تجهل، تنهور، ولكن رأينا حلیم، وشتما يكون بالفعل لا بالكلام

وَإِنْ التَّمَادِي فِي الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا بِكَفِّكَ، فَاسْتَخِرْ لَهُ أَوْ تَقَدَّمْ

والآن فإن التماذي في الذي كان بيننا أصبح بيدك، فلما أن تراجع ولما أن تتقدم

٦٤ اصطيات العدو

أوس بن حُبَاء:

إِذَا الْمَرْءُ أَوَّلَاكَ الْهَوَانَ فَأُولِهِ هَوَاناً وَإِنْ كَانَتْ قَرِيباً أَوَاصِرُهُ

إذا منحك شخص الهوان، الانتقاص من قدرك فبادله بمثل ما فعل، حتى وإن كانت أواصره، العلاقات معه، قريبة

فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَقْدِرْ عَلَى أَنْ تُهَيِّئَهُ قَلَّزُهُ إِلَى الْيَوْمِ الَّذِي أَنْتَ قَادِرُهُ

إن لم تقدر على إهائه فاتركه إلى اليوم الذي تقدر فيه على ذلك

وَقَارِبْ إِذَا مَا لَمْ تَكُنْ لَكَ حِيلَةٌ وَصَمِّمْ إِذَا أَيْقَنْتَ أَنَّكَ عَاقِرُهُ

قارب، أي كن قريباً منه مراقباً إياه، إن لم تكن لك حيلة، طريقة، عليه. فإذا أيقنت أنك قادر على عقره، ذبحه، فصمم وأقدم بقوة

٦٥ اللين اللفظ

سعد بن ناثيب المازني:

تُفَنِّدُنِي فِيمَا تَرَى مِنْ شِرَاسَتِي وَشِدَّةِ نَفْسِي أَمْ سَعْدٍ وَمَا تَدْرِي

تفندني، وتسفه رأيي، أم سعد لما تراه من شراستي وشدتي، وهي لا تدري حقيقة أمري

فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الْكَرِيمَ وَإِنْ حَلَا لَيُلْفَى عَلَى حَالٍ أَمْرٌ مِنَ الصَّبْرِ

قلت لها إن الكريم، حتى وإن كان أخلاقه حلوة سمحة، فهو يُرى في وضع آخر وطباعه أمر من نبات الصبار

وَفِي اللَّيْنِ ضَعْفٌ وَالشَّرَاسَةُ هَيْبَةٌ وَمَنْ لَمْ يَهَبْ يُحْمَلْ عَلَى مَرْكَبٍ وَغَرٍ

اللين فيه ضعف، والشراصة تعزيز للهبة، ومن لم يهب الناس يهابونه فسوف يكون وضعه صعباً كمن ركب بعيراً شكساً

وَمَا بِي عَلَى مَنْ لَانَ لِي مِنْ قَطَاظَةٍ وَلَكِنِّي فَظٌّ أَبِيٌّ عَلَى الْقَسْرِ

من لأن لي فلتست معي فظاً، ولكنني فظ على من يريد أن يقسرنِي، يجبرني على الأمور

أُقِيمُ صَعَا ذِي الْمِيلِ حَتَّى أَرُدَّهُ وَأَخْطِمْهُ حَتَّى يَعُودَ إِلَى الْقَدْرِ

أقيم، أي أعدل، صعا، أي ميل، المائل وأعيده إلى صوابه، وأخطمه، أي أربطه بحبل كالبعير، حتى يعرف قدره ولا يتجاوزَه

فَإِنْ تَعَذَّلِينِي تَعَذَّلِي بِي مُرَرًّا كَرِيمَ نَا الْإِعْسَارِ، مُشْتَرَكِ الْيُسْرِ

فإن تلوميني فإنما تلومين في شخصي رجلاً مرزاً، وكريم نأ الإعسار، وكريم نأ الإيسار، كريمة أخباره وهو معسر فقير لأنه يحفظ شرفه عند الفقر؛ ومشارك اليسر، فإذا أيسر واغتنى شارك غيره في ماله

إِذَا هَمَّ أَلْقَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَزْمَهُ وَصَمَّمَ تَصْمِيمَ السَّرِيحِيِّ ذِي الْأَثْرِ

إذا هم بأمر وضعه نصب عينيه وصمم تصميم السريحجي، السيف، ذي الأثر، النقش

٦٦ التكاثر

قُرَاد بن عَبَّاد:

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَغْضَبْ لَهُ حِينَ يَغْضَبُ قَوَارِسُ إِنْ قِيلَ أَرْكَبُوا الْمَوْتَ بِرَكْبِهِ..

إذا لم يغضب لغضب المرء فرسان يلون نداءه ويركبون خيلهم نحو القتال المميت..

وَلَمْ يَحْبِبْهُ بِالنَّصْرِ قَوْمٌ أَعَزُّهُ مَقَاحِيمُ فِي الْأَمْرِ الَّذِي يُتَهَيَّبُ..

وإذا لم يحبه، لم يمنحه، النصر، النصرة والموازرة،

قوم أعزة يقتحمون الأمر المخوف الذي يهابه الناس..

تَهَضَّاهُ أَدْنَى الْعَدُوِّ، وَلَمْ يَزَلْ، وَإِنْ كَانَ عِضًّا، بِالظُّلَامَةِ يُضْرَبُ

عندئذ يتهضمه، يظلمه، أقل الأعداء شأناً، ويظل يتعرض للظلم حتى وإن كان عضاً، مجرباً قوياً

فَآخِ لِحَالِ السَّلَامِ مَنْ شِئَتْ، وَاعْلَمَنْ بِأَنَّ سِوَى مَوْلَاكَ فِي الْحَرْبِ أَجْنَبُ

في وقت السلم اصنع صداقة مع من تريد، وفي الحرب فالذي يقف معك مولاك، حليفك، فقط وأما سواه فسيجنب الخوض في حرك

وَمَوْلَاكَ مَوْلَاكَ الَّذِي إِنْ دَعَوْتَهُ أَجَابَكَ طَوْعاً وَالدَّمَاءُ تَصَبَّبُ

احفظ مولاك، حليفك، الذي يجيب دعوتك حتى وهو يرى الدماء تتصب

فَلَا تَخْذُلِ الْمَوْلَى وَإِنْ كَانَ ظَالِماً فَإِنَّ بِهِ تُشَايِ الْأُمُورُ وَتُرَابُ

لا تخذل حليفك حتى وإن كان ظالماً. فبالحليف تنأى الأمور،

ترتق، وتراب، تُصلح

٦٧ العمر واحد

قَدْ عَلِمَ الْمُسْتَأَخِرُونَ فِي الْوَهْلِ

قد عرف المتأخرون عن القتال القابعون في الوهل، الخوف

إِذَا السِّیُوفُ عُرِّيتْ مِنَ الْخِلَلِ

إذا السيوف عريت من أغمارها واستلت

أَنَّ الْفِرَارَ لَا يَزِيدُ فِي الْأَجَلِ

أن فرارهم لا يضمن لهم حياة مديدة

٦٨ المعثم المخول

وقال رجل من بني نمير:

نَعْرَضُ لِلطَّعَانِ إِذَا التَّقِينَا وَجُوهَا لَا تُعَرَّضُ لِلْسَّبَابِ

نعرض لظعن الرماح في المعركة وجوها التي لا تعرضها للسباب والمذمة

فَأَبَائِي سَرَاهُ بَنِي نُمَيْرٍ وَأُخُوَالِي سَرَاهُ بَنِي كِلَابٍ

آبائي سراة، أي سادة، بني نمير، وأخوالي سادة بني كلاب

٦٩ المجرب العتيق

قَبِيصَةُ بْنُ جَابِرٍ النَّصْرَانِي الْجَزْمِي:

وَجَرَّبْتُ الْأُمُورَ وَجَرَّبْتُنِي كَأَنِّي كُنْتُ فِي الْأُمَمِ الْخَوَالِي

جربت كثيراً حتى كأني حضرت الأمم الخوالي، الأمم البائدة

لَنَا الْحِصْنَانِ مِنْ «أَجَا» وَ«سَلْمَى» وَشَرْقِيَاهُمَا غَيْرَ انْتِحَالٍ

لنا الحصنان، ويعني الجبلان، أجأ وسلمى.. وهم جبال قبيلة طيء في شمال الحجاز، ولنا الأرض إلى الشرق منهما ملكاً أصيلاً غير متتحل

وَتِيَمَاءُ الَّتِي مِنْ عَهْدِ عَادٍ حَمَيْنَاهَا بِأَطْرَافِ الْعَوَالِي

ولنا حصن تيماء الذي حميناه بأطراف العوالي، أي الرماح، من عهد عاد

٧٠ ترميني الحدق

سالم بن وإبصة:

عَلَيْكَ بِالْقَصْدِ فِيمَا أَنْتَ فَاعِلُهُ إِنْ التَّخَلَّقَ يَأْتِي دُونَهُ الْخُلُقُ

عليك بالقصد، الاعتدال؛ والتخلق، أي التطيع، يسبقه الخلق الأصلي

وَمَوْقِفٍ مِثْلِ حَدِّ السِّيفِ قُمْتُ بِهِ أَحْمِي الدَّمَارَ وَتَرْمِينِي بِهِ الْحَدَقُ

ورب موقف دقيق كأنه حد السيف وقد قمت بحقه، وحميت الدمار، الشرف، وكانت الحدق ترميني، الأنظار متجهة إلي

فَمَا زَلَقْتُ وَلَا أَبْدَيْتُ فَاجِشَةً إِذَا الرِّجَالُ عَلَى أَمْثَالِهَا زَلَقُوا

فما زلقت، انزلقت، ولا فعلت ما هو فاحش معيب، وغيري كان سيتزلق في مثل هذا الموقف

٧١ المعمر

مجمع بن هلال، من بني تيم الله بن ثعلبة:

وإن أک ما شَيْخاً كبيراً فطالما عَمِرْتُ ولكن لا أرى العُمَرَ ينفعُ
لن كنت شيخاً كبير السن، فإنني قد عشت طويلاً، ولكن طول العمر لا ينفع
مَضَتْ مِئَةٌ مِنْ مَوْلِدِي فَنَضَوْتُهَا وَخَمْسُ تَبَاعٍ بَعْدَ ذَاكَ وَأَرْبَعُ
مضت مئة سنة من عمري فنضوتها، فخلعتها، ثم خمس وأربع

٧٢ حرب الأقارب

أبو الأخيل العجلي:

أَلَا يَا اسْلَمِي ذَاتَ الدِّمَالِيجِ وَالْعَقْدِ وَذَاتَ الثَّنَايَا الْغُرِّ وَالْفَاجِمِ الْجَعْدِ
اسلمي يا ذات الدماليج، الأساور، والعقد، وذات الثنايا الغر، الأسنان البيض، والشعر الفاحم الجعد
وَذَاتَ اللَّثَاثِ الْحُمِّ وَالْعَارِضِ الَّذِي بِهِ أَبْرَقَتْ عَمْدًا بِأَبْيَضَ كَالشَّهْدِ
وذات اللثات الحم، اللثة المسمرة، والعارض، أي الأسنان الأمامية، الذي أبرقت به، وقصدت
أن تشق ثغرها عمداً ثقة بجمال ثناياها التي تلمع بسبب ما كساها من ريق أبيض كأنه الشهد
كَأَنَّ ثَنَايَاهَا اغْتَبَقْنَ مُدَامَةً ثَوْتُ حِجَجًا فِي رَأْسِ ذِي قُنَّةٍ فَرْدٍ
كأن أسنانها شربت خمرة عتيقة ثوت حججاً، أي مكثت سنين، في رأس جبل منفرد ذي قنة، أي
قمة. فرائحة فيها طيبة طيب الخمر العتيقة
لَعَمْرِي لَقَدْ مَرَّتْ بِي الطَّيْرُ أَنْفَاً بِمَا لَمْ يَكُنْ إِذْ مَرَّتِ الطَّيْرُ مِنْ بُدٍّ
لقد مرت بي الطير، وهذا دليل تشاؤم هنا، وكان مرورها يشير إلى الشر الذي لا بد من وقوعه
ظَلَّلْتُ أُسَاقِي الْمَوْتَ إِخْوَتِي الْأَلَى أَبْوَهُمْ أَبِي عِنْدَ الْمُزَاحَةِ وَالْجِدِّ
ظلت أبتدل شرباً هو الموت مع إخواني الذين يظل أبوهم أبي في حالي المزح والجد
كَلَانَا يُنَادِي يَا نِزَارُ، وَبَيْنَنَا قَنَا مِنْ قَنَا الْخَطِيْ أَوْ مِنْ قَنَا الْهِنْدِ
كل فريق ينادي: يا نزار، فهم جميعاً ينتسبون إلى جد عرب الشمال القديم نزار، ولكن بينهم قنا،
رماحاً، من رماح منطقة الخط بالبحرين، أو من رماح الهند
قُرُومٌ تَسَامَى مِنْ نِزَارٍ عَلَيْهِمْ مُضَاعَفَةٌ مِنْ نَسِجِ دَاوُدَ وَالسُّغْدِ
قروم، أي أبطال، من قبائل نزار تسامى، وتتصدى، وعليهم دروع مضاعفة النسج سمكة كالتى
اشتهر بنسجها النبي داود، أو تلك المستوردة من بلاد السغد

إِذَا مَا حَمَلْنَا حَمْلَةً مَثَلُوا لَنَا بِمُرْهَفَةٍ تُذْزِرِي السَّوَاعِدَ مِنْ صُعْدٍ
 إِذَا شَدَدْنَا عَلَيْهِمْ وَقَفُوا لَنَا بِسَيْفٍ مُرْهَفَةٍ حَادَةٍ تُذْزِرِي، أَي تَسْقُطُ، السَّوَاعِدُ مِنْ صُعْدٍ، مِنْ أَعْلَاهَا
 وَإِنْ نَحْنُ نَازَلْنَاهُمْ بِصَوَارِمٍ رَدَّوْا فِي سَرَابِيلِ الْحَدِيدِ كَمَا تُرْدِي
 وَإِنْ نَازَلْنَاهُمْ بِالسَّيْفِ الصَّوَارِمِ الْقَاطِعَةِ رَدَّوْا، أَي أَسْرَعُوا، نَحُونَا فِي سَرَابِيلِ، أَرْدِيَةِ مِنَ الْحَدِيدِ،
 مَثَلُوا نَسْرِعُ نَحْوَهُمْ

كَفَى حَزَنًا أَنْ لَا أَزَالَ أَرَى الْقَنَا تَمُجُّ نَجِيعًا مِنْ ذِرَاعِي وَمِنْ عَضْدِي
 كَفَانِي حَزَنًا رَوَيْتِي الرِّمَاحَ تَمُجُّ نَجِيعًا، تَبْصُقُ دَمًا، مِنْ ذِرَاعِي وَمِنْ عَضْدِي، وَالْعَضْدُ أَعْلَى الذِّرَاعِ
 أَمَا تَرَهْبَانِ النَّارِ فِي ابْنَيْ أَبِيكُمَا وَلَا تَرْجُوانِ اللَّهَ فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ؟
 أَيُّهَا الْفَرِيقَانِ الْمُتَحَارِبَانِ أَمَا تَرَهْبَانِ الْجَحِيمِ بِسَبَبِ مَا تَصْنَعُونَهُ بِأَبْنَاءِ أَبِيكُمَا نِزَارَ، وَلَا تَرْجُوانِ
 دُخُولَ الْجَنَّةِ؟

فَمَا تُرْبُ أَثَرِي لَوْ جَمَعْتَ ثَرَابَهَا بِأَكْثَرِ مَنْ إِبْنِي نِزَارٍ عَلَى الْعَدُوِّ
 الْمَعْنَى الْعَامُ: لَوْ جَمَعْتَ مَا فِي الدُّنْيَا مِنْ رَمْلٍ لَكَانَ عَدَدُ ابْنِي نِزَارَ، قِبَالُ مَضَرَ وَرَبِيعَةَ، أَكْثَرَ مِنْ
 عَدَدِ حَبَاتِ الرَّمْلِ

هُمَا كَفَا الْأَرْضِ اللَّذًا لَوْ تَزَعَزَعَا تَزَعَزَعَ مَا بَيْنَ الْجَنُوبِ إِلَى السُّدِّ
 هُمَا كَفَا، جَانِبَا، الْأَرْضِ اللَّذَانِ لَوْ تَزَعَزَعَا لَتَزَعَزَعَتِ الدُّنْيَا مَا بَيْنَ الْجَنُوبِ إِلَى السُّدِّ، أَي مِنْ
 الْيَمَنِ إِلَى سِدِّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ

وَإِنِّي وَإِنْ عَادَيْتُهُمْ أَوْ جَفَوْتُهُمْ لَتَأْلُمَ مِنَّا عَضُّ أَكْبَادِهِمْ كَبْدِي
 كَبْدِي تَأْلُمُ لَمَّا يَعْضُ أَكْبَادَهُمْ، فَهْمٌ فِي النِّهَايَةِ إِخْوَةٌ

فَإِنَّ أَبِي عِنْدَ الْحِفَاطِ أَبْوَهُمْ وَخَالُهُمْ خَالِي وَجَدُّهُمْ جَدِّي
 وَأَبِي عِنْدَ حِفْظِ الشَّرَفِ هُوَ أَبْوَهُمْ، وَخَوُولُنَا مُشْتَرِكَةٌ أَيْضًا

رِمَاحُهُمْ فِي الطُّولِ مِثْلُ رِمَاحِنَا وَهُمْ مِثْلُنَا قَدَّ السُّيُورِ مِنَ الْجِلْدِ
 وَسَلَاحُهُمْ كَسَلِحَانَا، وَهُمْ مِثْلُنَا فِي كُلِّ شَيْءٍ كَمَا تَقْدُّ السُّيُورُ، الْحِبَالُ، الْمَتَاوِيَةُ مِنَ الْجِلْدِ

٧٣ صحوت

عَبْدُ الْقَيْسِ بْنِ خُفَّابِ الْبَرْجَمِيِّ:

صَحَوْتُ وَزَايَلَنِي بِاطِلِي لَعَمْرُ أَبِيكَ زِيَالًا طَوِيلًا
 صَحَوْتُ مِنْ غَفْوَةِ الشَّبَابِ وَتَرَكْنِي الْبَاطِلَ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ تَرَكًّا ذَرِيعًا

وَأَصْبَحْتُ لَا نَزِقًا لِلْحَاءِ وَلَا لِلْحَوْمِ صَدِيقِي أَكُولَا

أصبحت غير نزق للحاء، غير سريع للتلاسن والنشام، ولا أَكُلُ لحم صديقي، أي لا أغتابه

وَأَصْبَحْتُ أَعْدَدْتُ لِلنَّائِبَا تِ عِرْضاً بَرِيئاً وَعَضْباً صَقِيلاً

أعددت لمصيبات الزمن عرضاً نقياً، وعضباً صقيلاً، أي سيفاً مصقولاً

وَوَقَعَ لِسَانِي كَحَدِّ السِّنَانِ وَرُمَحاً طَوِيلَ الْقَنَاةِ عَسُولَا

وأعددت لساناً وقعه وتأثيره كتأثير سنان الرمح، وأعددت رمحاً طويلاً عسولاً، مترجراً يميناً يساراً وأنا أحمله

وَسَابِغَةً مِنْ جِيَادِ الدُّرُوعِ تَسْمَعُ لِلسَّيْفِ فِيهَا صَلِيلَا

وأعددت درعاً سابغة، طويلة، من الدروع الجياد، أي الجيدة، تسمع صوت السيف عليها يرن رنيناً

كَمَثْنِ الْغَدِيرِ زَهْتُهُ الدَّبُورُ يَجْرُ الْمُدَجَّجُ مِنْهَا فُضُولَا

ودرعي هذه منسوجة من حلقات الحديد، فهي تبدو كسطح غدیر الذي زهته، أي حركته، ریح الدبور، والمدجج بالسلاح يجر بقية هذه الدرع جرّاً لأنها طويلة (أوردنا أول بيتين من هذه القطعة ضمن المفضليات/اكتشفنا التكرار بعد صنع الفهارس فصعب علينا حذفها من هناك)

٧٤ الابن العاق

أُمِّيَّةٌ بَنَ أَبِي الصَّلْتِ فِي ابْنِهِ وَعَقَهُ، وَتَرَوَى لغيره:

غَذَوْتُكَ مَوْلُودًا، وَعُلْتُكَ يَافِعًا تُعَلُّ بِمَا أَذْنِي إِلَيْكَ وَتُنْهَلُ

أطعمتك وأنت وليد، وكنت أعيلك وأنت في أول الشباب وأنت تُعَلُّ، أي تشرب، مما أقدمه لك من لبن النياق وتنهل، أي تشرب مرة أخرى

إِذَا لَيْلَةٌ نَابَتْكَ بِالشَّكْوِ لَمْ أَبْتَ لِشَكْوَاكَ إِلَّا سَاهِرًا أَتَمَلَّمُ

إذا أصابتك ليلةٌ بالشكو، أي المرض، لم أبت إلا وأنا ساهر لمرضك أتمللم ولا أعرف للنوم طعماً

كَأَنِّي أَنَا الْمَطْرُوقُ دُونَكَ بِالَّذِي طَرِقتَ بِهِ دُونِي وَعَيْنِي تَهْمُلُ

كأنني أنا المطروق دونك، المصاب بدلاً منك، وتظل عيني تسيل بالدمع

فَلَمَّا بَلَغْتَ السَّنَّ وَالْعَايَةَ الَّتِي إِلَيْهَا مَدَى مَا كُنْتُ فِيكَ أَوْمُلُ..

فلما كبرت ووصلت سن النضج التي كنت آملها..

جَعَلْتَ جَزَائِي مِنْكَ جَبْهًا وَغِلْظَةً كَأَنَّكَ أَنْتَ الْمُنْعَمُ الْمُتَفَضَّلُ

جعلت جزائي جبهًا، أي صدًا، وغلظة كأنك أنت المتفضل علي

فَلَيْسَتْكَ إِذْ لَمْ تَرَعْ حَقَّ أَبَوَاتِي فَعَلْتَ كَمَا الْجَارُ الْمُجَاوِرُ يَفْعَلُ

وَسَمَّيْتَنِي بِاسْمِ الْمُفْتَدِّ رَأْيُهُ وَفِي رَأْيِكَ التَّفْنِيدُ لَوْ كُنْتَ تَعْقِلُ

صرت تقول إنني ذو الرأي المفتد، الخطأ، والخطأ في رأيك أنت لو أنك تفهم

تَرَاهُ مُعِدًّا لِلْخِلَافِ كَأَنَّهُ يَرُدُّ عَلَى أَهْلِ الصَّوَابِ مُوَكَّلُ

يا سامعي إنك لترى ولدي هذا متبهاً لمخالفتي في كل شيء، وكأنه مكلف بأن يرد على كل ما

يقوله أهل الصواب والعقل

٧٥ يؤدبني

قالت امرأة من بني هِرَّانَ، يقال لها: أُمُّ ثَوَابٍ، في ابن لها عقها:

رَبَّيْتُهُ وَهُوَ مِثْلُ الْفَرْخِ. أَعْظَمُهُ أُمُّ الطَّعَامِ تَرَى فِي جِلْدِهِ زَعْبًا

ربيت ابني وكان مثل الفرخ.. والفرخ أكبر شيء في جسمه أم الطعام، أي الحوصلة عند رقبته التي

يتجمع فيها الطعام، وجلده ذو زغب، أي ريش صغير

حَتَّى إِذَا أَضَ كَالْفُحَّالِ شَذْبُهُ أَبَارُهُ وَنَفَى عَنْ مَنَنِهِ الْكَرْبَا

حتى إذا أض، أي صار، كالفحّال، النخلة الذكر التي يؤخذ طلوعها لتلقيح النخلات الإناث، وقد

شذبه الأبار، الملقح، ونفى الكرب عن مته، أبعد عن ظهره الكرب وهو القشور الصلبة التي لا

بد من تشذيبها في الفحّال، أي أنه لما كبر وأصبح في أتم حال من الشباب..

أَنْشَأَ يُمَزَّقُ أَثَوَابِي يُؤَدِّبُنِي أَبْعَدُ شَيْبِي عِنْدِي يَبْتَغِي الْأَدْبَا

أنشأ، أي بدأ، يمزق ملابس يبغي تأديبي، أبعد شيب يريده تأديبي؟

إِنِّي لأُبْصِرُ فِي تَرْجِيلِ لِمَتِهِ وَخَطَّ لِحْيَتِهِ فِي خَدِّهِ عَجَبَا

أرى تسريح لمتي، أي شعره، وتشذيب لحيته فيعجبني ذلك

قَالَتْ لَهُ عِرْسُهُ يَوْمًا لِتُسْمِعَنِي مَهْلًا فَإِنَّ لَنَا فِي أَمْنَا أَرْبَا

قالت له زوجته يوماً وهي تقصد إسماعي: مهلاً ولا تتهور فإن لنا في أماننا غرضاً، وهي لنا نافعة

وَلَوْ رَأَيْتَنِي فِي نَارٍ مُسَعَّرَةٍ ثُمَّ اسْتَطَاعَتْ لَرَادَتْ فَوْقَهَا حَطْبَا

هي تقول ذلك، ولكنها لو رأتني في نار مستعرة لزادت عليها حطباً لو استطاعت

٧٦ الندم

ابن السليمان وهو شاعر إسلامي:

لَعَمْرُكَ إِنِّي يَوْمَ سَلَعٍ لِّلْأَيْمِ لِنَفْسِي، وَلَكِنْ مَا يَرُدُّ التَّلَوُّمُ؟
لمت نفسي يوم سلع، أي في معركة سلع، وما نفع اللوم؟

أَأْمَكَنْتُ مِنْ نَفْسِي عَدُوِّي صَلَّةً أَلْهَفَى عَلَى مَا فَاتَ لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ
أهكذا مكنت العدو من نفسي، ضلةً، ما كان أضلني! ليتني علمت النتيجة قبل أن أفعل ما فعلت
لو أن صدور الأمر يبدون للفتى كأعقابيه لم تُلْفِهْ يَتَنَدَّمُ
لو أن صدور الأمر، أوائله، تبدو للمرء مثلما تبدو أعقابيه، أي نتائجه، ما كان ليندم. أي أنه لو
عرف منذ البداية ما ستكون النتائج لاتخذ حيطته. يقول: المرء لا يرى الأحداث وهي مقبلة
بوضوح، ويراها وهي مدبرة بوضوح. . ولكن بعد أن يكون فات الأوان

٧٧ الكلوم تغفو

أبو خراش خويلد بن مرة الهذلي وهو شاعر مخضرم:

حَمِدْتُ إِلَهِي بَعْدَ عُرْوَةٍ إِذْ نَجَا خِرَاشٌ، وَبَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ
حمدت الله على نجاة خراش بعد مقتل عروة، ونصف الشر أهون من الشر كله
فَوَاللَّهِ مَا أَنْسَى قَتِيلًا زُرْتُهُ بِجَانِبِ قُوسَى مَا مَشَيْتُ عَلَى الْأَرْضِ
لن أنسى ذلك القتيل الذي رزته، نكبت به، بموضع «قوسى» طول عمري،
وما دمت أمشي على الأرض

عَلَى أَنَّهَا تَغْفُو الْكُلُومُ؛ وَإِنَّمَا نُوكِّلُ بِالْأَدْنَى وَإِنْ جَلَّ مَا يَمْضِي
الكلوم، الجراح، تغفو، أي تندمل؛ ونوكل، أي نهتم بالأمر القريب منا رغم أن ما مضى كان
كبيراً في تأثيره

وَلَمْ أَذْرِ مَنْ أَلْقَى عَلَيْهِ رِدَاءَهُ عَلَى أَنَّهُ قَدْ سُلَّ عَنْ مَاجِدٍ مَحْضٍ
لا أدري من الذي غطى القتيل بردائه، لكن ذلك الرداء قد سبل، سحب، عن رجل ماجد محض،
خالص المروءة

٧٨ بنیان قوم تهدم

عَبْدَةُ بْنُ الطَّيِّبِ الشَّاعِرُ الْمَخْضَرَمُ:

عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ قَيْسَ بْنَ عَاصِمٍ وَرَحْمَتُهُ مَا شَاءَ أَنْ يَتَرَحَّمَا

نَحْبَةً مِّنْ عَادَتِهِ عَرَضَ الرَّدَى إِذَا زَارَ عَنْ شَحْطِ بِلَادِكَ سَلَمًا

نحية مني أنا الذي تركتني وأنا هدف للقتل فأنقذتني، أزور بلادك عن شحط، قادمًا من مكان بعيد، فأطرح السلام وأتذكرك

فَمَا كَانَ قِيسٌ هُلْكُهُ هُلْكُ وَاحِدٍ وَلَكِنَّهُ بُنْيَانٌ قَوْمٍ تَهْدِمَا

موتك لم يكن مجرد موت شخص، بل بنيان قوم تهدم

٧٩ رثاء أخوين

هشام بن عقبة العدوي، يرثي أخويه أوفى وغيلان، وغيلان هو ذو الرمة:

تَعَزَّيْتُ عَنْ أَوْفَى بِغَيْلَانَ بَعْدَهُ عَزَاءً وَجَفْنُ الْعَيْنِ مَلَأَ مُثْرَعُ

تعزيت ونسيت بعض حزني على أخي أوفى عندما توفي غيلان بعده، فهذا عزاء وجفني تعزيتي وجفني مترع أي ملآن دموعاً

نَعَى الرَّكْبُ أَوْفَى حِينَ أَبَتْ رِكَابُهُمْ لَعَمْرِي لَقَدْ جَاؤُوا بِشَرٍّ فَأَوْجَعُوا

حين رجع القوم بإيلهم نقلوا خبر أوفى، فما كان أوجع الخيرا

نَعَوْا بِأَمْسَقِ الْأَفْعَالِ لَا يَخْلُقُونَهُ تَكَادُ الْجِبَالُ الشُّمُّ مِنْهُ تَصَدَّعُ

كانت أفعاله باسقة، عالية، وما كانوا يخلفونه، يجدون بديلاً يخلفه، وتكاد الجبال الشُّمُّ منه تصدع من ذلك الخبر

خَوَى الْمَسْجِدُ الْمَعْمُورُ بَعْدَ ابْنِ دَلْهِمٍ وَأَمْسَى بِأَوْفَى قَوْمُهُ قَدْ تَضَعَّضُوا

لقد خوى، أي فرغ من الناس، المسجد الذي كان معموراً بوجود «ابن دلهم» الرجل الصالح المعروف، وكذلك تضعضع قومي بفقدان أوفى

فَلَمْ تُنْسِنِي أَوْفَى الْمُصِيبَاتِ بَعْدَهُ وَلَكِنَّ نَكَاءَ الْقَرْحِ بِالْقَرْحِ أَوْجَعُ

لا، لم تجعلني المصائب التي جاءت من بعد أوفى أنساه، بل إن نكاء القرح، فتح الجرح، بجرح آخر أوجع من الجرح الفرد

٨٠ كله قبر مالك

متعم بن نُؤيرة يرثي أخاه مالكا الذي قتله خالد بن الوليد:

لَقَدْ لَامَنِي عِنْدَ الْقُبُورِ عَلَى الْبُكَاءِ رَفِيقِي لَتَذَرَاكِ الدُّمُوعُ السَّوَاغِ

لامني رفيقي، ذات يوم عندما رأينا قبوراً، لذرفي الدموع المسفوحة المسفوحة

فَقَالَ أَتُبْكِي كُلَّ قَبْرِ رَأَيْتَهُ لِقَبْرِ نَوَى بَيْنَ اللَّوَى فَالِدَكَادِكِ؟

قال: أتبكي عند كل قبر تراه متذكراً ذلك القبر الذي نوى، ومكث بين موضعي اللوى والدكادك؟

فَقُلْتُ لَهُ إِنَّ الشَّجَا يَبْعَثُ الشَّجَا فَدَعَنِي فَهَذَا كُلُّهُ قَبْرُ مَالِكٍ
قلت له: الحزن يثير الحزن، فكل قبر هو قبر مالك أخي

٨١ البعيد القريب

أبو عطاء السندي من مخضرمي الدولتين يرثي ابن هبيرة الذي قتله المنصور غيلةً:
أَلَا إِنَّ عَيْنًا لَمْ تَجُدْ يَوْمَ وَاسِطٍ عَلَيْكَ بِجَارِي دَمْعِهَا لَجْمُودُ
العين التي لم تكن سخية بدمعها يوم مقتلِكَ بواسط عين جامدة
عَشِيَّةَ قَامَ النَّائِحَاتُ وَشَقَّقَتْ جِيوبُ بِأَيْدِي مَاتِمٍ وَخُدُودُ
في تلك العشية ناحت عليك النائحات وشققن الجيوب، الملابس من جهة الصدر، ولطمن
الخدود. ماتم معناها جماعة النساء النائحات، ثم صارت تعني كل مجلس عزاء
فَإِنْ تُمَسِّ مَهْجُورَ الْفِنَاءِ فَرِيْمَا أَقَامَ بِهِ بَعْدَ الْوُفُودِ وَفُودُ
إن أصبح فناؤك، أي ساحتك، مهجوراً، فطالما كانت الوفود الكثيرة تقيم بساحتك
وهي تأتي لنيل عطائك
فَإِنَّكَ لَمْ تَبْعُدْ عَلَى مُتَعَهِّدٍ بَلَى كُلِّ مَنْ تَحْتَ الثَّرَابِ بَعِيدُ
لم تبتعد ذكراك عن متعهد، ذاك لعهدك. . لا، بل كل من دفن فهو بعيد

٨٢ أعبدُ الله ذلك الردي؟

دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ وَقَدْ نَصَحَ قَوْمَهُ (بَنِي عَزِيَّةَ) فَتَرَكُوا نَصِيحَتَهُ وَقَاتَلُوا أَعْدَاءَهُمْ
- وهو معهم - فَقَتَلَ أَخُوهُ عَبْدِ اللَّهِ فَقَالَ يَرِثِيهِ:
نَصَحْتُ لِعَارِضٍ وَأَصْحَابِ عَارِضٍ وَرَهْطِ بَنِي السَّوْدَاءِ وَالْقَوْمُ شُهْدِي:
نصحت لعارض ولأصحابه، ولبنِي السوداء، والقوم يشهدون على ذلك. في رواية الأصمعيات:
«فقلت لعراض وأصحاب عارض» كأنما أراد الناسخ إصلاح الوزن
فَقُلْتُ لَهُمْ طُنُّوا بِالْفَنَى مُدَجَّجٍ سَرَاتُهُمْ فِي الْفَارِسِيِّ الْمُسَرَّدِ
قلت لهم إن أغلب الظن هو أن عدوكم ألفا رجل مدجج بالسلاح، وسادتهم يلبسون الدروع
الفارسية المنسوجة بحلقات الحديد
فَلَمَّا عَصَوْنِي كُنْتُ مِنْهُمْ، وَقَدْ أَرَى غَوَايَتَهُمْ وَأَنْنِي غَيْرُ مُهْتَدٍ
لما رفضوا النصيحة انصعت لهواهم؛ قد عرفت ضلالهم، وعرفت أنني أنا أيضاً بعيد عن الهداية
أَمَرْتُهُمْ أَمْرِي بِمُنْعَرَجِ اللَّوَى فَلَمْ يَسْتَبِينُوا الرُّشْدَ إِلَّا ضَحَى الْغَدِ
أمرتهم أمري ذاك في ذلك الموضع، ولم يتبين لهم سداد رأيي إلا ضحى اليوم التالي

وهل أنا إلا من غزيرة؟ إن عوث عوث وإن ترشد غزيرة أرشد

أنا من قبيلة «غزية»، إن انحرفت القبيلة عن الرشد انحرفت معها، وإن رشدت أرشد

تَنَادَوْا فَقَالُوا أَزْدَتِ الْخَيْلُ فَارِسًا فَقُلْتُ: أَعْبُدُ اللَّهَ ذَلِكَ كُمْ الرَّدِي؟

صرخوا قائلين إن الخيل قتلت فارساً، فسألت: أعبُد الله ذلك القليل؟

فَجِئْتُ إِلَيْهِ وَالرَّمَاخُ تَنْوِشُهُ كَوَفِّعِ الصَّيَاصِي فِي النَّسِيجِ الْمُمَدَّدِ

جئت إليه والرماح تنوشه، تتاوره وتتناوله، كأنها دخول الصياصي، لفائف الخيوط، في النسيج. فالناسج يدخل خشبة مغزلية ملفوفاً عليها الخيوط بين النسيج الممدود مرة بعد مرة لتشكيل الطبقة المستعرضة في النسيج فهو يُسْدِي بعد أن يُلْجِم

فَكُنْتُ كَذَاتِ الْبَوِّ رِيْعَتْ فَأَقْبَلْتُ إِلَى جَلْدٍ مِنْ مَسْكٍ سَقْبٍ مُقَدَّدٍ

كنت كالناقة الفاقد التي ترتاع لفقد ولدها فتقبل على البوّ، وهو جلد فصليلها يحشونه تبناً ويجعلونه قربها كي تحن عليه ويدر حليها. لا يكفون بقتل وليدها بل يريدون حليها أيضاً. . والبو مصنوع من مسك سقب مقدد، أي جلد فصليل مجفف

فَطَاعَنْتُ عَنْهُ الْخَيْلَ حَتَّى تَبَدَّدَتْ وَحَتَّى عَلَانِي حَالِكُ اللَّوْنِ أَسْوَدِي

طاعت الخيل المحيطة بعبد الله حتى تفرقت، وحتى علاني الغبار الأسود أي الأسود

قِتَالَ امْرِئٍ أَسَى أَخَاهُ بِنَفْسِهِ وَيَعْلَمُ أَنَّ الْمَرْءَ غَيْرُ مُحَلَّدٍ

قاتلت قتال أخ أسى، أي ساوى، أخاه بنفسه، ولا يهيم الموت لأن الإنسان في النهاية ميت

فَإِنْ يَكُ عَبْدُ اللَّهِ خَلَّى مَكَانَهُ فَمَا كَانَ وَقَافًا وَلَا طَائِشَ الْيَدِ

لئن مات وترك مكانه فارغاً، فهو لم يكن وقافاً، متردداً، ولا طائش اليد عندما يرمي السهام

كَمِيشُ الْإِزَارِ خَارِجٌ نِصْفُ سَاقِهِ بَعِيدٌ مِنَ الْآفَاتِ طَلَأُ أَنْجَدٍ

كان كميш الإزار، قصير الثوب مشمراً للنجدة، ولم تكن فيه صفات رديئة، وكان يصعد في المرتفعات ساعياً في شؤون قومه

قَلِيلُ التَّشْكِي لِلْمُصِيبَاتِ، حَافِظٌ مِنْ الْيَوْمِ أَعْقَابَ الْأَحَادِيثِ فِي عَدٍ

كان قليل الشكوى، وكان يتكهن بنتائج الأفعال قبل وقوعها

تَرَاهُ خَمِصَ الْبَطْنِ وَالزَّادُ حَاضِرٌ عَتِيدٌ وَيَعْدُو فِي الْقَمِيصِ الْمُقَدَّدِ

يكون خميص البطن، ضامرّه بينما الطعام عتيد، أي موجود، إيثاراً، وكان يلبس قميصاً مقدوداً

وإن مَسَّهُ الْإِقْوَاءُ وَالْجَهْدُ زَادَهُ سَمَاحًا وَإِتْلَافًا لِمَا كَانَ فِي الْيَدِ

وكلما ازداد إقواء، أي فقراً، وشدة في العيش ازداد سماًحاً، أي سخاء، وتبيداً لماله

صَبَا مَا صَبَا حَتَّى عَلَا الشَّيْبُ رَأْسَهُ فَلَمَّا عَلَاهُ قَالَ لِلْبَاطِلِ ابْعِدِ
صبا، أي عاش حياة اللهور، ما صبا، أي مدة صباه وشبابه، ثم شاب رأسه، فأصبح وقوراً وطرد
عن حياته اللهور

وَطَيَّبَ نَفْسِي أَنَّنِي لَمْ أَقُلْ لَهُ كَذَبْتُ وَلَمْ أَبْخَلْ بِمَا مَلَكَتْ يَدِي
الذي طيب نفسي بعد موته أنني لم أكذب في حياته، ولم أبخل عليه

٨٣ الدهر نصفان، كلاهما مخضب بالدم

دريد بن الصمة يرثي قتلى قبيلته، وابن الصمة شاعر جاهلي أدرك الإسلام ولم يسلم:

تَقُولُ أَلَا تَبْكِي أَخَاكَ؟ وَقَدْ أَرَى مَكَانَ الْبُكَاءِ لَكِنْ بُنِيتُ عَلَى الصَّبْرِ
تقول لي العاذلة: لم لا تبكي أخاك القتل؟ وأنا مدرك أن الموقف موقف بكاء، ولكنني صبور
فقلت: أَعْبَدَ اللَّهُ أَبَاكَ أُمِّ الَّذِي لَهُ الْجَدُّ الْأَعْلَى قَتِيلَ أَبِي بَكْرٍ
قلت: أبوكي عبد الله؟ أم صاحب الجدث الأعلى، القبر العالي فوق الهضبة،
الذي قتل في حروب الردة؟

وَعَبْدٌ يَحُوثُ تَحْجُلُ الطَّيْرُ حَوْلَهُ وَعَزَّ الْمُصَابُ حَثُوَ قَبْرِ عَلَى قَبْرِ
أم أبوكي «عبد يغوث» الذي تبخرت الطيور حوله وهو قاتل تريد نهشه، وقد كبر المصاب بحثو
التراب فوق قبر تلو قبر

أَبَى الْقَتْلُ إِلَّا آلَ صِمَّةَ، إِنَّهُمْ أَبَوَا غَيْرَهُ، وَالْقَدْرُ يَجْرِي إِلَى الْقَدْرِ
لا يريد القتل سوى آل صمة، وهم لا يريدون سواه، هذا قدرهم وهم مقدرون لهذا المصير
فَلَمَّا تَرَيْنَا لَا تَزَالُ دِمَاؤُنَا لَدَى وَاتِرٍ يَسْعَى بِهَا آخِرَ الدَّهْرِ...
إن رأيت أن دماءنا هي في رقبة واطر، قاتل، قد أراقها فهو يسعى بها هارباً من العقاب...
فإِنَّا لِلْحُمِّ السِّيفِ غَيْرَ نَكِيرَةٍ وَنُلْحِمُهُ حِينًا وَلَيْسَ بِذِي نُكْرٍ
... فنحن لحم مبذول للسيف ولا ننكر ذلك، وأحياناً نطعم سيوفنا لحوم الأعداء

يُغَارُ عَلَيْنَا وَاتِرِينَ فَيُشْتَقَى بِنَا إِنْ أَصَبْنَا، أَوْ نُغَيِّرُ عَلَى وَتِرٍ
يغير الأعداء علينا ونحن واترون، أي كنا قد قتلنا منهم، ويشفون بنا إن أصابونا، أو أننا نحن
نغير على وتير، لأخذ الثأر

قَسَمْنَا بِذَاكَ الدَّهْرَ شَطْرَيْنِ بَيْنَنَا فَمَا يَنْقُضِي إِلَّا وَنَحْنُ عَلَى شَطْرِ
فالزمن مقسوم نصفين، بين أن نثار ونثاروا منا، فلا ينتهي الزمن إلا ونحن على أحد هذين النصفين

٨٤ الخبر المصمئل

قال ابن اخت تأبط شراً يرثي ويفتخر بأخذ الثار، وذكر أنها لخلف الأحمر في العصر العباسي:

إِنَّ بِالشُّعْبِ الَّذِي دُونَ سَلْعٍ لَقَتِيلاً دَمُهُ مَا يُطْلُ
في الشعب، الطريق، قرب موضع سلع، قتل دمه لا يطل، لا يذهب هدراً

خَلَّفَ الْعَبَّاءَ عَلَيَّ وَوَلَّى أَنَا بِالْعَبِّاءِ لَهُ مُسْتَقِيلٌ
خلف عبء أخذ الثار عليّ ومضى، وأنا مستقل بالعبء، حامل له

وَوَرَاءَ الثَّارِ مِنِّي ابْنُ أُخْتٍ مَصِيعٌ عُقْدَتُهُ مَا تُحَلُّ
ولأخذ الثار يدعمني ابن أخت مصع، شديد، عقدته ما تحل، عزمته لا تتراخي

مُطَرِّقٌ بِرَأْسِهِ لَكِنِّهَ يَرْشَحُ سَمًا أَطْفَ رَقٌّ أَفْعَى بِنَفْثِ السَّمِّ، صِلُ
مطرق برأسه لكنه يرشح سمًا، مثلما تطرق الأفعى وتهدا ولكنها تنفث السم. والصل: الثعبان

خَبَّرَ مَا، نَابِنِي، مُضْمَمِلٌ جَلَّ حَتَّى دَقَّ فِيهِ الْأَجَلُ
ثمة خبر نابنا، أي طرأ علينا، مصمئل، شديد، والخبر هائل حتى صار كل خبر جليل غيره صغيراً

بَزَنِي الدَّهْرُ، وَكَانَ غَشُومًا، بِأَبِي جَارُهُ مَا يُدَلُّ
بزني، أي سلبي، الدهر، وكان الدهر ظلوماً، سلبي رجلاً أيأ شامخاً يحمي من يستجير به فلا
يستطاع إذلال المستجير

شَامِسٌ فِي الْقُرِّ، حَتَّى إِذَا مَا ذَكَتِ الشُّعْرَى فَبَرْدٌ وَظِلُّ
هذا الرجل شامس أيام القر، أي البرد، فكانه في وقت الشتاء الصعب الذي تقل فيه ألبان النوق
واللحوم يكون كالشمس لضيوفه؛ فإذا ذكت الشعري، اشتعل نجم الشعري وجاء الصيف، فهو مثل
البرد والظل لضيوفه يقيهم حر الشمس ويؤويهم

يَابِسُ الْجَنْبَيْنِ مِنْ غَيْرِ بُؤْسٍ وَنَدِي الْكَفَّيْنِ شَهْمٌ مُدِلُّ
جنباه يابسان، أي أنه نحيل، ولكن ذلك ليس لفقر بل لأنه يطعم الناس قليلاً ما يأكل، وكفاه
نديان، أي أنه سخي، وشهم مدل، أي أنه ذو دالة على قومه يسمعون كلمته

ظَاعِنٌ بِالْحَزْمِ حَتَّى إِذَا مَا حَلَّ حَلَّ الْحَزْمِ حَيْثُ يَحُلُّ
ظاعن، راحل، ويصحبه الحزم والتصميم، وإذا حل بمكان فكانما يحل التصميم في ذلك المكان معه

عَيْثُ مُزْنٍ غَامِرٌ حَيْثُ يُجْدِي وَإِذَا يَسْطُو فَلَيْتَ أَبْلُ
هو مطر من السحاب يغمر الأرض في المكان الذي يجديه، يهطل عليه، وإن سطا وغضب فهو
كالأسد الأبل، الذي لا يبالي العواقب

مُسْبِلٌ فِي الْحَيِّ أَخَوَى رِقْلٌ وَإِذَا يَغْزُو فَمِمْسَعٌ أَزَلٌ
يسبل رداءه، ويعيش عيشة هنيئة، في قومه، وهو أخوى، أسمر، ورفل، يرفل في النعمة، وأما إذا
غزا قوماً فهو سمع أزل، ذئب نحيل

وَلَهُ طَعْمَانٍ أَرْيٍّ وَشَرِيٍّ وَكِلا الطَّعْمَيْنِ قَدْ ذَاقَ كُلُّ
له طعمان: أري، أي عل، وشري، أي حنظل. وهو يذيق الناس كلا الطعمين، فللضيف
الإكرام، وللعُدو مرارة الحنظل

يَرْكَبُ الْهَوَلَ وَحِيداً، وَلَا يَضُفُ حَبُّهُ إِلَّا الْيَمَانِي الْأَقْلُ
يركب الأهوال وحده ولا يصحبه سوى السيف اليماني المثلّم لكثرة ما ضرب به الأعداء

وُقُتُوْهُ هَجَرُوا ثُمَّ أَسْرَوْا لَيْلَهُمْ، حَتَّى إِذَا انْجَابَ حُلُوْا
رب فتو، فتية، هجروا، ساروا في الشمس، ثم أسروا، ساروا في الليل، ثم لما مضى الليل حلوا، نزلوا
كُلُّ مَاضٍ قَدْ تَرَدَّى بِمَاضٍ كَسْنَا الْبَرْقِ إِذَا مَا يُسَلُّ
كل رجل ماض، حاذّ نحيل، منهم قد تردّى بماض، قد لبس سيفاً، مثل سنا، أي ضوء، البرق
عندما يُسل

فَادْرَكْنَا الثَّأْرَ مِنْهُمْ وَلَمَّا يَنْجُ مِلْحَيَيْنِ إِلَّا الْأَقْلُ
أدركنا ثأرنا منهم، ولم ينج ملحيين، أي من العشيرتين إلا عدد قليل

فَاخْتَسَوْا أَنْفَاسَ نَوْمٍ فَلَمَّا هَوُّوْا رُعْتُهُمْ فَاشْمَعَلُوا
ذاق الفتية بعد الفراغ من مهمتهم بعض النوم، فلما هوموا، ارتخت هاماتهم على صدورهم نوماً،
رعتهم، فاجأتهم بإيقاظهم، فاشمعلوا، أسرعوا

صَلِيَتْ مِنِّْي هُذَيْلٌ بِخَرْقٍ لَا يَمَلُّ الشَّرَّ حَتَّى يَمَلُّوا
قبيلة هذيل صليت، اكتوت، بخرق، شجاع، هو أنا، وهذا الشجاع لا يمل من الشر حتى يمل
الأعداء ويكفوا عن عدوانهم

يُنْهَلُ الصَّعْدَةَ حَتَّى إِذَا مَا نَهَلْتُ كَانَ لَهَا مِنْهُ عُلٌّ
يسقي الصعدة، الرمح، فإذا شربت من دم العدو، كان لها منه عل، والعلُّ هو السقي مرة ثانية

٨٥ إخوان الصفاء

أبو الجبال البراء بن ربيعة الفُقْعَمِي:

أُولَئِكَ إِخْوَانُ الصَّفَاءِ رُزِيَتْهُمْ وَمَا الْكَفُّ إِلَّا إِصْبَعٌ ثُمَّ إِصْبَعٌ
رزئت صحبي الأصفياء وفقدتهم واحداً واحداً، شأن الكف تفقد إصبعاً بعد إصبع، وما الكف
سوى تلك الأصابع

٨٦ الممدوح المرثي

اشجع السلمي، وهو عباسي:

مضى ابن سعيد حين لم يبق مشرق ولا مغرب إلا له فيه ماديح
رحل ابن سعيد في وقت لم يبق فيه مكان في شرق ولا في غرب إلا وفيه من يمدحه

وما كنت أدري ما قواضيل كفه على الناس حتى غيبتهُ الصَّفائحُ
ما عرفت فضل كفه وكرمه إلا بعد أن غاب تحت الصفائح، حجارة القبر المبسطة

فأصبح في لحدٍ من الأرض ميتاً وكانت به حياً تضيقُ الصَّحاصحُ
أصبح في قبر بعد أن كان في حياته يملأ الصحاصح، الفياقي بذكره الحسن

سأبكيك ما فاضت دموعي فإن تغض فحسبك مني ما تجن الجوانحُ
سأبكيك ما دام لي دمع بجري، فإن غاض دمي، نضب، فيكفك مني ما تجن، تخفي،
جواني، ضلوعي، من حزن

وما أنا من رزء، وإن جلّ، جازع ولا يسرور بعد موتك فارح
لن اضطرب لرزء، مصاب، حتى وإن كان جليلاً كبيراً، ولن أفرح لشيء بعد موتك

كأن لم يمت حي سواك ولم تقم على أحد إلا عليك النوائح
كأنه لم يمت أحد غيرك، ولا ناحت النوائح على أحد قبلك، فالحزن عليك كان فريداً في شدة

لئن حسنت فيك المرثي وذكروها لقد حسنت من قبل فيك المدايحُ
جميلة هي قصائد الرثاء فيك، وقبلها كانت جميلة قصائد المدح

٨٧ لا حيلة في الموت

يحيى بن زياد الحارثي:

نعي ناعياً عمرو بليل فأسمعا قراعاً فؤاداً لا يزال مروعاً
نعي الناعيان عمراً فافزعا قلباً ظل بعد ذلك فزعاً لموته

وما ديس الثوب الذي رددوكه وإن خانهُ ربُّ البلى فتقطعا
لم يتسخ الكفن الذي لفوك به لأن ذكرك حسن، حتى وإن بلي الكفن وتقطع تحت التراب

دفعنا بك الأيام حتى إذا أتت تريدك لم تسطع لها عنك مدفعاً
حميناك من مصائب الأيام، فلما جاءت تريدك لتأخذك للموت لم نستطع دفعها

٨٨ سَابِكِك

لِنَعْمَ الْفَتَى أَضْحَى بِأَكْنَفِ حَائِلٍ عَدَاةَ الْوَعَى أَكَلَ الرُّدَيْنِيَّةِ السُّمْرِ
نعم الفتى الذي أضحى في جانب حائل صبيحة المعركة أكل الردينية السمر، أي فريسة للرماح
السمر

سَابِكِكْ لَا مُسْتَبْقِيَا فَيَضَ عَبْرَةً وَلَا طَالِبَا بِالصَّبْرِ عَاقِبَةً الصَّبْرِ
سَابِكِكْ وَلَنْ أَبْقِي دَمْعَةً، وَلَنْ أَكْفَ عَنْ الْبُكَاءِ . . . غير مهتم بنيل عاقبة الصبر، أي الثواب على الصبر

٨٩ بيوت تخرب وقبور تعمر

عبد الله بن ثعلبة الحنفي:

لِكُلِّ أَنَاسٍ مَقْبَرٌ بِفَنَائِهِمْ فَهُمْ يَنْقُصُونَ وَالْقُبُورُ تَزِيدُ
لكل قوم مدفن بساحتهم، هم ينقصون والقبور تزيد

وَمَا إِنْ يَزَالُ رَسْمُ دَارٍ قَدْ اخْلَقَتْ وَبَيْتٌ لِمَيِّتٍ بِالْفَنَاءِ جَدِيدُ
وباستمرار يظل ثمة ظلل لدار قد اخلقت، تهدمت، ويشأ بيت في الفناء، أي الساحة، جديد يحل
به ميت

هُمْ جِيرَةُ الْأَحْيَاءِ، أَمَّا جَوَارُهُمْ فَدَانٍ، وَأَمَّا الْمُلتَقَى فَبَعِيدُ
الموتى جيراننا، قرييون منا وملتقانا بهم بعيد

٩٠ ذَاهِبٌ لَا يَعُودُ

لَا يُبْعِدُ اللَّهُ إِخْوَانًا لَنَا ذَهَبُوا أَفْنَاهُمْ حَدَثَانُ الدَّهْرِ وَالْأَبْدُ
لا يبعد الله موتانا الذين أفتتهم مصائب الزمن والأبد، الزمن نفسه. لا يبعد: دعاء للميت بأن تظل
ذكراه قريبة

نُمِدُّهُمْ كُلَّ يَوْمٍ مِنْ بَقِيَّتِنَا وَلَا يَوُوبُ إِلَيْنَا مِنْهُمْ أَحَدُ
نعزز جيش الموتى كل يوم بأفراد من بقيتنا، ولا يعود من يموت

٩١ ما على الدهر معتب

الغَطَمَشُ الضَّيِّي:

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو، لَا إِلَى النَّاسِ، أَنَّنِي أَرَى الْأَرْضَ تَبْقَى وَالْأَخِلَاءَ تَذْهَبُ
الأرض تبقى والأحباب يذمبون

أَخْلَايَ لَوْ غَيْرُ الْحِمَامِ أَصَابَكُمْ عَتَبْتُ، وَلَكِنْ مَا عَلَى الدَّهْرِ مَعْتَبُ
يَا أَحِبَّائِي لَوْ أَنَّ الَّذِي أَصَابَكُمْ كَانَ شَخْصاً لَكُنْتُ عَتَبْتُ عَلَيْهِ، وَلَكِنْ... لَا عَتَبَ عَلَى الدَّهْرِ

٩٢ بكاء ولا صبر

إِذَا مَا دَعَوْتُ الصَّبْرَ بَعْدَكَ وَالْبُكَاءَ أَجَابَ الْبُكَاءُ طَوْعاً وَلَمْ يُجِبِ الصَّبْرُ
البكاء يلبي دعوتي، والصبر لا يأتيني
فَإِنْ يَنْقَطِعْ مِنْكَ الرَّجَاءُ، فَإِنَّهُ سَيَنْقُضُ عَلَيْكَ الْحُزْنَ مَا بَقِيَ الدَّهْرُ
لا رجاء في عودتك، والحزن عليك خالد

٩٣ فحملتها

مَوْلَاكَ الْمَزْمُومِ يَرْثِي امْرَأَتَهُ أُمَ الْعَلَاءِ:
أَمُرُّ عَلَى الْجَدَثِ الَّذِي حَلَّتْ بِهِ أُمُّ الْعَلَاءِ فَحَبَّيْهَا لَوْ تَسْمَعُ
الجدث: القبر
أَنْتَى حَلَلْتِ وَكُنْتِ جِدَّ فَرُوقَةَ بَلَدًا يَمُرُّ بِهِ الشُّجَاعُ فَيَفْرَعُ؟
كيف نزلت وأنت جد فروقة، خوافة جداً، بلداً يفزع منه الرجل الشجاع، وهو المقبرة؟
صَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ مِنْ مَفْقُودَةٍ إِذْ لَا يُلَاثِمُكَ الْمَكَانُ الْبَلْقُعُ
صلى عليك الله، رحمك، فلا يلائمك المكان البلقع، الخالي المقفر
وَلَقَدْ تَرَكْتِ صَغِيرَةً مَرْحُومَةً لَمْ تَذِرْ مَا جَزَعُ عَلَيْكَ فَتَجَزَعُ
تركت ابنة صغيرة مرحومة، محزون عليها، وهي لا تعرف بعد معنى الجزع
فَقَدَّتْ شَمَائِلَ مِنْ لِزَامِكَ حُلُوةً فَتَبَيَّتْ تُسْهِرُ أَهْلَهَا وَتُفْجِعُ
لكنها فقدت شمائل، مزاياء، من قبيل لزامك، ضحك لها... لذا تبئت باكية تجعل أهلها يسهرون
وهي تشعرهم بفجيعة الفقد

فَإِذَا سَمِعْتُ أَنْبَاهَا فِي لَيْلِهَا طَفِقْتُ عَلَيْكَ شَوْوُنَ عَيْنِي تَدْمَعُ
شؤون العين: مجاري الدمع

وَلَقَلَّمَا لَبِثْتُ خِلَافَكَ أَنْ رَأْتُ مَلَكاً دَعَا وَدُعَاؤُهُ يُتَوَقَّعُ
وبعد موتك بقليل لم تلبث أن رأيت رات ملكاً من الملائكة يدعوها،
ودعوة هذا الملك متوقعة لكل إنسان

فَحَمَلْتُهَا وَحَفَرْتُ عِنْدَكَ قَبْرَهَا جَزَعاً وَكُنْتُ إِخْأَلْنِي لَا أَجْزُعُ

فدفنتها قبرك، وجزعت واضطربت

٩٤ لِيَمُتْ مِنْ شَاءَ بَعْدَكَ !

قال الشاعر يرثي رجلاً اسمه جارية :

«أَجَارِي» مَا أَزْدَادُ إِلَّا صَبَابَةً إِلَيْكَ وَمَا تَزْدَادُ إِلَّا تَنَائِيَا

أزداد شوقاً إليك، وأنت تزداد ابتعاداً

«أَجَارِي» لَوْ نَفْسٌ فَدَتْ نَفْسَ مَيِّتٍ فَدَيْتُكَ مَسْرُوراً بِنَفْسِي وَمَالِيَا

ليت كان ممكناً أن أموت بدلاً منك، وإني لمسرور بذلك

وَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ أَمْلَأَكَ حِقْبَةً فَحَالَ قَضَاءُ اللَّهِ دُونَ رَجَائِيَا
كنت أرجو أن أملك، أن أمتنع برويتك، بعض الوقت، ولكن قضاء الله حال دون رجائي

أَلَا لِيَمُتْ مَنْ شَاءَ بَعْدَكَ إِنَّمَا عَلَيْكَ مِنَ الْأَقْدَارِ كَانَ حِذَارِيَا

فليمت بعدك من شاء أن يموت، فقد كنت خائفاً حذراً عليك وحدك من يد القدر

٩٥ بلا ظل رجل

فاطمة بنت الأخجَم الخُزَاعِيَّة :

يَا عَيْنُ بَكِّي عِنْدَ كُلِّ صَبَاحٍ جُودِي بِأَرْبَعَةٍ عَلَى الْجِرَاحِ

ابكي يا عيني كل صباح وكوني سخية بالدمع من المآقي الأربعة، أطراف العينين كلتيهما،
على الجراح

قَدْ كُنْتُ لِي جَبَلاً أَلُوذُ بِظِلِّهِ فَتَرَكْتَنِي أَضْحَى بِأَجْرَدِ ضَاحٍ

كنت جبلاً ألبأ إلى ظله، كناية عن الاحتماء به، فتركتني أضحى، أي أصبح ضاحية أي مكشوفة
للشمس، بأجرد ضاح، في مكان أجرد ضاح، أي مكشوف للشمس

قَدْ كُنْتُ ذَاتَ حَمِيَّةٍ مَا عِشْتَ لِي أَمْشِي الْبَرَّازَ وَكُنْتَ أَنْتَ جَنَاحِي

كنت ذات عزة وأنت حي، أمشي بارزة للناس لا أخشى أحداً، وكنت أنت جناحي الذي به أطيّر

فَالْيَوْمَ أَخْضَعُ لِلذَّلِيلِ وَأَتَّقِي مِنْهُ، وَأَذْفَعُ ظَالِمِي بِالرَّاحِ

بالراح: باليد. كأنها تتخيل وقد أحاط بها الطامعون فهي تدفعهم بيدها دفعاً لتبعدهم.. حتى لو
كانوا من الأذلاء

وَأَغْضُ مِنْ بَصْرِي، وَأَعْلَمَ أَنَّي قَدْ بَانَ حَدُّ فَوَارِسِي وَرِمَاحِي
أغض بصري دفعاً للطامعين عارفة بأنه قد بان، فارق، حد سيوف ورماح فرساني

٩٦ السُّلَكَةُ تَرْتِي ابْنَهَا

السُّلَكَةُ تَرْتِي ابْنَهَا السُّلَيْكَ، وَيَقَالُ إِنَّهَا لَأَمْ تَأْبِطُ شَرًّا:

طَافَ يَبْغِي نَجْوَةً مِنْ هَلَاكِ، فَهَلَاكَ
طاف يطلب رزقاً يتجبه من الموت جوعاً فهلك قتلاً

لَيْتَ شِعْرِي ضَلَّهَ أَيُّ شَيْءٍ قَتَلَكَ
ضلة: هذه كلمة يحشرها القدماء في أكثر من موضع، وهي مثل قوله الناس اليوم: «كشل»، و«يا خرابي» و«يا للأسف» و«عزا» و«يا للخسارة» و«حسافة»

أَمْرِيضٌ لَمْ تُعَدِّ أَمْ عَدُوٌّ خَتَلَكَ
ختلك: خدعك فنالكَ، والختل للصيد

أَمْ تَوَلَّى بِكَ مَا غَالَ فِي الدَّهْرِ «السُّلُوكُ»
أم أنك مت ميتة عادية كما مات في الدهر الغابر أبناء قومك «السلك»

وَالْمَنَّا يَا رَصَدُ أَيُّ شَيْءٍ حَسَنٍ
لِلْفَتَى حَيْثُ سَلَكَ لِفَتَى لَمْ يَكْ لَكَ
حِينَ تَلْقَى أَجَلَكَ كَلُّ شَيْءٍ قَاتِلُ
غَيْرِ كَدِّ أَمْلَكَ طَالَمَا قَدْ نِلْتَ فِي
عَنْ جَوَابِي شَقْلَكَ إِنْ أَمَرًا فَاذْهَبْ
لَمْ تُجِبْ مَنْ سَأَلَكَ سَأَعَزِّي النَّفْسَ إِذْ
صَبْرُهُ عَنْكَ مَلَكَ لَيْتَ قَلْبِي سَاعَةً

ليت قلبي يملك الصبر عن فقدك

لَيْتَ نَفْسِي قُدِّمَتْ لِلْمَنَّا يَا بَدَلَكَ

٩٧ المضيف العذَّور

الْعَجِيرُ السُّلُولِي:

فَتَى قَدْ قَدَّ السِّيفُ لَا مُتَضَائِلٌ وَلَا رَهْلٌ لَبَّائُهُ وَأَبَاجِلُهُ
فتى له قد كقد السيف، ليس ضئيل الجسم ولا مترهلاً في لبائه، في صدره، وأباجله، عروق فخذه

إِذَا جَدَّ عِنْدَ الْجِدِّ أَرْضَاكَ جِدُّهُ وَدُو بَاطِلٍ إِنْ شِئْتَ أَلْهَاكَ بَاطِلُهُ

كان جاداً ولاهياً، ولكل منهما وقته

يُسْرُكَ مَظْلُومًا، وَيُرْضِيكَ ظَالِمًا وَكُلُّ الَّذِي حَمَلْتَهُ فَهُوَ حَامِلُهُ

إذا كنت مظلوماً أخذ بحقك، وإذا كنت ظالماً أعانك وأرضاك ويحمل عنك ما تريده أن يحمله من ديات مثلاً

إِذَا نَزَلَ الْأَضْيَافُ كَانَ عَذُورًا عَلَى الْحَيِّ حَتَّى تَسْتَقِلَّ مَرَاجِلُهُ

إذا جاءه الأضياف كان عذوراً على الحي، أي غضوباً على أهله، حتى تستقل المراحل، أي ترفع القدور على النار

٩٨ الجامع الصادع

أَبُو الْحَجَنَاءِ مَوْلَى بَنِي أَسَدٍ:

أَعَاذِلُ مَنْ يُرْزَأُ كَحَجَنَاءٍ لَا يَزَلُ كَثِيبًا وَيَزْهَدُ بَعْدَهُ فِي الْعَوَاقِبِ

يا عاذلي من يرزأ، يُصَبِّ، بشاب كحجناء يظل كثيباً، ويصبح قليل الاهتمام بالعواقب، بما سيأتي

حَبِيبٌ إِلَى الْفَتَيَانِ صُحْبَةٌ مِثْلِهِ إِذَا شَانَ أَصْحَابَ الرِّجَالِ الْحَقَائِبُ

يحب الفتیان صحبته، بينما أصحاب الرجال من غيره تشبههم حقائبهم، تعيهم حقائبهم التي فيها أشياء ولا يمنحون منها لأصحابهم. والحقبة هي كيس يوضع على حقو الجمل وفيه الثياب والطرائف

نِظَامُ أَنَاسٍ كَانَ يَجْمَعُ شَمْلَهُمْ وَيَصْدَعُ عَنْهُمْ عَادِيَاتِ النُّوَابِ

كان الفقيد الناطم لقومه يجمع شملهم ويصدع عنهم، أي يفرق عنهم، المصائب التي تعدو عليهم

وَجَرَّبْتُ مَا جَرَّبْتُ مِنْهُ فَسَرَّنِي وَلَا يَكْشِفُ الْفَتَيَانُ غَيْرُ التَّجَارِبِ

٩٩ رثاء الدكتاتور

مُهْلِلُ يَرْثِي أَخَاهُ كَلِيًّا:

نُبِّئْتُ أَنَّ النَّارَ بَعْدَكَ أَوْقَدْتُ وَاسْتَبَّ بَعْدَكَ يَا كُلَيْبُ الْمَجْلِسُ

خبروني أن النار التي كنت وحدك من يوقدها لاستقبال الأضياف، قد أوقدت بعد موتك، وخبروني أن القوم في مجلسهم بدأوا يشاتمون، وما كانوا ليجرؤوا على ذلك في مجلسك

وَتَكَلَّمُوا فِي أَمْرِ كُلِّ عَظِيمَةٍ لَوْ كُنْتَ شَاهِدَهُمْ بِهَا لَمْ يَنْبِسُوا

صاروا يتبادلون القول في عظامم الأمور ولم يكونوا يتكلمون في حياتك

١٠٠ ثبات حتى الممات

أم الصريح الكندية:

أَبَوْا أَنْ يَفِرُّوا وَالْقَنَا فِي نُحُورِهِمْ وَأَنْ يَرْتَفُوا مِنْ خَشْيَةِ الْمَوْتِ سُلَّماً
رفضوا الفرار والرماح في نحورهم، في أعالي صدورهم، ورفضوا أن يصعدوا بسلم هرباً من
الموت، كناية عن الفرار. لعل العربي القديم كان يصعد شجرة فراراً من ذنب أو ضبع
فلو أنَّهُمْ فَرُّوا لَكَانُوا أَعِزَّةً وَلَكِنْ رَأَوْا صَبْرًا عَلَى الْمَوْتِ أَكْرَمًا
لو فروا لظلوا كراماً، ولكنهم رأوا أن الصبر على الموت أكرم لهم

١٠١ كنت السمع والبصر

صَفِيَّةُ الْبَاهِلِيَّةِ تَرثِي زَوْجَهَا:

كُنَّا كَغُصْنَيْنِ فِي جُرْثُومَةٍ سَمَقًا حِينَ بَاحْسَنِ مَا يَسْمُو لَهُ الشَّجَرُ
كنا غصنين في جرثومة، أصل النبتة، سقما، ارتفعنا زمناً فكانا كأحسن ما يكون الشجر
حتى إِذَا قِيلَ قَدْ طَالَتْ فُرُوعُهُمَا وَطَابَ قِيَاهُمَا وَاسْتُنْظِرَ الثَّمَرُ..
فلما طالت فروعهما وأصبح لهما فيء طيب، أي ظل طيب، وانتظر الناس الثمر..
أَخْنَى عَلَى وَاحِدِي رَبِّبُ الزَّمَانِ، وَمَا يُبْقِي الزَّمَانُ عَلَى شَيْءٍ وَلَا يَذَرُ
أخنى، أي جار، على واحد، نصيري الأوحده، الزمن الذي لا يبقى على شيء
كُنَّا كَأَنْجُمٍ لَبِلَ بَيْنَهَا قَمَرٌ يَجْلُو الدُّجَى فَهَوَى مِنْ بَيْنِنَا الْقَمَرُ
فَاذْهَبَ حَمِيداً عَلَى مَا كَانَ مِنْ مَضْضٍ فَقَدْ ذَهَبَتْ وَأَنْتَ السَّمْعُ وَالْبَصَرُ
اذهب محموداً رغم ما سببه رحيلك من مضض، ألم

١٠٢ الجدير بالثناء

عبد الله بن أيوب التميمي، الشاعر العباسي يرثي منصور بن زياد، ورويت
لمسلم بن الوليد وقبلها بيت، وتجده في كتابنا عن الشعر في مطلع العصر
العباسي، وهو كتاب فرغنا من معظمه، فإن طبع هذا فأخلق بذاك أن يجد طريقه
إلى المطبعة:

عَمَّتْ قَوَاضِيْلُهُ فَعَمَّ مُصَابُهُ فَاَلنَّاسُ فِيهِ كُلُّهُمْ مَأْجُورُ
عم فضله فعم الحزن عليه، فلكل الناس أجر عند الله لصبرهم على المصيبة فيه

يُثْنِي عَلَيْكَ لِسَانٌ مَنْ لَمْ تُؤْلِهِ خَيْراً لَأَنَّكَ بِالثَّنَاءِ جَدِيرٌ

بثني عليك لسان من لم توله خيراً، لم تمنحه من خيرك، فقط لأنك تستحق الثناء

رَدَّتْ صَنَائِعُهُ إِلَيْهِ حَيَاتُهُ فَكَأَنَّهُ مِنْ نَشْرِهَا مَنْشُورٌ

صنائع الفقيد، أفعاله الحسنة، جعلته يحيا بعد موت، فكأنه من نشرها، من طيب عبيرها، منشور، مبعوث بعد موت

وَالنَّاسُ مَاتَمُّهُمْ عَلَيْهِ وَاحِدٌ فِي كُلِّ دَارٍ رَتْةٌ وَزَفِيرٌ

الرتة: العويل، والزفير: أخو الشهيق

عَجَباً لَأَرْبَعٍ أَذْرُعٍ فِي خَمْسَةٍ فِي جَوْفِهَا جَبَلٌ أَشَمُّ كَبِيرٌ

عجباً للقبر بمقاييسه وفي داخله جبل عال كبير. (دعاني مصححي الشاعر عمران الفيني إلى قراءة قصيدة المتنبي «ما كنت أحسب قبل دفنك في الثرى» كي أقارنها بهذه القصيدة.. وأنا ذاهب لأفعل. وتعليقي الآن - وقد رجعت - أن «المعاني» في الشعر نغدت بسرعة، ربما نقول بسرعة صاروخية عندما نعلم أن عنترة في قلب الجاهلية اشتكى من نفادها، ومن أن الشعراء لم يتركوا شيئاً إلا قالوه. وجاء المتنبي بعد عنترة بأربعمئة سنة وراح يغلف معاني القدماء بأغلفة جديدة. هذا عن المعاني، فأما الروح الكامن في جوف المعنى فلا نفاد له. أسرف القدماء في تعقب المعاني وصنع سلاسل من الأنساب لها. لكنهم هونوا الأمر علينا عندما قالوا إن الشاعر الذي يأخذ المعنى ويضعه في ثوب أجمل وأكمل فهو أحق به. ونضيف إلى قولهم أن من وضع المعنى في ثوب مختلف، أكان أجمل وأكمل أم لم يكن، فهو أحق ببيته وبالروح الكامن في بيته.. ولا بأس بعد ذلك أن نغمزه غمزة نقدية ونقول له: يا سارق! ألا ترى ابن زريق البغدادي يقول «ودعته وبودي لو يودعني/ صفو الحياة وأني لا أودعه» فإذا به يكرر ما قالته أم زهير رحمها الله - هي جارتنا في نابلس بفلسطين، وهي شامية المولد - «تقبرني»؟ أو ما قالته الأخرى - جارة لنا أخرى - «جعل يومي قبل يومك! لكن ابن زريق جعل بيته وسط أبيات بديعة تعبر عن نفسيته فكان بيتاً بديعاً. وأم زهير قالت لحفيدها «تقبرني» مع أن الكلمة قديمة، وجاءت كلمتها حلوة وصادقة لأنها فعلاً ترجو له اكتمال العمر وترجو أن يقبرها.. وقد فعل

١٠٣ ما كان ضحكك؟

قَتِيلَةُ بِنْتِ النَّضَرِ بْنِ الْحَارِثِ، وَهِيَ مِنْ أَقَارِبِ النَّبِيِّ، وَقَدْ قَتَلَ النَّبِيُّ أَبَاهَا، وَقَالَتْ تَرْتِيهِ بِالْقَصِيدَةِ. وَعِنْدَمَا سَمِعَ النَّبِيُّ رِثَاءَهَا بَكَى وَقَالَ: لَوْ جِئْتَنِي مِنْ قَبْلِ لَفُوتِ عَنْهُ:

يَا رَاكِباً إِنَّ «الْأَيْلَ» مَظْنَةٌ مِنْ صُبْحِ خَامِسَةٍ، وَأَنْتَ مُوَفَّقٌ

أيها الراكب إن الأيل مظنة من صبح خامسة، أي أن الأيل مكان تبلغه صباح الليلة الخامسة من سيرك، وأرجو لك التوفيق في تبلغ رسالتي

بَلَّغَ بِهَا مَيِّتًا فَإِنَّ تَحِيَّةَ مَا إِنْ تَزَالَ بِهَا الرِّكَائِبُ تَخْفِقُ

بلغ الميت المدفون هناك تحية ظلت الإبل تخفق، تسير، وهي تحملها

مِنِّي إِلَيْهِ وَعَبْرَةٌ مَسْفُوحَةٌ جَادَتْ لِمَائِحِهَا، وَأُخْرَى تَخْنُقُ

بلغ رسالة مني إليه ودعة سائلة جادت لمائحها، كانت سخية لطالها،

ودعة أخرى تخفني ولما تنزل

فَلْيَسْمَعَنَّ النَّضْرُ إِنْ نَادَيْتُهُ إِنْ كَانَ يَسْمَعُ مَيِّتٌ أَوْ يَنْطِقُ

فليسمع أخي «النضر» رسالتي إن كان الميت يسمع

ظَلَّتْ سِيُوفُ بَنِي أَبِيهِ تَنْوِشُهُ لَلَّهِ أَرْحَامُ هُنَاكَ تَشَقُّقُ

ظلت سيوف قومه تتناولوه، لله، يا للعجب، كيف يتم تمزيق أواصر القربى

أُمَحَمَّدٌ وَلَأَنْتَ ضِنْءٌ كَرِيمَةٌ مِنْ قَوْمِهَا وَالْفَحْلُ فَحْلٌ مُعْرِقُ

يا محمدا! وأنت ضنء، ابن، أم كريمة من نساء قومها، والأب معرق، قديم في الشرف والنسب

مَا كَانَ ضَرْكَ لَوْ مَنَنْتَ وَرَبَّمَا مَنَّ الْفَتَى وَهُوَ الْمَغِيْظُ الْمُخْنَقُ

ما كان ضرك لو مننت، عفوت، وقد يغفو المرء وهو حائق

وَالنَّضْرُ أَقْرَبُ مَنْ أَصَبَتْ وَسِيلَةٌ وَأَحَقُّهُمْ إِنْ كَانَ عِنْتُ يُعْتَقُ

والنضر هو أقرب من أصبت، أقرب الأسرى الذين نلتهم، وسيلة، قرابة، وأحقهم بأن يخلى سبيله

١٠٤ كامل الأوصاف

النابعة الجعدي:

فَتَى كَانَ فِيهِ مَا يَسُرُّ صَدِيقَهُ عَلَى أَنَّ فِيهِ مَا يَسُوءُ الْأَعَادِيَا

فَتَى كَمَلْتُ خَيْرَاتِهِ، غَيْرَ أَنَّهُ جَوَادٌ فَمَا يُبْقِي مِنَ الْمَالِ بَاقِيَا

١٠٥ الضار النافع

قالت امرأة من كِنْدَةَ:

لَا تُخْبِرُوا النَّاسَ إِلَّا أَنَّ سَيِّدَكُمْ أَسْلَمْتُمُوهُ وَلَوْ قَاتَلْتُمْ امْتَنَعَا

اعترفوا للجميع بأنكم أسلمتم سيدكم وتخليتم عنه، ولو قاتلتم دونه لامتنع، كان منيعاً لا يناله العدو

أَنْعَى فَتَى لَمْ تَذَرِ الشَّمْسُ طَالِعَةً يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ إِلَّا ضَرَّ أَوْ نَفَعَا

كان رجلاً ينفع الصديق ويضر العدو كلما ذرت الشمس، أي طلعت، أي في كل يوم من أيام حياته

١٠٦ المتجشم

رُقِيَّةُ الْجَزْمِيِّ مِنْ طِيءٍ:

أَقُولُ، وَفِي الْأَكْفَانِ أَبْيَضُ مَا جَدُّ كَغَضَنِ الْأَرَاكِ وَجْهُهُ حِينَ وَسَمًا:

أقول وقد أدرج في كفه رجل أبيض ماجد، سيد شريف، وجهه كفصن شجر الأراك الذكي حين
وسم، أي ظهر

أَحَقًّا عِبَادَ اللَّهِ أَنْ لَسْتُ رَائِيًّا رِفَاعَةً بَعْدَ الْيَوْمِ إِلَّا تَوَهُمَا؟

هل صحيح أنني لن أراه بعد اليوم إلا في خيالي؟

فَأَقْسِمُ مَا جَشَّمْتُهُ مِنْ مُلِمَّةٍ تَوُودُ كِرَامَ الْقَوْمِ إِلَّا نَجَشَّمَا

ما كنت حملته من ملمة، مهمة، تؤود الكرام، تنقل كاهل الأشراف، إلا حملها

وَلَا قُلْتُ مَهْلًا وَهُوَ غَضْبَانٌ قَدْ غَلَا مِنْ الْغَبِظِ وَسَطَ الْقَوْمِ إِلَّا تَبَسَّمَا

ولا استوقفته وهو غضبان يغلي من الغيظ إلا خرج عن غضبه وتبسم

١٠٧ لماذا نحن؟

عَقِيلُ بْنُ عُلْفَةَ الْمَرِي:

لِتَغْدُ الْمَنَايَا حَيْثُ شَاءَتْ، فَإِنَّهَا مُحَلَّلَةٌ بَعْدَ الْفَتَى ابْنِ عَقِيلٍ

لتغد المنايا، لتأت المنايا صباحاً إلى أي مكان تريد فهذا حلال لها بعد أن مات ابن عقيل

كَأَنَّ الْمَنَايَا تَبْتَغِي فِي خِيَارِنَا لَهَا تِرَةً أَوْ تَهْتَدِي بِدَلِيلٍ

كأن الموت يطلب عند أفضل رجالنا ترة، تاراً،

أو كأن الموت يهتدي إلى هؤلاء الرجال بدليل

١٠٨ كلنا لها

فِي بَعْضِ تَطَوَّافٍ «ابْنِ طُغْ» أَمِنَّا لَا قَى حِمَامَةٍ

التطواف: التجوال، الحمام: الموت

رَصْدًا لَهُ مِنْ خَلْفِهِ يَغْتَرُّهُ لَا بَلْ أَمَامَهُ

كان الموت يرصده من خلفه ليغتره، ليفاجئه، لا بل من أمامه

غُرَّامَرُؤُ مَنَنْتُهُ نَفْسٌ أَنْ تَدُومَ لَهُ السَّلَامَةُ

١٠٩ ثكل على كبر

عِكْرَشة أبو الشَّغْب يرثي ابنه شغباً:

قد كان «شَغْب» لو أنّ اللهَ عَمَرَهُ عِزّاً تُزَادُ بِهِ فِي عِزِّهَا مُضَرُّ
لو عُمِّرَ شَغْب لَزَادَ فِي عِزِّ قِبَائِلِ مُضَرِّ

فَارْقُتْ شَغْباً وَقَدْ قَوَّسْتُ مِنْ كِبَرٍ لَبِثْتَ الْخَلَّتَانِ الثُّكُلُ وَالْكِبَرُ
الخلتان: الخصلتان

١١٠ الله يرحمك وكفى

قال رجل من بني أسد يرثي أخاً له:

لو كان يُنْجِي مِنَ الرَّدَى حَدَرٌ نَجَّاكَ مِمَّا أَصَابَكَ الْحَدَرُ
يَرْحَمُكَ اللَّهُ مِنْ أَخِي ثِقَةٍ لَمْ يَكْ فِي صَفْوٍ وَدُوْهُ كَبَدَرُ

١١١ انقطاع الأنين

أبو عمارٍ الأسدي يرثي ابناً له اسمه معين:

ظَلِلْتُ «بِخُسْرِ سَابُورٍ» مُقْبِماً بِوَرَقْنِي أَنْبِئُكَ يَا مَعِينُ
وَنَامُوا عَنْكَ، وَاسْتَيْقَظْتُ حَتَّى دَعَاكَ الْمَوْتُ، وَانْقَطَعَ الْأَنِينُ

١١٢ المشاطرة

قال الشاعر يرثي ابناً له ثانياً:

وَقَاسَمَنِي دَهْرِي بِنِيٍّ مُشَاطِراً فَلَمَّا تَقَضَّى شَطْرُهُ عَادَ فِي شَطْرِي
قَاسَمَنِي زَمَنِي أَبْنَائِي بِالنِّصْفِ، أَيَّ أَمَاتِ نَصْفِهِمْ، فَلَمَّا أَخَذَ نِصْفَهُ، عَادَ لِيَأْخُذَ نِصْفِي، فَمَاتُوا
جَمِيعاً. وهما ولدان على كل حال

أَلَا لَيْتَ أُمِّي لَمْ تَلِدْنِي، وَلَيْتَنِي سَبَقْتُكَ إِذْ كُنَّا إِلَى غَايَةِ نَجْرِي
بِمَا أَنَا نَسِيرُ نَحْوَ غَايَةِ وَاحِدَةٍ هِيَ الْمَوْتُ فَلَيْتَنِي قُدِّمْتَ قَبْلَكَ، يَرِثِي الْوَلَدُ الثَّانِي

وَكُنْتُ بِهِ أَكُنِّي فَأَصْبَحْتُ كُلَّمَا كُنْتُ بِهِ فَاضَتْ دُمُوعِي عَلَى نَحْرِي
كَانَتْ كِنْيَتِي عَلَى هَذَا الْبَنِ الَّذِي مَاتَ، فَكَلِمَا نَادُونِي بِالْكِنْيَةِ فَاضَتْ دُمُوعِي عَلَى صَدْرِي

وَقَدْ كُنْتُ ذَا نَابٍ وَطُفِّرَ عَلَى الْعِدَى فَأَصْبَحْتُ لَا يَخْشَوْنَ نَابِي وَلَا طُفْرِي

١١٣ مؤتمر داخل النفس

قال أعرابي:

لَحَا اللَّهُ دَهْرًا شَرُّهُ قَبْلَ خَيْرِهِ تَقَاضَى فَلَمْ يُحْسِنْ إِلَيَّ التَّقَاضِيَا

لعن الله الدهر الذي يأتي شره قبل خيره، لقد قاضاني في هذا الفتى، كأنه خاصمني فيه أمام شيخ العشرة، فلم يكن سهلاً في خصومته

فَتَى كَانَ لَا يَطْوِي عَلَى الْبَخْلِ نَفْسَهُ إِذَا ائْتَمَرَتْ نَفْسَاهُ فِي السَّرِّ خَالِيَا

هذا الفتى كان إذا ائتمرت نفسه، أي تشاورتا، فازت النفس الخيرة.. فكانه جعل له نفسين تتحاوران: واحدة سخية والأخرى بخيلة، والفوز دائماً للسخية

١١٤ السبيل سبيله

إِن الْمَسَاءَ لِلْمَسَرَّةِ مَوْعِدٌ أُخْتَانِ رَهْنٌ لِلْعَشِيَّةِ أَوْ عَدِ

الشيء السيء والشيء السار يعد أحدهما بالآخر، هما أختان لا تتأخر إحداهما عن اللحاق بأختها في المساء أو الصباح

فَإِذَا سَمِعْتَ بِهَالِكٍ فَتَيَقَّنْ أَنَّ السَّبِيلَ سَبِيلُهُ وَتَزَوَّدْ

كلما سمعت بميت فاعلم أن طريقك طريقه فتزود من صالح الأعمال

١١٥ صخرة الأسرار

يسكين الدارمي الشاعر الأموي:

وَفَتَيَانِ صِدْقٍ لَسْتُ مُطْلِعٌ بَعْضُهُمْ عَلَى سِرِّ بَعْضٍ غَيْرَ أَنِّي جَمَاعُهُمَا

رب فتیان صدق، حقيقین، أعرف الكثير عنهم ولا أطلع أحدهم على سر الآخر، والأسرار كلها عندي

لِكُلِّ امْرِئٍ شِعْبٌ مِنَ الْقَلْبِ فَارْغُ وَمَوْضِعٌ نَجْوَى لَا يُرَأْمُ اِطْلَاعُهَا

لكل امرئ شعب في القلب مخصص له، ولكل منهم موضع نجوى، مكان للسر، ولا سبيل للاطلاع على هذه النجوى

يَظْلُونَ شَتَى فِي الْبِلَادِ، وَسِرُّهُمْ إِلَى صَخْرَةٍ أَحْيَا الرِّجَالَ انْصِدَاعُهَا

متفرقون في البلاد، وسرهم موجود عند صخرة أعجز الرجال انصداعها، تشققها

١١٦ المسامحة

يحيى بن زياد:

وَلَمَّا رَأَيْتُ الشَّيْبَ لَاحَ بَيَاضُهُ بِمَفْرِقِ رَأْسِي قُلْتُ لِلشَّيْبِ مَرْحَبَا
وَلَوْ خِلْتُ أَنِّي إِنْ كَفَفْتُ تَحِجَّتِي تَنَكَّبَ عَنِّي رُمْتُ أَنْ يَتَنَكَّبَا
لو ظننت أنني بعدم إلقاء التحية على الشيب سيتنكب عني، سيتجنبي، لكنك رجوت أن يتجنبي
ولكن إذا ما حلَّ كُرَّةُ فَسَامَحْتُ به النفس يوماً كان لِلْكَرَّةِ أَذْهَبَا
إذا حل المكروه بالمرء فسامحت النفس وقبلته، فذلك يساعد في ذهاب المكروه. . أي أن القبول
بالأمر الواقع يجعله هيناً

١١٧ الأمور تقبل أشباها

شبيب بن البرصاء المُرِّي:

وإِنِّي لَتَرَأُكَ الضَّعِيفَةَ قَدْ بَدَا ثَرَاهَا مِنَ الْمَوْلَى فَلَا أَسْتَشِيرُهَا
أترك الضعيفة، الحقْد. يبدو هذا الحقْد وكأنه الثري، التراب،
وأنا لا أثير هذا التراب بل أتركه راكداً
مَخَافَةً أَنْ تَجْنِي عَلَيَّ، وَإِنَّمَا يَهَيِّجُ كَبِيرَاتِ الْأُمُورِ صَغِيرُهَا
فالحقْد على الآخرين يجني عليّ البلية، والأمور الكبيرة تهيجها، وتحركها، الأمور الصغيرة
لَعَمْرِي لَقَدْ أَشْرَفْتُ يَوْمَ عُنَيْزَةٍ عَلَى رَغْبَةٍ لَوْ شَدَّ نَفْسِي مَرِيرُهَا!
لقد كانت لي رغبة في معركة عنيزة - لعلها رغبة في السلم - وليت نفسي قد شدها مريرها، قويت
على ذلك القرار!

تَبَيَّنَ أَعْقَابُ الْأُمُورِ إِذَا مَضَتْ وَتُقْبَلُ أَشْبَاهُا عَلَيْكَ صُدُورُهَا

تبين أعقاب الأمور، نتائجها، بعد انتهائها، ولكن الأمور وهي مقبلة عليك تبدو متشابهة فلا
تستطيع التمييز بين حسن وسيء

١١٨ ستقطع يمينك!

معن بن أوس، وكان له صديق ومعن متزوج بأخته فاتفق أن طلقها، وتزوج غيرها، فآلى
صديقه أن لا يكلمه أبداً، فأنشأ معن يقول يستعطفه ويحذره:

لَعَمْرِي مَا أَدْرِي، وَإِنِّي لَأَوْجَلُ عَلَى أَيَّنَا تَعْدُو الْمَنِيَّةُ أَوَّلُ

أوجل: أخاف

وإِنِّي أَخَوْكَ الدَّائِمُ الْعَهْدُ لَمْ أَخُنْ إِنَّ ابْنَاكَ خَضَمٌ أَوْ نَبَا بِكَ مَنْزِلٌ

أبناك: بطش بك، نبا بك منزل: اضطرت لترك المكان

أَحَارِبُ مَنْ حَارَبْتَ مِنْ ذِي عَدَاوَةٍ وَأَخِيْسُ مَالِي إِنْ غَرِمْتَ فَأَغْقِلُ
أحارب من تحاربه أنت من الأعداء، وأوفر مالي إن وجب عليك سداد فأعقل، أدفع الإبل سداداً
عنك

وإِنْ سُوِّتَنِي يَوْمًا صَفَحْتُ إِلَى غَدٍ لِيُعْقِبَ يَوْمًا مِنْكَ آخِرُ مُقْبِلُ
انتظر بعد إساءتك حتى تهدأ الأمور وأصالحك عقب الإساءة

فَلَا تَغْضَبَنَّ قَدْ تُسْتَعَارُ ظَعِينَةٌ وَتُرْسَلُ أُخْرَى كُلُّ ذَلِكَ يُفْعَلُ
فلا تغضب لأنني طلقت أختك، فقد تؤخذ ظعينة، امرأة، وترسل أخرى، تطلق، فهذا شيء يفعله
الناس

وإِنِّي عَلَى أَشْيَاءَ مِنْكَ تُرِبُّنِي قَدِيمًا لَذَوُ صَفْحٍ عَلَى ذَاكَ مُجْمِلُ
وأنا أصفح مجملًا، متفضلاً، منذ زمن على أشياء مريبة تأتي منك

سَتَقْطَعُ فِي الدُّنْيَا إِذَا مَا قَطَعْتَنِي بِمِينِكَ، فَاَنْظُرْ أَيَّ كَفٍّ تَبَدَّلُ
وَفِي الْأَرْضِ إِنْ رَثْتُ حِبَالَكَ وَاصِلٌ وَفِي الْأَرْضِ عَنْ دَارِ الْقَلَى مُتَحَوِّلٌ
إن رثت حبالك، اهترأت أي انقطعت العلاقات، ففي الأرض من أصل جبل العلاقة معه سواك،
وفي الأرض متحول، تحول، عن دار القلى، أي مكان البغض

إِذَا أَنْتَ لَمْ تُنْصِفْ أَخَاكَ وَجَدْتُهُ عَلَى طَرَفِ الْهَجْرَانِ إِنْ كَانَ يَعْقِلُ
قلة الإنصاف تؤدي إلى القطيعة

وَيَرْكَبُ حَدَّ السَّيْفِ مِنْ أَنْ تَضِيْمَهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ عَنْ شَفَرَةِ السَّيْفِ مَزْحَلُ
والمرء يلجأ للسيف إذا أحس أنك تضيمه، تظلمه، هذا إن لم يكن عن حد السيف مزحل، بدليل
وكنْتُ إِذَا مَا صَاحِبُ رَامٍ ظَنَّنِي وَبَدَّلَ سُوءًا بِالَّذِي كُنْتُ أَفْعَلُ . .
كنت إذا صاحب رام ظنتي، قصد إلى تشويه أفعالي، وبادلني سوءاً بفعلتي . .

قَلْبْتُ لَهُ ظَهَرَ الْمِجَنِّ فَلَمْ أَدُمُ عَلَى ذَاكَ إِلَّا رَيْثَمَا أَتَحَوَّلُ
قلبت له ظهر المجن، قلبت له ترسي . . بمعنى انقلبت عليه،
وبسرعة تحولت عن الود إلى العداوة

إِذَا انْصَرَفَتْ نَفْسِي عَنِ الشَّيْءِ لَمْ تَكْذُ إِلَيْهِ يَوَجِّهِ آخِرَ الدَّهْرِ تُقْبِلُ

١١٩ أغنياء وفقراء

إياس بن القائف:

تُقْبِمُ الرِّجَالُ الْأَغْنِيَاءَ بِأَرْضِهِمْ وَتَرْمِي النَّوَى بِالْمُقْتَرِينَ الْمَرَامِيَا

المقترون: الفقراء، النوى: الفراق

فَأَكْرِمُ أَخَاكَ الدَّهْرَ مَا دُمْتُ مَعَهُ كَفَى بِالْمَمَاتِ فُرْقَةً وَتَقَالِيَا

أكرم صاحبك ولا تفارقه، فكفى بالموت فرقة وتقالياً، تباغضاً وتعادياً

إِذَا زَرْتُ أَرْضاً بَعْدَ طَوِيلِ اجْتِنَابِهَا فَقَدْتُ صَدِيقِي، وَالْبَلَادُ كَمَا هِيََا

١٢٠ الاحتيال لزلة الصديق

سالم بن وابصة:

أَحِبُّ الْفَتَى يَنْفِي الْفَوَاحِشَ سَمْعُهُ كَأَنَّ بِهِ عَنْ كُلِّ فَاكِشَةٍ وَقُرَا

أذنه ترفض قبول الكلام الفاحش فكان بها وقراً، أي سداداً

سَلِيمٌ دَوَاعِي الصَّدْرِ لَا بَاسِطاً أَدَّى وَلَا مَانِعاً خَيْراً وَلَا قَاتِلاً هُجْراً

سليم دواعي الصدر، سليم النوايا، لا يبادر بالأذى،

ولا يمنع خيره، ولا يقول هجراً، شتماً

إِذَا شِئْتَ أَنْ تُدْعَى كَرِيماً مُكْرَماً أَدِيباً ظَرِيفاً عَاقِلاً مَا جِدَّ حُرّاً .

إِذَا مَا أَنْتَ مِنْ صَاحِبٍ لَكَ زَلَّةٌ فَكُنْ أَنْتَ مُحْتَئِلاً لِرَزْلَتِهِ عُلْزَا

غِنَى النَّفْسِ مَا يَكْفِيكَ مِنْ سَدِّ خَلَّةٍ فَإِنْ زَادَ شَيْئاً عَادَ ذَاكَ الْغِنَى فَقُرَا

سد الخلّة: منع الفقر

١٢١ أحاظ وجدود

رجل من بني قُريّع:

مَتَى مَا يَرَى النَّاسُ الْغَنَى، وَجَارُهُ فَقِيرٌ، يَقُولُوا عَاجِزٌ وَجَلِيدٌ

يقولون إن الفقير عاجز، بينما الغني جليد، قوي

وَلَيْسَ الْغِنَى وَالْفَقْرُ مِنْ حِيلَةِ الْفَتَى وَلَكِنْ أَحَاطَ قُسِّمَتْ وَجُدُودُ

لكن الفقر والغنى مجرد أحاظ، أي حظوظ، وجدود، أي حظوظ أيضاً

إِذَا الْمَرْءُ أَهَبَتْهُ الْمَرْوَةُ نَاشِئًا فَمَطَّلَبُهَا كَهَلًا عَلَيْهِ بَعِيدُ

المروءة: الكرم والنجدة والشهامة، وهي تكون في المرء أو لا تكون، فإن أعجزته وهو ناشئ يافع فستكون صعبة عليه وهو كهل... اكتشف الأديب الفلسطيني خليل السكاكيني المروءة وهو يعمل بمصنع في الولايات المتحدة، رأى زملاء يتكاسلون عن مساعدة غيرهم، وليست فيهم تلك الشهامة، وقال: المروءة أن تهب لمساعدة غيرك دون انتظار أجر، أو كما قال

وَكَايْنُ رَأَيْنَا مِنْ غَنِيٍّ مُذَمَّمٍ وَصُغْلُوكِ قَوْمَ مَاتَ وَهُوَ حَمِيدُ
كثيراً ما رأينا غنياً مذموماً، وصعلوكاً مات وهو محمود السيرة

١٢٢ عاذر نفسه

وَيَاكَ وَالْأَمْرَ الَّذِي إِنْ تَوَسَّعْتَ مَوَارِدُهُ ضَاقَتْ عَلَيْكَ الْمَصَادِرُ
لا تدخل في أمر ترى المدخل إليه سهلاً، فإذا أردت الصدور، أي العودة، وجدت المصدر ضيقاً

فَمَا حَسَنَ أَنْ يَعْذِرَ الْمَرْءَ نَفْسَهُ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ عَازِرُ
قيح أن يجد المرء لنفسه عذراً عن التقصير بينما لا يعذره أحد من الناس

١٢٣ الإنسان والبعير

العباس بن مرداس:

تَرَى الرَّجُلَ التَّحِيْفَ فَتَزْدَرِيهِ وَفِي أَثْوَابِهِ أَسَدٌ مَزِيرُ
مزير: يزار

وَيُعْجِبُكَ الطَّيْرُ فَتَبْتَلِيهِ فَيُخْلِفُ ظَنَّنَكَ الرَّجُلُ الطَّيْرُ
الطير، الفتى الذي نبت شاربه، يعجبك فتبتليه، أي تختبره، فيخلف ظنك

فَمَا عِظَمَ الرِّجَالِ لَهُمْ بِفَخْرِ وَلَكِنْ فَخْرُهُمْ كَرَمٌ وَخَيْرُ
بُعَاثُ الطير أكثرها فراخاً وأُمُّ الصَّقْرِ مَقْلَاتٌ نَزُورُ
بغات الطير، ضعافها، كثيرة الفراخ، وأم الصقر مقلات، كثيرة موت الأولاد، نزور، مقلّة

ضِعَافُ الطَّيْرِ أَطْوَلُهَا جُسُومًا وَلَمْ تَطُلِ الْبُرْأَةُ وَلَا الصُّقُورُ
البزاة: إخوة الصقور

لَقَدْ عَظُمَ الْبَعِيرُ بِغَيْرِ لُبٍّ فَلَمْ يَسْتَفْنِ بِالْعِظَمِ الْبَعِيرُ
لب: عقل

يُصَرِّفُهُ الصَّبِيُّ بِكُلِّ وَجْهِ - وَيَحْشِيهِ عَلَى الْخَسْفِ الْجَرِيرُ

الخسف: الظلم، الجريز: الحبل

وَتَضْرِبُهُ الْوَلِيدَةُ بِالْهَرَاوَى قَلَا غَيْرُ لَدِيهِ وَلَا نَكِيرُ

البنث تضرب البعير بالعصي، فلا غير لديه، لا غيره وغضب، ولا نكير، لا ينكر فعلها

١٢٤ النصيحة لمن يقبلها

عبيد بن أبوب العتري:

وَلَا تَعْتَزْضْ فِي الْأَمْرِ تُكْفَى شُؤْنَهُ وَلَا تَنْصَحَنْ إِلَّا لِمَنْ هُوَ قَابِلُهُ

إذا كفأك الشأن الآخرون فلا تتدخل وتصر على أن يكون لك ضلع في كل أمر، ولا تنصح من لا أمل في أن يقبل نصحك

وَلَا تَخْذُلِ الْمَوْلَى إِذَا مَا مُلِمَّةٌ أَلَمْتُ، وَنَازِلٌ فِي الْوَعَى مَنْ يُنَازِلُهُ

لا تخذل المولى، الحليف، إذا ألت ملمة، جاءت مصيبة، وانصره في المعركة

وَلَا تَحْرِمِ الْمَوْلَى الْكَرِيمَ فَإِنَّهُ أَخُوكَ، وَلَا تَدْرِي مَتَى أَنْتَ سَائِلُهُ

ولا تحرم حليفك الكريم، فلا تدري متى تحتاج إليه

١٢٥ لست كالحطيئة

منظور بن سحيم:

وَلَسْتُ بِهَاجٍ فِي الْقَرْىِ أَهْلَ مَنْزِلٍ عَلَى زَادِهِمْ أَبْكِي وَأُبْكِي الْبَوَاكِيا

لن أهجو قوماً نزلت بهم ولم يقدموا لي القرى، أي طعام الضيف

فِيمَا كِرَامٌ مُوسِرُونَ أَتَيْتُهُمْ فَحَسْبِيَ مِنْ ذُو عِنْدِهِمْ مَا كَفَانِيَا

فإما أن يكونوا كراماً وموسرين، فمن ذو عندهم، أي الذي عندهم، أكتفي بما يشبعني

وَأَمَّا كِرَامٌ مُعْسِرُونَ عَذَرْتُهُمْ وَإِنَّمَا لِسَامٌ فَادَّكَرْتُ حَيَائِيَا

والكرام المعسرون، المفتقرون، أعذرهم،

وأما اللثام فأتذكر حيائي فلا أهجوهم لعدم القرى

وَعَرَضِي أَبْقَى مَا ادَّخَرْتُ ذَخِيرَةً وَبَطْنِي أَطْوِيهِ كَطْيٍ رِدَائِيَا

وأفضل ما أذكر شرفي وعرضي، وأطوي بطني، أي أجوع، كما أطوي رداي

١٢٦ عفاف وحياء

وَأَعْرِضْ عَنْ مَطَاعِمَ قَدْ أَرَاهَا فَأَتَرُكُهَا وَفِي بَطْنِي انْطَوَاءُ
أبتعد عن مواضع الطعام التي ينالني فيها الدم، رغم أن في بطني انطواء، أي أنني جائع
فلا وأبيك ما في العيش خيرٌ ولا الدنيا إذا ذهب الحياء
يعيش المرء ما استَحْيَا بِخَيْرٍ وَيَبْقَى الْعُودُ مَا بَقِيَ اللَّحَاءُ
الحياء خير للمرء وهو يقيه مثلما يقي اللحاء الشجرة، فما دام لها لحاء فهي ستعيش. نسبت هذه
الآيات لنصف دسنة من الشعراء

١٢٧ تأديب الذات

الحكم بن عبدل، من شعراء الدولة الأموية:

وَإِنِّي لَأَسْتَغْنِي فَمَا أَبْطَرُ الْغِنَى وَأَعْرِضْ مَيْسُورِي عَلَى مُتَبَغِّي قَرْضِي
أكون غنياً ولا أبطر الغنى، أي لا أفتخر بالغنى افتخار تباطل، بل أعرض ما يسر لي
على من يتبغي اقتراضه . . والقرض ليس بالمعنى المصرفي بل بمعنى أن المرء يبذل معروفه
ويلقى معروفاً
وَأُعْسِرُ أَحْيَاناً فَتَشْتَدُّ عُسْرَتِي وَأَذْرِكُ مَيْسُورَ الْغِنَى وَمَعِي عِرْضِي
أعسر أحياناً، أفتقر، ثم يأتي الغنى ولا أكون في وقت عسرتي قد تخليت عن شرفي
وَأُبْذِلُ مَعْرُوفِي وَتَضْفُو خَلِيقَتِي إِذَا كَدِرَتْ أَخْلَاقُ كُلِّ فِتْنَى مَحْضِ
أقدم الخير للناس وأخلاقني جميلة لا يكرها المن، هذا في حين قد تتكدر أخلاق فتى محض،
خالص شريف النسب

وَأَسْتَنْقِذُ الْمَوْلَى مِنَ الْأَمْرِ بَعْدَمَا يَزِلُّ كَمَا زَلَّ الْبَعِيرُ عَنِ الدَّحْضِ
أنقذ المولى، الصديق والحليف، بعد أن يزل، يقع، مثلما يزل البعير عن الدحض، المنحدر . .
أي تصيبه ضائقة

وَأَمْنَحُهُ مَالِي وَوُدِّي وَنُصْرَتِي وَإِنْ كَانَ مَخَيِّي الضُّلُوعِ عَلَى بُغْضِي
وأمنحه مالي وودي ونصرتي ولو كان يخبرني على البغض

وَأَقْضِي عَلَى نَفْسِي إِذَا أَمُرُ نَابَنِي وَفِي النَّاسِ مَنْ يُقْضَى عَلَيْهِ وَلَا يَقْضِي
إذا وقعت في خطأ فأنا أقر به وأقضي على نفسي، ومن الناس من يكابر فيلزمه الآخرون بخطاه

وَلَسْتُ بِذِي وَجْهَيْنِ فِيمَنْ عَرَفْتُهُ وَلَا الْبُخْلُ، فَاعْلَمْ، مِنْ سَمَائِي وَلَا أَرْضِي

وَأِنِّي لَسَهْلٌ مَا تُغَيِّرُ شَيْئِي صُرُوفُ لِيَالِي الدَّهْرِ بِالْقَتْلِ وَالنَّقْصِ
لا تغير شيمتي، طبعتي، مصائب الزمن، بالقتل والنقص، وقتل الحبل ونقص قواه، أي جدلاته،
كناية عن حالتي اليسر والعسر

١٢٨ لا أترك صاحبي

حاتم الطائي:

وَمَا أَنَا بِالسَّاعِي بِفَضْلِ زِمَائِمِهَا لَتَشْرَبَ مَاءَ الْحَوْضِ قَبْلَ الرِّكَائِبِ

لا أسعى بطرف مقود الناقة لشرب قبل نياق الآخرين

وَمَا أَنَا بِالطَّائِي حَقِيبَةَ رَحْلِهَا لِأَبْعَثَهَا خِفَاءً وَأَتْرُكَ صَاحِبِي

ولا أطوي الكيس الذي خلفي على الناقة، كي تكون خفيفة ولا أحمل عليها صاحبي

إِذَا كُنْتُ رَبًّا لِلْقُلُوصِ فَلَا تَدْعُ رَفِيقَكَ يَمْشِي خَلْفَهَا غَيْرَ رَاكِبٍ

القلوص: الناقة

أَنْخُهَا فَأَرْكِبْهُ فَإِنْ حَمَلْتَكُمَا فَذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ الْعِقَابُ فَعَابِ

أنخ الناقة وأردف صاحبك فإن حملتكما معاً فهذا هذا، وإلا فاركب أنت مرة وهو مرة، متعاقبين

١٢٩ الويل للفقير

مالك بن حريم الهمداني:

وَأُنْبِئْتُ، وَالْأَيَّامُ ذَاتُ تَجَارِبٍ، وَتُبْدِي لَكَ الْأَيَّامُ مَا لَسْتَ تَعْلَمُ

بِأَنَّ ثَرَاءَ الْمَالِ يَنْفَعُ رَبَّهُ وَيُثْنِي عَلَيْهِ الْحَمْدَ وَهُوَ مُذَمَّمٌ

المال يأتي صاحبه بالحمد، رغم أن صاحبه مذمم، يصنع ما يستحق الذم،

فالسخاء يغطي على العيوب

وَأَنَّ قَلِيلَ الْمَالِ لِلْمَرْءِ مُفْسِدٌ يَحْزُ كَمَا حَزَّ الْقَطِيعُ الْمُحَرَّمُ

قليل المال: المال القليل، القطيع المحرم: السوط الخشن المقطع، فقلة المال محبطة للكريم
مثلما تحبطه الأداة التالفة في عمله

يَرَى دَرَجَاتِ الْمَجْدِ لَا يَسْتَطِيعُهَا وَيَقْعُدُ وَسَطَ الْقَوْمِ لَا يَتَكَلَّمُ

الكريم الفقير يعرف كيف يصنع مجداً لنفسه، ولكنه عاجز عن ذلك لقلة ماله. الشطر الثاني شرح
نفسه، لكنه بديع.. أليس كذلك؟

١٣٠ كفاف وكرامة

محمد بن بشير الخارجي:

لَأَنْ أَرْجِيَّ عِنْدَ الْمُعْرِى بِالْخَلْقِ وَأَجْتَزِيَّ مِنْ كَثِيرِ الزَّادِ بِالْعُلُقِ..
أن أَرْجِي، أَمْشِي حَالِي، عِنْدَ الْعَرِيِّ بِالْخَلْقِ، الْمَلَابِسِ الْبَالِيَةِ، وَأَنْ أَجْتَزِيَّ، أَيْ أَكْتَفِي، مِنَ الزَّادِ الْكَثِيرِ بِالْعُلُقِ، أَيْ بِالْقَلِيلِ..

خَيْرٌ وَأَكْرَمُ لِي مِنْ أَنْ تُرَى مِنْ مَعْقُودَةٍ لِلثَّامِ النَّاسِ فِي عُنْقِي
خير لي من تحمل منن لثام الناس وتفضلهم عليّ، فهذه المنن كأنها معقودة في عنقي
إِنِّي وَإِنْ قَصُرْتُ عَنْ هِمَّتِي جِدَّتِي وَكَانَ مَالِي لَا يَقْوَى عَلَى خُلُقِي..
إن قصرت جِدَّتِي، مَالِي، عَنْ تَحْقِيقِ هِمَّتِي، أَيْ طُمُوحِي، وَكَانَتْ هَذِهِ الْجِدَّةُ لَا تَحْمِلُ طَبْعِي السَّخِي

لَشَارِكُ كُلِّ أَمْرٍ كَانَ يُلْزِمُنِي عَاراً وَيُشْرِعُنِي فِي الْمَنْهَلِ الرَّنْقِ
مع ذلك فإنني أترك كل فعل يلصق بي العار، ويشرعني، يَرُدُّ بِي، فِي الْمَنْهَلِ الرَّنْقِ، فِي الْحَوْضِ الْمَكْدَرِ

١٣١ إدمان قرع الأبواب

محمد بن بشير الخارجي:

كَمْ مِنْ فَتَى قَصُرَتْ فِي الرِّزْقِ خُطْوَتُهُ أَلْفَيْتُهُ بِسَهَامِ الرِّزْقِ قَدْ فَلَجَا
كثيراً ما يمتنع الرزق على إنسان، ثم تراه قد فُلج، أَصَابَ الْمَرْمَى، بِسَهَامِ الرِّزْقِ الْوَفِيرِ
إِنَّ الْأُمُورَ إِذَا انْسَدَّتْ مَسَالِكُهَا فَالصَّبْرُ يَفْتَقُ مِنْهَا كُلُّ مَا ارْتَجَا
الصبر يفتق المسالك التي ارتجت، أَغْلَقَتْ، وَيَفْتَحُهَا

لَا تَيَأْسَنَّ، وَإِنْ طَالَتْ مُطَالَبَةُ، إِذَا اسْتَعْنَتْ بِصَبْرٍ أَنْ تَرَى قَرَجَا
أَخْلَقْتُ بِذِي الصَّبْرِ أَنْ يَخْطِي بِحَاجَتِهِ وَمُذْنِ الْقَرَعِ لِلْأَبْوَابِ أَنْ يَلْجَا
مدمن القرع للأبواب لا بد أن يلج، يَدْخُلُ

قَدَّرَ لِرِجْلِكَ قَبْلَ الْخَطْوِ مَوْضِعَهَا فَمَنْ عَلَا زَلَقاً عَنْ غِرَّةٍ زَلَجَا
قد رُوعَ قَدَمُكَ قَبْلَ أَنْ تَخْطُو، فَالَّذِي يَصْعَدُ فَوْقَ مَكَانِ زَلَقٍ، مَنْحَدٍ، عَنْ غِرَّةٍ، بِتَهْوِيرٍ، يَزْلُجُ، يَنْزَلِقُ
وَلَا يَغُرَّنْكَ صَفْوُ أَنْتَ شَارِبُهُ فَرِيماً كَانَ بِالتَّكْدِيرِ مُمْتَزَجَا
قد يكون الماء الصافي الذي تشربه مخلوطاً بالشوائب، فَلَا تَغْتَرَّ بِرِزْقٍ يَأْتِيكَ فَلْعَلْ فِي طَبْعِهِ شَرْطُوطاً

١٣٢ لهم جل مالي

المُقَنَّع الكِنْدِي:

بُعَاثِبُنِي فِي الدَّيْنِ قَوْمِي، وَإِنَّمَا دُبُونِي فِي أَشْيَاءٍ تُكْسِبُهُمْ حَمْدًا
إِنَّمَا أَسْتَدِين لِأَصْنَعُ أُمُورًا تَعُودُ عَلَى قَوْمِي بِالْحَمْدِ

أَسَدُ بِهِ مَا قَدْ أَخْلَوُ وَضَيَّعُوا: تُغُورُ حُقُوقُ مَا أَطَاقُوا لَهَا سَدًا
أَسَدُ بِالْمَالِ الَّذِي اسْتَدِينَهُ مَا قَدْ أَخْلَا، أَهْمَلُوا، وَضَيَّعُوا: أَسَدُ تُغُورُ حُقُوقُ لَمْ يَتَحَمَّلُوا سَدَهَا

وَفِي جَفْنَةٍ مَا يُغْلَقُ الْبَابُ دُونَهَا مُكَلَّلَةٌ لَحْمًا مُدْفَقَةٌ نَرْدًا
مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي أَقُومُ بِهَا تَقْدِيمَ جَفْنَةٍ، دَسْتُ طَعَامًا، مَتَاحَةً لِلْجَمِيعِ لَا أَغْلِقُ بَابِي دُونَهَا، وَفِيهَا
الْثَرِيدُ مِنْ خَبْزٍ مَفْتُوتٍ وَلَحْمٍ يَكُلُّهُ

وَفِي فَرَسٍ نَهْدٍ عَتِيقٍ جَعَلْتُهُ حِجَابًا لِبَيْتِي ثُمَّ أَخْدَمْتُهُ عَبْدًا
وَأَحْفَظُ بِفَرَسٍ نَهْدٍ، عَالٍ، عَتِيقٍ، أَيْ أَصِيلٍ، كَيْ يَكُونَ حِجَابًا لِبَيْتِي، حَامِيًا لَهُ، وَجَعَلْتُ لَهُ عَبْدًا
يَقُومُ عَلَى خِدْمَتِهِ

وَأَنَّ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَ بَنِي أَبِي وَبَيْنَ بَنِي عَمِّي لَمْخْتَلِفٌ جَدًّا
الطَّبَائِعُ بَيْنِي وَبَيْنَ أَقَارِبِي مُخْتَلِفَةٌ جَدًّا

فَإِنْ أَكَلُوا لَحْمِي وَفَرْتُ لِحُومَهُمْ وَإِنْ هَدَمُوا مَجْدِي بَنَيْتُ لَهُمْ مَجْدًا
إِنْ أَكَلُوا لَحْمِي، أَيْ اغْتَابُونِي، وَفَرْتُ لِحُومِهِمْ، وَإِنْ هَدَمُوا مَجْدِي بِإِنْكَارِ أَفْعَالِي الْجَيِّدَةِ فَأَنَا أَبْنِي
لَهُمْ مَجْدًا

وَإِنْ ضَيَّعُوا غَيْبِي حَفِظْتُ غُيُوبَهُمْ وَإِنْ هُمُ هَوُوا غَيْبِي هَوَيْتُ لَهُمْ رُشْدًا
إِنْ طَعَنُونِي فِي الظَّهْرِ حَفِظْتُ مَكَانَتَهُمْ فِي غِيَابِهِمْ،
وَيَتَمَنُّونَ لِي الضَّلَالَةَ وَأَتَمْنَى لَهُمُ الْهَدَايَةَ

وَإِنْ زَجَرُوا طَيْرًا بِنَحْسٍ تَمُرُّ بِي زَجَرْتُ لَهُمْ طَيْرًا تَمُرُّ بِهِمْ سَعْدًا
إِنْ صَنَعُوا لِي ذَلِكَ مَعَ الطَّيْرِ كَيْ يَكُونَ هَذَا شَوْمًا عَلَيَّ فَعَلْتُ الْعَكْسَ لَهُمْ

وَلَا أَحْمِلُ الْحَقْدَ الْقَدِيمَ عَلَيْهِمْ وَلَيْسَ رَئِيسَ الْقَوْمِ مَنْ يَحْمِلُ الْحَقْدَا
لَهُمْ جُلٌّ مَالِي إِنْ تَتَابَعَ لِي غِنَى وَإِنْ قَلَّ مَالِي لَمْ أَكْلَفْهُمْ رِفْدًا
الرَّفْدُ: الْعَطَاءُ

وَإِنِّي لَعَبْدُ الضَّعِيفِ مَا دَامَ نَازِلًا وَمَا شِيْمَةٌ لِي غَيْرَهَا تُشَبِّهُ الْعَبْدَا

على أن قَوْمِي ما تَرَى عَيْنُ نَاطِرٍ كَشَمِيبِهِمْ شَيْباً ولا مُرُودِهِمْ مُرْداً

قومي مع ذلك أحسن الناس: الشيوخ منهم والمرد، الذين لم تنبت لحاهم بعد

بِفَضْلِ وَأَحْلَامٍ وَجُودٍ وَسُودٍ وقَوْمِي رَبِيعٌ فِي الزَّمانِ إِذا اشْتَدَّ

لهم فضل وأحلام، عقول، وهم عندما يشتد الزمن، ويقطع الخير، يكونون ربيعاً للناس، فالربيع هو فصل العشب والحليب في البادية

١٣٣ حلاوة المعروف

قال رجل من الفزاريين:

وإِلَّا يَكُنْ عَظَمِي طَوِيلاً فَإِنِّي لَهُ بِالْخِلَالِ الصَّالِحَاتِ وَصُولٌ

إلا يكن، أي إن لم يكن، جسمي طويلاً فأنا أصله وصلاً بالفعال الحسنة فيصبح طويلاً

ولا خَيْرَ فِي حُسْنِ الْجُسُومِ وَتُبْلِهَا إِذا لَمْ يَزِنْ حُسْنَ الْجُسُومِ عُقُولٌ

إذا كنت في القوم الطوال علوتهم بعارفة حتى يُقالَ طَوِيلٌ

إن كنت وسط قوم طوال علوتهم بعارفة، بمعروف وسخاء، حتى يروني طويلاً

وكم قَدْ رَأَيْنَا مِنْ فُرُوعِ كَرِيمَةٍ تَمُوتُ إِذا لَمْ تُحْيِهِنَّ أَصُولٌ

الابن الكريم بذاته تضمحل سمعته إذا كان آباؤه لثاماً

ولم أَرْ كَالْمَعْرُوفِ أَمَّا مَذَاقُهُ فَحُلُوٌّ وَأَمَّا وَجْهُهُ فَجَمِيلٌ

١٣٤ المعادلة الصعبة

عبد الله بن معاوية بن جعفر:

أَرى نَفْسِي تَتَوَقَّعُ إِلَى أُمُورٍ وَيَقْصُرُ دُونَ مَبْلَغِهَا مَالِي

يقصر مالي عن مبلغ، أي عن بلوغ، الأمور التي أتوق إليها

فَنَفْسِي لَا تُطَاوِعُنِي بِبَخْلِ وَمَالِي لَا يُبَلِّغُنِي فَعَالِي

نفسي لا تطيق البخل، ولكن ما أملك من مال لا يوصلني إلى فعالِي، والفعال هي الأمجاد

١٣٥ التوسيع بإحسان

المتوكل اللبثي، وقد عاصر معاوية:

إِنِّي إِذا ما الْخَلِيلُ أَحَدَثَ لِي صُرْماً وَمَلَّ الصَّفَاءُ أَوْ قَطَعَا ..

إذا صرمني خليلي، هجرني صاحبي، ومل الود بيننا وقطع العلاقة ..

لَا أُخْتَسِي مَاءَهُ عَلَى رَتْقٍ وَلَا يَرَانِي لِجَبِينِهِ جَزَعًا

لا أشرب ماءه على رنق، كدر، ولا أريه أنني مضطرب جزع لفراقه

أَهْجُرُهُ ثُمَّ تَنْقُضِي غُبْرُ الْهَجْرَانِ عَنَّا، وَلَمْ أَقُلْ قَدْعًا

أهجره كما هجري، وتنقضي غبر الهجران عنا، تذهب بقايا الهجران أي الكراهية، دون أن أقول قدعاً، فُحشاً

إِخْذَرْ وَصَالَ اللَّئِيمُ إِنَّ لَهُ عَضَّهَا إِذَا حَبْلٌ وَضِلَّهِ انْقَطَعَا

العلاقة مع اللئيم يعقبها العَضُّ، الافتراء، عندما تنتهي

١٣٦ غنى النفس

قيس بن الخطيم، وثروى للربيع بن الحُقَيْق اليهودي:

وَمَا بَعْضُ الْإِقَامَةِ فِي دِيَارٍ يُهَانُ بِهَا الْفَتَى إِلَّا بَلَاءٌ

الإقامة في مكان يهان فيه الفتى بلاء

وَبَعْضُ خَلَائِقِ الْأَقْوَامِ دَاءٌ كَدَاءِ الْبَطْنِ لَيْسَ لَهُ دَوَاءٌ

خلاتق: طباع

يُرِيدُ الْمَرْءُ أَنْ يُعْطَى مُنَاهُ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا مَا يَشَاءُ

وَكُلُّ شَدِيدَةٍ نَزَلَتْ بِقَوْمٍ سَيَأْتِي بَعْدَ شِدَّتِهَا رَخَاءٌ

وَلَا يُعْطَى الْحَرِيصُ غِنًى لِحَرَصٍ وَقَدْ يَنْمِي عَلَى الْجُودِ الثَّرَاءُ

الحريص البخيل لا يصبح غنياً لبخله، فربما زاد الثراء مع السخاء

غِنِيَّ النَّفْسِ مَا عَمِرَتْ غِنًى وَفَقْرُ النَّفْسِ مَا عَمِرَتْ شَقَاءٌ

غني النفس يظل غنياً طول عمره، وفقير النفس يبقى شقياً طول عمره

وَلَيْسَ بِنَافِعٍ ذَا الْبُخْلِ مَالٌ وَلَا مُزِرٌ بِصَاحِبِهِ السَّخَاءُ

السخاء لا يزري بصاحبه، لا يؤذيه

وَبَعْضُ الدَّاءِ مُلْتَمَسٌ شِفَاءٌ وَدَاءُ النَّوْكِ لَيْسَ لَهُ شِفَاءٌ

النوك: الحمق

١٣٧ نصائح الأب

يزيد بن الحكم الثقفي يعظ ابنه بديراً:

يَا بَدْرُ! وَالْأَمْثَالُ يَضُرُّ رُبُّهَا لِذِي اللَّبِّ الْحَكِيمِ
ذو اللب: ذو العقل

دُمْ لِلْخَلِيلِ بِوُدِّهِ مَا خَيْرُ وُدٍّ لَا يَدُومُ
احفظ ود الصديق، فلا خير في ود قصير الأجل

وَاعْرِفْ لِجَارِكَ حَقَّهُ وَالْحَقُّ يَعْرِفُهُ الْكَرِيمُ
وَاعْلَمْ بِأَنَّ الضَّيْفَ يَوْمٌ مَا سَوْفَ يَحْمَدُ أَوْ يَلُومُ
وَالنَّاسُ مُبْتَنِّيانِ مُحَدُّ مَوَدِّ الْبِنَايَةِ أَوْ دَمِيمُ
الناس مجبولون على طبيعتين: محمودة ومذمومة

وَاعْلَمْ بُنَيَّ فَإِنَّهُ بِالْعِلْمِ يَنْتَفِعُ الْعَلِيمُ
إِنَّ الْأُمُورَ دَقِيقُهَا مِمَّا يَهِيْجُ لَهُ الْعَظِيمُ
الصغير من المشكلات يثير الكبير

وَالْبَغْيُ يَضُرُّ أَهْلَهُ وَالظُّلْمُ مَرْتَعُهُ وَخِيمُ
البغي: الظلم، مرتعه وخيم، كأن الظالم جمل يرمى في أرض موبوءة فالنتيجة سيئة
وَلَقَدْ يَكُونُ لَكَ الْبَعِيدُ إِذَا أَخَا وَيَقْطَعُكَ الْحَمِيمُ
الحميم: القريب

وَالْمَرْءُ يُكْرَمُ لِلْغِنَى وَيُهَانُ لِلْعُدْمِ الْعَدِيمِ
الناس تكرم الإنسان لماله، وتهين العديم، الفقير، لعدمه، أي لفقره

وَالْمَرْءُ يَبْخُلُ فِي الْحَقِّ قِي وَلِلْكَالَةِ مَا يُسِيمُ
يبخل المرء في إعطاء الحقوق لأصحابها، ولكن... في النتيجة فإن ما يسيم، ما يرمى من إيل،
سيؤول للكلالة، للورثة

مَا بُخِلَ مَنْ هُوَ لِلْمَنِّ لِي وَرَبِّهَا غَرَضٌ رَجِيمُ
ما الحكمة في بخل المرء وهو غرض للموت رجيم، مرجوم بالموت

وَيَرَى الْقُرُونُ أَمَامَهُ هَمَدُوا كَمَا هَمَدَ الْهَشِيمُ
ويرى القرون، أي الأجيال، الماضية وقد همدت كالعشب اليابس

وَتَخَرَّبُ الدُّنْيَا فَلَا بَؤْسَ يَدُومٌ وَلَا نَعِيمٌ

تَخَرَّبَ، أي تتخرب وتلف الدنيا فيزول البؤس والنعيم وكل شيء

كُلُّ امْرِئٍ سَتَثِيْمٌ مِنْهُ الْعَرَسُ أَوْ مِنْهَا يَثِيْمٌ

تثيم: تترمل، والعرس: الزوجة

١٣٨ العَرَكُ بِالْجَنْبِ

محمد بن أبي شحاذٍ الضبي:

إِذَا أَنْتَ أُعْطِيتَ الْغِنَى ثُمَّ لَمْ تَجِدْ بِفَضْلِ الْغِنَى أَلْفَيْتَ مَا لَكَ حَامِدٌ

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْرُكْ بِجَنْبِكَ بَعْضَ مَا يَرِيْبُ مِنَ الْأَدْنَى رَمَاكَ الْأَبَاعِدُ

إذا لم تعرك بجنبك، أي تتغاضى وتبلغ الموس، ما تلاقيه من الأدنى، القريب، فسوف يرميك الأبعاد. يتحمل المرء من أقاربه كل سخافاتهم حتى يراه الأبعاد عزيزاً، ذا عزوة، فيهابونه

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَتْرُكْ طَعَاماً تُحِبُّهُ وَلَا مَقْعَداً تُدْعَى إِلَيْهِ الْوَلَائِدُ .

إذا لم تكن عزيز النفس وتترفع عن طعام شهي وتتركه للأكلين، وإذا لم تترك المكان الذي يفترض أن تجلس فيه الولائد، الجواري والخدم .

تَجَلَّلْتَ عَاراً لَا يَزَالُ يَشُبُّهُ سَبَابُ الرِّجَالِ نَثْرُهُمْ وَالْقَصَائِدُ

إذا لم تترفع فالعار سيحل بك، وسيزيده سباب الرجال لك بالكلام وبالقصائد

١٣٩ التماس الرزق

الحكم بن عبدل:

أَطْلُبُ مَا يَطْلُبُ الْكَرِيمُ مِنَ الرِّ - زَقٍ لِنَفْسِي، وَأُجْمِلُ الطَّلَبَا

أجمل الطلب: أتجنب الإلحاح

وَأَحْلُبُ الثَّرَّةَ الصَّوْفِيَّ، وَلَا أَجْهَدُ أَخْلَافَ غَيْرِهَا حَلْبَا

أحلب الثرة والصفي، الشاة أو الناقة الغزيرة اللبن، ولا أتعب أخلاف، أي ضروع وأنداء، غيرها بالحلب . . فإنا أطلب المال من عند الكريم الذي يملكه ولا أتعب نفسي مع من لا يملك المال فالح عليه في الطلب

إِنِّي رَأَيْتُ الْفَتَى الْكَرِيمَ إِذَا رَغَبَتْهُ فِي صَنِيعَةٍ رَغْبَا

الكريم إذا جعلته يرغب في المعروف فهو سيقوم به،

فهو يحب المدح ويرغب في البذل كي يمدحه الشاعر

وَالْعَبْدُ لَا يَطْلُبُ الْعَلَاءَ، وَلَا يُعْطِيكَ شَيْئاً إِلَّا إِذَا رَهَبَا

العبد يعطي على الرهبة لا الرغبة

مِثْلَ الْحِمَارِ الْمُوقَّعِ السَّوِّءِ لَا يُحْسِنُ مَشِياً إِلَّا إِذَا ضُرِبَا

فالعبد مثل الحمار الموقَّع، المصاب بجروح في ظهره، السيء الذي لا يمشي إلا بالضرب

قَدْ يُرْزَقُ الْحَافِضُ الْمُقِيمُ، وَمَا شَدَّ بَعْنُسٍ رَحْلاً وَلَا قَتَبَا

قد يأتي الرزق للحافظ، الهانئ، المقيم في بلده دون أن يشد الرحل، السرج ولوازمه، أو القتب، أي البرذعة، على العنس، الناقة الصلبة. . أي يأتيه رزقه دون أن يرتحل وراءه

وَيُخْرَمُ الْمَالُ ذُو الْمَطِيَّةِ وَالرَّحْلِ، وَمَنْ لَا يَزَالُ مُغْتَرِبَا

١٤٠ تبقى له حاجة

الصَّلَاتَانِ الْعَبْدِي:

أَشَابَ الصَّغِيرَ وَأَفْنَى الْكَبِيرَ مُرُورُ الْعَدَاةِ وَكَرُّ الْعَشِيِّ

شيب الصغير وأما الكبير مرور الصباح والمساء، أي الزمن

إِذَا لَيْلَةٌ هَرَمَتْ يَوْمَهَا أَتَى بَعْدَ ذَلِكَ يَوْمٌ فَتِي

الليلة تهرم يومها، ثم يأتي بعد ذلك يوم آخر فتى جديد

نَرُوحُ وَنَغْدُو لِحَاجَاتِنَا وَحَاجَةُ مَنْ عَاشَ لَا تَنْقُضِي

ما دنا على قيد الحياة فلنا حاجة ما . . صغيرة أو كبيرة

تَمُوتُ مَعَ الْمَرءِ حَاجَاتُهُ وَتَبْقَى لَهُ حَاجَةُ مَا بَقِيَ

١٤١ وداعاً نجد

الصَّمَّةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقُشَيْرِي:

حَنَنْتَ إِلَيَّ رِيًّا، وَنَفْسُكَ بَاعَدَتْ مَزَارَكَ مِنْ رِيًّا، وَشَعْبَاكُمَا مَعَا

يخاطب نفسه: حننت إلى رياء، وأنت بنفسك ستبعد مزارك من رياء برحيلك، مع أن شعبيكما، أي قبيلتيكما، متجاوران

فَمَا حَسَنٌ أَنْ تَأْتِيَ الْأَمْرَ طَائِعاً وَتَجْزَعَ أَنْ دَاعِيَ الصَّبَابَةِ أَسْمَعَا

ليس من الحكمة أن ترحل طواعية، ثم بعد ذلك تجزع لأن منادي الصبابة، والشوق، قد هتف في أذنك

قِفَا وَدَعَا نَجْدًا وَمَنْ حَلَّ بِالْحِمَى وَقَلَّ لِنَجْدٍ عِنْدَنَا أَنْ تُودَعَا

يا صاحبي قفا ودعا معي نجدًا ومن حل بالحمى، وهذا أقل ما نصنعه لنجد

بِنَفْسِي تِلْكَ الْأَرْضَ مَا أَطِيبَ الرُّبَى وَمَا أَحْسَنَ الْمُصْطَافَ وَالْمُتَرَبَّعَا

بنفسي، أي أفندي بنفسي، تلك الأرض ما أطيب زباها، وما أجمل مكان قضاء الصيف ومكان قضاء الربيع بها

وَلَمَّا رَأَيْتُ «الْبِشْرَ» أَعْرَضَ دُونَنَا وَحَالَتْ بَنَاتُ الشَّوْقِ يَحْنُنُ نُزْعَا..

لما رأيت جبل البشر أصبح بيني وبين الحمى، وحالت، أي تحولت وتحركت، بنات الشوق، أي مشاعره وكل ما ينشأ عنه من ألم، وفيهن حنين ونزوع إلى الوطن..

تَلَفَّتْ نَحْوَ الْحَيِّ حَتَّى وَجَدْتُنِي وَجِئْتُ مِنَ الْإِضْغَاءِ لَيْتًا وَأَخْذَعَا

التفت نحو مكان القوم حتى وجدت، وجدت وجعاً، من الإضغاء، إمالة الرأس، الليت: صفحة العنق والأخدع: عرق في العنق. يقول: ظلت ألفت حتى ألمني عنقي

بَكْتُ عَيْنِي الْيُسْرَى فَلَمَّا زَجَرْتُهَا عَنْ الْجَهْلِ بَعْدَ الْجَلْمِ أَسْبَلْنَا مَعَا

زجرت عيني اليسرى، أي نهيتها، عن التهور بعد الحلم، أي بعد التعقل، فأسبلنا، سالتنا بالدموع، معاً

وَأَذْكُرُ أَيَّامَ الْحِمَى ثُمَّ أَتَّئِنِّي عَلَى كِبْدِي مِنْ خَشْيَةٍ أَنْ تَصَدَّعَا

عندما أذكر أياما في الحمى أثني جسي حتى لا تتشقق كبدي حزناً

فَلَبِستُ عَشِيَّاتُ الْحِمَى بِرَوَاجِعِ عَلَيْكَ، وَلَكِنْ خَلَّ عَيْنُكَ نَدَمَعَا

١٤٢ هزة الشوق

أبو صخر الهذلي، وهو من شعراء الدولة الأموية:

أَمَّا وَالَّذِي أَبْكَى وَأَضْحَكَ وَالَّذِي أَمَاتَ وَأَحْيَا وَالَّذِي أَمَرَهُ الْأَمْرُ

لقد تركتني أحسد الوحش أن أرى أليقين منها لا يروعهما الزجر

تركنتي المحبوبة أحسد وحوش البر إذ أرى اثنين منها لا يخيفهما الزجر، مثلما يخيفنا نحن لوم اللاتمين وشايات الوشاة

فَيَا حُبَّهَا زِدْنِي جَوَى كُلِّ لَيْلَةٍ وَيَا سَلْوَةَ الْأَيَّامِ مَوْعِدِكَ الْحَشْرُ

زدني من ألم العشق يا حبها، وليكن موعد السلوة، نسيان العشق، الحشر

عَجِبْتُ لِسَعْيِ الدَّهْرِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا فَلَمَّا انْقَضَى مَا بَيْنَنَا سَكَنَ الدَّهْرُ

كان الدهر، ومصابه، تسعى بيننا فلما انقضى الوصل بيننا وانقطعت العلاقة هدا الدهر وصروفه

وَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ أَرَاهَا فُجَاءَةً فَأُبْهَتْ، لَا عُرْفَ لَدَيَّ وَلَا نُكْرُ

كنت إذ أراها فجأةً أبهت ويختلط في ذهني الصواب بالخطأ

وإِنِّي لَتَعْرِوْنِي لِذِكْرِكَ هَزَّةٌ كَمَا انْتَفَضَ الْعَصْفُورُ بَلَلَهُ الْقَطْرُ

والآن تتابني لذكراك هزة مثلما ينتفض العصفور وقد أصابه المطر

١٤٣ خلقتما لبعضكما

عُروة بن أُدَيَّة:

إِنَّ النِّي زَعَمَتْ فُؤَادَكَ مَلَّهَا خُلِقْتَ هَوَاكَ كَمَا خُلِقْتَ هَوَى لَهَا

التي قالت إنك مللتها خلقت لك وخلقت لها

بِيضَاءُ بَاكَرَهَا النَّعِيمُ فَصَاعَهَا بِلَبَاقَةٍ فَادَّقَهَا وَأَجَلَّهَا

بيضاء عرفت النعمة والعيش الرغيد منذ صغرها فلا عرفت جوعاً ولا فاقة، فصاعت النعمة جسمها بلباقة فهي دقيقة الخصر جليلة المؤخرة، إن جاز وصف المؤخرة بهذه الكلمة

حَجَبَتْ تَحِيَّتَهَا فَقُلْتُ لِصَاحِبِي مَا كَانَ أَكْثَرَهَا لَنَا وَأَقْلَاهَا

لم تعد تطرح علي التحية فقلت لصاحبي: كانت التحية كبيرة الأثر، ولكنها مع غياب الوصل قليلة النفع

وَإِذَا وَجَدْتُ لَهَا وَسَاوِسَ سَلْوَةٍ شَفَعُ الضَّمِيرُ إِلَى الْفُؤَادِ فَسَلَّهَا

إذا وسوست لي نفسي أن أسلوها وأنساها، فإن ما أضمر لها من الحب يستل الهجران من فؤادي

١٤٤ المناظر المتعبة

وَكُنْتُ مَتَى أُرْسَلْتَ طَرَفُكَ رَائِدًا لِقَلْبِكَ يَوْمًا أَتَعَبَتْكَ الْمَنَاظِرُ

يخاطب نفسه: كنت إذا أرسلت نظرك ليكشف الطريق لقلبك، تعبت لما رأيته عيناك من جمال المحبوبة. والرائد فارس كانوا يرسلونه أمام القبيلة يستكشف لها مواطن العشب

رَأَيْتَ الَّذِي لَا كُلُّهُ أَنْتَ قَادِرٌ عَلَيْهِ، وَلَا عَنْ بَعْضِهِ أَنْتَ صَابِرٌ

رأيت ما لا تقدر على نيله، ولا تقدر أن تصبر على مجرد التطلع إليه

١٤٥ عرار نجد

الصَّمَّة بن عبد الله القُشَيْرِي:

أَقُولُ لِصَاحِبِي وَالْعَيْسُ تَهْوِي بِنَا بَيْنَ الْمُنِيقَةِ فَالضَّمَارِ

أقول لصاحبي والعيس، أي النياق القوية، تسير بنا بسرعة كأنها تهوي، بين هذين المكانين

تَمَتَّعَ مِنْ شَمِيمِ عَرَارٍ نَجْدٍ فما بعد العَشِيَّةِ مِنْ عَرَارٍ
تمتع من رائحة نبات العرار الذكي في نجد، فأنت مغادر ولا عرار بعد هذه العشية. ومن هذا البيت أخذ الشاعر الأردني «مصطفى وهبي التل» لنفسه لقباً: عرار. وسفره لعرار الأردن صفحات مليئة بالشعر الجميل في كتاب قد تصدره بعد حين، إن سمح رب الكون الجليل ومد في العمر

أَلَا يَا حَبِّدًا نَفَحَاتُ نَجْدٍ وَرِيًّا رَوْضِهِ بَعْدَ الْقِطَارِ
ما أجمل نفحات، نسمات، نجد، وما أجمل رياء، أي رائحة، نجد بعد القطار، بعد المطر
وَأَهْلُكَ إِذْ يَحُلُّ الْحَيُّ نَجْدًا وَأَنْتَ عَلَى زَمَانِكَ غَيْرُ زَارٍ
وما أجمل أهلك إذ يحل الحي، القوم، في نجد وتكون أنت في تلك الحال سعيد بالزمن غير زار عليه، غير مستاء منه

شُهُورٌ يَنْقُضِينَ وَمَا شَعَرْنَا بِأَنْصَافٍ لَهْنٍ وَلَا سِرَارٍ
كانت تنقضي الشهور بسعادة فلا نشعر بمرور نصف الشهر، ولا بسراره، أي آخره

١٤٦ اغرورقتا ثم سالتا

وَمِمَّا شَجَّانِي أَنَّهَا يَوْمَ أَعْرَضْتَ تَوَلَّتْ وَمَاءُ الْعَيْنِ فِي الْجَفْنِ حَائِرُ
مما شجاني، أوجع قلبي، أنها يوم أعرضت، ذهبت، تولت، انصرفت، ودمعها حائر في جفنها، أي أن عينيها مغرورقتان بالدمع

فَلَمَّا أَعَادَتْ مِنْ بَعِيدٍ بِنْظَرَةٍ إِلَيَّ التَّفَاتَا أَسْلَمَتْهُ الْمَحَاجِرُ
فلما أعادت النظر إلي من بعيد ملتفتة، أسلمت المحاجر الدمع.. فسال من العينين إلى الخارج، والمحاجر العظيم المحيط بالعينين

١٤٧ تغيير المسار

بَيْنَمَا نَحْنُ بِالْبَلَاكِثِ قَالَقَا عِ سِرَاعًا وَالْعَيْسُ تَهْوِي هُوِيَّا
بينما كنا في موضع بين «البلاكت» والقاع» ونحن نسير مسرعين والعيس، أي النياق القوية، تسرع فكانها تسقط سقوطاً

خَطَرْتُ خَطَرَةً عَلَى الْقَلْبِ مِنْ ذِكِّ رَاكِ وَهْنًا فَمَا اسْتَطَعْتُ مُضِيًّا
فجأة.. خطرت ببالي ذكراك وهناً، ليلاً، فما استطعت المضي في السير

قُلْتُ: لَبَّيْكَ، إِذْ دَعَانِي لَكَ الشَّوُّ قُ، وَلِلْحَادِيَيْنِ: كُرَّا الْمَطِيَّا
قلت: لبيك، وعلى الفور قلت للحادين، سائقي الإبل: كُرَّا المطي.. كأنه أراد أن يغيرا خط سيرهما ليلحقا ببلد المحبوبة. ويقول المفسرون: بل أرادهما أن يحثا الإبل للسير بسرعة

١٤٨ ارحم نفسك

ابن هرمة:

اسْتَبَقِي دَمْعَكَ لَا يَوُدُّ الْبُكَاءُ بِهِ وَانْكُفُّ مَدَامِعَ مِنْ عَيْنِكَ تَسْتَبِقُ
أَبْقِ بَعْضَ دَمْعِكَ وَلَا تَدْعِ الْبُكَاءَ يَنْزِفُهُ كُلَّهُ، وَكَفِّ عَيْنَكَ عَنْ ذَرْفِ الدَّمْعِ الَّتِي تَسَابِقُ فِي النُّزُولِ
لَيْسَ الشُّؤُونُ وَإِنْ جَادَتْ بِبَاقِيَةٍ وَلَا الْجُفُونُ عَلَى هَذَا وَلَا الْحَدَقُ
شُؤُونُ عَيْنِكَ، مَجَارِي الدَّمْعِ فِيهِمَا، لَنْ تَبْقَى حَتَّى وَإِنْ كَانَتْ سَخِيَةً بِالدَّمْعِ الْآنَ، وَعَلَى هَذَا
الْمَنَوَالِ لَنْ تَبْقَى جَفُونُكَ وَلَا أَحْدَاقُكَ

١٤٩ بَيِّنَاتِ الْحُبِّ

الحسين بن مطير:

فِيَا عَجَبًا لِلنَّاسِ يَسْتَشْفِرُونَنِي كَأَنْ لَمْ يَرَوْا بَعْدِي مُجَبًّا وَلَا قَبْلِي
عَجَبًا لِلنَّاسِ يَسْتَشْفِرُونَنِي، يَنْظُرُونَ إِلَيَّ، كَأَنَّهُمْ لَمْ يَرَوْا مُجَبًّا مِنْ قَبْلِ أَوْ كَأَنَّهُمْ لَا يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ
سَيَرُونَ مُجَبًّا فِي حَيَاتِهِمْ بَعْدِي
يَقُولُونَ لِي اضْرِمِ يَرْجِعِ الْعَقْلُ كُلُّهُ وَضُرْمُ حَبِيبِ النَّفْسِ أَذْهَبَ لِلْعَقْلِ
يَقُولُونَ لِي اصْرَمِ، أَيْ اقْطَعْ الْعَلَاقَةَ، فِيهِذَا تَسْتَرِدُّ عَقْلَكَ، وَلَكِنِّي أَعْلَمُ أَنَّ قِطْعَ الْعَلَاقَةِ أَكْثَرَ إِذْهَابًا لِلْعَقْلِ
وَيَا عَجَبًا مِنْ حُبِّ مَنْ هُوَ قَاتِلِي كَأَنِّي أَجَازِيهِ الْمَوَدَّةَ مِنْ قَتْلِي
وَمِنْ بَيِّنَاتِ الْحُبِّ أَنْ كَانَ أَهْلُهَا أَحَبَّ إِلَيَّ قَلْبِي وَعَيْنِي مِنْ أَهْلِي
مِنْ عِلَامَاتِ الْحُبِّ أَنِّي أَحَبُّ أَهْلِي أَكْثَرَ مِنْ حَبِي أَهْلِي

١٥٠ ويلي من يومي

أبو الطمَّحَانِ الْقَيْنِي:

أَلَا عَلَّلَانِي قَبْلَ نَوْحِ النَّوَائِحِ وَقَبْلَ ارْتِقَاءِ النَّفْسِ فَوْقَ الْجَوَانِحِ
سَلِيلَانِي وَأَنَسَانِي قَبْلَ الْمَوْتِ وَقَبْلَ ارْتِقَاءِ النَّفْسِ وَخُرُوجِهَا مِنْ بَيْنِ الْجَوَانِحِ، الْأَضْلَاعِ
وَقَبْلَ غَدٍّ، يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَى غَدٍّ إِذَا رَاحَ أَصْحَابِي وَلَسْتُ بِرَائِحِ
قَبْلَ الْغَدِّ عِنْدَمَا يَضْعِي أَصْحَابِي فِي الْقَبْرِ وَيُرَوِّحُونَ إِلَى بَيْتِهِمْ، وَأَنَا لَا أُرَوِّحُ مَعَهُمْ
إِذَا رَاحَ أَصْحَابِي تَفِيضُ دُمُوعُهُمْ وَخُلِّيتُ فِي لَحْدٍ عَلَيَّ صَفَائِحِي
الصفائح: حجارة القبر العريضة التي تسد حفرة

يَقُولُونَ هَلْ أَصْلَحْتُمْ لِأَخِيكُمْ وَمَا الرَّمْسُ فِي الْأَرْضِ الْفَضَاءِ بِصَالِحٍ

يسأل الناس بعضهم بعضاً بعد انتهاء الدفن: هل أصلحت له الكفن، وهل وسدتموه في قبره جيداً.. قد رأيت قوماً يفعلون ذلك، يا للسخف! وليس الرمس، أي القبر، في الأرض الفضاء، في البر، بالمكان الصالح

١٥١ يستر على محبوبته

جابر بن الثعلب الجرمي:

وَمُسْتَحْبِرٍ عَنْ سِرِّ رِيًّا رَدَّدْتُهُ بِعَمِيَاءٍ مِنْ رِيًّا بِغَيْرِ يَقِينٍ

رب مستحبر يسألني عن علاقتي برياً، وقد رددته بعميةاء، قلت له قولاً ممغماً لا يفيد بشيء ولا يعطيه يقيناً

فَقَالَ: انْتَصِحْنِي إِنِّي لَكَ نَاصِحٌ وَمَا أَنَا إِلَّا خَبَرْتُهِ بِأَمِينٍ

يريد أن يجزني للحديث عنها فيقول لي: اطلب النصح، ولو أخبرته بأي شيء فلن أكون أميناً لمحبوبي

١٥٢ أنا قلبي دليلي

الحارث بن خالد المخزومي:

إِنِّي وَمَا نَحَرُوا غَدَاةَ مِنِّي عِنْدَ الْجِمَارِ تَوَوَّدَهَا الْعُقْلُ..

يحلف بالشيء التي نحرها الحجاج في منى عند موضع رمي الجمرات، والشيء تؤودها العقول، تنقل أعتاقها الجبال..

لَوْ بُدِّلْتُ أَعْلَى مَسَاكِنِهَا سِفْلاً وَأَصْبَحَ سِفْلاً يَغْلُو..

لو انقلبت مساكن المحبوبة رأساً على عقب

فَيَكَادُ يَغْرِفُهَا الْخَبِيرُ بِهَا فَيَرُدُّهُ الْإِقْوَاءُ وَالْمَحَلُّ..

فيشك فيها الخير العالم بها ويكاد يعرفها لكن يزيد من شكوكه الإقواء والمحل، أي خلوها من أهلها وتبدل الأرض بالقحط..

لَعَرَفْتُ مَغْنَاهَا لِمَا اشْتَمَلْتُ مِنِّي الضُّلُوعُ لِأَهْلِهَا قَبْلُ

لعرفت مغناها، منزلها الذي كان عامراً، بحدس قلبي حيث اشتملت ضلوعي على حب عميق لأهل هذه الديار

١٥٣ المختبئة في شعرها

بكر بن الطَّاح:

بَيْضَاءُ تَسْحَبُ مِنْ قِيَامِ شَعْرَهَا وَتَغِيبُ فِيهِ وَهُوَ جَثْلٌ أَسْحَمُ
حتى وهي واقفة فشعرها يصل الأرض، وهي تغيب في هذا الشعر الجثل، الكثيف، الأسحم،
الأسود

وَكَأَنَّهَا فِيهِ نَهَارٌ سَاطِعٌ وَكَأَنَّهُ لَيْلٌ عَلَيْهَا مُظْلِمٌ
فوجهها في شعرها كالنهار المضيء، وشعرها كالليل

١٥٤ سباق مع الحمامة

نُصِيب:

لَقَدْ هَتَفْتُ فِي جُنْحِ لَيْلِ حَمَامَةٍ عَلَى فَنٍّ تَدْعُو، وَإِنِّي لَنَائِمٌ
فنن: غصن

كَذَبْتُ، وَبَيْتِ اللَّهِ، لَوْ كُنْتُ عَاشِقًا لَمَا سَبَقَنِي بِالْبُكَاءِ الْحَمَائِمُ

١٥٥ صبا نجد

عبد الله بن الدُّمَيْنَةُ الْخُثْعَمِي:

أَلَا يَا صَبَا نَجْدٍ مَتَى هِجْتِ مِنْ نَجْدٍ؟ فَقَدْ زَادَنِي مَسْرَاكِ وَجَدًّا عَلَى وَجْدٍ
يا نسيم الصبا القادم من نجد متى هبت من نجد؟ لقد زادني مسراك، قدومك مساء، وجدًّا فوق وجدي

إِنْ هَتَفْتُ وَرَقَاءَ فِي رَوْنَقِ الضُّحَى عَلَى فَنٍّ غَضُّ النَّبَاتِ مِنَ الرَّنْدِ..
إن هتفت حمامة في رونق الضحى، في ضيائه، على غصن طري من شجر الرند الذكي..

بَكَيْتُ كَمَا يَبْكِي الْوَلِيدُ، وَلَمْ أَكُنْ جَلِيدًا وَأَبْدَيْتُ الَّذِي لَمْ أَكُنْ أَبْدِي
بكيت كالطفل المولود حديثاً، ولم أكن جليداً، وبدأ من مشاعري ما لم يكن يبدو

وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ الْمُحِبَّ إِذَا دَنَا يَمَلُّ، وَأَنَّ النَّأْيَ يَشْفِي مِنَ الْوَجْدِ
بِكُلِّ تَدَاوَيْنَا فَلَمْ يُشْفَ مَا بِنَا عَلَى أَنْ قُرْبَ الدَّارِ خَيْرٌ مِنَ الْبُعْدِ
تداويت بالقرب وتداويت بالبعد فلم أشف من الحب.. ولكن القرب أحسن على كل حال

وَلَكِنْ قُرْبَ الدَّارِ لَيْسَ بِنَافِعٍ إِذَا كَانَ مِنْ تَهَوَّاهُ لَيْسَ بِذِي عَهْدٍ

وما نفع القرب إن كانت الحبيبة لا تحفظ وعودها؟

١٥٦ غادرت شيئاً

كثير عزة:

وَأَذْنَيْتَنِي حَتَّى إِذَا مَا مَلَكَتْنِي بِقَوْلٍ يُحِلُّ الْعُصَمَ سَهْلَ الْأَبَاطِحِ..
قَرَّبْتَنِي إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا مَا مَلَكَتْ فَوَادِي بِكَلَامِكَ الَّذِي يَحِلُّ، أَيْ يُنْزِلُ، الْعُصَمَ، أَيْ الْوَعُولَ
الجبليَّة، إِلَى الْأَبَاطِحِ، السُّهول..

تَجَافَيْتَ عَنِّي، حِينَ لَا لِي حِيلَةٌ وَغَادَرْتَ مَا غَادَرْتَ بَيْنَ الْجَوَانِحِ
عندئذ تجافيت عني، وابتعدت، وتركت ما تركت بين ضلوعي

١٥٧ جواب من القبر

تَوْبَةُ بْنِ الْحُمَيْرِ وَهُوَ مِنْ شُعْرَاءِ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ:

لَوْ أَنَّ لَيْلَى الْأَخْيَلِيَّةَ سَلَّمْتُ عَلَيَّ وَدُونِي جَنْدَلٌ وَصَفَائِحُ..
لو سلمت عليَّ لَيْلَى الْأَخْيَلِيَّةِ وَأَنَا تَحْتَ الْجَنَادِلِ، الصُّخُورِ، وَالصَّفَائِحِ، حِجَارَةِ الْقَبْرِ..

لَسَلَّمْتُ تَسْلِيمَ الْبَشَاشَةِ أَوْ رَقَا إِلَيْهَا صَدَى مِنْ جَانِبِ الْقَبْرِ صَائِحُ
لرَدَدَتْ سَلامَهَا بِشَاشَةٍ وَجْهَ، أَوْ لَرَقَا، أَيْ صَاحَ، إِلَيْهَا صَدَى مِنَ الْقَبْرِ، وَالصَّدَى هُوَ الصَّدَى
الَّذِي تَرُدُّهُ الْجِبَالُ.. وَلَكِنْ الْعَرَبُ كَانَتْ تَزْعُمُ أَنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ قَبْرِ الْمَيِّتِ مَخْلُوقٌ خَيَالِي يُسَمُّونَهُ
الْهَامَةَ.. وَيَصْدُرُ عَنْ الْهَامَةِ صَوْتُ هُوَ الصَّدَى

وَأُغْبِطُ مِنْ لَيْلَى بِمَا لَيْسَ نَافِعِي بَلَى كُلُّ مَا قَرَّتْ بِهِ الْعَيْنُ صَالِحُ
يُغْبِطُنِي النَّاسُ عَلَى عِلَاقَتِي بِلَيْلَى، وَمَا يُغْبِطُونَنِي عَلَيْهِ لَيْسَ نَافِعِي.. لَا بَلْ هُوَ نَافِعٌ.. ذَلِكَ أَنَّ كُلَّ
مَا قَرَّتْ بِهِ الْعَيْنُ، رَضِيَتْ بِهِ، جَيِّدٌ

١٥٨ القلب في الشرك

كَأَنَّ الْقَلْبَ لَيْلَةً قَبْلَ يُغْدَى بِلَيْلَى الْعَامِرِيَّةِ أَوْ يُرَاحُ..
كَأَنَّ الْقَلْبَ عِنْدَمَا قِيلَ إِنَّ قَوْمَ لَيْلَى سَيَذْهَبُونَ غَدَوَةً، صَبَاحاً، أَوْ رَوَاحاً، مَسَاءً، وَهِيَ مَعَهُمْ..

قَطَاةٌ عَزَّهَا شَرْكَ فَبَاتَتْ تُجَاذِبُهُ وَقَدْ عَلِقَ الْجَنَاحُ
القلب كأنه طير قَطَا. والقِطَاةُ عَزَّهَا، أَعْجَزَهَا، شَرْكَ، شَبَكَةُ الصَّائِدِ، فَبَاتَتْ تَجَاذِبُ الشَّبَكَةَ وَقَدْ
عَلِقَ جَنَاحُهَا بِهَا

لَهَا فَرَخَانٍ قَدْ تُرِكَا بِوَكْرِ وَعُشُّهُمَا تُصَفِّقُهُ الرِّيحُ
وهذه القِطَاةُ قَدْ تَرِكَتْ فَرَخِيهَا فِي الْعُشِّ الَّذِي تَهْبُ عَلَيْهِ الرِّيحُ

فلا في الليلِ نَأَلْتُ ما تَمَنَّيْتُ ولا في الصُّبْحِ كان لها بَرَّاحُ
فلا في الليلِ نالت صيداً، ولا في الصباح كان لها براح، فكاك

١٥٩ وعود الغواني

تَمَتَّعَ بِهَا ما سَاعَفْتُكَ ولا تَكُنْ عَلَيْكَ شَجاً في القلبِ حين تَبِينُ
تمتع بالمحبة ما ساعفتك، سايرتك ووافقتك، ولا تجعلها شجاً، شوكه، في قلبك حين تفارقت
وَإِنْ هِيَ أَعْظَمْتُكَ اللَّيْلانَ فَإِنَّهَا لِعَيرِكَ مِنْ خُلَّانِها سَتَلِينُ
فإن كانت مسaire لك وملاينة فاعلم أنها ستلين لغيرك من خلانها، أصحابها
وَإِنْ حَلَفْتُ لا يَنْقُضُ النَّأْيُ عَهْدَها فليس لِمَخْضُوبِ البَنانِ يَمِينُ
فإن حلفت لك ألا تنقض عهدك بالنأي، عند الفراق، فاعلم أنه ليس لمخضوب البنان، لشخص
مصبوغ أطراف الأصابع بالحناء.. أي لامرأة، يمين صادقة

١٦٠ دموع وقصائد

فإن تَمَنَعُوا لَيْلَى وَحُسْنَ حَدِيثِها فلن تَمَنَعُوا مِنِّي البُكَ والقَوافيا
فهلّا مَنَعْتُمْ، إذ مَنَعْتُمْ حَدِيثَها، خيالاً يُوافيني مَعَ اللَّيْلِ هاديا
منعتموني من أن أحدثها فهل بوسعكم منع خيالها من أن يأتيني في المنام وهو يتهادى؟

١٦١ أنا والله كريم

أَسْجَناً وَقَيْداً واشْتِياقاً وَغُرْبَةً وَفَقْدَ حَبِيبٍ إِنَّ ذا لَعَظِيمُ
مسجون مقيد ومشتاق ومغترب وفاقد للحبيب.. ما أنظع ذلك..
وَإِنَّ امْراً تَبَقَى مَواثِيقُ عَهْدِهِ على مثلِ ما قاسَيْتُهُ لَكَرِيمُ
ومن يحفظ عهد المحبة رغم كل ذلك فهو رجل كريم، أي أصيل

١٦٢ أسير المحبة

ابن طَريف:

وَقَفْتُ لِلَّيْلِ بِالْمَلا بعد حِقْبَةٍ بِمَنْزِلَةٍ فَانْهَلَتْ العَيْنُ تَدْمَعُ
وقفت لليلي بالملا، بين الناس، بعد فراق دام زمناً فالت العيون بالدمع

وَأَتَّبِعْ لَيْلَى حَيْثُ سَارَتْ وَوَدَّعَتْ وَمَا النَّاسُ إِلَّا أَلْفٌ وَمُودَعٌ
وَاتَّبِعْ لَيْلَى إِلَى كُلِّ مَكَانٍ، وَالنَّاسُ هَكَذَا بَعْضُهُمْ يُوَدِّعُ وَيُنْسِي وَبَعْضُهُمْ يَأْلَفُ وَيُوَاصِلُ
كَأَنَّ زِمَامًا فِي الْفُؤَادِ مُعَلَّقًا تَقُودُ بِهِ حَيْثُ اسْتَمَرَّتْ وَأَتَّبِعْ
كَأَنَّ حَبْلًا يَرْبِطُ قَلْبِي بِهَا فَهِيَ تَقُودُ الْقَلْبَ إِلَى كُلِّ مَكَانٍ تَذْهَبُ إِلَيْهِ

١٦٣ خوش هدية

وَزَدَ الْجَعْفَدِيُّ، الشَّاعِرَ الْجَاهِلِيَّ:

خَلِيلِيَّ عُوْجًا بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمَا وَإِنْ لَمْ تَكُنْ هِنْدًا لِأَرْضِكُمَا قَصْدًا
يَا صَاحِبِي مِيلًا نَحْوَ دِيَارِ هِنْدٍ حَتَّى وَإِنْ لَمْ تَكُنْ دِيَارَهَا عَلَى طَرِيقِكُمَا
وَقُولَا لَهَا لَيْسَ الضَّلَالُ أَجَارَنَا وَلَكِنَّا جُرْنَا لِنَلْقَاكُمْ عَمْدًا
قُولَا لَهَا لَمْ نَضِلْ الطَّرِيقَ، وَلَكِنَّا جُرْنَا، أَيْ انْحَرَفْنَا، عَمْدًا لِنَلْقَاكُمْ
تَخَيَّرْتُ مِنْ «نَعْمَانَ» عُودَ أَرَاكِ لِهِنْدٍ، وَلَكِنْ مَنْ يُبْلِغُهُ هِنْدًا
قَطَعْتَ مِنْ وَادِي نَعْمَانَ عُودَ سَوَاكِ مِنْ شَجَرَةِ «أَرَاكِ» هَدِيَّةً لِهِنْدٍ.
وَلَكِنْ، مَنْ ذَا يُبْلِغُهُ هِنْدًا؟

١٦٤ نهر الدموع

قَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَكَلٍ:

وَمَا فِي الْأَرْضِ أَشَقَى مِنْ مُحِبٍّ وَإِنْ وَجَدَ الْهَوَى حُلُوَ الْمَذَاقِ
تَرَاهُ بِإِكْبٍ فِي كُلِّ حَالٍ مَخَافَةً فُرْقَةٍ أَوْ لِاشْتِيَاقِ
فَيَبْكِي إِنْ نَأَوْا شَوْقًا إِلَيْهِمْ وَيَبْكِي إِنْ دَنَوْا خَوْفَ الْفِرَاقِ
فَتَسْحَرُنْ عَيْنُهُ عِنْدَ التَّنَائِي وَتَسْحَرُنْ عَيْنُهُ عِنْدَ التَّلَاقِ

١٦٥ أفنيت علاتي

يَزِيدُ بْنُ الطَّرِيقَةِ:

عُقَيْلِيَّةُ أَمَّا مَلَاثُ إِزَارِهَا قَدِ عَصُ وَأَمَّا خَضْرُهَا فَبَتِيلُ
هِيَ مِنْ عُقَيْلٍ، وَمَلَاثُ إِزَارِهَا، مَوْضِعُ لَفِّ التَّنُورَةِ أَيْ الْأَرْدَافِ، قَدِ عَصُ، أَيْ كَثِيبُ رَمْلِ، وَأَمَّا
الْخَصْرُ فَبَتِيلُ، نَحِيلُ

تَقَيِّظُ أَكْنَافَ الْحِمَى، وَيُظِلُّهَا بِنَعْمَانَ مِنْ وَادِي الْأَرَاكِ مَقِيلُ
تشعل أطراف الحمى، مكان القوم، بالحر الشديد، وتستظل المحبوبة في نعمان وهو واد يكثر فيه
شجر الأراك حيث تحلو القيلولة

فَدَيْتُكَ أَعْدَائِي كَثِيرٌ، وَشَقَّتِي بَعِيدٌ، وَأَنْصَارِي لَدَيْكَ قَلِيلُ
أنا غريب هنا ..

وَكُنْتُ إِذَا مَا جِئْتُ جِئْتُ بِعِلَّةٍ فَأَقْنَبْتُ عِلَاتِي، فَكَيْفَ أَقُولُ؟
كنت كلما جئت إلى مضارب قومك جئت بعلة، بحجة أتججج بها، ولم يبق لي حجج .. فماذا
سأقول هذه المرة؟

١٦٦ منتهى الأمنيات

وَلَمَّا نَزَلْنَا مَنْزِلًا طَلَّهُ النَّدَى أَنْيَقًا، وَبُسْتَانًا مِنَ النُّورِ حَالِيَا
لما نزلنا مكاناً ندياً أنيقاً، وبستاناً حاليماً، أي متحلياً مزيناً، بالنور، أي النور
أَجَدُّ لَنَا طِيبُ الْمَكَانِ وَحُسْنُهُ مُنَى فَتَمَنَّيْنَا فَكُنْتَ الْأَمَانِيَا
أجد، أي أحدث، لنا طيب المكان وجماله أمني، فتمنينا .. فكنت أنت الأمانيا

١٦٧ البريئة

ابن الدُّمَيْنَةِ:

بِنَفْسِي وَأَهْلِي مَنْ إِذَا عَرَّضُوا لَهُ بِذِكْرِ الْهَوَى لَمْ يَذَرِ كَيْفَ يُجِيبُ
أفدي بنفسي وبأهلي الحبيب الذي يذكرون أمامه تعريضاً لا تصريحاً الهوى فيرتك
ولا يعرف كيف يجيب

وَلَمْ يَعْتَذِرْ عُذْرَ الْبَرِيِّ، وَلَمْ تَزَلْ بِهِ سَكْنَةً حَتَّى يُقَالَ مُرِيبُ
فلا يعتذر الحبيب بكلام يظهر براءته، وسكت كأنه يخفي شيئاً

لَقَدْ ظَلَمُوا ذَاتَ الْوِشَاحِ، وَلَمْ يَكُنْ لَنَا مِنْ هَوَى ذَاتِ الْوِشَاحِ نَصِيبُ
قد ظلموها .. فلم يكن لنا نصيب من حبها الذي سعينا إليه فلم نوافقنا عليه

١٦٨ الزفرات والعبرات

هَلِ الْحُبُّ إِلَّا زَفَرَةٌ بَعْدَ زَفَرَةٍ وَحَرٌّ عَلَى الْأَحْشَاءِ لَيْسَ لَهُ بَرْدُ
الحب زفرات حرى وعذاب

وَفَيْضُ دُمُوعِ الْعَيْنِ يَا مَيِّ كَلَّمَا بَدَا عَلَمٌ مِنْ أَرْضِكُمْ لَمْ يَكُنْ يَبْدُو
والحب هو انسكاب دمع العين يا مئة كلما اقتربنا من ديارك وبدا لنا علم، أي جبل،
لم يكن يبدو من قبل

١٦٩ قوس كيوبيد

أبو دَفِيلِ الْجَمَحِي:

أَقُولُ وَالرَّكْبُ قَدْ مَالَتْ عَمَائِمُهُمْ وَقَدْ سَقَى الْقَوْمَ كَأْسَ النَّعْسَةِ السَّهَرُ
أقول والركب، أي المسافرون على الجمال، قد مالت رؤوسهم ومالت العمائم، وقد سقاهاهم السهر
كأس النعاس

يَا لَيْتَ أَنِّي بِأَثَوَابِي وَرَاحِلَتِي عَبْدٌ لِأَهْلِكَ هَذَا الْعَامَ مُؤْتَجِرُ
يا ليت أني عبد أجير عند أهلك أيتها المحبوبة طول السنة وأثوابي وراحلتي، ناقتي، معي لا
أكلفهم شيئاً من مؤنثي

جَنِيَّةٌ أَوْ لَهَا جِنَّ يُعَلِّمُهَا رَمَى الْقُلُوبِ بِقَوْسٍ مَا لَهَا وَتَرُ
محبوبتي من الجن لحسنها الذي لا مثيل له في البشر، أو أن لها جنياً يعلمها كيف ترمي القلوب
بقوس الحب التي ليس لها وتر

١٧٠ كدت أطير

عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود:

تَغْلَغَلَ حُبٌّ «عَثْمَةً» فِي فُؤَادِي فَبَادِيهِ مَعَ الْخَافِي يَسِيرُ
تعمق حب عثمة في قلبي والظاهر منه للعيان قليل بالقياس إلى ما خفي
تَغْلَغَلَ حَيْثُ لَمْ يَبْلُغْ شَرَابٌ وَلَا حُزْنٌ وَلَمْ يَبْلُغْ سُرُورُ
هذا حب متعمق جداً..

شَقَقْتُ الْقَلْبَ ثُمَّ ذَرَرْتُ فِيهِ هَوَاكِ، فَلَيْمَ، فَالْتَأَمَ الْفُطُورُ
شقت قلبي ثم ذررت، أي رششت، فيه حبك، ثم ليم، أي رُمم وأصلح وتم تخطيطه، فالتام
الفطور، أي أغلق وأصلح الشق

أَكَادُ إِذَا ذَكَرْتُ الْعَهْدَ مِنْهَا أَطِيرُ لَوْ أَنَّ إِنْسَانًا يَطِيرُ

١٧١ هذا حبيبها

قال نُصَيْب، وتروى لغيره:

أَهَابِكَ إِجْلَالاً، وَمَا بِكَ قُدْرَةً عَلَيَّ، وَلَكِنْ مِلءُ عَيْنِ حَبِيبُهَا
أَهَابَكَ إِكْبَاراً لِقُدْرِكَ، لَيْسَ أَنْ لَكَ عَلَيَّ قُدْرَةٌ، وَلَكِنْ حَبِيبُ الْمَرْءِ مِلءُ عَيْنِهِ كَأَنَّمَا يَرَاهُ أَكْبَرُ مِنَ
الْحَجْمِ الطَّبِيعِيِّ

وَمَا هَجَرْتُكَ النَّفْسُ أَنَّكَ عِنْدَهَا قَلِيلٌ، وَلَكِنْ قَلَّ مِنْكَ نَصِيبُهَا
ابتعادي عنك ليس لهوانك علي بل لقلة حظي منك

وَلَكِنَّهُمْ يَا أَمْلَحَ النَّاسِ أَكْثَرُوا يَقُولُ إِذَا مَا جِئْتُ: هَذَا حَبِيبُهَا
ومع ذلك فكلما جئت قالوا: هذا حبيبها. ويحك ما أجمل هذا البيت!

١٧٢ منتهى العفاف

ابن الدمينه:

أَحَقّاً عِبَادَ اللَّهِ أَنْ لَسْتُ وَارِداً وَلَا صَادِراً إِلَّا عَلَيَّ رَقِيبٌ
لا آتي ولا أذهب إلا وعلي رقيب

وَلَا زَائِراً فَرِداً وَلَا فِي جَمَاعَةٍ مِنَ النَّاسِ إِلَّا قِيلَ أَنْتَ مُرِيبٌ
ولا أزور أحداً أو قوماً إلا قيل لي إني مرعب، أي لدي ما أخفيه مما هو غريب أو معيب
وهل ريبه في أن تحزن نجيبه إلى إلفها أو أن يحزن نجيب
هل ثمة ريبه في أن تحن ناقة إلى صاحبها الجميل، أو أن يحن هو إليها؟

وَإِنِّي لِأَسْتَحْيِيكَ حَتَّى كَأَنَّمَا عَلَيَّ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مِنْكَ رَقِيبٌ

١٧٣ المغرورقتان

أبو حية التميمي:

نَظَرْتُ كَأَنِّي مِنْ وَرَاءِ زُجَاجَةٍ إِلَى الدَّارِ مِنْ قَرْطِ الصَّبَابَةِ أَنْظُرُ
لأن عينيه فيهما دموع فهو يرى دار المحبوبة كما يرى المرء الشيء غائماً من وراء زجاجة،
والزجاجة هي الكأس

فَعَيْنَايَ طَوَّراً تَغْرَقَانِ مِنَ الْبُكَاءِ فَأَعْشَى، وَطَوَّراً تَحْصِرَانِ فَأَبْصُرُ
تفرق عيناى حيناً بالبكاء فأصبح أعشى ضعيف النظر، وتحصران، تنكشفان، حيناً فأبصر

١٧٤ الملامة اللذيذة

أبو الشَّيْصِ الْخَزَاعِي:

وَقَفَّ الْهَوَى بِي حَيْثُ أَنْتِ، فَلَيْسَ لِي مُتَأَخَّرٌ عَنْهُ وَلَا مُتَقَدِّمٌ

تجمدت حياتي فلم يعد لي شغل إلا أنت

أَجِدُ الْمَلَامَةَ فِي هَوَاكَ لَذِيذَةً حُبًّا لِذِكْرِكَ، فَلَيْلُمْنِي اللَّوْمُ

استمتع بمن يلوموني في شأنك لأن مجرد ذكرك ممتع لقلبي،

فليلمني اللوم، أي اللاتمون

أَشْبَهْتُ أَعْدَائِي فَصِرْتُ أَحِبُّهُمْ إِذْ صَارَ حَظِّي مِنْكَ حَظِّي مِنْهُمْ

أنت مثل أعدائي فهم يبخلون علي بكل ما هو حسن، وكذلك أنت.. لذا صرت أحب أعدائي
لحبك

وَأَهْنَيْتَنِي فَأَهَنْتُ نَفْسِي عَامِداً، مَا مَنْ يَهُونُ عَلَيْكَ مِمَّنْ أَكْرِمُ

أهنتني في الحب فقبلت الإهانة فما من أحد يهون عندك وأكرمه،

لذا فأنا أهين نفسي لأنك تهينها

١٧٥ حوار حبيبين

ابن الدمينه لمحبوته أمانة:

وَأَنْتِ الَّتِي كَلَّفْتَنِي دَلَجَ السَّرَى وَجُودَ الْقَطَا بِالْجَلْهَتَيْنِ جُثُومُ

أنت كلفتني دلج السرى، السير ليلاً، بينما طيور القطا الجون، السود، جثوم راقدات في
«الجلهتين»

وَأَنْتِ الَّتِي أَحْفَظْتَ قَوْمِي فَكُلُّهُمْ بَعِيدُ الرِّضَا بِأَدْيِ الصُّدُودِ كَظِيمُ

وأنت أحفظت قومي، أغضبتهم علي، فكلمهم ساخط ويكظم سخطه، يخفيه

فقالته محبوبته نجبيه:

وَأَنْتِ الَّتِي أَخْلَفْتَنِي مَا وَعَدْتَنِي وَأَشْمَتَ بِي مَنْ كَانَ فِيكَ يَلُومُ

أنت أخلفت وعدك، وجعلت اللاتمين يشمتون بي

وَأَبْرَزْتَنِي لِلنَّاسِ ثُمَّ تَرَكْتَنِي لَهُمْ غَرَضاً أَرْمَى وَأَنْتِ سَلِيمُ

وفضحتني بين الناس ثم تركتني غرضاً لسهام الذم، وأنت سليم منها

١٧٦ فعلت أفعالها

أعشى بني تغلب، وتروى لعمرو بن الأصم:

أَلِمِمَ عَلَى دِمَنِ تَقَادَمَ عَهْدُهَا بِالْجَزَعِ وَاسْتَلَبَ الزَّمَانُ جَمَالَهَا
ألم، زُر من الزيارة، على دمن قديمة، هي خرائب المنازل في موضع الجزع التي ذهب حسنُها
بمرور الزمن عليها

رَسَمَ لِقَاتِلَةَ الْغَرَائِقِ مَا بِهَا إِلَّا الْوُحُوشُ خَلَّتْ لَهُ وَخَلَا لَهَا
هذا رسم، أي طلل، لدار قاتلة الغرائق، الشبان الوسيمين، وليس بها إلا الوحوش، حيوانات
البر، خلا لها الرسم الموحش وخلت له الوحوش

ظَلَّتْ تُسَائِلُ بِالْمُتَيْمِ أَهْلَهُ وَهِيَ الَّتِي فَعَلَتْ بِهِ أَفْعَالَهَا
وهي تسأل أهل المتيّم المغموم بها عن حاله،
بينما هي التي فعلت به ما فعلت

١٧٧ أحبيت وكفى

عمرو بن ضُبَيْعَةَ الرَّقَاشِي:

تَضَيَّقُ جُفُونُ الْعَيْنِ عَنْ عِبْرَاتِهَا فَتَسْفَحُهَا بَعْدَ التَّجَلُّدِ وَالصَّبْرِ
تضيّق الجفون عن الدموع فتسفحها، أي تسكبها، بعد التجلد، التماسك، والصبر

أَلَا لِيَقُلْ مَنْ شَاءَ مَا شَاءَ إِنَّمَا يُلَامُ الْفَتَى فِيمَا اسْتَطَاعَ مِنَ الْأَمْرِ
قَضَى اللَّهُ حُبَّ الْمَالِكِيَّةِ فَاضْطَرَّ عَلَيْهِ فَقَدْ تَجَرَّى الْأُمُورُ عَلَى قَدَرٍ
أصبر على حب المالكية فهذا قضاء الله، والأمر تجري بحسب المقادير

١٧٨ التمتع بالتمني

قال رجل من بني الحارث:

مَنْ إِنْ تَكُنْ حَقًّا تَكُنْ أَحْسَنَ الْمَنَى وَإِلَّا فَقَدْ عِشْنَا بِهَا زَمْنًا رَعْدًا
لو تحققت الأمانى فهذا أحسن شيء، وإلا، أي إن لم تتحقق، فقد سررنا بالتمني

أَمَانِيٍّ مِنْ سَعْدَى حِسَانٍ كَأَنَّمَا سَقَنَكَ بِهَا سَعْدَى عَلَى ظَمٍّ بَرْدًا
الأمانى بوصل سعدى جميلة وهي تبرّد القلب،
فكان سعدى سقتك ماء باردًا وأنت عطشان

١٧٩ أحلاهما مرّ

إِنِّي وَإِيَّاكَ كَالصَّادِي رَأَى نَهْلًا وَدُونَهُ هُوَّةٌ يَخْشَى بِهَا التَّلَفًا
أنا وأنت أيتها المحبوبة كالصادي، أي العطشان، الذي رأى منهل ماء، وبينه وبين المنهل هوة
سحيقة يخشى الموت إن عبرها

رَأَى بِمَعْنَيْهِ مَاءً عَزَّ مَوْرِدُهُ وَلَيْسَ يَمْلِكُ دُونَ الْمَاءِ مُنْصَرَفًا
يرى الماء ولكن وروده عزيز، صعب، ولكنه لا يستطيع الانصراف دون أن يشرب

١٨٠ النعاس الحائر

وَلِي مُقْلَةٌ عَهْدُهَا بِالْكَرَى قَدِيمٌ، وَبِالدَّمْعِ عَهْدٌ قَرِيبٌ
عهدي بالنوم بعيد، وبالدمع قريب

يَحَارُ إِذَا زَارَ طَرْفِي الْكَرَى كَمَا حَارَ بِالْحَيِّ ضَبِيفٌ غَرِيبٌ
عندما يزور النوم طرفي أي عيني، فهو يحترق ولا يمكث طويلاً، ويكون نوماً مردداً قلقاً، مثلما
يحار ضيف غريب جاء إلى الحي

١٨١ انظري نحولي

خلف بن خليفة:

خُذِي يَدَيَّ ثُمَّ ارْفَعِي الثُّوبَ فَاَنْظُرِي بِي الضَّرِّ إِلَّا أَنَّنِي أَتَسْتَرُّ
ارفعي ثوبي لترى نحولي ونحفي، فانا أستر بالثوب لنلا يظهر ما بي
فَمَا حِيلَتِي إِنْ لَمْ تَكُنْ لَكَ رَحْمَةٌ عَلَيَّ وَلَا لِي عَنْكَ صَبْرٌ فَأَصْبِرُ
لا أنت راحمة لي ولا أستطيع عنك صبراً

١٨٢ زرع كبد

مجنون ليلي:

وَلِي كَبِدٌ مَفْرُوحَةٌ مَنْ يَبِيعُنِي بِهَا كَبِدًا لَيْسَتْ بِذَاتِ قُرُوحٍ؟
كبدتي بها قروح، فمن يبادلني بها كبداً صحيحة؟

أَبَى النَّاسُ بَيْنَ النَّاسِ لَا يَشْتَرُونَهَا وَمَنْ ذَا الَّذِي يَشْرِي دَوَى بِصَحِيحِ
الدوى: المريض

١٨٣ الرغبة عن الهجاء

أَرْطَاةَ بِن سُهَيْبَةَ الْمُزَيِّ، وَقَدْ عَاشَ فِي الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ:

نَمَنْتُ وَذَاكُم مِّنْ سَفَاهَةٍ رَّأَيْهَا لِأَهْجُوهَا لَمَّا هَجَّئَنِي مُحَارِبٌ
قَبِيلَةَ مُحَارِبٍ تَمَنَّتْ أَنْ أَرُدَّ عَلَى هَجَائِهَا لِي بِهِجَاءٍ، وَهَذَا مِنْ قِلَّةِ عَقْلِهَا

مَعَاذَ الْإِلَهِ إِنَّنِي بِقَبِيلَتِي وَنَفْسِي عَنْ ذَاكَ الْمَقَامِ لَرَاغِبٌ
مَعَاذَ اللَّهِ، فَأَنَا رَاغِبٌ لِقَبِيلَتِي وَلِنَفْسِي عَنِ الْقِيَامِ هَذَا الْمَقَامِ، أَيَّ كَارِهِ لَلْوُقُوفِ هَذَا الْمَوْقِفِ

١٨٤ هجاء الابن

فُرْعَانُ بْنُ الْأَعْرَفِ، الَّذِي عَاشَ لِعَهْدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فِي ابْنِهِ مَنَازِلَ، وَقَدْ عَقَهُ:

لَرَبِّيئُهُ حَتَّى إِذَا آضَ شَيْظُمًا يَكَادُ يُسَاوِي غَارِبَ الْفَحْلِ غَارِبُهُ
لَقَدْ رَيْتُ وَلَدِي «مَنَازِلًا» حَتَّى إِذَا آضَ، أَيَّ أَصْبَحَ، شَيْظُمًا، أَيَّ قَوِيًّا، يُسَاوِي ظَهْرَهُ ظَهْرَ الْفَحْلِ عَلَوًّا

وَرَبِّيئُهُ حَتَّى إِذَا مَا تَرَكْتُهُ أَخَا الْقَوْمِ وَاسْتَغْنَى عَنِ الْمَسْحِ شَارِبُهُ
رَبِيئُهُ حَتَّى أَصْبَحَ رَجُلًا فِي الْقَوْمِ، وَلَمْ يَعُدْ شَارِبُهُ يَمْسَحُ. . وَاسْتِغْنَاءُ الشَّارِبِ عَنِ الْمَسْحِ كِنَايَةٌ عَنِ
مَفَارِقَةِ الطِّفْلِ، فَالشَّارِبُ هُوَ الشَّفَتَانِ اللَّتَانِ تَشْرِبَانِ اللَّبْنَ، وَالطِّفْلُ يَمْسَحُونَ شَفَتَيْهِ بَعْدَمَا يَشْرَبُ اللَّبْنَ

تَعَمَّدَ حَقِّي ظَالِمًا وَلَوَى يَدِي لَوَى يَدَهُ اللَّهُ الَّذِي هُوَ غَالِبُهُ
تَعَمَّدَ، أَيَّ أَخْفَى، حَقِّي، وَلَوَى يَدِي، أَيَّ اسْتَقْوَى عَلَيَّ

وَكَانَ لَهُ عِنْدِي إِذَا جَاعَ أَوْ بَكَى عَلَى الزَّادِ أَحْلَى زَادِنَا وَأَطْيَابُهُ
عِنْدَمَا كَانَ يَجُوعُ أَوْ يَبْكِي عَلَى الزَّادِ، أَيَّ لِأَنَّهُ لَمْ يَحِبْ نَوْعَ الطَّعَامِ، فَلَهُ أَحْلَى وَأَطْيَبُ مَا عِنْدَنَا
مِنْ طَعَامٍ

إِنْ أُرْعِشْتَ كَفًّا أَبْيَكَ، وَأَصْبَحْتَ يَدَاكَ يَدَيَّ لَيْثٍ فَإِنَّكَ ضَارِبُهُ؟
إِنْ أَصَابَتْ الرِّعْشَةَ يَدِي أَبْيَكَ وَأَصْبَحْتَ يَدَاكَ أَنْتَ قَوِيَّتَيْنِ كَيْدِي الْأَسَدِ، فَأَنْتَ تَضْرِبُ أَبَاكَ؟

وَجَمَعْتُهَا دُهِمًا جِلَادًا كَأَنَّهَا أَشَاءُ نَخِيلٍ لَمْ تُقَطَّعْ جَوَانِبُهُ
لَقَدْ جَمَعْتُ هَذِهِ الْخِيُولَ الدِّهَمَ، السُّودَ، الْجِلَادَ، الْقَوِيَّةَ، الَّتِي كَانَتْهَا أَشَاءُ نَخِيلٍ، نَخَلَاتٍ صَغِيرًا،
لَمْ يَتِمَّ تَشْدِيدُهَا بَعْدَ

فَأَخْرَجَنِي مِنْهَا سَلِيبًا كَأَنَّي حُسَامَ يَمَانٍ فَارَقْتُهُ مَضَارِبُهُ
فَسَلَبَ خَيْلِي وَأَخْرَجَنِي صَفَرُ الْيَدَيْنِ، فَكَأَنَّي سَيْفَ يَمَانِي ذَهَبَ مَضَارِبُهُ، أَيَّ نَصَلُهُ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ
إِلَّا الْمَقْبُضُ

١٨٥ بثست الخلتان

قَتَّبَ بن أُمِّ صَاحِبٍ:

إِنْ يَسْمَعُوا رِيْبَةً طَارُوا بِهَا فَرَحًا مَنِّي، وَمَا سَمِعُوا مِنْ صَالِحٍ دَفَنُوا
إِنْ سَمِعُوا سِيْئَةً عَنِي فَرَحُوا بِهَا وَأَذَاعُوهَا، وَيَدْفِنُونَ مَا سَمِعُوا عَنْ حَسَنَاتِي

صُمُّ إِذَا سَمِعُوا خَيْرًا ذُكِرْتُ بِهِ وَإِنْ ذُكِرْتُ بِشَرٍّ عِنْدَهُمْ أَذْنُوا
بِهِمْ صَمَمَ عَنْ حَسَنَاتِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي أَحَدٌ بِسُوءٍ أَذْنُوا، فَتَحُوا أَذَانَهُمْ

جَهْلًا عَلَيْنَا وَجُبْنًا عَنْ عَدُوِّهِمْ لَيْسَتْ الْخَلَّتَانِ الْجَهْلُ وَالْجُبْنُ
جَهْلًا عَلَيْنَا، يَتَطَاوَلُونَ عَلَيْنَا، وَيَجْنُونَ عَنِ الْعَدُوِّ. وبثست الخصلتان الجهل، أي التهور
والتطاول، والجبن

١٨٦ المانّ على بني أسد

حُرَيْثُ بن عَنَابٍ:

بَنِي أَسَدٍ إِلَّا تَنَحَّوْا تَطَاكُمُ مَنَاسِمُ حَتَّى تُحْطَمُوا وَحَوَافِرُ
يَا بَنِي أَسَدٍ، إِنْ لَمْ تَتَنَحَّوْا فَسَوْفَ تَدُوسُكُمْ مَنَاسِمُ، أَيْ أَخْفَافُ الْإِبِلِ، وَحَوَافِرُ الْخَيْلِ حَتَّى تَتَهَشَّمُوا

تَضَاءَلْتُمْ مِنَّا كَمَا ضَمَّ شَخْصَهُ أَمَامَ الْبُيُوتِ الْخَارِيِ الْمُتَقَاصِرُ
تَضَاءَلْتُمْ، انْكَسَمْتُمْ، خَوْفًا مِنَّا، مِثْلَمَا يَقْعِي أَمَامَ الْبُيُوتِ وَيَضُمُّ شَخْصَهُ الْمَتَغَوِّطُ الْمُتَقَاصِرُ، الَّذِي
يَحَاوِلُ تَقْصِيرَ نَفْسِهِ كَيْ لَا يَرَاهُ أَحَدٌ

وَلَمَّا رَأَيْنَاكُمْ لِسَامًا أَذِلَّةً وَلَيْسَ لَكُمْ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ نَاصِرُ
كَنَّا قَدْ رَأَيْنَاكُمْ رَيْنَاكُمْ ذَلِيلِينَ لَا يَنْصُرُكُمْ أَحَدٌ..

ضَمَمْنَاكُمْ مِنْ غَيْرِ فَقَرِ إِلَيْكُمْ كَمَا ضَمَّتِ السَّاقُ الْكَسِيرَ الْجَبَائِرُ
فَضَمَمْنَاكُمْ إِلَيْنَا دُونَ أَيِّ حَاجَةٍ بَنَا إِلَيْكُمْ، فَأَنْتُمْ الْمُتَنَفِّعُونَ بِهَذَا الْحَلْفِ فَقَطْ، مِثْلَمَا تَنْتَفِعُ السَّاقُ
الْمَكْسُورَةُ إِذْ تُرْبِطُ بِالْجَبَائِرِ، الْعَصِيِ الَّتِي تُجْبِرُ الْكَسَرَ

١٨٧ صبغوا رماحنا

جَوَّاسُ بن الْقَعْلَلِ:

صَبَغْتُ أُمِّيَّةً بِالدِّمَاءِ رِمَاحَنَا وَطَوْتُ أُمِّيَّةً دُونََنَا دُنْيَاهَا

فَاتَلْنَا مَعَ بَنِي أُمِيَّةٍ فَصَبَغَتْ رِمَاحَنَا بِالدِّمِ لَكِنَّا أَبْعَدَتْ عَنَّا خَيْرَاتِ الدُّنْيَا

فَاللَّهُ يَجْزِي، لَا أُمِّيَّةٌ، سَفِينَا وَعُلَا شَدَدْنَا بِالرَّمَا حِ عَرَاهَا
 فالله يجزيها، وتجزينا المعالي التي عزناها بالرماح وشددنا عراها، مثلما يشد المرء أنشوطه الحبل
 على عتق الجمل

١٨٨ ركوب المنبر

أبو الأسد، في الحسن بن رجاء:

مَا زِلْتُ تَرْكَبُ كُلَّ شَيْءٍ قَائِمٍ حَتَّى اجْتَرَأْتَ عَلَى رُكُوبِ الْمِنْبَرِ
 يعيره بالانحراف الجنسي، ويتمتع من اجتراه على صعود المنبر، فهو غير أهل للقيادة

١٨٩ المجد ليس تمرًا

قال رجل من بني أسد:

دَبَبْتُ لِلْمَجْدِ وَالسَّاعُونَ قَدْ بَلَغُوا جَهْدَ النُّفُوسِ وَأَلْقَوْا دُونَهُ الْأُزْرَا
 أخذت تدب، وتزحف، نحو المجد بينما الساعون المجتهدون قد بلغوا في سعيهم أقصى الغايات
 وخلصوا الأزر، أي الأثواب، كناية عن المثابرة الشديدة

فَكَاثَرُوا الْمَجْدَ حَتَّى مَلَّ أَكْثَرُهُمْ وَعَانَقَ الْمَجْدَ مَنْ أَوْفَى وَمَنْ صَبَرَا
 فكاثروا المجد، أي تحدوه كي ينالوه، فمل أكثرهم، ولم ينل المجد إلا من أوفى،
 بلغ الغاية، وصبر

لَا تَحْسَبِ الْمَجْدَ تَمْرًا أَنْتَ أَكَلْتَهُ لَنْ تَبْلُغَ الْمَجْدَ حَتَّى تَلْعَقَ الصَّبْرَا
 دون بلوغ المجد لعق الصبر، وهو نبات مر

١٩٠ قوم بخلاء

قال بعض بني المهلب:

قَوْمٌ إِذَا أَكَلُوا أَخْفَوْا كَلَامَهُمْ وَاسْتَوْتَفُّوا مِنْ رِتَاجِ الْبَابِ وَالذَّارِ
 عندما يحين موعد طعامهم يهمسون همساً حتى لا يحس بهم الناس،
 ويتأكدون من رتاج الباب، قفله

لَا يَقْسِ الْجَارُ مِنْهُمْ فَضْلَ نَارِهِمْ وَلَا تَكْفَ يَدٌ عَنْ حُرْمَةِ الْجَارِ
 ويخلون حتى بالنار التي لا يخسرون شيئاً لو اقتبس أحد منها قبساً، ويتهكون حرمة من يجاورهم

١٩١ زفرة المعضوض

مالك بن أسماء بن خارجة، وكان زار صديقاً له، فلما بلغ داره شد عليه كلب صديقه، فعضه، فقال:

لو كنتُ أحمِلُ خمراً يومَ زرتُكُمْ لم يُنْكِرِ الكلبُ أنِّي صَاحِبُ الدَّارِ
لو كان معي خمر لظنني الكلب صاحب الدار لأنكم متعودون على حمل الخمر

لكنْ أَتَيْتُ وَرِيحُ الْمِسْكِ تَفْعُمُنِي وَعَنْبَرُ الْهِنْدِ أَذْكِيهِ عَلَى النَّارِ
لكنني أتيت زائراً متعطراً وريح المسك تغمني، وعنبر الهند الذي تم تعريضه للنار لتقوية عبيره

فَأُنْكِرَ الكلبُ رِيحِي حِينَ أَبْصَرَنِي وَكَانَ يَعْرِفُ رِيحَ الزُّقِّ وَالْقَارِ
فلم يعرف رائحتي كلبكم، فهو يعرف فقط رائحة الزق والقار، قربة الخمر والزفت الذي طلبت به لمنع التسرب

١٩٢ سادتهم نساء، وقادتهم عبيد

مدرك بن حصن الفُقَيْصِي:

لقد كنتُ أرمي الْوَحْشَ وَهِيَ بِغِرَّةٍ وَيَسْكُنُ أحياناً إِلَيَّ شَرُودَهَا
كنت أرمي حيوانات البر بسهامي بغرة، فجأة، وأحياناً يأنس إلي الحيوان الشارد منها.. هكذا كانت علاقته بالفتيات شاباً

فقد أمكنتني الْوَحْشُ مُذْ رَثْتُ أَشْهُمِي وَمَا ضَرَّ وَحْشاً قَانِصٌ لَا يَصِيدُهَا
ومنذ أن رثت أسهمي، أصبحت مهترئة، أمكنتني الوحوش من نفسها واقتربت مني، فالوحوش، ومنها الظباء والمها، لا يضرها صائد لا يستطيع صيدها.. كناية عن إقبال النساء عليه عندما صار كهلاً

فَأَعْرَضْتُ عَنْ سَلَمَى وَقُلْتُ لِصَاحِبِي سَوَاءٌ عَلَيْنَا بُخْلٌ سَلَمَى وَجُودُهَا
أعرضت عن سلمى، فسواء جادت أم بخلت فلا غرض لنا فيها

فَلَا تَحْسُدَنَّ عَبْساً عَلَى مَا أَصَابَهَا وَدُمْ حَيَاةً قَدْ تَوَلَّى زَهِيدُهَا
لا تحسد قبيلة عبس على ما أصابت من عز، ودُم حياة تولى الزهيد الخسيس من الناس

تُشَبِّهُ عَبْسٌ هَاشِماً أَنْ تَسْرِبَلَتْ سَرَابِيلُ خَزٍّ أَنْكَرَتْهَا جُلُودُهَا
يشبهون عبساً بقبيلة هاشم فقط لأنها تسربت، لبست، ثياب الخز، الحرير، التي في الواقع قد أنكرتها ولم تألفها جلود عبس

فَلَا تَخْسَبَنَّ الْخَيْرَ ضَرْبَةً لَازِبٍ لِعَبْسٍ إِذَا مَا مَاتَ عَنْهَا وَلَيْدُهَا

الخير ليس ضربة لازب، ليس مؤكداً، لقييلة عبس إذا مات الوليد بن عبد الملك؛ وكانت زوجته عبسية، وكان يقدق على قومها

فَسَادَةُ عَبْسٍ فِي الْحَدِيثِ نِسَاؤُهَا وَقَادَةُ عَبْسٍ فِي الْقَدِيمِ عَيْدُهَا

سادة عبس في الحديث نساؤها، زوجة الخليفة، وقادة عبس في القديم عييدها، أي عترة بن شداد

١٩٣ اللؤم وغايته

أَنَاخُ اللَّؤْمِ وَسَطُ بَنِي رِيَّاحٍ مَطِئَتْهُ فَأَقْسَمَ لَا يَرِيْمُ

اللؤم نفسه أناخ دابته، أي أبركها وجعلها تجتم وتقعي، وسط بني رياح، وأقسم ألا يريم، يتحول عنهم.. أي هم لئام

كَذَلِكَ كُلُّ ذِي سَفَرٍ إِذَا مَا تَنَاهَى عِنْدَ غَايَتِهِ مُقِيمٌ

وكذا كل مسافر فإذا وصل غايته فهو يقيم ولا يرحل

١٩٤ المزاحم

إِذَا بَكْرِيَّةٌ وَلَدَتْ غُلَامًا فَبِاللُّؤْمِ لِذَلِكَ مِنْ غُلَامٍ

ابن قيلة بكر لئيم منذ مولده

يُزَاحِمُ فِي الْمَادِبِ كُلَّ عَبْدٍ وَلَيْسَ لَدَى الْحِفَاطِ بِذِي زِحَامٍ

وعندما يكبر يزاحم العبيد على الطعام، ولكنه لا يزاحم المقاتلين في الحرب للحفاظ على الشرف

١٩٥ تظن نفسها جميلة!

كَتْرَةُ بِنْتُ شَمْلَةَ الْمُنْقَرِيَّةِ، نَهَجُو مَيَّةَ صَاحِبَةِ ذِي الرِّمَّةِ:

أَلَا حَبْدًا أَهْلُ الْمَلَا غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا ذُكِرَتْ مَيِّي فَلَا حَبْدًا هِيَا

حبذا أهل الملا غير أنه إذا ذكرت مئي فلا حبذا هيَا

عَلَى وَجْهِ مَيِّي مَسْحَةٌ مِنْ مَلَاخَةٍ وَتَحْتَ الثِّيَابِ الْخِزْيُ لَوْ كَانَ بَادِيَا

نعم على وجهها مسحة خفيفة من ملاحه، ولكن تحت ثيابها، أي في شخصيتها، اللؤم الذي كنت ستراه لو كان ظاهراً

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَاءَ يَخْلُفُ طَعْمُهُ وَإِنْ كَانَ لَوْنُ الْمَاءِ أَبْيَضَ صَافِيَا

يكون الماء صافياً في لونه ولكن طعمه يخلف، أي يتغير.. فالمنظر لا يشي بالمخبر

إِذَا مَا أَتَاهُ وَارِدٌ مِنْ ضَرُورَةٍ تَوَلَّى بِأَضْعَافِ الَّذِي كَانَ ظَامِيًا
فإذا جاء الماء وارد ليشرب مضطراً فإنه يتولى، ينصرف عنه، وقد غثيت نفسه وفسدت أضعاف ما
كان به من عطش

كَذَلِكَ مَيِّ فِي الشَّيَابِ إِذَا بَدَتْ وَأَثْوَابُهَا يُخْفِيَنَّ مِنْهَا الْمَخَازِيَا

١٩٦ كَانَ عَلَيْهِ أَرْزَاقُ الْعِبَادِ

إِذَا مَا الرِّزْقُ أَحْجَمَ عَنْ كَرِيمٍ وَأَلْجَأَهُ الزَّمَانُ إِلَى زِيَادٍ..
إذا انكمش الرزق عن رجل كريم، واضطره الزمن إلى اللجوء لزياد..

تَلَقَّاهُ بِوَجْهِهِ مُكَفَّهَرٌ كَانَ عَلَيْهِ أَرْزَاقُ الْعِبَادِ
.. فزياد يستقبله بوجه مكشر، وكأنه مكلف بأرزاق عباد الله

١٩٧ قَوْمِي غَيْرَ صَاغِرَةٍ

مُرَّةٌ بِنَ مَحْكَانَ، وَهُوَ أُمُي:

أَنَا ابْنُ مَحْكَانَ أَخُوَالِي بَنُو مَطَرٍ أَنْمِي إِلَيْهِمْ وَكَانُوا مَعْشَرًا نُجَبَا
أنا ابن فلان وأخوالي بنو مطر وأنسب إليهم، وهم نجباء كرام

يَا رَبَّةَ الْبَيْتِ قَوْمِي غَيْرَ صَاغِرَةٍ ضُمِّي إِلَيْكَ رِحَالُ الْقَوْمِ وَالْقَرَبَا
يا زوجتي قومي، غير صاغرة، غير ذليلة، واجمعي متاع الضيوف وقرب الماء التي جاءوا بها

فِي لَيْلَةٍ مِنْ جُمَادَى ذَاتِ أَنْدِيَةٍ لَا يُبْصِرُ الْكَلْبُ مِنْ ظُلُمَائِهَا الطُّنْبَا
في ليلة باردة من جمادى ذات أندية، أي ماطرة، ولا يكاد الكلب يرى لشدة الظلام الطنب، حبل
الخيمة. يكون جمادى قد أتى في ذلك الزمن في الشتاء

مَاذَا تَرَيْنَ أَنْذَنِيهِمْ وَنُزِّلُهُمْ فِي بَاحَةِ الدَّارِ أَمْ نَبْنِي لَهُمْ قُبْبَا؟
فهل نقرّبهم وننزلهم في باحة دارنا، أي خيمتنا، أم نبني لهم قُبباً، خياماً؟

١٩٨ الْحَرِيصُ عَلَى الضَّيْفِ

وَمُسْتَنْبِحٍ قَالَ الصَّدَى مِثْلَ قَوْلِهِ حَصَّاتُ لَهُ نَاراً لَهَا حَطَبٌ جَزُلٌ
رب مستنبح، رجل ينبح كالكلب في الصحراء وهو تائه حتى تجاوبه كلاب قوم فيتزل فيهم ضيفاً،
ويتردد صدى بناحه.. وقد أوقدت له ناراً بحطب جزل، صلب

وَقُفْتُ إِلَيْهِ مُسْرِعاً فَعَنِمْتُهُ مَخَافَةَ قَوْمِي أَنْ يَفُوزُوا بِهِ قَبْلُ
أسرعت إليه لكي أکسه قبل أن يفوز به غيري من القوم قبل، أي قبل أن أستضيفه

فَأَوْسَعَنِي حَمْدًا، وَأَوْسَعْتُهُ قِرَى وَأَرْخِصْ بِحَمْدِكَ كَانِ كَاسِبَهُ الْأَكْلُ
بالغت في قراه، طعامه، ومدحني. . وما أرخص الحمد الذي تكسبه بتقديمك الأكل للضيف

١٩٩ لك البيت

وَمَا أَنَا بِالسَّاعِي إِلَى أُمَّ عَاصِمٍ لِأَضْرِبَهَا إِنِّي إِذْنُ لَجَهْوٍ
لا يضرب زوجته

لَكَ الْبَيْتُ إِلَّا فَيِنَّةٌ تُحْسِنُهَا إِذَا حَانَ مِنْ ضَيْفٍ عَلَيَّ نُزُولُ
البيت لك، وما عليك إلا أن تحسني في فينة، في مرة، عندما ينزل بي ضيف

٢٠٠ إكرام الضيف

وَأَنَا لَمَشَاوُونَ بَيْنَ رَحَالِنَا إِلَى الضَيْفِ، مِنَّا لَاحِفٌ وَمُنِيْمٌ
نمشي بين متاع بيوتنا ونعتني بالضيف ونقدم له اللحاف ولوازم النوم

فَذُو الْحِلْمِ مِنَّا جَاهِلٌ دُونَ ضَيْفِهِ وَذُو الْجَهْلِ مِنَّا عَنْ أَذَاهُ حَلِيمٌ
الحليم منا جاهل متهور في الدفاع عن ضيفه، والجاهل المتهور منا حليم يتحمل أي أذى من الضيف

٢٠١ سخي وحيي

ابن عَنَاءِ الْقَزَارِي:

رَأَيْتُنِي عَلَى مَا بِي عُمَيْلَةً فَاسْتَكَى إِلَى مَالِهِ حَالِي أَسْرَّ كَمَا جَهَرَ
رأى عميلة حالي، فشكا فقري إلى ماله. . أي طلب من ماله أن ينجلني. . فعل ذلك في السر والعلانية

دَعَانِي فَاسَانِي، وَلَوْ ضَنَّ لَمْ أَلَمْ عَلَى حِينٍ لَا بَدُو يُرْجَى وَلَا حَضَرُ
دعاني فأساني، خفف عني، ولو ضن علي ويخل لم أكن له لائماً في وقت لا يرجو المرء فيه
الخير من بدو ولا من حضر لاشتداد الضيق بالناس

غُلَامٌ رَمَاهُ اللَّهُ بِالْحُسْنِ يَافِعاً لَهُ سِيَمِيَاءُ لَا تَشْقَى عَلَى الْبَصَرِ
غلام، وكثيراً ما وصفوا الرجل بالغلام ولا ضير، كان جميل الطلعة وهو يافع فتى، وله سيمياء،
طلعة بهية، لا تتعب البصرا

كَأَنَّ الثُّرَيَّا عُلِقَتْ فِي جَبِينِهِ وَفِي نَحْرِهِ الشُّعْرَى وَفِي خَدِّهِ الْقَمَرُ
جعل نجوم السماء وقمرها في وجهه!

إِذَا قِيلَتْ الْعَوْرَاءُ أَغْضَى كَأَنَّهُ ذَلِيلٌ بِلاَ دُلٍّ وَلَوْ شَاءَ لَانْتَصَرَ
إذا سمع العوراء، الكلمة الرديئة أغضى، خفض بصره، خجلاً.. فكانه ذليل وليس بذليل، بل هو
الحياء الجميل.. ولو أراد كان بمقدوره أن ينتصر، أن يرد ويستد

٢٠٢ كانت قذى عينيه

سَأَشْكُرُ عَمْرًا مَا تَرَاخَتْ مَنِيَّتِي أَيَادِي لَمْ تُمْنَنَّ وَإِنْ هِيَ جَلَّتْ
سأشكر لعمرو ما تراخت منيتي، ما استمر عمري وابتعد موتي، أيادي، أي نعماً، لم يمن علي بها
مع أنها كبيرة

فَتَى غَيْرُ مَحْجُوبِ الْغِنَى عَنْ صَدِيقِهِ وَلَا مُظْهِرُ الشُّكْوَى إِذَا النَّعْلُ زَلَّتْ
لا يحجب غناه عن صديقه، ولا يشكو إذا النعل زلت، إذا لحق به العسر

رَأَى خَلَّتِي مِنْ حَيْثُ يَحْفَى مَكَانُهَا فَكَانَتْ قَذَى عَيْنِهِ حَتَّى تَجَلَّتْ
رأى خلتي، أي حاجتي، رغم أن فقري خفي، فكانت حاجتي كالقذى في عينيه.. فظل يسعى
حتى تجلت، وزالت

٢٠٣ ليس أغناهم بل أكرمهم

أبو زياد الأعرابي:

لَهُ نَارٌ تُشَبُّ عَلَى يَفَاعٍ إِذَا النِّيرَانُ أَلْبَسَتِ الْقِنَاعَا
ناره مشبوبة مشتعلة على التل، في حين نيران غيره يجري تكميمها حتى لا يراها ضيف طارئ
وَلَمْ يَكْ أَكْثَرَ الْفِثْيَانِ مَالاً وَلَكِنْ كَانَ أَرْحَبَهُمْ ذِرَاعَا
ليس الأغنى، لكنه الأوسع ذراعاً، أي الأسخى

٢٠٤ هينون لينون

عبيد بن العرنلس الكلابي:

هَيْنُونٌ لَيْنُونٌ أَيْسَارٌ ذَوُو كَرَمٍ سَوَاسٌ مَكْرُمَةٌ أَبْنَاءُ أَيْسَارٍ
في طبعهم السهولة واللينة وهم ذوو مال وكرم، ويسوسون المكارم، يحفظونها، وذوو أصل
طيب. والأيسار والموسرون من أصل واحد في اللغة، كان الأغنياء يقامرون بالميسر، يقامرون
على لحم ناقة يذبحونها، وكثيراً ما كانوا يوزعون المكسب على الفقراء

وَإِنْ تَوَدَّدْتَهُمْ لِأَنْوَا، وَإِنْ شُهِمُوا كَشَفْتَ آسَادَ حَرْبٍ غَيْرَ أَشْرَارٍ
لينون مع من يتودد إليهم، وإن خاطبت فيهم الشهامة كشفت عن أسود حرب

لَا يَنْطُقُونَ عَنِ الْفَحْشَاءِ إِنْ نَطَقُوا وَلَا يُمَارُونَ إِنْ مَارَوْا بِإِكْثَارٍ

لا يشتمون، ولا يمارون، لا يجادلون كثيراً

مَنْ تَلَقَّ مِنْهُمْ تَقُلْ لَأَقْبِتَ سَيِّدَهُمْ مِثْلَ النُّجُومِ الَّتِي يَسْرِي بِهَا السَّارِي

أي شخص منهم تلقاه تظن أنه سيدهم، فكلهم سادة كرام. وهم كالنجوم التي يهتدي بها مسافر الليل

٢٠٥ أضاءت أحسابهم الليل

أبو الطَّمْحَانِ الْقَيْنِي:

إِذَا قَبِلَ أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ قَبِيلَةً وَأَصْبَرَ يَوْمًا لَا تَوَارَى كَوَاكِبُهُ..

إن سئل عن خير الناس من حيث النسب القبلي، وعن أصبر الناس في اليوم الذي لا تتوارى كواكبه، أي يشتد فيه القتال وتلمع فيه السيوف كالكواكب في غبار المعركة المظلم..

فإِنَّ بَنِي لَامِ بْنِ عَمْرِو أَرْوَمَةَ سَمَتْ فَوْقَ صَعْبٍ لَا تُنَالُ مَرَاقِبُهُ

فبنو لام بن عمر أرومة، جذر ارتفع نباته فوق جبل صعب لا يصل المرء إلى مراقبه، أي الأماكن المشرفة التي تستعمل للمراقبة

أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ دُجَى اللَّيْلِ حَتَّى نَظَّمَ الْجَزَعُ ثَائِبُهُ

أحسابهم، أي شرفهم، ووجوههم البيض أضاءت لهم ظلام الليل، حتى ليستطيع ثاقب الخرز أن ينظمه في سلك ليصنع عقداً.. وهذا يقتضي ضوءاً ساطعاً. لئن صدقنا أن الوجوه تضيء، فكيف نصدق أن «الأحساب» تضيء... وعلى ضوءها ينظم عقد الخرز! هنا روعة البيت

٢٠٦ تفضل إن استطعت

محمد بن بشير الخارجي:

يَا أَيُّهَا الْمُتَمَنِّي أَنْ يَكُونَ فَتَى مِثْلَ ابْنِ زَيْدٍ لَقَدْ خَلَّى لَكَ السُّبُلَا

أيها المتمني أن يكون مثل ابن زيد.. تفضل لقد أخلى لك الطريق

أَعْدُدْ ثَلَاثَ خِلَالٍ قَدْ عُرِفْنَ لَهُ هَلْ سَبَّ مِنْ أَحَدٍ، أَوْ سَبَّ، أَوْ بَخَلَا؟

ثمة ثلاث خصال عرفت له: لم يشتم أحداً، ولم يشتمه أحد، ولم يبخل بماله

٢٠٧ أستاذين باسمهم

شُقْرَانُ مَوْلَى سَلَامَانَ، مِنْ قَضَاعَةِ:

وَلَوْ كُنْتُ مَوْلَى قَيْسِ عَيْلَانَ لَمْ تَجِدْ عَلَيَّ لِإِنْسَانٍ مِنَ النَّاسِ دِرْهَمًا

لو كنت مولى قبيلة قيس عيلان، الملتحق بهم، لما استطعت أن أستاذين من أحد درهماً، فهم غير ذوي ثقة ولا يحملون عن مولاهم الدين

ولكنني مولى قضاة كلها فليست أبالي أن أدين وتغرما
 لكتي مولى قضاة، فانا استدين وهي تغرم، تسدد عني
 أولئك قومي بآرك الله فيهم على كل حال، ما أعز وأكرما!
 هم قومي فما أعزهم وما أكرمهم!

٢٠٨ المغوار الخجول

لبلى الأخيئة:

لا تغزون الدهر آل مطرف لا ظالماً أبداً ولا مظلوماً
 لا تشن غارة على آل مطرف، لا وأنت ظالم ولا وأنت مظلوم
 قوم رباط الخيل وسط بيوتهم وأسنة زرق يحلن نجوماً
 فهم يربطون خيولهم وسط بيوتهم للدفاع، ويعدون أسنة زرقاً تلمع كأنها النجوم
 ومخرق عنه القميص تخالهُ وسط البيوت من الحياء سقيماً
 ورب فتى مشعت الملابس ممزق القميص تخاله سقيماً مريضاً
 حتى إذا رفع اللواء رأيته تحت اللواء على الخميس زعيماً
 فإذا رفع اللواء للحرب وجدته تحت اللواء زعيماً للخميس، أي الجيش

٢٠٩ الكريم الخجول .. والمغوار

كريم يغض الطرف فضل حيائه ويدنو وأطراف الرماح دوان
 كريم ويجعله الحياء يغض بصره، وهو يدنو عندما تكون أطراف الرماح قريبة أي أنه مقدم في
 الحرب

وكالسيف إن لا يئته لأن مسه وحده إن خاشنته خشنان
 مسه لين كمس السيف، ولكن حده قاطع

٢١٠ القادح لجارته

سأقدح من قدرتي نصيباً لجارتي وإن كان ما فيها كفافاً على أهلي
 سأقدح، أي أغترف قدحاً، من قدرتي للجارة، وإن كان ما في القدر لا يكاد يكفي أهلي
 إذا أنت لم تشرك رفيقك بالذي يكون قليلاً لم تشاركه في الفضل
 فمن لم يشارك رفيقه في القليل لم يشاركه في الفضل، أي الكثير الذي يفضل عن الحاجة

٢١١ أخلاق الرجال تضيق

عمرو بن الأهم السعدي:

دَرِينِي فَإِنَّ الشُّحَّ يَا أُمَّ هَيْثَمَ لِصَالِحِ أَخْلَاقِ الرِّجَالِ سَرُوقٌ
دعيني يا أم هيثم فالبخل يسرق ما عند الرجل من صالح الأخلاق

دَرِينِي وَحُطِّي فِي هَوَايَ فَإِنِّي عَلَى الْحَسَبِ الزَّائِكِي الرَّفِيعِ شَفِيقٌ
دعيني وسخاني، وحطي في هواي، وافقيني على طبعي، فأنا شفيق، حريص، على الحسب
الزائكي، الشرف الطيب

وَكُلُّ كَرِيمٍ يَتَّقِي الذَّمَّ بِالْقَرَى وَلِلْحَمْدِ بَيْنَ الصَّالِحِينَ طَرِيقٌ
الكريم يجتنب الذم ببذل طعامه للضيف، وهذا هو طريق المكارم التي يحرص عليها الصالحون
لَعَمْرُكَ مَا ضَاقَتْ بِلَادٌ بِأَهْلِهَا وَلَكِنَّ أَخْلَاقَ الرِّجَالِ تَضِيقُ
البلاد لا تضيق بأهلها عن الرزق، فالرزق موجود ولكن أخلاق الرجال ضيقة وفيها البخل. هذا
البيت صار مثل «الجوكر» في لعب الورق يحشره الشعراء في قصائدهم

٢١٢ عدوى

لَمَسْتُ بِكَفِّي كَفَّهُ أَبْتَغِي الْغِنَى وَلَمْ أَدْرِ أَنَّ الْجُودَ مِنْ كَفِّهِ يُعْدي
لمست كفه أخذ منه مالاً، وأخذت.. ولم أدري أن سخاء كفه بعدي، يصيب بالعدوى
فلا أنا منه ما أفادَ دَوُو الْغِنَى أَقْدْتُ، وَأَعْدَانِي فَأَتَلَفْتُ مَا عِنْدِي
فما استفدت مما أخذت منه كما استفاد الأغنياء، لا بل أصابني عدوى السخاء فأتلفت مالي
القديم أيضاً

٢١٣ لا أكل وحدي

الحوَّاس الحارثي، وقيل بل هي لحاتم الطائي، يخاطب امرأته:

إِذَا مَا صَنَعْتَ الزَّادَ فَالْتِمِسِي لَهُ أَكِيلاً فَإِنِّي لَسْتُ أَكُلُهُ وَحْدِي
إذا أعددت الطعام فابحثي عن أكيل، مشارك في الأكل، فليست أكلأ وحدي

أَخَا طَارِقاً، أَوْ جَارَ بَيْتِ فَإِنِّي أَخَافُ مَذَمَّاتِ الْأَحَادِيثِ مِنْ بَعْدِي
اطلبي لي طارقاً، أو جاراً لبيت لي، فأنا أخاف أن أكون عرضة للذم إن أكلت وحدي
وَلَلْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ زِيَارَةِ بَاخِلٍ يُلَاحِظُ أَطْرَافَ الْأَكِيلِ عَلَى عَمْدٍ
الموت أفضل من زيارة بخيل يلاحظ بعينه يدي من يشاركه الأكل ملاحظة متمعة

وَأَنِّي لَعَبْدُ الضَّيْفِ مَا دَامَ ثَاوِيَا وَمَا فِيَّ إِلَّا تِلْكَ مِنْ شِيَمَةِ الْعَبْدِ
أنا أخدم الضيف كأني عبد له وهو ثاوي، مقيم، عندي، وليس في من صفات العبد سوى هذه

٢١٤ تنفيذ وصية الأب

منصور بن سَلَمَةَ النَّعْرِي:

وَدَاعَ دَعَا بَعْدَ الْهُدُوءِ كَأَنَّمَا يُقَايِلُ أَهْوَالَ السُّرَى وَتُقَاتِلُهُ
رب مناد ينادي بعد الهدوء في المساء، فكأنه يحارب أهوال السرى، أي السير ليلاً، وتحاربه
دَعَا بَائِسًا شَبَهَ الْجُنُونِ، وَمَا بِهِ جُنُونٌ وَلَكِنْ كَيْدٌ أَمْرٍ يُحَاوِلُهُ
ينادي وهو بائس وشبه مجنون من جوعه، وليس بمجنون ولكنه يسعى للخروج من كيد، مأزق، هو
تيهه في صحرائه

فَلَمَّا سَمِعْتُ الصَّوْتَ نَادَيْتُ نَحْوَهُ بِصَوْتِ كَرِيمِ الْجَدِّ حُلُوِّ شَمَائِلُهُ
ناديت في اتجاهه، وأنا كريم الجد، كريم الأصل، حلو الشمائل، حسن الصفات
وَأَبْرَزْتُ نَارِي ثُمَّ أَثَقَبْتُ ضَوْءَهَا وَأَخْرَجْتُ كُلِّي وَهُوَ فِي الْبَيْتِ دَاخِلُهُ
أبرزت ناري ليراه، وأثقت، أشعلت، ضوءها، وأخرجت كلي، وكان داخل البيت، كي ينبج
يفيرف التائه مكاننا

فَلَمَّا رَأَيْتُ كَبِيرَ اللَّهِ وَحْدَهُ وَبَشَّرَ قَلْبًا كَانَ جَمًّا بَلَابِلُهُ
لما رأي الرجل كبر حمداً لله، وبشر قلبه بالخلاص، وكان قلبه جم البلابل، كثير القلق
فَقُلْتُ لَهُ أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا رَشِدْتُ، وَلَمْ أَفْعُدْ إِلَيْهِ أَسَائِلُهُ
رحبت به، وقلت له: قد وجدت رشك بعد التيه، ولم أقعد أسائله

وَقُمْتُ إِلَى بَرْكِ هِجَانٍ أَعِدُّهُ لِوَجَبَةِ حَقِّ نَازِلِ أَنَا فَاعِلُهُ
بل قمت إلى برك هجان، إبل كريمة، أعددتها لوجبة حق، لطعام للضيف أراه حقاً علي
بِذَلِكَ أَوْصَانِي أَبِي، وَبِمِثْلِهِ كَذَلِكَ أَوْصَاهُ قَدِيمًا أَوَائِلُهُ
هذه وصية أبي، ومن قبل أوصاه بهذا أوائله، أسلافه

٢١٥ طبع لا تطبع

خاتم بن عبد الله الطائي:

وَعَاذِلَةَ هَبَّتْ عَلَيَّ تَلُومُنِي كَأَنِّي إِذَا أَعْطَيْتُ مَالِي أَضِيمُهَا
قامت تلومني كأني عندما أسخو بالمال أضيئها، أي أظلمها

أَعَاذِلْ إِنْ الْجُودَ لَيْسَ بِمُهْلِكِي وَلَا مُخْلِدِ النَّفْسِ الشَّحِيحَةِ لَوْمُهَا

الجود لا يميتني، ولوم النفس البخيلة لا يجعلها تخلص

وَتُذَكِّرُ أَخْلَاقَ الْفَتَى وَعِظَامُهُ مُغَيَّبَةٌ فِي اللَّحْدِ بِأَلِ رَمِيمِهَا

أخلاق الفتى تظل مذكورة بعد موته عندما تصبح عظامه في القبر بالية

وَمَنْ يَبْتَدِعْ مَا لَيْسَ مِنْ خِيَمِ نَفْسِهِ يَدْعُهُ وَيَغْلِبُهُ عَلَى النَّفْسِ خِيَمِهَا

الخيم: الطبع

٢١٦ إِيثَار

حاتم الطائي:

وَإِنِّي لَأَسْتَحِبُّ صِحَابِي أَنْ يَرَوْا مَكَانَ يَدَيَّ مِنْ جَانِبِ الرَّادِ أَقْرَعَا

أستحي أن يرى أصحابي ونحن نأكل من الدست مكان يدي أقرع فارغاً.. أي أنني أكلت كل ما أمامي

أَكُفُّ يَدَيَّ عَنْ أَنْ يَنَالَ الْيَمَاسُهَا أَكُفُّ صِحَابِي حِينَ حَاجَتُنَا مَعَا

أبتعد يدي حتى لا تلامس أكف أصحابي حين تكون لنا حاجة واحدة في اغتراف الطعام.. أي أنني لا أزعجهم على الأكل

أَبَيْتُ هَضِيمَ الْكَشْحِ مُضْطَمِرَ الْحَشَا حَيَاءً أَخَافُ اللَّوْمَ أَنْ أَنْضَلَّعَا

أبيت هضم الكشح، نحيل الجانب، مضطمر الحشا، ضامر البطن، حياء من أن أكون جشعاً نهماً إذا تضلعت من الطعام، أي امتلأت منه

فَإِنَّكَ إِنْ أَعْطَيْتَ بَطْنَكَ سُؤْلَهُ وَفَرَجَكَ نَالَا مُنْتَهَى الدِّمِّ أَجْمَعَا

إذا طاولت شهوات بطنك وفرجك، فقد نلت أعظم الدم

٢١٧ بِنَاء فِي الْهَوَاءِ

أبو كذراء العجلي:

يَا أُمَّ كَذْرَاءَ مَهْلًا لَا تَلُومِيْنِي إِنِّي كَرِيمٌ وَإِنَّ اللَّوْمَ يُؤْذِيْنِي

لا تلوميني على الكرم، فانا كريم واللوم يؤذي

فَإِنْ بَخِلْتُ فَإِنَّ الْبُخْلَ مُشْتَرَكٌ وَإِنْ أَجْدُ أُعْطِ عَفْوَاً غَيْرَ مَمْنُونٍ

إن بخلت كنت مثل سائر الناس، وإن أعطت الناس من مالي فانا أعطيهم بغير من ولا تطاول

لَبِستُ بِبَاكِيةٍ إِبْلِي إِذَا فَقَدْتُ صَوْتِي، وَلَا وَارِثِي فِي الْحَيِّ يَبْكِينِي
إِبْلِي لَنْ تَبْكِي لِمَوْتِي، لِأَنِّي أَذْبَحُهَا دَوْماً لِإِطْعَامِ الْأَصْيَافِ، وَوَارِثِي فِي الْقَوْمِ لَنْ يَبْكِينِي لِأَنِّي لَا
أَبْقِي لَهُ مَالاً يَرِثُهُ

بَنَى الْبُنَاءَ لَنَا مَجْداً وَمَكْرَمةً لَا كَالْبِنَاءِ مِنَ الْأَجْرِّ وَالطَّيْنِ

٢١٨ سبيل الدراهم

جُوَيْتُ بْنُ النَّضْرِ:

قَالَتْ طَرِيفَةُ مَا تَبَقِيَ دَرَاهِمُنَا وَمَا بِنَا سَرَفٌ فِيهَا وَلَا خُرْقُ
الْخُرْقِ: الْإِسْرَافُ بِحَقِّ

إِنَّا إِذَا اجْتَمَعَتْ يَوْمَ دَرَاهِمُنَا ظَلَّتْ إِلَى سُبُلِ الْخَيْرَاتِ تَسْتَبِقُ

٢١٩ ماذا سيبقى؟

زَيْدُ بْنُ عَامِرٍ الْحَارِثِيُّ:

وَإِذَا الْفَتَى لَأَقَى الْجِمَامَ رَأَيْتُهُ لَوْلَا الشَّنَاءُ، كَأَنَّهُ لَمْ يُولَدْ
عِنْدَ الْمَوْتِ لَا يَبْقَى مِنَ الْمَرْءِ إِلَّا الذِّكْرُ الْحَسَنُ

٢٢٠ بناء المكارم

الْمَتَوَكِّلُ اللَّيْثِيُّ:

لَسْنَا وَإِنْ أَحْسَابُنَا كَرُمَتْ يَوْمَاً عَلَى الْأَحْسَابِ نَتَّكِلُ
لَا تَتَّكِلُ عَلَى شَرْفِنَا الْقَدِيمِ رَغْمَ أَنَّا كَرَامٌ حَقّاً

نَبْنِي كَمَا كَانَتْ أَوَائِلُنَا تَبْنِي، وَنَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلُوا
نَجِدُ بِنَاءَ الشَّرَفِ كَأَسْلَافِنَا

٢٢١ إفشاء الأسرار

سُحَيْمُ الْفُقْعَسِيُّ:

وَلَا أَكْتُمُ الْأَسْرَارَ لَكِنْ أُنْمِهَا وَلَا أَدْعُ الْأَسْرَارَ تَغْلِي عَلَى قَلْبِي
أَفْشِي أَسْرَارَ النَّاسِ وَلَا أَتْرُكُهَا تَغْلِي عَلَى قَلْبِي، أَيِ تَقْلِقُنِي

وَلَنْ قَلِيلَ الْعَقْلِ مَنْ بَاتَ لَيْلَهُ تُقْلِبُهُ الْأَسْرَارُ جَنْباً إِلَى جَنْبٍ
مَا أَقْلَ عَقْلٍ مَنْ بَاتَ يَحْمِلُ أَسْرَاراً وَلَا يَفْشِيهَا. وَيَتَخَلَّصُ مِنْ هُمَاهَا

٢٢٢ النصف الطيب

لَا تَنْكِحَنَّ عَجُوزاً إِنْ أَتَيْتَ بِهَا وَاخْلَعْ ثِيَابَكَ مِنْهَا مُمِعِناً هَرَباً
لا تتزوج عجوزاً، واهرب منها..

وَإِنْ أَتَوَكَ وَقَالُوا إِنَّهَا نَصَفٌ فَإِنَّ أَطْيَبَ نِصْفَيْهَا الَّذِي ذَهَبَا
النصف: المرأة في منتصف العمر

٢٢٣ أهجوه لصورته فقط

لَوْ تَسَمَّعْتَ صَوْتَهُ قُلْتَ هَذَا صَوْتُ فَرْخٍ فِي عُشِّهِ مَرْفُوقٍ
صوته صوت فرخ تزقه أمه بالحَب

أَوْ تَأَمَّلْتَ رَأْسَهُ قُلْتَ هَذَا حَجَرٌ مِنْ حِجَارَةِ الْمَنْجَنِيْقِ
ورأسه كبير كحجر المنجنيق

مُعْمِلٌ قَرَضَ لِحْيَةَ لَوْ تَرَاهَا قُلْتَ عُشُّونُ هَرَبِذٍ مَحْلُوقٍ
وهو معمل قرض لحيته، نشط في تنفها، وهي كمثون، سكوكة،
هرِذ، إمام المجوس في الصلاة

لَمْ أَعِبْهُ إِلَّا يَكُونُ تَقِيّاً مُؤْمِناً مُبْغِضاً لِأَهْلِ الْفُسُوقِ
لست أهجوه لأنه غير تقِي أو غير مؤمن أو غير كاره للفساق

غَيْرَ أَنِّي أَرَدْتُ أَنْ يَنْظُرَ النَّاسُ سُنْ إِلَى خَلْقِ رَبِّنَا الْمَخْلُوقِ
فقط أردت أن ينظر الناس إلى هذه الخلقة المشوهة

الحماسة
فهرس القوافي
(القافية فرقم القطعة)

٩٨	العَوَاقِبِ	١٢٦	انْطَوَاءُ
٢٢١	قَلْبِي	١٣٦	بَلَاءُ
٦٨	لِلسَّابِ	١٤	أَصْأَاءُهَا
٤١	مَرْكَبِ	١٣٩	الطَّلْبَا
٣١	جَانِبُهُ	٦	جَالِيَا
١٧١	حَيْيُهَا	٧٥	زَعْبَا
٣٩	رَكَائِيَّةُ	١١٦	مَرْحَبَا
١٨٤	غَارِبُهُ	١٩٧	نُجْبَا
٢٠٥	كَوَاكِئُهُ	٢٢٢	هَرَبَا
٦٠	انْتَشَيْتُ	٣٧	أُحْرَبُ
٢٠٢	جَلَّتِ	٩١	تَذْهَبُ
١٢	فَاسْطَبَّرَتْ	١٧٢	رَقِيبُ
١٣١	فَلَجَا	١٨٠	قَرِيبُ
٥٥	فَاسْتَرَاخُوا	١٨٣	مُحَارِبُ
٨٦	مَا دِخُ	١٦٧	يُجِيبُ
١٥٧	وَصَفَائِحُ	٦٦	يَرْكَبُوا
١٥٨	يُرَاحُ	١٢٨	الرَّكَائِبِ

١٥٥	وَجِدْ	١٥٦	الْأَبَاطِحِ
٢١٣	وَحْدِي	٩٥	الْجَرَاحِ
٢١٢	يُعْدِي	١٥٠	الْجَوَانِحِ
٢١٩	يُولِدْ	١٨٢	قُرُوحِ
١٩٢	شَرُودُهَا	٥٢	مَطَرِحِ
١٨٩	الْأُرَا	١٣	بُرْدَا
١٢٠	وَقْرَا	١٣٢	حَمْدَا
١٨١	أَتَسَرَّ	١٦٣	قَصْدَا
١٤٢	الْأَمْرُ	٢٨	وَلَدَا
١١٠	الْحَدْرُ	٣٦	الْحَدِيدُ
١٦٩	السَّهْرُ	٣٠	الْعَوَاذُ
١٠١	الشَّجَرُ	١٦٨	بَرْدُ
٩٢	الصَّبْرُ	٨٩	تَزِيدُ
١٢٢	الْمَصَادِرُ	١٣٨	حَامِدُ
١٤٤	الْمَنَاطِرُ	٤٦	حُسَيْدُوا
١٧٣	أَنْظُرُ	٨١	لَعَجُمُودُ
١٤٦	حَائِرُ	٩٠	وَالْأَبْدُ
١٠٢	مَأْجُورُ	١٢١	وَجَلِيدُ
١٢٣	مَزِيرُ	٢٧	الْأَفْنَادِ
١٠٩	مُضَرُّ	٧٢	الْجَعْدِ
٦١	وَالْمُهَاجِرُ	٢١	تُرْدُ
١٨٦	وَحَوَافِرُ	١٩٦	زِيَادِ
١٧٠	يَسِيرُ	٥٦	سَعْدِ
١٩٠	البَابِ وَالذَّارِ	٨٢	شُهْدِي
٨٨	السُّمْرِ	١١٤	غَدِ
٨٣	الصَّبْرِ	١٥	مُزِيدِ

١٤١	مَعَا	١٨٨	الْمَنْبِرِ
٨٥	إِصْبَغُ	٢٠٤	أَيْسَارِ
٢٢	تُبَاعُ	٥٨	تَحُورِي
١٦٢	تَذَمُّعُ	٦٥	تَدْرِي
٩٣	تَسْمَعُ	٢٤	تَضِيرُ
٧٩	مُتَرَعُ	١١٢	شَطْرِي
٧١	يَنْفَعُ	١٩١	الدَّارِ
٧	تُرَاعِي	٥٤	عَامِرِ
١١٥	جِمَاعُهَا	٤٩	فَاسْهَرِي
١٧٩	التَّلَفَا	١٤٥	فَالضُّمَارِ
٧٠	الْخُلُقُ	١٧٧	وَالصَّبْرِ
١٤٨	تَسْتَقِ	١٧٨	رَغْدَا
٢١٨	خُرُقُ	٥٩	الْمُدَّخَرُ
٢١١	سَرُوقُ	٢٠١	جَهْرُ
٤	مُوثِقُ	١١٧	أَسْتَشِيرُهَا
١٠٣	مُوقِقُ	٦٤	أَوَاصِرُهُ
١٦٤	الْمَذَاقِ	٩٩	الْمَجْلِسُ
١٣٠	بِالْعُلُقِ	١١	عَبُوسِ
٢٢٣	مَرْقُوقِ	٧٧	بَعْضِ
٨٠	السَّوَاكِ	٣٥	خَفْضِ
٩٦	فَهْلَكَ	١٢٧	قَرَضِي
٢٠٦	السُّبُلَا	٢١٦	أَقْرَعَا
٧٣	طَوِيلَا	٢٠٣	الْقِنَاعَا
٣	الصَّيَاقِلُ	١٠٥	اِمْتَنَعَا
١٥٢	الْعُقْلُ	١٣٥	قَطَعَا
١١٨	أَوَّلُ	٨٧	مُرَوَّعَا

٩٧	وَأَبَاجِلُهُ	١٩٨	جَزُلُ
٢١٤	وَتَقَاتِلُهُ	٩	جَمِيلُ
١٦	أَتَقَدَّمَا	١٦٥	فَتَبِيلُ
٢٠٧	دِرْهَمَا	١٩٩	لَجْهَوُ
١٠٠	سُلْمَا	٢٩	مُعَوُّ
٤٤	مُظْلِمَا	٢٢٠	نَتَكِلُ
٢٠٨	مَظْلُومَا	٧٤	وَتُنْهَلُ
٢٣	مُفْعَمَا	١٣٣	وَصُورُ
١٠٦	وَسَمَا	٨٤	يُظَلُّ
٧٨	يَتَرَحَّمَا	٦٩	الْخَوَالِي
١٥٣	أَسْحَمُ	٢١٠	أَهْلِي
٧٦	التَّلَوُّمُ	١٧	صِقَالِ
١٣٧	الْحَكِيمُ	٢٦	طَائِلِ
١٢٩	تَعْلَمُ	١٠٧	عَقِيلِ
١٧٥	جُثُومُ	١٤٩	قَبْلِي
٥٠	لَا يَرِيْمُ	٤٢	قَتْلِي
١٦١	لَعَظِيمُ	١٣٤	مَالِي
١٥٤	لَنَائِمُ	٣٨	مَحَلِ
١٧٤	مُتَقَدِّمُ	٥	هَيْكَلِ
٢٠٠	وَمُنِيْمُ	٦٧	الْوَهْلُ
١٩٣	يَرِيْمُ	١٧٦	جَمَالَهَا
٣٤	الظُّلَمِ	٤٥	خُذَالُهَا
٦٣	بِالدِّمِ	٩٦	فَهَلَكَ
٢٠	سَهْمِي	١٤٣	هَوَى لَهَا
١٩٤	غُلَامِ	٦٢	وَأَجْبَالَهَا
١٠	لِحِمَامِ	١٢٤	قَابِلُهُ

١٥١	يَقِينِ	١٨	وهَيْشِمِ
٢١٧	يُؤْذِنِي	١٠٨	جِمَامَةٌ
٤٣	دُونَهَا	٢١٥	أَضِيمُهَا
٥٧	عُيُونُهَا	٤٠	تَرَانَا
١٨٧	دُنْيَاهَا	١	شَيْبَانَا
١٠٤	الْأَعَادِيَا	٥١	عَيْنَا
١٢٥	الْبَوَاكِيا	٨	فَاسُقِينَا
١١٣	التَّقَاضِيَا	٢٥	مَدْفُونَا
١١٩	الْمَرَامِيَا	٢	إِخْوَانُ
٩٤	تَنَائِيَا	١٥٩	تَبِينُ
١٦٦	حَالِيَا	١٨٥	دَفَنُوا
١٤٧	هُوِيَا	١١١	مَعِينُ
١٩٥	هِيَا	٥٣	أَمَانِ
١٦٠	وَالْقَوَافِيَا	٢٠٩	دَوَانِ
٤٨	يَرَى لِيَا	١٩	شَقَانِي
١٤٠	الْعَشِي	٣٣	وَأَوْطَانِ
٤٧	جَانِيهَا	٣٢	وَجِيرَانِي

الوحشيات

هذا كتاب قالوا إن أبا تمام جمع فيه أشعار الأولين، وقد يسمونه «الحماسة الصغرى». قالوا إن أبا تمام صنع في همدان، إذ حبسه الثلج في بيت صديقه أبي الوفاء بن سلمة، خمسة كتب جعل فيها شعر القدماء. وبعد أن انتخبنا ما انتخبنا من الحماسة ها نحن ننتخب من الكتاب الثاني: «الوحشيات»، وهو أقل شهرة بكثير من الحماسة. وفي نسبته إلى أبي تمام شك غير قليل، وفي نسبة بقية المجاميع - سوى الحماسة - إلى شاعرنا شك غليظ.

على أن ما يعيننا حقاً إنما هو ما في هذا الكتاب من جيد الشعر. وقد حققه عبد العزيز الميمني، وراجعته محمود شاكر. وناهيك بهذين المحققين وفرة علم ودقة ملاحظة وبراعة في تحقيق كتب الأدب. على أنهما لم يشرحا شيئاً. ولا ضير، فالتحقيق شيء والشرح شيء.

التحقيق، في عرف كبار المحققين، نقل الكتاب من النسخ الخطية الكثيرة أو القليلة إلى نسخة مطبوعة ليس لها غرض إلا أن تحاكي الأصل. فأما الشرح فهو ما ستراه مذيلاً الأبيات التي اخترناها. وفي الوحشيات كثير من الشعر العباسي، وتسلفت من ذلك قطعة أو اثنتان إلى مختاراتنا هذه، وكان قد ورد في «الحماسة» بعض الشعر العباسي، وسمحنا لبعض هذا البعض بالتسلل. ولئن أدخل هذا بشرطنا في كتابنا - وقد قصرناه على الشعر من أول ما وصلنا من الجاهلية إلى آخر العصر الأموي - فإن الرغبة في التمتع بجميل الشعر غلبتنا.

١ الأيام دول

فَرَوَّةٌ بِنُ مُسَيِّكٍ المُرَادِي:

فَإِنْ نَهَزِمَ فَهَزَامُونَ قَدَمًا وَإِنْ نُغَلِبَ فَغَيْرُ مُغَلَّبِينَ

إن هزمتهم فهذا ما درجنا عليه، وإن غلبونا فنحن لسنا مغلبين، أي ضعافاً مغلوبين دوماً
 فَمَا إِنَّ طِبُّنَا جُبْنٌ وَلَكِنْ مَنَايَانَا، وَدَوْلَةُ آخِرِينَا
 طبنا، عادتنا، ليست الجبن، ولكن يكون في بعض الوقائع قد حل أجلنا، ودارت الدائرة علينا
 وكانت الدولة، الغلبة، لآخرين

وَمَنْ يُغَرَّرَ بِرَيْبِ الدَّهْرِ يَوْمًا يَجِدْ رَيْبَ الْمَنُونِ لَهُ خَوْنًا
 من غره الزمن فيجد الموت خائناً لأمنيته غداراً

فَأَفْنَى ذَاكُمُ سَادَاتِ قَوْمِي كَمَا أَفْنَى الْقُرُونِ الْأَوَّلِينَ
 هذا ما أفنى السادات من قومي، وهو ما أفنى القرون، أي الأجيال، الأولى

فَلَوْ خَلَدَ الْمَلُوكُ إِذَنْ خَلَدْنَا وَلَوْ بَقِيَ الْمَلُوكُ إِذَنْ بَقِينَا

٢ انصر أخاك

ابن بَرَّاقَة الهمداني:

مَتَى تَجْمَعِ الْقَلْبَ الذِّكْيَ، وَصَارِمًا وَأَنْفًا أَبِيًّا تَجْتَنِبَكَ الْمَظَالِمُ
 إذا كان قلبك ذكياً، فيك شجاعة، ولديك سيف قاطع وأنف أبي،
 نفس ترفض الذل، فلن يظلمك الناس

وَمَنْ يَطْلُبِ الْمَالَ الْمُمنَعَ بِالْقَنَّا يَعْشُ مُثْرِيًّا، أَوْ تَخْتَرِمُهُ الْمَخَارِمُ
 من طلب المال، أي النياق والجمال، المنع، المحمي، بالرماح عاش ثرياً، أو اخترمته
 المخارم، مات

وَكُنْتُ إِذَا قَوْمٌ عَزَوْنِي عَزَوْتُهُمْ فَهَلْ أَنَا فِي ذَا يَالَ هَمْدَانَ ظَالِمٌ؟
 فَلَا صُلْحَ حَتَّى تُقْدَعَ الْخَيْلُ بِالْقَنَّا وَتُضْرَبَ بِالْبَيْضِ الْخِفَافِ الْجَمَاجِمُ
 لا صلح حتى تقدع، أي تُصَدَّ، الخيل بالرماح،
 وحتى تُضْرَبَ بالسيوف الخفيفة جماجم الأعداء

إِذَا جَرَّ مَوْلَانَا عَلَيْنَا جَرِيرَةً صَبَرْنَا لَهَا، إِنَّا كِرَامٌ دَعَائِمُ
 إذا سب لنا مولانا، حليفنا، جريرة، جريمة، فنحن ننصره ونصبر لأننا دعائم، أشداء

وَنَنْصُرُ مَوْلَانَا، وَنَعْلَمُ أَنَّهُ كَمَا النَّاسُ مَجْرُومٌ عَلَيْهِ وَجَارِمُ
 ننصر حليفنا عارفين بأنه قد يكون هو المجرم، وقد يكون مظلوماً

٣ جبل بلا بعير

الأخِير السَّفْدِي:

وإِنِّي لَأَسْتَحْيِي مِنَ اللَّهِ أَنْ أَرَى أَطُوفُ بِحَبْلِ لَيْسَ فِيهِ بَعِيرٌ

يا خجلي وأنا أطوف ويدي جبل لكن بغير بعير يعبر بعتر تعبر مروره أي اهتمام

وَأَنْ أَسْأَلَ الْمَرْءَ اللَّثِيمَ بَعِيرَهُ وَبُعْرَانُ رَبِّي فِي الْبِلَادِ كَثِيرٌ

وأن أطلب بعيراً من رجل لثيم، بينما الجمال في بلاد الله كثيرة. . يشجع نفسه على سرقة الإبل

عَوَى الذَّنْبُ فَاسْتَأْنَسْتُ لِلذَّنْبِ إِذْ عَوَى وَصَوَّتَ إِنْسَانٌ فَكِدْتُ أَطِيرُ

يؤنسن عواء الذنب، ويربيني صوت الإنسان

يَرَى اللَّهُ أَنِّي لِلْأَنْبَسِ لَشَائِيٌّ وَتُبْغِضُهُمْ لِي مُقْلَةً وَضَمِيرٌ

أنا شائئ، أي كاره، للإنسان، أكرة رؤيته بمقلتي، ويكرهه قلبي

٤ حزازات النفوس

زُفَرُ بْنُ الْحَارِثِ الْكِلَابِيُّ:

وَقَدْ يَنْبُتُ الْمَرْعى عَلَى دِمَنِ الثَّرَى وَتَبْقَى حَزَازَاتُ النُّفُوسِ كَمَا هِيَ

قد ينبت العشب على دمن الثرى، أوساخ التراب، فيغطيها فلا يرى المرء إلا العشب الأخضر، ولكن حزازات النفوس، جراح القلوب أي أحقادها، تبقى دفينه لا تتغير

أَبِينِي سِلَاحِي لَا أَبَا لِكَ إِنَّنِي أَرَى الْحَرْبَ لَا تَزْدَادُ إِلَّا تَمَادِيَا

يا امرأتي أخرجي لي سلاحي، فأنا أرى الحرب تزداد اشتعالاً

٥ أبالأراجيز؟

اللعين المِتْقَرِي:

إِنِّي أَنَا ابْنُ جَلَا إِنْ كُنْتَ تَعْرِفُنِي يَا «رُؤَبَ»، وَالْحَيَّةُ الصَّمَاءُ فِي الْجَبَلِ

أنا ابن جلا، أي المشهور المعروف، يا رؤبة بن العجاج، وأنا حية الجبل الصماء،
الشديدة السامة

أَبَالْأَرَاغِيزِ يَا ابْنَ اللُّؤْمِ تُوعِدُنِي؟ إِنَّ الْأَرَاغِيزَ رَأْسُ اللُّؤْمِ وَالْفَسَلِ

هل تهددني بالهجاء بأراجيزك، ورؤبة من كبار الرجاز، وكانت الشعراء تعد الرجز أدنى من الشعر

٦ الرزق على الله

مُضَرَّس بن رَبِيعٍ:

وَعَاذِلَةَ تَخْشَى الرَّدَى أَنْ يُصِيبَنِي تَرَوْحُ وَتَغْدُو بِالْمَلَامَةِ وَالْقَسَمِ
هذه العاذلة اللاتمة تخشى عليَّ الموت، ولا تكف عن لومي وأن تقسم عليَّ أن أترك المواجهات

تَقُولُ: هَلَكْنَا إِنْ هَلَكْتَ، وَإِنَّمَا عَلَى اللَّهِ أَرْزَاقُ الْعِبَادِ كَمَا زَعَمَ
تقول إننا سنموت إن أنت مت، ولكن أرزاق الناس على الله كما زعم، أي كما وعد

وَإِنِّي أَحِبُّ الْخُلْدَ لَوْ أَسْتَطِيعُهُ وَكَالْخُلْدِ عِنْدِي أَنْ أَمُوتَ وَلَمْ أُدَمِّ
أحب الخلد، البقاء على قيد الحياة، ولكن الموت بلا مدامة هو عندي كالحياة

٧ أيام سلم حبلى بالحرب

قال ابن عم لسويد الحارثي بعد مقتل سويد:

سَتَعْلَمُ إِنْ طَالَ الْمَدَى أَلْ مَالِكِ أَيْلِ الرَّشْدِ أَمْ بِالْغَيِّ قَرَّتْ عُيُونُهَا
سيعلم آل مالك هل قرت عيونهم، فرحوا، بالحق أم بالباطل

فإنَّا وَإِيَّاكُمْ وَإِنْ طَالَ تَرْكُكُمْ كَحَامِلَةٍ يَزْدَادُ ثِقْلًا جَنِينُهَا
ونحن وأنتم والزمن طويل.. ولئن تركناكم فالأمر بيننا مثل الحبلى التي يزداد ثقلًا جينها ولا بد
يوماً أن تضع.. أي ستدور عليكم الدوائر بعد حين

٨ مكانك!

عمرو بن الإطنابة الخزرجي:

أَبْتُ لِي عِفَّتِي وَحَبَاءُ نَفْسِي وَأَخَذِي الْحَمْدَ بِالثَّمَنِ الرَّبِيحِ
أبت لي الذل عفتي وحياتي ونيلي المكارم ببذل ما تقتضيه

وإِقْدَامِي عَلَى الْمَكْرُوهِ نَفْسِي وَضَرْبِي هَامَةَ الْبَطْلِ الْمُشِيحِ
ورأيت لي الذل أيضاً شجاعتي إذ أرمي بنفسي على المكروه، القتال، وضربي هامة، رأس، البطل
المشيح، الفارس المنحرف نحو يلقانلني

وَقَوْلِي كُلَّمَا جَشَأَتْ وَجَاشَتْ مَكَانِكَ! تُحْمَدِي أَوْ تَسْتَرِيحِي

وقولي كلما جشأت نفسي وجاشت، كلما فزعت وتوترت، مكانك أيتها النفس واثبت، فإما أن
تنالي الحمد بالثبات في المعركة وإما أن تموتي وتستريح. سأل معاوية عبيد الله بن زياد إن كان
يحفظ شعراً، فقال: لا، اكتفيت بالقرآن. فقال له: والله كنت أضع قدمي في الركاب أنوي الفرار
مرة بعد مرة في «صفين»، وما كان يمتعني سوى أبيات عمرو بن الإطنابة

٩ قاتل خاله

قال تُوْبَةُ بن مُضَرَّس السعدي، وقد قتل خاله أخذاً بثأر أخيه «طارق»:

بَكَتْ جَزَعاً أُمِّي رُمَيْلَةً أَنْ رَأَتْ دَمًا مِنْ أَخِيهَا فِي الْمُهَنْدِ بَاقِيَا

بكت أُمِّي إذ رأت بقية من دم أخيها على سيفي

فَقُلْتُ لَهَا لَا تَجْزَعِي إِنْ «طَارِقًا» خَلِيلِي الَّذِي كَانَ الْخَلِيلَ الْمُصَافِيَا

قلت لها لا تجزعي فطارق كان خليلي الوفي

وَمَا كُنْتُ لَوْ أُعْطِيتُ أَلْفِي نَجِيبَةً وَأَوْلَادَهَا لَغَوًّا وَسِتِّينَ رَاعِيَا .

وما كنت لو أعطوني دية لطارق ألفي نجبية، ناقة، مع أولادها لغوًّا، أي ملغاة غير محسوبة في الدية، وفوق ذلك ستين من الرعاة .

لِأَقْبَلَهَا مِنْ «طَارِقٍ» دُونَ أَنْ أَرَى دَمًا مِنْ بَنِي حِصْنٍ عَلَى السَّيْفِ جَارِيَا

ما كنت لأقبلها بدلاً من دم طارق، فلا بد أن أرى دم بني حصن

يجري على سيفي أخذاً بالثأر

وَمَا كَانَ فِي عَوْفٍ قَتِيلٌ عَلِمْتُهُ لِيُوفِينِي مِنْ «طَارِقٍ» غَيْرُ خَالِيَا

وليس في عشيرة عوف رجل أقتله فيقي بطارق سوى خالي، لذا قتله

١٠ لولا بناتي

عيسى بن فاتك الخارجي:

لَقَدْ زَادَ الْحَيَاةَ إِلَيَّ حُبًّا بَنَاتِي، إِنَّهُنَّ مِنَ الضُّعَافِ

أَحَازِرُ أَنْ يَذُقْنَ الْبُؤْسَ بَعْدِي وَأَنْ يَشْرَبْنَ رَنْقًا بَعْدَ صَافٍ

أحذر إن مت أن تذوق بناتي شظف العيش بعدي، وأن يشربن الماء الرنق، المكدر، بعد شربهن الصافي في حياتي

وَأَنْ يَضْطَرُّهُنَّ الدَّهْرُ بَعْدِي إِلَى جِلْفٍ مِنَ الْأَعْمَامِ جَافٍ

الجلف والجافي: الخشن الطباع

وَلَوْلَا هُنَّ قَدْ سَوَّمْتُ مُهْرِي وَفِي الرَّحْمَنِ لِلضُّعَفَاءِ كَافٍ

لولا بناتي لكنت سومت مهري، أعدته للحرب،

والله يكفل الضعفاء الآخرين من أهلي

١١ بداية الملك العضوض

عبد الله بن همام السلولي:

إِذَا مَا مَاتَ كِسْرَى قَامَ كِسْرَى نَعْدُ ثَلَاثَةَ مُتَتَابِعِينَ

لعله قال ذلك وقد أوصى معاوية لولده يزيد، فالشاعر يرى أن الخلافة أصبحت كسروية، عثمان ثم معاوية ثم يزيد. . ثلاثة من بني أمية

وَأِنْ جِئْتُمْ بِرَمْلَةٍ أَوْ بِهِنْدٍ نُبَايِعُهَا أَمِيرَةً مُؤْمِنِينَ

رملة بنت أبي سفيان زوج الرسول، وهند أم معاوية، وتوفيتا قبل هذا الشعر الذي قيل في بيعه معاوية لابنه يزيد سنة ٥٩ للهجرة، يسخر الشاعر من معاوية

حُسَيْنَا الْغَيْظَ حَتَّى لَوْ شَرَبْنَا دِمَاءَ بَنِي أُمَيَّةَ مَا رَوَيْنَا

وكافاه معاوية بأن أرسل إليه مالا. وعاش الشاعر بعد أبياته ثلاثين سنة

١٢ نجاة معاوية

النجاشي الحارثي:

أَيَا رَاكِبًا إِمَّا عَرَضْتَ فَبَلَّغْنِ تَمِيمًا وَهَذَا الْحَيَّ مِنْ غَطَفَانٍ

أيها الراكب بلغ سلامي لهؤلاء

وَكُنْتُمْ كَذِي رَجُلَيْنِ رَجُلٍ صَحِيحَةٍ وَرَجُلٍ بِهَا زَيْبٌ مِنَ الْحَدَثَانِ

فَأَمَّا الَّتِي صَحَّتْ فَأَزْدُ شَنْوَةٍ وَأَمَّا الَّتِي شَلَّتْ فَأَزْدُ عُمَانِ

يصنف النجاشي القبائل فمنها ما صمد مع علي ومنها ما انحاز إلى معاوية. وكان الشاعر في صفين مع علي، ثم ضبطه علي سكران في رمضان فجلده وزاده عشرين جلدة عن الحد، فانحاز إلى معاوية، لكن بعد هذه القصيدة

فَيَا حَسْرَتِي أَلَا أَكُونُ شَهِدَتْهُمْ فَأَذْهَنَ مِنْ شَحْمِ الْعَبِيدِ سَنَانِي

يتحسر ألا يكون شهد صفين حتى يقتل من وصفهم بالعبيد بسنان رحمه

فَأَصْبَحَ أَهْلُ الشَّامِ قَدْ رَفَعُوا الْقَنَا عَلَيْهَا كِتَابُ اللَّهِ خَيْرُ قُرْآنٍ

رفع أهل الشام في صفين الرماح وعليها المصاحف يطلبون الهدنة والاحتكام للقرآن

وَنَادَوْا عَلِيًّا يَا ابْنَ عَمِّ مُحَمَّدٍ أَمَا تَتَّقِي أَنْ يَهْلِكَ الثَّقَلَانِ

نادى أهل الشام بعلي أما تتقي أن يهلك الثقلان، أي الإنس والجن، يقصد أن يهلك الناس جميعاً من الفريقين المتحاربين

وَنَجَّى ابْنَ حَرْبٍ سَابِغٍ ذُو عُلَالَةٍ أَجَشُّ هَزِيمٍ وَالرَّمَا حُ دَوَانٍ
 نجى معاوية بن صخر (أبي سفيان) بن حرب سابغ، فرس سريع، ذو علالة، ذو جري شديد،
 أجش هزيم، ذو صهيل عالٍ، والرماح قريبة منه

وَمَا دُفِنْتُ قَتْلَى سُلَيْمٍ وَعَامِرٍ بِصِفِّينَ حَتَّى حُكِّمَ الْحَكَمَانِ

١٣ الأبعدون أولى بالمعروف

الحارث بن كُلَّة التَّقْفِي:

وَفِي النَّاسِ مَنْ يَغْشَى الْأَبَاعِدَ نَفْعُهُ وَيَشْقَى بِهِ حَتَّى الْمَمَاتِ أَقَارِبُهُ
 يغشى الأبعد نفعه: يأتيهم

فَإِنْ يَكُ خَيْرًا فَالْبَعِيدُ يَنَالُهُ وَإِنْ يَكُ شَرًّا فَابْنُ عَمِّكَ صَاحِبُهُ

١٤ انهيار بيتين

جليلة بنت مرة، أخت جساس، وامرأة كليب، وقد قتل أخوها جساس زوجها كلياً:

يَا ابْنَةَ الْأَقْوَامِ إِنْ لُمْتُ فَلَا تَعْجَلِي بِاللُّومِ حَتَّى تَسْأَلِي
 تخاطب رفيقة لها: إن لمتي فلا تتعجلي..

فَإِذَا أَنْتِ تَبَيَّنْتَ الَّذِي يُوجِبُ اللَّوْمَ فَلُومِي وَاعْذُلِي
 جَلَّ عِنْدِي فِعْلُ جَسَّاسٍ فَبَا حَسْرَتِي عَمَّا انْجَلْتُ أَوْ تَنْجَلِي
 كان ما فعله أخي جساس خطيراً فبا لحسرتي عما انجلت وستجلي عنه فعلته، أي الويل لي من
 النتائج

فِعْلُ جَسَّاسٍ، عَلَى وَجْدِي بِهِ، قَاطِعُ ظَهْرِي وَمُذْنِ أَجَلِي
 رغم حبي لجساس ففعله سيقطع ظهري، سيززع ما أحتمي به، ويقرب موتي

لَوْ بَعَيْنٍ فُقِئْتُ عَيْنِي سَوَى أُخْتِهَا فَأَنْفَقَاتُ لَمْ أَخْفَلِ
 كأن عيني فقتت بالعين الأخرى.. فكلما الطرفان لي به صلة وثيقة

يَا قَتِيلًا قَوَّضْتُ صَرَعَتُهُ سَقَفَ بَيْتِي جَمِيعاً مِنْ عِلٍ
 يا قتيلاً، يا زوجي كليب الذي قتله أخي جساس، لقد قوضت صرعته، هدم موته، كلا بيتي من
 الأعلى للأسفل: بيت أهلي وبيت زوجي

قَوَّضْتُ بَيْتِي الَّذِي اسْتَحْدَثْتُهُ وَانْتَنَتْ فِي هَدْمِ بَيْتِي الْأَوَّلِ

لَيْتَهُ كَانَ دَمِي فَاحْتَلَبُوا دَرَكَا مِنْهُ دَمِي مِنْ أَكْحَلِي

ليت الدم الذي أريق كان دمي فاحتلبوا، أسالوا، دركاً منه، سيلاً متتابعاً، من أكحلي،
الوريد في ذراعي

خَصَّنِي قَتْلُ كُلِّبٍ بِلَطَىٍّ مِنْ وَرَائِي وَلَطَىٍّ مُسْتَفِيلِي

اللطى: اللهب

دَرَكُ الثَّائِرِ يَشْفِيهِ، وفي دَرَكِي نَارِي تُكَلِّمُ الْمُشْكِلِ

إدراك الثائر، طالب النار، لثاره يشفي قلبه، وإدراكي ناري يتكلني

إِنَّنِي قَاتِلَةٌ مَقْتُولَةٌ وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَرْتَاخَ لِي

١٥ ثِقَابُ الْأَعِينِ

يُخَصِّنُ بْنُ كِنَانَ الْقُرَيْعِي، وَأَصَابَ عَيْنَهُ مَاءٌ:

لَقَدْ طُفْتُ شَرْقِيَّ الْبِلَادِ وَعَرَبَهَا أَسْأَلُ عَنْ ذِي الطَّبِّ وَالْمُتَطَبِّبِ

يَقُولُونَ إِسْمَاعِيلُ ثِقَابُ أَعْيُنٍ وَمَا خَيْرُ عَيْنٍ بَعْدَ ثَقَبٍ بِمِثْقَبِ

ثقاب الأعين: الطيب الذي يزيل ماء يطرأ على العين

يَقُولُونَ مَاءٌ طَيِّبٌ خَانَ عَيْنَهُ وَمَا مَاءُ عَيْنٍ خَانَ عَيْنًا بِطَيِّبِ

يقولون للماء الأبيض الذي يُغْثِي العين «ماء طيب خان العين».. وليس بطيب إن كان يخونها

جَرَى فَوْقَ إِنْسَانَيْهِمَا فَكَأَنَّمَا جَرَى فَوْقَ إِنْسَانَيْهِمَا مَاءٌ طُحْلِبِ

على عينيه غشاوة فكان بهما ماء مكدراً بالطحلب

١٦ قَاسِمَنِي دَهْرِي

قال الشاعر ومات بنوه:

أَسْكَانَ بَطْنِ الْأَرْضِ لَوْ يُقْبَلُ الْفِدَا فَذَيْنَا وَأَعْطَيْنَا بِكُمْ سَاكِنَ الظَّهْرِ

أيها الموتى لو كان يقبل أن نفتديكم بأنفسنا لفعلنا

أَلَا لَيْتَ مَنْ فِيهَا عَلَيْهَا، وَلَيْتَ مَنْ عَلَيْهَا ثَوَى فِيهَا إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ

ثوى: مكث

وَقَاسَمَنِي دَهْرِي بِنَيِّ بِشَطْرِهِ فَلَمَّا تَقَضَّى شَطْرُهُ عَادَ فِي شَطْرِي

قاسمني الزمن أولادي، فأخذ نصفاً وأبقى لي نصفاً، ثم عاد ليأخذ نصفي أنا

كَأَنَّهُمْ لَمْ يَعْرِفِ الْمَوْتَ غَيْرَهُمْ فَتُكَلَّلُ إِلَى تُكَلَّلِ وَقَبْرٌ إِلَى قَبْرِ

١٧ مصبح أو ممسي

أَبُو عَدَّاسِ النَّمَرِيِّ:

لَعَمْرُكَ مَا نَدَرِي أَفِي الْيَوْمِ أَوْ غَدٍ نُنَادِي إِلَى آجَالِنَا فَنُجِيبُ

١٨ رجعت عنك

لَوْ كُنْتُ أَضِيرُ أَنْ أَرَى أَثَرَ الْبِلَى لَتَرَكْتُ وَجْهَكَ ضَاحِياً لَمْ يُقْبَرِ

لو صبرت على رؤية أثر البلى، تفتت الجسم بعد الموت، لتركت وجهك ضاحياً، بارزاً للشمس ولم أدفنه

بِأَبِي بَذَلْتُكَ بَعْدَ صَوْنٍ لِلْبِلَى وَرَجَعْتُ عَنْكَ، صَبَرْتُ أَمْ لَمْ أَضِيرِ

أفديك بأبي يا من بذلتك، سمحت بك، بعد أن كنت أصونك، فتركت البلى يحل بك، ورجعت بعد دفنك. ولا يهم بعد ذلك أصبرت أم لم أصبر

١٩ أبا شجر الخابور!

قَالَتِ الْفَارَعَةُ بِنْتُ طَرِيفٍ، تَرْتِي أَخَاهَا الْوَلِيدَ بْنَ طَرِيفِ الشَّيْثَانِي الشَّارِي:

أَلَا يَا لِقَوْمٍ لِلْجَمَامِ وَلِلرَّدَى وَدَهْرٍ مُلِحٍّ بِالْكَرَامِ عَنِيفٍ

يا لقومي، تستغيث بهم، ما هذا الموت وما هذا الدهر الملح في ملاحقته للكرام، العنيف بهم!

أَيَا شَجَرَ الْخَابُورِ مَا لَكَ مُورِقاً كَأَنَّكَ لَمْ تَجْزَعْ عَلَى ابْنِ طَرِيفٍ

تخاطب شجر الخابور: ما لك قد أورقت؟ ألم تجزع على أخي ابن طريف؟

فَتَى لَا يُجِبُّ الزَّادَ إِلَّا مِنَ الثَّقَى وَلَا الْمَالَ إِلَّا مِنْ قَنَأٍ وَسُيُوفٍ

كان لا يأكل الطعام إلا بعد أن يتقي الذم بإطعام العشيرة، وكان لا يحصل على المال، أي الإبل، إلا برمح وسيفه، والغزو عند العرب واستياق الإبل أمر محمود... هو طريقته في توزيع الثروة ولا سيما أيام القحط

يَتَلَّ نُبَاتَى رَسْمٌ قَبْرِ كَأَنَّهُ عَلَى جَبَلٍ فَوْقَ الْجِبَالِ مُنِيفٍ

في ذلك الموضع طلل قبر، ولجلالة قدر دفينه فكأنه جبل منيف، مشرف عالٍ

تَضَمَّنَ سَرَوْاً حَاتِمِيّاً وَسُودَدَاً وَسُورَةً ضِرْغَامٍ وَقَلْبَ حَصِيفٍ

تضمن القبر سروراً، سيادة وعزاً، وسخاء حاتمياً، وسورة ضرغام، هجمة أسد، وقلب رجل حصيف، حكيم

فإن كان أَرَدَاهُ يَزِيدُ بِنُ مَزِيدٍ قَرُبَ زُخُوفِ فَلَّهَا بِزُخُوفٍ
 لئن كان قتله يزيد بن مزيد فلقد كان أخي في حياته يقل، يفرق، الزحوف المهاجمة بزحوف مثلها
 فَقَدْنَاكَ فَقْدَانُ الرَّبِيعِ، وَلَيْتَنَا فَدَيْنَاكَ مِنْ دَهْمَائِنَا بِأَلُوفٍ
 فقدنا بك الربيع والخير، وليتنا فدينك بألوف الناس العادين

فلا تَجْرَعَا يَا ابْنِي طَرِيفٍ فَإِنِّي أرى الموتَ حَلَالاً بِكُلِّ شَرِيفٍ

٢٠ التفسخ

قال أعرابي يرثي ابنه:

يَا دَارُ بِالْقَفْرِ الْيَبَابِ وَالْمَنْزِلِ الْوَحْشِ الْخَرَابِ
 أيها الدار بالفلاة المقفرة، وأيها المنزل الموحش المهدم..

بِيَدَيَّ فَيْكَ دَقَنْتُ نَضًّا رَأً بَيْنَ أَطْبَاقِ التَّرَابِ
 دَارَ الْبِلَى بِاللَّهِ قُو لِي، لَا تَصْمِي عَنْ جَوَابِي
 يا دار البلى، والبلى تفتت الجسم بعد الموت، لا تصمي، لا تغلقي أذنيك عن سؤالي وأجبي..

مَاذَا فَعَلْتَ بِوَجْهِهِ وَبِسِنَّهِ الْفُرِّ الْعِذَابِ؟
 ماذا فعلت بوجهه وبأسنانه الغر، أي البيض، العذبة؟

قَالَتْ لَنَا دَارُ الْبِلَى وَالْدَارُ تَنْطِقُ بِالصَّوَابِ:
 يقول القبر:

أَوْ مَا عَلِمْتَ بِأَنْ نَصْرَ رَأً يَا أَبَا نَصْرِ ثَوَى بِي
 نصر، يا أبا نصر ثوى، أي أقام، بي..

فَكَسَوْتُهُ ثَوْبَ الْبِلَى وَسَلَبْتُهُ جُدَدَ الثِّيَابِ
 كسوته ثوب الاهتراء.. وسلبته الثياب الجديدة، أي لحمه

وَمَحَوْتُ غُرَّةَ وَجْهِهِ بِالتُّرْبِ مَحْوَكَ لِكِتَابِ
 محوت وجهه الأغر الأبيض بالتراب مثلما يمحو المرء الكتابة، وكانوا يكتبون على الجلد، فإن
 شاءوا غسلوا الكتابة

فَلَوْ اسْتَبَيَنْتَ رِوَاءَهُ بَعْدَ الْغَضَارَةِ وَالشَّبَابِ..
 لو رأيت رواءه، منظره، بعد أن كان في غضارته، نضارته، وشبابه..

لَعَضَضْتَ أَطْرَافَ الْبَنَاتِ نِ لَطُولِ حُزْنٍ وَاكْتِنَابِ
لمضضت أصابعك حزناً

وَرَأَيْتَ أَشْنَعَ مَنْظَرٍ وَلَدَرَّ دَمْعُكَ بِأَنْسِكَابِ
فإليك ربّي المُشْتَكَى فَأَعِنْ بِصَبْرٍ وَاحْتِسَابِ
أعني يا رب بالصبر واحتسب لي أجراً على هذا الصبر

٢١ قبل الرحيل

لبيد بن ربيعة:

تَمَنَّى ابْنَتَايَ أَنْ يَعِيشَ أَبُوهُمَا وَمَا أَنَا إِلَّا مِنْ رَبِيعَةٍ أَوْ مُضَرٍّ
تمنى ابنتاي أن أعيش .. ولكنني إنسان كالناس من قبائل ربيعة أو مضر .. وساموت

فَقُومَا فَقُولَا بِالَّذِي قَدْ عَلِمْتُمَا فَلَا تَخْمِشَا وَجْهًا وَلَا تَخْلِقَا شَعْرًا
فإن مت فقوما بما يجب عليكما، ولا تخمشا وجهاً ولا تحلقا شعراً

وَقُولَا: هُوَ الْمَيِّتُ الَّذِي لَا صَدِيقَهُ أَضَاعَ، وَلَا خَانَ الْخَلِيلَ وَلَا عَدُوَّ
واذكرا محاسني فأنا لم أتخل عن صديق، ولا خنت ولا غدرت

إِلَى الْحَوْلِ ثُمَّ اسْمُ السَّلَامِ عَلَيْكُمَا وَمَنْ يَبْكُ حَوْلًا كَامِلًا فَقَدْ اعْتَذَرَ
وليكن الحلداد إلى الحول، أي سنة، ثم انتهى الأمر، ومن بكى سنة فقد اعتذر،
أي وفى وقام بالواجب

٢٢ موعد المغادرة

عبد بن الطبيب:

إِذَا الرِّجَالُ وَلَدَتْ أَوْلَادُهَا..

إذا صار للرجال أحفاد

وَاضْطَرَبَتْ مِنْ كِبَرٍ أَعْضَادُهَا..

واضطربت من الشيخوخة الأعضاد، العضد أعلى الذراع

وَجَعَلَتْ أَسْقَامُهَا تَعْتَادُهَا..

وأخذت أمراضها القديمة تعود إليها

فَهِيَ زُرُوعٌ قَدْ دَنَا حَصَادُهَا

إذا اجتمعت هذه الشروط في الرجال فهم كالزروع التي نضجت وحن حصادها، أي موتهم

٢٣ أفدح منك؟ لا

قال العتي:

وَكُنْتُ أَبَا سَيْئَةٍ كَالْبُدُو رٍ، قَدْ فَقَأُوا أَعْيُنَ الْحَاسِدِينَ

كنت والد ستة من الشبان كأنهم البدور يفقأون عين الحاسد

فَمَرُّوا عَلَى حَادِثَاتِ الزَّمَانِ كَمَرِّ الدَّرَاهِمِ بِالنَّاقِدِينَ

فمر أبنائي على مصائب الزمن مثلما تمر الدراهم بيد الصرافين الناقدين، الذين يختبرون صحة الدراهم

وَحَسْبُكَ مِنْ حَادِثٍ بِأَمْرِي نَرَى حَاسِدِيهِ لَهُ رَاحِمِينَ

يكفيك أن هذا الحادث جعل من يحسدوني يرحمونني، أي يشعرون بالشفقة عليّ

٢٤ عفاف

حَوَيْتُ صُنُوفَ الْمَالِ مِنْ كُلِّ وَجْهَةٍ فَمَا نِلْتُهَا إِلَّا بِكَفِّ كَرِيمٍ

وَأَنْتِي لِأَرْجُو أَنْ أَمُوتَ وَتَنْقُضِي حَيَاتِي وَمَا عِنْدِي يَدٌ لِّلْئِيمِ

٢٥ على قطع رقبتني

أبو مخجن الثقفي:

وَقَدْ أَجُودُ وَمَا مَالِي بِذِي فَنَعَ وَأَكْتُمُ السَّرَّ فِيهِ ضَرْبَةُ الْعُنُقِ

«قد» أسخو بمالي، أي بالتأكيد أنا أسخو بمالي، - و«قد» هنا للتوكيد لا للشك وهذا أسلوب قديم

- ومالي ليس بذني فنع، ليس بذني كثرة، وأكتم السر على قطع رقبتني

٢٦ وبيك!

قال أعرابي نزل بيحيى بن جبريل فأناه بشراب:

أَتَانِي بِهَا يَحْيَى وَقَدْ نَامَ صُحْبَتِي وَقَدْ غَابَتِ الْجُوزَاءُ وَانْعَمَسَ النَّسْرُ

جاءني يحيى بالخمير وقد نام أصحابي وغابت أنجم الجوزاء والنسر

فَقُلْتُ: اضْطَبِّحْهَا، أَوْ لَغَيْرِي فَأَهْدِهَا فَمَا أَنَا بَعْدَ الشَّيْبِ وَبَيْكَ وَالْحَمْرُ

قلت له اضطببحها، اشربها صباحاً، أو أعطاها لغيري، فما شأني وبيك، أي ويحك، والخمر بعد أن شبت!

٢٧ كل من عليها..

أَلَمْ تَرَ حَوْشَباً يَبْنِي قُصُوراً يُرْجِي نَفْعَهَا لِبَنِي بُقَيْلَةَ
يُؤْمَلُ أَنْ يُعَمَّرَ عُمَرُ نُوحٍ وَأَمْرُ اللّٰهِ يَحْدُثُ كُلَّ لَيْلَةٍ

٢٨ برود

قال عبد العزيز بن زرارَة:

كُلًّا لَبِستُ فلا النِّعماءُ تُبْطِرنِي ولا تَخْشَعْتُ مِنْ لَأَوَائِهَا جَزَعاً
جريت كل شيء فلبست النعماء، تمتعت بالغنى، فما بطرت، ولا تخشعت، أي خضعت، من
لأولاء الدنيا، أي مصائبها، جازعاً

لا يَمَلَأُ الهَمُّ صَدْرِي قَبْلَ مَوْقِعِهِ ولا يَضِيقُ بِهِ صَدْرِي إِذَا وَقَعَا
لا أحمل الهم قبل وقوع المصيبة، فإن وقعت صبرت

٢٩ صخرة ليست بصخرة

ضَعِ السِّرَّ فِي صَمَاءٍ لَيْسَتْ بِصَخْرَةٍ صَلُودٌ كَمَا عَايَنْتَ مِنْ سَائِرِ الصَّخْرِ
ضع سرك يا صاحبي في صماء، مصمتة صلبة، لكنها ليست صخرة صلوداً، صلبة مثل بقية
الصخور التي رأيتها

وَلَكِنَّهَا قَلْبُ امْرِئٍ ذِي حَفِيزَةٍ يَرَى أَنَّ بَثَّ السِّرِّ قَاصِمَةُ الظَّهْرِ
لكنها صخرة قلبي ذي الحفيظة، الشرف، وهو قلب رجل يرى أن إفشاء الأسرار يقصم ظهر
السمعة الطيبة

٣٠ شروط الصحبة

قال مطيع بن إياس:

إِنَّمَا صَاحِبِي الَّذِي يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَكَفِّهِهِ مِنْ أَخِيهِ أَقْلُهُ
صاحبي الحقيقي هو الذي يغفر ذنبي، ولا يطلب الكثير

لَيْسَ مَنْ يُظْهِرُ الْمَوَدَّةَ إِفْكَاً وَإِذَا قَالَ خَالَفَ الْقَوْلَ فِعْلاً
ليس صاحبي من يظهر المودة إفكاً، أي كذباً، ويخالف فعله قوله

وَضَلُّهُ لِلصَّدِيقِ يَوْمٌ وَإِنْ ظَا لَ فَيَوْمَانِ، ثُمَّ يَنْبَتْ حَبْلُهُ
هذا الأخير وصله لصديقه يوم، وعلى الأكثر يومان، ثم ينبت، أي يتقطع، حبل العلاقة

٣١ شروط الزوج

قال شريح القاضي:

خُذِي الْعَفْوَ مِنِّي تَسْتَدِيمِي مَوَدَّتِي وَلَا تَنْطِقِي فِي سَوْرَتِي حِينَ أَغْضَبُ
خُذِي الْعَفْوَ مِنِّي، أَي مَا سَمَحْتَ بِهِ عَنْ طِيبِ خَاطِرٍ، فِي هَذَا اسْتِدَامَةِ الْمَوَدَّةِ، وَلَا تَجَادِلِينِي فِي
سُورَةِ الْغَضَبِ، فِي شِدَّتِهِ

فَإِنِّي رَأَيْتُ الْحُبَّ فِي الْقَلْبِ وَالْأَسَى إِذَا اجْتَمَعَا لَمْ يَلْبِثِ الْحُبُّ يَذْهَبُ
إِذَا اجْتَمَعَ الْحُبُّ وَالْأَسَى، أَي النَكْدُ، فِي الْقَلْبِ خَرَجَ الْحُبُّ

٣٢ «تقبريني» وأقبرك

وَلَوْ أَنَّنِي إِذْ حَانَ وَقْتُ حِمَامِيهَا أَحْكَمُ فِي عُمْرِي لَقَاسَنَتْهَا عُمْرِي
لَوْ أَنَّنِي إِذْ حَانَ حِمَامِيهَا، مَوْتَهَا، أَحْكَمُ فِي عُمْرِي لِأَعْطَيْتَهَا نِصْفَهُ
فَحَلَّ بِنَا الْفِقْدَانُ فِي سَاعَةٍ مَعًا فَمُتُّ وَلَا تَذْرِي وَمَاتَتْ وَلَا أَدْرِي
فَمَتْنَا مَعًا فَلَمْ يَدْرِ أَحَدُنَا بِمَوْتِ الْآخَرِ

٣٣ عندما سالت الأباطح

قال الشاعر، ونسب البيتان المشهوران لكثيرين:

وَلَمَّا قَضَيْنَا مِنْ مَنَى كُلَّ حَاجَةٍ وَمَسَحَ بِالْأَرْكَانِ مَنْ هُوَ مَاسِحُ
بَعْدَ أَنْ قَضَيْنَا حَاجَتَنَا مِنْ مَنَى وَقَمْنَا بِالشَّعَائِرِ، وَلَمَسْنَا أَرْكَانَ بَيْتِ اللَّهِ
أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الْأَحَادِيثِ بَيْنَنَا وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ الْمَطِيِّ الْأَبَاطِحُ
أَخَذْنَا نَتَجَاذِبُ أَطْرَافَ الْحَدِيثِ، وَسَالَتْ أَبَاطِحُ مَكَّةَ، سَهْلُهَا حَيْثُ مَسَايِلُ الْمَاءِ،
بِأَعْنَاقِ الْإِبِلِ الَّتِي كُنَّا نَرْكَبُهَا.. هَؤُلَاءِ انْصَرَفُوا مِنْ حَجِّهِمْ وَأَخَذُوا يَتَحَدَّثُونَ وَهُمْ عَلَى
ظُهُورِ الْإِبِلِ وَقَدْ سَالَتْ سَهْلُ مَكَّةَ - لَيْسَ بِسَيُولِ الْمَاءِ بَلْ بِأَعْنَاقِ الْإِبِلِ -.. ظَلَمَ
النَّقَادُ الْقِدَامِي هَذَا الْبَيْتَ. عَرَفُوا لَهُ لُغَةً فِي آذَانِهِمْ وَقُلُوبِهِمْ، وَلَكِنَّهُمْ رَاحُوا يَفْتَشُونَ
تَحْتَهُ عَنْ مَعْنَى جَلِيلٍ فَلَمْ يَجِدُوا. حَسِبَهُمْ مَا فِيهِ مِنْ صُورَةٍ حُلُوءَةٍ، وَحَسِبَهُمْ مَا فِيهِ مِنْ
شُعُورٍ جَمِيلٍ.. شُعُورِ الْوَنَاسَةِ

٣٤ الباكون حول المعاصر

أبو مخجن الثقفي:

صَبِرْتُ وَلَمْ أَجْزَعْ وَقَدْ مَاتَ إِخْوَتِي وَلَسْتُ عَنِ الصَّهْبَاءِ يَوْمًا بِصَابِرٍ
عِنْدَمَا مَاتَ إِخْوَتِي صَبِرْتُ وَلَمْ أَجْزَعْ، وَلَكِنِّي لَا أَصْبِرُ عَنِ الْخَمْرِ

رَمَاهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِحَتْفِهَا فَشَرَّائِهَا يَبْكُونَ حَوْلَ الْمَعَاصِرِ
منعها أمير المؤمنين، فكانه قتلها، فالشاربون يكون حول معاصرها حزناً

٣٥ النعسانة

عدي بن الرقاع العاملي:

لَوْلَا الْحَيَاءُ وَأَنَّ رَأْسِي قَدْ عَسَا فِيهِ الْمَشِيبُ لَزُرْتُ أُمَّ الْقَاسِمِ
لولا الحياء وأن رأسي عسا فيه المشيب، انتشر واستقر لزرت المحبوبة

وَكَأَنَّهَا بَيْنَ النِّسَاءِ أَعَارَهَا عَيْنَيْهِ أَحْوَرُ مِنْ جَاذِرِ جَاسِمِ
كان جؤذراً، بقرة وحش، أحور، ذا عينين اشتد سوادهما في بياضهما، من جاذر قرية جاسم بالشام قد أعارها عينه

وَسَنَانُ أَقْصَدَهُ النُّعَاسُ قَرَنْقَتْ فِي عَيْنِهِ سِنَّةٌ وَلَيْسَ بِنَائِمِ
هذا الجؤذر وسنان، نعسان، أقصده النعاس، أي كسر من حذته، فرنقت، أي طافت، في عينه سنة من النوم لكنه غير نائم.. يصف العيون الناعسة

يَضْطَاذُ يَقْظَانُ الرَّجَالَ حَدِيثُهَا وَتَطِيرُ بِهِجْتُهَا بِرُوحِ الْحَالِمِ
تصطاد هذه الفتاة الرجل في يقظته بحدِيثها، وبهجتها تطير بروح الحالم، أي الذي يحلم بها ويأتيه طيفها في المنام

٣٦ خوش تشبيه

كثير عزة:

أَلَا إِنَّمَا لَيْلَى عَصَا خَيْرُ رَانَةٍ إِذَا لَمَسُوهَا بِالْأَكْغَفِ تَلِينُ

٣٧ زمن خارج الزمن

أبو الدلهات:

أَلَمْ تَرْنِي عَلَى كَسَلِي وَفْثَرِي أَجَبْتُ أَبَا حُذَيْفَةَ إِذْ دَعَانِي
رغم كسلي أجبت دعوة أبي حذيفة

وَكُنْتُ إِذَا دُعِيتُ إِلَى نَبِيذٍ أَجَبْتُ وَلَمْ يَكُنْ مِنِّي تَوَانٍ
فأنا إن دعيت إلى نبيذ أجبت بلا توان، ولا إبطاء

كَأَنَّا مِنْ بَشَاشَتِنَا ظَلَّلْنَا بِيَوْمٍ لَيْسَ مِنْ هَذَا الزَّمَانِ
هذا بيت القصيد

٣٨ الفاتنة الشاطرة

دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ:

حَيُّوا أَمَامَةً وَاَنْظُرُوا صَحْبِي وَقِفُوا فَإِنَّ وَقُوفَكُمْ حَسْبِي
حيوا أمانة ويكفيني وقوفكم على محلتها، وقيل إنه يتغزل في هذه الأبيات بالخساء واسمها
تماضر، فما الذي جعلها أمانة؟

مَا إِنْ رَأَيْتُ وَلَا سَمِعْتُ بِهِ كَالْيَوْمِ طَالِي أَيْتُنِي جُرْبٍ
ما أحسن هذا الذي يطلي النياق الجرب..

مُتَبَذِّلاً تَبْدُو مَحَاسِنُهُ يَضَعُ الْهِنَاءَ مَوَاضِعَ النُّقْبِ
هذا الحبيب، ويقصد هي، يلبس لباس التبذل، لباس العمل، ومحاسنه بادية، ويضع الهناء،
القطران، مواضع النقب، في الأماكن التي فيها جرب. هذا افتتان كافتتان الناس بفيديو كليب
نانسي عجرم وقد قعدت لجرن الغسيل بجلايتها المشهورة

٣٩ مع نفسه

قال الخاركي:

لَمْ أَجِدْ فِيمَا تَصَرَّفْتُ عَلَى الْكَأْسِ كَرِيماً
فيما تصرفت في هذه الدنيا وجرت لم أجد رجلاً كريم الأخلاق في جلسة شراب
كُلُّ مَنْ كَشَفْتُهِ أَلْسَنَةً فَيَتُّهُ خَبَّأً لِيْماً
كلهم خادعون لئام

فَاضْطَمَيْتُ الْكَأْسَ نَدَمًا نَأْ وَأَقْصَيْتُ النَّدِيمَ
فاخترت الكأس نفسها ندماناً، أي نديماً، وأبعدت البشر

٤٠ يسقط العدل

النجاشي الحارثي:

إِذَا اللَّهُ عَادَى أَهْلَ لُؤْمٍ وَدِقَّةٍ فَعَادَى بَنِي الْعَجْلَانِ رَهْطَ ابْنِ مُقْبِلٍ
الدقة: ضَعْفُ الْأَصْلِ وانحطاط المنزل

فَبَيْلَةٌ لَا يَغْدِرُونَ بِدِمَةٍ وَلَا يَظْلِمُونَ النَّاسَ حَبَّةَ خَرْدَلٍ
هذه القبيلة ضعيفة فلا تستطيع أن تغدر بالذمة، العهد، وهي لا تظلم أحداً شيئاً ولو كان صغيراً
كحبة الخردل

وَلَا يَرِدُونَ الْمَاءَ إِلَّا عَشِيَّةً إِذَا صَدَرَ الْوُرَادُ عَنْ كُلِّ مَنْهَلٍ

ولضعفها ولأنها لا تستطيع المزاحمة لا تورد إيلها الماء إلا ليلاً بعد أن يصدر الورد، يرجع الوردون، عن كل منهل، حوض

وَمَا سُمِّيَ الْعَجْلَانُ إِلَّا لِقَوْلِهِمْ خُذِ الْقَعْبَ وَاحْلُبْ أَيُّهَا الْعَبْدُ وَاعْجَلِ

سمي جدهم العجلان لقول الناس له: خذ القعب، أي العلبة أو العس الذي يحلبون به، واحلب النياق وأسرع

٤١ سأقول

قال قنّب بن أم صاحب:

أَتَيْتُ الْوَلِيدَ فَأَلْفَيْتُهُ كَمَا قَدْ يُقَالُ غَنِيًّا بَخِيلًا

فَإِنْ تَمَنُّوْا مَا بِأَيْدِيكُمْ فَلَنْ تَمَنُّونِي إِذَنْ أَنْ أَقُولَا

٤٢ آخر آخر

زياد الأعجم:

قَضَى اللَّهُ خَلْقَ النَّاسِ ثُمَّ خُلِفْتُمْ بَقِيَّةَ خَلْقِ اللَّهِ آخِرَ آخِرٍ

وَلَوْ رَدَّ أَهْلُ الْحَقِّ مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ إِلَى حَقِّهِمْ لَمْ تُدْفَنُوا فِي الْمَقَابِرِ

أنتم دون البشر وليس من الحق أن تدفنوا في مقابر الناس

٤٣ الزاحفون إلى بيوتهم

أَضَلَّ اللَّهُ سَعْيَ بَنِي جَدِيعٍ وَلَيْسَ لِمَا أَضَلَّ اللَّهُ هَادٍ

إِذَا دَخَلُوا بُيُوتَهُمْ أَكْبُوا عَلَى الرُّكَبَاتِ مِنْ قِصْرِ الْعِمَادِ

بنو جديع فقراء وبيوتهم، أي خيامهم، صغيرة ذات أعمدة قصيرة، فإذا دخلوها أكبوا على الركبات، يركبوا على ركبهم كي يزحفوا زحفاً للدخول

٤٤ من أبو بيض؟

أبو الحويرث السّحيمي يهجو حمزة بن بيض:

أَنْتَ ابْنُ بَيْضٍ لَعْمَرِي لَسْتُ أَنْكَرُهُ حَقًّا يَقِينًا، وَلَكِنْ مَنْ أَبُو بَيْضٍ؟

أنت ابن بيض، وهذا معروف، ولكن من هو جدك؟ فأنت غير ذي نسب معروف

٤٥ نسب بلا فعل

خلف الأحمر:

أَنَاسٌ تَائِهُونَ لَهُمْ رُؤَاةٌ تَغِيْمُ سَمَاؤُهُمْ مِنْ غَيْرِ وَبَلٍ
أناس تائهون في منزلتهم الاجتماعية: لهم هيئة حسنة، ولكن دون أن يعني ذلك أن لهم فضلاً على
الناس، فهم مثل السماء تغيم ولا تمطر

إِذَا انْتَسَبُوا فَفَرَعٌ مِنْ قُرَيْشٍ وَلَكِنَّ الْفِعَالَ فِعَالٌ عُكْلٍ
نسبتهم إلى قريش ولكن أفعالهم أفعال قبيلة عكل غير ذات السمعة

٤٦ خانق الكلب

أَلَا قَبَحَ اللَّهُ الْخُطِيئَةَ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ ضَئِفٍ ضَافُهُ فَهُوَ سَالِحٌ
سالح: متغوط

دُفِعْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَخْنُقُ كَلْبَهُ أَلَا كُلُّ كَلْبٍ لَا أَبَا لَكَ نَابِحٌ
جثته مدفوعاً إليه لأنني تائه، فوجدته يخنق كلبه عقاباً له لأنه نبح ودلني على خيمته، وكل كلب
نابح فما ذنبه؟

بَكَيْتَ عَلَى زَادٍ حَبِيبٍ قَرَيْتَهُ كَمَا كُلُّ عَبَسِيٍّ عَلَى الزَّادِ نَائِحٌ
تبكي على الزاد الخيث الذي قدمته لي، وكذا كل رجل من قبيلة عبس

٤٧ الكف الخشناء

قال فضالة بن شريك الأسدي:

دَعَا ابْنُ مُطِيعٍ لِلْبَيْعِ فَجِئْتُهُ إِلَى بَيْعَةٍ قَلْبِي لَهَا غَيْرُ آلِفٍ
دعا ابن مطيع، الوالي الذي عينه ابن الزبير، لأخذ البيعة فجئت وقلبي غير مرتاح لهذه البيعة
فَنَاوَلَنِي خَشْنَاءَ لَمَّا لَمْسْتُهَا بِكَفِّي لَيْسَتْ مِنْ أَكْفِ الْخَلَائِفِ
ناولني كفاً خشنة شعرت أنها ليست كفاً لائقة بخليفة

٤٨ الأم وابنتها الزائرة

قال الأقبيل القيني، وتروى لنصيب:

لِعَبْدِ الْعَزِيزِ عَلَى قَوْمِهِ وَغَيْرِهِمْ نَعَمٌ غَامِرَةٌ

فَبَابُكَ أَلَيْنُ أَبْوَابِهِمْ وَدَارُكَ مَا هُوَ لَ عَامِرَةٌ

بابك أَلَيْنُ مِنْ أَبْوَابِ قَوْمِكَ، أَيُ أَنْ حَاجِبِكَ سَهْلٌ يُدْخِلُ النَّاسَ عَلَيْكَ، وَدَارُكَ عَامِرَةٌ بِالزَّائِرِينَ

وَكَلْبُكَ آتَسُ بِالْمُعْتَفِينَ مِنَ الْأُمِّ بِابْنَتِهَا الزَّائِرَةَ

وَكَلْبُكَ أَكْثَرُ أَنْسًا وَارْتِيحًا بِالْمُعْتَفِينَ، الْفُقَرَاءَ، لِكثَرَةِ مَا يَأْتِيكَ الْفُقَرَاءُ، مِنَ الْأُمِّ بِابْنَتِهَا الْمُتَزَوِّجَةِ إِذَا جَاءَتْ تَزَوَّرَهَا

وَكُفُّكَ حِينَ تَرَى الزَّائِرِينَ نَ أَنْدَى مِنَ اللَّيْلِ الْمَاطِرَةِ

أَنْدَى: أَسْخَى

فَمِنْكَ الْعَطَاءُ وَمِنَّا الشُّنَاءُ بِكُلِّ مُحَبَّرَةٍ سَائِرَةٍ

المحبرة السائرة: القصيدة المثقاة التي تذيع

٤٩ وجه الكريم خصب

الخريمي:

أَصَاحُكَ ضَيْفِي قَبْلَ إِنْزَالِ رَحْلِهِ وَيُخْصِبُ عِنْدِي وَالْمَحَلُّ جَدِيدُ

أَنَا بِشَوْشٍ فِي وَجْهِ ضَيْفِي قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ رَحْلَهُ عَنْ جَمَلِهِ، وَهُوَ يَشْعُرُ عِنْدِي أَنَّ الْمَوْسِمَ مَوْسِمُ خَصْبٍ لَوْفَرَةٍ مَا أَقْدَمَ لَهُ، حَتَّى لَوْ كُنَّا فِي زَمَنِ الْقَحْطِ

وَمَا الْخِصْبُ لِلْأَضْيَافِ أَنْ يَكْثُرَ الْقَرَى وَلَكِنَّمَا وَجْهُ الْكَرِيمِ خَصِيبُ

وَالْخِصْبُ لِلضَّيْفِ لَيْسَ بِكَثْرَةِ الْقَرَى، طَعَامُ الضَّيْفِ، بَلْ بِالْبَشَاشَةِ وَحَسَنِ الْاِسْتِقْبَالِ

٥٠ الداء موجود دائماً

حُمَيْدُ بْنُ ثَوْرٍ:

أَرَى بَصْرِي قَدْ رَابَنِي بَعْدَ صِحَّةٍ وَحَسْبُكَ دَاءٌ أَنْ تَصِحَّ وَتَسْلَمَا

بَصْرِي ضَعْفٌ، وَصِرْتُ أَشْكَ فِي الْأَشْيَاءِ، بَعْدَ أَنْ كَانَ صَحِيحًا. وَالصَّحَّةُ نَفْسُهَا دَاءٌ لِأَنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهَا لَا تَدُومُ

وَلَنْ يَلْبَثَ الْعَصْرَانِ: يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ إِذَا طَلَبَا أَنْ يُدْرِكََا مَا تَيَمَّمَا

العصران، أَيُ النَّهَارِ وَاللَّيْلِ، لَا يَلْبَثَانِ أَنْ يَدْرِكََا طَلِبَهُمَا الَّذِي هُوَ إِزَالَتُكَ عَنْ هَذِهِ الدُّنْيَا

٥١ الحبل بلا دنس

وَلِي نَظْرَةٌ، إِنْ كَانَ يُحْبِلُ نَاطِرٌ يَنْظُرْتِهِ أَنْتَى لَقَدْ حَبَلْتُ مِنِّي

لِي نَظْرٌ عَادِمٌ وَتَحْدِيقٌ فِي الْمَرْأَةِ، وَلَوْ كَانَتْ تَحْبِلُ مِنَ النَّظَرِ لَقَدْ حَبَلْتُ مِنِّي

فَإِنْ وَلَدَتْ مَا بَيْنَ تِسْعَةِ أَشْهُرٍ فَأَشْهَدُكُمْ أَنَّ الَّذِي وَلَدَتْهُ ابْنِي
فَإِنْ وَلَدَتْ بَعْدَ تِسْعَةِ أَشْهُرٍ مِنْ هَذَا التَّحْدِيقِ فَأَشْهَدُوا أَنَّهُ ابْنِي

٥٢ المرأة حوضاً

وَصَلُّتُكَ لَمَّا كَانَ لِي فِيكَ رَغْبَةٌ وَأَعْرَضْتُ لَمَّا صِرْتَ نَهَباً مُقْسِماً
وصلتك ونشأت بيننا علاقة لما كانت لي فيك رغبة، وتركتك عندما رأيتك نهباً مقسماً، لك
علاقات مع هذا وذاك

وَلَا يَلْبَثُ الْحَوْضُ الْجَدِيدُ بِنَاؤُهُ عَلَى كَثْرَةِ الْوُرَادِ أَنْ يَتَهَدَّمَا
حوض الماء الجديد يكثر الواردون عليه فيتهدم

الوحشيات

فهرس القوافي

(القافية فرقم القطعة)

٣٤	بِصَابِرٍ	٣١	أَغْضَبُ
٣٢	عُمَرِي	٤٩	جَدِيدُ
١٨	يُقْبِرُ	١٧	فُنْجِبُ
٢١	مُضَرُ	٢٠	الْخَرَابِ
٤٨	عَامِرَةٌ	٣٨	حَسْبِي
٤٤	يَيْضِ	١٥	وَالْمُتَطَبِّبِ
٢٨	جَزَعَا	١٣	أَقَارِبُهُ
١٠	الضَّعَافِ	٤٦	سَالِحُ
٤٧	أَلِفِ	٣٣	مَاسِحُ
١٩	عَنِيفِ	٨	الرَّيِّحِ
٢٥	العُنُقِ	٤٣	هَادِ
٤١	بَخِيلَا	٢٢	أَوْلَاذُهَا
٥	الْجَبَلِ	٢٦	النَّسْرُ
١٤	تَسْأَلِي	٣	بَعِيرُ
٤٠	مُقْبِلِ	٤٢	آخِرِ
٤٥	وَبَلِ	٢٩	الصَّخْرِ
٢٧	بُقَيْلَةَ	١٦	الظَّهْرِ

١١	مُتَّابِعِينَا	٣٠	أَقْلُهُ
١	مُعَلِّينَا	٣٩	كَرِيمَا
٣٦	تَلِينُ	٥٢	مُقَسَّمَا
٣٧	دَعَانِي	٥٠	وَتَسَلَّمَا
١٢	عَظْفَانِ	٢	الْمَظَالِمُ
٥١	مِنِّي	٣٥	الْقَاسِمِ
٧	عُيُونُهَا	٢٤	كَرِيمِ
٩	بَاقِيَا	٦	وَالْقَسَمِ
٤	هَيَا	٢٣	الْحَاسِدِينَا

قصائد مشهورات

لَمَّا فرغتُ من اختيار أعذب الشعر لعشرة من شعراء الجاهلية وصدر الإسلام والعصر الأموي، أحسست أنني مقصر. ذلك أن هذا العصر الذي يمتد نحو ثلاثة قرون، والذي اتخذته كل الشعراء فيما بعد مقياساً في اللغة وفي صنعة الشعر، حافل بالشعراء الذين عرفنا لهم قصائد قليلة أو دواوين صغيرة. كان الشعر في هذه القرون الثلاثة بريئاً، يقوله شعراء كثر تنبض قلوبهم بالحزن والغضب والحقد والحب والعصبية القبلية، إلى جانب بعض الشعراء الذين صنفهم أهل النقد «عبيد شعر» يقولونه صناعة وتكسباً.

وجدت شعرائي العشرة الكبار المشهورين عبيد شعر، قالوا كثيراً وأخذت منهم كثيراً، ثم عز عليّ أن أترك مئات الشعراء الآخرين وما قالوه من بديع الشعر دون أن أدخله في مجموعتي هذه.

قد بدأت أنظر إلى مجموعتي نظرة مختلفة في الواقع. فهي ليست «عرضاً» لكبار شعراء العصر الأول من عصور الشعر العربي. بل هي تمثيل لشعر هذا العصر. بدأت أزيد من اهتمامي بهذا العصر من حيث هو العصر المؤسس لتقليد شعري امتد ألفاً وخمسمئة سنة.

لذا انصرفت بعد الشعراء العشرة الكبار إلى المجموعات الشعرية التي لملت أشعار المغمورين، فنخلت لك المفضليات والأصمعيات والحماسة والوحشيات، ولم أنس استيفاء المعلقات، فلئن كان أربعة من شعرائي هم من أصحاب المعلقات فإن ست معلقات أخرى تستحق أن تدخل ضمن «أول الشعر».

ثم بعد أن فرغت من كل هذا رأيت بعض القصائد المشهورة قد أفلتت، فها أنا في هذا القسم أتعقبها مختاراً من أبياتها ما طاب لي. فليس معقولاً أن

أطوي هذا العمل دون أن أتعرض للامية العرب للشنفرى، ولبانت سعاد
لكعب بن زهير، ولنونية عروة بن حزام.

فهل نسيت بعد شيئاً؟ بالتأكيد نسيت، وأغفلت أيضاً، وغفِلت.

فإن طلبت قصيدة من قصائد هذا العصر الطويل ولم تجد لها عندي ذكراً
فاعلم أن هذا الكتاب أراد أن يمثل العصر ولم يطمح إلى الإحاطة.

١ الشَّنْفَرَى، وهذه لاميّة العرب

أَقِمُوا بَنِي أُمِّي صُدُورَ مَطِيئِكُمْ فَإِنِّي إِلَى قَوْمِ سِوَاكُمْ لِأَمِيلُ

يا بني أُمي، يا إخوتي الصعاليك، لنقم إليكم من مباركها ولترتفع صدورها، استعداداً للرحيل
ولنذهب من هنا، وأنا مائل إلى الإقامة مع غيركم أكثر مما أنا مائل إليكم.. علينا أن نفرق

فقد حُمِتِ الحاجاتُ والليلُ مُقْمِرٌ وَشُدَّتْ لَطِيبَاتُ مَطَايَا وَأَرْحُلُ

فقد حمت الحاجات، آن أوانها، وها هو الليل مقمر ومناسب للسير، وقد شدت اللطيات،
للحاجات، الرحال على المطايا، الإبل

وَفِي الْأَرْضِ مَنْأَى لِلْكَرِيمِ عَنِ الْأَذَى وَفِيهَا لِمَنْ خَافَ الْقِلَى مُتَعَزِّلُ

وفي الأرض الواسعة منأى، مكان بعيد، يرتاده الكريم فاراً من الأذى، وفيها لمن خاف القلى،
الاختلاف والتباغض، متعزل، مكان يعتزل المرء فيه

وَلِي دُونَكُمْ أَهْلُونَ سَيِّدٌ عَمَلَسٌ وَأَرْقَطُ زُهْلُولٌ وَعَرْفَاءُ جَبَالُ

وسيصحبني دونكم، بدلاً منكم، أهل آخرون: سيد عملس، أي ذئب سريع، وأرقط زهلول، أي
ابن أوى مرقط خفيف، وعرفاء جبال، أي ضيع ذات عرف عند الرقبة

هُمُ الْأَهْلُ لَا مُسْتَوْدَعُ السَّرِّ ذَائِعٌ لَدَيْهِمْ، وَلَا الْجَانِي بِمَا جَرَّ يُخَذَّلُ

هؤلاء أهلي الذين يحفظون السر، والذين لا يخذلون الجاني بما جرّ على نفسه وعليهم من جناية
بل ينصرونه ظالماً أو مظلوماً

وَكُلُّ أَبِي بَاسِمٍ غَيْرَ أَنَّنِي إِذَا عَرَضَتْ أَوْلَى الطَّرَائِدِ أَبْسَلُ

وكل هذه الوحوش أبية بأسلة، شجاعة، ولكنني حين تعرض لنا طريدة، غزال أو نحوه، أبسل منها جميعاً

وَأِنْ مُدَّتِ الْأَيْدِي إِلَى الرَّادِ لَمْ أَكُنْ بِأَعَجَلِهِمْ إِذْ أَجْشَعُ الْقَوْمِ أَعْجَلُ

إن جاء وقت الطعام فانا لست أعجل الأكلين فهذا من الجشع.

وَمَا ذَاكَ إِلَّا بَسْطَةٌ عَنْ تَفْضُلٍ عَلَيْهِمْ، وَكَانَ الْأَفْضَلُ الْمُتَفَضَّلُ

هذا تفضل مني على من آكل معهم

وَأِنِّي كَفَانِي فَقَدْ مَنْ لَيْسَ جَازِيَا بِحُسْنَى وَلَا فِي قُرْبِهِ مُتَعَلِّلٌ .
ويكفيني فقد الناس الذين لا يقابلون الحسنى بالحسنى، والذين ليس في قربهم متعلل، فائدة . .
ثَلَاثَةُ أَصْحَابٍ: فُؤَادٌ مُشِيْعٌ وَأَبْيَضُ إِضْلِيْتُ، وَصَفْرَاءُ عَيْطَلُ
. . ثلاثة أصحاب: فؤاد مشيع، قلب شجاع، وسيف مصلت مجرد من غمده، وصفراء عيطل،
قوس طويلة

هَتُوفٌ مِنَ الْمُلْسِ الْمُتَوْنِ تَزِينُهَا رَصَائِعُ قَدْ نَيْطَتْ إِلَيْهَا وَمِحْمَلُ
هذه القوس هتوف، لها صوت عند انطلاق السهم منها، وملساء غير ذات عُقْدَ، ومزينة برصائع
نيطت بها، علقت عليها، ومحمل، جبل لتعليقها بالكثف
إِذَا زَلَّ عَنْهَا السَّهْمُ حَنَّتْ كَأَنَّهَا مُرَّرَاءُ تَكَلَّى تُرْنٌ وَتُغْوِلُ
إذا زل عنها السهم، انطلق، أصدرت صوتاً كحنين المررأة التكللى، الفاقد ولدأ، التي تنن وتبكي
أُدِيمُ مِطَالِ الْجُوعِ حَتَّى أُمِيَّتَهُ وَأَضْرَبَ عَنْهُ الذِّكْرُ صَفْحًا فَأَذْهَلَ
يدوم بي الجوع وأماطل نفسي حتى لا أعود أشعر به، وأضرب عنه الذكر، أتأساه، وأذهل عنه،
أنساه فعلاً

وَأَسْتَفُّ تُرْبَ الْأَرْضِ كَيْلًا يَرَى لَهُ عَلَيَّ مِنَ الطَّوْلِ امْرُؤٌ مُتَطَوِّلُ
أستف التراب ولا يرى أحد له علي طوْلاً، معروفاً بمن به

وَلَوْلَا اجْتِنَابُ الدَّامِ لَمْ يُلَفْ مَشْرَبٌ يُعَاشُ بِهِ إِلَّا لَدَيَّ وَمَأْكَلُ
لولا أنني اجتنبت الدام، العار، لما وجدت مأكلاً ولا مشرباً إلا هو عندي

وَلَكِنَّ نَفْسًا مُرَّةً لَا تُقِيمُ بِي عَلَى الدَّامِ إِلَّا رَنَمًا أَتَحَوَّلُ
ولكن لي نفساً مرة لا تدعني أصبر على العار، بل إنني أتحوّل سريعاً وأفر منه

وَأَطْوِي عَلَى الْخَمَصِ الْحَوَايَا كَمَا انْطَوَيْتُ وَطَةً مَارِي تَعَارُ وَتُفْتَلُ
أطوي على الخمص، أمسك بطني بقوة على الجوع . . وكانوا ربما وضعوا حجراً على البطن،
الحوايا، أي الأمعاء، مثلما تنطوي خيوط الحائك «ماري» التي تغار، تُفْتَل

وَأَغْدُو عَلَى الْقَوْتِ الرَّهِيْدِ كَمَا غَدَا أَزَلُّ تَهَادَاهُ التَّنَائِفُ أَطْحَلُ
وأبكر فأتناول قليلاً من الطعام مثلما يبكر أزل، ذنب هزيل، أطحل، أي داكن اللون، تنفاذه
التنايف، أي الصحارى

غَدَا طَاوِيَا يُعَارِضُ الرِّيحَ هَافِيَا يَخُوْتُ بِأَذْنَابِ الشُّعَابِ وَيَعْسِلُ
أصبح طاوياً، جاثعاً، يستقبل الريح بوجهه هافياً، يتمايل يميناً وشمالاً، ثم يخوت بأذنان
الشعاب، يمضي مسرعاً في أطراف الطرق الجبلية، ويعسل، يمشي متملاً

فَلَمَّا لَوَاهُ الْقُوْتُ مِنْ حَيْثُ أُمَّهُ دَعَا فَأَجَابَتْهُ نَظَائِرُ نُحُلٍ

لما لواه القوت، عز عليه، من حيث أمه، من حيث قصده، دعا بعوائه فأجابته نظائره الذئاب النحل، المهزولة

مُهَلَّلَةٌ شَيْبُ الْوُجُوهِ كَأَنَّهَا قِدَاحٌ بِأَيْدِي يَاسِرٍ تَتَقَلَّقُلُ

ذئاب مهللة، نحيلة، شيب الوجوه، مبيضة وجوها شحوباً، تترجرج في وقتها كأنها سهام الميسر التي يقلقلها المرء قبل أن يرمي بها

فَضَجَّ وَضَجَّتْ بِالْبِرَاحِ كَأَنَّهَا وَإِيَّاهُ نُوحٌ فَوْقَ عَلِيَاءٍ نُكِّلُ

ضج الذئب وضجت أصحابه بالبراح، بالأرض الخالية، فكانها نساء نوح، نانحات، ثاكلات تقف على مكان عال

وَأَغْضَى وَأَغْضَتْ وَاتَّسَتْ بِهِ مَرَامِيلُ عَزَّاهَا وَعَزَّتْهُ مُرْمِلُ

ثم كفت الذئاب عن العواء، وهي في عوائها ترفع رؤوسها.. فالآن هي أغضت وخفضت الرؤوس، وواسى بعضها بعضاً فهي جميعاً مراميل، جياع

شَكَا وَشَكَتْ ثُمَّ ارْغَوَى بَعْدُ وَارْعَوَتْ وَلِلصَّبْرِ إِنْ لَمْ يَنْفَعِ الشُّكُوْ أَجْمَلُ

شكا وشكت الذئاب، ثم ارغوى وارعوت، تراجعت عن الشكوى، والصبر أجدر بالمرء إن لم تنفعه الشكوى

فَإِنْ تَبَتَّعِمْ بِالشَّنْفَرَى أَمْ قَسْطَلٍ لَمَّا اعْتَبَطَتْ بِالشَّنْفَرَى بَعْدُ أَطْوَلُ

فإن حزنْتَ أم قسطل، كناية عن الحرب والقسطل هو الغبار، بغيايي فإنها كثيراً ما كانت مسرورة بحضوري

طَرِيدُ جِنَايَاتٍ تَيَاسَرْنَ لَحْمَهُ عَقِيرَتُهُ لِأَيُّهَا حُصْمٌ أَوَّلُ

أنا طريدٌ ملاحق لجنايات ارتكبتها، فهي تتياسر على لحمي، تنافس عليّ، وعقيرتي، أي نفسي، هي لمن حم أول، قدر له أن يكون الأول في القبض عليّ. كذا المعنى الملموح

وَالْفُ هُمُومٌ مَا تَزَالُ تَعُوْدُهُ عِيَاداً كَحُمَى الرَّبْعِ أَوْ هِيَ أَثْقَلُ

ألفت الهموم التي تعودني كما تعود للمرء حمى الربيع، التي تنتاب المرء يوماً وتغيب يومين وتعود في اليوم الرابع، بل هي أثقل

فَإِمَّا تَرِنِي كَابِنَةَ الرَّمْلِ ضَاحِيَا عَلَى رِقَّةٍ أَخْفَى وَلَا أَتَنَعَّلُ

إن تريني كابنة الرمل، ضاحياً، بارزاً للشمس، ومن رقة حالي، فقري، أكون حافياً بلا نعل

فَإِنِّي لَمَوْلى الصَّبْرِ أَجْتَابُ بَرَّهُ عَلَى مِثْلِ قَلْبِ السَّمْعِ، وَالْحَزْمُ أَفْعَلُ

أنا صاحب الصبر أجتأب بزه، أقطع ثوبه فألبسه، ولي قلب قوي كقلب السمع، قبل هو حيوان أبواه ذئب وضع، وأفعالي فيها الحزم

وَأَعْدِمُ أَحْيَاناً وَأَغْنَى وَإِنَّمَا يَنَالُ الْغِنَى ذُو الْبُعْدَةِ الْمُتَبَذِّلُ
أعدم، أي أفقر، أحياناً وأغنى أحياناً، فأما الغنى الدائم فهو للذي يقبل ابتذال نفسه فيما يأنف
منه مثلي

فَلَا جَزَعٌ مِنْ خَلَةٍ مُتَكَشِّفٌ وَلَا مَرِحٌ تَحْتَ الْغِنَى أَتَحْيِلُ
لست جازعاً من خلة، فقر، ولا متكشف، أكشف فقري للناس، ولست غنياً أتباهى بالغنى واختال
وَلَيْلَةٌ نَحْسٍ يَصْطَلِي الْقَوْسَ رَبُّهَا وَأَقْطَعَهُ اللَّاتِي بِهَا يَتَنَبَّلُ
رب ليلة منحوسة باردة يبلغ بالمرء بردها أن يحرق قومه ويصطلي بنارها، ويحرق أقطعه، سهامه،
التي يتخذها للرمي نبالاً

دَعَسْتُ عَلَى غَطْشٍ وَبَغْشٍ، وَصُحْبَتِي سُعَارٌ وَإِرْزِيزٌ وَوَجْرٌ وَأَفْكَلٌ
دعست فيها على غطش وبغش، مشيت في الليل وتحت الرذاذ، وصاحبني فيها سعار، جوع،
وإرزيز، برد، ووجر، خوف، وأفكل، ارتعاش

فَأَيَّمْتُ نِسَوَاناً وَأَيَّمْتُ إِلْدَةً وَعُدْتُ كَمَا أَبْدَأْتُ وَاللَّيْلُ أَلِيلٌ
فغزوت قوماً وأيمنت نسوة، جعلتهن أرامل، وأيمنت الدة، يتمت أولاداً،
وعدت سالماً والليل حالك

وَأَصْبَحَ عَنِي بِالْغُمَيْصَاءِ جَالِساً فَرِيقَانِ: مَسْؤُولٌ وَآخَرُ يَسْأَلُ
وعند الصبح جلس في موضع الغميصاء الناس وانقسموا فريقين يتساءلون عن الذي جرى

فَقَالُوا: لَقَدْ هَرَّتْ بِلَيْلٍ كِلَابُنَا فَقُلْنَا: أَذَلَّتْ عَسَّ أَمْ عَسَّ فُرْعَلُ؟
قالوا قد هرت، نبحت بخفوت، كلابنا بالليل، فقال الآخرون: أهذا بسبب ذنب عسَّ، طاف ليلاً،
أم فرعل، ولد الضبع؟

فَإِنْ يَكُ مِنْ جِنٍّ لِأَبْرَحَ طَارِقاً وَإِنْ يَكُ إِنْساً مَا كَهَا الْإِنْسُ تَفْعَلُ
فإن كان هذا من فعل الجن فما أبرحه من طارق، ما أشده من زائر ليل، وإن كان إنساً فما هكذا
تفعل الإنسان بكل قوة وشدة ولا تشعر بالأمر إلا متأخرين

وَيَوْمٍ مِنَ الشُّعْرَى يَذُوبُ لِعَابُهُ أَقَاعِيهِ فِي رَمْضَائِهِ تَتَمَلَّمَلُ
ورب يوم من الشعرى، يوم شديد الحرارة يستدلون عليه بنجوم الشعرى، ويرى المرء أشعة الشمس
وكانها اللعاب السائل، والأقاعي تتململ على الرمل الحار

نَصَبْتُ لَهُ وَجْهِي وَلَا كِنَّ دُونَهُ وَلَا سِتْرَ إِلَّا الْأَتْحَمِي الْمُرْعَبَلُ
نصبت وجهي لهذا الجو وليس هناك من كنَّ، ستر يقيني الحر، سوى الأتحمي المرعبل،
الثوب الممزق

وَحَرْقِ كَظْهِرِ الثَّرْسِ قَفْرٍ قَطَعْتُهُ بِعَامِلَتَيْنِ، ظَهَرُهُ لَيْسَ يُغْمَلُ
ورب خرق، فضاء بلقع، مثل ظهر الترس أملس قطعت بهاملتين، برجلي، وظهر هذا المكان ليس
مما تمشي فيه الإبل

تَرَوُدُ الْأَرَاوِي الصُّحْمُ حَوْلِي كَأَنَّهُا عَذَارَى عَلَيْهِنَّ الْمُلَاءُ الْمُذَبِّلُ
ترود، تمشي، حولي الأراوي الصحم، الوعول السمر، كأنها عذارى لابسات ثياباً طويلة
وَيَرْكُذُنْ بِالْأَصَالِ حَوْلِي كَأَنَّنِي مِنَ الْعُصْمِ أَذْفَى يَتَحَيَّ الكَيْحَ أَغْقَلُ
ويركدن، تقعي هذه الوعول حولي عند الأصيل، عند الغروب إذ يخف الحر، فكأنني أنا من العصم،
من الوعول؛ كأنني أذفي، وعل ذو قرون، يتحى الكيخ، يسكن في الجبل، أغقل، يتخذ الجبل معقلاً

٢ الْأَقْوَةُ الْأَوْدِي، وَهُوَ جَاهِلِي قَدِيم

وَالْبَيْتُ لَا يُبْنَى إِلَّا لَهُ عِمَدٌ وَلَا عِمَادٌ إِذَا لَمْ تُرْسَ أَوْتَادُ
البيت، الخيمة، لا يبنى إلا بعمود في الوسط، ولا نفع للعمود بلا أوتاد تدق في الأرض حول
الخيمة. فالعمود رئيس القوم، والأوتاد سادة القبيلة

فَإِنْ تَجَمَّعَ أَوْتَادُ وَأَعِمَدَةٌ وَسَاكِنٌ بَلَّغُوا الْأَمْرَ الَّذِي كَادُوا
فهذا، وبالسكان، يتم الأمر

وَإِنْ تَجَمَّعَ أَقْوَامٌ دَوُو حَسْبٍ اضْطَادَ أَمْرَهُمْ بِالرُّشْدِ مُضْطَادٌ
أهل الحسب والشرف يضطاد، ويتناول، رئيسهم أمورهم بالرشد

لَا يَصْلُحُ النَّاسُ فَوْضَى لَا سَرَاةَ لَهُمْ وَلَا سَرَاةَ إِذَا جُهِالَهُمْ سَادُوا
لا يصلح الناس فوضى بلا سرادة، سادة، ولا مكان للسادة إذا سيطر الجهال المتهورون على الأمر

تُلْفَى الْأُمُورُ بِأَهْلِ الرُّشْدِ مَا صَلَحَتْ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَبِالْأَشْرَارِ تَنْقَادُ
إذا صلحت الحال فأهل الرشد هم القيادة، وإن تولى أمر القوم، وذهب عزهم، فالأشرار يقودونهم

إِذَا تَوَلَّى سَرَاةَ الْقَوْمِ أَمْرَهُمْ نَمَا عَلَى ذَاكَ أَمْرُ الْقَوْمِ فَازْدَادُوا
تولي السادة الأشراف القيادة يحقق نماء الحال

٣ كَعْبُ بْنُ زَهِيرٍ، بَانَتْ سَعَادُ

بَانَتْ سَعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتَبُولٌ مُتَيِّمٌ إِنْ رَهَا، لَمْ يُفَدَ مَكْبُولُ
بانَتْ سعاد، فارقت، فقلبي اليوم متبول، مريض. متيم يتبعها، ومكبول، مقيد لم يتم فداؤه من أسرها

وَمَا سَعَادَ غَدَاةَ الْبَيْنِ إِذْ رَحَلُوا إِلَّا أَعْنُ غَضِيضُ الطَّرْفِ مَكْحُولُ

ما سعاد التي رأيتها غداة البين، صبيحة الفراق، إلا أعن، غزال ذو غنة في صوته، غضيض الطرف، تغض عينها خجلاً، وهي مكحولة

هَيْفَاءُ مُقْبِلَةٌ، عَجْزَاءُ مُدْبِرَةٌ لَا يُشْتَكَى قِصَرُ مِنْهَا وَلَا طَوْلُ

هيفاء، ضامرة البطن، وهي مقبله عليك، وعجزاء، ثقيلة المؤخرة، وهي مدبرة منصرفة عنك. لا بالقصيرة ولا الطويلة

تَجَلُّوْا عَوَارِضَ ذِي ظَلَمٍ إِذَا ابْتَسَمْتَ كَأَنَّهُ مُنْهَلٌ بِالرَّاحِ مَغْلُولُ

تبرز عوارض، أسناناً أمامية، ذي ظلم، ذي لعاب يلمع على ضواحكها، وكان الثغر ذا اللعاب هذا منهل ومعلول بالخمير، شارب الخمر مرة أولى ثم ثانية

وَمَا تَدْوُمُ عَلَى حَالٍ تَكُونُ بِهَا كَمَا تَلَوْنُ فِي أَثْوَابِهَا الْغُولُ

وسعاد لا تظل على حالها من المودة للحبيب، بل تتلون مثل الغول التي تبدو للناس في صور وأثواب شتى

وَمَا تَمَسَّكَ بِالْوَصْلِ الَّذِي زَعَمْتَ إِلَّا كَمَا تُمَسِّكُ الْمَاءَ الْغَرَابِيلُ

لا تمسك بوصلها المزعوم للحبيب إلا كما تمسك الغرابيل الماء

كَانَتْ مَوَاعِيدُ «عَرْقُوبٍ» لَهَا مَثَلًا وَمَا مَوَاعِيدُهُ إِلَّا الْأَبَاطِيلُ

ومواعيدها كمواعيد عرقوب الكذاب المشهور

فَلَا يَغُرُّنَكَ مَا مَنَنْتَ وَمَا وَعَدْتَ إِنَّ الْأَمَانِيَّ وَالْأَحْلَامَ تَضْلِيلُ

فلا تغتر بوعودها التي تُمنِّك بها

أَمَسْتَ سَعَادُ بِأَرْضٍ لَا يُبْلَغُهَا إِلَّا الْعِتَاقُ النَّجِيبَاتُ الْمَرَاثِيلُ

وقد رحلت سعاد وصارت في أرض لا يبلغها إلا العتاق النجيبات المراسيل، النياق الكريمة النجبة السريعة

وَقَالَ كُلُّ خَلِيلٍ كُنْتُ أَمْلُهُ لَا الْفَيْنَنَّكَ إِنِّي عَنْكَ مَشْفُوعُ

قال لي كل صاحب كنت أمل أن يحميني، لا ألفتك، لا أريد أن أجذك حولي، فانا منشغل عنك

فَقُلْتُ خَلُّوا طَرِيقِي لَا أَبَا لَكُمْ فِكُلُّ مَا قَدَّرَ الرَّحْمَنُ مَفْعُولُ

فقلت: انصرفوا عني واتركوني أمضي في سبيلي فكل ما قدر الله سيقع

كُلُّ ابْنٍ أَنْتَى، وَإِنْ طَالَتْ سَلَامَتُهُ، يَوْمًا عَلَى آلَةٍ حَذَبَاءَ مَحْمُولُ

كل إنسان سيحمل يوماً على آلة حذباء، هي النعش

أَنْبِئْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَوْعَدَنِي وَالْعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ مَأْمُورٌ
أوعدني: تهددني

مَهْلًا، هَذَا الَّذِي أَعْطَاكَ نَافِلَةً أَلَمْ يَقْرَأْ فِيهَا مَوَاعِظَ وَتَفْصِيلَ
مهلاً يا رسول الله وقد أعطاك الله نافلة القرآن، هدية هي القرآن،
وفيها الموعظة وتفصيل الأحوال

لَا تَأْخُذْنِي بِأَقْوَالِ الْوُشَاةِ، وَلَمْ أَذْنِبْ، وَإِنْ كَثُرَتْ عَنِّي الْأَقَاوِيلُ
لا تسمع في أقوال الوشاة

إِنَّ الرُّسُولَ لَنُورٍ يُسْتَضَاءُ بِهِ مُهَنَّدٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ مَسْلُورٌ
في عُصْبَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَالَ قَائِلُهُمْ بَبْطَنٍ مَكَّةَ لَمَّا أَسْلَمُوا زُورُوا
الرسول وجماعته من قريش هاجروا من مكة إلى المدينة

زَالُوا فَمَا زَالَ أَتَكَاسٌ وَلَا كُشْفٌ عِنْدَ اللَّقَاءِ وَلَا مِثْلُ مَعَاذِلُ
هاجروا فما كانوا بالأنكاس، الجبناء، ولا الكشف، المكشوفين بلا تروس في الحرب،
وهم في اللقاء لا ميل، أي لا يحسنون ركوب الخيل، ولا معاذيل،
ليسوا غزلاً بلا سلاح

شُمُّ الْعَرَانِينَ أَبْطَالٌ لَبُوسُهُمْ مِنْ نَسِجِ دَاوُدَ فِي الْهَيْجَاءِ سَرَابِيلُ
شم العرائين، شامخو الأنوف، ولباسهم في الهيجاء، الحرب، سراويل من نسج داود، دروع.
وكان داود النبي مشهوراً بصنع الدروع لأن الله ألان له الحديد

لَا يَفْرَحُونَ إِذَا نَالَتْ رِمَاحُهُمْ قَوْمًا، وَلَبِسُوا مَجَازِعًا إِذَا نِيلُوا
لا يفرحون بالنصر، ولا يجزعون للهزيمة

لَا يَقَعُ الطَّعْنُ إِلَّا فِي نُحُورِهِمْ مَا إِنَّ لَهُمْ مِنْ حِيَاضِ الْمَوْتِ تَهْلِيلُ
في الحرب يواجهون دوماً، فالطعن يقع في صدورهم لا في ظهورهم، وليس لهم تهليل، فرار،
عن أحواض الموت

٤ عدي بن زيد العبادي، جاهلي من نصارى الحيرة
أَرْوَاحُ مُوَدَّعٍ أَمْ بُكُورُ لَكَ فاعْلَمْ لِأَيِّ حَالٍ تَصِيرُ
أترحل رواحاً، أم بكوراً، صباحاً؟
فاعلم كيف سيكون حالك بعد الرحيل عن الأحبة

وَابْيَضَاضُ السَّوَادِ مِنْ نُذْرِ الشَّرِّ - وهل بَعْدَهُ لِإِنْسٍ نَذِيرُ؟

ابيضاض شعرك بعد سواده نذير بالشر والشيخوخة، وهل هناك نذير للإنسان أكثر من هذا؟

لَيْتَ شِعْرِي فَكَيْفَ أَنْتَ إِذَا مَا ذُرَّ فِي حُرٍّ وَجْهَكَ الْكَافُورُ

فكيف أنت عندما يذر، يُرثش، في حر وجهك، في وسطه، الكافور.. وهو مسحوق أخضر يرشونه على الميت

رَحِمَ اللَّهُ مَنْ بَكَى لِلخَطَايَا كُلِّ بَاكِ فَذَنْبُهُ مَغْفُورُ

أَيُّهَا الشَّامِتُ الْمُعَيَّرُ بِالْدهْرِ أَأَنْتَ الْمُبْرَأُ الْمَوْفُورُ؟

يا من يعيرني بنكبة من نكبات الدهر، أنت مبرأ موفور، محصن مستثنى؟

أَمْ لَدَيْكَ الْعَهْدُ الْوَثِيقُ مِنَ الْآيَةِ - أَمْ بَلْ أَنْتَ جَاهِلٌ مَفْرُورُ

الآيام: المصائب

مَنْ رَأَيْتَ الْمَنُونِ خَلَدَنْ أَمْ مَنْ ذَا عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يُضَامَ خَفِيرُ؟

من قد لقي التخليد في الدنيا؟ أم من عليه خفير، حارس، يمنع عنه الضيم، التعرض للأذى؟

أَيَّنَ كِسْرَى كِسْرَى الْمُلُوكِ أَتَوْ شِرَ وَأَنْ، أَمْ أَيْنَ قَبْلَهُ سَابُورُ؟

وَبَنُو الْأَصْفَرِ الْمُلُوكِ، مُلُوكُ الرُّ - وَمِ؟ لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ مَذْكُورُ

وَتَفَكَّرَ رَبُّ الْخَوَزَنْقِ إِذْ أَشْهَ - رَفَ يَوْمًا وَلِلْهُدَى تَفَكِيرُ

فكر في رب الخوزنق، صاحب قصر الخوزنق وهو النعمان بن امرئ القيس، إذ أشرف من أعلى قصره وتفكر في الدنيا

سَرَّهُ مَالُهُ وَكَثْرَةُ مَا يَمُ - لِيكَ، وَالْبَحْرُ مُعْرِضًا وَالسَّيْدِيرُ

سره مرأى ماله، مزارعه وملكه، والبحر، الفرات يمر بين المزارع، وقصر السدير

فَارْعَوَى قَلْبُهُ وَقَالَ: وَمَا غِبَ - طَةً حَيَّ إِلَى الْمَمَاتِ يَصِيرُ؟

ارعوى قلبه، رجع عن ضلاله، وقال لنفسه: ما سعادة امرئ نهايته الموت؟

ثُمَّ بَعْدَ الْفَلَاحِ وَالْمَلِكِ وَالْإِمَّةِ - عَةً وَارْتَهُمْ هُنَاكَ الْقُبُورُ

الإمة: النعمة

ثُمَّ أَضْحَوْا كَأَنَّهُمْ وَرَقٌ جَفَ - فَأَلَوْتُ بِهِ الصَّبَا وَالِدَبُورُ

ثم بعد الموت صاروا كورق شجر جف فألوت به، ذهبت به، ربح الصبا وريح الدبور

٥ عُروَة بن حِزام

خَلِيلِي مِنْ «عَلْبَا هِلَالِ بْنِ عَامِرٍ» بِصَنْعَاءَ عُوجَا الْيَوْمَ وَانْتَظِرَانِي
على عادة الشعراء يخاطب صديقين: وعروة رجل من قبيلة عذرة، فهو عذري وشعره عذري،
وذهب إلى اليمن يأتي بنياق مهراً لابنة عمه عفراء، ويريد من صاحبيه بصنعاء أن يعوجا، أي
يميلا، نحو منزله باليمن وأن ينتظراه حتى يرحلوا جميعاً

أَلَا فَاحْمِلَانِي بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمَا إِلَى حَاضِرِ «الرَّوْحَاءِ» ثُمَّ دَعَانِي
احملاني إلى الروحاء، قرب المدينة المنورة، واطركاني هناك

عَلَى كَيْدِي مِنْ حُبِّ عَفْرَاءَ قَرَحَتْ وَعَيْنَايَ مِنْ وَجْدٍ بِهَا تَكْفَانِ
مقروحة كبده من حب عفراء وعيناه تكفان، تسيلان دمعاً من وجده بها، أي حبه لها

فَيَا لَيْتَ كُلِّ اثْنَيْنِ بَيْنَهُمَا هَوًى مِنَ النَّاسِ وَالْأَنْعَامِ يَلْتَقِيَانِ
يقول لي الأصحاب إذ يعدّلونني أشوق عراقي، وأنت يَماني
ويبدو أن عفراء كانت بالعراق زمناً!

تَحَمَّلْتُ مِنْ عَفْرَاءَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ وَلَا لِلْجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ يَدَانِ
ما لي به يدان: أي لا حيلة لي فيه

كَأَنَّ قَطَاةً عُلِّقَتْ بِجَنَاحِهَا عَلَى كَيْدِي مِنْ شِدَّةِ الْخَفَقَانِ
القطاة طير، وفي الزمن القديم كانت الكبد تخفق أيضاً

جَعَلْتُ لِعَرَافِ الْيَمَامَةِ حُكْمَهُ وَعَرَافٌ نَجْدٍ إِنْ هُمَا شَفَيَانِي
فقالا: نَعَمْ نَشْفِيكَ مِنَ الدَّاءِ كُلِّهِ وَقَامَا مَعَ الْعُودِ يَبْتَدِرَانِ
قام العرافان يبتدران مع العود: قاما مسرعين مع زوار المريض لكي يجربا فنونهما في الشفاء

فَمَا تَرَكَا مِنْ رُقِيَةٍ يَعْلَمَانِهَا وَلَا سَلْوَةٍ إِلَّا وَقَدْ سَقَيَانِي
الرقية: الوصفة السحرية من حجاب أو نحوه، السلوة: شراب يسقونه للمتيم فينسى... زعموا

فَقَالَا: شَفَاكَ اللَّهُ، وَاللَّهُ مَا لَنَا بِمَا ضُمْنَتْ مِنْكَ الضَّلُوعُ يَدَانِ
عجزا وقالوا: شفاك الله فليس لنا يدان، لا حيلة لنا، في الحب الذي تضمنته ضلوعك

أَنَاسِيَةَ عَفْرَاءَ ذِكْرِي بَعْدَمَا تَرَكْتُ لَهَا ذِكْرًا بِكُلِّ مَكَانٍ
يُكَلِّفْنِي عَمِّي ثَمَانِينَ بَكْرَةً وَمَا لِي يَا عَفْرَاءَ غَيْرُ ثَمَانٍ
عمه طلب منه ثمانين بكرة، أي ناقة

تَحَمَّلْتُ زَفَرَاتِ الضُّحَى فَأَطَقْتُهَا وَمَا لِي بِزَفَرَاتِ الْعَشِيِّ يَدَانِ
أُصَلِّي فَأُبْكِي فِي الصَّلَاةِ لِذِكْرِهَا لِي الْوَيْلُ مِمَّا يَكْتُبُ الْمَلَكَانِ
الملكان المكلفان بتسجيل أعمال المرء قاعدان على كتفيه دائماً، وهما رقيب وعتيد، وهما غير
ملَكَي القبر منكر ونكير

٦ عدي بن الرقاع العاملي، يمدح الوليد بن عبد الملك

عَرَفَ الدِّيَارَ تَوْهُمًا فَاعْتَادَهَا مِنْ بَعْدِ مَا دَرَسَ الْبَلَى أَبْلَادَهَا
يحدث عن نفسه: عرف الديار لكنه غير متأكد تماماً إذ أمّحت معالمها، واعتادها، زارها، بعد أن
درسها البلى، محاسنها والخراب. وأبلادها: بِلادها

إِلَّا رَوَاسِي كُلُّهِنَّ قَدْ اضْطَلَى جَمْرًا، وَأَشْعَلَ أَهْلَهَا إِبْقَادَهَا
سوى رواسي، حجارة، كانت أنا في موضع عليها القدر وقد اضطلت الحجارة وبان فيها أثر الجمر
كانت رَوَاحِلَ لِقُدُورٍ فَعُرِّيْتُ مِنْهُنَّ، وَاسْتَلَبَ الزَّمَانُ رَمَادَهَا
كانت الحجارة رَوَاحِلَ، كأنها نياق تحمل فوقها القدور، فعريت من القدور، وسلبها الزمان برياحه رمادها
وَتَنَكَّرَتْ كُلُّ التَّنَكُّرِ بَعْدَنَا وَالْأَرْضُ تَعْرِفُ بَعْلَهَا وَجَمَادَهَا
تنكرت المنطقة، تغيرت معالمها، والأرض تعرف بعلها، ما ارتفع منها، وجمادها، ما جف منها.
المعنى الملموح: الأرض معروفة بتضاريسها، ولكن مرور السنين جعلنا نتشكك

وَلَرُبَّ وَاضِحَةٍ الْجَبِينِ خَرِيدَةٍ بَيْضَاءَ قَدْ ضَرَبْتُ بِهَا أَوْتَادَهَا
ورب فتاة بيضاء الجبين خريدة، حية، كانت تنزل هنا وتغرس أوتاد خيامها

كَالظُّبْيَةِ الْبَكْرِ الْفَرِيدَةِ تَرْتَعِي مِنْ أَرْضِهَا قُفَاتِهَا وَعَهَادَهَا
كأنها ظبية منفردة عن السرب ترعى القفات، والقُفَّة شجرة صغيرة، وعهادها، العشب الذي يخلفه
المهاد أي المطر المتواصل

نُرْجِي أَغْنَى كَأَنَّ إِبْرَةَ رَوْقِهِ قَلَمٌ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاةِ مِدَادَهَا
هذه الظبية ترجي أمامها، تدفع، ظبياً أغن الصوت كأن إبرة روقه، رأس قرنه الصغير وهو مسود
في أعلاه، قلم مغموس طرفه في دواة المداد، أي المحبرة

بَانَتْ سُعَادٌ وَأَخْلَفَتْ مِعَادَهَا وَتَبَاعَدَتْ عَنَّا لِيَتَمَنَعَ زَادَهَا
فارتقت سعاد وأخلفت ميعادها، وابتعدت كي تمنعنا من التزود من حسنها

إِنَّمَا تَرَى شَيْبِي تَفْشَعُ لِمَتِّي حَتَّى عَلَا وَضَحُ بِلَوْحِ سَوَادَهَا
إن كنت ترين الآن شبيبي قد تفشغ لمتي، انتشر في شعري، حتى علاني وضح، بياض، يلوح سواد
اللثة، يغير لون السواد

فَلَقَدْ ثَنَيْتُ يَدَ الْفَتَاةِ وَسَادَةً لِي جَاعِلًا يُسْرِى يَدَيَّ وَسَادَهَا

فإنني كنت فيما مضى قد ثنيت يد الفتاة وجعلتها وسادة لي، وجعلت يدي اليسرى وساداً لها.
حاول معي تخيل هذه النومة

وَلَقَدْ أَصَبْتُ مِنَ الْمَعِيشَةِ لَذَّةً وَلَقِيتُ مِنْ شَطَفِ الْخُطُوبِ شِدَادَهَا

عرفت لذة العيش الهانئ، ولقيت أيضاً شطفه، شدته

وَعَمِيزْتُ حَتَّى لَسْتُ أَسْأَلُ عَالِمًا عَنْ حَرْفٍ وَاحِدَةٍ لِكَيْ أَزِدَّادَهَا

وكبرت حتى لم أعد أحتاج أن أسأل عالماً عن شيء

وَأَصَاحِبُ الْجَيْشِ الْعَرْمَرَمَ فَارِسًا فِي الْخَيْلِ أَشْهَدُ كَرَّهَا وَطِرَادَهَا

أصاحب الجيش العرمرم، الجرار، راكباً فرسي وأشهد كر الخيول ومطاردتها

وَقَصِيدَةٍ قَدْ بَتَّ أَجْمَعُ بَيْنَهَا حَتَّى أَقُومَ مَبْلَهَا وَسِنَادَهَا

ورب قصيدة قد سهرت أجمع بين أبياتها وأصح ميلها، ثغراتها، وسنادها، الخطأ في قوافيها

نَظَرَ الْمُتَّقِفِ فِي كُعُوبِ قَنَائِهِ حَتَّى يُقِيمَ ثِقَافَهُ مُنَادَهَا

كنت أقوم أبيات القصيدة كما يقوم المثقف، المقوم، القناة، أي الرمح، حتى يصلح تقويمه
منادها، المعوج منها

وَإِذَا الرِّبِيعُ تَتَابَعَتْ أَنْوَاؤُهُ فَسَقَى خُنَاصِرَةَ الْأَحْصِ فَجَادَهَا

إذا تتابعت أنواء، أمطار، الربيع فسقى «خناصرة الأحص»، قرية خناصرة قرب جبل الأحص،
فجادها، رواها بالمطر

نَزَلَ الْوَلِيدُ بِهَا فَكَانَ لِأَهْلِهَا غَيْثًا أَغَاثَ أَنْيَسَهَا وَبِلَادَهَا

نزل الوليد بن عبد الملك بها فكان لأهلها غيثاً، مطراً، أغاث الناس والبلاد

أَوْ مَا تَرَى أَنَّ الْبَرِّيَّةَ كُلَّهَا أَلْقَتْ خَزَائِمَهَا إِلَيْهِ فَقَادَهَا

ألا ترى أن الناس كلهم ألقوا الخزائم إليه، والخزامة حلقة توضع في أنف البعير وبها حبل يقاد به

٧ عبيد الله بن قيس الرقيات

أَقْفَرْتُ بَعْدَ عَبْدٍ شَمْسِي كَدَاءً فَكُدَيْتِي فَالرُّكْنُ فَالْبَطْحَاءُ

أقفرت هذه الأماكن بعد خروج بني أمية منها

قَدْ أَرَاهُمْ فِي الْمَوَاسِمِ إِذْ يَغِي بِدُونِ حِلْمٍ وَنَائِلٌ وَبَهَاءُ

كنت أراهم في المواسم، كسوق عكاظ، يأتون وعليهم سيماء الحلم والبهاء وفيهم نائل، يمنحون
الفقير المال

وَحَسَانٌ مِثْلُ الدُّمَى عَبَسَمِيًّا تَ عَلَيْنَهُنَّ بِهِجَةً وَحَيَاءٌ

ورب فتيات حسان من عبد شمس كأنهن الدمي جمالاً

ظَاهِرَاتُ الْجَمَالِ وَالسَّرْوِ يَنْظُرُ نَ، كَمَا يَنْظُرُ الْأَرَاكَ الظُّبَاءُ

بارز جمالهن وسروهن، نسبهن العالي، وينظرن كما تنظر الظباء إلى شجر الأراك

حَبْدًا الْعَيْشُ حِينَ قَوْمِي جَمِيعٌ لَمْ تُفَرِّقْ أُمُورَهَا الْأَهْوَاءُ

ما كان أجمل العيش عندما كان قومي متفقين مجتمعين وقبل أن تفرق بينهم الأهواء، النزعات

قَبْلَ أَنْ تَطْمَعَ الْقَبَائِلُ فِي مُلْكِ قَرِيشٍ وَتَشْمَتَ الْأَعْدَاءُ

أُبْهَاهَا الْمُشْتَهَى فَنَاءَ قَرِيشٍ بِبِدِ اللَّهِ عَمْرُهَا وَالْفَنَاءُ

إِنْ تُودَّعَ مِنَ الْبِلَادِ قَرِيشٌ لَا يَكُنْ بَعْدَهُمْ لِحَيِّ بَقَاءُ

لَوْ تُقْفَى وَتَشْرُكُ النَّاسَ كَانُوا غَنَمَ الذُّنْبِ غَابَ عَنْهَا الرِّعَاءُ

لو تقفي قريش، أي تذهب، تاركة الناس فيكونون كالغنم غاب عنها الرعاة

فهي غنم مباحة للذنوب

هَلْ تَرَى مِنْ مُخَلَّدٍ؟ غَيْرَ أَنَّ الْـ لَّهُ يَبْقَى، وَتَذْهَبُ الْأَشْيَاءُ

لَوْ بَكَتْ هَذِهِ السَّمَاءُ عَلَى قَوْمِ كَرَامٍ بَكَتْ عَلَيْنَا السَّمَاءُ

نَحْنُ مِنَّا النَّبِيُّ الْأَمِّيُّ وَالصِّدِّقُ بَقِيَ مِنَّا النَّقِيُّ وَالْخُلَفَاءُ

وَالزُّبَيْرُ الَّذِي أَجَابَ رَسُولَ الْـ لَّهُ فِي الْكَرْبِ، وَالْبَلَاءُ بَلَاءُ

وَالَّذِي نَعَصَّ ابْنَ دَوْمَةَ مَا تُو حَيِ الشَّيَاطِينُ، وَالسِّيُوفُ ظُمَاءُ

ومنا مصعب بن الزبير الذي نغص على ابن دومة، وهو المختار الثقي، سطوته على الناس بما

كان يقول لهم من أنه يوحى إليه، وقد قتله مصعب وقتل أصحابه في مشهد مريع

فَأَبَاحَ الْعِرَاقَ يَضْرِبُهُمْ بِالسَّـ يَفِ صَلَّتْ وَفِي الضَّرَابِ غَلَاءُ

صلتاً: مسلولاً، في الضراب غلاء: في الضرب بالسيف مغلاة

فَسَعَوْا كَيْ يُفْلَلُوكَ، وَيَأْبَى الْـ لَّهُ إِلَّا الَّذِي يَرَى وَيَشَاءُ

يفللك: يضعفوك يا مصعب

لِنَّمَا مُضْعَبٌ شِهَابٌ مِنَ الْـ لَّهُ تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظُّلُمَاءُ

مُلْكُهُ مُلْكٌ قُوَّةٌ لَيْسَ فِيهِ جَبَرُوتٌ وَلَا بِهِ كِبَرِيَاءُ

لَ، وَمِنَّا الْقُضَاءُ وَالْعُلَمَاءُ

مِنْهُمْ ذُو النَّدَى سَهِيلٌ بَنُ عَمْرٍو عِصْمَةُ الْجَارِ حِينَ حُبِّ الْوَفَاءِ

سهيل بن عمرو صحابي له مواقف في فتح مكة وأمه من خزاعة

حَاطَ أَخْوَالَهُ خُزَاعَةً لَمَّا كَثُرَتْهُمْ بِمَكَّةَ الْأَحْيَاءِ

دافع عن أخواله من قبيلة خزاعة عندما كثرتهم، تكاثرت عليهم، في مكة الأحياء، العشائر

وَالَّذِي أَشْرَبَتْ قَرِيشٌ لَهُ الْحُبُّ - عَلَيْهِ مِمَّا يُحِبُّ رِذَاءُ

يعني عثمان بن عفان

وَالَّذِي إِنْ أَشَارَ نَحْوَكْ لَطَمًا تَبِعَ اللَّظْمَ نَائِلٌ وَعَطَاءُ

هذا عبد الله بن جدعان من فرع أبي بكر الصديق من قريش: كان غنياً، وعندما كبر منعه بنوه من التصرف بماله فصار كلما جاءه طالب معروف قال له: اقرب كي الطمك على وجهك، ثم اذهب واطلب من أولادي فدية مقابل اللطمة، وإلا فإنك ستردها لي لطمة مثلها

عَيْنِ قَابِكِي عَلَى قَرِيشٍ وَهَلْ يَزُ جِعُ مَا فَاتَ، إِنْ بَكَيْتِ، الْبُكَاءُ؟

يا عيني ابكي على قريش، وإن بكيت.. هل يعبد البكاء ما فات؟

تَرَكَ الرَّأْسَ كَالثَّغَامَةِ مِنِّْي نَكَبَاتٌ تَسْرِي بِهَا الْأَنْبَاءُ

تركت رأسي مبيضاً كنبات الثغام، الذي يبيض إذ يبس، النكبات التي تنقلها الأنباء

كَيْفَ نَوْمِي عَلَى الْفِرَاشِ وَلَمَّا تَشْمَلِ الشَّامُ غَارَةَ شَعْوَاءُ

كيف أستريح قبل أن تعم الشام غارة شعواء، متشرة الفرسان

تُذْهِلُ الشَّيْخَ عَنْ بَنِيهِ، وَتُبْدِي عَنْ بُرَاهَا الْعَقِيلَةَ الْعَذْرَاءُ

غارة تنسي الشيخ أبناءه، وتجعل العقيلة العذراء، تبدي عن براهها، ترفع عن ساقها للهرب فتظهر خلاخلها

أَنَا عَنْكُمْ بَنِي أُمِّيَّةٍ مُزَوَّرٍ - وَأَنْتُمْ فِي نَفْسِي الْأَعْدَاءُ

أنا منحرف عنكم، وقد اتخذتكم أعداء

إِنْ قَتَلْتَنِي بِالطَّفِّ قَدْ أَوْجَعْتَنِي كَانَ مِنْكُمْ لَعِنٌ قُتِلْتُمْ شِفَاءُ

قد تألمت لقتلي بالطف، قتل الحسين بن علي في كربلاء وهي في الطف من ضواحي الكوفة، وليشف القلب منكم إذا قتلتم

٨ كُثِيرَ عِزَّة

خَلِيلِي هَذَا رَبُّعُ عَزَّةٍ فَاعْقِلَا قُلُوبَيْكُمَا ثُمَّ ابْكِيَا حَيْثُ حَلَّتِ

يا صاحبي هذه دار عزة فاربطا ناقتيكما، وابكيا حيث كانت عزة تنزل

وَمُسَا تُرَاباً كَانَ قَدْ مَسَّ جِلْدَهَا وَبَيْتاً وَظَلاً حَيْثُ بَاتَتْ وَظَلَّتْ
وَلَا تَبَاساً أَنْ يَمْحُوَ اللَّهُ عَنْكُمَا ذُنُوباً إِذَا صَلَّيْتُمَا حَيْثُ صَلَّيْتَ
وَمَا كُنْتُ أَدرِي قَبْلَ عَزَّةٍ مَا الْبُكَاءُ وَلَا مُوجِعَاتِ الْقَلْبِ حَتَّى تَوَلَّيْتَ
تولت: انصرفت

وَمَا أَنْصَفْتَ: أَمَّا النِّسَاءُ فَبَغَضْتُ إِلَيْنَا، وَأَمَّا بِالنِّوَالِ فَضَنَنْتِ
لم تصفني عزة، فقد جعلتني أبغض كل النساء سواها، وأما هي فضنت بنوالتها، بخلت بعبائها
وَكَاثَتْ لِقَطْعِ الْحَبْلِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا كَنَازِرَةً نَذِراً وَقَدْ فَأَحَلَّتِ
كانت مصممة على قطع العلاقة معي فكأنها نذرت نذراً فوفت به وأحلت نفسها،
حررت نفسها من نذرها

فَقُلْتُ لَهَا: يَا عَزَّ كُلِّ مُصِيبَةٍ إِذَا وَطَنْتِ يَوْمًا لَهَا النَّفْسُ ذَلَّتِ
كل مصيبة إذا وطنت لها النفس، تعودت عليها، فالمصيبة تذلل، تصبح مروضة
وَلَمْ يَلْقَ إِنْسَانٌ مِنَ الْحَبِّ مِيعَةً نَعْمٌ، وَلَا عَمِيَاءَ إِلَّا تَجَلَّتِ
لم يلق إنسان من الحب ميعة نعم، بداية تهزه، ولا عمياء، جهالة وتوتر،
إلا تجلى ذلك وذهب عنه فيما بعد

فَإِنْ سَأَلَ الْوَاشُونَ: فِيمَ صَرَمْتَهَا؟ فَقُلْ نَفْسٌ حُرٌّ سُلِّيتِ فَتَسَلَّتِ
إن سألني الواشون لماذا صرمتها، أي قطعت العلاقة معها؟ قلت: نفسي حرة وقد سليتها فتسلت،
أنسيتها فنسيت

أَبَاحَتْ حِمِّيَ لَمْ يَرْعَهُ النَّاسُ قَبْلَهَا وَحَلَّتْ تِلَاعاً لَمْ تَكُنْ قَبْلُ حُلَّتِ
دخلت عزة مكاناً في قلبي لم يدخله إنسان قط، فهي كمن حل في حمي، مكان محمي يمنع أهله
الآخرين من الرعي فيه، وحلت تلاعاً، هضاباً، ما حلها أحد قبلها

يُكَلِّفُهَا الْخَنْزِيرُ شَتْمِي وَمَا بِهَا هَوَانِي، وَلَكِنْ لِلْمَلِكِ اسْتَذَلَّتِ
كان زوج عزة يطلب منها أن تشتم كثيراً الشاعر، وكانت تطيعه ليس لأنها تريد إهانتني بل لأنها
استذلت وخضعت لمالك عصمتها، زوجها

هَنِيئاً مَرِيئاً، غَيْرَ دَاءٍ مُخَافٍ، لِعَزَّةٍ مِنْ أَعْرَاضِنَا مَا اسْتَحَلَّتِ
هنئاً لك يا عزة ما تستحلين من أعراضنا، ما لم يكن ذلك الذي تقولين داء مخافاً نفسك،
أي مخالطاً ضميرك.. اشتمني نزولاً عند رغبته شرط ألا يكون الشتم خارجاً من قلبك

وَكُنَّا سَلَكْنَا فِي صَعُودِ مِنَ الْهَوَىٰ فَلَمَّا تَوَافَيْنَا ثَبْتُ وَزَلْتُ

كنت وعزة في علاقتنا كمن يسلك صعوداً، مرتقى من الأرض، فلما توافينا، وصلنا، إلى مكان على المرتقى ثبت أنا وزلت هي، تزلزلت

وَكُنَّا عَقَدْنَا عُقْدَةَ الْوَصْلِ بَيْنَنَا فَلَمَّا تَوَافَقْنَا شَدَدْتُ وَحَلَّتْ

عقدنا عقدة الوصل فلما توافقنا، شدناها معاً، ظللت أشد ولكنها هي حلت العقدة

فَإِنْ تَكُنِ الْعُتْبَىٰ فَأَهْلًا وَمَرْحَبًا وَحُقَّتْ لَهَا الْعُتْبَىٰ لَدَيْنَا وَقَلَّتْ

فإن أرادت عزة العتبي، الرضا، فأهلاً ومرحباً، ولها علينا أن نرضى وما أقل هذا الطلب

وَإِنْ تَكُنِ الْأُخْرَىٰ فَإِنَّ وَرَاءَنَا بِلَادًا إِذَا كَلَفْتُهَا الْعَيْسَ كَلَّتْ

وإن أرادت الأخرى، أي العكس وهو الهجران المؤكد، فإن ورائي، أي أمامي، بلاداً واسعة إذا كلفت الإبل بقطعها كلت، أي تعبت

أَسِيئِي بِنَا أَوْ أَحْسِنِي لَا مَلُومَةً لَدَيْنَا وَلَا مَقْلِيَّةٌ إِنْ تَقَلَّتْ

أسيئي بي أو أحسنني فلا لوم عليك، ولست مقلية، موضع كراهية، حتى وإن كرهت لقائي

فَلَا يَحْسِبِ الْوَاشُونَ أَنَّ صَبَابَتِي بِعِزَّةٍ كَانَتْ عَمْرَةً فَتَجَلَّتْ

رغم ما قلته فلا يحسب الواشون أن صابتي، غرامي، بعزة كان غمرة، أزمة طارئة، ثم تجلت، انكشفت

فَوَاللَّهِ ثُمَّ اللَّهُ لَا حَلََّ بَعْدَهَا وَلَا قَبْلَهَا مِنْ خُلَّةٍ حَيْثُ حَلَّتْ

فوالله ما حل بعدها ولا قبلها من خلة، حبيبة، في المكان من قلبي الذي حلت فيه عزة

وَمَا مَرٌّ مِنْ يَوْمٍ عَلَيَّ كَيَوْمِهَا وَإِنْ عَظُمَتْ أَيَّامُ أُخْرَىٰ وَجَلَّتْ

ما مرٌّ شيء علي كيوم عشقت عزة، رغم كثرة ما مر بي وخطره

وَإِنِّي وَتَهْيَامِي بِعِزَّةٍ بَعْدَمَا تَحَلَّيْتُ مِمَّا بَيْنَنَا وَتَخَلَّتْ..

وإنني وهيامي بعزة بعدما تخيلنا عما كان بيننا من حب ..

لَكَالْمُرْتَجِي ظِلَّ الْعِمَامَةِ كُلَّمَا تَبَوَّأَ مِنْهَا لِلْمَقِيلِ اضْمَحَلَّتْ

.. كمن يرجو الاستظلال بغيمة .. ولكنه كلما تبوأ منها للمقيل، جلس للقبولة تحتها، اضمحلت، تبددت

كَأَنِّي وَإِيَّاهَا سَحَابَةٌ مُمَجِّلٌ رَجَاهَا فَلَمَّا جَاوَزَتْهُ اسْتَهَلَّتْ

كأنني مع عزة ذلك الرجل الممجل، الذي يعاني القحط، فجاءت سحابة فرجا أن تمطر، فلما ذهب عنه أمطرت على غير أرضه

يَقَرُّ بِعَيْنِي مَا يَقَرُّ بِعَيْنِهَا وَأَجْمَلُ شَيْءٍ مَا بِهِ الْعَيْنُ قَرَّتْ
يسعدني ما يسعدها

٩ مالك بن الرِّيب

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبَيْتَنَ لَيْلَةً بِحَنْبِ الْغَضَا أَزْجِي الْفَلَاصَ النَّوَاجِيَا
هل سيقدر لي أن أبيت ليلة بجنب شجر الغضا عند أهلي، أدفع الفلاص النواجي، النياق السريعة

فَلَيْتَ الْغَضَا لَمْ يَقْطَعْ الرُّكْبَ عَرْضَهُ وَلَيْتَ الْغَضَا مَاشَى الرُّكَّابَ لَيَالِيَا
ليتنا لم نفارق الغضا، وليت الغضا ظل يماшина ونحن نسير عنه

لَقَدْ كَانَ فِي أَهْلِ الْغَضَا لَوْ دَنَا الْغَضَا مَرَّارًا، وَلَكِنَّ الْغَضَا لَيْسَ دَانِيَا
كان لنا هناك من نزوره لو أنه قريب، لكنه الآن بعيد

أَلَمْ تَرْنِي بِغَتِ الضَّلَالَةِ بِالْهُدَى وَأَصْبَحْتُ فِي جَيْشِ ابْنِ عَفَّانَ غَازِيَا
ألم تر كيف تركت الضلال، واشتريت الهدى بدلاً منه وذهبت في جيش ابن عفان غازياً

وَأَصْبَحْتُ فِي أَرْضِ الْأَعَادِي بَعْدَمَا أَرَانِي عَنْ أَرْضِ الْأَعَادِي قَاصِيَا
أصبحت في أرض محفوفة بالأعداء وكنت بعيداً عنها

دَعَانِي الْهُوَى مِنْ أَهْلِ «أَوْدَ» وَصُحْبَتِي بِذِي «الطَّبَسِينِ» فَالتَفْتُ وَرَائِيَا
ودعاني الهوى من أهل «أود» وصحبتني بذي «الطبيين» فالتفت ورأيتني، وأنا مع صحبي في أرض الطبسين، في خراسان، ناداني الهوى من عند الأهل في موضع أود، فالتفت ورأيتني

أَجَبْتُ الْهُوَى لَمَّا دَعَانِي بِزَفْرَةٍ تَقَنَّنْتُ مِنْهَا أَنْ أَلَامَ رِدَائِيَا
أجبت نداء الهوى بزفرة، فخرجت أن يرى صحبي ذلك فيلوموني فوضعت ردائي على وجهي وجعلته قناعاً

تَقُولُ ابْنَتِي لَمَّا رَأَتْ طُولَ رِخْلَتِي سِفَارَكَ هَذَا تَارِكِي لَا أَبَا لَبَا
قالت لي ابنتي، وقد رأت أن سفري سيطول: إن سفرك سيتركني بلا أب

لَعَمْرِي لَئِنْ غَالَتْ خُرَاسَانُ هَامَتِي لَقَدْ كُنْتُ عَنْ بَابِي خُرَاسَانَ نَائِيَا
لئن غالت، آذت، خراسان رأسي فقد كنت من قبل بعيداً عنها

فَلِلَّهِ دَرِّي يَوْمَ أَتْرُكُ طَائِعاً بَنِي بَاعَلَى «الرَّقْمَتَيْنِ» وَمَالِيَا
كيف قد تركت بمحض إرادتي أبنائي ومالي في ذلك الموضع؟

وَدَّرَ الظُّبَاءُ السَّانِحَاتِ عَشِيَّةً يُخَبِّرُنَ أَنِّي هَالِكٌ مِّنْ وَرَائِيَا
ولله در الأطباء السانحات عشية، النساء المارات في المساء، وهن يخبرن بعضهن بعضاً أنني هالك
في غربتي

وَدَّرَ كَبِيرَيَّ اللَّذَيْنِ كِلَاهُمَا عَلَيَّ شَفِيقٌ نَاصِحٌ لَوْ نَهَانِيَا
ولله در الكبيرين، أبي وأمي، اللذين كانا شفيقين علي ناصحين لي، فهلا كانا نهاني!

تَذَكَّرْتُ مَنْ يَبْكِي عَلَيَّ فَلَمْ أَجِدْ سِوَى السِّيفِ وَالرَّمْحِ الرُّدَيْنِيَّ بِأَكْبَا
سيكي علي سفي ورمحي الرديني، نوع من الرماح

وَأَشْقَرَ مَحْبُوكٍ بَجَرٍّ عَنَانُهُ إِلَى الْمَاءِ لَمْ يَتْرُكْ لَهُ الْمَوْتَ سَاقِيَا
وسيكي علي مهري الأشقر المحبوك، أي القوي، الذي يجرسنه نحو الماء ولم يترك له موتي من يسقيه

وَلَكِنْ، بِأَكْنَافِ «السُّمَيْنَةِ» نِسْوَةً عَزِيزٌ عَلَيْهِنَّ الْعَشِيَّةُ مَا بِيَا
ولكن، في أكناف السمينه، في أطراف ذلك الموضع، نسوة يعز عليهن ما بي

صَرِيعٌ عَلَى أَبْدِي الرِّجَالِ بِقَفْرَةٍ يُسَوُّونَ لَخْدِي حَيْثُ حُمَ قَضَائِيَا
صريع يحملني الرجال في موضع مقفر، ويسوون لي لخداً حيث قدر لي أن أموت

وَلَمَّا تَرَأَتْ عِنْدَ «مَرَوْ» مَنِيَّتِي وَخَلَّ بِهَا جِسْمِي وَحَانَتْ وَقَاتِيَا .
عندما بدا في مرو أن موتي قريب، وخل جسمي بالمنية، اهتز وارتجف .

أَقُولُ لِأَصْحَابِي ارْزُقُونِي فَإِنَّهُ يَقَرُّ بِعَيْنِي أَنْ سُهَيْلٌ بَدَأَ لِيَا
أطلب من صحي أن يرفعوني كي أرى نجم سهيل

فَيَا صَاحِبِي رَحْلِي دَنَا الْمَوْتُ فَانْزِلَا بِرَايَةِ إِنِّي مُقِيمٌ لِيَا لِيَا
يا صاحبي رحلي، صاحبي السفر، دنا أجلي فخطا الرحال براية فإني سأقيم هنا بعض الوقت

أَقِيمَا عَلَيَّ الْيَوْمَ أَوْ بَعْضَ لَيْلَةٍ وَلَا تُفْجِلَانِي قَدْ تَبَيَّنَ شَانِيَا
ابقيا معي ولا تستعجلا فقد أصبح شأني واضحاً

وَقُومَا إِذَا مَا اسْتَلَّ رُوحِي فَهَيَّأَا لِي السِّدْرَ وَالْأَكْفَانَ عِنْدَ فَنَائِيَا
قوما إذا ما استل روعي، سحب روعي، فأعدا الأكفان والسدر، ورق شجر السدر وكانوا
يسحقونه ويضعونه مع ماء غسل الميت

وخطأ بِأَطْرَافِ الْأَسِنَّةِ مَضْجَعِي وَرَدَّا عَلَى عَيْنَيَّ فَضْلَ رَدَائِيَا
خطا مكان رقودي بأطراف الأسنة مضجعي، وردا بقية ثوبي على وجهي

وَلَا تَحْسُدْ أُنِي بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمَا مِنْ الْأَرْضِ ذَاتِ الْمَرْضِيِّ أَنْ تُوسِعَا لِيَا

وأوسعا لي في القبر

خُذَانِي فُجْرَانِي بِثُوبِي إِلَيْكُمَا فَقَدْ كُنْتُ قَبْلَ الْيَوْمِ صَعْباً قَبَادِيَا

جراني بثوبي وأنا ميت، وكنت في حياتي صعب القياد عنيداً

وَقَدْ كُنْتُ عَظَافاً إِذَا الْخَيْلُ أَذْبَرَتْ سَرِيعاً لَدَى الْهَيْجَا إِلَى مَنْ دَعَانِيَا

كنت أعطف وأتجه إلى خيل العدو بينما الخيول الأخرى تدبر،

وكنت سريع الإجابة إذا دعيت للحرب

وَقَدْ كُنْتُ صَبَّاراً عَلَى الْقِرْنِ فِي الْوَعَى وَعَنْ شَتْمِي ابْنَ الْعَمِّ وَالْجَارِ وَإِنِّيَا

وكنت صبوراً على القرن، الخصم، في الحرب لكنتي كنت وانياً، متوانياً، عن شتم الأقارب

وَقُومَا عَلَى بَثْرِ «السَّمِينَةِ» أَسْمِعَا بِهَا الْغُرَّ وَالْبَيْضَ الْحَسَانَ الرَّوَانِيَا

وعندما تعودان يا صاحبي إلى «السمنية» فاذهبا إلى البثر حيث تجتمع النساء الحسان الرواني،

الناظرات إليكما، وأسمعاهن خبري

بِأَنَّكُمَا خَلَفْتُمَانِي بِقَفْرَةٍ تَهِيلُ عَلَيَّ الرِّيحُ فِيهَا السَّوْفِيَا

قولاً لهن إنكما خلفتماني، تركتماني وراءكما، في موضع مقفر،

والريح تهيل علي السوافي، الأتربة

وَلَا تَنْسِيَا عَهْدِي خَلِيلِي بَعْدَمَا تَقْطَعُ أَوْصَالِي وَتَبْلَى عِظَامِيَا

يَقُولُونَ: لَا تَبْعُدْ، وَهُمْ يَدْفِنُونَنِي وَأَيْنَ مَكَانُ الْبُعْدِ إِلَّا مَكَانِيَا؟

عندما يدفنتي القوم يقولون الكلمة المألوفة «لا تبعد»، وهل هناك من بُعد أكثر من الموت؟

عَدَاةٌ عَدِي يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَى عَدِي إِذَا أَدْلَجُوا عَنِّي وَأَصْبَحْتُ ثَاوِيَا

ما أصعب الغد عندما يدلجون عني، أي يتصرفون عني ليلاً، وأظل ثاوياً، مقيماً

وَأَصْبَحَ مَالِي مِنْ طَرِيفٍ وَتَالِدٍ لِعِغْرِي، وَكَانَ الْمَالُ بِالْأَمْسِ مَالِيَا

وعندما يصبح مالي الطريف، المكتسب، والتالد، الموروث، ملكاً لغيري

فَيَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ بَكَتْ أُمُّ مَالِكٍ كَمَا كُنْتُ لَوْ عَالَوْا نَعِيكَ بَاكِيَا

هل سبكي علي أم مالك كما كنت سأبكي لو رفعوا الصوت بنعيها هي؟

فَيَا صَاحِبَا إِنَّمَا عَرَضَتْ فَبَلَّغْنِ بَنِي مَازِنٍ وَالرَّيْبُ أَنْ لَا تَلَاقِيَا

بلغ أيها الصاحب العشيرتين أنه لا تلاقيني بعد الآن فقد قضيت نحبي

وَعَزَّ قُلُوصِي فِي الرِّكَابِ فَإِنَّهَا سَتَفْلِقُ أَكْبَاداً وَتُبْكِي بَوَاكِبَا
 وأنزل الرجل عن ناقتي، واجعلها تسير بلا سرج، دلالة على أن صاحبها مات، فهذا سيفلق أكباد
 الناس ويبكي الباكيات

أَقْلَبُ طَرْفِي حَوْلَ رَحْلِي فَلَا أَرَى بِهِ مِنْ عُيُونِ الْمُؤْنِسَاتِ مُرَاعِيَا
 هنا أقلب نظري حول رحل جملي فلا أرى من يراعيني
 وينظر إلي من نساء قومي اللاتي فيهن أنس لقلبي

وَبِالرَّمْلِ مَنَّا نِسْوَةً لَوْ شَهِدْتَنِي بَكَيْنَ وَفَدَّيْنِ الطَّبِيبِ الْمُدَاوِيَا
 وهناك بموضع الرمل نسوة لو شهدني لبكين واحتضاري لبكين وقلن للطبيب «نفديك» يردن منه أن
 يجتهد في شفائي

فَمِنْهُنَّ أُمِّي وَابْنَتَايَ وَخَالَتِي وَبَاكِبَةٌ أُخْرَى تَهِيحُ الْبَوَاكِبَا
 هؤلاء أقاربي ومعهن أيضاً زوجتي التي يبكاها تهيج قلوب الباكيات الأخريات

١٠ الحطيئة

وَطَاوِي ثَلَاثٍ عَاصِبِ الْبَطْنِ مُرْمِلٍ بَبْدَاءَ لَمْ يَعْرِفْ بِهَا سَاكِنٌ رَسْمَا
 رب رجل طاوي ثلاث، جائع لم يأكل منذ ثلاث ليالٍ، وهو يعصب بطنه بحزام كي يخفف ألم
 الجوع، وهو مرمِل، أي فقير، يسكن في ببداء ليس بها رسم، جذباء ليست بها علامة طريق

أَخِي جَفْوَةٌ فِيهِ مِنَ الْإِنْسِ وَحْشَةٌ يَرَى الْبُؤْسَ فِيهَا، مِنْ شَرَّاسَتِهِ، نُعْمَى
 صاحب جفوة، فيه وحشة، نفور من الناس، ولشرسته يرى البؤس وشدة العيش نعمة

وَأَفْرَدَ فِي شُعْبٍ عَجُوزاً إِزَاءَهَا ثَلَاثَةُ أَشْبَاحَ تَخَالَهُمُ بِهِمَا
 انفرد في شعب، طريق بالجبل، مع امرأته وثلاثة أشباح كأنهم بهم، أولاد ثلاثة مهزولين تظنهم من
 ولد الماعز

حُفَاءَ عُرَاءَ مَا اغْتَدَوْا خُبْرَ مَلَّةٍ وَلَا عَرَفُوا لِلْبُرِّ مَذَّ خُلِقُوا طَعْمَا
 ما أكلوا خبر ملة، مخبوزاً بالرماد الحار، ولا عرفوا طعم القمح منذ ولدوا

رَأَى شَبَحًا وَسَطَ الظَّلَامِ قَرَاعَهُ فَلَمَّا بَدَأَ ضَيْفًا تَسَوَّرَ وَاهْتَمَّا
 رأى شيخ شخص قادم في الظلام، فأخافه ذلك،
 وعندما عرف فيه ضيفاً تسوّر، وثب وثبة، واهتم للأمر

فَقَالَ ابْنُهُ لَمَّا رَأَاهُ بِحَيْرَةٍ: أَيَا أَبَتِ أَذْبَحْنِي وَيَسِّرْ لَهُ طَعْمَا
 لما رآه ولده متحيراً قال له: اذبحني ووفر للضيف طعاماً

وَلَا تَعْتَذِرْ بِالْعُدْمِ عَلَى الَّذِي طَرَأَ يَظُنُّ لَنَا مَالاً فَيُوسِعُنَا ذِمًّا

ولا تعتذر بالفقر، فلعن الذي طرأ علينا يظن أن عندنا مالا فيوسعنا ذمًا، فيما فمه بدمنا

فَرَوَى قَلِيلًا ثُمَّ أَحْجَمَ بُرْهَةً وَإِنْ هُوَ لَمْ يَذْبَحْ فِتْنَاهُ فَقَدْ هَمَّا

تروى الأب، ثم أحجم، ولم يذبح ابنه، لكنه كان قد هم بذلك

وَقَالَ: هَيَا رَبَّاهُ! ضَيْفٌ وَلَا قِرَىٰ بِحَقِّكَ لَا تَحْرِمُهُ تَالَلَّيْلَةَ اللَّحْمَا

قال الرجل: يا رب، ضيف ينزل بي ولا قرى عندي له!

بحقك يا رب لا تحرمه هذه الليلة من اللحم

فَبَيْنَا هُمَا عَنَّتْ عَلَى الْبُعْدِ عَانَةٌ قَدْ انْتَضَمَتْ مِنْ خَلْفٍ مِسْحَلُهَا نَظْمَا

بيننا، أي فيبينما، هو وابنه قد خرجا بعيداً إذ عنت لهما، عرضت لهما، عانة، سرب من حمر

الوحش، وقد مشت بانتظام خلف مسحلها، فحلها

ظِلْمَاءٌ تُرِيدُ الْمَاءَ فَانْسَابَ نَحْوَهَا عَلَى أَنَّهُ مِنْهَا إِلَى دَمِهَا أَظْمَا

الحمر عطشى تقصد الماء، فانساب نحوها يهدوء، وهو عطش إلى دمها أكثر منها للماء

فَأَمْهَلَهَا حَتَّى تَرَوَتْ عِطَاشُهَا فَأَرْسَلَ فِيهَا مِنْ كِنَانَتِهِ سَهْمَا

أمهلها حتى روت عطشها، ثم رماها بسهم من كنانته، من علبة سهامه

فَخَرَّتْ نَحْوَصٌ ذَاتُ جَحْشٍ فَتِيَّةٌ قَدْ اكْتَنَزَتْ لَحْمًا وَقَدْ طَبَّقَتْ شَحْمَا

فخرت أرضاً نحوص، أتان وحشية، لها جحش، ولد، بجانبها، وهي فتية مكتنزة باللحم، وعليها

أطباق من الشحم

فَبَا بِشْرُهُ إِذْ جَرَّهَا نَحْوَ أَهْلِهِ وَيَا بِشْرَهُمْ لَمَّا رَأَوْا كَلَمَهَا يَدْمَى

فيا لسعادته إذ جرّها نحو أهله، ويا لسعادتهم لما رأوا جرحها دامياً

فَبَاتُوا كِرَامًا قَدْ قَضَوْا حَقَّ ضَيْفِهِمْ فَلَمْ يَغْرُمُوا غُرْمًا وَقَدْ غَنِمُوا غُنْمَا

باتوا كراماً وقد كسبوا حمد الضيف وقاموا بواجبه

وَبَاتَ أَبُوهُمْ مِنْ بَشَاشَتِهِ أَبَاً لِضَيْفِهِمْ وَالْأُمُّ مِنْ بِشْرِهَا أُمَّا

وبات أبوهم وكأنه أب للضيف، وأمهم من بشاشتها كأنها أم للضيف

١١ الخنساء

أَعْيَنِي هَلَّا تَبْكِيَانِ عَلَى صَخْرٍ بِدَمْعٍ حَشِيثٍ لَا بَكْيٍ وَلَا نَزْرِ

ابكيا يا عيني على أخي صخر بدمع حثيث، سريع، لا بكيء، قليل، ولا نزر، قليل

فَتَسْتَفْرِغَانِ الدَّمَعَ أَوْ تُذَرِيَانِيهِ عَلَى ذِي النُّهْيِ وَالْبَاعِ وَالنَّائِلِ الْعَمْرِ
أفرغاً دمعكما واسكباه على رجل ذي نهى، عقل، وباع، قوة، ونائل غمر، سخاء غامر كثير

فَمَا لَكُمَا عَنْ ذِي الِیْمَنِیْنِ - فَابْكِيَا عَلَيْهِ مَعَ الْبَاكِيِ الْمُسْلَبِ - مِنْ صَبْرِ
ليس لكما يا عيني صبر عن أخي صاحب اليمينين، المتصرف في الشؤون البارع، فابكيا عليه مع
الباكي المسلب، اللابس سواداً

أَلَا نَكِلْتُ أُمَّ الَّذِينَ عَدَوْا بِهِ إِلَى الْقَبْرِ، مَاذَا يَحْمِلُونَ إِلَى الْقَبْرِ؟
نكلتهم أمهم هؤلاء الذي غدوا به، ذهبوا به صباحاً، إلى قبره، أعرفوا ماذا يحملون إلى القبر؟

وَمَاذَا ثَوَى فِي اللَّحْدِ تَحْتَ تُرَابِهِ مِنْ الْخَيْرِ، يَا بُؤْسَ الْحَوَادِثِ وَالْدَهْرِ!
هل عرفوا ماذا ثوى، أقام، في القبر تحت التراب من خير؟ يا لبؤس الزمن!

مِنْ الْحَزْمِ فِي الْعَزَاءِ وَالْجُودِ وَالنَّدَى لَدَى مُلْكِهِ عِنْدَ الْيَسَارَةِ وَالْعُسْرِ
أعرفوا ماذا ثوى في القبر من الحزم في العزاء، في وقت الشدة، والكرم؟ وكان سخياً في وقت
اليسر والعسر

كَأَنَّ لَمْ يَقُلْ أَهْلًا لِطَالِبٍ حَاجَةٍ وَكَانَ بَلِيغَ الْوَجْهِ مُنْشِرِحَ الصَّدْرِ
كان أخي لم يرحب بطالب حاجة، ولم يكن بليغ الوجه، مشرق الوجه، منشرح الصدر للأضياف

وَلَمْ يَتَنَوَّزْ نَارَهُ الضَّيْفِ مَوْهِنًا إِلَى عِلْمٍ لَا يَسْتَكِنُ مِنَ السَّفَرِ
وكانه ما رأى ناره الضيف موهناً، ليلاً، وهي فوق علم، جبل، لا يستكن، لا يختبئ من السفر، من
المسافرين. فأخوها كان يرفع ناره عالياً ليراها المسافرين في الصحراء فيأتوا إليه لكي يضيفهم

فَمَنْ يَجْبُرُ الْمَكْسُورَ أَوْ يَضْمَنُ الْقَرَى ضَمَانَكَ أَوْ يَقْرِي الضُّيُوفَ كَمَا يَقْرِي؟
من يجبر المكسور، يصلح كسر من جارت عليه الأيام، ومن يضمن طعام الضيف مثلك؟ يقرى:
يطعم الضيف

وَحَيْلٍ تَنَادَى لَا هَوَادَةَ بَيْنَهَا دَبَّتْ بِأَطْرَافِ الرُّدَيْنِيَّةِ السُّمْرِ
رب خيل يتنادى فرسانها، ولا هوادهة في الأمر فهي خيل مغيرة على القبيلة، ولكنك ذبيتها، رددتها
بأطراف الرماح الردينية السمر

صَبَحَتْهُمْ بِالْخَيْلِ تَرْدِي كَأَنَّهَا جَرَادُ زَفْتِهِ رِيحُ نَجْدٍ إِلَى الْبَحْرِ
صباحتهم بالخيال تردى، تسرع، كأنها جراد زفته، دفعته، ريح نجد نحو الفرات بحر العراق

فَشَأْنُ الْمَنَايَا إِذَا أَصَابَكَ رَبُّبُهَا لَتَعْدُ عَلَى الْفَتَيَانِ بَعْدَكَ أَوْ تَسْرِي
فلتفعل المنايا ما شاءت بعد أن أصابتك، ولتعد، لتصبح، أو تسري، تأتي مساء على الفتیان، أي
ليمت بعدك من شاء

وَقَائِلَةٌ وَالتَّعَشُّ يُسَبِّقُ خَطْوَهَا لِتُذَرِكُهُ: يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَى صَخْرٍ

ورب قائلة والتعش يسبق خطوها وهي تريد اللحاق به: يا لهف نفسي على صخر

١٢ مجنون ليلي

تَذَكَّرْتُ لَيْلَى وَالسَّنِينَ الْخَوَالِيَا وَأَيَّامَ لَا نَلْقَى عَلَى اللَّهْوِ نَاهِيَا

تذكرت ليلي في السنين الخوالي، الماضية، حين لم يكن ينهانا عن لهونا أحد

فَيَا لَيْلَ كَمْ مِنْ حَاجَةٍ لِي مُهِمَّةٍ إِذَا زَرْتُكُمْ فِي اللَّيْلِ لَمْ أَذِرْ مَا هِيَا

ما أكثر ما كنت أزورك في الليل وبني حاجة ملحة، لكنني لا أدري ما هي

فَمَا أَشْرَفَ الْإِيْفَاعِ إِلَّا صَبَابَةٌ وَلَا أُنَشِدُ الْأَشْعَارَ إِلَّا تَدَاوِيَا

الآن لا أصعد المرتفعات إلا صباية، هيأماً، ولا أنشد الشعر إلا متداوياً به من حرقة الحب

خَلِيلِي لَا وَاللَّهِ لَا أُمْلِكُ الَّذِي قَضَى اللَّهُ فِي لَيْلَى، وَلَا مَا قَضَى لِيَا

قَضَاهَا لِغَيْرِي، وَابْتَلَانِي بِحُبِّهَا فَهَلَّا بِشَيْءٍ غَيْرِ لَيْلَى ابْتِلَانِيَا

وَحَبَّرْتُ مَانِي أَنْ تَيْمَاءَ مَنْزِلٍ لِلَّيْلِ إِذَا مَا الصَّبْفُ أَلْقَى الْمَرَايِيَا

فهذي شهور الصيف عنا قد انقضت فما لِلنَّوَى تَرْمِي بِلَيْلَى الْمَرَامِيَا

وجاء الصيف وراح، ولكن النوى، الفراق يرمي بليلى بعيداً عني

وَقَدْ يَجْمَعُ اللَّهُ الشَّيْئَتَيْنِ بَعْدَمَا يَظُنَّانِ كُلُّ الظَّنِّ أَنْ لَا تَلَاقِيَا

قد يجمع الله المتباعدتين بعد أن ظنا اللقاء مستحيلاً

فَإِنْ تَمْنَعُوا لَيْلَى وَتَحْمُوا دِيَارَهَا عَلَيَّ، فَلَنْ تَحْمُوا عَلَيَّ الْقَوَايِيَا

إن منعني أهل ليلي من لقائها ومنعوا ديارها دوني،

فلن يمنعوا عني القصائد أقولها في التشوق ليلي

قصائد مشهورات
فهرس القوافي
(القافية فرقم القطعة)

١	لَأَمِيلُ	٧	فَالْبَطْحَاءُ
٣	مَكْبُولُ	٨	حَلَّتِ
١٠	رَسْمًا	٢	أَوْ نَادُ
٥	وَانْتَظِرَانِي	٦	أَبْلَادَهَا
٩	التَّوَاجِيَا	٤	تَصِيرُ
١٢	نَاهِيَا	١١	نَزْرٍ

فهرس القوافي العام

القافية، فرقم القطعة، فالباب الذي تنتمي إليه

أبواب الكتاب: ١ امرؤ القيس، ٢ زهير بن أبي سلمى، ٣ النابغة
الذبياني، ٤ الأعشى، ٥ حسان بن ثابت، ٦ الأخطل، ٧ الفرزدق، ٨ جرير،
٩ عمر بن أبي ربيعة، ١٠ جميل بثينة، ١١ بقية المعلقات، ١٢ المفضليات،
١٣ الأصمعيات، ١٤ الحماسة، ١٥ الوحشيات، ١٦ قصائد مشهورات

الطَّلَبَا ١٣٩ الحماسة	وظباء ٣٨ الأخطل
العَجِيبَا ٢٣ الأخطل	النَّوَاء ٥ بقية المعلقات
المصَابَا ٢ جرير	النِّسَاء ٥٣ حسان
جَالِيَا ٦ الحماسة	الهجاء ٥٩ الأخطل
جَانِبَا ٥٩ ابن أبي ربيعة	انْفِطَوَاء ١٢٦ الحماسة
رَعَبَا ٧٥ الحماسة	بَلَاء ١٣٦ الحماسة
عَذْبَا ٧٣ ابن أبي ربيعة	فالبَطْحَاء ٧ قصائد مشهورات
لقد أَصَابَا ١٥ جرير	كَدَاء ١ حسان
مرحبا ١١٦ الحماسة	نَشَاء ١٣ زهير
مُصَابَا ١٤ جرير	نَجْلَاء ٩ الأصمعيات
نُجْبَا ١٩٧ الحماسة	أَضَاءهَا ١٤ الحماسة
هَرَبَا ٢٢٢ الحماسة	أعدائها ١٨ المفضليات
والرَّيَابَا ٥٥ ابن أبي ربيعة	ورائها ١ الفرزدق
وأَوْصَابَا ٣ الأعشى	أَغْضَبَا ١٠ جرير

وتَذْهَبَا ٥٤ ابن أبي ربيعة

وجربًا ٢ الأعشى

وشابًا ٢٨ المفضلين

وشَيِّبًا ١ جرير

وصَبَا ٥٥ الأخطل

أَحْرَبُ ٣٧ الحماسة

أَغْضَبُ ٣١ الوحشيات

الحُبُّ ٣ جميل بثينة

الضَّرَابُ ١٠ النابغة الذبياني

النَّبِيُّ ٧ جرير

تَذْهَبُ ٩١ الحماسة

تَلْتَهُبُ ٦٠ الأخطل

جَدِيدُ ٤٩ الوحشيات

خَرِبُ ٢٧ حسان

ذَاهِبُ ٤٣ حسان

رَقِيبُ ١٧٢ الحماسة

هَيُوبُ ٥ الأصمعيان

سِبَابُ ٢ جميل بثينة

عَسِيبُ ١٧ امرؤ القيس

فَالذَّنُوبُ ٦ بقية المعلقات

فَالشُّعْبُ ٦ الأخطل

فُجِيبُ ١٧ الوحشيات

قَرِيبُ ١٨٠ الحماسة

لَغَرِيبُ ١٢ الأصمعيان

مُحَارِبُ ١٨٣ الحماسة

مَحْجُوبُ ٦ جرير

مَشِيبُ ٣٣ المفضلين

والصَّنَابُ ١٧ الفرزدق

وَأَنْصَبُ ٦ النابغة الذبياني

وَمُصِيبُ ٨ جرير

يُجِيبُ ١٦٧ الحماسة

يَرْكَبُوا ٦٦ الحماسة

الأعاجيبُ ٢ الفرزدق

الترابُ ٢٦ الأخطل

الحبيبُ ١ جميل بثينة

الخرابُ ٢٠ الوحشيات

الربابُ ٥٧ ابن أبي ربيعة

الركائبُ ١٢٨ الحماسة

السربُ ١٣ جرير

الطيبُ ٥٦ ابن أبي ربيعة

العتابُ ١٤ الفرزدق

العواقبُ ٩٨ الحماسة

القرُبُ ٤ الأخطل

الكواكبُ ٣ النابغة الذبياني

الكواكبُ ٥ الفرزدق

المشربُ ٤ الفرزدق

المُعَذِّبُ ٤ امرؤ القيس

بالعصائبُ ٣ الفرزدق

يَخْضَابُ ٤٦ ابن أبي ربيعة

تُكْذِبُ ٤ جرير

حَسْبِي ٣٨ الوحشيات

ذاهبُ ١١ الفرزدق

سَاغِبِ ٨ الأَخلَط	بالتراث أَقَارِبُهُ ٩ الفرزدق
ضَبَابِ ١٢ جرير	ثِيَابُهَا ١٠ الفرزدق
عَذَابِي ٥٨ ابن أَبِي ربيعة	جَاذِبُهُ ١٦ الفرزدق
غَالِبِ ١٣ الفرزدق	جَانِبُهُ ٣١ الحماسة
غُرَابِ ١٦ حسان	جَوَابُهَا ١٢ الفرزدق
فَانْعَبِ ٣ جرير	حَبِيبُهَا ١٧١ الحماسة
قَلْبِي ٢٢١ الحماسة	رَقِيبُهَا ١ جميل بَشِينَةُ
لِلسَّبَابِ ٥ جرير	رَكَائِبُهُ ٣٩ الحماسة
لِلسَّبَابِ ٦٨ الحماسة	غَارِبُهُ ١٨٤ الحماسة
لِيلِي وَغَالِبِ ١٥ الفرزدق	غَضَائِبُهَا ١٠١ الفرزدق
مَرْقَبِ ١ جميل بَشِينَةُ	كَلَابُهَا ١١ جرير
مَرْكَبِ ٤١ الحماسة	كَوَاكِبُهُ ٢٠٥ الحماسة
مَطْلُوبِ ١٩ النابغة الذبياني	مَضَارِبُهُ ٣٢ الأَخلَط
مُنِيبِ ٢٦ حسان	مُنِيبُهَا ٧ الفرزدق
وَالصَّنَابِ ٩ جرير	نَصِيبُهَا ١ جميل بَشِينَةُ
وَالْمُتَطَبِّبِ ١٥ الوحشيات	وَتَجَانِبُهُ ٨ الفرزدق
وَبِالشَّرَابِ ١١ امرؤ القيس	أَطْرَافُهَا ٦ الأعشى
وَبِالشَّرَابِ ١٦ زهير	عَذَابُهَا ٤ الأعشى
وَشِيبِ ٨ حسان	اُنْتَشَبَتْ ٦٠ الحماسة
بِاللَّعِبِ ٤٧ ابن أَبِي ربيعة	اِسْتَظَلَّتْ ١٩ الفرزدق
حَسَبِ ٤٠ حسان	الرَّاعِمَاتِ ١٦ جرير
وَشَرِبِ ١٨ النابغة الذبياني	الغَايَاتِ ١ جميل بَشِينَةُ
أَصْحَابُهُ ٥٣ ابن أَبِي ربيعة	تَعَلَّتْ ١٨ جرير
اِغْتِيَابُهُ ٥ الأعشى	تَوَلَّتْ ٦ المفضليات
أَقَارِبُهُ ١٣ الوحشيات	ثَابِتِ ٥٤ حسان
أَقَارِبُهُ ٦ الفرزدق	جَلَّتْ ٢٠٢ الحماسة

الرَّيِّحُ ٨ الوحشيات	حَلَّتِ ٨ قصائد مشهورات
الصَّفَائِحُ ٢٠ الفرزدق	عَرَافَاتِ ٤٨ ابن أبي ربيعة
بالرَّوَّاحِ ٢٠ جرير	فَاسْبَطَرَّتِ ١٢ الحماسة
بِالْفَوَاحِ ٦ جميل بثينة	مَذِيرَاتِ ١٧ جرير
قُرُوحِ ١٨٢ الحماسة	مُعْتَكِرَاتِ ٧ امرؤ القيس
مَطْرَحِ ٥٢ الحماسة	وَصَلَّتِ ١٨ الفرزدق
صَحِيحُهَا ٥ جميل بثينة	وَقَلَّتِ ٨ الأعشى
البُرْدَا ٢٤ جرير	وحياتها ٧ الأعشى
زَنَادَا ٢٥ جرير	حَرَجَا ٦٩ ابن أبي ربيعة
المُسَهَّدَا ٩ الأعشى	فَلَجَا ١٣١ الحماسة
بُرْدَا ١٣ الحماسة	أَخْجَجِ ٧٤ ابن أبي ربيعة
جَلَمَدَا ٧٦ ابن أبي ربيعة	الْأَدْعَجِ ٧٥ ابن أبي ربيعة
جَهْدَا ٣٥ ابن أبي ربيعة	الْمَنِيَّةِ نَاجِ ١٩ جرير
جَوَادَا ١٨ امرؤ القيس	أَفْضَحُ ٤ جميل بثينة
حَمْدَا ١٣٢ الحماسة	أُنْجَحُ ١ جميل بثينة
خَالِدَا ٢٤ الفرزدق	سَالِحِ ٤٦ الوحشيات
عِيدَا ٣٢ ابن أبي ربيعة	فَاسْتَرَاخُوا ٥٥ الحماسة
عَدَا ٢٩ جرير	مَادِحُ ٨٦ الحماسة
عَدَا ٤٩ ابن أبي ربيعة	مَاسِخُ ٣٣ الوحشيات
قَصْدَا ١٦٣ الحماسة	وَصَفَائِحُ ١٥٧ الحماسة
مَسْعُودَا ١٥ المفضليات	يُرَاحُ ١٥٨ الحماسة
واعتِمَادَا ٢٢ جرير	يَسْبَحُ ٥١ الأخطل
وَعُهْدَا ١ جميل بثينة	الْأَبَاطِحِ ١٥٦ الحماسة
وَلَدَا ٢٨ الحماسة	الْأَضَاحِي ٢١ الأخطل
يَتَبَدَّدَا ١٢ الأخطل	الْجَرَاحِ ٩٥ الحماسة
الْأَشَدَّا ٣٦ حسان	الْجَوَانِحِ ١٥٠ الحماسة

يَعُودُ ٨ جميل بثينة	أَشْهَدُ ٤٩ حسان
الْأَبْدُ ١ النابغة الذبياني	الْبَعِيدُ ٤٥ الأخطل
الْأَزْمِدُ ٢٤ حسان	الْحَدِيدُ ٣٦ الحماسة
الْأَقْنَادُ ٢٧ الحماسة	الْعَبِيدُ ٤٦ الأخطل
الْبَلَدُ ١٣ حسان	الْعَوَاذُ ٣٠ الحماسة
الْجَعْدُ ٧٢ الحماسة	النَّشِيدُ ٣٠ جرير
الْغَمْدُ ٢٨ الفرزدق	أَوْتَادُ ٢ قصائد مشهورات
الْمُنَادِي ٤٦ حسان	بَرْدُ ١٦٨ الحماسة
الْمَهْدُ ١١ جميل بثينة	تَزِيدُ ٨٩ الحماسة
الْهَادِي ٢٣ حسان	حَامِدُ ١٣٨ الحماسة
الْيَدُ ١ بقية المعلقات	حُسِدُوا ٤٦ الحماسة
يَبْعَادُ ٢٥ الفرزدق	خَالِدُ ٥٧ حسان
يُمَخِّلِدُ ٢ زهير	سَعِيدُ ٢٦ جرير
تُرِدُ ٢١ الحماسة	عِنْدِي يَدَا ٣١ جرير
تُوسُ ٧ ابن أبي ربيعة	فَاجْتَلَدُوا ٢٧ الأخطل
جِيَادُ ١٨ الأخطل	قَعَدُوا ٣ زهير
رُشْدِي ١٠ جميل بثينة	لَجْمُودُ ٨١ الحماسة
رِغْدِيدُ ٣٥ حسان	لَسَعِيدُ ٥٢ حسان
زِيَادُ ١٩٦ الحماسة	مُحَمَّدُ ٥٧ الأخطل
سَعْدُ ٥٦ الحماسة	مَوْجُودُ ٢٠ الأخطل
شَاهِدُ ٢٢ الفرزدق	هُجُودُ ١٧ المفضليات
شُهُدِي ٨٢ الحماسة	وَاقْتَصِدُوا ٧ جميل بثينة
صَادُ ١٠ الأعشى	وَالْأَبْدُ ٩٠ الحماسة
عَدُ ١١٤ الحماسة	وَتَهَمَدُ ٥٦ حسان
غَمْدُ ٢٣ المفضليات	وَجَلِيدُ ١٢١ الحماسة
لَحْدِي ٣٤ ابن أبي ربيعة	وَتَسُودُ ٢٧ المفضليات

ويَقُودُهَا ٢٨ جرير	مُزِيد ١٥ الحماسة
يَقُودُهَا ٢٦ الفرزدق	مُرَوِّد ٧ النابغة الذبياني
عَاذِهَا ١١ الأعشى	مَعْبِد ٢٧ الفرزدق
الْأُزْرَا ١٨٩ الحماسة	مُعْتَادِي ٢٧ جرير
الدَّمَارَا ٤٧ الفرزدق	مِنْ أَحَدِ ١٢ حسان
انْحِدَارَا ١٥ الأعشى	مُهْتَدٍ ٢٨ حسان
تَحَدَّرَا ٣٢ الفرزدق	مُوقِد ٢٠ النابغة الذبياني
سِرًّا ٧٩ ابن أبي ربيعة	هَادٍ ٤٣ الوحشيات
صَابِرَا ١٩ امرؤ القيس	هِنْد ٥٠ ابن أبي ربيعة
ضِرَارَا ٧ ابن أبي ربيعة	والأولاد ١٦ المفضليات
ظُهُورَا ٧٨ ابن أبي ربيعة	وَجِد ١٥٥ الحماسة
فَاسْتَدَارَا ٤٢ جرير	وَحْدِي ٢١٣ الحماسة
قُبُورَا ٤٤ جرير	وَعُوَادِي ٢٣ جرير
مَارَا ٦ ابن أبي ربيعة	وَلَا يَدِي ٧ حسان
مَفْعَرَا ٣٦ جرير	وَمِجْسَدٍ ٢١ الفرزدق
مُنْكَرَا ١٠ ابن أبي ربيعة	وَيَعْتَدِي ٥٥ حسان
وَاعْتَمَرَا جرير ٤٧	يُعْدِي ٢١٢ الحماسة
وَالْمَطَرَا ٣٩ الفرزدق	يُولَدِ ٢١ جرير
وَشَبِيرَا ٥ امرؤ القيس	يُولَدِ ٢١٩ الحماسة
وظَاهِرَا ٥ النابغة الذبياني	تَجِدُ ٣٣ ابن أبي ربيعة
وَقَرَا ١٢٠ الحماسة	أَبْلَادَهَا ٦ قصائد مشهورات
أَتَسَرَّ ١٨١ الحماسة	أَعُوَادَهَا ٤ حسان
أَخْذُرُ ٨٢ ابن أبي ربيعة	أَرِيدُهَا ٩ جميل بثينة
أَكْثَرُ ٥ زهير	أَوْلَادُهَا ٢٢ الوحشيات
الْأَقْدَارُ ١٣ جميل بثينة	جَدُودُهَا ٢٣ الفرزدق
الْأَمْرُ ١٤٢ الحماسة	شَرُودُهَا ١٩٢ الحماسة

عُمَرُ ٤٣ جرير	البَعْرُ ٥٠ حسان
عُقُورُ ١١ الأخطل	الحَذَرُ ١١٠ الحماسة
غَيْرُ ١٣ الأخطل	الحَذَرُ ٣٥ جرير
قَمَهَجَرُ ١ ابن أبي ربيعة	الحَوَاسِرُ ٣٥ الفرزدق
كَثِيرُ ١ جميل بثينة	السَّهْرُ ١٦٩ الحماسة
كُفَّارُ ٦٤ حسان	الشَّجَرُ ١٠١ الحماسة
مَأْجُورُ ١٠٢ الحماسة	الشَّعْرُ ٨٣ ابن أبي ربيعة
مُبْتَلَرُ ٣ ابن أبي ربيعة	الصَّبْرُ ٩٢ الحماسة
مُبْتَلَرُ ٣٧ جرير	الْفِرَارُ ١٤ الأعشى
مَزِيرُ ١٢٣ الحماسة	المَصَادِرُ ١٢٢ الحماسة
مُضَرُّ ١٠٩ الحماسة	المَطَرُ ٤٢ الفرزدق
مُضَرُّ ٣١ الفرزدق	المَنَاظِرُ ١٤٤ الحماسة
مِضْمَارُ ٤٢ حسان	النَّاظِرُ ٥٨ حسان
نَاظِرُ ٥٤ الأخطل	النَّسْرُ ٢٦ الوحشيات
نُثِرُوا ٦٥ حسان	أَنْظَرُ ١٧٣ الحماسة
نَصَرُوا ٢٢ حسان	بَعِيرُ ٣ الوحشيات
نَوَارُ ٤٣ الفرزدق	نَصِيرُ ٤ قصائد مشهورات
نُورُ ٥٩ حسان	نَقِيرُ ٤٥ جرير
هَلِيرُ ٢٢ الأخطل	تَنْبِيرُ ٢ ابن أبي ربيعة
هَوَادِرُ ٣٣ الفرزدق	تَنْظَرُ ١ جميل بثينة
والغَيْرُ ٤ الأصمعيات	حَائِرُ ١٢ جميل بثينة
والفَخْرُ ٣٨ جرير	حَائِرُ ١٤٦ الحماسة
والقَطْرُ ٤١ جرير	خَبَرُ ١٤ جميل بثينة
والمُهَاجِرُ ٦١ الحماسة	خَطَرُ ٦٠ حسان
وَتَرُ ٣٠ الأخطل	عَذَرُوا ٤ ابن أبي ربيعة
وَحَوَافِرُ ١٨٦ الحماسة	عليك نَوَارُ ٥٠ الفرزدق

وَقَرَا ٣٠ الفرزدق	العَصَافِيرِ ١٧ حسان
وَكَسِيرُ ١٦ جميل بثينة	القِصَارِ ٤٦ الفرزدق
وَمَحْجَرُ ١٥ جميل بثينة	القِصَارِ ٥٣ الأخطل
يُزَارُ ٣٣ جرير	القصرِ ٣٣ الأخطل
يَسِيرُ ١٧ جميل بثينة	الكُفْرِ ٥١ حسان
يَسِيرُ ١٧٠ الحماسة	المطرِ ٤٠ جرير
يُتَنَظَرُ ٢٩ الفرزدق	المُنِيرِ ١٨٨ الحماسة
آخِرِ ٤٢ الوحشيات	التَّوَاضِعِ ٨٠ ابن أبي ربيعة
أَظْفَارِي ١٣ الأعشى	أَمِيرِ ٢٢ جميل بثينة
الأَخْمَرِ ٢٠ جميل بثينة	إِنْكَارِ ٤٩ جرير
الأشعارِ ٤٤ الفرزدق	أَيْسَارِ ٢٠٤ الحماسة
الْأَمْصَارِ ٣٠ حسان	بِصَائِرِ ٣٤ الوحشيات
الْأَنْصَارِ ٥٢ الأخطل	بِتَارِي ٥١ جرير
وَالدَّارِ ١٩٠ الحماسة	تَحُورِي ١٠ الأصمعيات
البَوَاتِرِ ٣٧ حسان	تَحُورِي ٥٨ الحماسة
الْحَنَاجِرِ ٨ النابغة الذبياني	تَدْرِي ٦٥ الحماسة
الْحَضَرِ ٧٢ ابن أبي ربيعة	تَضْيِرُ ٢٤ الحماسة
الدَّهْرِ ١٧ الأخطل	جَعْفَرِ ٢٩ المفضلّيات
الدَّهْرِ ١٩ جميل بثينة	جَيَّارِ ٤٥ الفرزدق
الدَّهْرِ ٣٤ جرير	حَاجِرِ ١٦ الأعشى
السُّمْرِ ٨٨ الحماسة	خُبْرِ ٩ ابن أبي ربيعة
الشَّرَرِ ٣١ الأخطل	دَهْرِ ٤ زهير
الصَّبْرِ ٨٣ الحماسة	زُورِ ٣٢ جرير
الصَّخْرِ ٢٩ الوحشيات	شَطْرِي ١١٢ الحماسة
الظَّهْرِ ١٦ الوحشيات	الدَّارِ ١٩١ الحماسة
الْعُرَاعِرِ ١٤ النابغة الذبياني	صَبْرِ ١٨ جميل بثينة

المُدَّخَرُ ٥٩ الحماسة	صبرِ ٣٦ الفرزدق
جَهْرُ ٢٠١ الحماسة	صُدْرِي ٢١ حسان
كَبَرُ ٤ المفضليات	غامِرِ ٥٤ الحماسة
مُضَرُّ ٢١ الوحشيات	عُمَرِي ٣٢ الوحشيات
جَائِزَةُ ١٢ النابغة الذبياني	فاسْتَبَرَّ ٨١ ابن أبي ربيعة
جَبَّارَهَا ٥٠ جرير	فاسْهَرِي ٤٩ الحماسة
حَدَرَكَ ٧٠ ابن أبي ربيعة	فَالْضُّمَارِ ١٤٥ الحماسة
غَامِرَةُ ٤٨ الوحشيات	قِصَارِ ٤٨ الفرزدق
أَسْتَبَرُّهَا ١١٧ الحماسة	كِرَاكِرِ ٦٢ حسان
أَسِيرُهَا ١٢ الأعشى	لِلْعَاثِرِ ٤ جرير
أَوَاصِرُهُ ٦٤ الحماسة	مُجِيرِي ٣٧ الفرزدق
تُغَوِّرُهَا ٣٨ الفرزدق	مَزَارِ ٦ زهير
رَائِرُهُ ٤٠ الفرزدق	مِسْهَارِ ١٤ الأخطل
عَاصِرُهُ ٤١ الفرزدق	مُمْطِرِ ٦٣ حسان
مَشَافِرُهُ ٣٤ الفرزدق	نَزَرِ ١١ قصائد مشهورات
نُحُورُهَا ٤٩ الفرزدق	هُعْجِرِ ٦١ حسان
نُشُورُهَا ٣٩ جرير	وَالْحَجَرِ ٨ ابن أبي ربيعة
يَضْرُهُ ٢١ النابغة الذبياني	وَالصَبْرِ ١٧٧ الحماسة
زُؤَارِهَا ٤٦ جرير	رَغْدَا ١٧٨ الحماسة
وَأَوْتَارِهَا ٥١ الفرزدق	وَالْعَارِ ٣٤ الأخطل
فَأُنْكَسَا ١٢ امرؤ القيس	وَسِوَارِ ٥ ابن أبي ربيعة
مُضَرَّرُهَا ٥٣ جرير	وَعَامِرِ ١ الأخطل
الْمَجْلِسُ ٩٩ الحماسة	يُقْبَرِ ١٨ الوحشيات
رَامِسُ ٥١ ابن أبي ربيعة	يُقْدَرِ ٢١ جميل بثينة
عَبُوسِ ١١ الحماسة	أَفَرَّ ٢ امرؤ القيس
مَأْنُوسِ ٥٢ جرير	السَّجَرِ ١١ ابن أبي ربيعة

نَفْسِي ٧١ ابن أبي ربيعة

مَنْكُصٌ ١٧ الأعشى

الحريص ٥٢ الفرزدق

مِرَاضٌ ٥٣ الفرزدق

البياض ٥٤ الفرزدق

بعض ٧٧ الحماسة

بيض ٤٤ الوحشيات

خَفُضٌ ٣٥ الحماسة

قُرْضِي ١٢٧ الحماسة

أَفْرَعًا ٢١٦ الحماسة

القناعات ٢٠٣ الحماسة

امْتَنَعًا ١٠٥ الحماسة

بَلَقَعًا ١٢ ابن أبي ربيعة

تَقَطَّعًا ٥٨ الفرزدق

جَزَعًا ٢٨ الوحشيات

فَأَوْجَعًا ٢٠ المفضلديات

قَطَّعًا ١٣٥ الحماسة

لَنَا مَعًا ٤٧ الأخطل

مُرَوَّعًا ٨٧ الحماسة

مَعًا ١٤١ الحماسة

مُفَرَّعًا ٥٤ جرير

وَالْوَجَعًا ١٨ الأعشى

إِصْبَعٌ ٨٥ الحماسة

البراقع ٦٠ جرير

الدُّمُوعُ ١٥ ابن أبي ربيعة

الدَّوَافِعُ ٢ النابغة الذبياني

الرَّتَّاعَا ٥٩ جرير

الظَّمْعُ ٢٤ جميل بثينة

المُدَّرَعُ ٥٦ الفرزدق

تُبَاعُ ٢٢ الحماسة

تَتَبُّعٌ ٣٤ حسان

تَجَزَّعُ ٥٥ جرير

تَذَمُّعُ ١٦٢ الحماسة

تَسْتَطِيعُ ١١ الأصمعيات

تَسْمَعُ ٩٣ الحماسة

تَشْبَعُ ٥٦ جرير

جُمُعُ ٥٧ جرير

رَاتِعُ ٥٥ الفرزدق

مُتَرَّعُ ٧٩ الحماسة

مُسْتَمْتَعُ ٩ المفضلديات

مَهْيَعُ ١٣ ابن أبي ربيعة

دَعَا ١٤ ابن أبي ربيعة

وَالْأَقَارُعُ ٥٧ الفرزدق

وَتَنَزَّعُ ٢٣ جميل بثينة

وَلَا وَرَعُ ١٠ الأخطل

يَجَزَّعُ ٣٦ المفضلديات

يَنْفَعُ ٧١ الحماسة

تُرَاعِي ٧ الحماسة

الْحُرَّعِ ٤٧ حسان

الهَوَاجِ ٥٨ جرير

وَبِالْجَامِعِ ١٤ حسان

اتَّسَعُ ١٣ المفضلديات

تَنْطِقُ ٦٥ ابن أبي ربيعة	جَمَاعُهَا ١١٥ الحماسة
خُرُقُ ٢١٨ الحماسة	زَعَارِعُهُ ١١ حسان
خَفُوقُ ٦٦ جرير	الْتَلَفَا ١٧٩ الحماسة
سَرُوقُ ٢١١ الحماسة	المُضَعَّفُ ٢٦ جميل بثينة
مَعَشَقُ ٢٠ الأعشى	المَلَا حِفْ ٦٧ ابن أبي ربيعة
مُوثِقُ ٤ الحماسة	تعرِفُ ٦٠ الفرزدق
مُوقِقُ ١٠٣ الحماسة	تَنَاصِفُ ٢٥ جميل بثينة
وَأَسْوَقُ ٢٧ جميل بثينة	تَنَائِفُ ٦١ جرير
وَأَمِقُ ٤٢ جميل بثينة	فَيَنْصَرِفُوا ١٩ الأعشى
وَرَقُ ٦٤ ابن أبي ربيعة	لَعَيُوفُ ١ جميل بثينة
وَنُشْفِقُ ٦١ ابن أبي ربيعة	وَطَفَ ٦٢ جرير
يَا زَيْقُ ٦٤ جرير	الضُّعَافِ ١٠ الوحشيات
يَشُوقُ ٧ المفضليات	أَلِفَ ٤٧ الوحشيات
أَخْلَاقِ ٢٤ المفضليات	خَائِفِ ٥٩ الفرزدق
الأخلاقِ ٦٣ جرير	عَنِيْفِ ١٩ الوحشيات
الْتَلَا قِي ٦٦ ابن أبي ربيعة	شَفَاهَا ٦٨ ابن أبي ربيعة
الشُّقَاقِ ٥ الأختل	الْفَرَزْدَقَا ٦٢ الفرزدق
العُنُقِ ٢٥ الوحشيات	حُمُقَا ٤١ حسان
الفِرَاقِ ٢٨ جميل بثينة	خَلُوقَا ٦٣ ابن أبي ربيعة
الفرزدقِ ٦٦ الفرزدق	سُرَاقَا ٦٥ جرير
الفرزدقِ ٦٧ جرير	طَرِيقَا ٦٢ ابن أبي ربيعة
المُحَنَّقِ ٦١ الفرزدق	عَلِقَا ٧ زهير
المَذَاقِ ١٦٤ الحماسة	عَلِقَا ٢٢ الأعشى
أَمَرَّقِي ٧ الأصمعيات	أَفَاقُوا ٢٣ الأعشى
بالخَلَاقِ ٦٥ الفرزدق	الخُلُقُ ٧٠ الحماسة
بِالْعَلَقِ ١٣٠ الحماسة	تَسْتَقِي ١٤٨ الحماسة

تَضُدِّي ٦٣ الفرزدق

صَدِيق ٦٠ ابن أبي ربيعة

لاقي ١ المفضليات

مَرْفُوق ٢٢٣ الحماسة

مَفَارِقِي ٦٤ الفرزدق

فوقها لها ٢٥ الأعشى

وطَارِقَةُ ٢١ الأعشى

المَسَالِكَا ٢٤ الأعشى

المَعِكُ ٨ زهير

السَّوَالِكُ ٨٠ الحماسة

فَهْلَكَ ٩٦ الحماسة

الجبالا ٦٨ جرير

السُّبُلَا ٢٠٦ الحماسة

النَّسْرَيْنِ زالا ٧٠ الفرزدق

أهلا ٧١ جرير

بَاطِلَا ١٤ امرؤ القيس

بَخِيلَا ٤١ الوحشيات

بِمَا فَعَلَا ٢٥ حسان

ثَقِيلَا ٢ المفضليات

جَهْلَا ٤٣ ابن أبي ربيعة

جِبَالَا ٧ الأخطل

رِحَالَا ٢٥ الأخطل

طَوِيلَا ٣١ المفضليات

طَوِيلَا ٤١ ابن أبي ربيعة

طَوِيلَا ٤٥ ابن أبي ربيعة

طَوِيلَا ٧٣ الحماسة

عَذَلَا ٢٨ الأخطل

فَتِيلَا ١٣ التابعة الذبياني

فَعَلَا ٤٢ ابن أبي ربيعة

مَهَلَا ٢٩ الأعشى

هَدِيلَا ٨١ جرير

واشْتَعَلَا ١٩ الأخطل

والأشْعَالَا ٤٤ ابن أبي ربيعة

وَأَوَّلَا ٣٥ المفضليات

ونكالا ٨٠ جرير

يَتَحَوَّلَا ٣٩ حسان

يُزِيلَا ٤٠ ابن أبي ربيعة

أَجْمَلُ ٣٠ جميل بثينة

أَعَزُّ وَأَطْوَلُ ٧٥ الفرزدق

الأَوْعَالُ ٣٩ الأخطل

البُخْلُ ١ جميل بثينة

الرجلُ ١ الأعشى

الرحيلُ ٧٥ جرير

الصِّيَاقِلُ ٣ الحماسة

العُقْلُ ١٥٢ الحماسة

المَرَاجِيلُ ٨ المفضليات

أَوَّلُ ١١٨ الحماسة

تَحْوِيلُ ٧٠ جرير

جَزُلُ ١٩٨ الحماسة

جَمِيلُ ٩ الحماسة

خَذَلُوا ٦٦ حسان

دُحُولُ ١٦ الأخطل

الخوالي ٦٩ الحماسة	عَادِلُ ٥ المفضليات
الرحيل ٣٨ ابن أبي ربيعة	فَتِيلُ ١٦٥ الحماسة
العادل ٦٩ جرير	قَتُولُ ٤٢ الأخطل
العُدْلُ ٧٩ جرير	قليل ٨٤ جرير
العالي ٦٩ الفرزدق	لَأَمِيلُ ١ قصائد مشهورات
العوافل ٣٢ حسان	لَجْهَوُ ١٩٩ الحماسة
القيول ٧٧ جرير	مُعْدَلُ ٢ الأخطل
المكَبَلُ ٢٦ الأعشى	مُعَوُّ ٢٩ الحماسة
المَنَاهِلُ ١٠ امرؤ القيس	مقتول ٣ الأخطل
التَّجَلُّ ٣٧ ابن أبي ربيعة	مَكْبُولُ ٣ قصائد مشهورات
التَّحُولُ ٣٤ جميل بثينة	تَنَكُّلُ ٢٢٠ الحماسة
أَهْلِي ٢١٠ الحماسة	والفعل ١٠ زهير
بالرجال ٧٣ جرير	وَتَنَهَلُ ٧٤ الحماسة
بِجْهَوُ ٣ الأصمعيات	وَصُولُ ١٣٣ الحماسة
بِخَيَالِ ٥٨ الأخطل	يُظَلُّ ٨٤ الحماسة
بِرْجَالِ ٨٣ جرير	يُعْدَلُ ٤٤ حسان
تَسْأَلِي ١٤ الوحشيات	يُقَاتِلُ ٧٨ جرير
حُلَاكِ ٧٢ الفرزدق	أشِبَالِي ٧٤ جرير
حِيَالِ ٢ الأصمعيات	الأَجَاوِلُ ١١ النابغة الذبياني
سْؤَالِي ٢٨ الأعشى	الأَوَّلُ ٥ حسان
صِقَالِ ١٧ الحماسة	الباسِلُ ١٣ امرؤ القيس
طَائِلِ ٢٦ الحماسة	البُخْلِ ٣٢ جميل بثينة
عُظْبُولُ ٨٤ ابن أبي ربيعة	النَّقَالِي ٩ زهير
عَقِيلُ ١٠٧ الحماسة	الجبلي ٥ الوحشيات
فاغْجَلِ ٣٠ المفضليات	الحَوَامِلُ ٧٣ الفرزدق
فاعِلِ ٦٨ الفرزدق	الخَالِي ٣ امرؤ القيس

فَحَوْمَلِ ١ امرؤ القيس

قَتْلِي ١٤٩ الحماسة

قَتْلِي ٣١ جميل بثينة

قَتْلِي ٣٦ ابن أبي ربيعة

قَتْلِي ٤٢ الحماسة

قَتْلِي ٨٢ جرير

قُفُولِ ٣٥ جميل بثينة

لِلْجَهْلِ ٧٤ الفرزدق

لِيَالِ ٧٦ الفرزدق

مَالِ ١٥ النابغة الذبياني

مَالِي ١٣٤ الحماسة

مَحَلِ ٣٨ الحماسة

مُقْبِلِ ٤٠ الوحشيات

هَاطِلِ ١٥ حسان

هَيْكَلِ ٥ الحماسة

وَاصِلِ ٣٣ جميل بثينة

وَائْتِهَالِ ٣٩ ابن أبي ربيعة

وَبُلِ ٤٥ الوحشيات

وَحَالِي ٢٤ الأخطل

وَمِيكَالِ ٧٢ جرير

الْجَبَلِ ٢٠ امرؤ القيس

الْوَهْلِ ٦٧ الحماسة

دُوْلِ ٣ حسان

وَالْحُلَلِ ٢١ امرؤ القيس

بَدَا لَهَا ٢٧ الأعشى

بُقَيْلَةُ ٢٧ الوحشيات

جَمَالُهَا ١٧٦ الحماسة

حُمُولُهَا ٣٧ الأخطل

خُذَّالُهَا ٤٥ الحماسة

فَحَلَّهَا ٢٩ جميل بثينة

فَهَلَّكَ ٩٦ الحماسة

لِحِلَالِهَا ٥٦ الأخطل

نُزُولُهَا ٤٨ حسان

هَوَىٰ لَهَا ١٤٣ الحماسة

وَأَجْبَالَهَا ٦٢ الحماسة

أَقْلَهُ ٣٠ الوحشيات

بَازِلُهُ ٧١ الفرزدق

بَلَابِلُهُ ٤٣ جميل بثينة

شُعُولُهَا ٣٦ الأخطل

ظِلَالُهَا ٨٦ جرير

قَابِلُهُ ١٢٤ الحماسة

مَخَايِلُهُ ٨٥ جرير

هَوَامِلُهُ ١٢ زهير

وَأَبَاجِلُهُ ٩٧ الحماسة

وُتُقَاتِلُهُ ٢١٤ الحماسة

وَحَبَائِلُهُ ٧٧ الفرزدق

وَرَوَاجِلُهُ ١١ زهير

وَمَبَاجِلُهُ ٧٦ جرير

يَسْتَبِيلُهَا ٦٧ الفرزدق

يُعَادِلُهُ ٩ الأخطل

جَلَلَهُ ٣٦ جميل بثينة

أَتَقَدَّمَ ١٦ الحماسة

الهِمَا ٤ النابغة الذبياني

أما ٨٥ ابن أبي ربيعة

تَصْرَمًا ١٨ ابن أبي ربيعة

حَكَمًا ٣٣ الأعشى

حَمَامًا ٩٠ جرير

دِرْهَمًا ٢٠٧ الحماسة

دَامًا ٣٢ الأعشى

رَسَمًا ١٠ قصائد مشهورات

سُجُومًا ٢٤ ابن أبي ربيعة

سُلَمًا ١٠٠ الحماسة

سَلَمًا ٤١ الأخطل

عِصَامًا ٢٢ النابغة الذبياني

عَمَامًا ٥٠ الأخطل

فَتَصْرَمًا ٣١ الأعشى

كَرِيمًا ٣٩ الوحشيات

مُسَلَّمًا ٦ حسان

مُظْلِمًا ٤٤ الحماسة

مَظْلُومًا ٢٠٨ الحماسة

مُغْظَمًا ٢٦ المفضليات

مُفْعَمًا ٢٣ الحماسة

مُقَسَّمًا ٥٢ الوحشيات

وَسَلَمًا ٥٠ الوحشيات

وَسَمًا ١٠٦ الحماسة

يَتَرَحَّمًا ٧٨ الحماسة

يَتَكَرَّمًا ١٤ الأصمعيات

يَتَكَلَّمًا ١٠٠ جرير

يُقِيمًا ١٢ المفضليات

أَسَحَمُ ١٥٣ الحماسة

الْإِغْدَامُ ١٣ الأصمعيات

التَّلَوُّمُ ٧٦ الحماسة

الْجِمَاجِمَا ٢٥ المفضليات

الْحَكِيمُ ١٣٧ الحماسة

السلامُ ٩٩ جرير

الكرِيمُ ١٥ زهير

المَظَالُمُ ٢ الوحشيات

النجومُ ٢ حسان

الهِمَا ٩ النابغة الذبياني

أَلُومُ ١٩ ابن أبي ربيعة

تَعَلَّمَ ١٢٩ الحماسة

جُثُومُ ١٧٥ الحماسة

دَارِمُ ٩٠ الفرزدق

سِجَامُ ٩٣ جرير

سَقَمُ ٩٢ جرير

طَعَامُ ٢٣ النابغة الذبياني

عَارِمُ ١٧ ابن أبي ربيعة

لا يَرِيْمُ ٥٠ الحماسة

لَعَظِيمُ ١٦١ الحماسة

لَنَائِمُ ١٥٤ الحماسة

مُتَقَدِّمُ ١٧٤ الحماسة

مَذْمُومُ ٨٤ الفرزدق

مَعْلُومُ ٣٤ المفضليات

نُعْمُ ٢٣ ابن أبي ربيعة

تَسْلِيمِ ٨٧ جرير	هَرْمُ ١٤ زهير
تَمَامِي ٨١ الفرزدق	وَالْحَرَمُ ٧٨ الفرزدق
تُنِيمِي ٨٨ جرير	وَمُنِيمُ ٢٠٠ الحماسة
تَوْهَمِ ٤ بقية المعلقات	يَتَكَلَّمُ ٢١ ابن أبي ربيعة
دِرْهَمِ ١٤ المفضليات	يَرِيمُ ١٩٣ الحماسة
دِرْهَمِ ٤٨ الأخطل	الإسلام ١٠ حسان
دَمِي ٨٥ الفرزدق	الأقدام ٩٥ جرير
المَخَارِمِ ٨٢ الفرزدق	الأقوام ١٠٢ جرير
سَقِيمِ ٢٠ ابن أبي ربيعة	التَّمَائِمِ ٩٤ الفرزدق
سَهْمِي ٢٠ الحماسة	الحُلُومِ ٩٦ جرير
شَمَامِ ١٦ امرؤ القيس	الظُّلَمِ ٣٤ الحماسة
عَالِمِ ٩٦ الفرزدق	العَظَائِمِ ٨٩ الفرزدق
عَرِيمِ ٩٧ جرير	العَظْمِ ٩٢ الفرزدق
عُلامِ ١٩٤ الحماسة	الغَرَامِ ٣٢ المفضليات
فَالْمُسْتَلَمِ ١ زهير	القَاسِمِ ٣٥ الوحشيات
فَرُوجِ المَخَارِمِ ٧٩ الفرزدق	القَطْمِ ٤٣ الأخطل
كَالْعَلَقَمِ ٢٢ ابن أبي ربيعة	الكَوَالِمِ ٩٥ الفرزدق
كَرِيمِ ٢٤ الوحشيات	الْمُتَهَضِّمِ ١٩ حسان
لِحِمَامِ ١٠ الحماسة	المَقْدَمِ ٩٤ جرير
لِلْعَظَائِمِ ٨٨ الفرزدق	أَمَامِي ٩٣ الفرزدق
مُخَاصِمِ ٩١ الفرزدق	بِالدَّمِ ٦٣ الحماسة
نَائِمِ ١٠٤ جرير	بِالسَّلَامِ ٨٩ جرير
وَالْجَحِيمِ ٨٣ الفرزدق	بِاللِّجَامِ ١٠٥ جرير
وَالْقَمِ ٤٠ الأخطل	بِسُلْمِ ٣٠ الأعشى
وَالْقَمِ ٨٦ ابن أبي ربيعة	بِنَائِمِ ١٠٣ جرير
وَرَاغِمِ ٣٣ حسان	تَتَكَلَّمِ ١٦ ابن أبي ربيعة

وهَيْمٌ ١٨ الحماسة

يُكَلِّمُ ٩١ جرير

الرِّمَامُ ٢٠ حسان

الظِّلْمُ ٩ حسان

تَلْتَظِمُ ٣٤ الأعشى

كَلَّمَ ١٩ المفضليات

نَعَمُ ٢٢ المفضليات

والْقَسَمُ ٦ الوحشيات

جَمَامَةٌ ١٠٨ الحماسة

أَضِيْمُهَا ٢١٥ الحماسة

اِقْتِسَامُهَا ٨٦ الفرزدق

أُمُّهُ ٩٨ جرير

رَمِيْمُهَا ١٠١ جرير

عَارِمَةٌ ٨٠ الفرزدق

فَرَجَامُهَا ٢ بقية المعلقات

فَقَصِيْمُهَا ١٥ الأخطل

كَلَامُهَا ١ جميل بثينة

وَأَنَامُهَا ٨٧ الفرزدق

أَجَنَّا ٢٧ ابن أبي ربيعة

إِخْوَانَا ٣١ حسان

أَقْرَانَا ١١٣ جرير

الْأُلُوَانِ ١١٠ جرير

الْأَنْدَرِيْنَا ٣ بقية المعلقات

الْحَاسِدِيْنَا ٢٣ الوحشيات

الذَّاهِبِيْنَا ٢٢ امرؤ القيس

أَيَّنَا ١٠٩ جرير

تَرَانَا ٤٠ الحماسة

حَسَنًا ٣١ ابن أبي ربيعة

حَيَّنَا ٥٢ ابن أبي ربيعة

شَيَّانَا ١ الحماسة

عَيْنَا ٥١ الحماسة

فَاسْقَيْنَا ٨ الحماسة

فَنَيْنَا ١٠٨ جرير

لَبُونَا ٣ المفضليات

مُتَتَابِعِيْنَا ١١ الوحشيات

مَدَدُونَا ٢٥ الحماسة

مُعَلِّيْنَا ١ الوحشيات

إِخْوَانُ ٢ الحماسة

الظُّنُونُ ١٧ زهير

تَبَيَّنُ ١٥٩ الحماسة

تَلَيْنُ ٣٦ الوحشيات

تَلَيْنُ ٤٩ الأخطل

دَفَنُوا ١٨٥ الحماسة

ضَنِينُ ٣٧ جميل بثينة

مَعِينُ ١١١ الحماسة

مَيُونُ ١٧ النابغة الذبياني

أَحْزَانِي ٩٨ الفرزدق

أَرْمَانُ ٩ امرؤ القيس

الْأَعْنُ ٢٨ ابن أبي ربيعة

الْجَنَانِ ٢٩ الأخطل

الْخَضْمَانِ ١٠٠ الفرزدق

الضَّيَّائِي ٦٧ حسان

وَأَوْطَانِ ٣٣ الحماسة	الطَّلَلَانِ ٣٥ الأخطل
وجيراني ٣٢ الحماسة	الفَطْنِ ٢٩ حسان
وَلَأَرْضَانِي ٦ امرؤ القيس	الْيَمَانِي ٨ امرؤ القيس
وَمَكَانِي ٨ الأصمعيات	أَمَانِ ٥٣ الحماسة
يُتَكِنِي ٣٩ جميل بثينة	بَانِ ٩٧ الفرزدق
يَعْنِينِي ٦ الأصمعيات	بِدُخَانِ ٢٤ امرؤ القيس
يَقِينِ ١٥١ الحماسة	بِرَمَانِ ١٠٧ جرير
يَلْتَقِيَانِ ٨٧ ابن أبي ربيعة	بِمَنَانِ ٢٣ امرؤ القيس
يَلْحَانِي ٤٤ الأخطل	بِيَانِ ١٨ حسان
يَمِينِي ٣٨ جميل بثينة	بِيَمَانِ ٢٥ ابن أبي ربيعة
يُؤْذِنِي ٢١٧ الحماسة	تَبِينِي ٢١ المفضليات
اِظْمَأَنَّ ٣٦ الأعشى	تَصِفَانِ ١ جميل بثينة
مُعَنَّ ٣٥ الأعشى	تَعْرِفُونِي ١ الأصمعيات
دُونُهَا ٤٣ الحماسة	دَعَانِي ٣٧ الوحشيات
عُبُونُهَا ٥٧ الحماسة	دَوَانِ ٢٠٩ الحماسة
عُبُونُهَا ٧ الوحشيات	زَمَانِي ٣٠ ابن أبي ربيعة
مِيزَانُهَا ٤٥ حسان	زَمَنِي ١١٢ جرير
يُهِنُهَا ١١١ جرير	شَجَانِي ٢٦ ابن أبي ربيعة
تَخُنُهُ ٨٨ ابن أبي ربيعة	شَفَانِي ١٩ الحماسة
فَسَائِلَاهَا ٤٠ جميل بثينة	عُظْفَانِ ١٢ الوحشيات
دُنْيَاهَا ١٨٧ الحماسة	فَأَتَانِي ٩٩ الفرزدق
هُوَ ٦٨ حسان	فَأَرَقَّنِي ٢٩ ابن أبي ربيعة
وَأَحْجَارِ ١٦ النابغة الذبياني	مِنِّي ٥١ الوحشيات
الْأَعَادِيَا ١٠٤ الحماسة	هَارُونِ ١١ المفضليات
الْأَعَادِيَا ٢٤ النابغة الذبياني	هَجَانِي ١٠٦ جرير
الْبَوَاكِيا ١٢٥ الحماسة	وانتظراني ٥ قصائد مشهورات

هُوَيَّا ١٤٧ الحماسة	التَّقَاضِيَا ١١٣ الحماسة
هَيَّا ١٩٥ الحماسة	التَّوَالِيَا ١٠٢ الفرزدق
هَيَّا ٤ الوحشيات	المَرَامِيَا ١١٩ الحماسة
هَيَّا ٤١ جميل بثينة	التَّوَالِيَا ٩ قصائد مشهورات
والقَوَافِيَا ١٦٠ الحماسة	بَاقِيَا ٩ الوحشيات
وَلَا لِيَا ١٠ المفضليات	تَنَائِيَا ٩٤ الحماسة
يَرَى لِيَا ٤٨ الحماسة	حَالِيَا ١٦٦ الحماسة
العَصِي ١٤٠ الحماسة	رِدَائِيَا ١٨ زهير
العِصِي ١٥ امرؤ القيس	فَانِيَا ٣٧ الأعشى
بِمَا فِيهَا ٣٨ حسان	فُؤَادِيَا ١١٥ جرير
مَنَاحِيهَا ١١٤ جرير	مَا لِيَا ١٠٣ الفرزدق
جَانِيهَا ٤٧ الحماسة	نَاهِيَا ١٢ قصائد مشهورات

يضم هذا الكتاب زبدة الشعر العربي في الجاهلية وصدر الإسلام والعصر الأموي. قد انتقيت لك أجمل وأقوى الأبيات لأهم شعراء ذلك الزمن. ولاحقت لك الشعراء المغمورين بلا كلال، ناخلاً كتب الشعر القديم نخلاً، وكانت تلك المهمة اليسيرة. فأما المهمة العسرة فكانت الشرح. وقد شرحت شرحاً أصفه فقط بأنه شرح حقيقي، ذلك الشرح الذي لا يغشك بتفسير الكلمة السهلة دون الصعبة.

في الكتاب زبدة دواوين امرئ القيس وزهير والنابعة والأعشى وحسان والأخطل والفرزدق وجريير وعمر بن أبي ربيعة وجميل بثينة.

وفيه المختار المتقى من المعلقات العشر جميعاً. وفيه أجمل ما ورد في كتب الأدب الأصول: المفضليات والأصمعيات والحماسة والوحشيات.

وفيه فوق ذلك اثنتا عشرة قصيدة وجدتها أفلتت من كل ما سبق.

وقد ذيلت كل باب بفهرس للقوافي، وذيلت الكتاب بفهرس عام للقوافي.

- مرفق مع الكتاب تسجيلات صوتية من قصائد كتاب «أول الشعر» بصوت المؤلف عارف حجاوي، وهي مرقمة بحسب ترقيمها في الكتاب المطبوع.

- تم التسجيل في استديوهات مركز الجزيرة للتدريب الإعلامي.

- مهندس الصوت: محمد ماضي



1 2 3 4 5 9 6 1 8 7 5 4 4 8



القاهرة - المعادي - شارع المعراج
almashreq.books@gmail.com